

السعيد

د. راجح



تاريخ الحركة الشيوعية المصرية



المجلد الأول

٢٥
د. رفعت السعيد

تاريخ الحركة الشيوعية المصرية

المجلد الأول

١٩٤٠ - ١٩٠٠

يضم هذا المجلد كتابين

١٩٠٠ : ١٩٢٥ اليسار المرمى

١٩٢٥ : ١٩٤٠

في هذا المجلد

* تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر

١٩٢٥ - ١٩٠٠

الطبعة السادسة

* اليسار المصري

١٩٤٠ - ١٩٢٥

الطبعة الثالثة

•• وكانت البداية

منذ أكثر من عشرين عاما ••

طرحت أمامي كل ما يمكن أن يغلطني من أحلام وطموحات ، وبدأت أنتقي منها ما اعتقد أنه الأجمل والأكثر بهاء ، والأكثر جدارة بأن أمنحه بعضا من ذاتي ••

وكانت الأيام صعبة ، الغاية تفانرت أشجارها ، قراره الحل ، يخيم مثل كابوس قذري مخيف ، « يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه » وكان البعض يرفض أن يعود بأبصاره الى الخلف ، خضية أن يسيء ، للسادة ، فهم هذه الانشغاة ، وكان البعض وكأنه يريد أن يغتسل مما مضى ، والبعض يؤمن ق ، الحاضر ، وحده •• والبعض الآخر يرتجف من هول أن يكون وحيدا فيسمى الى دروس الماضي تطلما واكتسابا للخف ، واستعدادا للآتي من الأيام ••

وبينما كان أكثر من حلم يتلقى في خاطري ، برز من بينهما أمل أن اعد دراسة أكاديمية متكاملة عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية •• منذ أيامها الأولى •• أي ما قبل مطلع القرن العشرين ••

وامتزج العام بالخاص :

أن يصبح الحلم طموحا ، وأن يتحول الطموح الى قطعة من الهم الذاتي كل يوم بل وكل لحظة •• ولقد أشفق الكثيرون من هذا الحلم •

للبعض أشفق منه على ، فهو عيب ، أكبر من أن يحتمل فرد كل انتقاله •

والبعض أشفق على منه ، خضية ألا اكون بالقدرة المطلوبة ، ولا بالحياة المفترض •

ونصحتي البعض أن أنتظر ، والنح البعض أن أتخطى حتى لا يساء فهمي ، أو فهم ما أريد ، وكثر البعض من « السادة » عن أنياب غير راضية •• وأكثر من مرة وقفت أمام النياحة والقضاء لأفسر وأبرر ، لماذا ، و « ما الدافع » وما هو القصد والهدف ؟؟

ولكن •• ما أمتع أن يخوض الانسان معركة يمتحن فيها نفسه وقدرته على الفعل ، وقدرته على التعلم وقدرته على التحدي •

وما أمتح أن يتحصن الإنسان في ساعات الشدة ، ولحظات الإحباط بحلم
يتأقن دوماً في سماء فعله اليومي ...

طرحت كل المحاذير ، كل التحذيرات ، كل المخاوف ... وخضت غمار
التجربة .

لم أكن أتخيل أنها بكل هذه الصعوبة ، ولا هذه الخسوية ، ولا هذا
الدق .

في أسمى ساعات الشدة حيث تشعيرية الوحدة تمنح كل الأحياد الما
بارداً وقاتلاً ، كنت أشعر بدق الماضي وعطره ، وأمتحن قدرتي على التطلع
للمستقبل .

وانغمست حتى أعمق أعماقي في هذه الغاية الجميلة من المعرفة المتممة .
صرت أتابع الحدث ... وأصحابه وأتوحد معهم ، أعيشهم ، أحلم بهم ،
أحمل همومهم فوق كأطى ، أفكر في مشكلاتهم ناسياً أن قرابة القرن قد مضت ...
صرت أتعرف على الأسماء والخ في متابعة التعرف عليها حتى كنت أبني في
مخيلتي ملامح متكاملة لكل من هؤلاء الرجال ... وبإختصار شغنتي التجربة
بأكثر مما توقعت ، وبأكثر مما توقع أحد ...

وانجزت الجزء الأول من هذه الدراسة ... وحصلت به على درجة
دكتوراة الفلسفة في التاريخ الحديث وآثار صدوره ضجيجا ، وصخباً .
ولقد أوشك أن يحيطني وأن يحيط كل مشروعى أن الكتاب قد منح طبعه
بمصر ، وكذلك منع تداول الطبعة البيروتية منه . فما جسدى أن تحكى عن
الماشوق والمشوقة لا تعلم ؟

إن مصر ... وطبقها العاقلة هي محور الحلم الذي عشقت ، فما جسدى
أن أكتب للآخرين ؟ ... لكننى ومع ذلك قررت أن أوصل . هل هو الإصرار ؟
أم هو الإلهام الذى وفد الى عبر همسة أبلغتني أن بعضاً من الشباب ينسخ
الكتاب بخط يده وينظم تداوله مخطوطاً ؟ أم هو حلم التطلع الى مستقبل ينسج
خيوطه من الماضي ؟

وواصلت ... وتواصلت الدراسة ، كل حلقة منها تسلمني للآخرى ،
تأميرني أن أوصل ، الدراسة الأكاديمية تجبرك على أن تتكامل معرفتك
بموضوعها . وتحتّم أن أدرس مع تاريخ الحركة الشيوعية تاريخ صحافتها ؛
وحدود موقفها من القضية الفلسطينية ، ورؤيتها لقادة العمل السياسى
الماضى ...

تواصلت الدراسة ، وتواصلت معها حتى توجت بحثين كانا بتبويج
خلى الجميل ... صدر الجزء الاخير من هذه الدراسة ، تاريخ الحركة الشيوعية

المصرية - ١٩٥٧ - ١٩٦٥ ، و أكاديميا قدمت دراسة مضمّنية حصلت بها
على دكتوراة العلوم في التاريخ الحديث ،

اخيرا نفضت الصعداء .

وقبل ان استثمر تمام الراحة .. كان الحظ الجميل يتملّك ، وكانت
عيناي تتوقّفتان امام ملفات عديدة تحتوى على بيانات اضافية تراكمت عبر
السنوات العشرين .. اضافات ، وثائق ، تصحيحات ، انتقادات تتعلق بما
كُتبت .

واحسست اننى لم ازل مدينا .

للقارىء الذى استنفذ كل ما صدر من طبعات بحيث اصبح من الضروري
اعادة طبع كل ما صدر منها .. وللحقيقة التى تظل تلح حتى تتكامل .

.. احسست اننى لم ازل مدينا ..

للقارىء الذى يستحق ان اقدم له كل ما تجمع لى من معرفة والا اضمن
عليه بشئ منها - ولا يبطال اللحمة القدامى والمعاصرين .. بان اقدم تاريخهم
باكبر قدر من التدقيق والتصويب .. فعدت مرة اخرى اراجع كل حرف وكل
موقف ، واضيف وامحو واصحح ، واحاول ان اقدم الحقيقة في صورتها
الحقيقية .

وإعود فأتى للقارىء من جديد ..

وكان عشرون عاما لا تكفى .. هكذا عاتبني البعض ممن احب .

واجبت .. ولا حتى كل ما تبقى من عمري يكفى كى ينى بالدين ..

وهكذا ستصدر هذه الكتب جميعا في مجلدات متتابعة .. يضم المجلد
الاول منها :

✦ تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠ - ١٩٢٥

✦ الليبرال المصرى ١٩٢٥ - ١٩٤٠

ولقد طبع من الدراسة الاولى خمس طبعات .. وما هي السادسة ..
اما الدراسة الثانية فقد طبعت ثلاث مرات ، وقد نفضت منذ امد بعيد لكننى
رفضت اعادة طبعها لاننى احسست اننى قد امتلكت عليها اضافات هامة ،
ولما كنت منغمسا بكليتى في متابعة حلقات الدراسة فقد وعدت نفسى او توعدتها
بان ارجع ، اعادة طبعها حتى انتهى من الجزء الاخير ثم اعكف عليها بالتمديد
والاضافة .

وما قد أوفيت بوعدى ووعيدى .. مما

... وبعد

ما من كلمات يمكنها ان تصف امتنانى للقارىء الذى كان للاحاحه المستمر
منسؤالا وضغطا بل وتوعدا اكبر الأثر فى ان اواصل حتى فى سنوات الزمن
لصعب .. البحث والكتابة ، وفى ان انتزع الوقت الضرورى لها . وهو كثير
من برائث الانتشغال بالحاضر والمستقبل مما ..

وما من كلمات يمكنها ان تفر بينى لاستاذى البروفيسور رايمان عميد
جامعة كارل ماركس بالمانيا الديمقراطية ومعاونيه ، فقد تلمت على يديهم
الكثير ، سواء فى مجال المعرفة العلمية بالتاريخ ، أو فى مجال البحث الاكاديمى
وادواته ..

وما من كلمات يمكنها ان تصف المرفان بالجميل لاسرتى .. زوجتى
ولبنائى خالد وغادة .. فقد احتملوا منى كل ما تطلبته دراسة طويلة الأمد كهذه
من انتشغال بهمومها ، وانطواء على ادواتها ..

وما من كلمات يمكنها ان تكشف عن عمق المحبة التى تحتشد فى وجدانك
وانت تتابع عبر اجمل سنوات حياتك سيره ونضال وعذابات ومعارك رجال ..
وحبوا حياتهم للمبدأ وللشعب وللوطن ..

وما من كلمات يمكنها ان تصف كون انسان يحقق حلمه .. بل اجمل
احلامه ..

القاهرة - ١١ اكتوبر ١٩٨٦

تاريخ الحركة الاشتراكية
١٩٢٥ - ١٩٠٠

- ١٩٧٢ الطبعة الأولى : دار الفارابي - بيروت
١٩٧٥ الطبعة الثانية : دار الثقافة الجديدة - القاهرة
١٩٧٥ الطبعة الثالثة : دار الفارابي - بيروت
١٩٨٠ الطبعة الرابعة : دار الطليعة - بيروت
١٩٨١ الطبعة الخامسة : دار الثقافة الجديدة - القاهرة -

واستاذنا

وصديقنا

الى

خالد محي الدين

اخا وصديقنا واستاذنا

مقدمة الطبعة الخامسة

نمة مناسبتان وليس مناسبة واحدة .

الطبعة الخامسة من هذا الكتاب تصدر ..

وهي تصدر في الذكرى الستين لتأسيس الحزب الاشتراكي المصري
الأول .

والكلمة عاجزة تماما عن التعبير .

فالاخساس وانت تكتب مقدمة كتاب مختلف تماما عن الاحساس وانت
تقدم كلمة للطبعة الخامسة منه ..
تماما مثل الاختلاف بين أن تحرر شهادة ميلاد ابنك أو ابنتك ، وأن
تحتضر حفل زفافه .

خمس طبعات .. شيء لم يكن احلم به ولا املك ازاءه الا ان احنى راسي
احتراما للقارىء الذى غمرنى باهتمامه وتشجيعه .

ثمة أيام كان فيها هذا الكتاب ممنوعا في مصر ، وفي هذا البلد العربي
او ذلك ، وكان القارىء يتألمه برغم المنع ، يظلم بحيازته ، او حتى مجرد
قراءته ، لكنه مع ذلك ظل متمسكا بحقه في ان يتعرف على تاريخ هذا العمل
لفذ . المحاولة الاولى لتأسيس حزب اشتراكي مصري ..



وتتوالى الطبقات فتصبح خمسا ، وبرغم تصحدها وبرغم سفوات
عديدة تمنى يظل ثمة دين مطق في عنقى أشعر انه لا بد من الوفاء به ..
كلمة تحية لميالم جليل ، واحد من آباء التاريخ الحديث في عالمنا المعاصر
للبروفيسور لوثر رايمان عميد جامعة كارل ماركس بالمانيا الديمقراطية
.. ذلك الرجل الذى فبح أمامى بسخاء وتفان ابواب التصرف على إمكانات
علم التاريخ ، ومناهج البحث فيه والذى اشرف في صراحة العالم وحنان الصديق
على رسالة الدكتوراة التى اعتمدت أساسا على موضوع هذا الكتاب . عنسه
تعلمت كيف ابحت واكتب في التاريخ . واليه اهدى تحية وفاء .. واحترام .

والمنام الصتون يأتي ...

رحلة طويلة وشاقة خاضتها اعلام الاشتراكية عبر الشوك ووسط
أحضان المجامير ..

سنوات سقوت من التفاني المخلص والوفاء المتقبل للوطن والشعب
... وللإشتراكية .

الرحلة الشاقة هي موضوع مائة الآلاف من أولئك الرجال والنساء
الذين تمسكوا براءة مبدأ آمنوا به وتقبلوا في سبيل هذا الإيمان تضحيات
لا حصر لها .. تضحيات يصعب على المؤرخ أن يتناولها بالوصف .. فطم
التاريخ علم صارم لا يصرّف اللين أمام العاطفة حتى ولو كانت صادقة .
ولعل الدور يأتي الآن على الأدب والفن بفنغاته المختلفة ليقدّم لنا صورة شتى
من هذه الرحلة الطويلة ..

لعل المؤرخ يلعب في هذا العمل دور المستكشف .. الباحث المدقق ،
المتخبط لحاجز الحب والشوق ، والتمسك بأكاديمية البحث والجزارة على
الانتقاد والتقييم وأعمال مقاييس الصحة والخطأ ، ولعله يتجاسر بذلك
على تضحيات رجال خاضوا الصعب ، بذلوا الدم والعرق .. والحياة .
فيأتي الآخرون في جلساتهم المسترخية يمسكون بقلم المدرس محاولين إجازة
هذا الموقف وتخطئة ذلك ناسين أن كل موقف كان بذاته معركة تطلبت عرقاً ودماً
وجهداً .. وحياة .

للدور الآن على الأدب كمن يقول بكلمته بأعمال درامية تسجل تلك
الأحداث .

ليس لأننا أنجزنا مهمتنا ، فلم ينزل إيماننا الكثير . وإنما لأن
الأدب قد تأخر كثيراً عن الجرى في موعده .

.. وتمضي رحلة البحث تستهدف أن تغطي هذه الحقبة المبررة البالغة
للشراء ..

تحاول .. وستحاول .

لكن التقدم للامام لايجل المشكلة .

فالمؤرخ انسان كتبت عليه مماناة البحث الدائم ، وانت تتقدم
للأمام في بحثك تشكك معلومات جديدة الى الخلف تستكمل ما اعتقدت يوما
انه قد اكتمل .

وهكذا وعبر السنوات التي مضت منذ الطبعة الاولى تجمعت معلومات
روثائق اضافية .. كان لا بد من اعادة النظر في موضوع هذا الكتاب
على اساسها ، ومن تضمنين ما هو هام ، وملفت للنظر ، في اطار الطبعة
الجديدة .

وفي الطبعات الأربع كان الاهداء دوما لخالد محيي الدين اخا وصديقا
واستاذا ..

وتنفض السنوات واشعر انه يستحق أكثر .

اليه ايضا اهدى هذه الطبعة ..

ولكن ثمة بسمة تضيء الآن في اشراقة باهرة ..

بسمة تشق ظلمة الحياة .. وتغرس الأمل ..

هل يفخر لي ان اشركها معه في اهداء هذه الطبعة ..

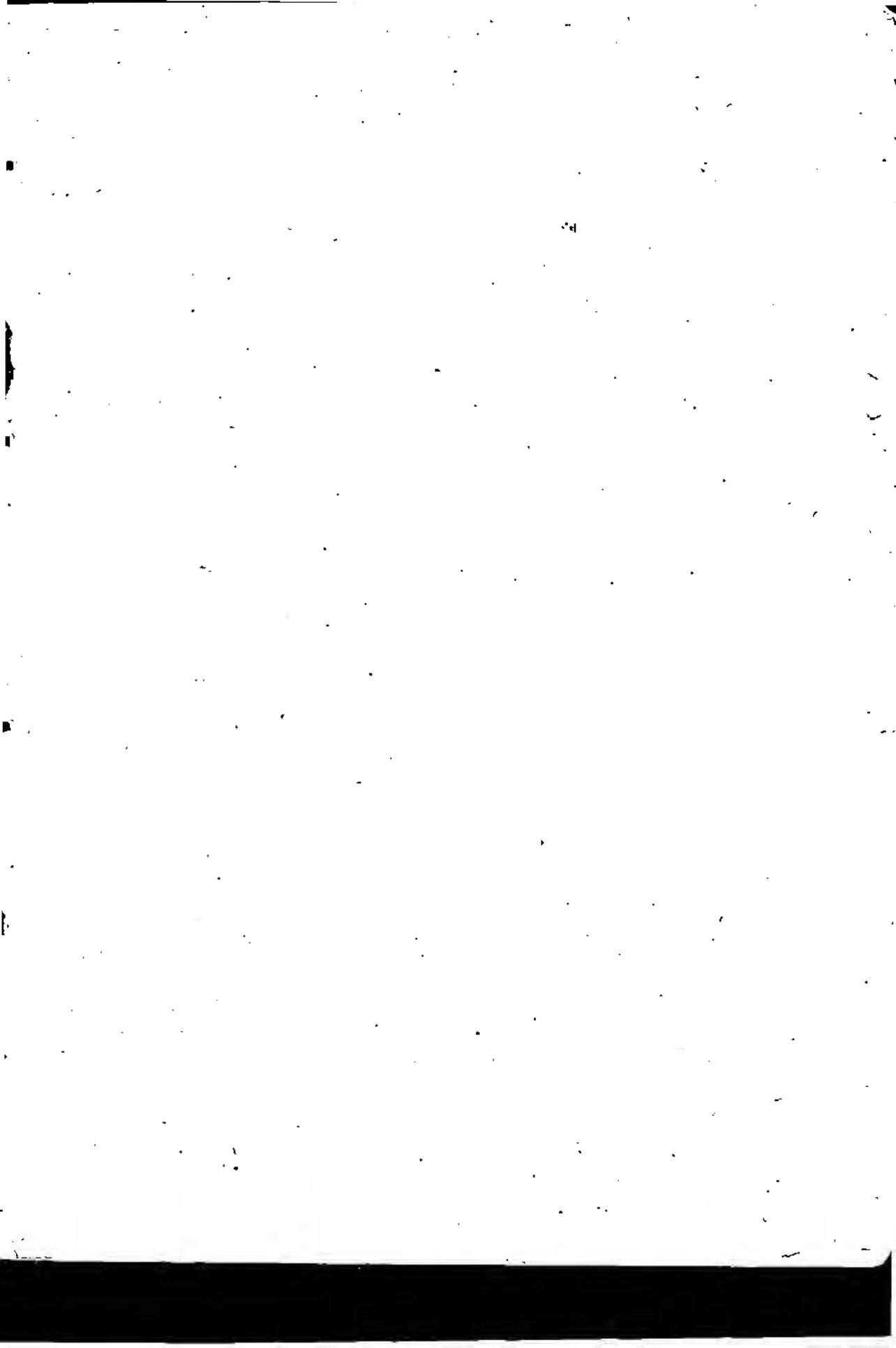
* * *

والرحلة لم تنته ..

لا رحلة البحث ولا رحلة النضال ..

وسيزل المؤرخ دوما مطالب بان يوزع نفسه - ان استطاع - بين معالجة
فترة جديدة - هي بذاتها جزء من الماضي - وبين التطلع الى ما يجري الآن
- استكمالا وتطويرا للماضي - .. وبين الأمل في المستقبل والاسهام في
صناعته .

القاهرة ٣ سبتمبر ١٩٨٠



القسم الأول

مصدر
في مطلع القرن العشرين

- * التجمعات الطبقية والقوى الاجتماعية المختلفة *
- * الحركة وسط الفلاحين *
- * النضال النقابي والسياسي للطبقة العاملة *
- * المتفقون .. طريقان تؤدي اليهما الليبرالية *

التجمعات الطبقيّة والقوى الاجتماعيّة المختلفة

دخل الانجليز مصر على بساط من خيانة الاقطاع للثورة العرابية ،
والحقيقة ان ارتقاء الاقطاع بهذه الصورة المسافرة في احضان القوات
الانجليزية الغازية كان خيرا دليلا على النضج الطبقي لهذه الفئة ؛ فقد
أدركت على الفور - دون أي تردد - ان الخطر الحقيقي الذي يهددها هو ثورة
الفلاحين الذين يقودهم عرابي ؛ وأن أي عدو لهذه الثورة ايا كانت اعدائه
هو بالضرورة صديق .

وهكذا نسي سلطان باشا وعلى مبارك باشا وشريف باشا
وغيرهم ، كل ما كانوا ينادون به من مطالب اصلاحية ودستورية .. وارتموا
تحت وطأة الخوف من ثورة الفلاحين في طريق الخيانة المسافرة ..
وباعوا انفسهم للانجليز .. وباعوا معها مصر ..

وقد بنى كرومر خطته في مصر على عدة أسس أهمها دعم طبقة
كبار الملاك ، والاستعانة بها اتباعا مطيعين - وسيياطا تنهب ظهر
الشعب المصري .

وهكذا بدأ كرومر في دعم هذه الطبقة التي أسماها ، طبقة أصحاب
المصالح الحقيقية ، ففي ديسمبر ١٨٨٢ صدر القانون المدني الأعلى ليرسي
دعائم حق الملكية فينص في مادته الثامنة ، تسمى ملكا العقارات التي يكون
لنفسه فيها حق التملك التام وتعتبر في حكم ذلك الاطيان الخراجية التي دفعت
عنها المقابلة ، .

وفي عام ١٨٩١ يحذف من القانون المدني الأعلى شرط دفع المقابلة وأصبح
الانتفع بالأرض مالكا لها ملكية تامة دون قيد أو شرط (١) .

ثم ان هذه الطبقة قد نالت على الفور ثمن خيانتها للثورة العرابية
وتواطؤا مع الاحتلال .. وعلى سبيل المثال ، منح سلطان باشا عشرة آلاف
جنيه مدية لما حصل له من الضرر والتعمد من العصاة على شخصه

(١) محمد صبيح - مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية -

تصفية املاك الدائرة السنوية .. وقد بيع اكثر هذه الارض في الفترة من ١٩٠٠ حتى ١٩٠٦

وفي عام ١٩٠٠ بيع ٦٦٠٠٠٠ فدان

وفي الفترة من ١٩٠١ حتى ١٩٠٥ بيع ٢٢٤٠٠٠ فدان ..

ثم انجزت العملية ببيع ١٦٠٠٠٠ فدان في الفترة من اكتوبر ١٩٠٥ حتى مارس ١٩٠٦ (١) .

ولقد كانت هذه السنوات الست فرصة العمر لكبار الملاك ، فان معظم هذه الاراضى او كلها قد بيع لهم .. وكان هذا هو السر في نشاط هذه الطبقة .. واتجاعها المحموم في هذه الفترة بالذات لتكوين حزب سياسى لها .. بل لقد احست هذه الطبقة بقوتها الى الحد الذى دفعها الى الاصطدام في بعض الاحيان بسلطات الاحتلال .. وسوف نرى ذلك تفصيلا فيما بعد ..

فقد اشترت اسرة سلطان عدة قرى من تفتيش النيا ، وكذلك اسرة عمرو وشعراوى .. كذلك اشترت مساحات كبيرة اسر اقطاعية اخرى مثل بشرى حنا و لطف الله ويوسف كمان ..

ويمكننا ان ندرك الاثر الحقيقى لبيع املاك الدائرة السنوية على توزيع ملكية الارض من الجدول التالى :

نسبة مساحة الملاكيات التى تزيد عن ٥٠ فداناً الى المساحة الكلية للاراضى (٢) .

السنة	النسبة
١٩٠٦	٣٤ر٤%
١٩٠٦	٤٥ر٦%

والحقيقة ان هذه الطبقة كانت غنية بالفعل ، وكانت تكتنز مخدرات ضخمة .. وسوف اكتفى بايراد بعض الامثلة ..

يروى محمد فريد في مذكراته عن يومى ١٩ ، ٢٠ فبراير ١٨٩٣ و فى هذه الغضون باع الدومين كثيرا من اطيانه .. باع تفتيش البدرشين لاخوان

(1) EDI' LA FORTUNE IMMOBILIERE DE L'EGYPTE
ET SA DETTE HYPOTHECAIRE' PARIS. 1907. P. 108.

(٢) بآيزا - المرجع السابق - ص ٢٢٤ .

سوارسن بثلاثة وثمانين ألفاً جنيه وكانوا قد اشتركوا منذ سنتين تقريبا بتشييد رافع بالصعيد لحد اقباط اسيوط الاغنياء بمبلغ ١٣٢ ألف جنيه وغيره من الاراضي المتفرقة فاشترى رياض باشا بنحو اربعمائة فدان بمديرية بنى سويف (١)

ويروى كرومر قسماً آخرى فيقول: يتجرى كثير المال في مصر بدرجة لا يصدقها اوروبي. ولقد بلغني منذ قليل من الزمن ان ثريا مصرية توفى عن تركة مقدارها ٨٠٠٠٠٠ جنيه ذهب مخبأ في اقبية، وبلغني ايضا ان فلاحا ميسور الحال اشترى ضيعة بنحو ٢٥٠٠٠ جنيه، وبعد نصف ساعة من توقيعها على عقد المايعة اذا بقطار من الجمر قد اقبل يحمل المال المطلوب، وكان قد خبأه في حديقته (٢)

وهكذا يحقق كرومر الشق الاول من هدفه وهو دعم طبقة اصحاب المصالح الحقيقية وزيادة ثرائها كي تزداد تبعه لكن واقع الامر قد غير من النتيجة فالذين ازدادوا ثراء ازدادوا تطلعا للمزيد من الثراء، ودفعهم هذا التطلع الى الصدام مع المحتلين الذين تمكنوا الملاك الذين استكروهم تشوة الخلاص من عراضي ومن ثورة الفلاحين بدأوا يفتشون ليجنوا ان مصر تفلت من ايديهم وتنتشر بكل ثرواتها الى الاجانب

وهذه هي الاستثمارات الاجنبية تزداد زيادة ضخمة في مصر منذ سنة ١٩٠٧

السنة	الاستثمارات الاجنبية بالجنيه (٣)
١٨٩٢-١٨٩٣	٧٣٢٦٠٠٠
١٩٠٧	٨٧١٧٦٠٠٠
١٩١٢	١٠٠١٥٢٠٠٠

لكن هذه الاستثمارات الاجنبية تنمو بنوعا مشوها عن عمد فقد استهدفت بناء اقتصاد يعتمد على الاستيراد من الخارج. وفي عام ١٩١٤ كانت ١٢٪ فقط من هذه الاستثمارات موجهة الى مشاريع صناعية بسيطة بينما اتجهت ٧٣٪ منها الى الاستثمارات الزراعية والرفونات (٤) وكافة الاستثمارات الصناعية تنمو ببطء شديد للغاية وفي مواجهة مقاومة شديدة من الاحتلال

(١) صبري ابو المجد - مقال بالهلال عدد ديسمبر ١٩٦٤
 (٢) روثشتين - دمار مصر - ترجمة على شكري - حاشية ص ٤٤٩
 (٣) صبحي وجيدة - في اصول الميالة المصرية - الطبعة الثانية ص ٢٣٤ - (ومذه الإحصائية لا تشمل الدين ولا رأس مال شركة قناة السويس)
 (٤) A.E. Crouchly - The investment of Foreign Capital in Egyptian Companies and Public debt. (New York-1977) P. 105

البريطاني (١) وببيئتهما كان القطن وبذرة القطن يمثلان ٧٩٪ من مجمل الصادرات المصرية في أعوام ١٨٨٥ - ١٨٨٩ - نجد ان الحال يزداد سوءاً فترتفع النسبة في أعوام ١٩١٠ - ١٩١٣ إلى ٩٠٪ (٢) .
وفي عام ١٩١٦ كان هناك في مصر كلها خمسة عشر مصنعا فقط تدار على النسق الأوربي الحديث بعماله يبلغ مجموعها ٣٠٠٠٠٠ - ٣٥٠٠٠٠ فقط (٣) .

وقد بدأ كبار الملاك يتطعمون الى آفاق جديدة من الثراء مثل شركات الأراضي . والشركات المساهمة والسندات والأسهم . الخ وبدأت صورة الأرباح الوفيرة تداعب خيالهم فتتسيهم ولاهم للسيد المطاع وتدفعهم الى محاولة انشاء شركات مصرية .

ويروى محمد فريد في مذكراته ، وفي يوم ٢٣ فبراير ١٨٩٣ أصبح أن جماعة من نوات مصر وفي مقدمتهم البرنس حسين باشا عم الخديوي ووحيد باشا يكن وعمر باشا مصطفى شرعوا في انشاء شركة زراعية يكون رأسمالها ٢٥٠ ألف جنيه لشراء اراض من السومين أو الدائرة السنية واستغلالها وجعلها شركة مساهمة قيمة كل سهم منها عشرة جنيهات مصرية . وقد اكتتب كثير من الوطنيين ، وبلغت قيمع المبلغ المكتتب به ٢٠٠٠٠٠ جنيه (٤) .

والحقيقة ان هذه المحاولة تستحق التأمل فهي توحى بأن طبقة كبار الملاك قد بدأت تتحرك أهمية اساليب الاستثمار الرأسمالي . وان محاولات خلق اشكال هذا الاستثمار لم تقم بهما في الاساس الفئة البرجوازية التي كانت تفتقر الى المدخرات الوفيرة وانما قامت بينها طبقة كبار الملاك .

(1) Roger Owen — Lord Crommer and the development of Egyptian industry 1882-1907 — Middle Eastern Studies - July 1966 - P.283.

(2) Roger Owen — The Middle East and the world Economy - (London-1981) P. 214

(3) Charles Issawi — The Economic History of the Middle East - 1800-1919 (CHICAGO 1966) — P.453.

(٤) قهري أبو الجد - الهلال - ديسمبر ١٩٦٤

مثل علمهم ان كرومرا قد ازغجه هذا الاتجاء فكتب في عام (١٩٠٦) مخذرا:
كوباما فيلما يخص اصحاب الاسهم من المصريين فاني اغتيم هذه الفرصة
لتكرار التحذير الذي قلته من قبل وهو ان الذين يضعون اموالهم في الشركات
يحسن بهم ان يتبصروا (١)

زواله سنة ثمان مائة وثمانين وثمانون في مصر في سنة ثمان مائة وثمانين
(١٩٠٦) ولم يكن هذا هو المظهر الوحيد للتمرد في مصر ففي عام ١٨٨٩ عندما
يحاول كرومر فرض ضرائب جديدة على الاراضي الزراعية قيمتها ١٥٠٠٠٠٠
جنيه مقابل الغاء السخرة ترفض الجمعية العمومية ذلك

ويرتفع فيها اكثر من صوت وانفصا فرض ضرائب جديدة (٢)
لكن التمرد لم يكن سياسة الجميع ، فثمة فئة من بين الذين يرتفعوا
في اعلى قمة السلم الطبقى كانت تنتهج اسلوب الخضوع الدائم والمستمر
تلك هي فئة كبار الموظفين ، والحقيقة ان الوزراء وكبار موظفي الدولة ، كانوا
هم ايضا كبار ملاك لكن مكانتهم في قمة السلم الطبقى كانت تعتمد
اساسا على استمرارهم في سلك الوظيفة ، اي استمرار رضى سلطة
الاحتلال منهم

وثمة مثال يوضح هذا التفاوت بين موقف الفئتين في ١٩٠٨ فان
نقاش في مجلس شورى القوانين حول مسألة وجود المجلس النيابي
وتعلق جريدة المؤيد على النقاش فتقول

ويوجد في المجلس الآن فريقان مختلفان فريق يضم كل الاعضاء
النيابيين تقريبا ، وهؤلاء يطلبون الحكومة النيابية على كل حال
ويتقاضونهم قليلون منهم سعادة طلبة باشا سمودي الذي تردد في عدم
طلب المجلس النيابي من اصله او في طلب توسيع اختصاصات المجلس
النيابية الحاضرة وايده سعادة موسى باشا غالب قاطعا بعدم طلب المجلس
النيابي اصلا ، وكذلك مفتاح بك معبد ، وهؤلاء الثلاثة كانت الوكالة
البريطانية قد اشحتهم لعضوية المجلس (٣)

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

(٢) راجع نص محضر الجمعية العمومية في انتخابات جريدة المؤيد عن
عام ١٨٩٠ ص ٩٠ وما بعدها
(٣) المؤيد ١٩٠٨ ص ١٢٠

١٩٠٨ ص ١٢٠

ويعترف جورست بهذا التفاوت بين موقف النظارة - كبار الموظفين - وموقف مجلس شورى القوانين - كبار الملاك - فيقول: « ان السياسة التي يقصد بها حكم مصر بمعاونة نظارة من الموظفين لا تتفق الآن مع السياسة التي ترمي الى تنشيط السعي فيما يسمى بالمجالين النيابية فلا بد من اختيار احدي السياستين ، وبواضل جورست حديثه مفضلا النظارة على كبار الملاك ، فالنظاره يختارون من اقدر المصريين واعطاهم كفاءة وهم ادرى برغائب اهل وطنهم وارادتهم الحقيقية من اعضاء مجلس لا يذوبون في الحقيقة الا عن فئة البكوات والباشوات الاغنياء (١) . »

بقي ان نعرف التركيب الاجتماعي لاحدي الجمعيات العمومية التي ماجها جورست. وهي الجمعية العمومية التي انتخبت عام ١٩١٣ .

الملاك	٤٩
المحامون	٨
التجار	٤
المهندسون	٣
رجال لادين	١

وفي احدي هذه الجمعيات وقف اسماعيل باشا اباطة قائلا : اننا لم نتقدم سوى في مجال النفاق والثروة والديون . ان الامور تتدهور فقيا هو العلاج ؟ العلاج هو الحكم الذاتي لكننا طوال الثلاثين عاما الماضية لم نتقدم خطوة واحدة نحو الحكم الذاتي وهكذا فان متمردى هذه الطبقة كانوا يرفعون شعارات باهتة ومتخاذلة يرفضها الشعب ويعتبرها خيانة فهم يطالبون بالبرلمان (في ظل الاحتلال) وبالحكم الذاتي (في ظل الاحتلال ايضا) . ومع ذلك يهاجم جورست في تقريره قائلا : صبحر تقريرى المستأبق في زمن حرج . . . والمظاهرات العنيفة التي جرت ضد الانجليز على تسبيل الحماسة والجهالة حتى بلغت شدتها برفض الجمعية العمومية لمشروع قنائة السويس بلا مناقشة حقيقية . »

ويقول في مكان آخر : ان مجلس شورى القوانين هو والجمعية العمومية اظهرا في سنة ١٩٠٩ وفي النصف الاول من سنة ١٩١٠ ميلا متزايدا الى ان يكونا آلتين بايدي الحزب الوطنى يستعملهما في تحريضه (١) جورست - تقريره عن عام ١٩١٠ صفحة ٧٤ .

وتهيجه ضد الاحتلال البريطاني ، فان طلبهما المتكرر لحكومة دستورية تامة ،
وحملاتها المنكرة على الحكومة فيما يتعلق بالميزانية والسودان ، والصدارة
والرياسة اللتين أظهرهما في مشروع قناة السويس وتجاوزا فيهما حد
الاعتدال . . . كانت كلها في جوهرها مظاهرات ضد الانجليز . . . ان الجمعية
الوطنية ومجلس شورى القوانين قد اتخذتا ما قاله مؤخرا من علو الشيطان
سلاحا لقتال الذين هما مدينان لهم بانائلهما اياه . . . وعليه لم نتجستد في
مجلس شورى القوانين جماعة تعين الحكومة على عملها بالمناقشات المعقولة
بل وجدنا فيه جماعة معادية للهيئة الحاكمة اى لمجلس النظار - ومستشاريهم -
عدارة شديدة ومتعمدة لاحباط مساعيهم وتثبيط مهمم وجعل العمل متعذرا
على الحكومة وقد رضيت الاقلية المعتدلة فيه - ان صح انه كانت فيه تلك
الاقلية - ان يسودها الغلاة المتطرفون ويمحقوها .

.. لكن تمرد كبار الملاك لا يطول مده . . . وفي تقرير عام ١٩١٢
يسجل كتشنر قناه على الجمعية العمومية لانها بدأت طورا جييدا هو
طور الاعمال النافعة التي يذكر خبرها بالرضى والسور (١)

والحقيقة ان هذه الطبقة كانت بالرغم من التمرد العاجز الذي ابته
كانت اعجز عن ان تعبر عن مصالح الجماهير . . . والشعارات التي رفعتها
لم تنجح في التأثير في الجماهير ولا في اثارة حماسها

وعندما حاولت هذه الطبقة ان تكون جزيا لها بايعاز من سلطات
الاحتلال وحشدت فيه كل قواها من اغني عائلات مصر . . . سلطان
الهلالى ، ابو على ، الفاسل ، قوده ، ابو حسين ، الشريعى ، الاتريبي
شعراوي ، سيف النصر ، البدروى عاشور ، اباظة ، الطرزى ، الخ (٢)

وحشدت فيه افضل مفكريها احمد لطفى السيد ، محمد محمود الخ . . . فان
هذا الحزب ما لبث ان اختنق بصورة سريعة بعد ان فشل تماما في ان يجذب
الجماهير او حتى جزءا ضئيلا منها الى تلك الافكار التي حاول لطفى السيد
مفكر الاقطاع في مصر - ان يصوغها

والحقيقة ان لطفى السيد لم يخف موقفه فهو يتحدث بصراحة
عربية . . .

(١) كتشنر - تقرير ١٩١٢ - ص ٩ .
(٢) القائمة الكاملة منشورة في د . حسين فوزى النجار - احمد لطفى
السيد . حاشية ص ١٣٥

••• انه يؤكد فيما من علاج شريع لما تعنائيه مصر . . . وكان قيلن يوما
معارضته لهؤلاء السياسيين الذين يحرضون الجماهير على التحرك الشريخ
فيقودونها بذلك الى الفشل الشريع فليس من الممكن مقاومة الاحتلال ولا مقاومتها
للخدوي . . . ولذا فليس هناك سوى طريق واحد للتقدم الحقيقي هو طريق
التطوير التدريجي للمعادن الجديدة ، وللأخلاقيات الجديدة للمجتمع ، (١)

••• وفي سنة ١٩١٤ كتب لطفى السيد يرثى صديقه فتحي زغلول
فقال « كان فتحي يؤمن بالتقدم عن طريق التطور وكان يكره الثورة حتى
ولو كانت مجرد فكرة » (٢) . . .

ولتوضيح العبوة الواسعة التي تفصل بين هؤلاء الذين يكرهون الثورة
حتى ولو كانت مجرد فكرة وبين جماهير الشعب يكفى أن نتذكر كلمات
قالها كرومر حاول أن يصف بها حالة مصر في ذلك الحين فقال « ان مصر
تذوب شوقا الى الثورة . . . »

ولم يكن ممكنا أن يلتقى هؤلاء الذين يكرهون الثورة بهؤلاء الذين يذوبون
شوقا الى الثورة ، وهكذا أشهر كبار الملوك انجليسهم وحتى محاولاتهم للتمرد
ما لبثت أن تالشت بعد أن هزم الخديوي عباس ، وبعد حادثه قاشودة
وبعد الوفاق الفرنسي الانجليزي . . . وبعد الاضرابات العنيفة التي خاضها
العمال تلك الاضرابات التي أزعجتهم وجعلتهم يلوذون بحمى الاستعمار . . . وبعد
اعلان الحماية على مصر وما صنعها من قوانين استثنائية ، كل ذلك دفع كبار
الملوك الى الخضوع بغير تمرد . . . ومات حزب الامة بالأسكتة القلبية واغلقت
جريدة « الجريدة » ، وتفزع لطفى السيد برئاسة الفلسفة . . .

••• وباختصار ، فشلت هذه الطبقة في أن تصبح قيادة مصر . . . وظلت
عاجزة تماما عن أن تفعل شيئا حتى تحركت فجأة عام ١٩١٩

••• وإذا كان كبار الملوك قد أفلسوا فعادا عن الطبقة الوسطى

ولابد للحديث عن هذه الطبقة أن يتشعب مستقيضا فهي ليست فئة
واحدة متجانسة وهي أيضا قد غيرت مواضعها أكثر من مرة . . .
لكن أهم ما يميز هذه الفئة هو :

••• أولا : عدوها للاستعمار . . . وتأكيدا بشكل أو بآخر وبدرجات متفاوتة
على أهمية الاستقلال . . .

J. A. AHMED — THE INTELLECTUAL ORGINS OF EGYPTIAN

NATIONALISM — P. 69.

(٢) المرجع السابق - ص ٨٩

ثانيا : انها خاضت معركة العدا هذه معتمدة على اللب على الحبال وليس على الجماهير فهي تعتمد تارة على الخديو وتارة على السلطان وتارة على فرنسا ، لكنها لم تلجأ الى الجماهير الا في حالات نادرة . وعلى أية حال فان مناهيا المختلفة قد اتخذت وعلى الدوام مواقف متناقضة بكل التناقض .

ففي داخل هذه الطبقة كان هناك ثلاثة اجنحة اليمين . . . والوسط . . . اما الجناح الثالث فانا نحشى ان اسميه اليسار فيظن البعض اننى اعنى به جناحا يقبل الى الاشتراكية لكننى اعنى باليسار هنا قرية من الجماهير وتقهمه لبعض تضايها ، ووطنية الصحيحة وللصافقة وعلى أية حال فلنسمه جناح الوطنية المتطرفة . . .

والشيخ على يوسف هو قائد يمين هذه الطبقة بلا منازع فهو زعيم فئة من مقفى الازهر وكبار التجار الكلاسيكيين . . .

والحقيقة ان الشيخ على يوسف كان يعبر بالرغم من نفوذه الواسع في ميدان الضخامة عن فئة ضعيفة التأثير في المجال الاقتصادي والاجتماعي . . . وهي فئة لا تستطيع ان تسخير مجعريات الخيانة الجديدة ولا ان تحول تراكمات اموالها نحو الاستثمارات الجديدة . . .

وهي فئة لا تثق في الجماهير ولا تهتم بها لكنها تشعر بوطأة التحكم الاجنبى وترى الاموال والارباح الطائلة التي يجنيها التجار والمستثمرون الاجانب فيسيل لعابها .

ولانها ضعيفة اقتصاديا واجتماعيا ولانها لا ترتبط بالجماهير فليس امامها سوى اللب على الحبال . . . بين الخديو والاحتلال والسلطان وفرنسا . . .

ويقدم جمال احمد تحليلا غاية في العمق لهذه الفئة ولحزبها و حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية ، فيقول :

« كان الحزب يبدو منظما لكنه لم يكن في الواقع سوى اعلان لمياسة الشيخ على يوسف نفسه فهو الذى كتب البرنامج وكون التنظيم وجمع الاعضاء . . . وكانت نقطة الضعف الاساسية في الحزب هي التناقض والارتباك في التفكير السياسى للشيخ على يوسف . . . فقد طلب من الحكومة ان ترسل ممثلا لها في الحزب ، لكنه في نفس الوقت اعلن مساندة للخديوى . وقد احدث هذا الموقف التناقض ارتباكا شديدا لدى الاعضاء . . . وقد اشار العقاد الى ان طبيعة هذا الحزب تبو واضحة من الاسم الذى اختاره فهو توخى بانه يريد اللب على تخمين الخيال فكلمة « دستورى » موجهة للمهتمين بالشئون السياسية بينما كلمة « اصلاح » تستهدف كسب الانجليز . . . والنتيجة هي ان الحزب قد

فشل في كسب أي من هذه القوى .. لا الوطنيين ولا الخيوي ولا الاحتلال .. وكانت النهاية الحتمية هي الفشل ، (١) .

ونظرة واحدة على برنامج الحزب توضح هذا التحليل
ويمكن تلخيص البرامج في سبع نقاط أساسية (٢) :

- ١ - الدفاع عن العرش .
- ٢ - احترام انجلترا لتعهداتها .
- ٣ - انشاء جمعية تشريعية .
- ٤ - نشر التعليم الابتدائي اجباريا بالمجان .
- ٥ - جعل اللغة العربية اساسية في الدراسة .
- ٦ - زيادة عدد الموظفين المصريين في الادارات الحكومية .
- ٧ - محاكمة الاجانب جنائيا امام المحاكم المختلطة .

ولقد تعمد واضع البرنامج الا يشير بكلمة واحدة للاستقلال أو الجلاء مكتفيا بعبارة مطاطة ترضى الانجليز أكثر مما ترضى غيرهم وهي « احترام انجلترا لتعهداتها » .

ومع ذلك فان « المؤيد » تشن حملتها الشهيرة على اللورد كرومر عندما يصرح في خطابه الوداعي ان الانجليز باقون في مصر وترد عليه قائلة :

« فما بال انجلترا بعد ما كررت مواعيدنا الحقة المرة تركت عميدنا العظيم في وادي النيل يختم أعماله بالتصريح بان الاحتلال فيه باق الى الابد أن جناب اللورد جاء مضر مرشدا فصار حاكما مستبدا يخرب مبادئ الآمال ولم يخدم اللورد الأمة المصرية الا من جهة الفروة فاشترك في التمتع بها الاجانب بل نالوا القسط الاوفر منها ثم هو يريد ان يجعلهم اصحاب الامر والنهي في ادارة مهام البلاد . »

كان اللورد كرومر كل مدته في مصر معارضا لكل ما تريده مصر من مطالب الرقي الادبي فلم يؤيد لها مطبا منذ ٢٤ سنة ولا أحسن بها ظنا ولا رد عنها تهمة ، بل كان أول رجل مسموع للكلمة قال عنها قولا منكرا واتهما بتهم غريبة وغرس في عقول أوروبا أنها أمة قاصرة متعصبة ليس فيها رجال اكفاء ولا تصلح ان تكون أمة أبدا ، (٣) .

-
- (١) جمال أحمد - المرجع السابق - ص ١١ .
 - (٢) أحمد رشاد - مصطفى كامل حياته وكفاحه - ص ٢٥٢ .
 - (٣) مقالات قصر الحويارة - وهو كتيب يضم ما نشرته جريدة المؤيد من مقالات عن اللورد كرومر وسياسته - ص ٢٩ .

الكن الشيخ علي يوسف يهود فيحدد موقفه صراحة فهو يتحدث عن الجرائد وموقف كل منهما فيقول :

« ومنها الجرائد المتطرفة التي لا تترى في الإنجليز والاحتلال خيرا على الإطلاق ثم هي أحيانا تتجاوز الحد في غيرتها الوطنية ، ومنها الجرائد المعتدلة التي تحترم الحقيقة وتريد أن تكون المرأة النافعة للوطن وأهله في كل حادثة ، ومنها الجرائد المتطرفة من جانب آخر فلا تترى في الإنجليز والاحتلال تنوءا أو خطا على الإطلاق ثم هي تتجاوز الحد في ميلها إلى الإنجليز واكثر الأحيان في نكايه المصريين وإيلاهم » (١)

والحقيقة ان الشيخ علي يوسف قد وضع نفسه وجماعته في موضعها الصحيح فهي معتدلة ، لا تعادي الإنجليز على طول الخط ولا تؤيد لهم على طول الخط .

بل انه يؤكد في مكان آخر ، ان الإنجليز يستطيعون ان يستميلوا هذه الأمة بالمعاملة الحسنة فيستولوا على الثلوب بدلا من الاكتفاء بالاستيلاء على الثلوب » (٢)

السؤال الذي هو بحسن معاملة الإنجليز للمصريين ، وليست جلاء الإنجليز عن ارض المصريين .
وكان طبيعيا ان موقفا كهذا لم يكن ليرضى الجماهير التي تتطلع إلى الثورة بل لم يكون ليرضى الفئات الأخرى من الطبقة الوسطى .
وقد هاجمه أعضاء الحزب الوطني ، محوما شعبيا قاسيا فتحدث عنه الشيخ جاويش قائلا :

« ما بلغت الزديلة ولؤم الطبع من رجل مقدار ما بلغت من صاحب المؤيدة » (٣)
وعندما مات الشيخ علي يوسف كتب محمد فريد في مذكراته « توفي الشيخ علي يوسف يوم ٢٥ أكتوبر فانتمى بهوته ركن النفاق والخبيثة » (٤)

(١) المرجع السابق - ص ٩٧ - راجع أيضا ص ٩٨
(٢) المرجع السابق - ص ٩٧
(٣) العلم - ٢٥ مارس ١٩٠٩ - ص ١٩٠
(٤) محمد صبيح - المرجع السابق - ص ٢٧٨

لكن الطبيعة المعقدة لموقف الطبقة الوسطى تفرض نفسها على أي تحليل
ولا بد لنا هنا أن نتذكر ما نشره الشيخ على يوسف في جريدته « المؤيد » من
أحداث وطنية : بل ولا بد لنا من أن نتذكر أنه أفسح صدر مجلته في عام
١٨٩٠ لبعض الاشتراكيين لينسجوا على صفحاتها بعض آرائهم (١) .

لنتحدث الآن عن الوسط في هذه الطبقة :
وتزداد الصورة تعقيدا إذا ادركنا أن الوسط لم يكن فئة متجانسة
فهناك متوسطى الموظفين والمثقفين الليبراليين المستنيرين الذين أحسوا بثقل
القهر الاستعماري فتفجر سخطهم على الاحتلال مقالات وقصائد واضرابات
طلابية .

وهذا أيضا الرأسماليين المستنيرين وهم جناح ضئيف كان يجاهد لينمو
ويشق طريقا باحثا عن الربح « لنفسه » - أيضا - رافعا شعار
« مصر للمصريين » بمعنى أن خيرات مصر يجب أن تكون للرأسماليين
المصريين ، بل أنهم في كثير من الأحيان كانوا يقبلون مجرد المشاركة مع الأجانب
في هذه الأرباح .

والحقيقة أن أكثر من عامل قد دفع هذه الفئة إلى اتخاذ موقف المعارضة
من الاحتلال . ولقد كانت معارضتها أكثر ايجابية وأكثر عنفا . لكنها أيضا
لم تصل إلى حد الارتباط الوثيق بحركة الجماهير .

ولنلق نظرة سريعة على تلك العوامل التي تواجدت ففجرت سخط هذه
الفئة .

كانت الأسعار ترتفع باستمرار . وجاءت سنوات الحرب ليزداد الغلاء بصورة
لم يسبق لها مثيل فبالمقارنة مع أسعار عام ١٩١٤ ارتفعت الأسعار ٢١١٪
عام ١٩١٨ ، ٣١٢٪ عام ١٩٢٠

ونقصت نسبة الموظفين المضربين في الوظائف الكبيرة من ٢٠٪ سنة
١٩٠٥ إلى ٢٣٪ سنة ١٩٢٠ ، في حين ارتفع نصيب البريطانيين من ٤٢٪
إلى ٥٩٪ في نفس المدة (٢) .

وإذا كان الموظفون يسوؤهم ذلك فقد وجدت الفئة الأخرى ما يسوؤها
هي أيضا .

(١) لمزيد من التفاصيل راجع - رفعت السعيد - تاريخ الفكر الاشتراكي
في مصر - ص ٢٧٨ وما بعدها .

(٢) فوزى جرجس - دراسات في تاريخ مصر السياسي - الطبعة الأولى
(١٩٥٨) ص ١٢٩

الأجانب بدأوا يحكمون قبضتهم على مصادر الثروة الحقيقية فقد أنشئت في الفترة ما بين ١٩٠٠ إلى ١٩٠٧ أكثر من ١٦٠ شركة برأس مال قدره ٤٢ مليوناً من الجنيهات وتزايد رؤوس الأموال المستثمرة فتصل إلى ما بين ١٠٠ و ٢٥٢ مليوناً جنيهاً (١).

ولست بحاجة إلى أن أقرر هذه الاستثمارات كانت جميعها تقريباً استثمارات أجنبية ، وثمة إحصاء يقول أن ٩٢٪ من هذه الأموال كان أجنبية و ٨٪ فقط أموال محلية . وكلمة « محلية » هذه ذات مغزى فهي تختلف عن كلمة « مصرية » . وعلى أية حال فإن معظم الـ ٨٪ هذه كان مملوكاً لأجانب متمصرين أمثال سوارسو ومصيرى ومنشيه وسليم وصيدناوى لكن ثمة جزءاً ضئيلاً من هذه النسبة كان مملوكاً لمصريين أصلاً كانوا نواة الرأسمالية المصرية . ونواة هذه الفئة التي نتحدث عنها (٢).

ولعل خير دليل على وجود هذه النواة ونشاطها هو قيامها في عام ١٩١٧ بتأسيسين : لجنة التجارة والصناعة ، من بعض المصريين والأجانب المصريين وكان من دعائها الأول طلعت حرب وإسماعيل صدقي .

وكان من أغراض هذه اللجنة التوفيق على مبلغ تأثير الحرب في صناعة البلاد والنظر في التدابير التي تؤدي إلى إجلال بعض المصنوعات المصرية محل الاصناف التي انقطع وأردفها . وأعدت اللجنة تقريراً جاء فيه « أن مصر في حاجة إلى قيام الصناعة بجانب الزراعة حتى لا تضطرب الحالة الاقتصادية إذا انخفضت ائتمان المحاصيل الزراعية . وإذا حدثت حرب تؤدي إلى قطع العلاقات التجارية . وأن الصناعة وعلى الأخص الصناعة الصغيرة متأخرة جداً . ومن الممكن قيام كثير من الصناعات المصرية ونجاحها » (٣).

وقد كان اندلاع الحرب العالمية سبباً في انعاش الصناعة المصرية . ومن ثم انعاش هذه الفئة النامية . فقد أدى انقطاع المواصلات وازدياد تكاليف الجهود الحربية إلى إجبار سلطات الاحتلال على تشجيع بعض أنواع الصناعة .

وتورد « لجنة التجارة والصناعة » في تقريرها أن شركة السكر قد زادت إنتاجها إلى ١٠ ألف طن عام ١٩١٧ وقامت بتوسيع ورش الأشغال التابعة لها « فأصبحت فيما يختص بمعدات الصناعة والآلات مستقلة بعض الشيء ».

(١) المرجع السابق - ص ٩٤ .
(٢) المرجع السابق - ص ٩٦ .
(٣) المرجع السابق - ص ١٣١ .

الاستقلال عن المصانع الأجنبية ، وهي من هذه الوجهة تؤدي إلى القطر خدمة
جلية بتكوين صناعات وطنية ماهرين في جميع الحرف والصناعات .

وظهرت صناعات جديدة مثل صناعة النشيط ، ورفعت شركة الغزل
الأهلية بالاسكندرية إنتاجها بما يتراوح بين ١٥ و ٢٠٪ كما أنشئ مصنع
للملابس لمواجهة احتياجات الجيش البريطاني .

وهكذا ازدهرت الصناعة وازدادت أرباحها زيادة مذهلة . وازدادت
بالتالي غضبة هذه الفؤاة التي تحفنا عنها ، والتي كانت تحلم بهذا السيل
من الأموال يتدفق إلى جيوبها هي وليس إلى جيوب الأجانب .

وثمة أسباب أخرى أثارت استياء الشعب كله وعلى الأخص
المتقنين الليبراليين . منها موجة الأرماب الواسعة التي شنتها سلطات
الاحتلال ضد حرية الصحافة وضد حريات المواطنين جميعا .

وتبدأ سلطات الاحتلال بتقييد حرية الصحافة كتمهيد طبيعي لتقييد
حرية المواطنين جميعا وفي مارس ١٩٠٩ أصدرت قرارا بإعادة العمل بقانون
المطبوعات القديم وعلت ذلك ، بتمادى الجرائد في التطرف والخروج عن الحد
حتى أدى ذلك لشكوى الناس ،

و ثم أصدرت قانونا بجعل القضايا الصحفية من اختصاص محاكم
الجنايات بدلا من محاكم الجنج ذلك أن محاكم الجنايات أحكامها أشد ولأن
أحكام محاكم الجنج يمكن استئنافها أما أحكام محكمة الجنايات فهي نهائية
لا تقبل طعنا . إذ لم تكن محكمة النقض قد أنشئت بعد ، (١)

وسرعان ما وضعت سلطات الاحتلال هذا القانون موضع التطبيق
الفعلي فعملت جرائد الحزب الوطني وغيرها من الصحف .

ثم كانت الخطوة الثانية وهي تعديل قانون العقوبات ، فبعد حادثة
اغتيال بطرس غالي باشا ادعت سلطات الاحتلال أن ثمة نقصا في القانون
فمركب الجريمة ، شاب ثبت أنه ينتمي لجمعية سرية معينة وأن آخرين
اشتركوا معه في التفكير في ارتكاب الجريمة ، ولكنه انفرد دونهم بالتنفيذ
ولم يجد القضاء يومئذ سبيلا إلى معاقبة أولئك الشركاء الذين تبادلوا الرأي
بمع لقاتل ولم يكونوا محرضين له أو شركاء معه في التنفيذ .
وأضيفت مادة إلى قانون العقوبات هي المادة ٤٧ مكرر وهي مادة شهيرة

(١) أحمد بهاء الدين - أيام لها تاريخ - ص ٦٩

في تاريخ التشريع الجنائي المصري لانها وضعت في ظروف سياسية معينة من النشاط السياسي.

وتجاء في المذكرة الايضاحية لوزارة النخبة ان الحكومة ارادت بهذه الاضافة ان تضرب على يد الاجتماعات او الاتفاقات التي يكون العيب بالنفس او الاموال او الهيئة الاجتماعية غرضاً من اغراضها او وسيلة من وسائل تحقيق الغرض المذكور ، (١)

والحقيقة ان هذه المادة قد لعبت دوراً هاماً في تاريخ مصر السياسي فقد اصبحت سيفا مشطاً على كل الجمعيات السياسية التي يثبت انها تتكون من شخصين او اكثر ، والتي كثيرا ما يسئل ان تلتصق بها تهمة العيب بالنفس او الاموال او الهيئة الاجتماعية .

ولا شك ان لهذه المادة علاقة كبيرة بموضوع هذه الدراسة فقد ظلت زلزالاً طويل سبباً لازدياد اي تجمع للقوى الاشتراكية .

وليس من قبيل المصادفة ما سنلاحظه في كتابات الاشتراكيين وبلا استثناء في هذه الفترة وهو اعلانهم ان هذه الآراء التي يفشرونها لا تعنى الدعوة لتكون حزب او جماعة او ما شابه ذلك .

وعلى اية حال فان المادة ٤٧ مكرر لم تكن التقيد الوحيد ، فتمه قيودا اخرى على الحريات تضمنها القانون ٢٨ لسنة ١٩١٠ منها ما يجيز للمحاكم في كل الاحوال التي يمكن ان يكون من وراء نشر المرافعات فيها خطر على النظام العام بسبب نوع الجريمة ، ان تمنع نشر المرافعات كلها او بعضها وتعاقب من يخالف ذلك بالحبس مدة لا تتجاوز ستة اشهر او بغرامة لا تزيد على مائة جنيه لانه اذا كان يجب اطلاق الحرية التامة للدفاع وقت المحاكمة ، فانه يجب ان لا يسمح بان يصبح استعمال هذه الحرية مصدر خطر على الامن العام . والمحاكم تبيح احيانا ايرادا نظريات ثورية في المرافعات او شهادة الشهود في اثناء المحاكمة بناء على ان لها شيئا من العلاقة بالدفاع عن المتهم ولكنه يجب ان لا تتحول هذه المرافعات او الشهادات الى وسيلة لنشر المبادئ والافكار الثورية ، (٢)

(١) محمد عبد الله عثمان - تاريخ المؤامرات السياسية - دار الهلال - (١٩٢٨) ص ٣٥

(٢) غوربست - تقرير عام ١٩١٠ - ص ٨١

والتصديق عليهم نتيجة لتظاهرهم بالشعور الوطني * وبهدف اذلالهم وكبح جماحهم (١) * * * * *

واعتصم طلاب جميع المدارس العليا تاييدا لاخوانهم وتكونت لجنة لقيادة الاضراب باسم د اللجنة العامة للمدارس * ثم توالت الاضرابات بعد ذلك في مناسبات وطنية عديدة * عقب حادثة دنشواي * وعقب اصدار لقانون المطبوعات * * * * * وتكررت المصادمات بين الجموع المتظاهرة وقوات البوليس * * * * * انها * بروفات * ١٩١٩ * * * * *

وهناك ايضا جماعات الشبان الذين كثر على صحرهم حماسا بكراهية الانجليز والذين كانوا يؤمنون بضرورة تطهير الوطن منهم * والذين انتقدوا رغم حماسهم الشديد ووطنيتهم الدافقة النظرية الواعية والشفقة بالعمل الجماهيري * فلم يكن امامهم من سبيل للعمل ضد الاختلال سوى الارهاب السياسي متأثرين بطبيعة الحال بموجة الارهاب والحركات الفوضوية التي انتشرت في اوريا في ذلك الحين * * * * *

وتكاثرت الجمعيات السرية التي تهدف الى الابتعاد من المحتلين واغتيال الخونة ويؤكد جورست د ان التحقيق في حادثة الورداني قد اظهر ان الجمعيات السرية قد نمت نموًا يوجب الاسف (٢) * * * * *

وتبدأ هذه الجمعيات عملها * * * * * ويذكر محمد فريد في مذكراته متسلسلة من هذه الاعمال * * * * *

* د سبتمبر ١٩١٢ اطلعت في جريدة لايبورن على خبر من مصر يقول بانه ضبط بعض المواطنين في الفيوم بتهمة تشكيل جمعية سرية بقصد استعمال الارهاب * * * * *

* د ٩ ابريل ١٩١٥ نشرت الجرائد تلغرافا من مصر بان شيابا مصريا اطلق الرصاص على البرنس حسين الخائن * والضارب اسمه محمد خليل تاجر من المنصورة وقد جوكم امام محكمة عسكرية وشنق رحمه الله * * * * *

* د ٩ يوليو ١٩١٥ القيت قنبلة على البرنس حسين اثناء ذهابه الي الصلاة ولكنها لم تنفجر وملكها لم يقبض عليه بل فر من الاسطح بعد ان افاها من شباك اوده كان استأجرها لهذا الغرض من شهرين * * * * *

(١) عبد الرحمن الرافعي - مذكراتي - دار الهلال (١٩٥٢) - ص ١١
(٢) جورست - تقرير عام ١٩١٥ - ص ٨١

العمل يدل على وجود جمعية منظمة للانتقام من الخونة الذين باعوا الوطن
للانجليز

✽ ثم يذكر بعد ذلك بأيام أسماء المتهمين في حادث القنبلة وهم تسعة
اشخاص

✽ ٤ سبتمبر ١٩١٥ ضرب شخص اسمه « صالح انعدى
عبد اللطيف » : ابراهيم باشا فتحي « بسكين في رقبتة قاصدا قتله وذلك على
رصيف محطة مصر وبينما كان يقف بين كثيرين من الضباط المسافرين الى
السودان لكنه لم يمت ويظهر من الجرائد المصرية أن المعتدى قال أنه كان
يريد قتله ، وأن هناك اتفاقا على قتل كل الوزراء

هذا المعتدى عمره ٢٥ سنة وهو صراف في المالية . . الجنائية
سياسية محضة وتدل على ان الأفكار الارهابية تسربت من الشبان المتهمين
بالتهور الى من هم اكبر منهم سنا . . وتدل على أن التذمر والفكرة الثورية
عمت أو ستعم قريبا جميع طبقات الأمة رغما عن لاشدة التي تستعملها
الحكومة في حبس كل من تشم منه رائحة الميل الى هذه الاعمال

وارتعد الموظفون البريطانيون . . وعملاء البريطانيين خوفا من هذه
الموجة الارهابية وتمدد سلطات الاحتلال الى تعديل المادة ٢٨٤ من قانون
العقوبات لان النص السابق كما يقول جورست في تقريره « لم يكن يعالج
على التهديد الا اذا كان بقصد سلب المال . . وكان مجرد التهديد يراى بالكتابة
غير معاقب عليه مهما بلغت شدته فكان لابد من سد هذا النقص نظرا الى
تكاثر رسائل التهديد . . وواضح أن ذرى الامزجة العصبية الذين يتلقون
يومية رسائل تهدهدهم بالقتل قد يستولى عليهم الرعب من جراء ذلك ويحتمل
أن يتحولوا عن القيام بواجباتهم اذا كانوا من موظفي الحكومة . . (١)

وإذا كان هذا هو رأى جورست وهو المسئول الاول في سلطات الاحتلال
فان رد الفعل كان غنيا جدا في الأوساط المالية الأجنبية

« ان لجنة غرفة التجارة البريطانية في مصر تنظر بقلق وانشغال بال الى
حاساسات القلق وعدم الامن التجارى في مصر ، لان ذلك يؤثر في مصالح البلاد
التجارية كثيرا

وترى اللجنة ان هذه الحالة ناتجة بالاكتر من افعال المحرضين
الوطنيين فتلج مع مراعاة واجب الاحترام على حكومة جلالة الملك في اتخاذ

(١) جورست - تقرير عام ١٩١٠ - ص ٨٢

التدابير المبطنة لهذا التحريض ورد السكنينة اللازمة لرواج التجارة. ولكن
مصر عموماً (١)

لكن موجة الاضطراب هذه بالرغم من استفحالها لم تحقق مكسباً
حقيقياً لامة بل ان الاعمال الاهلية كانت على الدوام وسيلة لتعطل
سلطات الاحتلال بفرض مزيد من القيود . . . وهكذا لم تستطع الحركات
الاضرابية بالرغم من عطف الحزب الوطني عليها ان تؤثر في الاتجاهات
الغريضة للجماهير ولا في افكارها . . .

وإذا كانت سلطات الاحتلال قد نجحت في اسكات مناوورات الخديوي
عباس حلمي ثم نجحت في خلعها ، ونجحت في ارضاب كبار الملاك واقتناعهم
بان الموقف الافضل هو السكوت ، ثم ارضيت بسيف الحماية وقوانين
الطوارئ ، قطاعات كبيرة من الطبقة الوسطى . . . فان ثمة قطاعات من هذه
الطبقة كان مصمماً على النضال . . . ويصمد المثقفون الوطنيون الذين يمثلون في ذلك الحين الفئات الدنيا
من الطبقة الوسطى . . . والحقيقة ان الذين صنعوا بعد انهيار الخديوي
وتبعه حادثة فاشودة كانوا قليلين جدا وكانت الصورة بالغة القتامة . . .
او هكذا خيل لمصطفى كامل وهو يحاول ان يصور الموقف لضيقه ورفيق
نضاله محمد فريد . . .

أخي العزيز فريد . . . وصلني خطابك الكريم وانه لا يسعني الا ان
اشكر ذلك الصالح النادر المثال في مصر فهو تعزيتي عن هموم بلادي ، وتسلتي
عن تعود بنى وطني عن اجابة ندائي والاجتماع حول راية الوطن لانقاذ
واسعادته . . .

وانه يحزنني حقاً ان ارى الفرص مناسبة لخدمة الوطن ولا اجد
غيرك في المصريين نصيراً يساعدي على ذلك ، فتجدي ان تكلمت او دعوت
تكلم كثيراً اسيفاً وأدعوا وأنا عارف بأنه ليس لي مضر من يساعدي على
القيام بالواجب واكرام الضيف ان واق . . .
أخي . . . ساسافر الى برلين بالرغم من شدة كبرى من عدم وجود ارادة
مشتركة بين من يريدون او يدعون خدمة الوطن وعدم وجود خطبة ثابتة يجرى
الكل عليها . . . وبما على الا الامتثال لارادة الخالق جل شأنه الذي كانه اراد
ان اكون الوحيد في خطتي ، الفرد المطالب بالاستقلال (٢)

(١) المرجع السابق - ص ٣ - ١٩١٩ - ١٩١٨ - ١٩١٧ - ١٩١٦ - ١٩١٥ - ١٩١٤ - ١٩١٣ - ١٩١٢ - ١٩١١ - ١٩١٠ - ١٩٠٩ - ١٩٠٨ - ١٩٠٧ - ١٩٠٦ - ١٩٠٥ - ١٩٠٤ - ١٩٠٣ - ١٩٠٢ - ١٩٠١ - ١٩٠٠ - ١٨٩٩ - ١٨٩٨ - ١٨٩٧ - ١٨٩٦ - ١٨٩٥ - ١٨٩٤ - ١٨٩٣ - ١٨٩٢ - ١٨٩١ - ١٨٩٠ - ١٨٨٩ - ١٨٨٨ - ١٨٨٧ - ١٨٨٦ - ١٨٨٥ - ١٨٨٤ - ١٨٨٣ - ١٨٨٢ - ١٨٨١ - ١٨٨٠ - ١٨٧٩ - ١٨٧٨ - ١٨٧٧ - ١٨٧٦ - ١٨٧٥ - ١٨٧٤ - ١٨٧٣ - ١٨٧٢ - ١٨٧١ - ١٨٧٠ - ١٨٦٩ - ١٨٦٨ - ١٨٦٧ - ١٨٦٦ - ١٨٦٥ - ١٨٦٤ - ١٨٦٣ - ١٨٦٢ - ١٨٦١ - ١٨٦٠ - ١٨٥٩ - ١٨٥٨ - ١٨٥٧ - ١٨٥٦ - ١٨٥٥ - ١٨٥٤ - ١٨٥٣ - ١٨٥٢ - ١٨٥١ - ١٨٥٠ - ١٨٤٩ - ١٨٤٨ - ١٨٤٧ - ١٨٤٦ - ١٨٤٥ - ١٨٤٤ - ١٨٤٣ - ١٨٤٢ - ١٨٤١ - ١٨٤٠ - ١٨٣٩ - ١٨٣٨ - ١٨٣٧ - ١٨٣٦ - ١٨٣٥ - ١٨٣٤ - ١٨٣٣ - ١٨٣٢ - ١٨٣١ - ١٨٣٠ - ١٨٢٩ - ١٨٢٨ - ١٨٢٧ - ١٨٢٦ - ١٨٢٥ - ١٨٢٤ - ١٨٢٣ - ١٨٢٢ - ١٨٢١ - ١٨٢٠ - ١٨١٩ - ١٨١٨ - ١٨١٧ - ١٨١٦ - ١٨١٥ - ١٨١٤ - ١٨١٣ - ١٨١٢ - ١٨١١ - ١٨١٠ - ١٨٠٩ - ١٨٠٨ - ١٨٠٧ - ١٨٠٦ - ١٨٠٥ - ١٨٠٤ - ١٨٠٣ - ١٨٠٢ - ١٨٠١ - ١٨٠٠ - ١٧٩٩ - ١٧٩٨ - ١٧٩٧ - ١٧٩٦ - ١٧٩٥ - ١٧٩٤ - ١٧٩٣ - ١٧٩٢ - ١٧٩١ - ١٧٩٠ - ١٧٨٩ - ١٧٨٨ - ١٧٨٧ - ١٧٨٦ - ١٧٨٥ - ١٧٨٤ - ١٧٨٣ - ١٧٨٢ - ١٧٨١ - ١٧٨٠ - ١٧٧٩ - ١٧٧٨ - ١٧٧٧ - ١٧٧٦ - ١٧٧٥ - ١٧٧٤ - ١٧٧٣ - ١٧٧٢ - ١٧٧١ - ١٧٧٠ - ١٧٦٩ - ١٧٦٨ - ١٧٦٧ - ١٧٦٦ - ١٧٦٥ - ١٧٦٤ - ١٧٦٣ - ١٧٦٢ - ١٧٦١ - ١٧٦٠ - ١٧٥٩ - ١٧٥٨ - ١٧٥٧ - ١٧٥٦ - ١٧٥٥ - ١٧٥٤ - ١٧٥٣ - ١٧٥٢ - ١٧٥١ - ١٧٥٠ - ١٧٤٩ - ١٧٤٨ - ١٧٤٧ - ١٧٤٦ - ١٧٤٥ - ١٧٤٤ - ١٧٤٣ - ١٧٤٢ - ١٧٤١ - ١٧٤٠ - ١٧٣٩ - ١٧٣٨ - ١٧٣٧ - ١٧٣٦ - ١٧٣٥ - ١٧٣٤ - ١٧٣٣ - ١٧٣٢ - ١٧٣١ - ١٧٣٠ - ١٧٢٩ - ١٧٢٨ - ١٧٢٧ - ١٧٢٦ - ١٧٢٥ - ١٧٢٤ - ١٧٢٣ - ١٧٢٢ - ١٧٢١ - ١٧٢٠ - ١٧١٩ - ١٧١٨ - ١٧١٧ - ١٧١٦ - ١٧١٥ - ١٧١٤ - ١٧١٣ - ١٧١٢ - ١٧١١ - ١٧١٠ - ١٧٠٩ - ١٧٠٨ - ١٧٠٧ - ١٧٠٦ - ١٧٠٥ - ١٧٠٤ - ١٧٠٣ - ١٧٠٢ - ١٧٠١ - ١٧٠٠ - ١٦٩٩ - ١٦٩٨ - ١٦٩٧ - ١٦٩٦ - ١٦٩٥ - ١٦٩٤ - ١٦٩٣ - ١٦٩٢ - ١٦٩١ - ١٦٩٠ - ١٦٨٩ - ١٦٨٨ - ١٦٨٧ - ١٦٨٦ - ١٦٨٥ - ١٦٨٤ - ١٦٨٣ - ١٦٨٢ - ١٦٨١ - ١٦٨٠ - ١٦٧٩ - ١٦٧٨ - ١٦٧٧ - ١٦٧٦ - ١٦٧٥ - ١٦٧٤ - ١٦٧٣ - ١٦٧٢ - ١٦٧١ - ١٦٧٠ - ١٦٦٩ - ١٦٦٨ - ١٦٦٧ - ١٦٦٦ - ١٦٦٥ - ١٦٦٤ - ١٦٦٣ - ١٦٦٢ - ١٦٦١ - ١٦٦٠ - ١٦٥٩ - ١٦٥٨ - ١٦٥٧ - ١٦٥٦ - ١٦٥٥ - ١٦٥٤ - ١٦٥٣ - ١٦٥٢ - ١٦٥١ - ١٦٥٠ - ١٦٤٩ - ١٦٤٨ - ١٦٤٧ - ١٦٤٦ - ١٦٤٥ - ١٦٤٤ - ١٦٤٣ - ١٦٤٢ - ١٦٤١ - ١٦٤٠ - ١٦٣٩ - ١٦٣٨ - ١٦٣٧ - ١٦٣٦ - ١٦٣٥ - ١٦٣٤ - ١٦٣٣ - ١٦٣٢ - ١٦٣١ - ١٦٣٠ - ١٦٢٩ - ١٦٢٨ - ١٦٢٧ - ١٦٢٦ - ١٦٢٥ - ١٦٢٤ - ١٦٢٣ - ١٦٢٢ - ١٦٢١ - ١٦٢٠ - ١٦١٩ - ١٦١٨ - ١٦١٧ - ١٦١٦ - ١٦١٥ - ١٦١٤ - ١٦١٣ - ١٦١٢ - ١٦١١ - ١٦١٠ - ١٦٠٩ - ١٦٠٨ - ١٦٠٧ - ١٦٠٦ - ١٦٠٥ - ١٦٠٤ - ١٦٠٣ - ١٦٠٢ - ١٦٠١ - ١٦٠٠ - ١٥٩٩ - ١٥٩٨ - ١٥٩٧ - ١٥٩٦ - ١٥٩٥ - ١٥٩٤ - ١٥٩٣ - ١٥٩٢ - ١٥٩١ - ١٥٩٠ - ١٥٨٩ - ١٥٨٨ - ١٥٨٧ - ١٥٨٦ - ١٥٨٥ - ١٥٨٤ - ١٥٨٣ - ١٥٨٢ - ١٥٨١ - ١٥٨٠ - ١٥٧٩ - ١٥٧٨ - ١٥٧٧ - ١٥٧٦ - ١٥٧٥ - ١٥٧٤ - ١٥٧٣ - ١٥٧٢ - ١٥٧١ - ١٥٧٠ - ١٥٦٩ - ١٥٦٨ - ١٥٦٧ - ١٥٦٦ - ١٥٦٥ - ١٥٦٤ - ١٥٦٣ - ١٥٦٢ - ١٥٦١ - ١٥٦٠ - ١٥٥٩ - ١٥٥٨ - ١٥٥٧ - ١٥٥٦ - ١٥٥٥ - ١٥٥٤ - ١٥٥٣ - ١٥٥٢ - ١٥٥١ - ١٥٥٠ - ١٥٤٩ - ١٥٤٨ - ١٥٤٧ - ١٥٤٦ - ١٥٤٥ - ١٥٤٤ - ١٥٤٣ - ١٥٤٢ - ١٥٤١ - ١٥٤٠ - ١٥٣٩ - ١٥٣٨ - ١٥٣٧ - ١٥٣٦ - ١٥٣٥ - ١٥٣٤ - ١٥٣٣ - ١٥٣٢ - ١٥٣١ - ١٥٣٠ - ١٥٢٩ - ١٥٢٨ - ١٥٢٧ - ١٥٢٦ - ١٥٢٥ - ١٥٢٤ - ١٥٢٣ - ١٥٢٢ - ١٥٢١ - ١٥٢٠ - ١٥١٩ - ١٥١٨ - ١٥١٧ - ١٥١٦ - ١٥١٥ - ١٥١٤ - ١٥١٣ - ١٥١٢ - ١٥١١ - ١٥١٠ - ١٥٠٩ - ١٥٠٨ - ١٥٠٧ - ١٥٠٦ - ١٥٠٥ - ١٥٠٤ - ١٥٠٣ - ١٥٠٢ - ١٥٠١ - ١٥٠٠ - ١٤٩٩ - ١٤٩٨ - ١٤٩٧ - ١٤٩٦ - ١٤٩٥ - ١٤٩٤ - ١٤٩٣ - ١٤٩٢ - ١٤٩١ - ١٤٩٠ - ١٤٨٩ - ١٤٨٨ - ١٤٨٧ - ١٤٨٦ - ١٤٨٥ - ١٤٨٤ - ١٤٨٣ - ١٤٨٢ - ١٤٨١ - ١٤٨٠ - ١٤٧٩ - ١٤٧٨ - ١٤٧٧ - ١٤٧٦ - ١٤٧٥ - ١٤٧٤ - ١٤٧٣ - ١٤٧٢ - ١٤٧١ - ١٤٧٠ - ١٤٦٩ - ١٤٦٨ - ١٤٦٧ - ١٤٦٦ - ١٤٦٥ - ١٤٦٤ - ١٤٦٣ - ١٤٦٢ - ١٤٦١ - ١٤٦٠ - ١٤٥٩ - ١٤٥٨ - ١٤٥٧ - ١٤٥٦ - ١٤٥٥ - ١٤٥٤ - ١٤٥٣ - ١٤٥٢ - ١٤٥١ - ١٤٥٠ - ١٤٤٩ - ١٤٤٨ - ١٤٤٧ - ١٤٤٦ - ١٤٤٥ - ١٤٤٤ - ١٤٤٣ - ١٤٤٢ - ١٤٤١ - ١٤٤٠ - ١٤٣٩ - ١٤٣٨ - ١٤٣٧ - ١٤٣٦ - ١٤٣٥ - ١٤٣٤ - ١٤٣٣ - ١٤٣٢ - ١٤٣١ - ١٤٣٠ - ١٤٢٩ - ١٤٢٨ - ١٤٢٧ - ١٤٢٦ - ١٤٢٥ - ١٤٢٤ - ١٤٢٣ - ١٤٢٢ - ١٤٢١ - ١٤٢٠ - ١٤١٩ - ١٤١٨ - ١٤١٧ - ١٤١٦ - ١٤١٥ - ١٤١٤ - ١٤١٣ - ١٤١٢ - ١٤١١ - ١٤١٠ - ١٤٠٩ - ١٤٠٨ - ١٤٠٧ - ١٤٠٦ - ١٤٠٥ - ١٤٠٤ - ١٤٠٣ - ١٤٠٢ - ١٤٠١ - ١٤٠٠ - ١٣٩٩ - ١٣٩٨ - ١٣٩٧ - ١٣٩٦ - ١٣٩٥ - ١٣٩٤ - ١٣٩٣ - ١٣٩٢ - ١٣٩١ - ١٣٩٠ - ١٣٨٩ - ١٣٨٨ - ١٣٨٧ - ١٣٨٦ - ١٣٨٥ - ١٣٨٤ - ١٣٨٣ - ١٣٨٢ - ١٣٨١ - ١٣٨٠ - ١٣٧٩ - ١٣٧٨ - ١٣٧٧ - ١٣٧٦ - ١٣٧٥ - ١٣٧٤ - ١٣٧٣ - ١٣٧٢ - ١٣٧١ - ١٣٧٠ - ١٣٦٩ - ١٣٦٨ - ١٣٦٧ - ١٣٦٦ - ١٣٦٥ - ١٣٦٤ - ١٣٦٣ - ١٣٦٢ - ١٣٦١ - ١٣٦٠ - ١٣٥٩ - ١٣٥٨ - ١٣٥٧ - ١٣٥٦ - ١٣٥٥ - ١٣٥٤ - ١٣٥٣ - ١٣٥٢ - ١٣٥١ - ١٣٥٠ - ١٣٤٩ - ١٣٤٨ - ١٣٤٧ - ١٣٤٦ - ١٣٤٥ - ١٣٤٤ - ١٣٤٣ - ١٣٤٢ - ١٣٤١ - ١٣٤٠ - ١٣٣٩ - ١٣٣٨ - ١٣٣٧ - ١٣٣٦ - ١٣٣٥ - ١٣٣٤ - ١٣٣٣ - ١٣٣٢ - ١٣٣١ - ١٣٣٠ - ١٣٢٩ - ١٣٢٨ - ١٣٢٧ - ١٣٢٦ - ١٣٢٥ - ١٣٢٤ - ١٣٢٣ - ١٣٢٢ - ١٣٢١ - ١٣٢٠ - ١٣١٩ - ١٣١٨ - ١٣١٧ - ١٣١٦ - ١٣١٥ - ١٣١٤ - ١٣١٣ - ١٣١٢ - ١٣١١ - ١٣١٠ - ١٣٠٩ - ١٣٠٨ - ١٣٠٧ - ١٣٠٦ - ١٣٠٥ - ١٣٠٤ - ١٣٠٣ - ١٣٠٢ - ١٣٠١ - ١٣٠٠ - ١٢٩٩ - ١٢٩٨ - ١٢٩٧ - ١٢٩٦ - ١٢٩٥ - ١٢٩٤ - ١٢٩٣ - ١٢٩٢ - ١٢٩١ - ١٢٩٠ - ١٢٨٩ - ١٢٨٨ - ١٢٨٧ - ١٢٨٦ - ١٢٨٥ - ١٢٨٤ - ١٢٨٣ - ١٢٨٢ - ١٢٨١ - ١٢٨٠ - ١٢٧٩ - ١٢٧٨ - ١٢٧٧ - ١٢٧٦ - ١٢٧٥ - ١٢٧٤ - ١٢٧٣ - ١٢٧٢ - ١٢٧١ - ١٢٧٠ - ١٢٦٩ - ١٢٦٨ - ١٢٦٧ - ١٢٦٦ - ١٢٦٥ - ١٢٦٤ - ١٢٦٣ - ١٢٦٢ - ١٢٦١ - ١٢٦٠ - ١٢٥٩ - ١٢٥٨ - ١٢٥٧ - ١٢٥٦ - ١٢٥٥ - ١٢٥٤ - ١٢٥٣ - ١٢٥٢ - ١٢٥١ - ١٢٥٠ - ١٢٤٩ - ١٢٤٨ - ١٢٤٧ - ١٢٤٦ - ١٢٤٥ - ١٢٤٤ - ١٢٤٣ - ١٢٤٢ - ١٢٤١ - ١٢٤٠ - ١٢٣٩ - ١٢٣٨ - ١٢٣٧ - ١٢٣٦ - ١٢٣٥ - ١٢٣٤ - ١٢٣٣ - ١٢٣٢ - ١٢٣١ - ١٢٣٠ - ١٢٢٩ - ١٢٢٨ - ١٢٢٧ - ١٢٢٦ - ١٢٢٥ - ١٢٢٤ - ١٢٢٣ - ١٢٢٢ - ١٢٢١ - ١٢٢٠ - ١٢١٩ - ١٢١٨ - ١٢١٧ - ١٢١٦ - ١٢١٥ - ١٢١٤ - ١٢١٣ - ١٢١٢ - ١٢١١ - ١٢١٠ - ١٢٠٩ - ١٢٠٨ - ١٢٠٧ - ١٢٠٦ - ١٢٠٥ - ١٢٠٤ - ١٢٠٣ - ١٢٠٢ - ١٢٠١ - ١٢٠٠ - ١١٩٩ - ١١٩٨ - ١١٩٧ - ١١٩٦ - ١١٩٥ - ١١٩٤ - ١١٩٣ - ١١٩٢ - ١١٩١ - ١١٩٠ - ١١٨٩ - ١١٨٨ - ١١٨٧ - ١١٨٦ - ١١٨٥ - ١١٨٤ - ١١٨٣ - ١١٨٢ - ١١٨١ - ١١٨٠ - ١١٧٩ - ١١٧٨ - ١١٧٧ - ١١٧٦ - ١١٧٥ - ١١٧٤ - ١١٧٣ - ١١٧٢ - ١١٧١ - ١١٧٠ - ١١٦٩ - ١١٦٨ - ١١٦٧ - ١١٦٦ - ١١٦٥ - ١١٦٤ - ١١٦٣ - ١١٦٢ - ١١٦١ - ١١٦٠ - ١١٥٩ - ١١٥٨ - ١١٥٧ - ١١٥٦ - ١١٥٥ - ١١٥٤ - ١١٥٣ - ١١٥٢ - ١١٥١ - ١١٥٠ - ١١٤٩ - ١١٤٨ - ١١٤٧ - ١١٤٦ - ١١٤٥ - ١١٤٤ - ١١٤٣ - ١١٤٢ - ١١٤١ - ١١٤٠ - ١١٣٩ - ١١٣٨ - ١١٣٧ - ١١٣٦ - ١١٣٥ - ١١٣٤ - ١١٣٣ - ١١٣٢ - ١١٣١ - ١١٣٠ - ١١٢٩ - ١١٢٨ - ١١٢٧ - ١١٢٦ - ١١٢٥ - ١١٢٤ - ١١٢٣ - ١١٢٢ - ١١٢١ - ١١٢٠ - ١١١٩ - ١١١٨ - ١١١٧ - ١١١٦ - ١١١٥ - ١١١٤ - ١١١٣ - ١١١٢ - ١١١١ - ١١١٠ - ١١٠٩ - ١١٠٨ - ١١٠٧ - ١١٠٦ - ١١٠٥ - ١١٠٤ - ١١٠٣ - ١١٠٢ - ١١٠١ - ١١٠٠ - ١٠٩٩ - ١٠٩٨ - ١٠٩٧ - ١٠٩٦ - ١٠٩٥ - ١٠٩٤ - ١٠٩٣ - ١٠٩٢ - ١٠٩١ - ١٠٩٠ - ١٠٨٩ - ١٠٨٨ - ١٠٨٧ - ١٠٨٦ - ١٠٨٥ - ١٠٨٤ - ١٠٨٣ - ١٠٨٢ - ١٠٨١ - ١٠٨٠ - ١٠٧٩ - ١٠٧٨ - ١٠٧٧ - ١٠٧٦ - ١٠٧٥ - ١٠٧٤ - ١٠٧٣ - ١٠٧٢ - ١٠٧١ - ١٠٧٠ - ١٠٦٩ - ١٠٦٨ - ١٠٦٧ - ١٠٦٦ - ١٠٦٥ - ١٠٦٤ - ١٠٦٣ - ١٠٦٢ - ١٠٦١ - ١٠٦٠ - ١٠٥٩ - ١٠٥٨ - ١٠٥٧ - ١٠٥٦ - ١٠٥٥ - ١٠٥٤ - ١٠٥٣ - ١٠٥٢ - ١٠٥١ - ١٠٥٠ - ١٠٤٩ - ١٠٤٨ - ١٠٤٧ - ١٠٤٦ - ١٠٤٥ - ١٠٤٤ - ١٠٤٣ - ١٠٤٢ - ١٠٤١ - ١٠٤٠ - ١٠٣٩ - ١٠٣٨ - ١٠٣٧ - ١٠٣٦ - ١٠٣٥ - ١٠٣٤ - ١٠٣٣ - ١٠٣٢ - ١٠٣١ - ١٠٣٠ - ١٠٢٩ - ١٠٢٨ - ١٠٢٧ - ١٠٢٦ - ١٠٢٥ - ١٠٢٤ - ١٠٢٣ - ١٠٢٢ - ١٠٢١ - ١٠٢٠ - ١٠١٩ - ١٠١٨ - ١٠١٧ - ١٠١٦ - ١٠١٥ - ١٠١٤ - ١٠١٣ - ١٠١٢ - ١٠١١ - ١٠١٠ - ١٠٠٩ - ١٠٠٨ - ١٠٠٧ - ١٠٠٦ - ١٠٠٥ - ١٠٠٤ - ١٠٠٣ - ١٠٠٢ - ١٠٠١ - ١٠٠٠ - ٩٩٩ - ٩٩٨ - ٩٩٧ - ٩٩٦ - ٩٩٥ - ٩٩٤ - ٩٩٣ - ٩٩٢ - ٩٩١ - ٩٩٠ - ٩٨٩ - ٩٨٨ - ٩٨٧ - ٩٨٦ - ٩٨٥ - ٩٨٤ - ٩٨٣ - ٩٨٢ - ٩٨١ - ٩٨٠ - ٩٧٩ - ٩٧٨ - ٩٧٧ - ٩٧٦ - ٩٧٥ - ٩٧٤ - ٩٧٣ - ٩٧٢ - ٩٧١ - ٩٧٠ - ٩٦٩ - ٩٦٨ - ٩٦٧ - ٩٦٦ - ٩٦٥ - ٩٦٤ - ٩٦٣ - ٩٦٢ - ٩٦١ - ٩٦٠ - ٩٥٩ - ٩٥٨ - ٩٥٧ - ٩٥٦ - ٩٥٥ - ٩٥٤ - ٩٥٣ - ٩٥٢ - ٩٥١ - ٩٥٠ - ٩٤٩ - ٩٤٨ - ٩٤٧ - ٩٤٦ - ٩٤٥ - ٩٤٤ - ٩٤٣ - ٩٤٢ - ٩٤١ - ٩٤٠ - ٩٣٩ - ٩٣٨ - ٩٣٧ - ٩٣٦ - ٩٣٥ - ٩٣٤ - ٩٣٣ - ٩٣٢ - ٩٣١ - ٩٣٠ - ٩٢٩ - ٩٢٨ - ٩٢٧ - ٩٢٦ - ٩٢٥ - ٩٢٤ - ٩٢٣ - ٩٢٢ - ٩٢١ - ٩٢٠ - ٩١٩ - ٩١٨ - ٩١٧ - ٩١٦ - ٩١٥ - ٩١٤ - ٩١٣ - ٩١٢ - ٩١١ - ٩١٠ - ٩٠٩ - ٩٠٨ - ٩٠٧ - ٩٠٦ - ٩٠٥ - ٩٠٤ - ٩٠٣ - ٩٠٢ - ٩٠١ - ٩٠٠ - ٨٩٩ - ٨٩٨ - ٨٩٧ - ٨٩٦ - ٨٩٥ - ٨٩٤ - ٨٩٣ - ٨٩٢ - ٨٩١ - ٨٩٠ - ٨٨٩ - ٨٨٨ - ٨٨٧ - ٨٨٦ - ٨٨٥ - ٨٨٤ - ٨٨٣ - ٨٨٢ - ٨٨١ - ٨٨٠ - ٨٧٩ - ٨٧٨ - ٨٧٧ - ٨٧٦ - ٨٧٥ - ٨٧٤ - ٨٧٣ - ٨٧٢ - ٨٧١ - ٨٧٠ - ٨٦٩ - ٨٦٨ - ٨٦٧ - ٨٦٦ - ٨٦٥ - ٨٦٤ - ٨٦٣ - ٨٦٢ - ٨٦١ - ٨٦٠ - ٨٥٩ - ٨٥٨ - ٨٥٧ - ٨٥٦ - ٨٥٥ - ٨٥٤ - ٨٥٣ - ٨٥٢ - ٨٥١ - ٨٥٠ - ٨٤٩ - ٨٤٨ - ٨٤٧ - ٨٤٦ - ٨٤٥ - ٨٤٤ - ٨٤٣ - ٨٤٢ - ٨٤١ - ٨٤٠ - ٨٣٩ - ٨٣٨ - ٨٣٧ - ٨٣٦ - ٨٣٥ - ٨٣٤ - ٨٣٣ - ٨٣٢ - ٨٣١ - ٨٣٠ - ٨٢٩ - ٨٢٨ - ٨٢٧ - ٨٢٦ - ٨٢٥ - ٨٢٤ - ٨٢٣ - ٨٢٢ - ٨٢١ - ٨٢٠ - ٨١٩ - ٨١٨ - ٨١٧ - ٨١٦ - ٨١٥ - ٨١٤ - ٨١٣ - ٨١٢ - ٨١١ - ٨١٠ - ٨٠٩ - ٨٠٨ - ٨٠٧ - ٨٠٦ - ٨٠٥ - ٨٠٤ - ٨٠٣ - ٨٠٢ - ٨٠١ - ٨٠٠ - ٧٩٩ - ٧٩٨ - ٧٩٧ - ٧٩٦ - ٧٩٥ - ٧٩٤ - ٧٩٣ - ٧٩٢ - ٧٩١ - ٧٩٠ - ٧٨٩ - ٧٨٨ - ٧٨٧ - ٧٨٦ - ٧٨٥ - ٧٨٤ - ٧٨٣ - ٧٨٢ - ٧٨١ - ٧٨٠ - ٧٧٩ - ٧٧٨ - ٧٧٧ - ٧٧٦ - ٧٧٥ - ٧٧٤ - ٧٧٣ - ٧٧٢ - ٧٧١ - ٧٧٠ - ٧٦٩ - ٧٦٨ - ٧٦٧ - ٧٦٦ - ٧٦٥ - ٧٦٤ - ٧٦٣ - ٧٦٢ - ٧٦١ - ٧٦٠ - ٧٥٩ - ٧٥٨ - ٧٥٧ - ٧٥٦ - ٧٥٥ - ٧٥٤ - ٧٥٣ - ٧٥٢ - ٧٥١ - ٧٥٠ - ٧٤٩ - ٧٤٨ - ٧٤٧ - ٧٤٦ - ٧٤٥ - ٧٤٤ - ٧٤٣ - ٧٤٢ - ٧٤١ - ٧٤٠ - ٧٣٩ - ٧٣٨ - ٧٣٧ - ٧٣٦ - ٧٣٥ - ٧٣٤ - ٧٣٣ - ٧٣٢ - ٧٣١ - ٧٣٠ - ٧٢٩ - ٧٢٨ - ٧٢٧ - ٧٢٦ - ٧٢٥ - ٧٢٤ - ٧٢٣ - ٧٢٢ - ٧٢١ - ٧٢٠ - ٧١٩ - ٧١٨ - ٧١٧ - ٧١٦ - ٧١٥ - ٧١٤ - ٧١٣ - ٧١٢ - ٧١١ - ٧١٠ - ٧٠٩ - ٧٠٨ - ٧٠٧ - ٧٠٦ - ٧٠٥ - ٧٠٤ - ٧٠٣ - ٧٠٢ -

هذه الرسالة غنية عن أى تعليق وهى توضح كيف تسارع البخرات والاقطاعيين وكبار الموظفين وكبار الموظفين وأبناء الطبقة الوسطى إلى التسليم للاحتلال بعد أن فقيدوا الثقة فى فرنسا والأبر ليس بحاجة إلى تفسير فهم جميعا يستقنون جماهير الشعب عن حسابهم ، بعضهم يقف منها موقف المستغل والبعض الآخر يحتقرها ولا يثق فيها فاذا ما انهار الحليف الاجنبى انهار كل شىء

لكن لماذا صمد مصطفى ؟

لانه كان الوحيد الذى ارتبط بالجماهير والذى بادلتها الجماهير حبا بحب ، والذي منحته تاييدها وثقتها ومساندتها واستقبلته فى الاسكندرية استقبال الفاتحين فزاره فى اليوم الاول لوصوله اكثر من ثلاثمائة شخص

وعند مغادرته الاسكندرية كان فى وداعه فى المحطة ، نحو ثمانية آلاف نفس وفى مقدمتهم رائدوا الوطنية وحماتها وفوق رؤوسهم الاعلام وقدموا له نيشانا من النضة رسم على احد وجهيه صورة النخيل المصرى ومسلة الشعر وكتب على الوجه الآخر هذه الجملة : برهان الاخلاص من اهالي الاسكندرية للوطنى الغيور مصطفى كامل (١)

ولقد كان مصطفى كامل يستحق كل هذا التأييد فهو وطنى دافق الوطنية ، يحب مصر حبا ملك عليه كل وجدانه ، ولقد اثر اخلاصه المتفانى فى الجماهير التى تشقت به وكان لا بد لهذا التعلق من جانب الجماهير ان يترك اثره ايضا على شخص الزعيم

لكننا يتعين علينا الا نبالغ فى دور هذه الجماهير فقد كانت الحركة الجماهيرية عموما ضعيفة تفتقر الى التنظيم والى الثقة بنفسها وكانت ايضا - وهذا هو المهم - ذات نوعية خاصة فقد تركزت اساسا فى جماهير الطبقة الوسطى والبرجوازية الصغيرة فى المدن وهى ذات طاقة ثورية محدودة وخاصة فى ظل ظروف يسودها بطش الاحتلال وفى ظل انتكاسة الثورة العربية تلك الانتكاسة التى كانت لا تزال تلقى ظللا من الشك على جدوى حركة الجماهير

وقد تردد مصطفى كثيرا فى تكوين حزب بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة ، ولفترة طويلة ظل الحزب الوطنى مجرد لافقة تضم جملة من الوطنيين غير المنظمين ، ولم يعلن مصطفى تكوين حزبه الا فى ١٩٠٧ وكنتيجة لاعلان حزب

(١) على فهمى كامل - سيرة مصطفى كامل - ج١ - ص ٢٨٨

الأمة وحزب الإصلاح على الجادى الدستورية . هنا وهنا فقط أرسل مصطفى
اللى فريد يقول : ان ظهور حزب الأمة من اولئك الذين خبرنا نفسيتهم وميلهم الى
مساوية المحتلين وأن ما علمته كذلك من عزم صاحب المؤيد على تأليف حزب
بأنتم الإصلاح كخدمة سياسة السراى هذان الأمران يحتملان علينا كل
التحتميم أن نظهر حزبنا الوطنى بالرغم منا فى مظهرة الحقيقى ، حتى يعلم
العالم كانه أن للوطن المصرى حزبا يطلب بعزيمة صيادية الجلاء
والدستور ، (١)

٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ احتشد فى مسرح زيزينيا بالاسكندرية
٦٠٠ شخص يمثلون الكتلة الجماهيرية لهذا الحزب . وارتفعت هتافاتهم

عالية ولتحى مصر ،
سألا من الله
! وأعظمى مصطفى كامل المنصة ليصت فى آذان مصر كلها أنعاما من
الحماس الجافق والوطنية الصادقة ، بلادى ، لك حبى وفؤادى ، لك حياتى
ووجودى ، لك ديمى ونفسى لك عقلى ولسانى ، لك لبي وجنانى ، فانت أنت
الحياة ولا حياة الا بك يا مصر ،

زيد زويد مصطفى فى خطابه أهداف حزبه

« أننا لو تخطينا الموت من هذه الديار واحدا بعد واحد لكانت آخر
كلماتنا لمن بعدنا كونوا أسعد حظا منا ، وليبارك الله فيكم ويجعل النصر
على أيديكم ويخرج من الجماهير المثات والالوف بدل الأحتاد للمظالمه بالنحن
الوطنى والحرية والإطية والاستقلال القديس »

« ويتحدث عن التعليم ، فنقول بلامة خذى من العلم أوفر قسط وتملحنى
بأسلحته وأملى وادى النيل من نوره ، وردى الى الفقير حقه ونصيبه من
النهل العذب ، ما فائدة الاموال التى تجمع والخزينة التى تملأ بالذهب الوهاج
إذا كانت الاسوار قائمة بين الفقراء والعلم »

« وتحدث عن الدستور فقال ، ان اعطاء المصريين مجلسا نيابيا حقيقيا
لا صورة يراد بها السخرية ، وفر الرماد فى العيون ، هو تجريد للاختلال
من كل سلطة »

« المصريون يطالبون اتباع الجادى الوطنية وتعميم التعليم وإقامة
الدستور مقام الظلم والاعتساف وينادون بأنهم لا يرضون بحكومة الرجل
الفرد سواء كان مصريا أو اجنبيا »

وتحدث بعد ذلك عن موقف الحزب من تركيا فقال: « زمانا الطاعون
بأننا نريد أن نخرج الانجليز من مصر لنعطيهما لتركيا فمنا هذه التهمة
الا تصريح بيان معرفتنا ليقوق الامم وواجباتها لم ترشحنا الا أن نكون
عبيد ارقيا »

فليعلم أعداء مصر أننا نطلب لها الاستقلال ونطلب لها ذلك الاستقلال
بالعلم أصواتنا وعلى مسمع من أمم الأرض كلها . وإنما إذا أخلصنا الود
لأمة أو لدولة فإنما نعمل كغيرنا ونتبع ناموس الطبيعة بأن من انتقبت
مصالحهم يتجمعون ويتناصرون .

إننا نعلن للملا كلة أن الحزب الوطنى مستقل عن كل الدول والحكومات
والملوك والإمراء . . . وتحدث عن الفلاح فقال :

« الفلاح الذى قضى القرون من السنين وهو ممتد أنه ملك للحاكم
ومتأخر إلا إرادة به ، فأسمى عمل تقوم به هو انهاض ذلك الفلاح العزيز
واعلاء مكانته فهو ممثل النشاط المصرى ومصدر كل خير ونعيم ، فليخين
عصر ينطق فيه التاريخ بأن الفلاح الذى أفضال القرون الماضية وصار رجلا
حرا بفضل أبناء وطنه المعلمين المجاهدين فى سبيل حريته
وسعادته . . . »

ولست أعتقد اننى بحاجة الى أن أتحدث عن مدى التقدم الذى أحرزه
العمل الوطنى بإعلان برنامجه بهذا . . . فهو يختلف اختلافا كئيبا عن برامج
الاحزاب الاخرى . . . وهو يمثل نقطة انطلاق جديدة للنضال الوطنى بأشرف

لكنه مع ذلك لم يحدد أهدافا واضحة تمثل مطالب الجماهير . . .
وحيثه عن النهوض بالفلاح يتناول آمالا غامضة بلا معالم محددة . . .
على أن إعلان الحزب الوطنى كان علامة عامة . . . كان فيصلا بين
الوطنية الصادقة وبين العمالة أو التهاون أو المناورة . . . أو التقرب من
سلطات الاحتلال .

كما أن الحزب الوطنى قد لعب دورا هاما فى كشف العناصر الضارة
فى حقل العمل السياسى ومن جملة غاسية على خصومه السياسيين كاشفا
أمام الجماهير سياستهم المتهاونة أو العميلة . . .
ولنتأمل هذه العبارات التى هاجم بها الشيخ جاويش جريدة المقطم
. . . تحت عنوان :

« لا كرامة لماجور . . . ليخرس المقطم . . . » ما بال أولئك الغرباء عن
جميع الاوطان كلما رفع وطنى صميم صوته فى شان من شئون وطنه صاحوا

بانكر صوت باقمين ؟ وما حكوه طاعنين ؟ وسخروا منه حاقدين ؟ عرفت
الامة هؤلاء الأعداء الذين لا يهنا لهم عيش الا اذا ضاع لها حق
من وعرفت صحيفتهم الصفراء بوقا للاحتلال يصوت فيها فتردد صداه
وألة يديرها فتستدير .. الا ليخرس المقطم فانه أحقر عند الامة من ان تلقى
له يالا او تقيم لحماقته وتضليله وزنا ، (١)

ويشدد اللواء هجومه على حزب الامة .. و « الجريدة » قائلان :
« ان سياسة الجريدة قدلنا على انبيها أشد الجرائد تعلقا بالاحتلال
وحسبنا قدحها فيمن استنكروا الاحتفال باللورد كرومر ، أعدى أعداء
المصريين والطاعن على الاسلام والمسلمين » (٢)
ثم توجه « العلم » هجومها الساسق الى لطفي السيد أيضا
فتناديه :

« أي عدو بلاده .. مكانك مكانك أيها الجبان فمالك بميادين تميكن
صورتها . وتضعيك ذكرا ما .. فخير لك أن تحفر الأرض بأظفرك ، وأن تنتردى
فيها ثم أرطم رأسك بالحجارة حتى يخرج من دماغك ذلك المنع الذي كان
سبب شقائك وأصل بلائك » (٣)
حتى الخديو لم يسلم من هجماتهم عندما باع نفسه للانجليز

وردا على تصريح أدلى به الخديو لجريدة النيلى تنجرف أيد فيه
الاحتلال الانجليزي . قالت جريدة « ليتندار » جريدة الحزب الناطقة
بالفرنسية :

« اننا نصرح جهارا بان الخديو احرق في تفكيره . ولكن لا نقبل ان
نكون مقيدين بهذا الكلام ، ان مصر لا يمكن ان تحكم بواسطة الخديو
فقط او بواسطة المعتمد البريطاني او بهما معا .. يجب ان تحكم مصر
بمعربة أبنائها .. لقد تكلم الخديو عن الازدهار المادي ولم يقل كلمة
واحدة عن الازدهار الادبي ، ذلك لانه لا يمكن تحقيقه الا بواسطة ارادة
الشعب المتمتع بكامل حقوقه » (٤)

- (١) المزج السابق - ص ١٠٥ .
(٢) اللواء - ١٩٠٧/١١/١٧ .
(٣) العلم - ١٩١١/١/٣١ .
(٤) ليتندار - ١٩٠٧/٥/٢٦ .

كما أن الحزب قد نجح بفضل علاماته الخارجية وبفضل ارتباطاته
بجماعات المثقفين المصريين الذين كانوا يتلقون العلم بالخارج . . . في أن
يربط بين القضية المصرية وبين الحركة العالمية المناهضة للاستعمار واليهرب
: . . . وفي كثير من مؤتمرات السلام والمؤتمرات المناهضة للاستعمار ، وفي عصبة
الشعوب المظلومة ، ومؤتمر الاجناس المضطهدة ارتفع صوت أعضاء الحزب
مطالباً بالامتناع لمر والجلاء التام عنها . . . ومعلناً تضامن الأمة
المصرية مع كل الشعوب والاجناس المضطهدة . . .

كما أن الحزب قد نجح في أن يقدم لأول مرة في تاريخ مصر نموذجاً
للمعمل الحزبي السياسي الذي يعمل بوعي لكسب الجماهير وتنظيمها والوصول
ليها من خلال احتياجاتها اليومية والمحنة . . .
وهناك أمثلة عديدة . . .

وضع الحزب صيغة موحدة للمطالبة بالحدسثور . . . وطبع منها عشرات
الآلاف من النسخ ودعا الشعب الى توقيعها وارسالها اليه ليقدمها الى
الخديو وذلك في محاولة لاطهار مدى تأثير الحزب على حركة الجماهير
وارتفع عدد التوقيعات الى رقم مذل ٦١٠٠٠ توقيع . . .

كما اظهرت قيادة الحزب فيها عميقا لاهمية العمل - الجماهيري . . .
فقررت الاستفادة من المعركة الانتخابية التي جرت في ديسمبر ١٩١٣ لانتخاب
الجمعية التشريعية . . . ويكتب محمد فريد في مذكراته : « جميع الاجتماعات
الانتخابية التي حصلت بالقاهرة وبعض جهات الارياف كان الصوت العالى
فيها لرجال الحزب الوطني فالحركة في الحقيقة من أعمال الحزب وان كانت
الظروف السياسية منعت اللجنة الادارية من الظهور فيها » (١) . . .

وكانت هناك أيضا فكرة التعاون . . . التي اعتم بها الحزب اتماما
كبيرا كوسيلة لحل المشاكل اليومية للجماهير والارتباط بها . . .

وهناك أيضا مدارس الشعب وهي مدارس ليلية كان الغرض منها تعليم
الفقراء والعمال مجانا . . . وقد تطوع شباب الحزب للتدريس فيها وفقا لبرنامج
اعده الحزب يتضمن المواد التالية : القراءة والكتابة وتدروس الدين - قانوني
الصحة والاحتياطات الصحية - القوانين الخاصة بالمعاملات اليومية - الحسابي
السنون الاجتماعية - تاريخ مصر والتاريخ الاسلامي - جغرافية وآداب
وقد افتتح الحزب أربعة مدارس في اقسام بولاق وشبرا والعباسية
والخليفة وكان محمد فريد يقوم بنفسه بالتدريس فيها (٢) . . .

(١) عبد الرحمن الرافي - محمد فريد - ص ٣١٨

(٢) عبد الرحمن الرافي - مذكراتي - ص ١٦

ثم أن الحزب قد اهتم اهتماما كبيرا بالطبقة العاملة .. والحقيقة
أن هذا الاتجاه لم يصبح ملحوظا إلا بعد أن تولي فريد قيادة الحزب ..
ويكتب فريد سلسلة من المقالات دفاعا عن حقوق العمال معلنا أنه ..
« لا يوجد بمصر قوانين خاصة بحماية العمال ولا قوانين تحدد سنهم
ولإبعاد الساعات التي يجب أن يقضوها في العمل فنجد العمال مثقلين
بالكواهل بلا رحمة .. » (١)

وعندما أضرب عمال النرام ساندتهم جريدة اللواء معلنة « أن المتأمل
في المطالب التي عرضها هؤلاء العمال يعرف مبلغ غلها وصوابها
لأنهم لم يمتاثروا على الشركة ولم يطالبوا منها بالاستحيل وإنما طلبوا أن
يحفظ التناسب بين الحقوق والواجبات وأن يأخذوا الكفالة الكافية لهم ،
وأن لا يضاموا ولا يرهقوا ، وأن يكون الأجر على قدر العمل ، وللعمل وقت
محدود ، وهذه الروح التي سرت في أولئك العمال فأشعرتهم أن لهم حقوقا
ضائعة وجميعت صفوفهم لطلبها بطريقة عادلة روج تبشر بدخول طوائف
العمال عندنا في عهد جديد من الحياة الحية والتضامن الاجتماعي » (٢)

كذلك كون الحزب نقابة الصنائع اليدوية وهي أكبر تنظيم عمالي شهدته
مصر حتى ذلك الحين ..

والحقيقة أن فريد باتجاهه هذا نحو العمال والتشكيلات النقابية كان
متاثرا ببعض القادة العمالين الأوربيين وخاصة الزعيم العمالي كير هاردي
أحد مؤسسي حزب العمال الأنجليزي ويتضح هذا التأثير من كلمات فريد
نفسه ..

« نقابات العمال قوة ماثلة تخضع لها الحكومات وتطاطء رأسها
إمامها ولقد أصبح حزب العمال في إنجلترا من الأحزاب المسموعة الكلمة
بهمه من كرسوا حياتهم للخدمة هذه الطبقة من الأهالي مثل كير هاردي
ولجوانيه .. » (٣)

وفوق كل ذلك فإن قادة وكوادر الحزب الوطني قد قيدوا للحركة
النضالية المصرية نميادج رائجة من الأبناء الثوري .. والتمعالي علي مغريات
المحتئين والتضحية بالذات في سبيل الوطن .. مسلحين الجماهير بطاقات

(١) أمين عز الدين - تاريخ الطبقة العاملة منذ نشأتها حتى ١٩١٩ -

ص ١٢٥

(٢) اللواء - ١٩٠٨/١٠/١٨ -

(٣) أمين عز الدين - المرجع السابق - ص ١٢٨

كبيرة من النضال وبالقدرة على رفض أساليب الجماعات والأحزاب الأخرى للمهادنة .

ولنتأمل هذا الحديث الذي دار بين مصطفى كامل وبين « السير كامبل بانرمان » رئيس وزراء بريطانيا . . .

تبعدهم محاوراة طويلة سأل بانرمان « هل تقبل تكوين نظارة بمعرفتك ؟ »

ولنتأمل جواب مصطفى كامل « ان وطنيتي تفرض على رفض كل مركز في الحكومة طالما ظل الاحتلال في البلاد » (١) .

وكذلك فريد . . يعرض عليه المحتلون الوزارة ملوحين له بضعف مركزه المالي وباستعدادهم لتسوية كل مشاكله المالية فيقول لسدويهم « ان ضياع ثروتي لا يؤثر في مبادئى واننى أرفض أى مركز في الحكومة مادام الانكليز في مصر » .

وعندما يلح عليه الرجل يصمم فريد معلنا « اننى ساصر على الرفض حتى مماتى » (٢) .

ولما حكم عليه بالسجن زاره في سجن الاستئناف الدكتور عثمان غالب مؤيدا من قبل الخديوى ليخبره أن الخديوى مستعد للعفو عنه اذا تقدم طلبا بذلك . . فرد عليه فريد « أنا لا اطلب العفو ولا أسمح لأحد من عائلتى بطلبه . . واذا صدر العفو فلن أقبله » (٣) .

وهكذا كان الحزب الوطنى - فى كثير من الاحيان - مدرسة للتطرف الوطنى الذى يجابه سياسة المهادنة والملاينة والضعف وموالة الانجليز . . لكن كل ذلك لم يتح للحزب ان يفقد جماهير الشعب . فقد كانت حماسته حماسة البرجوازية الصغيرة التى تترواح عاليا ثم سرعان ما تنطفىء . . الامر الذى لم يمكنه من ان يقدم الصياغة الفكرية الملائمة التى تعبر عن آمال الجماهير . . وأن يحشد هذه الجماهير بصورة فعالة دفاعا عن المبادئ التى صاغها .

ومنذ البداية كان مصطفى كامل يدعو الى انتهاز خطة معتدلة . . .

(١) أحمد رشاد - المرجع السابق - ص ٢٢٣ .

(٢) محمد على غريب - الثدائى الاول - ص ٧٤ .

(٣) أحمد بهاء الدين - المرجع السابق - ص ٧٨ .

والحقيقة أن ذعرة مصطفى للاعتدال كانت خطة متكاملة تعبر عن إيمان محدود بطاقات الجماهير وقدراتها ، وعن خوف شديد من حركتيها الواسعة ، وباختصار لقد كانت ظلال فشل ثورة عرابي تشوب فكره ومواقفه .

••• وعندما اتحدث عن الاعتدال فيأني أعني أن مصطفى كامل قد تعمد - عن وعي - الابتعاد عن الأساليب الثورية في الكفاح مكتفيا بالاعتماد على الكتابة والخطابة والتشهير بالاحتلال محليا وعالميا .
وحتى عندما التفت حوله جموع الإسكندرية لتمنحه دفعا أرسل إلى أهالي الإسكندرية رسالة شكر جاء فيها :

« وقد برهنتم في هذه المظاهرة المحدودة على أنكم ألد أعداء الديكتاتور عرابيهم بأفلامكم والسنتكم حتى تتبدد طغمتهم » (١)

وفي مرة ثانية وجه مصطفى كامل حديثه للجماهير قائلا :
« الغيرة التي تستعمل في غير موضعها تكون دوما أضرب من الليادة والخمول فلذا أنا ديكم مناداة محب لبلاده أن تنفوا باعتدالكم وسكونكم تهمة من يرمونكم بحب الهياج والاضطراب ، ومثل مصر مثل مريض قارب على الشفاء يتصح له الضبيب بزيادة التحفظ وعدم التعرض للمياه الباردة ينكسر بالعله فتعود عليه بويل أشد من ويلها الأول » (٢)

وفي عام ١٨٩٦ نشرت الخيدى الضخيف النمساوية حديثا لمصطفى كامل جاء فيه :
« ولما كانت الأمة المصرية مثقلة ولها حقوق الخلاص من النير الانجليزي فقرى للوصول إلى عرضها سبيلين : سبيل الثورة ، والسبيل السلمي »

فأما سبيل الثورة فتح لا نريده ، لاننا قبل كل شيء قوم مشهورون بالدعة وحب السكينة ونيفض المذابح والجرائم . ومن جهة أخرى فان لأوروبا عندنا مصالح تضرر بها الثورة لذلك اعرضنا عن سبيل الثورة الذي

(١) على فهمي - المرجع السابق - ص ٢٢٧ - (٢) أحمد رشاد - المرجع السابق - ص ٥

فكره بفطرتنا واخترتنا السبيل السلمى ، (١) .
ويبدى مصطفى بحثيكت آخر لواسل تيويورك هيرالد يقول فيه :

« لقد قمنا نلقت أنظار أوروبا لينا بالقلم واللسان ، ولسنا بغير
القلم واللسان نريد أن نخاطب أوروبا ونستفزها للنظر فى مصلحة
بلادنا .. » (٢) .

وثمة مواقف أخرى كثيرة تحمل نفس المضمون .. لكن أهم ما لفت نظري
موقف ذو أهمية خاصة فى اعتقادى .. فهو يعبر عن موقف مصطفى كامل
من قوة هامة فى المجتمع وهى ضباط الجيش .. فقد كان أخوه - على فهمى
كامل - ضابطا بالفرقة المصرية فى سواكن وعندما قدم مصطفى عريضته
الشهيرة الى البرلمان الفرنسى بلغ حماس ضباط الجيش المصرى فى سواكن
ذروته فكتبوا لمصطفى رسالة زاخرة بالشجاعة والوطنية والاقدام ..

« الى الشهم الغيور للوطنى المصرى مصطفى كامل أفندى أيدى الله ..
السلام عليكم .. ان الذين يخاطبونك يجدون أنفسهم أمام وطنيتك النادرة
وتفانيك فى حب مصر المقدسة صفارا ، لان قلمك الحق أمضى من سيفنا ،
وحججك القوية أفعل من رصاصنا فان قصرنا فى شىرك فلنا من عملنا أكبر
عذر وفى عفوك أعظم أمل .. »

اتنا نشكرك ايها السيد المجل شكر المصرى الصميم لأخيه الخميم
فانقبل شكرنا وأعلم ان ارواحنا طوع اشارتك فى خدمة بلادنا العزيزة ،
ثم ٣١ توقيعاً ..

فماذا كان رد مصطفى كامل ؟

« من الحكمة الا نمكن العدو من رقابنا .. وانى لا اود ان يدخل
الضباط فى جركتنا السياسية بخولا ظاهرا لان هذا يضر بالمسألة المصرية
ضررا بليفا حيث يجد الاحتلال مسوغا لخلق التهم الثورية بمصر ، وغير
ذلك مما لا يخفى عليكم .. » (٣) .

ولم تكن هذه هى الوثيقة الوحيدة الشجاعة لضباط الجيش من مصطفى
ودعوته بل لقد أعلنوا فى مرة أخرى استعدادهم للعمل رهن اشارته ..

-
- (١) على فهمى كامل - المرجع السابق - ص ٢٨٧ .
(٢) المرجع السابق - ص ٣٠٠ .
(٣) المرجع السابق - ص ٥٥١ .

ولنستمع الي على فهمي وهو يروى بنفسه قصة وثقة اخرى شجاعة لضباط الجيش بعد ان لقيت له تهمة باطلة وحكم عليه مجلس عسكري بتجريدته من رتبته وسجنه

وقد استقبلني الضباط المصريين متأثرين لما لقيت من هذا الظلم بل لقوني غاضبين صاخبين لما اصابني من اعداء وافتراء ورأيت منهم حركة هي التي كنت أنتظر ان اراها منهم . . . وتقدم الي احدهم وهو الشهم المحرم شفيق بك الحضري وقال : يا اخانا المظلوم . . . اننا نعتقد ان رئاسق الجيش المصري قد مثلت اليوم رواية من اشنع وافظع الروايات . . . انظلموا ضابطا مصرياً بريئاً وتحاملوا زوراً وعدواناً على رجل ذنبه انه اخو مصطفى كامل فهورنا فانا طوع اشارتك . . .

ظلم ينعني الا ان شكرت لهم عنايتهم بشائي واشرت عليهم فاستعمان الحكمة والروية حتى يقضى الله امراً كان مفعولاً (١)

كذلك فان الحزب كانت تمرقة خلافات فكرية عنيفة . . . فهناك اتجاه يمثله الشيخ عبد العزيز جاويش وهو ما يمكن تسميته باتجاه الجماعة الاسلامية وهو اتجاه يناهى بحق الامة المصرية في الحرية والديستور والجلالة في ظل وحدة العتائم الاسلامي ممثلا في الدولة العثمانية التي يتعين الحفاظ على وحدتها ومقاومة تمرقها فان في تمرقها ضياع الوطن كله . . . (٢)

والحقيقة ان اتجاه الشيخ جاويش الذي كان مسؤولاً لفتخرة من الوقت عن اهم اجهزة الحزب وهي جريدة اللواء قيد اوقع الحزب في حيرة شديدة . . . فاذا كانت الدعوة الاسلامية ترضى البعض فانها توقع المطالبين بالحرية والاستقلال والديمقراطية في حيرة . . . اذ كيف يمكن تحقيق كل ذلك في ظل الوحدة مع الدولة العثمانية وبكل ما تحمله سلطة هذه الدولة من جيروت وتسلط وقهر . . .

ويعلق في جمال احمدية على هذا الاتجاه قائلاً : انه قد اكسب الحزب بعض الجماهيرية التي مكنته في بعض الوقت من ان يملأ شوارع القساهرة . . .

(١) المرجع السابق - ص ٢٣٥ . . .
(٢) انور الجندي - عبد العزيز جاويش - ص ٨٢ . . .

بمظاهراتٍ صاخبةٍ. لكنه - وفي نفس الوقت - قد أفتقده تأييد عناصر كثيرة (١).

أما الاتجاه الآخر فهو اتجاها محمد فريد الذي قاوم آراء الشيخ جاويش قائلا ، ان حبه للدولة العثمانية أدى الى نسيان مصر ومصالحها ، فأصبحوا يقولون أن مصر للمسلمين لا للمصريين وقد وصلت الحالة بالشيخ جاويش الى أن ينصحني بعدم حمل الدبوس الذي عملناه في جنيف والكتوب عليه « مصر للمصريين » والذي قررنا أن يكون شعار المصريين المخلصين وقال أن منظره في صدرى وصدر أخوانى يغيظ العثمانيين كما يغيظهم محانفتى شئى قومية مصر (٢).

ويمضى محمد فريد متحدثا في مذكراته عن معارضته لآراء جاويش قائلا : « ان جاويش لم يزل يحارب فكرة الوطنية في الاسلام وقد قال أخيرا في برلين لأحمد بك ان يطلع عن فكرة الوطنية او الجنسية المصرية قائلا انه لا وطنية في الاسلام » (٣).

ولم يكن هذا المظهر السلبي الوحيد في الحزب ... لكن سياسة عدم التعاون مع الاحتلال تطرقت الى شعار يمنع الوطنيين من قبول الوظيفة في ظل الاحتلال . ولم يبق أمام الكثيرين من متقضى الحزب سوى الهجرة الى الخارج .

ثم ارتكب قادة الحزب الخطأ القاتل فهاجروا هم أيضا تاركين شعبا أحبهم وأعجب بهم ، والتف حولهم ، ومنحهم من التأييد ما لم يمنحه لحزب سياسى آخر .

وفي البداية هاجر جاويش وبعدها بشهر واحد تبعه فريد . ثم الكثيرون عبد الملك حمزة ، اسماعيل كامل ، عوض البحراوى ، الدكتور أحمد طاهر وعشرات غيرهم .

وعكذا. وبالتدرج انتقل مركز الكفاح من وسط الجماهير ، من مدارس الشعب الليبية وجمعيات التعاون ونادى طلبة المدارس العليا ونقابة الصنائع النخبوية وشوارع القاهرة وغيرها من المدن ، الى الابستانية ودول أوروبا وكان طبيعيا أن تتبعثر جهودهم وأن تسودهم وهم في المنفى وفي عزلة عن العمل اليومي المنظم وبسط جماهير الشعب روح الفرقة والخلافات الشخصية والمؤامرات والمناورات الصغيرة.

(١) جمال أحمد - المرجع السابق - ص ٨٧

(٢) صبيح - المرجع السابق - ص ٧٨٩

(٣) صبيح - المرجع السابق - ص ٣١٨

والحقيقة اننى فكرت في هذه الهجرة الجماعية التي اندفع اليها هؤلاء
القادة وأكثر ما حيرنى هي هجرة فريد وهو زعيم واع ومخلص يترك كل شيء
هرباً من قضية حكم عليه فيها « بالحبس لمدة سنة » . . .

وأياً كانت الدوافع ، وأياً كانت المبررات فهي في اعتقادى خطأ فادح
تهدم كيان الحزب وأتقدمه قدرته على التأثير في الجموع التي كانت تغلظ
عضياً . . .

وكان طبيعياً أن تتجدد قوى هذا الحزب بعد أن تركها القادة مبتعدين
بأنفسهم عن بطش سلطات الاحتلال . . . وكان طبيعياً أن يرسم المختلون
سياسة تهيف إلى البعاد ، القيادة إلى الخارج وضرب القاعدة في الداخل . . .

وتقوالت الأحداث سريعاً وفي أغسطس ١٩١٥ تنشر الامور خطاباً
مفتوحاً من محمود بك فهمى سكرتير الحزب يعلن تبرأه من الحزب . . .

كذلك تنعكس هذه الأحداث على تفكير محمد فريد وهو في عزلة القاسية
بعيداً عن شعبه وعن وطنه وعن جماهيره . . . وبعد أن شهد كيان حزبه وهو
يتهم ، فيكتب في مذكراته معبراً عن يأس لا حدود له « اتضح لى من كثرة
اتصالاتى ومساعى انه لا أمل من جهة في قيام الجامعة الإسلامية باسم الدين ،
ومن جهة لا أمل في ان المانيا تساعدنا ضد الترك لانهم محتاجون اليهم لا يريدون
أن يفضيهم في شيء . . . ونحن في مثل هذه الظروف نفضل بقاء الانجليز والاتفاق
معهم على أخذ الدستور ولو تدرجياً » (١) .

وكان طبيعياً بعد كل ذلك أن تجزى أحداث ثورة ١٩١٩ بعيداً عن الحزب
وحتى بعيداً عن خيالات قادته . . . وكان طبيعياً أن يكتب فريد في مذكراته
معلقاً على أحداث هذه الثورة فيقول « من الامور التي كانت غير منتظرة ،
ما حصل بمصر في شهرى مارس وابريل من هذه السنة وهو قيام ثورة عامة
اشتركت فيها الأمة بجميع طبقاتها واتخذ فيها الاقباط والمسلمون مطالبين
بتاسقلال مصر التام . . . » .

وهكذا . . . ورويدا وريداً ادركت الجماهير ان آمالها ليست جيبسة ارادة
ولا شعارات المثقفين ولا الفئات الوسطى وان ثمة قوة أخرى أكثر قدرة على
الصدام وأكثر قدرة على الصمود وأكثر قدرة على المجابهة . . .

(١) صبيح - المرجع السابق - ص ٣٦٨ -

الحركة وسط الفلاحين

والحقيقة ان ثمة طبقات اخرى كان الفقر يطحنها ، وكانت ظروفها الاجتماعية والاقتصادية تدفعها الى التمرد ، والى تبني شعارات ثورية حقا . . .

وكانت هذه الشعارات وتلك المواقف اكثر مما يمكن أن يحتمله حزب البرجوازية الوسطى أو الصغيرة . . .

ولنبدا بالفلاحين هؤلاء الناس الذين قال كرومر انهم اكثر من استمتعوا بنعم الاحتلال . . . لقد رأينا في البداية كيف استحوذ كبار الملاك على كل شبر يستصلح من الارض فارتفعت بذلك ارقام الملكيات الكبيرة ومساحتها بصورة مخيفة . . . ولم يبق شيء للفلاحين الصغار سوى مساحات ضيقة من الارض ترهقها ديون متراكمة وضرائب تتزايد كل يوم ومحصول ضعيف ورجال يخذطون للعمل في السلطة . . .

والحقيقة ان الحالة التي عاشها الريف المصري في مطلع القرن العشرين بحاجة الى مزيد من التامل والدراسة . . . فيدون دراستها دراسة تفصيلية لن يمكننا أن نفهم حقيقة الدوافع التي كمننت وراء العنف المسلح الذي انفجر فجأة عام ١٩١٩ . . .

وإذا كان صعبا أن نورد هنا دراسة تفصيلية لهذه المسألة ، فإننا سنحاول أن نقدم بعض الملاحظات السريعة . . .

ولنبدا بهذه الصورة التي أوردتها مراسل الاهرام في مطوبس . . .
« كان هبوط الائتمان الذي أصاب الزراعة في هذه السنة أنكى الضربات التي نزلت عليهم ، وقد أصاب هذا الهبوط محصول الارز مع وفرة نفقاته وقد ساءت حالتهم كثيرا بكيفية تسليم الارز للدائنين ، فانهم لا يقبلون أخذه الا بزيادة نحو الخمس على كل أردب ، والزراع لا يسعهم الا التمسيم على كل حال . لانه لا توجد جهة لتوريد هذا الصنف غير ثغر رشيد ، ثم يرجع الزارع لبلده خائبا حزينا فيعامله الحاكم بقسوة وصرامة في طلب الاموال الاميرية وهو لا يستطيع وفاءها اذ لا شيء لديه لقوته وقوت عياله » (١) . . .

(١) الاهرام - ٢٢/١٢/١٨٩٢

وإذا وصل الامر بالفلاح الى هذا الحد ، فإنه لا يجد أمامه سوى أن يستدين ، أو أن يبيع محصوله الشتوي قبل أن ينضج ، ويستغل السماسرة والتجار (ومعظمهم من الأجانب) حاجة الفلاح اللحة الى المال ليشتروا منه محصوله للشتوي بأبخس الأثمان . . . وسرعان ما يقبل الخريف ويحتاج الفلاح الى زراعة المحاصيل الشتوية فيضطر الى أن يشتري من التجار ما يباعه لهم بالاملش . . . لكنه يشتريه بسعر أعلى بكثير . . .

ويؤكد أحد الاقتصاديين الأجانب أن الفلاحين كانوا يخسرون في فروق الأسعار هذه مبلغا يصل الى مليون جنيه سنويا عندما يشترون في أكتوبر . . . ما يباعه في مايو (١) .

أما الطريقة الثانية فهي أن يستدين مبلغا بالزبا . . . وفوائد الربا خيالية ٥٪ شهريا ، أي ٦٠٪ سنويا . . . وإذا لم يرد أن يلجأ للمرابي فأمامه الاستدانة من بنوك الرهن العيارية ، التي اتسعت أعمالها كثيرا في هذه الأيام . . .

والحقيقة أن نظام المحاكم المختلطة قد شجع كثيرا على انتشار زهن الأرض ، فبقي من ناحية أتاحت للفلاح أن يقدم أطيانه كضمان قانوني للدين . . . ومن ناحية أخرى أتاحت للدائنين الأجانب سهولة بالغة وحقوقا واسعة في بيع الأطيان المرتهنة .

وتتراكم الديون بصورة مخيفة يوضحها الجدول التالي (٢) :

عدد الملاك المدنيين	جملة الأرض المدنية بالفدان	جملة الدين على مالكي الخصسة أفندة فأقل	جملة الدين على كل فدان قرشا جنيها
٦١٩٨١	٥١٩٢١٤	١٦٧٩٩٠٠٠٠	٢٥٠٨٧

وكان طبيعيا أن يعجز الفلاح عن السداد ، وتبلغ متأخرات الفلاحين لدى البنك الزراعي وحده ٤١٦٨٨٧ جنيها في يناير ١٩١٠ ، وييسأثر هذا البنك وحده لاجراءات التقاضي لنزع ملكية الأرض من ٢٥٤٤ مدينا (٣) .

لكن الامر لم يقف عند هذا الحد ، فهناك نكبات أخرى . . .

فمواشي الفلاح يحصدها الطاعون البقري بصورة لم يسبق لها مثيل ، وكان مذبذب الخسائر في المواشي من هذا المرض ١٠٠ رأس في الاسبوع ، وقد بلغت الخسائر في عشر سنوات (١٩٠٧ - ١٩١٧) ٤٠٠٠٠ رأس قيمتها

(١) عبد الرحمن الرافعي - نقابات التعاون الزراعية - ص ١٧٦

(٢) ككتشنر - التقرير السنوي لعام ١٩١٢ - ص ٢٥

(٣) ككتشنر - تقرير عام ١٩١٠ - ص ١٠٠

كذلك تلاحق جودة القطن المحصول الرئيسي للبلاد. وتتلف في عام ١٩٠٤ ما قيمته مليون جنيه ، وافترق لذلك عدد كبير من صغار الفلاحين وهلكوا هم وأسراهم جوعا ، وانقابت الفلاحين مثل هذه النائبة في عامي ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ ، فقد قيل أنهم خسروا في العامين المذكورين ٨ مليون جنيه .

بل ان الكارثة نكمن في الهبوط المستمر في انتاج الفدان ، فقد دلت الاحصائيات الرسمية على ان متوسط محصول الفدان من القطن في عام ١٩٠٦ كان خمسة قناطر وكسور ، ثم هبط في ١٩٠٢ الى ٤ر٥٨ ثم هبط مرة اخرى في ١٩٠٤ الى ٤ر٣٩ ، ثم استمر الانخفاض فيلغ في سنة ١٩٠٥ الى ٣ر٠٨ وفي سنة ١٩٠٦ هبط الى ثلاثة قناطر فقط ، (٢) .

لكن كل هذه الكوارث كانت تهون الى جانب الكارثة الكبرى : **السلطة العسكرية** .

حيث ساق المحتلون مليوني من الفلاحين والعمال المصريين ليعملوا تحت سوط الارهاب في خدمة جيوش المحتلين في سيناء وفلسطين وسوريا وأماكن أخرى كثيرة .

والحقيقة ان قصة هؤلاء الرجال الذين ذهبوا بأعداد غفيرة ، وعاد منهم القليلون ، تستحق من ايضا مزيدا من الدراسات التاريخية والفنية والدرامية .

ولست أريد ان اطيل هنا ، لكنني ساكتفي بوصف أوردته جريدة انجليزية لعملية السخرة هذه ، فقالت : وضع نظام للتطوع ظهر عدم كفايته فصدرت الاوامر بأخذ العمال من الحقول بالاكراه ، والطريقة هي ان يدخل رجال الحكومة القرية وينتظرون رجوع الفلاحين الى منازلهم في الغروب فيحيطوا بهم وينفقوا خيبرم للخدمة ، فاذا رفض أحدهم هذا التطوع الاجباري جلد حتى الاقرار بالتقبل ، وعلى هذا النحو ساقوا صبيانا من سن اربعة عشر عاما وشيوخا في السبعين . وكانت الجموع المريضة الذهكة تلساق لتأدية الاعمال الحربية والكرياج كقبيل بتسخيرهم من غير حساب . واصيب المرضي كانوا يخافون ان يختلط الامر فينقلوا خطا من طابور المحتاجين للعلاج الى طابور الحكوم عليهم بالجد . . (٣) .

(١) عزيز خانكي - شئون مصرية - ص ٣٤ ، ٣٥

(٢) روثشتين - المرجع السابق - ص ٤٥٦ .

(٣) أحمد بهاء الدين - المرجع السابق - ٨٩ .

والآن ماذا بقى للفلاح سوى أن يتمرد . . .

١٩١٤ هذا الفلاح الذي تخاض عشرات الهبات المسلحة ، والذي أثبتت دوماً أن أحماسه الطبقى أكثر حدة مما يتصور الكثيرون ، والذي سارع ليحتضن الثورة العراقية ويحولها إلى ثورة فلاحية يقوم رجالها بتوزيع أرض كسار الملاك . . .

سعد هذا الفلاح لم يكن يمكن أن تقوده شعارات معتدلة ولا الأساليب غير-ثورية . . . ربما كانت تنفضه القدرة على المبادرة ، لكنه ما أن اشتعلت أحداث الثورة حتى مارس العنف الثوري إلى أقصى مداً ، وإلى النخبة الذي أرعج قادة الوفد أنفسهم وجعلهم يصدرون بياناً يقول : " أن الاعتداء على النفس أو على الاملاك محرم بالشرائع الالهية والقوانين الوضعية " . . . وأن تطيح طرق المواصلا يضر أهل البلاد ضرراً واضحاً ، إذ يحول بينهم وبين مباشرة مصالحهم ويوقف حركة نقل المحاصيل والأرزاق . . . ومثل هذا العمل يضيع على المصريين ما ينتظرونه من عطف عليهم " (١)

وكان طبيعياً أن ينزعج قادة الوفد من حركة الفلاحين هذه . . . فالحقيقة أن الثورة قد تحولت على أيدي الفلاحين البسطاء من مجرد حركة وطنية إلى معركة طبقية يقف فيها الفلاحون المسلحون ضد الاحتلال وضد كبار الملاك . . . وفي كثير من الاماكن التي أعلنت التمرد المسلح كان السلاح يوجه ضده

الانكليز والاعنياء معا . . . ويجاول فكري أباطة - وهو من رجال الحزب الوطني - أن يصفب أحداثاً شاذة في مدينة أسيوط ، فيقول : " ويزحف البؤساء المنزل زحف الأسود الكاسرة على مستودعات الذخيرة الحدية وعلى سلاح البوليس فيتخاطفونه تخاطفاً ، ويقتلدونه فارغاً ومملوءاً " . . . ويتكون في ملح البصر جيش الثورة بين أصحاب الجلابيب (٢)

ويرتعد الأجانب ويرتعد معهم كبار الملاك . . . فالفلاحون المسلحون شيء مخيف حقا . . . فالبيوت الكبيرة أوصتت أبوابها وأوقفت حولها الحراس خوفاً من الثورة . . . الثورة ضد الانكليز ، والثورة ضد الثروة . . . نعم كانت هناك حقا ثورة ضد الانكليز يقودها بعض المتورين . . . وثورة ضد الثروة يقودها

(١) صديح - المرجع السابق - ص ٣٩٢ . . .
(٢) فكري أباطة - الضاحك الياسي - ص ٤٤٣ . . .

الإشراق الفقراء ، ٤٥

لكن ثورة الفقراء ضد من ؟

كانت صفائح البنزين تكوم على مجاذاة جدار القصر - قصر محمد محمود باشا أحد قادة الوفد النقيين الى مالطة - ويوشك الثائرون أن يشعلوها ببيدات الكبريت .

وقلت لهم : هذا قصر محمد محمود . ولأجل حريقه وحرية بلاده شرتم .

وقال وحش من الوحوش : أسكت . هل وزع محمد محمود أرغفة العيش على الجامعين ؟ نحن طلاب قوت .

وكانت صدمة لي . . . خلط عجيب بين طلاب الاستقلال وطلاب القوت . . . وخلط غريب بين الكفاح الوطني والاشتراكية الساذجة ، (١) .

ولقد تعمقت أن أروى القصة كاملة ، ليس فقط لأوضح الأساس الطبقي لحركة الفلاحين . . . وإنما أيضا لكي أوضح مدى عزلة ونفور رجال الحزب الوطني من هذه الحركة الطبقيية .

وثمة رواية أخرى يرويها واحد من رجال الحزب الوطني أيضا ، هو عبد الرحمن الرافعي .

وكان يعود أثناء الثورة من القاهرة الى بلدته في قارب بالنيل ، بعد أن قطعت خطوط المواصلات . . . ويصف حالة القرى التي مر القارب بجوارها ، فيقول : شامدنا معالم الثورة ، فكنا نسمع نداءات : لتحيى مصر . . . ليحيى الاستقلال . . . لتحيى الثورة . . . واسترعى سفعى بوجه خاص نداء كنت أسمعه بين حين وآخر (ليحيى العدل) . وقد تسالطت أولا عما يقصد من هذا النداء ؟ وهل ظنونا قضاة جئنا بينهم بالعدل ؟ . ثم أدركت شعورهم الحقيقي وأنهم لا يطلبون العدل لانفسهم بل يطلبونه لصر . . . ، (٢) .

ولقد كانت الثورة عنيفة أكثر مما يتصور الكثيرون ، وأكثر بكثير مما صور المؤرخون ، فلقد قتم الفلاحون ثلاثة آلاف شهيد (وفقا لإحصاء الرافعي) .

وإن كان هارموت وكيل الخارجية البريطانية قد قال في بيان له أمام مجلس العموم أنهم ١٠٠٠ قتيل فقط و ١٦٠٠ جريح و ٣٧٠٠ سجين أعدم

(١) المرجع السابق - ص ٤٥

(٢) : الرافعي - مذكراتي - ص ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧ - ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧ - ١٤٠٨ - ١٤٠٩ - ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢ - ١٤١٣ - ١٤١٤ - ١٤١٥ - ١٤١٦ - ١٤١٧ - ١٤١٨ - ١٤١٩ - ١٤٢٠ - ١٤٢١ - ١٤٢٢ - ١٤٢٣ - ١٤٢٤ - ١٤٢٥ - ١٤٢٦ - ١٤٢٧ - ١٤٢٨ - ١٤٢٩ - ١٤٣٠ - ١٤٣١ - ١٤٣٢ - ١٤٣٣ - ١٤٣٤ - ١٤٣٥ - ١٤٣٦ - ١٤٣٧ - ١٤٣٨ - ١٤٣٩ - ١٤٤٠ - ١٤٤١ - ١٤٤٢ - ١٤٤٣ - ١٤٤٤ - ١٤٤٥ - ١٤٤٦ - ١٤٤٧ - ١٤٤٨ - ١٤٤٩ - ١٤٥٠ - ١٤٥١ - ١٤٥٢ - ١٤٥٣ - ١٤٥٤ - ١٤٥٥ - ١٤٥٦ - ١٤٥٧ - ١٤٥٨ - ١٤٥٩ - ١٤٦٠ - ١٤٦١ - ١٤٦٢ - ١٤٦٣ - ١٤٦٤ - ١٤٦٥ - ١٤٦٦ - ١٤٦٧ - ١٤٦٨ - ١٤٦٩ - ١٤٧٠ - ١٤٧١ - ١٤٧٢ - ١٤٧٣ - ١٤٧٤ - ١٤٧٥ - ١٤٧٦ - ١٤٧٧ - ١٤٧٨ - ١٤٧٩ - ١٤٨٠ - ١٤٨١ - ١٤٨٢ - ١٤٨٣ - ١٤٨٤ - ١٤٨٥ - ١٤٨٦ - ١٤٨٧ - ١٤٨٨ - ١٤٨٩ - ١٤٩٠ - ١٤٩١ - ١٤٩٢ - ١٤٩٣ - ١٤٩٤ - ١٤٩٥ - ١٤٩٦ - ١٤٩٧ - ١٤٩٨ - ١٤٩٩ - ١٥٠٠ - ١٥٠١ - ١٥٠٢ - ١٥٠٣ - ١٥٠٤ - ١٥٠٥ - ١٥٠٦ - ١٥٠٧ - ١٥٠٨ - ١٥٠٩ - ١٥١٠ - ١٥١١ - ١٥١٢ - ١٥١٣ - ١٥١٤ - ١٥١٥ - ١٥١٦ - ١٥١٧ - ١٥١٨ - ١٥١٩ - ١٥٢٠ - ١٥٢١ - ١٥٢٢ - ١٥٢٣ - ١٥٢٤ - ١٥٢٥ - ١٥٢٦ - ١٥٢٧ - ١٥٢٨ - ١٥٢٩ - ١٥٣٠ - ١٥٣١ - ١٥٣٢ - ١٥٣٣ - ١٥٣٤ - ١٥٣٥ - ١٥٣٦ - ١٥٣٧ - ١٥٣٨ - ١٥٣٩ - ١٥٤٠ - ١٥٤١ - ١٥٤٢ - ١٥٤٣ - ١٥٤٤ - ١٥٤٥ - ١٥٤٦ - ١٥٤٧ - ١٥٤٨ - ١٥٤٩ - ١٥٥٠ - ١٥٥١ - ١٥٥٢ - ١٥٥٣ - ١٥٥٤ - ١٥٥٥ - ١٥٥٦ - ١٥٥٧ - ١٥٥٨ - ١٥٥٩ - ١٥٦٠ - ١٥٦١ - ١٥٦٢ - ١٥٦٣ - ١٥٦٤ - ١٥٦٥ - ١٥٦٦ - ١٥٦٧ - ١٥٦٨ - ١٥٦٩ - ١٥٧٠ - ١٥٧١ - ١٥٧٢ - ١٥٧٣ - ١٥٧٤ - ١٥٧٥ - ١٥٧٦ - ١٥٧٧ - ١٥٧٨ - ١٥٧٩ - ١٥٨٠ - ١٥٨١ - ١٥٨٢ - ١٥٨٣ - ١٥٨٤ - ١٥٨٥ - ١٥٨٦ - ١٥٨٧ - ١٥٨٨ - ١٥٨٩ - ١٥٩٠ - ١٥٩١ - ١٥٩٢ - ١٥٩٣ - ١٥٩٤ - ١٥٩٥ - ١٥٩٦ - ١٥٩٧ - ١٥٩٨ - ١٥٩٩ - ١٦٠٠ - ١٦٠١ - ١٦٠٢ - ١٦٠٣ - ١٦٠٤ - ١٦٠٥ - ١٦٠٦ - ١٦٠٧ - ١٦٠٨ - ١٦٠٩ - ١٦١٠ - ١٦١١ - ١٦١٢ - ١٦١٣ - ١٦١٤ - ١٦١٥ - ١٦١٦ - ١٦١٧ - ١٦١٨ - ١٦١٩ - ١٦٢٠ - ١٦٢١ - ١٦٢٢ - ١٦٢٣ - ١٦٢٤ - ١٦٢٥ - ١٦٢٦ - ١٦٢٧ - ١٦٢٨ - ١٦٢٩ - ١٦٣٠ - ١٦٣١ - ١٦٣٢ - ١٦٣٣ - ١٦٣٤ - ١٦٣٥ - ١٦٣٦ - ١٦٣٧ - ١٦٣٨ - ١٦٣٩ - ١٦٤٠ - ١٦٤١ - ١٦٤٢ - ١٦٤٣ - ١٦٤٤ - ١٦٤٥ - ١٦٤٦ - ١٦٤٧ - ١٦٤٨ - ١٦٤٩ - ١٦٥٠ - ١٦٥١ - ١٦٥٢ - ١٦٥٣ - ١٦٥٤ - ١٦٥٥ - ١٦٥٦ - ١٦٥٧ - ١٦٥٨ - ١٦٥٩ - ١٦٦٠ - ١٦٦١ - ١٦٦٢ - ١٦٦٣ - ١٦٦٤ - ١٦٦٥ - ١٦٦٦ - ١٦٦٧ - ١٦٦٨ - ١٦٦٩ - ١٦٧٠ - ١٦٧١ - ١٦٧٢ - ١٦٧٣ - ١٦٧٤ - ١٦٧٥ - ١٦٧٦ - ١٦٧٧ - ١٦٧٨ - ١٦٧٩ - ١٦٨٠ - ١٦٨١ - ١٦٨٢ - ١٦٨٣ - ١٦٨٤ - ١٦٨٥ - ١٦٨٦ - ١٦٨٧ - ١٦٨٨ - ١٦٨٩ - ١٦٩٠ - ١٦٩١ - ١٦٩٢ - ١٦٩٣ - ١٦٩٤ - ١٦٩٥ - ١٦٩٦ - ١٦٩٧ - ١٦٩٨ - ١٦٩٩ - ١٧٠٠ - ١٧٠١ - ١٧٠٢ - ١٧٠٣ - ١٧٠٤ - ١٧٠٥ - ١٧٠٦ - ١٧٠٧ - ١٧٠٨ - ١٧٠٩ - ١٧١٠ - ١٧١١ - ١٧١٢ - ١٧١٣ - ١٧١٤ - ١٧١٥ - ١٧١٦ - ١٧١٧ - ١٧١٨ - ١٧١٩ - ١٧٢٠ - ١٧٢١ - ١٧٢٢ - ١٧٢٣ - ١٧٢٤ - ١٧٢٥ - ١٧٢٦ - ١٧٢٧ - ١٧٢٨ - ١٧٢٩ - ١٧٣٠ - ١٧٣١ - ١٧٣٢ - ١٧٣٣ - ١٧٣٤ - ١٧٣٥ - ١٧٣٦ - ١٧٣٧ - ١٧٣٨ - ١٧٣٩ - ١٧٤٠ - ١٧٤١ - ١٧٤٢ - ١٧٤٣ - ١٧٤٤ - ١٧٤٥ - ١٧٤٦ - ١٧٤٧ - ١٧٤٨ - ١٧٤٩ - ١٧٥٠ - ١٧٥١ - ١٧٥٢ - ١٧٥٣ - ١٧٥٤ - ١٧٥٥ - ١٧٥٦ - ١٧٥٧ - ١٧٥٨ - ١٧٥٩ - ١٧٦٠ - ١٧٦١ - ١٧٦٢ - ١٧٦٣ - ١٧٦٤ - ١٧٦٥ - ١٧٦٦ - ١٧٦٧ - ١٧٦٨ - ١٧٦٩ - ١٧٧٠ - ١٧٧١ - ١٧٧٢ - ١٧٧٣ - ١٧٧٤ - ١٧٧٥ - ١٧٧٦ - ١٧٧٧ - ١٧٧٨ - ١٧٧٩ - ١٧٨٠ - ١٧٨١ - ١٧٨٢ - ١٧٨٣ - ١٧٨٤ - ١٧٨٥ - ١٧٨٦ - ١٧٨٧ - ١٧٨٨ - ١٧٨٩ - ١٧٩٠ - ١٧٩١ - ١٧٩٢ - ١٧٩٣ - ١٧٩٤ - ١٧٩٥ - ١٧٩٦ - ١٧٩٧ - ١٧٩٨ - ١٧٩٩ - ١٨٠٠ - ١٨٠١ - ١٨٠٢ - ١٨٠٣ - ١٨٠٤ - ١٨٠٥ - ١٨٠٦ - ١٨٠٧ - ١٨٠٨ - ١٨٠٩ - ١٨١٠ - ١٨١١ - ١٨١٢ - ١٨١٣ - ١٨١٤ - ١٨١٥ - ١٨١٦ - ١٨١٧ - ١٨١٨ - ١٨١٩ - ١٨٢٠ - ١٨٢١ - ١٨٢٢ - ١٨٢٣ - ١٨٢٤ - ١٨٢٥ - ١٨٢٦ - ١٨٢٧ - ١٨٢٨ - ١٨٢٩ - ١٨٣٠ - ١٨٣١ - ١٨٣٢ - ١٨٣٣ - ١٨٣٤ - ١٨٣٥ - ١٨٣٦ - ١٨٣٧ - ١٨٣٨ - ١٨٣٩ - ١٨٤٠ - ١٨٤١ - ١٨٤٢ - ١٨٤٣ - ١٨٤٤ - ١٨٤٥ - ١٨٤٦ - ١٨٤٧ - ١٨٤٨ - ١٨٤٩ - ١٨٥٠ - ١٨٥١ - ١٨٥٢ - ١٨٥٣ - ١٨٥٤ - ١٨٥٥ - ١٨٥٦ - ١٨٥٧ - ١٨٥٨ - ١٨٥٩ - ١٨٦٠ - ١٨٦١ - ١٨٦٢ - ١٨٦٣ - ١٨٦٤ - ١٨٦٥ - ١٨٦٦ - ١٨٦٧ - ١٨٦٨ - ١٨٦٩ - ١٨٧٠ - ١٨٧١ - ١٨٧٢ - ١٨٧٣ - ١٨٧٤ - ١٨٧٥ - ١٨٧٦ - ١٨٧٧ - ١٨٧٨ - ١٨٧٩ - ١٨٨٠ - ١٨٨١ - ١٨٨٢ - ١٨٨٣ - ١٨٨٤ - ١٨٨٥ - ١٨٨٦ - ١٨٨٧ - ١٨٨٨ - ١٨٨٩ - ١٨٩٠ - ١٨٩١ - ١٨٩٢ - ١٨٩٣ - ١٨٩٤ - ١٨٩٥ - ١٨٩٦ - ١٨٩٧ - ١٨٩٨ - ١٨٩٩ - ١٩٠٠ - ١٩٠١ - ١٩٠٢ - ١٩٠٣ - ١٩٠٤ - ١٩٠٥ - ١٩٠٦ - ١٩٠٧ - ١٩٠٨ - ١٩٠٩ - ١٩١٠ - ١٩١١ - ١٩١٢ - ١٩١٣ - ١٩١٤ - ١٩١٥ - ١٩١٦ - ١٩١٧ - ١٩١٨ - ١٩١٩ - ١٩٢٠ - ١٩٢١ - ١٩٢٢ - ١٩٢٣ - ١٩٢٤ - ١٩٢٥ - ١٩٢٦ - ١٩٢٧ - ١٩٢٨ - ١٩٢٩ - ١٩٣٠ - ١٩٣١ - ١٩٣٢ - ١٩٣٣ - ١٩٣٤ - ١٩٣٥ - ١٩٣٦ - ١٩٣٧ - ١٩٣٨ - ١٩٣٩ - ١٩٤٠ - ١٩٤١ - ١٩٤٢ - ١٩٤٣ - ١٩٤٤ - ١٩٤٥ - ١٩٤٦ - ١٩٤٧ - ١٩٤٨ - ١٩٤٩ - ١٩٥٠ - ١٩٥١ - ١٩٥٢ - ١٩٥٣ - ١٩٥٤ - ١٩٥٥ - ١٩٥٦ - ١٩٥٧ - ١٩٥٨ - ١٩٥٩ - ١٩٦٠ - ١٩٦١ - ١٩٦٢ - ١٩٦٣ - ١٩٦٤ - ١٩٦٥ - ١٩٦٦ - ١٩٦٧ - ١٩٦٨ - ١٩٦٩ - ١٩٧٠ - ١٩٧١ - ١٩٧٢ - ١٩٧٣ - ١٩٧٤ - ١٩٧٥ - ١٩٧٦ - ١٩٧٧ - ١٩٧٨ - ١٩٧٩ - ١٩٨٠ - ١٩٨١ - ١٩٨٢ - ١٩٨٣ - ١٩٨٤ - ١٩٨٥ - ١٩٨٦ - ١٩٨٧ - ١٩٨٨ - ١٩٨٩ - ١٩٩٠ - ١٩٩١ - ١٩٩٢ - ١٩٩٣ - ١٩٩٤ - ١٩٩٥ - ١٩٩٦ - ١٩٩٧ - ١٩٩٨ - ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ - ٢٠٠١ - ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ - ٢٠١٠ - ٢٠١١ - ٢٠١٢ - ٢٠١٣ - ٢٠١٤ - ٢٠١٥ - ٢٠١٦ - ٢٠١٧ - ٢٠١٨ - ٢٠١٩ - ٢٠٢٠ - ٢٠٢١ - ٢٠٢٢ - ٢٠٢٣ - ٢٠٢٤ - ٢٠٢٥ - ٢٠٢٦ - ٢٠٢٧ - ٢٠٢٨ - ٢٠٢٩ - ٢٠٣٠ - ٢٠٣١ - ٢٠٣٢ - ٢٠٣٣ - ٢٠٣٤ - ٢٠٣٥ - ٢٠٣٦ - ٢٠٣٧ - ٢٠٣٨ - ٢٠٣٩ - ٢٠٤٠ - ٢٠٤١ - ٢٠٤٢ - ٢٠٤٣ - ٢٠٤٤ - ٢٠٤٥ - ٢٠٤٦ - ٢٠٤٧ - ٢٠٤٨ - ٢٠٤٩ - ٢٠٥٠ - ٢٠٥١ - ٢٠٥٢ - ٢٠٥٣ - ٢٠٥٤ - ٢٠٥٥ - ٢٠٥٦ - ٢٠٥٧ - ٢٠٥٨ - ٢٠٥٩ - ٢٠٦٠ - ٢٠٦١ - ٢٠٦٢ - ٢٠٦٣ - ٢٠٦٤ - ٢٠٦٥ - ٢٠٦٦ - ٢٠٦٧ - ٢٠٦٨ - ٢٠٦٩ - ٢٠٧٠ - ٢٠٧١ - ٢٠٧٢ - ٢٠٧٣ - ٢٠٧٤ - ٢٠٧٥ - ٢٠٧٦ - ٢٠٧٧ - ٢٠٧٨ - ٢٠٧٩ - ٢٠٨٠ - ٢٠٨١ - ٢٠٨٢ - ٢٠٨٣ - ٢٠٨٤ - ٢٠٨٥ - ٢٠٨٦ - ٢٠٨٧ - ٢٠٨٨ - ٢٠٨٩ - ٢٠٩٠ - ٢٠٩١ - ٢٠٩٢ - ٢٠٩٣ - ٢٠٩٤ - ٢٠٩٥ - ٢٠٩٦ - ٢٠٩٧ - ٢٠٩٨ - ٢٠٩٩ - ٢١٠٠ - ٢١٠١ - ٢١٠٢ - ٢١٠٣ - ٢١٠٤ - ٢١٠٥ - ٢١٠٦ - ٢١٠٧ - ٢١٠٨ - ٢١٠٩ - ٢١١٠ - ٢١١١ - ٢١١٢ - ٢١١٣ - ٢١١٤ - ٢١١٥ - ٢١١٦ - ٢١١٧ - ٢١١٨ - ٢١١٩ - ٢١٢٠ - ٢١٢١ - ٢١٢٢ - ٢١٢٣ - ٢١٢٤ - ٢١٢٥ - ٢١٢٦ - ٢١٢٧ - ٢١٢٨ - ٢١٢٩ - ٢١٣٠ - ٢١٣١ - ٢١٣٢ - ٢١٣٣ - ٢١٣٤ - ٢١٣٥ - ٢١٣٦ - ٢١٣٧ - ٢١٣٨ - ٢١٣٩ - ٢١٤٠ - ٢١٤١ - ٢١٤٢ - ٢١٤٣ - ٢١٤٤ - ٢١٤٥ - ٢١٤٦ - ٢١٤٧ - ٢١٤٨ - ٢١٤٩ - ٢١٥٠ - ٢١٥١ - ٢١٥٢ - ٢١٥٣ - ٢١٥٤ - ٢١٥٥ - ٢١٥٦ - ٢١٥٧ - ٢١٥٨ - ٢١٥٩ - ٢١٦٠ - ٢١٦١ - ٢١٦٢ - ٢١٦٣ - ٢١٦٤ - ٢١٦٥ - ٢١٦٦ - ٢١٦٧ - ٢١٦٨ - ٢١٦٩ - ٢١٧٠ - ٢١٧١ - ٢١٧٢ - ٢١٧٣ - ٢١٧٤ - ٢١٧٥ - ٢١٧٦ - ٢

وَزِعوه على الجنود الأستراليين يقول لهم ، أيها الجنود .. انكم مثلنا ..
واننا نشور على الإنكليز لا عليكم إنتم ، اننا نشور من أجل الخبز والحرية
والاستقلال ، (١) .

.. الخبز والحرية والاستقلال .. انه شعار يختلف تماما عن شعار
المطالبة باستقلال مصر بالوسائل المشروعة ، الذي رفعه الوفد .. يختلف
في المحتوى الطبقي ، وفي الاسلوب .. وفي كل شيء .

وهكذا كان الفلاحون يتحركون في الظاهر تحت قيادة الوفد . لكنهم
في الواقع كانوا يمارسون ثورتهم صم التي طالما حلموا بها .. الامر الذي
أزعج قيادة الوفد ازعاجا شديدا ، ودفعها أكثر من مرة الى ادانة التمرد
المسلح واستنكاره .

أما رجال الحزب الوطني ، فقد شهدنا كيف أن أحدهم - وهو فكري -
أباطة - وصف الفلاحين بأنهم وحوش وأشرار .. وأنهم يخلطون خلطا
عجيبا بين الكفاح القومي والاشتراكية الساذجة .

وإذا كان الفلاحون بحكم تكوينهم الاجتماعي قد صبروا حتى تفدئج
الثورة كي يعلنوا تمردهم المسلح ، فإن العمال - بحكم تكوينهم الاجتماعي
أيضا - لم ينتظروا بل رفعوا شعارات النضال عالية منذ فجر القرن
العشرين .

(١) المرجع السابق - ص ٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
وبعد فقد حضر في هذا المجلس المبارك

الشيخ الفاضل
والشيخ الفاضل
والشيخ الفاضل

والشيخ الفاضل
والشيخ الفاضل
والشيخ الفاضل

والشيخ الفاضل
والشيخ الفاضل
والشيخ الفاضل

النضال النقابي والسياسي

للطبقة العاملة

والحقيقة أن أهمية حركة الطبقة العاملة في ذلك الحين تكمن في أنها كانت معلما للشعب كله ، ولعلها لمسيب من الفئات الأخرى التي رأت الطبقات الأخرى وهي تتهاوى تحت ضربات الاحتلال .

وطوال السنوات العشر الممتدة من ١٩٠٩ حتى ١٩١٩ كان الكثير من الأصوات قد تلاشى ، وكان الصوت الأعلى هو صوت الأضرابات العمالية والاعتصامات ومظاهرات العمال العاطلين التي أثرت في كثير من المثقفين ولفت انتباههم نحو فكر جديد وطبقة جديدة لم تستسلم ولم تتهاون ولم تهزب من ميدان الكفاح .

من هذه الزاوية يتعين تقييم دور الحركة العمالية في ذلك الحين . ومن هذه الزاوية يتعين دراستها .

ولسنا نستطيع أن نقدم دراسة وأنية عن هذا الموضوع ، لكننا سنكتفي بملخص سريع (١) .

والحقيقة أن الطبقة العاملة كانت تعاني من ظروف غاية في القسوة . فالأجور منخفضة إلى حد لا يصدق . كان أجر العامل غير النقي بالمجالج ثلاثة قروش يوميا ، وأجر عامل الترام ٨ قروش يوميا . غذا مقابل ساعات عمل يومية تبلغ ١٣ ساعة في مجال النقل و ١٧ ساعة في مجال القطن و ١٦ ساعة في المطابع (٢) .

ذلك في الوقت الذي ارتفعت فيه الأسعار ارتفاعا فاحشا ، فقتنذ / ارتفع ثمن نصف كيلو اللحم من قرشين إلى أربعة قروش ، وارتفع سعر أردب القمح من ١٤٥ قرشا إلى ١٥٠ قرشا بالاسكندرية وبلغ ٢٤٠ قرشا بالارياض ، وارتفع سعر الفول من ١٢٥ قرشا إلى ١٤٠ قرشا .

(١) لمزيد من التفاصيل راجع :

- * أمين عز الدين - تاريخ الطبقة العاملة منذ نشأتها حتى ١٩١٩ .
 - * عبد المنعم الغزالي - تاريخ الحركة النقابية ١٨٩٩ - ١٩٥٢ .
 - * رؤوف عباس - الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩ - ١٩٥٢ .
- (١) الغزالي - ص ٢٤

كما ارتفعت أجور المنازل بنسبة ١ : ٩٠٠ وهكذا (١)

وحاول العمال أن يلفتوا انظار الرأي العام الى قضيتهم ، وامطروا الجرائد برسائل تشرح حالتهم. وبؤسهم ، وكتب احد عمال السكة الحديد الى جريدة الاهرام يقول :

• ان أعمال مصلحة السكة الحديد صعبة جدا وخطرة للغاية ،
وعمالها جميعا محفوظون بالاطار ، والوردية تمكث ١٢ ساعة متوالية ،
وإذا مرض أحدكم لا يجد طبيبا ولا دواء حتى يموت ، (٢)
وعامل آخر من شركة القرام يبعث برسالة الى الاهرام يتوقّع ان ف
محب للانسانية تقول :

• ان شركة بترام القاهرة تشغل عمالها أكثر من ١٤ ساعة في اليوم
وتتقدّم مرتبا اثنين جنيه في الشهر ، وإذا مرض يوما من شدة التعب واليأس
والقيام المبكر تخصم منه ايام الانقطاع وتأمر بإيقافه ورقته لأسباب وأمية
ان شركة مثل هذه لا تسرق أورانها ولا تختلس مليما واحدا ، ولكنها تسرق
أرواح العمال وتتسبب في قصف حياتهم ، ان العمال كثيرا ما قدّموا
شكاواهم ولا حياة لمن يتسدى ، فلا الشركة تجيب ولا الحكومة تصغي ،
ولو كان لهؤلاء العمال وامثالهم بمصر جمعيات أو احزاب لما كانت الشركة
تعاملهم هذه المعاملة السيئة ، ولخشيت من بأسهم ، (٣)

ولعل هذه الرسالة توضح - الى حد ما - وعمل طبقيا وفهما لاهمية
اللتظيم النقابي والسياسي في تقوية نضال العمال ودعم حركتهم

والحقيقة ان الطبقة العاملة قد بادرت منذ مطلع القرن الى تكوين
سلسلة من النقابات والجمعيات لتوحد صفوفها ،

وفي سرعة غريبة تكونت عشرات النقابات والجمعيات ، نقابة عمال
السجاير ١٨٩٩ ، اتحاد عمال الخياطين ١٩٠١ ، نقابة الحلاقين
١٩٠١ ، جمعية عمال المطابع ١٩٠١ ، جمعية عمال الادوات المعدنية ١٩٠٢ ،
جمعية كتبه الحامين ١٩٠٢ ، وفيما بعد تشكلت نقابة عمال الصنائع
اليهودية ونقابة عمال القرام ونقابة عمال السكة الحديد (٤)

بل ان الامر قد وصل الى حد تكوين جمعيات سرية عمالية مثل

(١) الاهرام - ١٥/١/١٩١٠

(٢) الاهرام - ١٩/٨/١٩٠٨

(٣) الاهرام - ١٢/٣/١٩٠٧

(٤) أمين عز الدين - المرجع السابق - ص ٦٩٠

« الجمعية السرية ليؤساء السكة الحديد ، .. وقد تصدت هذه الجمعية
لقيادة عدة اضرابات واعتصامات ضد تعسف الإدارة . »

.. وفي ١٣ اغسطس ١٩٠٨ ، عندما أصدرت مصلحة السكة الحديد
منشوراً رقم ٤٥٧ الذى يقضى بالعمل يوميا لمدة ١٢ ساعة متواصلة
يعقبها ١٢ ساعة راحة (١) ، تقدمت هذه الجمعية على الفور لقيادة العمال
وإذا بتلغرافات ذات صياغة موحدة تنهال على الإدارة والصحف .. تقول :

« منشور الإدارة نمرة ٤٥٧ صارم وغير مستطاع .. نرجو تقليل
ساعات العمل وتحسين رواتبنا ، ولا نهذاً حتى ننال مطالبنا .. »

وتشكلت قيادة سرية لاضراب حدد قائمة بالمطالب التى يناضل العمال
من أجلها .. ومن بينها :

١ - ٨ ساعات عمل بدلا من ١٢ ساعة عمل (وهى أول مرة يرفع
فيها شعار ٨ ساعات عمل) .

٢ - يوم راحة فى الاسبوع .

٣ - تحسين الماهيات والرواتب بقدر صعوبة الاعمال .

٤ - الامتياز فى المعاش بحسب صعوبة وخطر الاعمال .

٥ - ترقية العمال بحسب الاقدمية .. وليس بالخواطر .

وفى منتصف شهر اكتوبر ، عندما حاولت المصلحة الانتقاص من
حقوقهم مرة اخرى ، قرر العمال الاضراب يوم ١٨ اكتوبر مطالبين بالمطالب
السابقة .

وامام وحدة العمال وتنظيمهم .. تراجعت الإدارة ومنحت العمال
بعض ما يطلبون .

.. وفى نفس الوقت كان عمال الترام يعنون العدة لاضراب كبير حدثوا
له أيضا يوم ١٨ اكتوبر .. وهذا التحديد ذو دلالة واضحة ، فهو يعنى تقديم
العمال لاهمية وحدتهم النضالية ، وهو يوحى بجنين فكرة الاضراب العام .

ومنذ يوم ٤ اكتوبر صاغت لجنة عمال الترام مطالبها ووزعتها على
الصحف (٢) .

وتتلخص فى « خفض ساعات العمل الى ثمانى ساعات فى اليوم بدلا من

(١) الامرام - ١٩٠٨/٨/٣ .

(٢) الامرام - اللوا - المؤيد ١٩٠٨/١٠/٤ .

١٢ ساعة ، -زيادة المرتبات بنسبة ٤٠٪ مع زيادتها حرة كل عام ، ومنح العمال اجازة في حالة المرض واجازات اعتيادية سنوية ، واعادة العمال المنصولين إلى العمل ، وتاليف لجنة للتحقيق في شكاوي العمال على ان يمثل فيها العمال ، - في ١٢ تموز ١٩٠١ اجتمع ممثلو عمال مصر من مختلف المصانع وقام العمال باخطار الشركة ومحافظة القاهرة بمطالبهم ، معلنين عزيمتهم على الاضراب ان لم تجب مطالبهم ، - محددين يوم ٢٨ اكتوبر موعدا لاضرابهم ، - وإذا كان البونيس قد تمكن من تصفية الاضراب بالعرف وباعتقال ٧٢ من قادة العمال ، فإن عمال الترام قد حققوا مطالبهم ، وقد لفتوا الانتظار إلى مطالب العمال .

والحقيقة ان العمال قد خاضوا قبل ذلك سلسلة من الاضرابات والاعتصامات ، ففي عام ١٩٠٠ اضراب العمال الايطاليون بحزان أسوان وفي نوفمبر ١٩٠١ اضراب عمال الخزفية ، فقد اجتمع العمال في قهورة الف ليلة وليلة بالاربيكية وكانوا قد اعدوا ليم علما خاصا ، فاقسموا امامه ضمن الطاعة ، وقرروا الاضراب عن العمل حتى يجابوا الى طلبهم ، وهو تعيين اجر على كل قطعة ، وساروا في مظاهرة يهتفون بحياة العدل وسقوط الظلم ، فقبض رجال الشرطة على ٢٧ عاملا ، وزجوا بهم في السجن ، واخيرا اُجيب العمال التي طلبهم ، وانتهى الاعتصاب ، (١)

وفي اوائل ديسمبر ١٩٠١ اضراب عمال مصانع النسيج ، وساروا في مظاهرة عظيمة بجهة باب الحديد ، ثم تجمعوا بعد ذلك في شارع نوبار ، فارتسلت المحافظة ثلاثين خيالا لطارتتهم ونفريق جمعتهم فدارت معركة اصيب فيها كثيرون بجروح بليغة ولم يحقق هذا الاعتصاب نتيجة لان مصانع النسيج فصلت العمال المشاغبين ، (٢)

باسم : وفي يناير ١٩٠٢ اضراب الحلاقون الذين يعملون عند اصحاب محلات الحلاقة ، مطالبين بتخفيض ساعات العمل ، واعطائهم اجازة نصف يوم الاجد ، واجتمع سبعون منهم في شارع المهدي بالاربيكية ، ومرروا على محلات الحلاقة في بعض الاحياء لتخريف عمالها على التضامن معهم ، اما اصحاب محلات الحلاقة فقد رفضوا ان يجيبوا العمال الى طلبهم بحجة انهم يتكبدون خسائر ، وبذلك انتهى الاعتصاب الى غير نتيجة ، (٣)

- (١) محمد سيد كيلاني - ترام القاهرة - دار الفرجاني - القاهرة - (ردى ت) ص ٦٤ - نقلا عن المؤيد ١٩٠١/١٧/٢٦
 (٢) اللواء ١٩٠١/١٢/٧ وايضا : ١٩٠١/١٢/٢٣ -
 (٣) محمد سيد كيلاني - المرجع السابق ص ٦٥ - نقلا عن اللواء ١٩٠٢/١/١٩

وفي يناير ١٩٠٢. أضرب عمال شركة الغزل الأهلية بالاسكندرية .
وفي مارس ١٩٠٢ أضرب عمال مطيعة الكورييري اجسنانو بالقاهرة . وفي نفس
الشهر أضرب عمال السجايز بالاسكندرية (١).
وفي أبريل ١٩٠٧ أضرب عمال الفحم في ميناء بورسعيد وتضامن معهم
عمال ورش قناة السويس وعمال النظافة . . .

ومرة أخرى يعود عمال السكة الحديد الى التمرد ، وتنشر اللواء خيرا
يقول « اعتصام هايل في عنابر السكة الحديد في العاصمة ،
وقد حدد العمال مطالبهم بعزل المستر بكيت وكيل المهندس المشرف على
العنابر والذي كان يعطيهم الاعمال بالمقاوله بعد ان كانوا يشتغلون
باليومية وطالبوا أيضا بزيادة رواتبهم كل ثلاثة أعوام وتأييف لجنة للنظر
في شكاوى العمال تضم ثلاثة منهم . . .
وفي صباح يوم الاضراب وضع العمال بيانات على جدران الورش
تحدد مطالبهم وشعارات تقول « لا نريد بكيت » ، « لا نريد بكيت لاننا
يظلمنا . . .

وبدا العمال اولي الخطوات الايجابية بمنح القطارات من مسيطرة
العنابر وبقطع خطوط السكة الحديد . . . لكن البوليس تدخل بوحشية لينهى
الاضراب في يومه الاول . . .

وفي اكتوبر ١٩٠٨ اضرب عمال الترام ، وجلسوا على الخطوط في مخزن
شبرا وللعباسية والجيزة ، وكان مطالبهم تنحصر في ان تكون مدة العمل ٨
ساعات بدلا من ١٢ ساعة ، وزيادة المرتبات ، وحقهم في الاجازات الاعتيادية
والمرضية . . . وعدم جواز فصل العامل الا بناء على اسباب معقولة . . . وان
يعفى العمال من دفع ثمن النقل والاحزمة والشنط والنمر الححاسية التي
تصرفها لهم الشركة . وقد استعانت الشركة برجال البوليس الذين انهالوا
على العمال المضربين بالعصى والكرابيح حتى اجلهم بعيدا عن الخطوط ومن ثم
خرجت عربات الترام يقودها سائقون كانوا يعملون بالشركة من قبل ثم
فصلوا . . . ولكن البوليس لم يستطع التغلب على المضربين في مخزن الجيزة
لما ابدوه من مقاومة عنيفة ، وفي اليوم التالي توجه اليهم حكامر العاصمة
على رأس قوة ضخمة من رجال البوليس وعربات الاطفاء واولسوا العمال
ضربا ثم قبضوا على ثمانين منهم . . . وبهذا انتهى الاضراب (٢) . . .

. . .
وفي اكتوبر ١٩١٠ وعندما اضرب عنابر السكة الحديد يكتب
صادق غير في جريدة اللواء قائلا : « ان الاعتصاب هو خير درس لحكامنا ،

(١) رؤوف عباس - المرجع السابق - ص ٥٢ .

(٢) المقطم ١٨ / ١٠ / ١٩٠٨ .

يقفونهم على تطور فكر المصري، ويظهره لهم بثوبه الجديد، ذوب العليم، نفصاحتها الجريص عليها، التفاضل في المطالبية بها، ويتمتع بآخر انفا قد رأينا اليوم، مظهراً من مظاهر الاشتراكية، لا يبعد ان يصير هلاله على توالي الايام بجزالة كاملاً، (١)

ولعنها المرة الاولى التي تشهد فيها الصحف المصرية هذا الربط الذكي والتواخي بين الاضراب والمطالب العمالية والاشتراكية، وتعلينا أيضاً تكتسب دلالة هامة تلك الامنية التي نشرتها جريدة اللواء، بان يصير هلال الاشتراكية، بجزالة كاملاً،

بل ان مجلة محافظة وهي والتجريدة، كتبت هي الاخرى تقول وتسرى عدوى الافكار، كما تسرى عدوى العسل والادواء، فمن فرد لفرد، ومن بلد الى بلد، ويكون لها من النتائج في كل بقعة ما تجد من الاستعداد في نفوس الناس، واذا فكرت في اعتصاب عمال الترامواي في العاصمة ثم قيام زملائهم اليوم بالاسكندرية باعلان اعتصاب جديد، حكماً مع الاعتقاد القام، بان ما يجري هو نتاج من تلك الرياح الاشتراكية التي تجوب المعمورة بلداً بلداً، (٢)

ويكون مقال «الجريدة» تحييراً عن الفرع من وصول الموجة الاضرابية التي ذروتها في عام ١٩١١. يا صيخ اضراب شهيدته اليلاد وهو اضراب عمال الترام الذي بدأ في ٣٠ يوليو ١٩١١ والذي نفذته ٤٠٠٠ عامل وموظف، وورد على هدمه الوجدة الجماعية. أصدرت الشركة، بياناً تطالب فيه العمال بالعودة للعمل خلال ٢٤ ساعة، والا اعتبروا مفسولين، ويستعين الشركة بدلا منهم عمالاً جدد، ووقراً زعماء الاضراب النشور على العمال المضربين بقرار الجميع رفضه والاستمرار في الاضراب، وربط العمال في مجموعات عند مخازن عربات الترام ليمنعوا الشركة من تسيرها، اجمعوا على عدم العودة للعمل، وطلبوا من الحكومة التدخل، ويتميز هذا الاضراب بعدة ظواهر هامة، اولاً: التنظيم الحقيقي، ثانياً: الوجدة الشاملة بين العمال،

(١) اللواء ١٠/٢٢/١٩١٠
(٢) التجريدة ٦/٨/١٩١١ - نقلًا عن د. سليمان محمد الشخيلي - الحركة العمالية في مصر وموقف الصحافة والسلطات المصرية منها من ١٨٨٢ الى ١٩٥٢ - ص ١٦، ص ٧٣

ثالثاً : وهذا هو المهم .. اهتمام قيادة الاضراب اهتماماً واعياً بكسب
تأييد ومساندة الرأي العام ..

وهكذا نظم العمال المضربون عدداً من المظاهرات في باب الحديد وبولاق
والجيزة والعباسية وكانوا يحملون لافتات تقول : أن العمال المنقسمين
يظلمون من الجسم ، ورمد يد المساعدة اليهم ، كذلك كانوا يحملون صنابير لجمع
تبرعات من المواطنين ..

وبواصل العمال اضرابهم أياماً عديدة كانت الشركة تخسر في كل يوم
منها ١٢٠٠ جنيه (١) . وفي اليوم الخامس أرادت الشركة أن تسير إحدى
قطاراتها بالقوة تحت حماية البوليس واصطدم بها العمال وحدثت مصادمة
عنيفة اشتدكت فيها الجماهير التي تقدمت لتحمي العمال المضربين من
تسلف البوليس وإذا ما نجحت الشركة تحت حماية حراب البوليس ان تسير
أحدى عرباتها على خط العباسية في طريقها الى العتبة وبينما خيل للجميع
أن الاضراب قد فُشل اذا بالجماهير تتقدم مرة أخرى لتساعد العمال
المضربين ، وخرج أهالي حى الحسينية وأوقفوا العربية وضربوا ركابها
وأشعلوا فيها النار ولم يلبث هذا الأسلوب ان انتشر في جميع الاحياء
الشعبية كلما حاولت الشركة تشغيل أحد خطوطها وخاصة في حى بولاق
والعباسية وهكذا عجزت الشركة والبوليس عن تسير الخطوط بفضل تأييد
الشعب للعمال ، (٢)

والحقيقة ان صدام العباسية هذا .. أو كما سمته الصحف مذبحه
العباسية ، قد اثار مشاعر الجماهير ، وأن بسالة العمال قد ألهمت الكثيرين
الشجاعة وتقدم الكثيرون لادانة الحكومة والبوليس وارتفع اكثر من صوت
دفاعاً عن حقوق العمال ..

وتكتب اللواء ، قائلة : أحدث البوليس مجزرة في العمال ، وداس الشعب
في ساحات المدينة بسنابك خيله ، واوسعه ضرباً واغراقاً بالدماء ، وعامل
الجمهور معاملة السيد لعبيده ، وداس القوانين فلا نعلم لما نسكت نحن ونقف
عند الحدود التي لا نتف عندما الحكومة والبوليس والشركات .. هم يدوسون
النظام وينتهكون حرمة القوانين ويعاملون الشعب معاملة العبيد فلا نعلم نحن
لماذا لا ندوس - ولو مرة وعلى الورق - على ذلك الظلم الفاضح والبهيمية ،
ولذلك نقول للعمال انهم يخيفونكم ويرهبونكم ويريدون التحويل عليكم لظنهم
أنكم من غير طينة العمال في أوروبا وانهم اذا عاملوكم بالشدة حينئذ
وخضعتهم ، وتستمر الشركة في حلب البقرة الحوب والبوليس يمسك رأسها

(١) اللواء - ١٩١١/٨/٢

(٢) أمين عز الدين - المرجع السابق - ص ١٦٦

تسهيلاً لحليها ، ولكن فاعلموا ان الاعتصام حق من حقوقكم الطبيعية واذا اردتم الاستمرار فيه فما من قوة قادرة على التأثير عليكم . ان قضيتكم ليست قضية عمال الترام فقط بل هي قضية جميع العمال في مصر . وقد جاءت خادقتكم بعد خادته عمال السكة الحديد بليلاً على انه أصبح في مضر قوة لا يستهان بها وهي يفتة العمال في البلاد الشرقية وتبهمهم الى مصالحهم وحقوقهم ورغبتهم في ان يكونوا بشرأ كسائر البشر ، (١)

ويواصل الشعب في كل مكان تأييده للعمال المضربين وتنهال برقيات الاحتجاج على الصحف

برقية من اهالي دمهور تقول « العذل يندب حظه وملاك الرخصة ينتحر على ربة الاهزام من اجراءات البوليس ازاء عمال الترام » وبرقية من طنطا تقول « نطلب من ناظر الداخلية ان يعين بوليسيا جديدا لمراقبة البوليس في اعماله ، قد أصبح الناس في مصر بحاجة الى الحماية والا اضطروا للفرار عن انفسهم »

وبرقية اخرى يتوتخ قلاح تقول « ان الشعب أصبح يكره البوليس لهذه الاقاعول بعد ان كان يظن ان البوليس حماية له » وقد وجه العمال المضربون نداء الى عمال المرافق العامة لمساندتهم في اضرابهم والاضراب تضامنا معهم . وفي ٦ اغسطس أعلن عمال ترام الاسكندرية اضرابهم التضامني

وعندما انتشرت موجة البطالة بين العمال عامي ١٩١٤ و ١٩١٥ كانت مظاهراتهم المعاصرة تهر القاهرة والاسكندرية :

وفي يوم ٣١ اغسطس ١٩١٤ تجمهر بالاسكندرية ١٥٠٠ من العمال العاطلين يطلبون « قوتا او عملا » وفي يوم ٣ سبتمبر ١٩١٤ اجتاحت القاهرة موجة عارمة من مظاهرات العمال العاطلين الذين ساندتهم جماهير الشعب او كما أسمتهم بيانات الحكومة « بالرعاغ » وتصدى البوليس لهم ونقض على ١٥٠ شخصا

والذي يوضح انتشار هذه الموجة من الاضرابات ان النيابة سُممت المتهمين الى ثلاث قضايا . قضية مظاهرة الدرب الاحمر والخليفة ، وقضية مظاهرة بولاق وقضية مظاهرة الجمالية وباب الشعرية (٢)

(١) اللواء - ١٩١١/٨/٥
(٢) أمين عز الدين - المرجع السابق - ص ١٣٩

بيل إن العمال لم يكتفوا بذلك فقد حاولوا ان يؤسسوا حزبا لهم . .
وفي ١٢ يوليو ١٩٠٨ نشرت كلا من الأهرام واللواء بيانا عن دعوة
عامة بوجهها « حزب المقاصد المشتركة للعمال » ويقول البيان « ان محمد
أحمد الحسن أحد مؤسسي الحزب قد قرر القاء خطبه عمومية في حديقة
الازبكية موضوعها وجوب انضمام اصحاب الحرف المصرية والاجنبية على
إختلاف طبقاتهم الى حزب مشترك المنافع . . ليتكون منه جماعة قوية
مسموعة الرأي والصوت في الأعمال النافعة . . واقامة جريدة يومية
و الوضاح ، لسان حال للحزب . . »

ولعلها لم تكن المحاولة الاولى لتأسيس حزب اشتراكي . .
ففي مارس ١٩٠٨ نشرت جريدة الاقيدام تحت عنوان « حزب
الاشتراكيين » تقول : « علمنا انه قد تأسس هذا الحزب برياسة الدكتور
شمس الدين شميل ، وعضوية كل من الدكتور شحودي ، وسامي افندي جريديني
وتوفيق حبيب ، ونجيب افندي ألكاريوس ، وغرضه كنجح جماح الغنى العاتى
ليكف عن دوس الفقير بقدميه » (١)

وإذا كانت محاولة المثقفين الشوام هذه لم يكتب لها الاستمرار ، فإن محاولة
العمال المصريين قد وجدت فيما يبدو سبيلا للاستمرار ولو لبعض الوقت . .
وعبرت عن نفسها وعن وجودها بشكل أو بآخر .

فعمدنا صدر قانون المطبوعات في ١٩٠٩ نشرت الأهرام بيانا
صادرا عن هذا الحزب يقول « بالنيابة عن حوالي خمسين الفا من العمال
نحتج على ظهور قانون المطبوعات القاتل للحرية ونظاب الغناء ولسوف
يحتج العمال احتجاجا فعليا اذا لم تتدارك الحكومة الامر وتحترم صوت
الشعب » (٢)

وفي ١٦ يوليو ١٩٠٩ نقرا في الأهرام بيانا عن محاولة جديدة لتأسيس
حزب للعمال والبيان بتوقيع محمود أبو عثمان ويقول « كنا يعلم مركز
العمال في أوربا ، فالعامل هناك لا فرق بينه وبين التفاضى والمخامى . ولنا
كان الإنسان من فطرته الطبيعية ميال الى الارتقاء قام جماعة من خيار عمال
المصريين الذين يقدرون الأشياء وأسسوا حزبا باسمهم ليربط كلمتهم . . »

(١) الاقدام : ١٩٠٨/٣/٢٠

(٢) الأهرام : ١٩٠٩/٣/٢٧

••• ويقول الثيبان : إن الجلسة الأولى انعقدت وحضرها جمع غفير من العمال والوجهاء وان الحزب انتخب السيد أفندي على مديرا له ، والسيد محمد أحمد الحسن رئيسا ••• (وهو مؤسس الحزب الاول)

والحقيقة ان صحف هذه الفترة لا تحمل لنا اخبارا ذات قيمة عن هاتين المحاولتين لتأسيس حزب عمالي •••

••• لكن ثمة مسألة يامة يتعين الإشارة إليها ••• هي ان السيد أفندي على مدير الحزب قد ظهر اسمه من جديد عام ١٩٢٠ كصاحب مجلة « النظام » وهي مجلة ذات ميول يسارية وان كانت تميل إلى اليمين ، وثمة مسألة هامة أخرى هي ان أحد محرري مجلة « النظام » هذه هو رفيق جبور وسوف تشهد فصولا قادمة من هذه الدراسة دور رفيق جبور كواحد من قادة الحزب الشيوعي وكريئيس لتحرير مجلة الحساب التي اصدرها الحزب عام ١٩٢٥ ••• وهنا يتعين علينا ان نسأل انفسنا هل يمكن ان نربط بين محاولة السيد أفندي على لتأسيس حزب عمالي عام ١٩٠٩ وبين علاقته باليسار ورفيق جبور على وجه التحديد •••

ولسنا نستطيع ان نقدم اجابة دقيقة لكننا نطرح السؤال كواحد من الاحتمالات التي يتعين البحث الدقيق عن اجابات واضحة لها •••

كذلك ادرك العمال أهمية الصحافة كسلاح في معركة الدفاع عن مصالحهم الطبقية وفي عام ١٩٠٨ صدرت « الوضاح » جريدة حزب العمال ••• وفي نفس السنة صدرت مجلة عمال السكة الحديد وفي عام ١٩١٢ صدرت في طنطا مجلة « التعاون » معلنة انها تبحث وراء منفعة العامل ••• (١) •••

والحقيقة ان الطبقة العاملة كانت بسميتها المتواصل ونضالها المستمر تقدم نموذجا فريدا في مجتمع شهد عيدا من الطبقات تقم من ميدان المعركة ضد الاحتلال ، وعيدا من الاحزاب تنشأ ثم تنهار ••• وخلال السنوات المظلمة التي تلت اعلان الحماية وطوال الفترة التي نجح فيها الاحتلال في تكميم كل الانواء ••• كان ثمة صوت يرتفع أقوى وأقوى هو صوت الطبقة العاملة ••• التي استطاعت أيضا ان تلهم كثيرا من المثقفين الثوريين الشجاعة والقدرة على التطوع نحو فلسفة جديدة ونظرية جديدة للعمل الثوري والوطني •••

ان نضال الطبقة العامة الجاد والمتواصل والذي اتسم بصنعة طبقية واضحة كان نموذجا جديدا استطاع ان يقدم البديل عن التعاون والفرار وحالة التمزق والضياح التي عانى منها كثير من المثقفين •••

(١) قسطاكي عطارة - تاريخ تكوين الصحف المصرية منذ ١٩١٢ •••

ومع ارتفاع رليات النضال العمالي ارتفعت جنباً إلى جنب صحبات
عديد من المثقفين الثوريين معلنة في نوى كلمة الاشتراكية ..
وهذه هي القيمة الأساسية للنضال العمالي في هذه الفترة ، لقد كان
مدرسة حقيقية لجيل جديد من المثقفين .

ولعل هذه الحقيقة هي التي أزعجت الرجعية المصرية من الاضطرابات
العنيفة ففى عام ١٩٠٢ .تتألم مجلة « للجريدة » لسان حال حزب الأمة
فكرة الاضراب وتصفها بأنها « داء جديد جلبه الغرب الى الشرق » . وهذا
هو مبدأ الفوضى ، وأول مراتبها « .. »

وفي نفس العام تقول الاهزام عن العمال المصريين المضربين « انهم
يقلدون العمال الأوروبيين تقليد القردة ولكنه تقليد فاسد ومضر بهم .. »
وفي عام ١٩٠٨ وعقب اضراب عمال الترام تهاجم « المقطم » - لسان
حال الاحتلال - الحكومة على تهاونها ازاء هذه الطبقة قائلا :

« انه اغفال شديد لا يقبل فيه عذرا لمعتذر ، ولا يدعو الناس للاطمئنان
بعد الآن . ان قيام العمال بالاتفاق السرى فيما بينهم على الاضراب دون
علم الحكومة وبوليسها العلنى والسرى وعبونها وارصادها لامر خطير ..
فماذا يمنع ان يدبر العمال المكائد والمؤامرات ليضرموا في البلاد نيران
الثورات قبل ان تعلم الحكومة بأمرهم » .

وهكذا تتيقظ الرجعية منذ للومة الاولى وتدرك خطر حركة العمال
وتدرك مغزاهما الطبقي ، بل ان « الجريدة » تصف اضراب عمال السكة
الحديد بان فيه « شىء من روح الاشتراكية » .

.. وثمة مقال آخر نشرته الجريدة بقلم يوسف اليستائى بعنوان
« بين مصر وأوربا على نكز الاعتصام الأخير » (١) جاء فيه :

« ان التشبه بالمطرفين الأوربيين في مقاومة الحكومة ويال على
السامل وعائلته » .

ثم نشطت الحكومة لتسن سلسلة من التشريعات منها قانون التجمهر
وقانون التشرد الذى يمكنها من فصل أى عامل ، ثم تطبيق عليه هذا القانون
باعتباره عاطلاً لا عمل له .

.. وبدأت السلطات في اعتقال ونفى القادة النقابيين .. ومن بينهم
أحمد لطفى عضو شرف نقابة عمال الترام ، وأحمد رمضان زيان رئيس

(١) الجريدة - ٢٣/١٠/١٩١٠ .

تكتاتبة الصنائع الحيوية بالاسكندرية ، ومحمد عوض جبريل بنكريتي نفس النقابة ٥٠ وعشرات غيرهم . وقد كانوا قد اتفقوا على ان يوقفوا العمل في ١٠ يونيو ١٩١٩ . وكان ذلك كله لم يكن قادرا ان يوقف الزحف الجيد للطبقة العاملة التي اكدت التجارب انها اصل الطبقات واكثرها ثباتا في مواجهتها لسلطات الاحتلال .

وهكذا تاتى ثورة ١٩١٩ لتجسد جيش العمال المستبدا ومجهزا لخوض غمارها . واذ كان أبناء الفئات العليا هم الذين قاموا بالمواجهة الاولى من اجل السعي للاستقلال بالوطنائل المشروعة فان العمال قد انطلقوا بالثورة التي اتصت مداها ٥٠ . وتبما كما فعل الفلاحون امتزج صراعهم ضد الاحتلال بصراع طبقي واضح المعالم . وقد بدأ الطلاب الحركة بمظاهرة صياحية تصدى لها البوليس ، وفي اليوم التالي تدخل العمال للحركة . ودخلوها بعد ان ارتفعت قيادة الثورة من الانتفاضة الثورية ، وبعد ان صاح عبد العزيز فهمي في المظاهرات « انكم تلعبون بالنار » دعونا نعمل في هدوء ولا تزيدوا غضب الانجليز ، لكن العمال يلهبون الثورة وينشرون الى أقصى حد غضب الانجليز . وفي يوم ١٣ مارس ١٩١٩ بدأ عمال الترام وعمال المترو وعمال ترام هليوبوليس اضرابهم الكثير الذي شمل حركة المواضلات تماما في العاصمة والذي استمر حتى ٢ مايو ٥٠ . ولقد ارتبط الاضراب بالأهداف العامة للثورة لكنه ارتبط في نفس الوقت بمطالب اقتصادية تتضمن :

- ١ - جعل الاجرة اليومية خمسة عشر قرشا .
 - ٢ - ان تقدم الشركة الملايين للعمال مخانا .
 - ٣ - ان تكون مدة العمل ثماني ساعات يوميا .
 - ٤ - يمنح كل عامل راتب شهر سنويا .
 - ٥ - عدم اضطهاد العمال النقابيين .
 - ٦ - يوم عطلة كل اسبوع .
 - ٧ - منح علاوة غلاء معيشة ٣٠٪ .
- ومطالب اخرى عديدة . وكانت اهم نتائج هذا الاضراب هي استجابة الشركات لبعض هيذة المطالب ، وتكوين نقابة عمال الترام ٥٠ التي جاء في المادة الاولى لقانونها الانسانى اننا نؤمنك والدفاع عن حقوق اعضائها وترقية حالتهم المادية والادبية . وتمتدحهم كل مساعدة ممكنة لهم بالطرق المشروعة (١) .

(١) الغزالي - المرجع السابق - ص ٦٥ ، ص ٦٦ ، ص ٦٧ ، ص ٦٨ ، ص ٦٩ ، ص ٧٠ ، ص ٧١ ، ص ٧٢ ، ص ٧٣ ، ص ٧٤ ، ص ٧٥ ، ص ٧٦ ، ص ٧٧ ، ص ٧٨ ، ص ٧٩ ، ص ٨٠ ، ص ٨١ ، ص ٨٢ ، ص ٨٣ ، ص ٨٤ ، ص ٨٥ ، ص ٨٦ ، ص ٨٧ ، ص ٨٨ ، ص ٨٩ ، ص ٩٠ ، ص ٩١ ، ص ٩٢ ، ص ٩٣ ، ص ٩٤ ، ص ٩٥ ، ص ٩٦ ، ص ٩٧ ، ص ٩٨ ، ص ٩٩ ، ص ١٠٠ ، ص ١٠١ ، ص ١٠٢ ، ص ١٠٣ ، ص ١٠٤ ، ص ١٠٥ ، ص ١٠٦ ، ص ١٠٧ ، ص ١٠٨ ، ص ١٠٩ ، ص ١١٠ ، ص ١١١ ، ص ١١٢ ، ص ١١٣ ، ص ١١٤ ، ص ١١٥ ، ص ١١٦ ، ص ١١٧ ، ص ١١٨ ، ص ١١٩ ، ص ١٢٠ ، ص ١٢١ ، ص ١٢٢ ، ص ١٢٣ ، ص ١٢٤ ، ص ١٢٥ ، ص ١٢٦ ، ص ١٢٧ ، ص ١٢٨ ، ص ١٢٩ ، ص ١٣٠ ، ص ١٣١ ، ص ١٣٢ ، ص ١٣٣ ، ص ١٣٤ ، ص ١٣٥ ، ص ١٣٦ ، ص ١٣٧ ، ص ١٣٨ ، ص ١٣٩ ، ص ١٤٠ ، ص ١٤١ ، ص ١٤٢ ، ص ١٤٣ ، ص ١٤٤ ، ص ١٤٥ ، ص ١٤٦ ، ص ١٤٧ ، ص ١٤٨ ، ص ١٤٩ ، ص ١٥٠ ، ص ١٥١ ، ص ١٥٢ ، ص ١٥٣ ، ص ١٥٤ ، ص ١٥٥ ، ص ١٥٦ ، ص ١٥٧ ، ص ١٥٨ ، ص ١٥٩ ، ص ١٦٠ ، ص ١٦١ ، ص ١٦٢ ، ص ١٦٣ ، ص ١٦٤ ، ص ١٦٥ ، ص ١٦٦ ، ص ١٦٧ ، ص ١٦٨ ، ص ١٦٩ ، ص ١٧٠ ، ص ١٧١ ، ص ١٧٢ ، ص ١٧٣ ، ص ١٧٤ ، ص ١٧٥ ، ص ١٧٦ ، ص ١٧٧ ، ص ١٧٨ ، ص ١٧٩ ، ص ١٨٠ ، ص ١٨١ ، ص ١٨٢ ، ص ١٨٣ ، ص ١٨٤ ، ص ١٨٥ ، ص ١٨٦ ، ص ١٨٧ ، ص ١٨٨ ، ص ١٨٩ ، ص ١٩٠ ، ص ١٩١ ، ص ١٩٢ ، ص ١٩٣ ، ص ١٩٤ ، ص ١٩٥ ، ص ١٩٦ ، ص ١٩٧ ، ص ١٩٨ ، ص ١٩٩ ، ص ٢٠٠ ، ص ٢٠١ ، ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣ ، ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٥ ، ص ٢٠٦ ، ص ٢٠٧ ، ص ٢٠٨ ، ص ٢٠٩ ، ص ٢١٠ ، ص ٢١١ ، ص ٢١٢ ، ص ٢١٣ ، ص ٢١٤ ، ص ٢١٥ ، ص ٢١٦ ، ص ٢١٧ ، ص ٢١٨ ، ص ٢١٩ ، ص ٢٢٠ ، ص ٢٢١ ، ص ٢٢٢ ، ص ٢٢٣ ، ص ٢٢٤ ، ص ٢٢٥ ، ص ٢٢٦ ، ص ٢٢٧ ، ص ٢٢٨ ، ص ٢٢٩ ، ص ٢٣٠ ، ص ٢٣١ ، ص ٢٣٢ ، ص ٢٣٣ ، ص ٢٣٤ ، ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٧ ، ص ٢٣٨ ، ص ٢٣٩ ، ص ٢٤٠ ، ص ٢٤١ ، ص ٢٤٢ ، ص ٢٤٣ ، ص ٢٤٤ ، ص ٢٤٥ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٤٧ ، ص ٢٤٨ ، ص ٢٤٩ ، ص ٢٥٠ ، ص ٢٥١ ، ص ٢٥٢ ، ص ٢٥٣ ، ص ٢٥٤ ، ص ٢٥٥ ، ص ٢٥٦ ، ص ٢٥٧ ، ص ٢٥٨ ، ص ٢٥٩ ، ص ٢٦٠ ، ص ٢٦١ ، ص ٢٦٢ ، ص ٢٦٣ ، ص ٢٦٤ ، ص ٢٦٥ ، ص ٢٦٦ ، ص ٢٦٧ ، ص ٢٦٨ ، ص ٢٦٩ ، ص ٢٧٠ ، ص ٢٧١ ، ص ٢٧٢ ، ص ٢٧٣ ، ص ٢٧٤ ، ص ٢٧٥ ، ص ٢٧٦ ، ص ٢٧٧ ، ص ٢٧٨ ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٠ ، ص ٢٨١ ، ص ٢٨٢ ، ص ٢٨٣ ، ص ٢٨٤ ، ص ٢٨٥ ، ص ٢٨٦ ، ص ٢٨٧ ، ص ٢٨٨ ، ص ٢٨٩ ، ص ٢٩٠ ، ص ٢٩١ ، ص ٢٩٢ ، ص ٢٩٣ ، ص ٢٩٤ ، ص ٢٩٥ ، ص ٢٩٦ ، ص ٢٩٧ ، ص ٢٩٨ ، ص ٢٩٩ ، ص ٣٠٠ ، ص ٣٠١ ، ص ٣٠٢ ، ص ٣٠٣ ، ص ٣٠٤ ، ص ٣٠٥ ، ص ٣٠٦ ، ص ٣٠٧ ، ص ٣٠٨ ، ص ٣٠٩ ، ص ٣١٠ ، ص ٣١١ ، ص ٣١٢ ، ص ٣١٣ ، ص ٣١٤ ، ص ٣١٥ ، ص ٣١٦ ، ص ٣١٧ ، ص ٣١٨ ، ص ٣١٩ ، ص ٣٢٠ ، ص ٣٢١ ، ص ٣٢٢ ، ص ٣٢٣ ، ص ٣٢٤ ، ص ٣٢٥ ، ص ٣٢٦ ، ص ٣٢٧ ، ص ٣٢٨ ، ص ٣٢٩ ، ص ٣٣٠ ، ص ٣٣١ ، ص ٣٣٢ ، ص ٣٣٣ ، ص ٣٣٤ ، ص ٣٣٥ ، ص ٣٣٦ ، ص ٣٣٧ ، ص ٣٣٨ ، ص ٣٣٩ ، ص ٣٤٠ ، ص ٣٤١ ، ص ٣٤٢ ، ص ٣٤٣ ، ص ٣٤٤ ، ص ٣٤٥ ، ص ٣٤٦ ، ص ٣٤٧ ، ص ٣٤٨ ، ص ٣٤٩ ، ص ٣٥٠ ، ص ٣٥١ ، ص ٣٥٢ ، ص ٣٥٣ ، ص ٣٥٤ ، ص ٣٥٥ ، ص ٣٥٦ ، ص ٣٥٧ ، ص ٣٥٨ ، ص ٣٥٩ ، ص ٣٦٠ ، ص ٣٦١ ، ص ٣٦٢ ، ص ٣٦٣ ، ص ٣٦٤ ، ص ٣٦٥ ، ص ٣٦٦ ، ص ٣٦٧ ، ص ٣٦٨ ، ص ٣٦٩ ، ص ٣٧٠ ، ص ٣٧١ ، ص ٣٧٢ ، ص ٣٧٣ ، ص ٣٧٤ ، ص ٣٧٥ ، ص ٣٧٦ ، ص ٣٧٧ ، ص ٣٧٨ ، ص ٣٧٩ ، ص ٣٨٠ ، ص ٣٨١ ، ص ٣٨٢ ، ص ٣٨٣ ، ص ٣٨٤ ، ص ٣٨٥ ، ص ٣٨٦ ، ص ٣٨٧ ، ص ٣٨٨ ، ص ٣٨٩ ، ص ٣٩٠ ، ص ٣٩١ ، ص ٣٩٢ ، ص ٣٩٣ ، ص ٣٩٤ ، ص ٣٩٥ ، ص ٣٩٦ ، ص ٣٩٧ ، ص ٣٩٨ ، ص ٣٩٩ ، ص ٤٠٠ ، ص ٤٠١ ، ص ٤٠٢ ، ص ٤٠٣ ، ص ٤٠٤ ، ص ٤٠٥ ، ص ٤٠٦ ، ص ٤٠٧ ، ص ٤٠٨ ، ص ٤٠٩ ، ص ٤١٠ ، ص ٤١١ ، ص ٤١٢ ، ص ٤١٣ ، ص ٤١٤ ، ص ٤١٥ ، ص ٤١٦ ، ص ٤١٧ ، ص ٤١٨ ، ص ٤١٩ ، ص ٤٢٠ ، ص ٤٢١ ، ص ٤٢٢ ، ص ٤٢٣ ، ص ٤٢٤ ، ص ٤٢٥ ، ص ٤٢٦ ، ص ٤٢٧ ، ص ٤٢٨ ، ص ٤٢٩ ، ص ٤٣٠ ، ص ٤٣١ ، ص ٤٣٢ ، ص ٤٣٣ ، ص ٤٣٤ ، ص ٤٣٥ ، ص ٤٣٦ ، ص ٤٣٧ ، ص ٤٣٨ ، ص ٤٣٩ ، ص ٤٤٠ ، ص ٤٤١ ، ص ٤٤٢ ، ص ٤٤٣ ، ص ٤٤٤ ، ص ٤٤٥ ، ص ٤٤٦ ، ص ٤٤٧ ، ص ٤٤٨ ، ص ٤٤٩ ، ص ٤٥٠ ، ص ٤٥١ ، ص ٤٥٢ ، ص ٤٥٣ ، ص ٤٥٤ ، ص ٤٥٥ ، ص ٤٥٦ ، ص ٤٥٧ ، ص ٤٥٨ ، ص ٤٥٩ ، ص ٤٦٠ ، ص ٤٦١ ، ص ٤٦٢ ، ص ٤٦٣ ، ص ٤٦٤ ، ص ٤٦٥ ، ص ٤٦٦ ، ص ٤٦٧ ، ص ٤٦٨ ، ص ٤٦٩ ، ص ٤٧٠ ، ص ٤٧١ ، ص ٤٧٢ ، ص ٤٧٣ ، ص ٤٧٤ ، ص ٤٧٥ ، ص ٤٧٦ ، ص ٤٧٧ ، ص ٤٧٨ ، ص ٤٧٩ ، ص ٤٨٠ ، ص ٤٨١ ، ص ٤٨٢ ، ص ٤٨٣ ، ص ٤٨٤ ، ص ٤٨٥ ، ص ٤٨٦ ، ص ٤٨٧ ، ص ٤٨٨ ، ص ٤٨٩ ، ص ٤٩٠ ، ص ٤٩١ ، ص ٤٩٢ ، ص ٤٩٣ ، ص ٤٩٤ ، ص ٤٩٥ ، ص ٤٩٦ ، ص ٤٩٧ ، ص ٤٩٨ ، ص ٤٩٩ ، ص ٥٠٠ ، ص ٥٠١ ، ص ٥٠٢ ، ص ٥٠٣ ، ص ٥٠٤ ، ص ٥٠٥ ، ص ٥٠٦ ، ص ٥٠٧ ، ص ٥٠٨ ، ص ٥٠٩ ، ص ٥١٠ ، ص ٥١١ ، ص ٥١٢ ، ص ٥١٣ ، ص ٥١٤ ، ص ٥١٥ ، ص ٥١٦ ، ص ٥١٧ ، ص ٥١٨ ، ص ٥١٩ ، ص ٥٢٠ ، ص ٥٢١ ، ص ٥٢٢ ، ص ٥٢٣ ، ص ٥٢٤ ، ص ٥٢٥ ، ص ٥٢٦ ، ص ٥٢٧ ، ص ٥٢٨ ، ص ٥٢٩ ، ص ٥٣٠ ، ص ٥٣١ ، ص ٥٣٢ ، ص ٥٣٣ ، ص ٥٣٤ ، ص ٥٣٥ ، ص ٥٣٦ ، ص ٥٣٧ ، ص ٥٣٨ ، ص ٥٣٩ ، ص ٥٤٠ ، ص ٥٤١ ، ص ٥٤٢ ، ص ٥٤٣ ، ص ٥٤٤ ، ص ٥٤٥ ، ص ٥٤٦ ، ص ٥٤٧ ، ص ٥٤٨ ، ص ٥٤٩ ، ص ٥٥٠ ، ص ٥٥١ ، ص ٥٥٢ ، ص ٥٥٣ ، ص ٥٥٤ ، ص ٥٥٥ ، ص ٥٥٦ ، ص ٥٥٧ ، ص ٥٥٨ ، ص ٥٥٩ ، ص ٥٦٠ ، ص ٥٦١ ، ص ٥٦٢ ، ص ٥٦٣ ، ص ٥٦٤ ، ص ٥٦٥ ، ص ٥٦٦ ، ص ٥٦٧ ، ص ٥٦٨ ، ص ٥٦٩ ، ص ٥٧٠ ، ص ٥٧١ ، ص ٥٧٢ ، ص ٥٧٣ ، ص ٥٧٤ ، ص ٥٧٥ ، ص ٥٧٦ ، ص ٥٧٧ ، ص ٥٧٨ ، ص ٥٧٩ ، ص ٥٨٠ ، ص ٥٨١ ، ص ٥٨٢ ، ص ٥٨٣ ، ص ٥٨٤ ، ص ٥٨٥ ، ص ٥٨٦ ، ص ٥٨٧ ، ص ٥٨٨ ، ص ٥٨٩ ، ص ٥٩٠ ، ص ٥٩١ ، ص ٥٩٢ ، ص ٥٩٣ ، ص ٥٩٤ ، ص ٥٩٥ ، ص ٥٩٦ ، ص ٥٩٧ ، ص ٥٩٨ ، ص ٥٩٩ ، ص ٦٠٠ ، ص ٦٠١ ، ص ٦٠٢ ، ص ٦٠٣ ، ص ٦٠٤ ، ص ٦٠٥ ، ص ٦٠٦ ، ص ٦٠٧ ، ص ٦٠٨ ، ص ٦٠٩ ، ص ٦١٠ ، ص ٦١١ ، ص ٦١٢ ، ص ٦١٣ ، ص ٦١٤ ، ص ٦١٥ ، ص ٦١٦ ، ص ٦١٧ ، ص ٦١٨ ، ص ٦١٩ ، ص ٦٢٠ ، ص ٦٢١ ، ص ٦٢٢ ، ص ٦٢٣ ، ص ٦٢٤ ، ص ٦٢٥ ، ص ٦٢٦ ، ص ٦٢٧ ، ص ٦٢٨ ، ص ٦٢٩ ، ص ٦٣٠ ، ص ٦٣١ ، ص ٦٣٢ ، ص ٦٣٣ ، ص ٦٣٤ ، ص ٦٣٥ ، ص ٦٣٦ ، ص ٦٣٧ ، ص ٦٣٨ ، ص ٦٣٩ ، ص ٦٤٠ ، ص ٦٤١ ، ص ٦٤٢ ، ص ٦٤٣ ، ص ٦٤٤ ، ص ٦٤٥ ، ص ٦٤٦ ، ص ٦٤٧ ، ص ٦٤٨ ، ص ٦٤٩ ، ص ٦٥٠ ، ص ٦٥١ ، ص ٦٥٢ ، ص ٦٥٣ ، ص ٦٥٤ ، ص ٦٥٥ ، ص ٦٥٦ ، ص ٦٥٧ ، ص ٦٥٨ ، ص ٦٥٩ ، ص ٦٦٠ ، ص ٦٦١ ، ص ٦٦٢ ، ص ٦٦٣ ، ص ٦٦٤ ، ص ٦٦٥ ، ص ٦٦٦ ، ص ٦٦٧ ، ص ٦٦٨ ، ص ٦٦٩ ، ص ٦٧٠ ، ص ٦٧١ ، ص ٦٧٢ ، ص ٦٧٣ ، ص ٦٧٤ ، ص ٦٧٥ ، ص ٦٧٦ ، ص ٦٧٧ ، ص ٦٧٨ ، ص ٦٧٩ ، ص ٦٨٠ ، ص ٦٨١ ، ص ٦٨٢ ، ص ٦٨٣ ، ص ٦٨٤ ، ص ٦٨٥ ، ص ٦٨٦ ، ص ٦٨٧ ، ص ٦٨٨ ، ص ٦٨٩ ، ص ٦٩٠ ، ص ٦٩١ ، ص ٦٩٢ ، ص ٦٩٣ ، ص ٦٩٤ ، ص ٦٩٥ ، ص ٦٩٦ ، ص ٦٩٧ ، ص ٦٩٨ ، ص ٦٩٩ ، ص ٧٠٠ ، ص ٧٠١ ، ص ٧٠٢ ، ص ٧٠٣ ، ص ٧٠٤ ، ص ٧٠٥ ، ص ٧٠٦ ، ص ٧٠٧ ، ص ٧٠٨ ، ص ٧٠٩ ، ص ٧١٠ ، ص ٧١١ ، ص ٧١٢ ، ص ٧١٣ ، ص ٧١٤ ، ص ٧١٥ ، ص ٧١٦ ، ص ٧١٧ ، ص ٧١٨ ، ص ٧١٩ ، ص ٧٢٠ ، ص ٧٢١ ، ص ٧٢٢ ، ص ٧٢٣ ، ص ٧٢٤ ، ص ٧٢٥ ، ص ٧٢٦ ، ص ٧٢٧ ، ص ٧٢٨ ، ص ٧٢٩ ، ص ٧٣٠ ، ص ٧٣١ ، ص ٧٣٢ ، ص ٧٣٣ ، ص ٧٣٤ ، ص ٧٣٥ ، ص ٧٣٦ ، ص ٧٣٧ ، ص ٧٣٨ ، ص ٧٣٩ ، ص ٧٤٠ ، ص ٧٤١ ، ص ٧٤٢ ، ص ٧٤٣ ، ص ٧٤٤ ، ص ٧٤٥ ، ص ٧٤٦ ، ص ٧٤٧ ، ص ٧٤٨ ، ص ٧٤٩ ، ص ٧٥٠ ، ص ٧٥١ ، ص ٧٥٢ ، ص ٧٥٣ ، ص ٧٥٤ ، ص ٧٥٥ ، ص ٧٥٦ ، ص ٧٥٧ ، ص ٧٥٨ ، ص ٧٥٩ ، ص ٧٦٠ ، ص ٧٦١ ، ص ٧٦٢ ، ص ٧٦٣ ، ص ٧٦٤ ، ص ٧٦٥ ، ص ٧٦٦ ، ص ٧٦٧ ، ص ٧٦٨ ، ص ٧٦٩ ، ص ٧٧٠ ، ص ٧٧١ ، ص ٧٧٢ ، ص ٧٧٣ ، ص ٧٧٤ ، ص ٧٧٥ ، ص ٧٧٦ ، ص ٧٧٧ ، ص ٧٧٨ ، ص ٧٧٩ ، ص ٧٨٠ ، ص ٧٨١ ، ص ٧٨٢ ، ص ٧٨٣ ، ص ٧٨٤ ، ص ٧٨٥ ، ص ٧٨٦ ، ص ٧٨٧ ، ص ٧٨٨ ، ص ٧٨٩ ، ص ٧٩٠ ، ص ٧٩١ ، ص ٧٩٢ ، ص ٧٩٣ ، ص ٧٩٤ ، ص ٧٩٥ ، ص ٧٩٦ ، ص ٧٩٧ ، ص ٧٩٨ ، ص ٧٩٩ ، ص ٨٠٠ ، ص ٨٠١ ، ص ٨٠٢ ، ص ٨٠٣ ، ص ٨٠٤ ، ص ٨٠٥ ، ص ٨٠٦ ، ص ٨٠٧ ، ص ٨٠٨ ، ص ٨٠٩ ، ص ٨١٠ ، ص ٨١١ ، ص ٨١٢ ، ص ٨١٣ ، ص ٨١٤ ، ص ٨١٥ ، ص ٨١٦ ، ص ٨١٧ ، ص ٨١٨ ، ص ٨١٩ ، ص ٨٢٠ ، ص ٨٢١ ، ص ٨٢٢ ، ص ٨٢٣ ، ص ٨٢٤ ، ص ٨٢٥ ، ص ٨٢٦ ، ص ٨٢٧ ، ص ٨٢٨ ، ص ٨٢٩ ، ص ٨٣٠ ، ص ٨٣١ ، ص ٨٣٢ ، ص ٨٣٣ ، ص ٨٣٤ ، ص ٨٣٥ ، ص ٨٣٦ ، ص ٨٣٧ ، ص ٨٣٨ ، ص ٨٣٩ ، ص ٨٤٠ ، ص ٨٤١ ، ص ٨٤٢ ، ص ٨٤٣ ، ص ٨٤٤ ، ص ٨٤٥ ، ص ٨٤٦ ، ص ٨٤٧ ، ص ٨٤٨ ، ص ٨٤٩ ، ص ٨٥٠ ، ص ٨٥١ ، ص ٨٥٢ ، ص ٨٥٣ ، ص ٨٥٤ ، ص ٨٥٥ ، ص ٨٥٦ ، ص ٨٥٧ ، ص ٨٥٨ ، ص ٨٥٩ ، ص ٨٦٠ ، ص ٨٦١ ، ص ٨٦٢ ، ص ٨٦٣ ، ص ٨٦٤ ، ص ٨٦٥ ، ص ٨٦٦ ، ص ٨٦٧ ، ص ٨٦٨ ، ص ٨٦٩ ، ص ٨٧٠ ، ص ٨٧١ ، ص ٨٧٢ ، ص ٨٧٣ ، ص ٨٧٤ ، ص ٨٧٥ ، ص ٨٧٦ ، ص ٨٧٧ ، ص ٨٧٨ ، ص ٨٧٩ ، ص ٨٨٠ ، ص ٨٨١ ، ص ٨٨٢ ، ص ٨٨٣ ، ص ٨٨٤ ، ص ٨٨٥ ، ص ٨٨٦ ، ص ٨٨٧ ، ص ٨٨٨ ، ص ٨٨٩ ، ص ٨٩٠ ، ص ٨٩١ ، ص ٨٩٢ ، ص ٨٩٣ ، ص ٨٩٤ ، ص ٨٩٥ ، ص ٨٩٦ ، ص ٨٩٧ ، ص ٨٩٨ ، ص ٨٩٩ ، ص ٩٠٠ ، ص ٩٠١ ، ص ٩٠٢ ، ص ٩٠٣ ، ص ٩٠٤ ، ص ٩٠٥ ، ص ٩٠٦ ، ص ٩٠٧ ، ص ٩٠٨ ، ص ٩٠٩ ، ص ٩١٠ ، ص ٩١١ ، ص ٩١٢ ، ص ٩١٣ ، ص ٩١٤ ، ص ٩١٥ ، ص ٩١٦ ، ص ٩١٧ ، ص ٩١٨ ، ص ٩١٩ ، ص ٩٢٠ ، ص ٩٢١ ، ص ٩٢٢ ، ص ٩٢٣ ، ص ٩٢٤ ، ص ٩٢٥ ، ص ٩٢٦ ، ص ٩٢٧ ، ص ٩٢٨ ، ص ٩٢٩ ، ص ٩٣٠ ، ص ٩٣١ ، ص ٩٣٢ ، ص ٩٣٣ ، ص ٩٣٤ ، ص ٩٣٥ ، ص ٩٣٦ ، ص ٩٣٧ ، ص ٩٣٨ ، ص ٩٣٩ ، ص ٩٤٠ ، ص ٩٤١ ، ص ٩٤٢ ، ص ٩٤٣ ، ص ٩٤٤ ، ص ٩٤٥ ، ص ٩٤٦ ، ص ٩٤٧ ، ص ٩٤٨ ، ص ٩٤٩ ، ص ٩٥٠ ، ص ٩٥١ ، ص ٩٥٢ ، ص ٩٥٣ ، ص ٩٥٤ ، ص ٩٥٥ ، ص ٩٥٦ ، ص ٩٥٧ ، ص ٩٥٨ ، ص ٩٥٩ ، ص ٩٦٠ ، ص ٩٦١ ، ص ٩٦٢ ، ص ٩٦٣ ، ص ٩٦٤ ، ص ٩٦٥ ، ص ٩٦٦ ، ص ٩٦٧ ، ص ٩٦٨ ، ص ٩٦٩ ، ص ٩٧٠ ، ص ٩٧١ ، ص ٩٧٢ ، ص ٩٧٣ ، ص ٩٧٤ ، ص ٩٧٥ ، ص ٩٧٦ ، ص ٩٧٧ ، ص ٩٧٨ ، ص ٩٧٩ ، ص ٩٨٠ ، ص ٩٨١ ، ص ٩٨٢ ، ص ٩٨٣ ، ص ٩٨٤ ، ص ٩٨٥ ، ص ٩٨٦ ، ص ٩٨٧ ، ص ٩٨٨ ، ص ٩٨٩ ، ص ٩٩٠ ، ص ٩٩١ ، ص ٩٩٢ ، ص ٩٩٣ ، ص ٩٩٤ ، ص ٩٩٥ ، ص ٩٩٦ ، ص ٩٩٧ ، ص ٩٩٨ ، ص ٩٩٩ ، ص ١٠٠٠ ، ص ١٠٠١ ، ص ١٠٠٢ ، ص ١٠٠٣ ، ص ١٠٠٤ ، ص ١٠٠٥ ، ص ١٠٠٦ ، ص ١٠٠٧ ، ص ١٠٠٨ ، ص ١٠٠٩ ، ص ١٠١٠ ، ص ١٠١١ ، ص ١٠١٢ ، ص ١٠١٣ ، ص ١٠١٤ ، ص ١٠١٥ ، ص ١٠١٦ ، ص ١٠١٧ ، ص ١٠١٨ ، ص ١٠١٩ ، ص ١٠٢٠ ، ص ١٠٢١ ، ص ١٠٢٢ ، ص ١٠٢٣ ، ص ١٠٢٤ ، ص ١٠٢٥ ، ص ١٠٢٦ ، ص ١٠٢٧ ، ص ١٠٢٨ ، ص ١٠٢٩ ، ص ١٠٣٠ ، ص ١٠٣١ ، ص ١٠٣٢ ، ص ١٠٣٣ ، ص ١٠٣٤ ، ص ١٠٣٥ ، ص ١٠٣٦ ، ص ١٠٣٧ ، ص ١٠٣٨ ، ص ١٠٣٩ ، ص ١٠٤٠ ، ص ١٠٤١ ، ص ١٠٤٢ ، ص ١٠٤٣ ، ص ١٠٤٤ ، ص ١٠٤٥ ، ص ١٠٤٦ ، ص ١٠٤٧ ، ص ١٠٤٨ ، ص ١٠٤٩ ، ص ١٠٥٠ ، ص ١٠٥١ ، ص ١٠٥٢ ، ص ١٠٥٣ ، ص ١٠٥٤ ، ص ١٠٥٥ ، ص ١٠٥٦ ، ص ١٠٥٧ ، ص ١٠٥٨ ، ص ١٠٥٩ ، ص ١٠٦٠ ، ص ١٠٦١ ، ص ١٠٦٢ ، ص ١٠٦٣ ، ص ١٠٦٤ ، ص ١٠٦٥ ، ص ١٠٦٦ ، ص ١٠٦٧ ، ص ١٠٦٨ ، ص ١٠٦٩ ، ص ١٠٧٠ ، ص ١٠٧١ ، ص ١٠٧٢ ، ص ١٠٧٣ ، ص ١٠٧٤ ، ص ١٠٧٥ ، ص ١٠٧٦ ، ص ١٠٧٧ ، ص ١٠٧٨ ، ص ١٠٧٩ ، ص ١٠٨٠ ، ص ١٠٨١ ، ص ١٠٨٢ ، ص ١٠٨٣ ، ص ١٠٨٤ ، ص ١٠٨٥ ، ص ١٠٨٦ ، ص ١٠٨٧ ، ص ١٠٨٨ ، ص ١٠٨٩ ، ص ١٠٩٠ ، ص ١٠٩١ ، ص ١٠٩٢ ، ص ١٠٩٣ ، ص ١٠٩٤ ، ص ١٠٩٥ ، ص ١٠٩٦ ، ص ١٠٩٧ ، ص ١٠٩٨ ، ص ١٠٩٩ ، ص ١١٠٠ ، ص ١١٠١ ، ص ١١٠٢ ، ص ١١٠٣ ، ص ١١٠٤ ، ص ١١٠٥ ، ص ١١٠٦ ، ص ١١٠٧ ، ص ١١٠٨ ، ص ١١٠٩ ، ص ١١١٠ ، ص ١١١١ ، ص ١١١٢ ، ص ١١١٣ ، ص ١١١٤ ، ص ١١١٥ ، ص ١١١٦ ، ص ١١١٧ ، ص ١١١٨ ، ص ١١١٩ ، ص ١١٢٠ ، ص ١١٢١ ، ص ١١٢٢ ، ص ١١٢٣ ، ص ١١٢٤ ، ص ١١٢٥ ، ص ١١٢٦ ، ص ١١٢٧ ، ص ١١٢٨ ، ص ١١٢٩ ، ص ١١٣٠ ، ص ١١٣١ ، ص ١١٣٢ ، ص ١١٣٣ ، ص ١١٣٤ ، ص ١١٣٥ ، ص ١١٣٦ ، ص ١١٣٧ ، ص ١١٣٨ ، ص ١١٣٩ ، ص ١١٤٠ ، ص ١١٤١ ، ص ١١٤٢ ، ص ١١٤٣ ، ص ١١٤٤ ، ص ١١٤٥ ، ص ١١٤٦ ، ص ١١٤٧ ، ص ١١٤٨ ، ص ١١٤٩ ، ص ١١٥٠ ، ص ١١٥١ ، ص ١١٥٢ ، ص ١١٥٣ ، ص ١١٥٤ ، ص ١١٥٥ ، ص ١١٥٦ ، ص ١١٥٧ ، ص ١١٥٨ ، ص ١١٥٩ ، ص ١١٦٠ ، ص ١١٦١ ، ص ١١٦٢ ، ص ١١٦٣ ، ص ١١٦٤ ، ص ١١٦٥ ، ص ١١٦٦ ، ص ١١٦٧ ، ص ١١٦٨ ، ص ١١٦٩ ، ص ١١٧٠ ، ص ١١٧١ ، ص ١١٧٢ ، ص ١١٧٣ ، ص ١١٧٤ ، ص ١١٧٥ ، ص ١١٧٦ ، ص ١١٧٧ ، ص ١١٧٨ ، ص ١١٧٩ ، ص ١١٨٠ ، ص ١١٨١ ، ص ١١٨٢ ، ص ١١٨٣ ، ص ١١٨٤ ، ص ١١٨٥ ، ص ١١٨٦ ، ص ١١٨٧ ، ص ١١٨٨ ، ص ١١٨٩ ، ص ١١٩٠ ، ص ١١٩١ ، ص ١١٩٢ ، ص ١١٩٣ ، ص ١١٩٤ ، ص ١١٩٥ ، ص ١١٩٦ ، ص ١١٩٧ ، ص ١١٩٨ ، ص ١١٩٩ ، ص ١٢٠٠ ، ص ١٢٠١ ، ص ١٢٠٢ ، ص ١٢٠٣ ، ص ١٢٠٤ ، ص ١٢٠٥ ، ص ١٢٠٦ ، ص ١٢٠٧ ، ص ١٢٠٨ ، ص ١٢٠٩ ، ص ١٢١٠ ، ص ١٢١١ ، ص ١٢١٢ ، ص ١٢١٣ ، ص ١٢١٤ ، ص ١٢١٥ ، ص ١٢١٦ ، ص ١٢١٧ ، ص ١٢١٨ ، ص ١٢١٩ ، ص ١٢٢٠ ، ص ١٢٢١ ، ص ١٢٢٢ ، ص ١٢٢٣ ، ص ١٢٢٤ ، ص ١٢٢٥ ، ص ١٢٢٦ ، ص ١٢٢٧ ، ص ١٢٢٨ ، ص ١٢٢٩ ، ص ١٢٣٠ ، ص ١٢٣١ ، ص ١٢٣٢ ، ص ١٢٣٣ ، ص ١٢٣٤ ، ص ١٢٣٥ ، ص ١٢٣٦ ، ص ١٢٣٧ ، ص ١٢٣٨ ، ص ١٢٣٩ ، ص ١٢٤٠ ، ص ١٢٤١ ، ص ١٢٤٢ ، ص ١٢٤٣ ، ص ١٢٤٤ ، ص ١٢٤٥ ، ص ١٢٤٦ ، ص ١٢٤٧ ، ص ١٢٤٨ ، ص ١٢٤٩ ، ص ١٢٥٠ ، ص ١٢٥١ ، ص ١٢٥٢ ، ص ١٢٥٣ ، ص ١٢٥٤ ، ص ١٢٥٥ ، ص ١٢٥٦ ، ص ١٢٥٧ ، ص ١٢٥٨ ، ص ١٢٥٩ ، ص ١٢٦٠ ، ص ١٢٦١ ، ص ١٢٦٢ ، ص ١٢٦٣ ، ص ١٢٦٤ ، ص ١٢٦٥ ، ص ١٢٦٦ ، ص ١٢٦٧ ، ص ١٢٦٨ ، ص ١٢٦٩ ، ص ١٢٧٠ ، ص ١٢٧١ ، ص ١٢٧٢ ، ص ١٢٧٣ ، ص ١٢٧٤ ، ص ١٢٧٥ ، ص ١٢٧٦ ، ص ١٢٧٧ ، ص ١٢٧٨ ، ص ١٢٧٩ ، ص ١٢٨٠ ، ص ١٢٨١ ، ص ١٢٨٢ ، ص ١٢٨٣ ، ص ١٢٨٤ ، ص ١٢٨٥ ، ص ١٢٨٦ ، ص ١٢٨٧ ، ص ١٢٨٨ ، ص ١٢٨٩ ، ص ١٢٩٠ ، ص ١٢٩١ ، ص ١٢٩٢ ، ص ١٢٩٣ ، ص ١٢٩٤ ، ص ١٢٩٥ ، ص

وفي ١٥ مارس أعلن عمال عنابر السكة الحديد الاضراب وسناروا
في مظاهرة صاخبة قولها: ٤٠٠ عامل ، واستمر الاضراب حتى ٢ مايو .

وفي ١٨ مارس انضم عمال المطبعة الاميرية الى الضربين وسنارت
مظاهراتهم تهب شوارع العاصمة ، واستمر الاضراب حتى شهر مايو
ايضا .

وفي ٦ أبريل انضم عمال شركة الغاز الى الضربين متقدمين ايضاً
بمطالب اقتصادية .

كذلك اضراب عمال الكنس والرشي في العاصمة . . . وبعد أن استمر
اضرابهم عدة ايام قاموا باعلان مطالب اقتصادية ، اعلنوا انهم لن يدخلوا
عن الاضراب دون تحقيقها . . .

كذلك اضراب عمال ورشة البوستة الخديوية وعمال ورش جبل الزيتون
التابعة لمصلحة السكة الحديد وسائقي وعمال السكك الحديدية . . . وبهذا
شئت كسافة مظاهر النشاط في البلاد ، وكانت التجربة الاولى لاضراب عام
شامل يستمر أكثر من شهر ونصف يشل الحركة الاقتصادية تماما ويوقف
كل مظاهر النشاط في البلاد .

والظاهرة الاساسية التي تلفت النظر في هذا الاضراب للعام هي :

اولا : انه - وللمرة الاولى - ادرك العمال اهمية اتحادهم على النطاق
القومي كله ، وادركوا ان الاضراب ليس مجرد سلاح هين وانما هو سلاح
قادر على ارغام المستغلين على الخضوع . . . كذلك فان الاضراب قد زاد من
ثقة الطبقة العاملة في نفسها ، وقد زاد من ثقلها الاجتماعي لتجاء
لطبقات الأخرى ، ولفت انظار كثير من المثقفين الثوريين الى اهمية
الطبقة العاملة في المعركة من أجل الاستقلال ومن أجل الديمقراطية .

ثانيا : ان العمال قد دخلوا المعركة دفاعا عن الحقوق الوطنية ،
لكنهم كانوا في نفس الوقت يدركون الابعاد الحقيقية للثورة الشعبية
وانها يجب أن ترتبط بتحقيق مطالب اقتصادية واجتماعية لهم ولجماعته
الشعب .

ثالثا : ان الاضراب الشامل الناجح الذي استمر طوال هذا الوقت
قد حقق وحدة عمالية قوية اكتسبت اتجاهها يساريا ، بحكم انها قد افلتت
من الاطار الذي رسمته قيادة الوفد للانتفاضة ، وبحكم أن المثقفين
اليساريين كانوا على اتصال وثيق بهذه الحركة وكانوا أكثر المتحمسين لها . . .

وهكذا ، وعندما ابتداء الاشتراكيون الدعوة للقاسمين ، التجباد عام العمال
تسببوا عت القضايات للاتضمام اليه ، وأصبح اتحاد العمال بهذا سبيلا لخلق
رابطة قوية بين القوى الاشتراكية وبين الطبقة العاملة .

وانعما ، ان هذه الحركة لم تكن تتم في مواجهة المحتلين وخدمهم وانما
في وجه كبار الملاك الذين تصدوا للقيادة ، وبينما كان الاضراب الشامل
يهز كيان الاحتلال ، فانه كان أيضا يهز - الى حد ما - كيان الطبقات
العلوية في المجتمع ، فالتقى اضرابات عدة بينات متخالفة تحاول ان تسكب
ماء باردا على الثورة اللتهبة .

مستوعفما ، وصل الجنرال اللخني في ٢٥ مارس ١٩١٩ ، معلنا ان واجبه
الاشيائي ان يضع حدا ، ونهائية للاضرابات الحالية ، المصدر : قادة الوقت
المثقفون في القاهرة بيانا ضعيفا يناشدون فيه للضعيف الا يخرجوا احتشد
في اعماله عن حدود القوانين ، حتى لا يسد الطريق في وجه الذين يخدمون
الوطن ، وأعلى الجميع ان يقولوا انالوا أحب عليهم من الامور المعروفة والنهي عن
المتكر ، فاستأذوا الى اتخاذ جميع ما لديهم من الوسائل لمنع وقوع كل ما يندم
عنة هزرا للبلاد (١) .

وقد صدر هذا النداء يوم ٢٦ مارس ، وأخرج عن سيد ورفاقه يوم
٧ ابريل ، ومع ذلك فان الاضراب العام قد استمر حتى ٢ مايو ، بل ان
اضرابات مستتيدة قد وقعت أيام ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ ابريل سواض ضحكيتها مئات
القتلى والجرحى .

وإذا كان الاضراب العام قيد توقف في ٢ مايو ، فان هذا التوقف لم يكن
غير جنة لأمد قصير ، تسترد فيها الطبقة العاملة أنفاسها ، فمما لبثت ان
خاضت بمعارك اضرابية عديدة أخرى .

في ١٢ يونيو ١٩١٩ ، اضراب عمال القناز ، وفي ١٢ يوليو اضراب
الحلاقون في مدينة الإسكندرية مطالبين بزيادة الاجور بنسبة ٤٠٪ ، وفي ١٦
يوليو اضراب عمال شركة السكر وعمال تفتيش كوم امبو ، وفي ٢٨ يوليو
اعلقت نقابة عمال القهاوى للاضراب ، وفي ٤ أغسطس اضراب عمال الشحن
والتفريغ في ميناء الإسكندرية ، ثم اضراب عمال القرام ، في ١٨ أغسطس ،
وتوالى الاضرابات لتصبح شيئا شبيها بالاضراب العام ، فالى جانب كل هؤلاء
المضربين اضراب عمال السجاير وعمال الترام في الاسكندرية وعمال شركة
ه بونديستورز و عمال مصنع السفن النيلية والتجارية وعمال شركة النور
في الاسكندرية (٢) .

(١) صبيح - المرجع السابق - ص ٤٢١
(٢) القرالي - المرجع السابق - ص ٧٥

والجنيفة ان هذه الموجة الثانية كانت موجة طبقية ، فقد امتحن العمال قواهم في الجولة الاولى واكتسبوا مزيدا من الثقة في انفسهم . ثم ما هم يشنون الان معركة طبقية عنيفة تقوم أساسا على المطالبات الاقتصادية والاجتماعية .

وتنشر جريدة « الأهالي » رسالة لاجد القراء تقول « تشتدت الحرب للقائمة بين العمال وأصحاب الاعمال طلبا لزيادة الاجور وزيادة تنانيب مع ما وصلت اليه الحالة المعيشية من الشدة والضيق » .

وفي نهاية الرسالة يقول كاتبها « وبعد » . فقد حدا بنا لكتابة هذه السطور ما نشاهد من أعمال أصحاب الاملاك والمتاجر وزيادة الائتمان وزيادة مطردة وما نراه من اغفال أصحاب الاعمال أمر الصغار من موظفيهم اغفالات حد النسيان . . (١) .

وثمة احصاء يقول انه خلال الفترة من ديسمبر ١٩١٩ وحتى نهاية عام ١٩٢١ نظم العمال ٨١ اضرابا كبيرا شملت مختلف فروع الاقتصاد من بينها ٦٧ اضرابا شمل كل منها فروع متكاملة من امرغ الصناعة (٢) .

وهكذا ارتفع صوت العمال عاليا بصورة تكفى ليقاط قطاعات كبيرة من المجتمع ، وبصورة تطرح الصراع الطبقي واضحا وغنيدا وحاسما .

وكان لابد لزيادة الصراع الطبقي هذه ان تؤثر في الكثيرين وان تدفعهم - في وقت مبكر جدا - الى ان يختاروا الى اى المسكرين ينحازون .

وكان طبيعيا بحد كل ذلك ان تنشط المساعي لتكوين حزب اشتراكي ليقود هذا الصراع ويقوده .

(١) الأهالي - ١٣/٨/١٩١٩ .

(2) Suliman Bachcar - Communism in the ARAB EAST - 1918-1928, (London - 1980) P 54

المثقفون

طريقتان ثوڊى اليهما الليبرالية

وكان المثقفون يخوضون هم أيضا نضالا مريرا ضد قوات الاحتلال وتفجرت اضرابات الطلاب في مدرسة الحقوق والازهر وغيرها ، واتجه البعض الى الارماڤ - كما رأينا - واتجه البعض الاخر الى تأسيس جمعيات فوضوية . . . وأخذ الكثيرون يبحثون عن طريق جديد .

وفي هذه السنوات الحاسمة من تاريخ مصر الحديث كانت تقبل اشياء غاية في الغرابة وغاية في الاهمية . . .

فالافكار تنتقل سريعا الى مصر من كل أنحاء العالم . . . أفكار تولستوى ، داروين ، كروبتكين ، برنارد شو ، ماركس ، أوين ، . . . وعديد من كتب الاقتصاد السياسى تصدر

الاقتصاد السياسى لخليل غانم عام ١٨٢٩ . . .

أصول الاقتصاد السياسى لرفله جرجس عام ١٨٨٩ . . .

الاقتصاد السياسى لجيومتس ترجمة جيمية، التعريب عام ١٨٩٢ . . .

مبادئ الاقتصاد السياسى تأليف محمد حسين فهوى . . .

الموجز في علم الاقتصاد لبول لروا بوليه - ترجمة حافظ ابراهيم وخليط مطران (١) . . .

ويكتب سلامة موسى كثيرا عن تولستوى ، غاندى ، آيسن ، شوبنهاور ويصدر كتابا عن نظرية داروين ، ويترجم قصة الجريمة والعقاب لديستوفسكى . . .

ويقيم طه حسين رسالة الدكتوراه عن « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » . . .

في وتحدثنا الدارونية التى دعا اليها شبلى شميل وفرح انطون ومجلة

(١) عمر السومى - في الأدب الحديث ص ٢٩٩ ، رقم (١)

المتطاف كثيرا من الباحثين عن الحقيقة ، وتدفعهم الى الايمان بالعلم والى خلق مدرسة فكرية جديدة ذات منهج جديد لفهم الحياة ونشأتها .

يقول اسماعيل مظهر في مقدمة كتابه « مذهب النشوء والارتقاء » :
« انى مكب على ترجمة كتاب اصل الانواع والاطلاع على ما كتب في مذهب النشوء الحديث واجتماع مواد البحث فيه منذ اوائل عام ١٩١١ حيث كنت اذ ذاك مكبا على الفلسفة القديمة انهل من موارد العرب باقى ما تصل اليه استطاعتى . . حينذاك وقعت في يدي نسخة من كتاب دكتور شميل « فلسفة النشوء والارتقاء » ، فأحدثت قراءتها في ذهني من الانقلاب والاثار ما تعجز الكلمات واللغة عن التعبير عنه او وصفه ، فدلقت بقدمي الى مفازة الآراء المادية (١) .

والحقيقة ان جهود د. شميل في نشر النظرية الدارونية والافكار المادية قد اثمرت بسرعة ، الامر الذي يؤكد ان المناخ الفكرى وسط المثقفين كان مستعدا للتمرد على القيود القديمة .

فسلامة موسى يكتب كثيرا في مجلة المستقبل عن دازوين ونظرية اصل الانسان ويصدر في ١٩٠٩ كتاب « مقدمة السوبرمان » ، ويترجم رسالة « جرائت آلين » عن « نشوء فكرة الله » (٢)

وخليل جبران يصدر كتابا بعنوان « شبلي شميل العالم والفيلسوف » (٣)

وكان فرح انطون يواصل رسالته في نشر الفكر التقدمى في جريدة « الامالى » ، وفي كتابات اخرى عديدة .

ونقولا حداد أيضا يقدم مقترحاته لمجتمع جديد . . وتشهد سوق الثقافة سبيلا من الكتب عن الاشتراكية والانظمة الاجتماعية .

وإذا كانت الاتجاهات التقدمية في الثقافة قد بدأت تعلن عن نفسها في العقد الأول من القرن العشرين ، فان الرجعيين لم يقفوا مكتوفى الايدي ويتقدم دعاة الرجعية ليترجموا غديدا من الكتب ضد الثورة وضد الاشتراكية وضد التقدم .

ويصبح جوستاف لوبون اماما لكثير من المثقفين الرجعيين يترجمون كتبه ويتعاهدون على انجاز ترجمة كل مؤلفاته ، فيترجم فتحى زغلون

(١) اسماعيل مظهر - مذهب النشوء والارتقاء - الجزء الأول - ص ٤

(٢) محمود الشرقاوى - سلامة موسى - الفكر والانسان - ص ١٠٧ .

(٣) المرجع السابق - ص ١٠٧ .

« روح الاجتماع » . قوة سر تطوّر الأمم ، عام ١٩٠٩ ، وأعدا قراءه بأن
يترجم « روح الاشتراكية » . و « روح السياسة » .
لكنه يموت قبل أن يفي بوعدده ، فيتقمم آخر لانجاز هذه المهمة
هو عادل زعيتر الذي يترجم « روح الاشتراكية » ، و « الثورة الفرنسية وروح
الثورات » .

وهذه الكتابات جميعا هي في الاساس دعاية مضادة للاشتراكية .
ولنحاول أن نلقى نظرة سريعة على بعض ما كتبه لوبون وما ترجمه
« فتحي زغلول » ، أو « عادل زعيتر » .

« اذا نظرنا الى الاشتراكية من حيث انتشارها رأينا انه لا يؤبه لمثل
هذه النظرية ، لان عقول الجموع لا تستمرئها » (١) .

« فلما كئبت الحوادث صحة مبادئ ماركس الذي ظل زمنا طويلا حبر
الاشتراكية الأعظم ، اضطر اشد اشياعه اخلاصا الى تركها » (٢) .

« ان اكثر نظريات الاشتراكية يناقض مقتضيات العالم الحديث ،
وان تحقيقها سيقودها الى ادوار الهمجية التي قطعناها منذ زمن بعيد ،
ولهذا قررنا أن مستوى الأمم على سلم الحضارة يقاس بدرجة مقاومتها
لمنازع الاشتراكية » (٣) .

« ويفسى أنصار الاشتراكية أن مبتكرات العلم والفن والتصناعة هي سر
قوة البلاد وسعادة من فيها من ملايين العمال ، وان هؤلاء العمال مدينون
لأصحاب العقول السامية الذين اتوا بذلك المبتكرات » (٤) .

وتحاول هذه الكتابات ان تستثير الطبقة الوسطى محذرة اياها من
خطر الاشتراكية .

« ان اشد اوهام الاشتراكيين بطلانا هو حكمهم بالتقصاء على الطبقة
الوسطى » (٥) ، بل ان هذه الكتابات كانت تهاجم أبسط قواعد العدالة .

(١) جوستاف لوبون - روح الاشتراكية ترجمة عادل زعيتر - ص ٦ .

(٢) المرجع السابق - ص ٥ .

(٣) المرجع السابق - ص ٣٠٢ .

(٤) جوستاف لوبون - روح الثورات - ترجمة عادل زعيتر - ص ١٥٨ .

(٥) جوستاف لوبون - روح السياسة - ترجمة عادل زعيتر - ص ١٢٦ .

٤٠ « فالمساواة شيء لا يمكن تطبيقه إلا بين المنحطين ، وهي تبطلح آمالنا صغائيك العقول ، يحلمون بها وهم يأخلاقهم من التغنياء » (١) زور . . .
- كذلك فإنه « لا حاجة - لأن يكون الانتيان ضليعا في علم النفس ولا في علم الاقتصاد لينبئ بان العمل بمقتضى ميادى ، الإشتراكية يفضى بالاعم الى أرذل درك الانحطاط ، وأخرى صور الاستبداد » .

وثمة مؤلف مصرى هو فريد وجدى حاول هو أيضا أن يتصدى لتيار الذكر المادى ، فأصدر كتابا في ثلاثة أجزاء ، بعنوان « على أطلال المذهب المادى » ، وهو هجوم شديد على الفكر المادى ، استند فيه أساسا الى حجج وبراهين شوبنهاور .

٥٠ وقد استقبل العقاد هذا الكتاب بتقليل كبير قائلا أنه « مختص لنقض المذهب المادى وإيراد أقوال طائفة من كبار الفلاسفة والعلماء على بطلانه والدلالة على قصر نظر المثبتين بالمادية البحتة يظنونها آخر ما يعرف من حقائق هذا العالم ، ويخيل اليهم أن « لا » التى يقولونها ليس بعدما « نعم » ، وإن يأتى بعدها جواب آخر » .

٥١ ويضئ العقاد مؤكدا « أن فائدة كتاب وجدى الوطنية والأخلاقية أكبر من فائدته الدينية ، لأننا نهلم أننا لم نصيب في نهضتنا الوطنية أضر من ضعف اليقين وقلة الثقة بمبادئ الاخلاق السماوية ، وهى عيوب فى النفس - كما قلنا - قبل أن تكون عيوباً فى طرق التفكير . ولولا هؤلاء الملاميت الذين ملاهم جهلهم حتى لم يبق فيهم فراغا لجهل أو لعلم لما كانت حالتنا الآن ما نرى » (٢) .

رد - ولست أريد أن استفيض فى التطبيق على هذه الظاهرة . . . ظاهرة اصدار كتابات معادية للاشتراكية ، مكتفيا بالإشارة الى أنها لا بد وأن تكون رد فعل لتلك الحركة الجارفة التى كانت تجتاح الفكر المصرى فى ذلك الحين دافعة إياه فى طريق العلم والتقدم والوعى الطبقي . . .
ولعلها أيضا دليل على اليقظة الشديدة والاحساس الطبقي لكبار الملوك والرجعيين المصريين . . . الذين سارعوا الى مقاومة التيار الجديد بسيل جارف من الأفكار المعادية . . .

(١) جوستاف لوبون - سر تطور الأمم - ترجمة أحمد فتحى زغلول .
(٢) عباس العقاد - على أطلال المذهب المادى مقال فى جريدة الافكار ١٩٢٢/١٠/٢٨

وثمة ظاهرة أخرى تستلفت النظر هي خفوت صوت الاشتراكية الإسلامية في هذه الأيام ، فإن ارتفاع درجة حرارة الصراع الطبقي وتقدم الشيوعيين إلى الميدان ، كذلك انتصار البلاشفة الروس في عام ١٩١٧ . كل ذلك قد دفع الكثيرين إلى الخوف من الاشتراكية ، بعد أن تحولت من مجال ممتع للبحث النظري والفلسفي المعقّد إلى خطر يهدد ، ويستثير المشاعر الطبقية .

• وتردد الصحف والمجافل المصرية في مرات عديدة الفتوى الشهيرة التي أصدرها شيخ الإسلام بالاسفانة ضد الاشتراكية والبشيفية قائلًا : « يستعمل الدين الإسلامي من الأحكام الأساسية ما يناقض جميع المسالك الاشتراكية ، وخصوصًا البشيفية ، التي هي عبارة عن شكل خطر لها لأن من شأنها الإخلال بالملكية الشخصية وحقوق التصرف فيها » (١) .

كذلك سوف نشهد فتوى شرعية أخرى تصدر في مصر عقب تأسيس الحزب الاشتراكي ، وسوف نشهد عجزًا شديدًا من الشيخ الثقتنازاني وغيره من كبار العلماء .

وقد كان ذلك كله - في إعتقادي - أحد الدلائل على نضج الصراع الطبقي ، وعلى أن الاشتراكية قد أصبحت مسألة واقعية تمس الحياة اليومية ، وليست مجرد أبحاث نظرية لا تتعلق بالواقع الفعلي للبلاد . لكن تيار التقدم كان أعمق من أن يقهر ، ونزعة التجديد والايان يألم وبضرورة التخلص من تقاليد وتبؤد الماضي كانت جارفة وشاملة لميادين عديدة في الأدب وأسلوب الكتابة ومنهج التفكير ، وحتى في صياغة الشعر والأدب .

ويكتب حافظ إبراهيم :

آن يا شعر ان تفك قيودا - قبحتنا بها دعاء المحال
تغارفقوا هذه الكمائم عنا - ودعونا نشتم ربح الشمال
(يقصد ربح الحضارة الغربية)

ولقد خاض المثقفون معركة ضارية من أجل حرية الفكر وحرية التعبير وثمة نماذج عديدة •• لكننا سنكتفي ببعضها ••

هاك أبيات من الشعر قالها مطران :

شردوا أخيأرما بحرأ وبرأ - واقتلوا أحرارها حرأ فحترأ
أنما الصالح يبقى صالحا - آخر الدهر ويبقى الشر شرأ

(١) جريدة الأخبار - ١٩٢٠/٩/٢٠ .

تكتسروا الأتلام .. هل تكسروها
 إقطعوا الأيدي هل تقطيعها
 اطفئوا الأعين هل اطفئوها
 اقمقروا الأنفاس .. هذا جهنكم
 وتمنع الأيدي أن تنقش صخرا
 ينفخ الأعين أن تنظر سخرأ
 وتمنع الأنفاس أن تصعد زقرا
 وبه منجاتنا منكم فمشكرا

ويكتب خليل مطران ملحمة نثرية يدافع فيها عن الجماهير وحرية الصحافة
 محتجا أشد الاحتجاج على قانون الطبوعات الذي يقيد حرية الكتابة
 فيقول

« في مصر وفي الأستانة العلية خطتان رسمتا للتضييق على الصحافة يزد
 بهما أن تضطر الجريدة كما يخرج الكلب المقور من بيت صاحبه وفي غمبه
 كرامة .. »
 « ان التقييد للانكار كلما زادها الاقوة وانتشارا .. »

« اليس الشعب قوى شتى : قطرات سيل عرم ، شرير لهيب آكل ..
 مجال ألوف المقول .. متكاتف أجساد لو اجتمعت لحكمت الروابي ؟ » (١)

« ان أخص معنى وإشريف معنى من معاني الحرية هو حرية الصحافة ..
 بل أن ثمة لحسات في شعر مطران تهاجم الاغنياء والملكية الخاصة .. »

« ان يجهل الشعب فالحكم الخليق به .. حق الغريزين من وال وسلطان
 أو يرشد الشعب يمسى الأمر في يده .. ولا اعتذاف بأملاك وأعيان
 والحقيقة ان شعره قد لعب دورا كبيرا في معركة النضال ضد
 الاستغلال ومعركة الدفاع عن حقوق الكادحين .. »

فهؤلاء الشعراء والمفكرون الذين خاضوا معركة الدفاع عن حقوق
 الوطن وعن الحرية والديمقراطية وجدوا أنفسهم يخوضون بالرغم منهم معركة
 طبقية ضد كبار الملاك الذين تعاونوا مع المحتل وضد كيان الملاك
 من الأجانب ..

« وهكذا ظهر الى الوجود شعر ثوري وطبقى يمكن اعتباره سلاحا
 في معركة التوعية الاشتراكية .. »

ففي عام ١٩١٤ عندما تشدد أزمة البطالة ويخرج جموع العمال العاطلين
 تحمل ريات حمراء تطالب بالخبز أو العمل .. يصرخ الشاعر عبد الرحمن
 سالم في جموع العاطلين صائحا (٢) :

(١) ظاهر الطنحاني - حياة مطران - ص ٢٥٧
 (٢) أمين عز الدين - المرجع السابق - ص ١٤٣

برح اليزم بالظهور الخفاء . . . فكلموا الاغنياء بها فقسرا ،
 امضوهم . وعلقوا الاثم في . . . جيدي فهم بانتحارنا الاثما ،
 واطعموهم . . . وكلكم مستمد . . . لايتلاع الاحجار لولا الحياء
 . . . وثمة قصيدة اخرى كتبها الشاعر القروي ووجهها الى « الاغنياء
 الجائرين » تقول (٢) :

مضى عصر اليخاسة من زمان . . . ولاح على البرية غير شمس
 زمان كان فيه العبد يشقى . . . ليبعد قلب سيده بنحسه
 لقد حان الزمان لوضع حد . . . لظلم المستبد وسحق رأسه

وثمة نماذج كثيرة لتقفين من أبناء هذا العصر بدأت خطاهم على
 طريق الخيانة الليبرالية بالخرابات والدمتور ، ثم قادتهم خطاهم الى
 الصدام بالاحتلال وباعوان الاحتلال ثم اتخاذ موقف طبقي صريح ضد
 هؤلاء الملاك الكبار والاغنياء الكبار بالتعاون مع الانجليز فانقلوا من
 الليبرالية الى الدفاع عن الكادحين . . .

ولنقدم نموذجا واحدا من هؤلاء هو ولي الدين يكن . . .

ويكن اديب ليبرالي التفكير عشق الحرية باحساس مرهف وتغنى بها
 تغنى الحب بمحبوبته « يا حرية . . . انا عرفتك وهمت بك مياما ، فانا احبك
 من قبل ومن بعد ولن اخاف منذ اليوم رقبيا » (١) .

بل هو يتشرب فيها شعرا . . . (٢) :

تشواق حرية فيؤسسينا . . . من دهرنا عن حالها ضنن
 او هننا حبيبا وتيمنا . . . حتى ترانا وشهقنا الوهن

ويمضى في حديثه عن الحرية :

« الحرية طاقت بلاد الله فكما نخلت ارضا اعتقت المعتقلين فيها فلما
 طرقت تركيا اعتقلوها في سجنها ، بيلدز » (٣) .

لكن دفاعه عن الحرية يقوده للنضال ضد المستبدين :

« فالحرية حبيبة الشعوب وعدوة الملوك » .

(٣) مجلة الهلال مجموعة عام ١٩١٩ .

(١) ولي الدين يكن - المعلوم والمجهول - الجزء الثاني - ص ٤ .

(٢) محمود الشرفاوي - مقال بالهلال - مارس ١٩٦٧ .

(٣) ولي الدين يكن - المعلوم والمجهول - الجزء الأول - ص ٦٣ .

وهو يهاجم الحكام المستبدين قائلا :
بغضب قيسوسى الأسد يتر سياسة ما ساس أسدا قبل ذلك بغال (١)
وهو يشن هجوما قاسيا على رجال الدين :

« فالعامة تحب الشيء إذا حبه إليها زعماءها وتبغضه إذا بغضه
إليها زعماءها ، وزعماء العامة عندنا رجال الدين وهؤلاء لا يرغبهم في
الشرى شيء فهم يحبون أن يظنوا متحكمين على الرقات وأن يبقوا عيالا على
الامة وأن يلثم الناس أيديهم ويملؤوا أكياسهم » (٢).
وهو يتهم عليهم في جراءة : قائلا :

« لو جمعنا العثمانيين التي بالبلاد العثمانية وجمعناها بعضها فوق بعض
بنينا حصنا يعجز عن حمله أسطول إنجلترا بأبصره » (٣).
! وهو يرفع صرخة المظلومين عالية :

« أيتها النفس .. بلغى خالك انا مظلومين .. انضى اليه بخاجتنا
.. هو يعلمها ولكن لا بد من نوجة لديه » (٤).

لكن الأمر لم يقتصر عند هذه الحدود فيمكن الذي دفعه حبه الدافع
للحرية الى مجابهة الظالمين والمستبدين تدنعه هذه اللجاجة للظالمين
الى مساندة الكادحين في معركتهم ضد الاستغلال .

ولعل أهم ما يلفت النظر في هذا الصدد مقالين وردا في كتابه
« الصحائف السود » الأول بعنوان « مقتل فري » و « فري » هذا مناضل
أسباني دافع عن حقوق شعبه فحكموا عليه بالاعدام . وتنتطق كلمات
ولى الدين يكن خاتمة قوية صارخة .

« من ثلاث رصاصات رميت باسبانيا فجاوبت دويها بلاد الله في أوروبا
وأسيا وأفريقيا وأمريكا .. ثلاث رصاصات رمتها حكومة متمدنة بمشهد من
حكومات متمدنة فقتلت رجلا متمدنا ، حزا أشقته حريته ، عارفت أجهده
معرفته ، ومنصف أراداه انصافه ، أبى زعامة الفرد على الجمع ، وكره أن يرى
أناسا يرفلون في ثيابهم المجهلة يجرون أسياهم وتحقق على رؤوسهم خرق

-
- (١) سامى الكيالى - ولى الدين يكن - ص ٤١ .
 - (٢) ولى الدين يكن - المداوم والمجهول - الجزء الثاني - ص ٩ .
 - (٣) ولى الدين يكن - التجاريتب - ص ٣١ .
 - (٤) ولى الدين يكن - عفوا الخاطر - ص ٥٨ .

فوق قضبان يسمنونها أعلاما ؛ وأن تكثر حكومات الأرض من جمع هؤلاء في أزيانهم. النضحكة لتقتل أمثالهم ، أنف أن يرى أخوته أبناء آدم يتنازعون أكنافا من الأرض ليست لهم ولا لغيرهم ولكنها لكل الناس ، فما يجزع علي فرر سكان القصور العالية ولا المدخرون للذهب والفضة ولا سراة القوم ولا الوزراء ولا كبار الموظفين وإنما يجزع عليه الأنفيون التي اتصى سيبيريا حين يعض الحديد علي سواعدهم ، والمقيمون في ظلمات السجون في سنائر أقطار الأرض بل يبكي عليه كل من ذاقوا مرارة الظلم والاستبداد في أسر المستبدين ، الأرمني الذي قتل أذربوه في مذابح الاناطولي ، والتركي الذي ألقى ذروه في لبح النوسفور والعمال في أعماق الموانئ محروما من نور الشمس ولطف الهواء ، والبختر الذي يحس بالفاقة ولا يتجاسر علي شكايتها . كل ينسب فرر وكان فرر يندبهم « (١)

أن أهم ما يلفت النظر في هذا المقال هو الروح الاممية الدافقة والاحساس الطبقي الواضح .

أما المقال الثاني فهو بعنوان « العمال في البلاد العثمانية » (٢) كتبه ولي الذين يكن ردا علي رسالة وصلتته من عامل عثماني يدعوه التي نصره العمال فقال :

« أيها الأخ العامل . . . لبيك الفاء ، هذا يمين الاخاء أمده اليك فإن كنت خاطبا ودا للود لك ، وان كنت شاكي ظلم فيراعي لسانك وبياني ترجماتك ، وأنا وحياتي دريئة لك من المخاوف » .

ويمضى ولي الدين متاجما الاغنياء والحكام :

« ادخل حجرة الوزير تلق بها الاواني المذهبة في نقوشها وتصاويرها وهو مضجع علي سرير اقل مسمار فيه أعلى من مالكة ثمنا وأنفس قدرا : هو يحسب أن العامل يدور كاللؤلؤ لا يجيده تعب ولا يضنيه كد ولو رآه في معمله متقصدا جبينه عرقا مشعرا عن ساعدين مفتولين عزما ، متهللا فرحسا في حزنه ، شاديا في مناحه حظه ، لأخذه الروح ولخسازت تلقاء ذلك المشهد المهيب قواه » .

ثم هو يقدم صورة بشعة لحياة العامل التركي :
« ان بين الخيطان السود تحت سحب الدخان ، أمام النار يذكيها

(١) ولي الدين يكن - الصحائف السود - ص ٥٢ .

(٢) البرجع السابق - ص ٥٧ .

الكبير الزافر وتحت أعماق من الأرض فزرعها ثلاث مائة ذراع أو أكثر رجالا
شغلت الفواصي ، غير الوجود نجا عن أجسادهم النعيم وأجفلت عنهم الاستفادة
يخبثون بنى الانسان كأن لم يكونوا من بنى الانسان .
ثم تعلق صيحة ولى الدين :

« من أراد أن يجور على العمال فليستغنى عن العمال ، ليقبل هؤلاء
الكبراء والأوسمة تشرق على صدورهم والأثواب المخملة تكساد تلتفت على
أجسادهم وهم نجوم أفق الدولة ودرر عقدها المنظوم ، أنفا في غنية عن
العمال ، وإذا نزعنا عنا هذه الحال الياهرة ملنا الى العمال وشمرنا
عن ساعدنا وصنعنا لأنفسنا وليصنع العمال لأنفسهم هنالك يعلم كل عمله ،
ويختتم ولى الدين رسالته مخاطبا العامل قائلا :

« ان كان هذا يكفيك ايها الاخ العثماني فالحمد لله على خدمتك وخيمة
اخواني »

وقد كان ولى الدين يخوض هذه المعركة وهو يحلم بمجتمع جديد ، قدم
له صورة غاية في الشاعرية ، يجتمع أمواله كثيرة ولو أحسن انفاقها لصارت
« أعمدة النور في الطرقات من الفضة ، ولو بذلت في تعليم الأبناء لصاروا
كالأنبياء ، ولو بذرت في الأرض لنبقت للسنابل ذهبيا ، ولو أنفقت على
الفقراء لأصبح السائلون يشكرون ملايسهم من « ريبو » ويفطرون على
« الشكولاتة » (١) .

وبعد .. فان ولى الدين لم يكن هنا أكثر من نموذج لهذا التحول الذى
طأ على مواقف كثير من المثقفين الليبراليين الذين تحولوا في خضم الصراع
الطبقى العنيف ونتيجة لاملاس الطبقات المالكة وللصمود الشجاع للطبقة
العاملة ، تحولوا من الليبرالية الى معركة الصراع الطبقي منحازين الى
صنوف الكادحين .

ولم يكن ولى الدين وحده هو الذى تحول .. فهناك كثيرون غيره ..

وإذا كان ولى الدين يمثل جيلا من هؤلاء الليبراليين الذين توصلوا
بعواظهم المرهفة واحاسيسهم النبيلة ومواقفهم الاخلاقية الى الدفاع عن
الكادحين فثمة ليبراليون آخرون دافعوا عن الديمقراطية بل وعن الاشتراكية
في بعض الأحيان ثم انساقوا بعد ذلك في طريق آخر ..

(١) محمود الشرقاوى - مقال مخملة، الهلال - المرحح السابق .

رأى أحد هؤلاء عباس العقاد .
وأهل عذا يبدو غريباً بعض الشيء، فنحن نعرف موقف العقاد الطبيخي
وموقفه من الفكر المادي، وتمجيده لكتاب فريد وجدي . . . لكننا مع ذلك
لا نملك إلا أن نتأمل كتابات العقاد عن الاشتراكية ومحاولاته الظهور بمظهر

المدافع عنها .
ولنبدأ بتعليقات سريعة أوردتها عرضاً في بعض مقالاته .

فهو مثلاً يقدم دراسة عن أبي العلاء المعري ويفرد فيها فصلاً عن
« اشتراكية المعري » . ويورد عدداً من قصائده يدافع فيها عن الفقراء والمظلومين
لكنه لا يلبث أن يعلق عليها بجملة ذات مغزى كبير فيقول « نعم إن الاشتراكية
لا تعتمد في حقوقها على الرحمة والكذب لا تطلب من شعرائها أكثر مما
قال المعري » (١) .

أنه يحاول أن يقدم فهماً متقدماً لمعنى الاشتراكية .

لكن أهم ما كتبه العقاد بهذا الصدد هو محاولة لانتقاد كتاب « سر
تطور الأمم » لفريستاف لوبون وذلك عقب نشر الترجمة العربية التي أشرنا
إليها فيما سبق .

ويهاجم العقاد الكتاب ، يهاجم فيه تعنته ضد الاشتراكية واعتراضه
على فكرة المساواة . . . فهو يقول « والكتاب يجعله حملة منكرة على المساواة
والاشتراكية ، يخيل اليك أن الدكتور لوبون يكتب عن المساواة بتلم شارل
الاول أو لويس السادس عشر وأنه يكتب عن الاشتراكية بتابعاز من روتشيلد
أوزوكفلر ، فقرأه يتعنى على مبدأ المساواة ولكنك لا تعلم منه كيف يبرر عدم
المساواة ، وتراه يتشائم من الاشتراكية كما يتشائم الناس من نعيب اليوم
لا يعمنون لذلك التشاؤم سبباً » (٢) .

ويمضي العقاد قائلاً « الحقيقة أن نظام مجتمعنا الحاضر مشتمل على
نقائص ومثالب لا ينفرد بالسخط عليها وطلب تبديلها الاشتراكيين . ومن
العلماء من لا يحسبون أنفسهم من الاشتراكيين ، ولا يحسبهم الاشتراكيون
منهم . . . وهم مع هذا يشكون ظلم النظام الحاضر شكوى غلاة الاشتراكية
ويرون رأيهم في بعض الحول التي يقترحونها » .

وإن الاشتراكية الصحيحة ليست أسطورة من الاساطير ولا هي وعد
خيالي يبشر الناس بالتنازل في الاقدار والتشاكل في المنزلة والارزاق كلا ،
فليست المساواة بين الناس من همها ولكنها انما ندعو الى المساواة بين الاجز

(١) نظرات في فلسفة المعري - مقال في المقتطف - عدد نوفمبر ١٩١٦

(٢) عباس العقاد - الفصول - طبعة عام ١٩٢٢ - ص ١٥٥ .

والعمل وتطلب ان تعطى كل عامل ما يستحقه بعمله، وان ينتفع المجموع
 بالكثرة مما يمكن الانتفاع به من قوى الافراد فاذا كانت الذئيل قيد حل اهلها
 وقارت يومها لان جائعها يزيد ان يشبع ويغنيها كما يتمنى ان يستريح
 وظلها يود ان يتصف بنظرة ما ازلت هذه الخيالات من افكارها
 وكالعادة يلجأ العقاد الى التراث الاسلامي ليستمد منه مستدافا في دفاعه
 عن الاشتراكية فيقول: *بعضنا يرى في الاشتراكية تشيما غير*

وهو ان قال عبد الله بن معاوية ما رأيت تشديرا لفظ الاصول التي جاءت بحسن
 مخرج ولو شاء زعيم من زعماء الاشتراكية اليوم بان يتخذها لذنبه
 شعارا لما زاد على تلك الحكمة حرفا فالاشتراكية الصريحة تقوم اليوم
 لتسترد ذلك الحق المضيع *بعضنا يرى في الاشتراكية تشيما غير*

وكذلك فان العقاد يهاجم النظام الرأسمالي و فالنظام الاقتصادي
 الحاضر قد صير العامل قوة آلية وسلية كل وسيلة لاستخدام ذكائه وحقه ،
 وهذا النظام الاقتصادي المودى بالمواهب المعطى للمعول هو النظام الذي نشور
 عليه الاشتراكية ، فما قامت الاشتراكية الا لترقى مدارك العامل وترفع عنه
 حيف صاحب العمل وتجعله انسانا ذا رغبة في عمله وبغيرة عليه شئمة وليس
 كفا هو الآن آلة تدوير آلي *بعضنا يرى في الاشتراكية تشيما غير*

قالوا ربة فبئس ظلم الظلم في سبيلها ، ويأخذون بالعلم للناس تلك الآلات
 الرابو هو يهاجم الرأسماليين قائلا : ومنذ خرج العلم للناس تلك الآلات
 الصنعية أصبح كل صاحب معمل يتمتع بجمع الألوف من الصناع الذين
 يستخدمهم في معمله ، يكيان التبع والخزمان من نصيب فريق ، والراحة
 والربح من نصيب الفريق الأقل ، *بعضنا يرى في الاشتراكية تشيما غير*

وهو في النهاية يؤكد لا بد للامم من معتقد جديد ، أفندرى ما هو
 هذا المعتقد ؟ نحسبه هو وحدة الاخاء أي هو التضامن الإنساني أو هو - في
 بعض مظاهره التي يفهمها سواء الناس - الاشتراكية ، *بعضنا يرى في الاشتراكية تشيما غير*
 فبئس ظلم الظلم بالبرغم من ذلك كله لم يكن داعية للاشتراكية الحقبة
 فهو يفهم الاشتراكية على نحو خاص *بعضنا يرى في الاشتراكية تشيما غير*

فيقوم يتحدث عن اشتراكية أمريكية قائلا : ان حكومة الولايات
 المتحدة قد طارت منذ سنوات أكبر شركات الاحتكار فحلقتها والزميتها غرامة
 فادحة ، فان كان لو برون يعنى بالاشتراكية مظهر انوى من هذا فليبدأ فليس
 في أمريكا ولا في أوروبا ، بل ولا في الدنيا جميعها اشتراكية *بعضنا يرى في الاشتراكية تشيما غير*

141 - *بعضنا يرى في الاشتراكية تشيما غير*
 * يلاحظ ان العقاد كتب هذا المقال بعين ثورة أكتوبر 1917

وكل ما ينادى به العقاد هو بعض الخطوات الإصلاحية ، فالواجب على ولاة الأمر في كل أمة أن يعترفوا بنقائص المجتمع ولا تفتنهم عن إصلاحها عصبية الطبقات ، لان الكثير من هذه النقائص قابل للإصلاح وتخفيف لولا تعنت من بعض الطبقات القويوة يجر إلى تعنت الطبقات الأخرى وتضاميم النزاع على غير جدوى ، ولست بحاجة إلى التعليق على كلمات كهذه فهي تتصور أن حل قضايا الصراع الطبقي من أجل الاشتراكية يمكن أن تحل من خلال بعض التسهيلات أو الإصلاحات ، تقدمها الطبقات الغنية وفي عام ١٩٢٢ يخطو العقاد خطوة أخرى

فهو يقدم لقراءه في جريدة البلاغ كتابين لماكس نوردو (١) « الاضمحلال » و « الأكاذيب المقررة في المدنية الحاضرة »

و حول الكتاب الثاني يقول العقاد انه « حمة على المجتمع فصح فيها نوردو كل ما ظهر من أكاذيب الحضارة الأوروبية كأكثوبة الدين وأكثوبة الحكم المطلق . وكان نوردو حين أصدر كتابه هذا عظيم التساؤل كبير الأمل في مستقبل الإنسانية ، فتنبأ بمجيء عصر تمحي فيه العيوب في حضارة العصر وتحل محلها حضارة قائمة على الحب والإخاء والتضامن بين الناس وقال في ختام كتابه :

« انظر إلى هذه المدنية مذنبة اليوم التي شعارها التمشاؤم والأكاذيب والجشع فارها تتوارى وتخلفها مذنبة أخرى قائمة على الحق والسعادة ويعتد تصبح الإنسانية حقيقة واقعة لا فكرة مجردة - فطوبى للأجيال القادمة التي سيكون من نصيبها إن تحيا في جو المستقبل الصافي مقسمة عليها أنواره المشرقة . . . انها ستحيا في ذلك الإخاء الدائم في أفق من الصدق والمعرفة والإصلاح والحرية ،

و نوردو يهاجم في كتابه هذا أسس الحكم البورجوازي أو كما كانت تسمى في ذلك الحين الحكم الديمقراطي « فليست حكومة الديمقراطية بحكومة الشعب كما يقولون ولكن هي حكومة فئة قليلة من ذوى الطمطمع المهمين على تنظيم الأحزاب ونشر الدعوة ومخادعة الجمهور واستحلاب الإعوان بالعود والمكافآت والمناصب ، فالديمقراطية طراز جديد من الحكم المطلق القديم أو هي ذمرة عميقة في آنية جديدة ،

وكان هناك آخرون غير العقاد اتفهموا في نفس الاتجاه الليبرالي (١) البلاغ - ١٢ فبراير ١٩٢٢

والوطنية والقومية والنهج الفلسفي ، وكان المثقف المصري قد استيقظ فجأة ليجد سوق المذاهب والافتكار والمتحدث مزدحما فانشغل طويلا في التأمين والدراسة والتنقل بين هذا وذلك . . . وبعد هذه الموجة العارمة من البحث المختلط . . . السريع التقلب . . . ونتيجة للتمايز الذي حددته بصراحة مواقف العمال المضربين في ١٩١٩ ، وبيانات الاشتراكيين وبرامجهم . . . انطلق كل من هؤلاء الباحثين المترددين الى موقع طبقي يتحصن فيه .

وهكذا فان كثيرا من المواقف التي اتخذت في ذلك الحين يجب ألا ندفعنا الى تحديد تقييمات سريعة ومتعجلة لهذا الشخص او ذلك فقد كان الجميع منغمسين في غمرة الاختيار والمفاضلة والتنقل بين الافكار . ولكي يكون التقييم موضوعيا يتعين عليه أن يتأني سنوات قليلة بعد ثورة ١٩١٩ ليرى كلا من هؤلاء وقد اتخذ موقعه الصحيح . . .

والحقيقة أن مثقفي هذه الفترة كانوا يدركون ذلك ، كانوا يشعرون أن ما يجمعهم هو الرغبة المشتركة في البحث عن شيء جديد وأن الايام لن تلبث أن تفرقهم في طرق مختلفة بل ومتصارعة . . .

. . . ويقدم العقاد صورة لهذا الاحساس عندما يتحدث عن فرح انطون . . . رلوييا قصة لقائه الاول به في جريدة الامالي . . . وقوله له ، انك يا فرح انا الذي طالبتك بمكرة من طلائع هذه النهضة العاملة وسيعرف لك المستقبل من عملك ما لم يعرف الحاضر ، وستكون حين تفرق الطريقان خيرا مما كانت في هذا اللحقي المضطرب « (١) » .

ولقد تحققت نبوءة العقاد فسرعان ما افتقرت الطرق واتجه البعض يسارا واتجه الكثيرون يمينا . . . بل والى أقصى اليمين . . .

(١) عباس العقاد - مطالعات في الكتب والحياة - ط ٢ - ص ٦٥ .

فمنه في كبريتات و...
والنظام في كبريتات...
تحتفظا...
والصلا...
...
...

استلقت...
...
...
...
...

...
...
...
...

...
...
...
...
...

...
...
...

وفي هذه السنوات الخصبة ، أتت شهيدت فيها مصر صراعات فكرية
وطبقية عذبة والتي خاض فيها كثير من المثقفين المصريين غمار التجربة ،
تجربة البحث ، ومحاولة لاختيار موقع نكري أو منطلق فلسفي لأرائهم لسياسية
والقومية .

في هذه الفترة وفدت الى مصر عديد من الاتجاهات الفكرية والفلسفية
وقد استطاعت بعض هذه الافكار أن تؤثر في المنهج الفكري للثلاثينيات
تأثيراً متميزاً ، بينما اكتفى البعض الآخر بتأثير عابر . في حين عجزت
بعض هذه المدارس عن أن تكسب لها أنصاراً برغم كثرة ما قدمت من كتابات
وما بذلت من جهود .

فالفلسفة كسبت في مصر واحداً من أبرز مثقفيها هو سلامة موسى الذي
نشر مئات المقالات وعديداً من الكتب ، وترك في الفكر المصري آثاراً هامة
.. لكن فانيته عجزت عن أن تجد لها أي نفوذ حقيقي ..

واشتراكية الدولوية الثانية وبالتحديد الجناح اليميني منها وفدت الى
مصر على أكتاف المثقفين الذين تلقوا العلم في أوروبا واحتكوا بأحزابها
الاشتراكية الديمقراطية .

ولأن الكثيرين منهم كانوا أبناء لطبقة الارستقراطية وهي الطبقة التي
كانت تملك القدرة على إرسال أبنائها للتعليم في الخارج .. فقد تأثروا
بأشده أنواع هذه الاتجاهات اصلاحية وأكثرها اعتدالاً .

بينما وجدت الماركسية اللينينية لها هي الأخرى أنصاراً عديدين
تأثروا بالإنحياز الثوري العام وبالطاقات الكبيرة التي ولدها الحركة
الشيوعية للبروليتاريا المصرية والفلاحين المصريين ، وتأثروا أيضاً بانتصار
الثورة البلشفية في روسيا وما حققته هذه الثورة من منجزات ..

ولسوف اكتفى في هذا الفصل بالحديث عن هذه الاتجاهات الثلاث
رغم أنها لم تكن الوحيدة ..

فهناك مثلا التأثير الهيجلي المباشر والذي انعكس في أنكار د . على
العنانى أحد مؤسسي الحزب الاشتراكي ، والذي حاول أن يصوغ فكراً
متماسكاً أسماه « النظرية الاشتراكية العلمية العممية » لكن صحف هذه
الفترة لا تحمل أثراً لأي مجهود فكري للدكتور على العنانى الذي اكتفى بإعلان
اسم مذهبه في أكثر من مناسبة دون أن يهتم بعرضه تفصيلاً على القراء ..

تكن البحث في الصحف الصادرة في الثلاثينيات مكننا من العثور على
مقالات للدكتور العنانى يمجده فيها الفلسفة الهيجلية ويشير بالتحديد

للى ايمانها يدور الاديان ويبدى اعجابا شديدا بالديج الذى ازجاء هيجس
للدين الاسلامى مشيرا بالتحديد الى فكرة التوحيد عند عيجل محاولا ربطها
بالوحدانية فى الاسلام .

وهكذا يمكننا ان نفهم مطالبة العنانى فى كتاباته القلية خلال فترة
تاسيس الحزب الاشتراكى باشتراكية تلتزم بنمائيم الشريعة .

ان العنانى لم يستطع ان يشرح افكاره ولم يكن فى نشاط سلامة
موسى ولا فى عمقه على التأثير ولا فى مثابرتة على نشر آرائه .

وهكذا لم يكن « للاشتراكية العلمية العملية » وجود يذكر .

كذلك وجدت بعض الاتجاهات الفوضوية وخاصة وسط النقابيين الأجانب
ووسط شباب الحزب الوطنى الفين أسسوا جمعيات عديدة للاغتيال لكن هذا
الاتجاه لم يكن قائما على أية أسس فكرية واكتفى بالنشاط الارهابى العملى
دون الفوضى فى أية تفسيرات أو تبريرات ايديولوجية (١) .
وهكذا يمكننا ان نقيم بتجاهل اى فكر جاد - ان نكتفى بتقديم
اتجاهات ثلاث :

* الفابية *

* اشتراكية الدولية الثانية (الاتجاه اليميني)

* الماركسية *

(١) ثمة تفصيلات هامة ومثيرة عن التوجهات والانشطة الفوضوية
نشرت فى مصر فى منتصف عام ١٨٩٩ حول محاكمة عشرة من الفوضويين بتهمة
محاولة اغتيال امبراطور النمسا . . . وذلك فى مجلة كانت تصدر فى مصر باللغة
الايطالية هي :
L'impazzial

وذلك فى الاعداد الصادرة ما بين ١٠ يونيو ، ٢١ يونيو ١٨٩٩ ومجموعة
هذه المجلة مودعة بدار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم (دوريات ١٨٣) .

الفابية

إذا كان الفكر الفابي قد لعب دوراً في مصر ، وفي التكوين الفكري تعدد من متفتيها ، فإن صاحب هذا الدور هو سلامة موسى بغير منازع .

والحقيقة أن سلامة موسى شخصية محيرة ، فقد اجتمعت فيه الصفات عديدة وتراكمت في كتاباته كل التناقضات التي يتحتم عليها أن تتراكم في أفكار شخص يعيش في مجتمع متخلف ومقهور ومستعمر . ولكنه ينشأ بالفاابية .

وفي اعتقادي أن سلامة كان فابياً إذا طابع خاص فهو شيء يختلف عن فاببي أنجلترا رغم أنه عاش أربعة سنوات في إنجلترا كان خلالها عضواً في « الجمعية الفابية » هناك ورغم أنه تأثر كثيراً جداً ببرنارد شو ، بل لعله قد استعار منه كثيراً من تشبيهاته وأحكامه .

لكنه لم يكتف ببرنارد شو فلقد تأثر بأخرين . نيتشه ، آبن خلدون ، تولستوى ، غاندى ، أوين ، أبسن . وحتى كروبتكين ، تأثر به وترجم له « نداء إلى الشباب » (١) .

كذلك تأثر سلامة موسى بماركس . تأثراً كبيراً . وأن كان قيد ظل لفترة طويلة يتجاشى الإشارة إلى ذلك . وأخيراً وبعد ثورة عام ١٩٥٢ كتب سلامة موسى يقول :

« ومع أنني في كتاب « هؤلاء علموني » ، قد ذكرت نحو عشرين من الأدباء والعلماء والفكرين الذين وجهوا نشاطي الذهني وربوا نفسي فإني لم أذكر معهم كارل ماركس داعية الاشتراكية ، والان أحب أن اعترف أنه ليس في العالم من تأثرت به وتربيت عليه مثل كارل ماركس . وإنما كنت أنفادي فكر اسمه خشية الاتهام بالشيوعية » .

ولو كنت قد وجدت الخزية أيام

(١) محمود الشراوى - المرجع السابق - ص ١٢٢ .

الحكومات الملوكية السابقة لأفت عن الاشتراكية بما كان يوجه ويرشد ، (١)

وثمة قصة أخرى يرويها عنه أحد أصدقائه لها بالغلة الدلالة في الكشف عن شخصية سلامة موسى ، في عودته من إحدى رحلاته الى أوروبا سنة ١٩٥٠ كان يقرأ و انجيل ماركس و (رأس المال) في السفينة يقرأ وكان يفتنه وخوفه من التجسس والمطاردة يبقى في البحر بكل وثقة يقترانها بمجرد الانتهاء منها (٢) في حين يروي سلامه في كتابه "تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر"

تروي سلامة موسى هو واحد من أول دعاة الاشتراكية في مصر في ١٩١٣ كتابا بعنوان "الاشتراكية" لكنه مجرد داعية ، زجل بقول كلمته "بشمس" يؤمن بالاشتراكية لكنه فاني ، فالاشتراكية سوف تقتصر لا بالنضال ولا بالثورة ولا بالتنظيم الحديدي ، وإنما بنشر التعليم وتحريز البراءة وتنظيم الزواج والعمل من أجل تحسين النسل ولتاحة الحرية للأفراد .

وهو يصدر كتابه هذا عام ١٩١٣ محدثا نوبا كبيرا ، ثم لا يلبث بعد عام وأخذ عندما تملن الحماية البريطانية ويستند الأزمان أن يخذل حذو الآخرين فيهرب ، رجال الحزب الوطني هربوا الى الخارج أما هو فقد كان أكثر تواضعا فقد هرب الى عزبة في الريف حيث قضى هناك كل سنوات

الحزب منقطعا عن كل شيء ، في حين يروي سلامه في كتابه "تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر" أن سلامه كان يفتنه أفكار نيكيتشا في البداية ففى ، مقممة السوبرمان (١٩١٠-١٩١١) ، زدد في الأساس أفكار نيكيتشا بكل ما فيها من عنصرية وتخطيط ، فهو ينصح المصريين بجمعم الزواج من مصريات (حتى يحميتوا النسل) وهو يؤيد سيادة الابيض على الزنجي ويقول ان الزنجي كان منذ مائة سنة فقط بكل الانسان ومن المستحيل أن تكون مشاعره كمشاعرنا مهما طلى نفسه بأدب السلوك (٢) .

لكن ذلك كله لا يظل من قدر سلامة موسى كمثقف موسوعي المعرفة نؤمن بالعلم والاشتراكية ووهب حياته كلها نفاعا عاما آمن به من انكاره ، في كتابه "تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر" يروي سلامه في كتابه "تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر" أن سلامه كان يفتنه أفكار نيكيتشا بكل ما فيها من عنصرية وتخطيط ، فهو ينصح المصريين بجمعم الزواج من مصريات (حتى يحميتوا النسل) وهو يؤيد سيادة الابيض على الزنجي ويقول ان الزنجي كان منذ مائة سنة فقط بكل الانسان ومن المستحيل أن تكون مشاعره كمشاعرنا مهما طلى نفسه بأدب السلوك (٢) .

- (١) تربية سلامة موسى - ص ٢٩٠ .
نسيا (٢) هو الأستاذ محمود الشراوى في كتابه "تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر" ص ٤٤٠ .
(٣) المرجع السابق - ص ١٠٥ .

بيننا وبين انماضي. (١) كل ذلك قد اتاح له فرصة يمكنه من ان يستمر في نشر افكاره خلال سنوات طويلة على صفحات عشرات الصحف والمجلات والكتيبات وخلال عديد من الجمعيات.
والآن وبعد هذه المقدمة القصيرة لنحاول ان نقدم عرضاً سريعاً لفكرة سلامة موسى عن الاشتراكية كما اوردتها في كتاباته الاولى .
لنبدأ بكتابه الاول (مقدمة السيرمان) وقد صدر في عام ١٩٦٠ .
وفي هذا الكتاب يتحدث سلامة موسى عن الاشتراكية .

« فالعلمانية نزعة اوروبية تشمل جميع الامم المتقدمة تقريباً . وهذه النزعة هي علة نزعات اخرى منها نزعة الاشتراكية التي انتهت في أقصى أوروبا بالشيوعية وليس في العالم قطر متمدين الا وبه حركة اشتراكية قومية مصبوغة بصيغة الوسط الذي نشأت فيه وكل الدلائل تدل على ان العلمانية يتجه نحو نظام اشتراكي ، ان لم يكن في جميع صناعاته نفى نحو النصف او الثلثين ، (١) »

ويقول « ومما يساعد رقي الامة ان نجعل تاموس تنازع البقاء يجري بلا اجحاف بين الناس ولا يكون ذلك الا اذا استوت امامهم الفرص المعيشية بحيث لا يمتاز احدهم عن الآخر الا بكميائته الذهنية او الجسمية ، فيجب ان يتساوى الناس في فرصة الاتراء وذلك باصطناع نظام اشتراكي او شبيهه بالاشتراكي حتى لا يولد واحد غني وآخر فقير وقد يكون الغنى اخطأ ذهنياً وجسماً من الفقر ، ولكن امتيازها بالمال الموروث يعينه على زيادة نسله في الامة من حيث ان فقر ذلك يمنع من الزواج » (٢) .

لكنه مع ذلك يردد مجموعة من الافكار الغريبة .

فهو يرى ان الانسان السليم القوي هو الذي يستحق ان يعيش او على الاقل هو الذي يجب ان يسمح له بان ينجب اطفالاً
« فالرقي الذي نجده في كفايات الحيوان انما لانه يقوم بقتل الضعيف أولاً ليأول ، فغالب يبقى القوي الذي يفصل نسله على غرارهم حاصله على كفايته »

(١) مقدمة المجلة الجديدة - ديسمبر ١٩٦٩ .

(٢) سلامة موسى - مقدمة السيرمان - الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٢ ص ٦

(٣) المرجع السابق - ص ٩

والانسان حينئذ ولكنه يختلف عنه من حيث ان نسله العاجز يعيش ..
 فالعزالي - الإعرج يموت - والاسد البطيء يهلك - جوعاً في العافية - ولكن الانسان
 الأعرج يعيش بالصدقة والانسان البطيء يعيش أيضاً بأي عمل من .. وليس
 في مقدورنا ان نعود بالانسان الى توحش الطبيعة في العافية ، وإنما نعرف انه
 يمكن ان يقصر الزواج على الفئات السليمة في الأمة ونعرف أيضاً ان اهم
 مخترعات القرن التاسع عشر وأخطرها لمستقبل الانسان هو كما قال شو
 للتعليم الاختياري ، (١) -

وشمة رأى آخره في مسأله ..

« .. فالاخلاق يجب ان تكون جرة ، لان حرية الاخلاق تدعو الى انقراض
 الفاضل منها وبقاء الصالح .. وليس من مصلحة الانسان ان يعيش في قفص
 من الواجبات الاخلاقية لان من طبيعة الاخلاق الفاضلة انها تقتل صاحبها ،
 ولتترك الفلكير يسكر كما يشاء لان سكره ينتهي بموته المبكر ، ولتترك النهم
 يشتره الى كل طعام فان معدته تتسوقه التي تفره بأسرع مما تتصور .. »

وهكذا تامت أفكار سيلامة موسى التقدمية وسيطر ضباب من أفكار
 او مقترحات ربيية وغير معقولة ..

.. أيضاً الموقف المرتبك الذي اتخذه أسلامة موسى من قضية
 الدين .. فهو ما زنى دارويني .. وهو ينتقد الأديان الراجعة لاتبنا تتدخل
 في أمور العالم وتعمل سير الترقى لان الترقى يقتضى التغيير .. ولا تغيير
 بدون ابدعة جديدة .. ولكن الأديان للصفة المقدسة التي تتصف بها تقف
 جامدة لا تقبل تغييراً فتعمل بذلك الجمود الأمة ..

والدين اذا خرج من دائرة علاقة الانسان بالكون واخذ بقره اصول
 المعاملة بين الناس من تجارة وزواج وامتلاك وحكومة ونحو ذلك فانه عندئذ
 يتوز الموت لكل من يؤمن به ..

.. فذلكم يتم ، فذلكم يؤكد في اصرار .. ان الدين ضروري لكل أمة ، ولكل
 فترة .. ولا يمكن ان يعيش الانسان بلا دين ، ولانه مادام قد شرع يفكر في الكون
 زمانا ومكانا فقد شرع يفكر في الدين .. ومن ينظر الى السماء في ليلة صافية
 ويتأمل في ابناء النجوم والكواكب يعجب كيف يمكن لانسان ان يجزم بهذا
 المذهب او بذلك عن اصل هذا الكون ونهايته .. (٢)

(١) المرجع السابق - ص ٢٧
 (٢) المرجع السابق - ص ٣١

ويكتب سلامة موسى مقالا بعنوان ويلز بعنوان وأديب ينشيد ربك ، يتحدث فيه عن دين جديد، يؤمن بوجود الله لكنه لا يؤمن بوجود له من حيث السيادة أو الفضاء ، لكن له وجود زمني كوجود التيار الفكري وهو ينمو بنمو الإنساني وينظر باعيننا الى هذا الكون ويعمل بأيدينا فيه . وكل ما لنا من حقائق وكل ما لنا من قصص أو عمل عظيم يجمعها في نفسه . فهو الذاكرة الإنسانية التي لا تموت وهو الإرادة الإنسانية الدائمة في الأزياد . وليس للدين الجديدة وحى وليس لها مؤسس ومن ينشدها ينشد حقيقة لا يرشده اليها غير ما في نفسه من القداسة (١)

وآفكار كهذه ، وبارتباك مثل هذا ، لم يكن بإمكان أحاديث سلامة عن الاشتراكية ان تصل الى كثير من الاذهان
لكنه وبالرغم من كل شيء لعب دورا كبيرا في ارساء قواعد الفكر الاشتراكي
ففي عديد من المقالات رفع سلامة موسى لواء الاشتراكية ، مستخدما حديثه العذب وسعة اطلاعه وطريقة برنارد شو في العرض
هذه المقالات التي وردت في مقال بعنوان الآلات والحضارة
في أوروبا الآن حركة اجتماعية تهزها من انصافها الى اقصاها هي حركة العمال الاشتراكية ، هذه الحركة التي ستقلب الجمعية البشرية رأسا على عقب هي ثمرة آلات الإنتاج التي اخترعت في القرن التاسع عشر والذي اخترع هذه الآلة التي سمي بها في أوروبا لم يكن فيلسوفا أو كاتباً أو إديبا وإنما كان صاحب معمل رأى ان مبدأ الملكية كما هو متعارف عليه في زماننا قد مضى وقته وحان تعديله أو الغاؤه .

كان الخراف قديماً تصنع الخرف بيديه وبطليبه بنفسه
الآن ويخرقه ويبيعه
ان يكون خرافاً يوماً ما وكثيراً ما كان يتحقق زجاءه مكان المسالك في ذلك الوقت
عاملاً وتاجراً لا يستغله أحد

فلما جاء القرن التاسع عشر وكثرت الآلات وعظم حجمها انقسمت الناس فثنتين فئة أصحاب المعامل وفئة العمال وزال أقل العمال في أن يكونوا أصحاب معامل ويتخذ جمع المال باللازم لشراء الآلات العظيمة
العمال لا يشتغلون ، فتغير بذلك مركز العامل الاجتماعي إذ كان قديماً يطمح في

(١) مختارات سلامة موسى - منشورات مكتبة المعارف (بيروت)
الطبعة الثانية - ص ٢٢٢
١٩٥

أن يكون صاحب مغل فيكون : أما الآن فلا مجال لهذا الطمع وكان صاحب المعلن قديما لا يحصل إلا على الكفاف : أما الآن فصار يحوز الأوف بل الملايين من كد العمال وكبحم .

فالآلة هي البتة في الاضطرابات الاجتماعية الجاضرة وهي أصل الاشتراكية ، ومن انبعث والجور أن نطبق مبدأ الملكية القسيم على طريقة الاستغلال الجاضرة فقد تغيرت الأحوال ، فينبغي أن تتغير المبادئ .

ثم يمضي سلامة موسى مهذبا :

وكما زالت نشاطة الاشتراكية في أواخر القرون الوسطى فكذلك ستتوزل سلطة أصحاب رؤوس المال في هذا القرن ، ومن يعش تير (١) .

وهناك أيضا الكتيب القيم الذي أصدره سنة ١٩١٣ بعنوان (الاشتراكية) وهو كتيب صغير في ثلاثين صفحة أشبه ما يكون بمقتضيات متوسط الطول في بيده إسلامه موسى .

بفاتحة تقول : إننا نرى في هذه الرسالة التي يدعوني الي كتابية هذه الرسالة الوجيزة كثيرة السخافات والغبوات التي تحكي عن الاشتراكية . تفرضي الأول منها تنوير الرأي العام عن ماهيتها مع بيان أعراض الاشتراكية في أوروبا وأمريكا وذكر ما أثرهم في التشريع وما وصلت اليه حالة العمال من الزمانية بمساعيتهم .

وكالقادة يفتي سلامة موسى فكرة وجود الحزب وإن كان لا يستتبعه وجوده في المستقبل . فنقول : إننا نرى في هذه الرسالة

ولست ظاهرا أن تعد هذه الرسالة دعوة للجمهور الى الاشتراكية ولا أن تكون سببا في تأليف حزب أو جمعية . ولكني أطرحها أمام الجمهور القاري عسى أن تكون خميرة تختمر بها الأفكار الي حين تستعد البيادق للاشتراكية (٢) .

وبعد سلامة موسى دراسته بأسطر معقدة لا يمكن أن تحتجب القاري ، البيادق الي تكلمة الكتاب بالكلمات الأولى تقول : إننا نرى في هذه الرسالة التي يدعوني الي كتابية هذه الرسالة الوجيزة كثيرة السخافات والغبوات التي تحكي عن الاشتراكية . تفرضي الأول منها تنوير الرأي العام عن ماهيتها مع بيان أعراض الاشتراكية في أوروبا وأمريكا وذكر ما أثرهم في التشريع وما وصلت اليه حالة العمال من الزمانية بمساعيتهم .

(١) المرجع السابق ص ٨٠ .
 (٢) سلامة موسى - الاشتراكية - الطبعة الثانية ٧ ص ٥٠ .

الذين فروا من وجه الاثراك ، وكانت الدعوة اللوثرية في الحقيقة احدى نتائج هذا القنبي ، (١) .

•• وهكذا كان العيب في كتاب سلامة موسى هو انه حاول ان يشرح الاشتراكية بكلمات شديدة الغموض ، ولجا الى انحناءة طويلة مارا باسماء .

لم يسمح عنها يسوى غلاة المثقفين .

ثم ان سلامة موسى يكتب متأثرا بالافكار الفابية ، بل ويكاد ينقل به كلمات بيرنارد شو في شرحه للاشتراكية •• فيسمى بملك الحكومة المصر في ذلك الحين للسكة الحديد بانه عمل اشتراكي النزع .

•• وعندنا الآن من الاعمال التي تعملها حكومتنا ما هو اشتراكي النزع مثل مصلحة السكك الحديدية الاميرية •• فان هذه المصلحة تدار الآن لفائدة الأمة ويجمع الفائض من ايراداتها ويصرف على مرافق الأمة ، (٢)

•• وعندنا ايضا بلديات كثيرة توزع المياه والضوء على سكان المدن وتبني المتنزعات العمومية وتؤلف الجوقات الموسيقية للذة الجمهور ، (٣) واذا كان الامر كذلك ••

•• فان غاية ما يطلبه الاشتراكي ان تتدرج البلاد من امتلاك المياه والضوء كما هو حاصل عندنا الآن الى امتلاك الترامات والمخازن والنياترات والمساكن والمكاتب العمومية .

ويطلب ان تتدرج حكومتنا من امتلاك السكك الحديدية الى الاراضي والمعامل والمناجم وتديرها كما تدير هذه السكك الآن •• ، (٤)

هكذا وبكل بساطة يتخيل سلامة موسى الفرق بين الجنميين وبين الحكومتين •• حكومة ومجتمع الراسمالية وحكومة ومجتمع العمال ••

لكن النزعة الفابية تبدو واضحة غاية الوضوح في الاسطر التالية التي يحدد فيها أسلوبه في العمل •• يطلب الاشتراكيون ذلك عن سبيل التدريج الوثيد لا الطفرة السريعة ، وكل خطوة نخطوها نحو الاصلاح

(١) المرجع السابق - ص ٧

(٢) المرجع السابق - ص ٢١

(٣) المرجع السابق - ص ٢٢

(٤) المرجع السابق - ص ٢٢

الاشتراكية تكون مصحوبة دائما بل ومتوقفة على درجة النور السياسي في الأمة (١)

وحتى عندما يتحدث عن مصر يتخذ موقفا فائيا واضحا
فتقول فينبأ أن كيف تكون الاشتراكية في بلادكم كمشروعها، فإعلموا، فإعلموا

ويجيب : تكون بتربية الجمهور على الحكم النيابي الديمقراطي أولاً
ثم نشر المبادئ الاشتراكية وإدخال بعضها بالتدريج في جسم الحكومة
حتى تتمسك بها الأمة وتصبح عزيزة فيها. فتتوخى فكرة الإصلاح التي توجهت
اشتراكية فائياً. هذا مع تقدم العلم وتفتيح الأمة، وانتماء بالمطوغات التي
مصالحها الحقيقية .

وهو يفتتح صورة مفرقة في الخيال للمجتمع الذي يريد أن يفتتح
« فبدلاً من أن يحكم القرية عمدة ليس لإميل القرية رأي في تعيينه
يحكمها مجلس منتخب من سكان القرية الراشدين ذكورا وإناثا . وبين هذا
المجلس خبراء القرية وفاضليها ومهندسيها وطبيباتها . وتؤسس المدارس
الزراعية العالية فلا يشتغل في الأرض إلا من نال شهادة عنها . فزرع على
أصول من الزراعة » (٢)

ويعتقد أن هذه الصورة ولتختل وتغير وتغير وتغير
ببرنامجهم قائلين : لا يزرع الأرض إلا من يحصل على شهادة من مدرسة
الزراعة العليا . اعتقد أنه ليس هناك أبعد من ذلك إغراقاً في الخيال ولا عزلة
عن الواقع .

وهو يحاول أن ينفي عن الاشتراكية و تهمة « القومية » فيقول :
ومن الاعتراضات أيضاً القول بأن الاشتراكيين ثوريون يمتدحون
الاستيلاء على الحكومة عنوة ويعملون بعد ذلك على مصادرته الإملاك
ومطاردة الأغنياء ، فإن هذا الكلام أولى إن ينسب إلى تخيل المتوهمين
منه إلى تفكير العقلاء . وجهاد الاشتراكيين في الانتخابات البرلمانية دليل

- (١) الرجوع السابق - ص ٢٢
- (٢) ص ٣٠
- ٧٠ - راجعها ومج ١٢
- ١١ - راجعها ومج ٢١
- ٦٢ - راجعها ومج ٦١
- ٦٢ - راجعها ومج ١٤

عنى أنهم يدخلون البيوت من أبوابها :، ويريدون الوصول الى أغراضهم
بالوسائل الشرعية (١) .

وتبدو نزعة الإصلاحية الفابية واضحة عندما يسمى كل ما يحدث
في أوروبا من إصلاحات كقانون الثماني ساعات والثامنات الاجتماعية بأنها
مجهودات اشتراكية (٢) .

ولكن الرجيل يقنم بالرغم من كل هذه العيوب، دفاعا مجيذا عن
الاشتراكية، ويؤكد أنها منتصرة حتما ، ويصد عنها اتهامات الغرضين قائلا :
« ومن اتهامهم اتهام الاشتراكيين بأنهم ضد الدين ينوون الغاءه عندما
يستولون على أزمة للحكومة ، وهذه فرية لا أساس لها فان الاشتراكية تضم
بين دعائها المؤمن والمعتل ، والمسيحي واليهودي على السواء ، وهي تقبل
كل شيء نظام لا يدخل له في الدين » (٣) .

وهو يشن موجما ساحقا على النظام الرأسمالي موجهة اليه سلسلة
من الإدانات والإتهامات لا يد ، وأنها قد فتحت عين الكثيرين على مساوي
النظام وضرورة تغييره . ويبدأ سلامه موسى قرار اتهامه للشجاع قائلا :
« سيأذكر بعض نقائص النظام الحاضر متوخيا الاختصار والاكتفاء بإشارة
عن التطويل والايضاح » .

١ - أننا كنا باستثناء صغير نشغل أولا وأخرا لجمع المال بحيث لا يبقى
هذا للشغل مجالا لعمل آخر . أننا مدفوعون كلنا الى التنافس
والتجاسد والتكاثر . بالمال على قلة قيمته الحقيقية ، وهناك ما كان
يجب أن يشغلنا ويملا وقتنا كتأليف كتاب أو اختراع آلة أو تصوير
صورة أو اكتشاف حقيقة خفية أو التمتع بالسياحة أو غير ذلك من
الأعمال التي يكاد يكون كل الشرف الانساني معلقا بها .

٢ - أننا انقسمنا الى فئتين : فئة غنية تكتظ معها بالمأكولات الدسمة
والأخرى فقيرة ترمق العيش ترميقا ، والفئتان تشغلان بجمع المان
حتى الغنية منهما فاصبحت لذلك قرانا قذرة بيوت الفقراء وعمالنا
ضعفاء القلة الغذاء ، واضنح الأغنياء في خيرة كيف يصرفون أموالهم
فمنهم من يركب متن الشهوات فيشجع الناس على البغاء ، وإتجارات
المسكرات ، ومنهم من يخزن أمواله فيضيق على الناس معاشهم .

(١) ص ٢٨

(٢) ص ٢٨

٣ - ثم ان وجدنا نظامنا الحاضر جملة وظائف غير طبيعية، وغير لازمة اجتماعية، بشرية منظمة مثل الحمامة والبناء والقاهرة الخ، فان هذه الوظائف، وجمعت كنتيجة للنظام الحاضر، وهي اول ما يلحق في نظام اشتراكي،

٤ - ان نظامنا الحاضر اصاع من النفوس شرقها ومن الضمائر حياضها، فالتاجر يكذب ويخدع ويغش مصنوعاته، حتى انه ليسم الخبز اذا

٥ - ان اكثر الجزايم الحاضرة، ومنا تكلفنا، من سجون فيسبوا الفقراء، فالجوع كافر والبرد اكثر والعراء انكى من الاثين، وهذه تلقى الجحيم في صدور الفقراء وتدفعهم الى الاجرام

٦ - ان جمع المال يحتاج الى اشياء كثيرة من خزائن الذمة وموت الضمير وضعف الاحساس، والذين يذون اقرانهم في جمعة هذه الوسائل يبرزون على حطة طبائعهم ومع ذلك فهم الذين يبيع لهم ثراؤهم انسال النسل في الامه

٧ - ان الحروب الحاضرة على ما فيها من بشاعة وشناعة وتوحش وخسائر في الناس والمال والوقت لا تنسب الا لاجل المال وليس الاستثمار الا احدى نتائج نظامنا الحاضر مع ما فيه من الظلم والاسترقاق

٨ - اقدر واحط ما يفتح الناس اليه نظامنا الاقتصادي الحاضر هو الزواج المالي فان الشيخ الفاني يتزوج بالصنعية الحسناء الفتية شاريا عرضها بالمال ولو لم تكن للمال قيمته الحاضرة لما اضطرت فتاة الى قهر عواطفها والرضى بالعيشة مع من هو في عمر خنودها (١)

ومما ولكن، وبعد هذه الادانة الجريفة للنظام الراسمالي تشتعل الحرب وتعلن الجمافية، ويزداد الكثير من المثقفين مسيرة الحرب ويلجأ سيلاهم مودى الى الرفق، من الحرف، وما

١ - المرجع السابق - صفحة ١٥ وما بعدها .
٢ - ٨٦ - ٨٧
٣ - ٨٦ - ٨٧

• رويح تصاعدي: المقاومة الشعبية والعمالية تعود اليهم الثقة في انفسهم
وفي افكارهم ، تفهموا سلامة موسى من جديد ليخوضوا غمار الدعوة الى
الاشتراكية • أكثر جرأة في هذه المرة • فلماذا الحذر والعيال يرفعون رايات
للنضال ، ويخوضون بشجاعة نادرة اضرايهم العام • ولماذا الحذر
والفلاخون يحملون السلاح ، ويقاومون قوات الاحتلال ، ويعلمون جمهورياتهم
الستقلة ويحقتون جزءا من احلام سلامة موسى • فيقيمون اكشاكا للمؤسسيين
لتعريف الحانا لم يسمعوها من قبل •

وهكذا يبدأ سلامة موسى فترة جديدة من حياته هي فترة العمل الحزبي
من أجل الاشتراكية ، وهي فترة وحيزة جدا ، ذلك ان قصرها مرتبط يقصر
الانتفاضة الثورية والحد الثوري العظيم الذي صاحبها • فما ان يبدأ
الحذر • حتى يعود سلامة موسى ادراجه ، ليكتب في الصحف محاولا ان
يستلهم من افكاره النائية أمالا لغد مشرق • كتابات شخص وحيد في بعض
المجلات •

ولن نستفيض هنا في الحديث عن الحزب الاشتراكي المصري
الذي شارك سلامة موسى في تأسيسه ، فهذا الحديث فضل مستحيل
لكننا سنعرض بعضا من مواقف سلامة موسى حتى تستكمل الصورة
عمليا •

فسلامة موسى واحد من أربعة وقعوا النداء لتأسيس الحزب الاشتراكي
المصري ، وكان يوقعه دلبيلا على تطور هائل في موقفه وانعكاسيا لتأثره
باحتياجات النضال الثوري اليام التي كانت مصر تموج بها في ذلك الحين
والحقيقة ان سلامة موسى كان يسمى في ذلك الحين التي تأسست
« جمعية » اشتراكية غايتها الدرس أكثر من السياسة (١) • لكن روزنتال
اقنعهم بتأسيس حزب يضم جميع الاشتراكيين • وسرعان ما تأسس هذا
الحزب ليضم بين صفوفه الماركسيين واشتراكيي الدولية الثانية والفابيين
لكن الزجعية المصرية لم تترك لهذا الحزب فرصة يتنافس فيها
فبأثره بمحوم مركز ساهمت فيه أطراف عديدة ، من بينها رجال الدين
وهنا يعود سلامة موسى ليتحصن في قبايته ، فيكتب ردا على هذه
الهجمات الزكرة يقول فيه : (٢)

(١) الأهرام ١٨/٨/١٩٢١
(٢) رؤوف عباس - المرجع السابق - ص ٢٣٦

وإذا كان الوقت أسوأ الأوقات لتأليف هذه الجمعية لاعتبارين :
أولهما : أن البولشفية الروسية قد أخفقت أخفاقتا يكاد يكون تامنا
ونشرت على ربوع البلاد الروسية الوية الخراب والدمار .
وثانيهما : أننا في مازق سياسي لا ينبغي أن يزيد حرجا بما يكفي أن
يتخزع به المعارضون لاستقلالنا في إنجلترا من أن في مصر شيوعيين
وبولشفيين ، وهذه الفاظ تستطير لب سياسة الإنجليز .

وقد بحث زمعوا تأليف هذه الجمعية هذين الاعتبارين ، وقد رأيتهم على
أن التحوف من أن أقامتها قد يكون عائثا في سبيل المفاوضات الحاضرة ،
أو في نشر المبادئ الاشتراكية المعتدلة ، لا محل له . وذلك لأن البولشفية
قد صرح كثير من الاشتراكيين بعدم موافقتهم عليها ، لأنها لجأت إلى تحقيق
غايتها ظفرة وغالت في تطبيقها . والاشتراكية ينبغي أن تكون بطبيعتها
وبالوسائل التي تتذرع اليها والتدابير التي تتخذها فكرة نسوة وتطور ،
بحيث لا يمنع منها للامة شيء الا بمقدار ما حصلت عليه من الترقية .
فيشرب أفراد الامة مبادئ الإنجاز والفيرة على المصلحة العامة . أما من
جهة المفاوضات فإن أكثر أعضاء الجمعية المزمع تأليفها يحسنون اللغات
الأوربية النمة ويجيدون كتابتها ، ولن يقصروا عندما يرفع الاستعماري
عقبرته ويندذ بها في الرد عليه وانحامه .

والتأويلين أن الغاية القصوى من الاشتراكية هي إلغاء الملك الفردي
واستبداله بالملك العمومي . ولكن دون هذه الغاية مراحل ينبغي أن تقطع
وهذه المراحل هي في الواقع غايات صفري أهمها : نشر التعليم بين عمال
الامة حتى يدخلوا في دور الوعي الاقتصادي ويتكاتفوا على العمل
لمصلحتهم ، ثم تسمى الجمعية بواسطة النشر في انتاع أولى الأبراريا
كانوا لكي يتبنوا القوانين اللازمة لتحسين مساكن العمال وزيادة أجورهم
وتأسيس معاشات لكل من يبلغ منهم الخامسة والسبعين ، وما إلى ذلك
من الإصلاحات . ونحن على علم تام بأن علاقة الأخر الزراعي مع الممول
المصري هي علاقة انسانية أكثر منها اقتصادية ، بل هي بعيدة عن تلك
العلاقة الجامدة التي تربط ، أو بالأحرى لا تربط الممول الأجنبي بالمامل
الذي يشتمل في معمله . والمالك المصري في الواقع ينبغي أن تكون له
مكانة الموظف العمومي من حيث المسئولية الادبية والقانونية ، لأن سعادة
العائلات المصرية الفقيرة وشقاءها متوقفان على كيفية نظرت بطرق
الاستغلال . . . استغلال الأرض واستغلال العامل . . .

فلماذا السبب لأن تنفق الجمعية موقف القسداً ضد الملك المصري
وأما هي صديق يدلهم على مصالحهم ، كما يدل العمال على مصالحهم
أيضاً ، لأن مصلحة الاثنين واحدة »

والكلمات واضحة الدلالة ، ولا تحتاج إلى تعليل ، ولكنني فقط
أريد أن ألفت النظر إلى أن سلامة موسى ظل حتى بعد إعلان الحزب
يستخدم كلمة « جمعية »

وبعد أيام يعود سلامة ليعلن بأعلى صوته « نحن فابيون »
ويقول في مقال نشره في الأهرام رداً على هجوم سنته جريدة الإحيثيان
جازيت ، إن حملتكم على الحزب الاشتراكي المصري لا مبرر لها ، فأنفأ ثم
تولف حزباً جديداً وإنما انضممنا إلى الحزب الاشتراكي الذي عاش ونما
منذ مدة بعيدة في الاسكندرية ، وكان أول ما فعلناه في القاهرة أننا إنكرنا
البولشفية بكل صراحة وجددنا مبادئها بلا قيد ولا شرط ، وقد كنت أنا
نفسى عضواً في الجمعية الفابية الإنجليزية ، وهي جمعية الاشتراكيين المعتدلين
في لندن ، وغايتنا ووسائلنا هي غايات هذه الجمعية ووسائلها

وقصدنا الحاضر إن نجمع المعلومات المفيدة عن النظام الاقتصادي
الحاضر ، وسياقته بالدعاة الانجليز أمثال « شو » و « ويتز » ، وننتج بهم
أكثر مما ناتم بماركس وانجز ، وسيكون شعارنا التطور والنشوء ، لا الثورة
والانقلاب ، وسنبداً عملنا متواضعين بالسعى في اجساد القوانين من
معايشات للشيخوخة ومسكن العمال وتعليم للأطفال ، وامشال ذلك
وسنسترد في كل ذلك بالقوانين الانجليزية

وهكذا ومع كل هجوم من جانب الرجعية كان سلامة موسى
يتخذ خطوة إلى الخلف ، متراجعا عن المبادئ التي وقع عليها بنفسه في بيان
تأسيس الحزب الاشتراكي

وكان طبيعياً بعد ذلك كله أن يكون سلامة موسى من بين هؤلاء الذين
أثروا السلامة ، وانسحبوا من الحزب منذ البداية ، معلنين رفضهم
الانتماء للدولة الثالثة

لكن البعض ينسحب من الحزب ومن العمل العام أيضاً ، بينما يبقى
سلامة موسى في الميدان محاولاً أن يؤدي رسالته على الوجه الذي يراه
ملائماً

وإذا حاولنا أن نتتبع خطوات سلامة بعد الانسحاب من الحزب
فسوف نجد أنفسنا أمام سلامة موسى القديم ، الفاني كما كان قديماً ،

الذي يدعو إلى الداروقية والالتزام بالمعلم ويهاجم الخرافة ويدعو لحرية
البراءة وإلى التصنيع ، معتقداً إنه يمكنه بذلك أن يهيئ الإذهان للاشتراكية .

وقد كان سلامة موسى فابيا حقاً ، فاختار طريقاً طويلاً جداً ، مؤملاً
أن يصل إلى غايته .

وهو على أية حال يوضح حقيقة منبجيه في هذه الفترة في كلمات ذكرها
عرضاً حول الجمعية الفابية في مقال بعنوان « اللورد الاشتراكي وزوجته
الديمقراطية » ، فيقول (١) :

« وناقت « الجمعية الفابية » نشر الاشتراكية في إنجلترا عن طريق
التسرب والانسلاخ ، فقد رأيت طائفة من رجال الأدب والاجتماع أن ينشروا
الاشتراكية بين جمهور إنجلترا دون أن يحتاجوا إلى مضادة وجهتها
لوجه آراء غربية تفتارق المألوف مفاومة كثيرة . فيكون من نتائج هذه
المضادة الصحود بدلا من القبول والقتل بدلا من الذبح . فعمدوا إلى
تأليف هذه الجمعية واشتقوا اسمها من « فانيوس » القائد الروماني الذي
حارب هاتينبال القرطجني وأضعفه بمناوشات جانبية يتون أن يصدمه
وجها لوجه . واتخذت الجمعية هذه الطريقة ، فكان أعضاؤها يكتبون
المقالات ويؤلفون الرسائل ويخالفون الأحرار . فينشررون الاشتراكية من
حيث لا يشعر أحد بالخطر الخفي حتى يستطيعوا أن يستولوا على الحكومة
وتباج في القاعة مجلة يخرزها أعضاء من هذه الجمعية لا يمكن للقارئ
أن يحش بانها تعمل لنشر الاشتراكية إلا بعد أن يوالى قراءتها لبصحة
أعدادها ، وهذه المجلة هي « ذي فيوستيتسمان » وهي ادبية علمية تشتم
للشيوعيين وكانت مدة الحرب تشيتم الألمان وهي الآن أجرا على الدعوة
الاشتراكية مما كانت قبلا » .

هذه هي بالضبط خطة سلامة موسى ومنهجه في العمل ، وكانه قد
حاول في هذه الأسطر القليلة أن يلخص خطته وآراءه تلخيصاً واعيياً .

مرة أخرى سنحاول أن نلقى مزيداً من الضوء على أفكار سلامة
موسى لتعرف بالتحديد ماذا كان يعنى بالفاظ مثل الاشتراكية والشيوعية
والبولشيفية .

وفي أحد أعداد المجلة الجديدة ثمة سؤال من القارئ ع . ج . من
الاشكثرية يسأل ما الفرق بين هذه الالفاظ : الاشتراكية ، الفابية ،
البولشيفية ، والشيوعية ؟ (٢) .

(١) المجلة الجديدة عدد مايو ١٩٣٠ من ١٩٦٧ ، ص ١٢٨٧ .

(٢) المجلة الجديدة ١٩٣٠/٨/١١ ص ١٢٨٧ .

والجواب الذي قدمه سلامة موسى هو:

« الاشتراكية هي التدرج بالطرق البرلمانية القانونية إلى جعل التيارات المغلة التي تحتاج لاستغلالها إلى استخدام عمال كالأرض والمصانع والمناجم ملكا للامة .. فالبريد والشكك الحديدية والتعليم والمستشفيات هي في مظهر إلى حد كبير جدا اشتراكية ، لان الحكومة تقوم بها دون الافراد .. ولسنا نتحب أن تكون هذه الاشياء في أيدي الافراد دون الحكومة .. »

أما الشيوعية والبولشفية فلكلثما مسمى لشيء واحد ، وهي تشبه الاشتراكية في النتيجة ولكنها تختلف في الوسيلة ، لانها تعتمد على الثورة والانتقاص كما حدث في روسيا .. بينما الاشتراكيون يطلبون التدرج عن طريق السبل القانونية ، ولذلك فهي تمثل استبداد العمال بالمالكين

أما الفاشية فهي نقيض الشيوعية ، وهي تمثل استبداد المالكين بالعمال .. وكل منهما ، أي الفاشية (كما في إيطاليا) والشيوعية (كما في روسيا) ، لا يبدأ بالقوانين وإنما يحقق أغراضه اغتصابا وقهرا .. وفي ذلك من الضرر بالناس ما فيه .

.. ولقد انسحب ممثل الفأبية الأول من الحزب الاشتراكي .. ليعمل رئيسا لتحرير مجلة « كل شيء » التي كانت تصدر عن دار الهلال .

.. وفي مجلة « كل شيء » يكتب سلامة موسى بالحديث عن العلم والتعليم وتحرير المرأة ..

وفي بعض الاحيان يهاجم البلاشفة تحت عنوان « المظلومين يظلمون » .. « ليس ينكر أحد أن حكومة القيصر كانت ظالمة .. ولكن هل نحن ينكر الان ان الحكومة الشيوعية ظالمة أيضا .. لقد حكمت إحدى محاكم البولشفيين أن كتب تولستوى يجب مضادرتها واحراقها ، وهذا مع العلم بأن تولستوى كان ينصر العمال في كل ما يكتب ويجهر بظلاماتهم .. ولكنه لم يكن يدري أن المظلوم يعود ظالما » (١)

وفي عدد آخر يؤكد ان اليهود يحكمون روسيا ، وأن ٩٥ بالمائة من أعضاء السوفيئات يهود (٢)

وفي نفس العدد من « كل شيء » ، خبر طويل بعنوان « الجريمة في بلاد السوفييت »

(١) كل شيء ، ١٩٢٦/١/٤

(٢) المرجع السابق ١٩٢٦/٢/١

وفي بعض الاحيان كان سلامه موسى يفتقر كثيرا من حذره في فقره مثلا

بمقدح فورد قائلا :

المعنى بالمعالم فيبني لهم البيوت ويؤسس لهم المطاعم ، وحتى
الملاهي فقد عني بهاء شعره الذي زيادة الاجور زيادة فاحشية (١) .
بل هو يفتقر حذره ازاء هيتلر ، فيكتب في مقال بعنوان الوطنيه

العاملة :

وفي اوروبا اخذت الوطنييه الحديديه اشكالا مختلفه ، ففي المانيا حركة
وطنيه ولكنها في الوقت نفسه حركة اشتراكية يقودها الزعيم هتلر (٢) .
لكنه بالرغم من هذه الاخطاء كان يتخذ في الاساس موقفا مخلصا

وصادقا .

لهذه الفهم يذعن للديمقراطية والحرية . . . ويكتب افتتاحية بعنوان روه ركننا
الحضارة . . . العلم والديمقراطية . . . (٣) . . . ان الديمقراطية هي الركن
الثاني الذي تقوم عليه هذه الحضارة . . .

ثم يقدم تفسيره لكلمه الديمقراطية قائلا : ان فكرتها الاساسية هي
التسوية بين البشر في الحقوق والواجبات ، والغاء الاثره التي يتأهلها فريق
من جراء الاختياز الاموال وتوارثها جيل بعد جيل ، حتى يتسنى لكل فرد
ان ينال ثمره ثمره الحق . . . فلا يكون امتياز الا لقدر الناس على خدمته
الناس . . . تقدم التقدم الاجتماعي ثلاث وجهات رئيسية . . .

وجهات رئيسية : . . .
١ - وجهه الغاء الفوارق بين الطبقات الاجتماعيه . . .
٢ - وجهه الغاء امتيازات الرجل على المرأة . . .
٣ - وجهه الغاء استغلال الشعوب القويه للشعوب الضعيفه . . .
ولا شك ان كلمات كهذه كانت عظيمه الاثر ، جمه الفائدة . . .

بل هو ينتهز الفرصه في بعض الاحيان ليمتدح على استحياء بعض
مواقف البلاشفه . . . ففي افتتاحية عدد آخر من كل شيء يقول (٤) . . .

- (١) جيوبنا وجيوب الأجنب ص ٥٦
- (٢) المرجع السابق - ص ١٠
- (٣) كل شيء - ١٩٢٦/١/٤
- (٤) ١٩٢٦/١/١٨

رأه أن الملثنيين = بين سيئاتهم الكثيرة - حسنة واحدة يحق لهم
أن يفتخروا بها ، وهي أنهم أدرکوا شأن العلم في المجتمع . فعملوا له
المكانة الأولى في نظامهم .

ثم قد طالعنا أنهم قسموا المهن التي يضعها أسام باعتبار فائدتها
للمجموع ، فعملوا في مرتبة واحدة = وهي المرتبة الأولى = المعلمين والوزراء
وسواهم بينهم من حيث الاجر والمكافاة ،

وعلى صفحات نفس المجلة - وفي أعداد لاحقة - كتب دفاعا عن الفلاح
بعضوان ، ابونا الفلاح ، (١) يطالب فيه بتحديد القيمة الاجارية
للارض الزراعية .

وفي كلمات تلهب حماسا يدعو سلامة موسى الى مقاطعة المضائق
الاجنبية فيقول :

و انما في حاجة الى اخلاق مصرية جديدة تكون لها قوة الايمان الخيني
في النفوس . فلا نذوق كسرة خبز نعرف انها خلطت بقيق اجنبي ولا نأمن
بذخول شيء من الطعام الاجنبي في منازلنا ، فلا لحم ولا خبز ولا فواكه
اجنبية تمسها اليد المصرية . بهذا وحده نحقق لبلادنا كرامة اقتصادية
تزيدنا شوية وقوة . (٢)

ولقد واصل سلامة موسى مسيرة طويلة ومجيدة حقاً .

فحدث قراءة كثيرا عن غاندي ، ودعا كل فلاح الى أن يكون له مغزل
الخشبي ليصنع ملابسه . وأسس في المدينة جمعية المصريين للمصريين .
ودعا الى التصنيع والى التعليم والى اشياء كثيرة جدا .

ولقد مضت على الامة المصرية فترات عصيبة ومظلمة ، كان صوت
سلامه موسى هو الوحيد الذي ارتفع فيها . منددا بالظلم مدافعا عن الحق
والعدل والديمقراطية . أحيانا في جراءة . وأحيانا في منسورة . يدعو
الى ما يظن أنه اشتراكي . لكنه في واقع الامر مجرد خيالات فانية لا يمكنها
أن تتحقق بغير نضال جزبي جاد .

لكن صوت سلامة موسى كان بغير شك صوتا شريفا وإنسانيا

(١) ١٩٢٧/٨/٢٩
(٢) سلامة موسى - جيوبنا وجيوب الاجانب ص ٥٤

وهذا خصيا... كما ذكره... وبغيتي شك أيضا... وقد أثر تأثيرا كبيرا في دائرة
والسنة بين المثقفين المصريين...
.. ولهذا فان الحديث عن سلامة موسى لن ينتهي بهذه الصفحات

ذلك اننا سنتحدث عنه كثيرا في صفحات قادمة... فهو جزء أساسي من
تاريخ النضال المصري الذي امتد بعد هذه الفترة...
يبقى بعد ذلك سؤال هام: لماذا اعجزت الغالبية عن ان تجد لها

انصارا في مصر بالرغم من المحاولات الدؤوبة والمثابرة المتفانية لتقف مرموق
تلك...
والاجابة على هذا السؤال ليست سهلة فهي بحاجة الى تحليل
عميق لطبيعة المجتمع المصري الذي حاول سلامة موسى ان يزرع فيه الفكر
القائمي

ولطبيعة موقف الجماهير المصرية والمثقفين المصريين اليساريين من
هذا المجتمع...
ان اساس الغائبة يقوم على فكرة اصلاح النظام القائم والتغيير العملية
ادارة الحكومة لبعض المنشآت (السكة الحديد والبريد والبرق) بحيث تمتد
لتشمل قطاعات اوسع في مجال الانتاج

لكن المصريين كانوا اقدم حذوا وموقفنا صيارما من النظام ككل والنظام
نفسه كان فاسدا بحيث لا يمكن مجرد بث الامل في اصلاحه ، وادارة
الحكومة للنضال...
اهتمام بها

وباختصار لقد حاول سلامة موسى ان يزرع احلامه عن الاصلاح
التدريجي للنظام في ارض كانت ترفض النظام برمتها...
ولقد بذل سلامة موسى كثيرا من الجهود المباشرة والاطمئنان...
الشبان والمجموعات وغير المباشر بما كتبه من مئات المقالات وعشرات
الكتب مستهدفا اقسام قرائه ، واصدقائه بفتنات النظام القائم وضرورة
اصلاحه وتطويره لكن الكثيرين ممن تأثروا بسلامة موسى تأثروا مباشرة او تعلموا
على كتاباته اكتفوا بالشق الاول من تعاليمه فافتنوا بفساد النظام
القائم لكنهم ساروا في ركب المطالبين بالاطاحة به ، واقامة مجتمع اشتراكي
حقيقي بدلا منه

وليس هنا مجال ترديد الاسماء، فهي عديدة .. أسماء هؤلاء الشبان الذين التقوا حول سلامة موسى في الثلاثينات سواء في جمعية المصري للمصري أو في جمعية الشبان المسيحية ، وكونوا معه حلقات للدراسة وندوات مستمرة ربما وصلت في بعض الاحيان الى حد ايجاد شكل شبه تنظيمي .. لكن هؤلاء جميعا ما لبثوا أن انفلتوا من بين يدي سلامة لينضموا الى المنظمات الماركسية ..

والغريب في الامر أن سلامة موسى لم يكن يعارض هذه الخطوات من جانب تلاميذه .. بل انه لم يخف ارتياعه تجاه المنظمات الشيوعية التي نشأت في الاربعينات .

ذلك أن سلامة موسى كان فابيا من نوع خاص .. وربما كانت فابيته مسألة متعلقة بقدراته الشخصية على مواجهة النظام وتحديه ..

عقد في استكهولم في أغسطس ١٩١٠ وعقب عودته الى مصر أسس جمعية
للسلام العام بوادي النيل برئاسة عزت بك شكري كفرع مصرى لهذا
المؤتمر ..

وقد قررت اللجنة الدائمة للمؤتمر في بون منح هذه الجمعية عضوية
المؤتمر العالمى للسلم (١)

وقد حضر فريد أيضا مؤتمر السلام العام بجنيف في سبتمبر ١٩١٢
ثم مؤتمر السلام العام في لهاي في أغسطس ١٩١٣ ومؤتمر الاجناس
المضطهدة Nationalities and subject Races Conference

الذى عقد في لندن (يناير ١٩١٤) ثم مؤتمر
المؤتمر الثانى للاجناس المضطهدة الذى عقد في لوزان في يونيو
عام ١٩١٦

وإذا كان حزب محمد فريد ليس عضوا في الدولية الثانية ومن ثم فان
الفرصة لم تتح له لحضور المؤتمرات العالمية لاجزاب هذه الدولية
فقد حرص على ان يقيم علاقات بهذه المؤتمرات وأن يقدم اليها واستمرار
مذكرات عن تطور الاحداث في مصر. فمقدم مذكرات الى مؤتمرات استكهولم
في اكتوبر ١٩١٧ ثم مؤتمر برن في فبراير ١٩١٩ ثم مؤتمر لوسرن في
اغسطس ١٩١٩

شأن وفي هذه المؤتمرات كان فريد يقيم علاقات مباشرة وفعالة مع اكثري
من ممثلى احزاب الاشتراكية الديمقراطية ومن بينهم هندرسون رئيس حزب
العمتال الانجليزى الذى تقابل معه اثناء انعقاد مؤتمر برن والذى تقدم له
وعودا كثيرة ..

كذلك اهتم فريد بدعوة كثير من الاشتراكيين الاوربيين للحضور
المؤتمر الوطنى المصرى الذى عقد في بروكسل ١٩١٠ فحضر من الانجليز
كير هاردى Keir Hardi زعيم حزب العمال ومن الحزب الاشتراكى
الفرنسى جوستاف رومانيت Gustave Rouanet نائب رئيس واشتراكيون
آخرون من المانيا وبولندا واطاليا

وقد تولى الرئاسة الشرفية للمؤتمر على القوالى مستر بلنت وكين
رئيس (١) عبد الرحمن الرافعى - محمد فريد - ص ٢٧٨

هاردي وراوجانيور *Auegugneur* النائب الاشتراكي-الفرنسي عن ليون
والسنيور *Degubernati* عضو مجلس الشيوخ الايطالي

وقد اعتذر السنيور *Degubernati* عن حضور الجلسات لانشغاله في أعمال
المؤتمر القومي الايطالي للسلام الذي عقد في ذلك الحين بزوما (١).

ومن على منصة المؤتمر وجه محمد فريد تحية حارة الى أعضاء مؤتمر
السلام العام في استكهولم مؤكدا تقديره العميق لنضالهم (٢) كذلك وجه تحية
حارة الى د. كير هاردي الزعيم البريطاني المشهور ورئيس حزب العمال
صديق المصريين والذي يعلن باستمرار تأييده العميق لكل للشعوب وخاصة
للأمة المصرية، ان كير هاردي انجليزي يكرس حياته من أجل إقرار السلم
والعدل واننى أدعو الى تحيته تحية حارة (٣)

وقد تلقى المؤتمر سيلاً من برقيات التأييد من القوى الاشتراكية
والسلامية في أوروبا فهناك برقية من لوسيان لوفوراي *Lucien Le Foryer*
ممثل جمعية السلام من أجل العدل الفرنسية

وبرقيات أخرى من المجر وإيطاليا وبلجيكا وإيرلندا وألمانيا

والحقيقة أن هذا المؤتمر - الذي لم يهتم المؤرخون بنزاسة أعماله
يمثل مرحلة هامة للغاية من تاريخ نضال الحزب الوطني فهو محاولة لإحداث
التحام حقيقي بين مثقفي الحزب ومثقفي أوروبا وخاصة اشتراكييها وهنوة
أيضا محاولة جادة لوضع أساس اجتماعي مدروس للنضال الحزبي
انه محاولة من الحزب الوطني لكي يقدم لجماعته ولاصدقائه في
أوروبا ولنفسه أيضا جهدا فكريا ممتازا ودراسات عميقة لمختلف المشكلات
الاجتماعية والسياسية التي تواجهها مصر

فقد قدمت للمؤتمر سلسلة من التقارير الهامة مثل (٤) :

- * مستقبل مصر
 - * الامتيازات الاجنبية في مصر
 - * التعليم في مصر
 - * التشريع في مصر
 - * دور الصحافة في مصر
- حامد العلايلي
مصطفى الشوريجي
رفعت وفيق
عبد السلام ذهني
عبد الرحمن الزافعي

(1) Ouvree du Congrès National Egyptien tenu à Bruexelles 1910. P. 10.

(٢) المرجع السابق ص ٧

(٣) المرجع السابق - ص ١٣

(٤) المرجع السابق ص ٤٨٥

* الصناعة في مصر
 * تقرير عن حالة الجيش المصري
 * على بك ثروت
 * أعدده عدد من ضباط الجيش المصري
 * لم يذكروا أسماءهم
 * الصحة العامة في مصر
 * منصور زفعت
 * الحالة الاجتماعية في مصر
 * طه العبد
 * وفي اعتقادي أن هذه التقارير تمثل أول دراسة شاملة وعلمية يقوم بها حزب مصري بهدف تحديد موقف واضح من مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية
 * وفي اعتقادي أيضا أنها كانت خطوة ضرورية لأحداث تحول اجتماعي جاد في مناهج الحزب وبرامجه وأفكاره

كذلك فإن هذا المؤتمر كان فرصة هامة لتجميع قوى عديدة خلف شعارات الحزب الوطني والذي يطالع وثائق هذا المؤتمر يلاحظ كثرة عديد المنادين المصريين وحماستهم ويلاحظ أن بينهم شخصيات لم تكن مفتومة للحزب الوطني أو على الأقل لم يعرف عنها ذلك - مثل محمد حسين هيكل (١) وآخرين

ولقد كان المؤتمر فرصة لكثير من اشتراكي أوروبا ليستعرضوا فيه آراءهم تجاه مسألة المستعمرات وهو موضوع حديث فيه كثير هاردي في أكثر من جليبية من جلسات المؤتمر
 وكذلك وقف الاشتراكي الفرنسي جوستاف زوانيه ليلقي كلمة هامة قال فيها

أود أن أعرب لكم عن أسفي ، أولا باعتباري فرنسيا ينتقد موقف الحكومة الفرنسية من القضية المصرية وباعتباري اشتراكي ذلك أن حزبا قد أسهم مساهمة كبيرة في عقد الاتفاق الودي بين فرنسا وانجلترا لكنني أعلن بأعلى صوتي أنني لم نكن نستهدف مطلقا إلحاق الضرر بمصر ، وإن النتائج التي ترتبت على هذا الاتفاق لم تكن سوى نتيجة لخيانة انجلترا والحكومة الفرنسية
 لقد كان هدفنا الوحيد من هذا الاتفاق هو اقرار السلام ، ولكن لا يمكن لبيلام أن يستقر طالما كان هناك استعمار ، أنني كوطنى فرنسي وكاشتراكي فرنسي أتمنى تحرير الأمة المصرية تحريرا عاجلا وقائما (٢)

(١) المرجع السابق - ص ٣١
 (٢) المرجع السابق - ص ٤٣

ونلاحظ أيضا أن محمد فريد بدأ أولى بحديث هام لجريدة الأومانيقية الفرنسية في أغسطس سنة ١٩١٠ وأنه واصل فيما بعد محاولاته لإقامة علاقات مع القوى الاشتراكية في أوروبا. . .

.. وفي الداخل فإننا نلاحظ هذا التحول الذي طرأ على سياسة الحزب من تأييد للعمال في إضراباتهم ومن تأسيس لنقابة عمال الصنائع اليدوية .. ثم إقامة مدارس الشعب الليلية .. ثم انشاء التعاونيات التي ألح فريد كثيرا على الاهتمام بها ..

ومن الإستانة يرسل فريد إلى عبد الرحمن الرافعي يقول :

« لم اسمع من عدة بتشكيل نقابات جديدة أو جمعيات تعاون .. ولعلني استمع قريبا بأخبار ما تؤسسونه من النقابات والجمعيات .. واني أقترح عليك أن تكتب تقريرا عن حالة النقابات بمصر وتاريخها وبعض إحصائيات عنها وعن أعمالها لظهر للعالم شيئا من آمالنا العملية » (١) .
وفي برلين يدلي فريد بحديث لمراسل Berliner Tageblatt يقول
فيسه :

« اننا نبذل جهودنا لتعليم الشعب المصري .. ولقد أسسنا في المدن عددا من النقابات ، وفي المدارس نقوم بتعليم العمال للقراءة والكتابة .. كذلك أسسنا جمعيات تعاونية زراعية وبنك تعاوني .. لقد تمهدت أن اتحدث عن هذه الجهود بالتفصيل لكي أوضح أن حركتنا ليست مجرد حركة سياسية وإنما هي أيضا حركة اجتماعية واقتصادية » (٢) .

لقد كان طبيعيا أن تتحرك هذه العلاقات والاتصالات بإشراكين الدولية الثانية أثرا هاما في مواقف فريد وآرائه .. وبدأت خطبه تتخذ اتجاهات جديدة تدافع عن العمال والفلاحين والقوى الكادحة ..

وفي الجمعية العمومية للحزب الوطني التي عقدت في ١٩١٢/٣/٢٢ وقف فريد ليطلب أعضاء حزبه بواجبات جديدة :

« لا بد لكم من العناية بنقابات العمال وبت مبدأ التضامن بينهم والدفاع عن حقوقهم واستصدار القوانين الضامنة لهم عدم التكف عن المشيخوخة أو عند الإصابة بما يمنعهم من الكسب . أرجعوا البصر إلى حال العمال في مصر سواء عمال المصانع أو عمال الزراعة واقصد بهم جماعة الفلاحين

(١) عبد الرحمن الرافعي - مذكراتي - ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق .

الذين لا يملكون أرضاً ويعيشون من العمل باليومية أو من استئجار الأرض
لا يتجدوا أنفسهم في أحط درجات الفقر، فالعامل لا يحصل على قوت يومه
إلا بعد أن يشتغل اثنتي عشر ساعة كل يوم على الأهل والفلاح لا يحصل
على ما يسد الرمق إلا أرباب أنواع الخبز بلا إدام ولا يشق النفس (١)

وعلى صفحات اللواء تنعكس هذه الانتاجات في كتابات ضريحة عن
الاشتراكية أو أن المصري كان لا يعرف شيئاً عن الاشتراكية قبل عهد
اسماعيل من الموظف الصغير الى العامل الفقير إلا أن تطور النظام الاجتماعي
أدى الى ظهور الاشتراكية ونظراً لأن الأموال المستثمرة اجنبية، وأن هناك
الدين المصري الرسمي والاهلي فان نظرية ادخال مبدأ الاشتراكية في الحكم
لا يمكن تطبيقها على حالنا في مصر بدون خطر يهدد كياننا، أما الاشتراكية
من حيث تعاليمها الاجتماعية فاننا في مقسمة من يدعو إليها ويبشر بها
لأننا نرى فيها الضمان لحفظ التوازن ما بين غنينا الجاهل المتكبر وفقيرنا
المجذ البائس (٢)

ولقد تارة نوع من الخلل حول طبيعة هذا المسلك وهذه العلاقات التي
انماها الحزب الوطني تحت زعامة محمد فريد .. يحاول البعض أن يؤكد
انها كانت اراءيات لاجاه نحو الاشتراكية .. وينفي الآخرون ذلك (٣)
لكن الشيء الذي لا شك فيه أن هذه العلاقات مع اشتراكي أوروبا قد تركت
آثاراً واضحة على ذلك العديد من شباب الحزب الذين سوف بزاهم بعد
قليل جداً من الزمن يكونون الجمعية المصرية في باريس ثم ترى أسماء
البعض منهم ضمن مؤسسي الحزب الديمقراطي .. وأسماء أخرى تسبهم
بذور في تأسيس الحزب الاشتراكي .. ثم الحزب الشيوعي، أسماء مثل
محمود عزمي، عصام الدين حفني ناصف، محمد الدين حفني ناصف، طراف،
عبد جوده، عبد سعيد الفتاح القاضي، ومنصور فهمي .. وآخرون (٤)

١٠٠ (١) سعيد الزحيم الرافعي - محمد زويد - المرجع السابق ص ٢٦٦
(٢) اللواء ١/٧/١٩١١
(٣) راجع رؤوف عباس المرجع السابق : ومحمد عبد العظيم رمضان
تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩١٧
(٤) راجع مختصر النقاش مع عصام الدين حفني ناصف حيث يقرز انه
كان عضواً في الحزب الوطني ثم اتجه يساراً بتأثير الفكر الاشتراكي الألماني
راجع كذلك محمد أنيس دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ حول الدورة
الثوري المتطرف الذي لعبه مجد الدين حفني ناصف الى الحد الذي دفع سعد
زغلول الى محاولة ابعاده عن باريس واعادته التي مصر لاضغاث تأثيره
على جماهير الطلاب المصريين بأوروبا - ص ٢٢٩ - ٢٥٣ - (٦)

هذا عن أبناء الطبقة الوسطى . . . والبرجوازية الصغيرة من أعضاء الحزب الوطني والماضين عليه . . .

لكن أفكار الدولية الثانية وجيت لنفسها سيلا آخر . . . عن طريق أبناء الذوات وأبناء الفئات العليا من الطبقة الوسطى الذين أتاح لهم شراء أسهم القدرة على السفر لتلقى العلم بالخارج . . .

وعاد هؤلاء بعد عدة سنوات تعج عقولهم وكتاباتهم بالحديث عن العدالة وعن الحرية . . . وعن الاشتراكية . . .

ولقد كان تأثير البعض محصورا في مجرد الاتجاه نحو الليبرالية مع مفاهيم اجتماعية متقدمة . . . لكن عديدا من هؤلاء ما لبثوا أن تحالفوا مع دعاة الاشتراكية ، فان أفكار الدولية الثانية في ذلك الحين لم تكن لتختلف كثيرا عن أفكار الليبراليين . . .

ويكتب توفيق دياب ليصور موقعه وأفكاره عند عودته من بعثته البراسية في لندن . . . يكتب موجها حديثه إلى « جون بول » قائلا أنه عاد إلى بلاده « وفي صدره شعلة من نار الحماسة ونور المعرفة ، أما الحماسة فللمثل العليا التي قرأها في كثير من كتبكم ، وأخذها عن كثير من علمائكم وأما المعرفة فبوجوه الإصلاح التي لا بد منها لكل شعب يريد النهوض . . . وأشعار ذوى السلطان أو العلم أو المال بأن سلطاتهم وعلمهم ومالهم إنما هي أدوات في أيديهم لخدمة المجتمع وان قوام الحياة لادنى المواطنين يجب أن يكون غذاء يكتفي . . . ومسكنا صحيا يأويه ، ورعاية طبية تحمي أو تشفيه وظرفا من الذرية والتهاميم يسيمو بانسانيته ويحقق نفعه لنفسه وللوطن » (١) . . .

لكن النموذج المثالي للتحالف بين الليبراليين من أبناء الفئات العليا من المجتمع وبين بعض ممثلى اشتراكية الدولية الثانية هو « الحزب الديمقراطي » . . .

فالحزب الديمقراطي لم يكن سوى تجمع سريع لعناصر ليبرالية (متأثرة بالفكر الغربي) وعناصر دينية متحررة وعناصر اشتراكية . . .

ومحمد حسين هيكل نموذج لهؤلاء الليبراليين الذين تأثروا بال فكر الغربي وهو يتحدث عن زيارته لباريس فيقول « ومرت الايام وأنا أرى في مدينة النور ألوانا من الحياة تقش أمام النظر وافق التفكير وتزيد

(١) توفيق دياب - اللماحيات - المجموعة الاولى - ص ١٠٢

الانبياء ايماننا بحرية العقيدة والرأى. وبأن التعصب قميم وان اول واجب
للايمان ان يديم البحث عن الحقيقة ، (١) .

ويترجم هيكل أجزاء من كتاب زوسو ويهتينا ، التي مصر الحرة ، الى
القلوب الخفاقة بمعاني الحرية والعدالة والاخاء ، (٢) .

والشيخ مصطفى عبد الرازق نموذج للعناصر الدينية المتحررة التي
تجمعت في اول الامر في جماعة « السقور » لتدافع من اجل التحرر في فلهم
الدين والحياة . وكان هو ايضا من دعائم الحزب الديمقراطي ، بل ان الاجتماع
التاسيسي للحزب تم في قصر أسرته .

اما رواد اشتراكية الدولة الثانية في الحزب الديمقراطي فيمثلهم
د منصور فهمي وعزيز ميرهم ومحمود عزمي .

ويروي محمود عزمي قصة تأسيس الحزب الديمقراطي فيتحث عن
لقاء يقينه وبين د منصور فهمي الذي حدثه عن « تأسيس حزب سياسي
تحدث بشأنه بالفعل الى بعض اصدقائه من قبل وتم التفاهم فيما بينهم
عليه وعلى الاسم الذي يطلقونه عليه وهو « الحزب الاشتراكي » ، (٣) .

لكن محمود عزمي يقنعه بان يعمل عن تسمية « المولد الجديد
بالحزب الاشتراكي وان يستبدل به اسم « الحزب الديمقراطي » .

ولم يكن هذا هو المظهر الوحيد لصراع هذه التيارات داخل الحزب
لواليد فهناك أيضا الصراع بين محمد حسين هيكل (الليبرالي ذو اليون
الرأسمالية) وعزيز ميرهم (الاشتراكي الراديكالي) .

يقول شفيق غريال « نشأ الحزب الديمقراطي في جو النشيط
السياسي الذي بعثته الثورة المصرية . والطريف ان عزيز ميرهم عمل على
ان يوجه الحزب نحو الاشتراكية بينما عمل هيكل على توجيهه نحو الفرديّة
و . . . واختلف الرجلان اختلافا كادا ان يفضى الى حل الحزب وهنا تدخل بينهما
الشيخ مصطفى عبد الرازق بطريقته الحذابة ، واكاد اراه وهو يحكم بينهما ،
واكاد أسمع صوته وهو يسأل هيكل « افانت تضن على الفقراء
بحتمهم في التعليم والتداوى والعيش عيشا انسانيا ؟ واجاب هيكل بطبيعته

(١) مجلة اللغة العربية . المرجع السابق كلمة شفيق غريال في قابين

الديكتور هيكل - ص ٢١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٦

(٣) محمود عزمي ، خبايا سياسية ص ٣٦

الأحبال لا... ثم سأل ميرهم وهل أنت تريد إلغاء الملكية الخاصة في مصر جلالاً
فقال عزيز ميرهم لا... قال مصطفى: أمامكم إذا ميدان فشيخ مشيترك
د. استطيعان المنزل فيه متفقين فتأذا جاء اليوم الذي لا مفر فيه من
اجتلائكم ولا احسبه يجي، قبل سنوات طويلة نظرنا جميعا في الامر وفضلنا
فيه بما يقضى به الحال حينئذ، (١)

وبهذه البساطة امكن للطرفين ان يتفقا وكان ثمرة الاتفاق برنامج
أقرته الجمعية العمومية للحزب بجلستها المنعقدة في ١٠/٩/١٩١٩ تحت اسم
« قانون الحزب » وقد جاء هذا البرنامج خاليا تماما من أية اشارة الى
الاشتراكية لكنه يؤكد في مقدمته ان « مبادئ هذا الحزب تقوم على اساس
المساواة بين الامم والاخاء بين الافراد والذخوض الى اسماى ما يتصور من
الرقى وتأييد سيادة الشعب » واتامة العدل مقام القوة ،

وجاءت المادة الثالثة من قانون الحزب لتحدد عشرة اهداف تمهد
الحزب بالنضال من أجلها ..

والاهداف العشرة تعبر عن سيطرة الفكر الليبرالى مثل :

* تفويض الشعب سلطته الى هيئة نيابية تنتخب على اكمل طريقة
تمثله تمثيلا صحيحا ، ويكون من اختصاصها التشريع ومعرض الضرائب
وحاسبة الحكومة المسؤولة أمامها على اعمالها ..

.. * توحيد التشريع في حدود مصر وتميم تطبيقه على من يسكن
البلاد (٢) ..

* الاعتراف بحق كل شعب في حكم نفسه .

* أما ما يمكن تسميته بالانكار الاشتراكية فقد تردت على استحياء
بعبارات مطاطة مثل :

.. ترقية الطبقات العاملة ادبيا وماديا واعانة من لا يستطيع العمل (٢)

(١) شفيق غربال - المرجع السابق - ص ٢١٨

(٢) وهو مطلب هام يستهدف (١) القضاء على امتيازات الاجانب فيما
يتعلق بالتقاضى .

(ب) احلال التشريع المبنى الموحد محل التشريع الدينى الذى يحتكم
الاحوال الشخصية .

(٢) راجع النص الكامل . مجلة الطليعة . عدد فبراير ١٩٦٥ ص ١٥

ويحاول عزيز ميرهم أن يضع تفسيره الخاص لبرنامج الحزب فيقول : أن الحزب لم يأخذ بالنظرية المصطلح عليها بين كثير من علماء القانون الدستوري والقانون العام ، في اعتباره الديمقراطية سياسية فيجب بل عدما سياسة واقتصادية واجتماعية وخلفية مما . ولن يكون بنوا ديمقراطيا حقا الا اذا حقق - الى جانب نواحي الديمقراطية في النظم السياسية - النواحي الديمقراطية الاخرى في ميادين الاقتصاد والاجتماع والاخلاق ، وعلى هذا الاساس لا نجد البلاد الكبيرة في القارة الاوربية - فيما عدا بلاد السوفييت - بلادا ديمقراطية بالمعنى الصحيح السابق الكامل لان السيطرة الاكبر من ثروة هذه البلاد يستأثر به نفر ضئيل من الاهلين ، بينما المنتجون الحقيقيون لهذه الثروة - وهم السواد الاعظم من السكان - محرومون من كد ايديهم وثمرات اذمانهم (١) .

كما ان الحزب - كما قال محمود عزمي - قد اهتم بحركة العمال وكانت لا تزال باقية في الافق فتقاهما برعايته واشرف بعض الشيء على نقاباتها وتاليفها وشكاوى العمال والدفاع عنها (٢) .

لكن هذا الخلف الذي تجمع سريما ما لبث ان تفرق سريما ايضا . اتجه البعض الى اليمين وربما اليمين المتطرف (الاحرار الدستوريين) واتجه البعض الآخر الى اليسار وربما اليسار المتطرف . لكن ذلك لا ينهي الحديث عن هذا الحزب . ولا عن تلك القوى التي تجملت في داخله ، فثمة اشخاص يتيمين على الدارس ان يتكبح مواقفهم عبر للفترة التالية كي يمكن ان نفهم حقيقة الدواعي والافكار التي حركتهم .

ومن بين هؤلاء ثلاثة ساكتين بالحديث عنهم في عجلة . هيكل عزمي . عزمي . ميرهم .

هيكل : ليبرالي من اسرة اقطاعية يؤمن بالحرية ويكره الاشتراكية .

عزمي : مثقف يلعب على الحبال ويتأرجح بين الاشتراكية عندها تقوى وبين خدمة الاقطاع والسير في ركابه عندما تضعف وينتهي به الامر الى خدمة الخديو المخلوع .

(١) عزيز ميرهم - الديمقراطية - ص ٣٨
 (٢) محمود عزمي - المرجع السابق - ص ٤٢ .

مهم : أرستقراطي يؤمن بالاشتراكية ايماناً راديكالياً ، لكنه مجرد
 ايمان عقلي لا يدفعه الى اتخاذ أية خطوة ايجابية وينتهي به
 الامر عضواً في مجلس الشيوخ ، وأحد وسائل الوفد لاختضاع
 الحركة العمالية لنفوذ البرجوازية .
 هذا الحلف الذي تجتمع في الحزب الديمقراطي يستحق التأمل
 وموافقة المستقبلية تستحق الدراسة . . .

فهيكل : الذي كان يظن أن قضية الاشتراكية لن تطرح الا بعيداً
 سنوات طويلة ، والذي اتعنه الشيخ مصطفى عبد الرزاق بأن أمامه ميدان
 فسبح للعمل مع الاشتراكيين ، لم تلبث أحداث الصراع الطبقي العنيف الذي
 فجره اعلان تكوين الحزب الاشتراكي المصري أن تدفعه الى أن يفصم عرى
 هذا الحلف ، ويعمل في صراحة معارضته لتأسيس الحزب الاشتراكي ، فينشر
 في الاحرام مقالا بعنوان « الاشتراكية في مصر » جاء فيه (١) :

« أريد أن أسأل اخواننا الاشتراكيين : هل ترون البيئة المصرية
 الحاضرة صالحة لتقيام مبدئكم فيها أم انها على عكس من ذلك معادية له ،
 فمحاولة ادخاله اليها - فضلاً عن انها غير منتج - قد يكون من ورائها
 ارتباك يجعل بهم الا يجروا البلاد اليه . . . لا شك أن اخواننا يعلمون عن
 يقين أن من أقوى ردود الفرديين على الاشتراكيين أن نظريتهم اذا صحت
 في الصناعة فهي لا تصلح في الزراعة ، لأن الناس فيها يعتقدون ليست بينهم
 جامعة ضرورية كعمال الصناعة ، ولأن الملكية الصغيرة لا تزال منتشرة جد
 الانتشار في النظام الزراعي . . . الا يضح أن نسأل اخواننا الاشتراكيين
 المصريين عن مبلغ تطور نضال الطبقات في مصر وإلى أي حد وصل ؟ وهل
 لامست فكرة النضال نفس العمال واستفزتها الى حد تمكن الاحساس بها
 من فؤادهم ؟ واذا صح ان كان لذلك شبه وجوده في بعض الصناعات فهل
 هو موجود في الصناعات الأخرى ؟ وهل يمكن أن يكون موجوداً في الأرياف ؟ . . .
 فاذا قدر لحزبنا الاشتراكي أن يتولى الحكومة أول ما يتم لمصر الاستقلال افترده
 يقتصر على ترك الفلاحين كما هم ، أم هو يعمد الى إلغاء الملكية حتى الصغيرة
 منها ؟

انني أشرك اخواننا الاشتراكيين فيما يرمون اليه من ضرورة اصلاح
 الطبقات الفقيرة ووضع قوانين لضمان المعيشة وما الى ذلك من النظم . . .
 ولكن شتان بين هذا وبين الاشتراكية . . . وان هذا كله ممكن التحقيق والملكية
 الفردية قائمة ، ولن تكون اشتراكية الا اذا ألغيت الملكية الفردية . . .

١٩٢١/٩/١٧ الاحرام (١)

إذا رأى لخواننا الأكتفاء بهذا والسعى له ، حتى إذا تم كان لنا أن ننظر في النظام الذي يجيء بعده مستلهمين الراى من تاريخ تطور مصر الاقتصادية فهم طلاب اصلاح اجتماعى لا اشتراكية . . . ولما أن كانوا يزرون البيئة سالحة لنشر الاشتراكية . . . فليقتضوا بانها منا هذا على طريقة علمية دقيقة . . . وقد يمكن بعد الإخذ والرد إن نقيهم وإياهم فما نريد الا مصلحة البلاد . . .

انها محاولة ماهرة جديدة لاعادة تكييل الاشتراكيين في اسار حزب كالحزب الديمقراطي . . . وعندما تفشل المحاولة ، يبرز هيكل قطبا من اقطاب حزب الاقطاع (الأحرار الدستوريين) . . . وان كان قد ظل لوقت طويل يردد افكارا ذات صبغة ليبرالية ، لم تنس في أية لحظة عدائها للاشتراكية وللبلشفية وفتحت صدرها لاي هجوم عليها . . . ولتتابع سريرا بعض أعداد السياسة . . .

مقال بعنوان « تولستوى والثورة البلشفية » (١) والمقال في جوهره هجوم على البلشفية واتهام لها بأنها تنشر الحقد والإرهاب . . .

وفي رسالة من باريس حول اختلافات أول مايو هناك ، تقول السياسة « كان الحزب الشيوعى قد أغرق باريس في عيد العمل بمنشوراته وغطى جوانب جدرانها بإعلاناته ، تساءلت « الأيكودي بارى » من أين له هذه النقود ؟ . . . إن أحدا ليس من البساطة بحيث يعتقد أنها من جيوب العمال . . . أن الحزب الشيوعى له مصادر خاصة بنوع العنادة ، ونحن من الشجاعة بحيث نقول ان مصادر هذه في الخارج . . . فهو وكيل أكبر مشروع مخيف للخيانة وضع ضد بلادنا المسكينة » (٢) . . .

وفي عدد آخر تقول السياسة بعنوان « بسلام العالم » ، لا ريب أن غاية غايات السياسة الروسية هي إحداث ثورة عالمية لنشر المبادئ الشيوعية . . . وأقطاب السياسة الروسية يبذلون جهود الجبابرة لتحقيق هذه الفكرة . . . بل هم يستحلون الحرب ويفضلونها على السلام لتحقيق فكرتهم هذه . . . وقد أدركت أوروبا هذه الحقيقة فصارت تعتمد على قواها المسلحة أكثر من اعتمادها على المعاهدات ، (٣) . . .

وفي عدد آخر مقالين الأول بعنوان « القضية التركستانية » ، تعاضد الشعوب الروسية في محاربة البلشفية . . . والثانى بعنوان « المشائق

(١) السياسة الاسبوعية ١٢/٢/١٩٢٧

(٢) ١٩٢٧/٥/٢١

(٣) ١٩٢٧/٦/١٨

في بلاد البلشفة . . . ايمان زعماء السوفييت في حكم الارهاب ، (١)

وتصف « نصر الله اسماعيلوف » بأنه رئيس الشناقين البلشفيين (٢) .
وهكذا سلسلة لا تنتهي من الهجوم المستمر والمتعدد الجوانب في كل
عدد من اعداد السياسة . . .

وإذا كنت سأحدث تفصيلا في فصل قادم عن الحملة المعادية
للبلشفية ، الا انني فضلت أن أشير هنا الى قليل من هذا الكثير في محاولة
لاعطاء للصورة ابعادها الحقيقية . . .

وإذا كانت هذه الكلمات كافية لتحديد حقيقة الاتجاهات والآراء التي
دافع عنها هيكل ، فانها تصلح ايضا - وبنفس الدرجة - لتحديد طبيعة
موقف هؤلاء الذين تعاونوا معه في اصدار « السياسة » مثل محمود عزمي
ومحمد عبد الله عنان . . .

. . . اما محمود عزمي هو مثقف يعلن اشتراكيته أحيانا ويخفيها أحيانا
كثيرة ، وقد كان متزوجا من روسية يضاء لها ابن عم بلشفي معروف
. . . فكان يستغل الموقف على الوجهين أيضا . . .

ومحمود عزمي انتقل من الحزب الديمقراطي الى الحزب الاشتراكي ،
لكن عزمي ظل طوال حياته يؤكد أنه ضد البلشفية . . . وقد اقام محمود عزمي
في العشرينات علاقات مع بعض الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في اوروبا ،
وفي عام ١٩٣٠ كون مع عدد من المصريين المقيمين بأوروبا « لجنة تابعة
لجماعة حقوق الانسان » . . . وهو يفاخر بأن الاتحاد الدولي لحقوق الانسان
قد اعلن « عداه لكل نظام ديكتاتوري يميني أو يساري ، فاشي أو
بلشفي » (٣) . . .

وهو مرة أخرى يفاخر بأنه « مسجل عند الشيوعيين في اعداد
الرجعيين ، لاني مثقف من ناحية والمثقفون في عمومهم خصوم لذلك النظام
الاحمر ، ولان لي مقالات ضد « الشيوعية » (٤) . . .

وعقب بدء الحملة على الشيوعيين عمل عزمي في جريدة « السياسة »
جريدة حزب الاحرار الدستوريين (٥) . . .

(٢) ١٩٧٢/٨/٢٠

(١) ١٩٢٧/٦/٢٥

(٣) محمود عزمي - خبايا سياسية - المرجع السابق ص ٨٠

(٤) المرجع السابق - ص ٨٢

(٥) المرجع السابق - ص ٧٠

وعلى منصات السياسة تحدث، مخفوف عزمي كثيرا عن الأخيرة وعن الديمقراطية وعن حقوق الانسان، لكنه يسخر ظلمه في الهجوم على الاتحاد السوفيتي والبلشيفية والحزب الشيوعي في أي مكان أتت منه الصناعات التي تفرسنا من التي نفسنا من

فهو يتحدث عن أحداث الحرب الأهلية في الصين، مؤكداً أن الشيوعيين الصينيين كانوا يتلقون التعليلات والأسلحة والأموال من المحقق العسكري السوفيتي (١)

وتحت عنوان «فرنسا والشيوعية» يتحدث عزمي عن الحملة الضخمة التي شنها ميلران عندما كان رئيساً للوزراء على جماعة الاتحاد العام للعمل والنقابات التي حذت إغلاق دار نقابة الجماعة إغلاقاً تاماً وهو يتحدث في إزتياع عن الهجمات التي شنها مشيو ساروت على الشيوعية، وعن دوره الحازم القاسي في استجواب كاشان بشأنها (٢)

ثم هو يتحدث عن مظاهرات نظمها الشيوعيون والاشتراكيون في فيينا ويقول: «وأهم ما نذكره خلال ذلك كله أننا هو الموقف العظيم الذي وقفته رئيس الحكومة النمساوية القس زينبل» فقد قامت قيسامة الشعب في فيينا وكثرة أعضاء بلديتها من الإشتراكيين والشيوعيين واضطر الجيش أن يطلق رصاصه دفاعاً عن نفسه ثم جعل للنظام وقتل في خلال ذلك خلق كثير وتقييم الإشتراكيون ومن إليهم إلى رئيس الحكومة بمطالب يلجون في تحقيقها وكان في أولها استقالة الوزارة أو إبطال تعديل فيها بحيث ينخرط في سلكها ثلاثة من نوابهم لكن رئيس الحكومة أظهر من الشجاعة ما أعجب من أجله العالم كله فوقف في وجه المشاعين وقبضه عزيمة مجيدة وأبى أن يذعن لأي من هذه المطالب، إلا أن تقف الثورة ويعود العمال جميعاً إلى العمل وتستنصف الحياة العادية، ورفض بخاصة أن يعترف لأولئك الإشتراكيين بأية صفة، ورفض أن يخدم نفسه مسؤولاً إلا أمام البرلمان وأمامه مجتمعاً في جنسته لا أمام أفراد النواب بل ذهب إلى حد الامتناع عن دعوة المجلس النيابي إلى الانعقاد قبل أن تهدأ الحالة تماماً وسرعان ما تقهر الشيوعيون والاشتراكيون أمام هذا الخلق المتين

ولا يكتفي عزمي بذلك بل هو يؤكد أن موقف حكومة النمسا هو مثل يجب أن يحتذى إزاء كل خروج على النظام (٣)

- (١) السياسة الشيوعية ١٤/٥/١٩٢٧
- (٢) ١٩٢٧/٦/١١
- (٣) ١٩٢٧/٨/٢٧

على المساواة ، واضرابات العمال تخرج على النظام ، وتعنت الحاكم ، ورفضه الخضوع ، لازادة الشعب ورفضه عقد الجلسات للبرلمان خلق متين وموقف شجاع .

رأى ان عزمى قد تدهور بمرحبا .

وهو يواصل رحلته الى مداها . . . فيعمل لحساب الخديو المغزول لعدة سنوات ، سنوات كنت اعمل خلالها الى جانب الخديو باوربا يمرتب شهرى قدره مائة جنيه تضاف اليه مصاريف الاقامة في غير باريس تجعله قريبا من المائة والخمسين ، (١)

وهو مبلغ مغر بغير شك . . .
وإذا كان محمود عزمى قد انتهى هذه النهاية . . . فان مصير عزيز ميريم يستحق التأمل هو أيضا . . . وميرهم رجل يتميز براديكاليته . . . يقول الفكرة ناضجة مدددة واضحة وحاسمة ، لكنك يكتفى بالفكرة ولا يرهق نفسه في التنفيذ . . . انه يفكر للاستراكية لكنه لا يحب أن يعمل من أجلها ولا أن يضحى في سبيلها . . .

لكنه مع ذلك رجل يقول ما يريد بشجاعة ، وتستدويه التعبيرات الحاسمة ، ولا يتقبل التحايل أو الخاورة في الافكار . . .

وعندما اشتد الهجوم على الحزب الاشتراكي ، وعندما بدأ سلامه مؤسسى وغيره من قادة الحزب يتراجعون . . . هاجمهم ميرهم هجوما شديدا . معنا انهم قد خرجوا على الاشتراكية الحقبة . . . قال (٢) : ه انهم لم يتجاسروا على أن يتحملوا امام الرأي العام المصرى مسئولية اعتناقهم المبادئ الاشتراكية كاملة . . . وأنهم بذلوا جهودهم كى يبهدوا التهم التي رماهم بها خصومهم من أنهم متطرفون خارجون عن الدين هادمون لنظم البلاد الاجتماعية ولتوانينها الوضعية . . . نتصلوا جميعا من تهمة التطرف . . . ويؤخذ من اقوالهم أن الاشتراكيين المصريين يقررون أن النظم الحالية نظم مرضية يحتفظون بها مع تغيير بسيط لا يمس جوهرها . . . وهذا وجه ضعفهم . . .

أولا : لانهم بذلك قرروا أن وجودهم وأن كان مستحسنا فهو غير ضرورى .

(١) محمود عزمى - خبايا سياسية - المرجع السابق - ص ١٢٦

(٢) الاهرام - ١٩٢١/٩/٢٠

ثانيا : لانهم بالغوا في رضاهم عن الانظمة الحاضرة حتى تهاونوا في الاصلاحات التي يفتقدونها الاشتراكيون الاصمام ، وكانت النتيجة انهم اكتفوا بان ياخذوا من الاشتراكية اسمها - والاسم فقط - دون مبادئها ، وكانوا في الواقع اول الهادمين لوجودهم .

•• ثم ادان ميرهم هجوم بعض قادة الحزب على البلشفية . وقال : « وصل الاشتراكيون المصريون في مجارة الراي العام ان انكروا البلشفية وطمعنوا في مبادئها ، مع ان البلشفية اصابت او اخطت - هي على كل حال من الاشتراكية •• واني كنت اود الا يكون لخواننا الاشتراكيون « تفتازانيين » ، اكثر تفتازانية من التفتازاني * ، والا يرموا البلشفية - رغم غلطاتها - بطعنات صدروا بها بياناتهم ولم ينتخبوا منها مبدئيا .

فان البلشفية لم تحقق اخفاقا يكاد يكون تاما - كما يزعمون ولم تنشر على ربوع البلاد الروسية اللوية الدمار والخراب كما يزعمون ، انما البلشفية ناضجة حية •• والبلشفيون عاملون على تعميم المدارس للمولودين وانشاء حدائق للاطفال وملاجئ للشيوخ ومستشفيات للمعوم •• واصبح للغذاء عندهم مشاعا ومخازن البلديات تصرف للأفراد حاجياتهم ، ويدفعون ثمنها من عملهم دون وساطة التجار واصحاب المصارف ، والشعب يختار نوابه وله حق اقالة من يفقد ثقته ، والناس جميعا يعيشون عيشة عادلة منظمة •• وان ما ياخذة اعداء البلشفية برهانا على تخريبها للبلاد الروسية هو برهان فاسد ، فالجماعة راجعة الى اسباب جوية طبيعية محضة •• اني لا أقول بان البلشفيين لم يرتكبوا اغلطا نظمية ، ولكن هذا شأن القاميين بتحقيق الانظمة الجديدة لا بالتطور بل بالقوة ، اى باستعمال العنف والقلب الفجائي •• ولكني ارى انه من الفضيحة بالنسبة لهم ، وبصفتهم اشتراكيين ، ان يطعنوا على البلشفية ويفترون عليها لكرهيتهم لوسائلهم ••

••••• وهكذا فاذا كان اعضاء الحزب من اشتراكيي الدولية الثانية والفايبيين قد اصبحوا « تفتازانيين » ، اكثر من « التفتازاني » •• فان ميرهم - وهو خارج الحزب وبالرغم من انتقاداته للبلشفية قد دانع عنها بحيث بدا وكأنه بلشفي اكثر من البلاشفة ••

وفي مجال آخر يقدم ميرهم افكارا جريئة •• فهو يوجه رسالة الى صاحبة جريدة الامل بعنوان : الثائرة ، يقول فيها : (١)

* الشيخ للتفتازاني هو احد الذين شنوا حملات ضارية ضد الاشتراكية وضد الحزب الاشتراكي في ذلك الحين :

(١) الامل ١٤ / ١١ / ١٩٢٥

« الجهور يتابع ثورته التي لم تتحقق أغراضها بعد » .

ويتحدث عن الثورة فيقول « ليست الثورة في أعمال الهدم والتخريب ولا في اراثة الدماء والقضاء على الانفس . . . وإنما الثورة في قلب القديم الفاسد المنحل وفي الانشاء والتجديد . . . فهي دليل الصحة ، دليل القوة ، دليل الحياة » .

ويقول « بالطبع انما نستحسن عدم الثورة ، ونستحسن الاخذ بنواحي الإصلاح عن طريق التدرج والتطور . . . ولكن ما العمل اذا كانت هناك مقاومة ؟ ما العمل اذا كانت هناك عناصر قوية رجعية تؤخر الجماعة دون أن تسير بها حسب السنن الطبيعية للمتقدم العالمى ؟ ما العمل اذا تقشى الفساد في البلاد بدرجة تجعل النفوس تياس من كل اصلاح تدريجى ، فتوقن أن الهدم أسرع طريق للبناء من مجرد المعالجة » .

« ان الشعب ثائر لا محالة ، ثوران القوى المعتز بحقه ، ثوران الصحيح الحريص على صحته ، ثوران كل كائن يريد الحياة فيقاوم عوامل المرض والغناء » .

« . . . وهو في مقال آخر يطلق فيه على برنامج جديدة الامل . . . يقول « انه من أنصار التجديد الحاسم ، من أنصار معالجة أمور الجماعة باستئصال لذاء منها لا باستعمال المخدر أو الملقف من الادواء » . (١) .

« . . . لكنها مجرد كلمات جميلة وثائرة . . . فساحب هذه الكلمات لم يسهم بأى عمل سوى هذه الكلمات الجيدة . . . وفي عام ١٩٢٩ نجد اسمه ضمن أعضاء مجلس الشيوخ .

« . . . وفي عام ١٩٣٠ يحاول أن يخضع الطبقة العاملة لقيادة ألفرد . . . وفي عام ١٩٤١ يلقي محاضرات في الجامعة الامريكية . . . يقول فيها ان « الاشتراكية السمحاء بعيدة عن حرب الطبقات وعن الطفرة والعدوان ومصادرة الاموال » .

ويتحدث عن العلاقة بين العمال واصحاب الاعمال فيقول انها « بدأت تنتج نحو الصفاء والشعور بضرورة التعاون لمصلحة الانتاج العامة ولللمصلحة الخاصة للعمال واصحاب الاعمال جميعا ، وترفع الولايات المتحدة

(١) عزيز ميرهم - الديمقراطية - المرجع السابق - ص ٤١ .

الأمريكية لواء الزعامة، في نشر هذه الآراء الحديثة، (١) -

لكنه مع ذلك يقرر في نفس المحاضرة « أن البلد المخلص في ميادته ، العظيم في اقتصاده ، هو الإتحاد السوفييتي ، وهو محط الأنظار لجميع الأحرار ، والمؤهل الذي تلجأ إليه الديمقراطية الصادقة ، (٢) »

لكنني أستطيع أن أقرر أن عزيز ميرهم رغم كلماته الحاسنة والواضحة ، ورغم أنه اكتفى بمجرد الكلمات ، قد مر في تاريخ الفكر المصري مؤزراً عابراً، أن يتزك أثراً يذكر ، وربما كان ذلك لأنه اكتفى بمجرد الكلمات .

والحقيقة أن الانهيار السريع ، والذي يشبه إلى حد كبير حالة الوفاة بالتمنكة القلبية ، الذي أصاب الحزب الديمقراطي ، لم يكن متوقفاً تغيراً عن عجز أفكار الدولية الثانية عن أن تنبت في مصر نباتاً أصيلاً ، ولشوقنا نرى أن انهيار التحالف الذي كونه الحزب الاشتراكي كان أيضاً تعبيراً عن نفس الظاهرة . وقائمة اشتراكي الدولية الثانية كثيرة .

الدكتور علي العناني أستاذ الفلسفة وهو أحد الإريبيين الذين وقعوا بجان تأسيس الحزب الاشتراكي ، يعلن أنه « يمتنحها كل المقت ، وأنها تتنافر مع طبيعة الوثام الأنساني العام ، وهو يعلن أن اشتراكيته هي الاشتراكية العلمية العملية المعدلة (٣) »

وجنك حسني العرابي أحد الإريبيين المؤسسين أيضاً ، فهو بالرغم من أنه تزعم فيما بعد عملية تحويل الحزب إلى حزب شيوعي ينتمي للدولية الثالثة ، إلا أنه يتعين علينا أن نذكر أنه قد ترجم في مطلع العشرينات كتاب « الحيركة الاشتراكية » لرايمزي ماكدونالد ، وقدمه للقيصري المصري قائلاً أنه رئيس الحكومة الإنجليزية وزعيم « الدولية الثانية » .

وقد اكتفى العرابي بالترجمة ولم يكتب أي تعليق أو مقدمة ، لكن مجرد ترجمة كتاب كهذا تمثل بالنسبة لنا دلالة هامة .

(١) المرجع السابق ص ٥١ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٢ .
(٣) الامزام ١٩/٨/١٩٢١ ، وفي وقت لاحق (١٩٢٤) نشر أدته على العناني مقالا في مجلة كل شيء أكد فيه تمسكه بالفلسفة الهيكلية . وأساسيا - مفكرة الاحادية / Monoisem . فيها ويربط بينها وبين مفكرة التوحيد في الانسلام .

- ولست أريد أن أستعرض هذا الكتاب ، لكننى سأكتفى بإشارة واحدة . . . ففى الكتاب الذى ترجمه حسنى المرابى سكرتير الحزب فصل بعنوان « ما ليس من الاشتراكية » . . .

وتحت هذا العنوان كلمتان « الفوضوية والشيوعية » (١) .

أما رابع الاربعة المؤسسين للحزب الاشتراكى فهو « محمد عبد الله عنان » . . .

ومحمد عبد الله عنان « نموذج كلاسيكى لمدرسة الدولية الثانية » . . .

وعنان واحد من الذين سارعوا الى التراجع تحت وطأة الهجوم المموم الذى شنته الرجعية على الحزب . . . فهو ينشر مقالا بعنوان « الاشتراكية المصرية لا تدعو الى ثورة أو فوضى » (٢) .

وأشاد فى هذا المقال بمقالى « الرفيق » سلامة موسى و « الرفيق » على العنانى . . . وتحدث عن الفروق بين الشيوعية والاشتراكية فقال : « أما اقتران الاشتراكية بالفوضى والشيوعية فهو خطأ جسيم ، لأن الشيوعية تقوم على اعتبار الثروة كتلة عامة يمتلك منها المستهلك حاجته ، لا بالنسبة الى خدماته ولكن وفقا لحقوته الطبيعية فى أن تسد حاجاته . . . أما الاشتراكية فانها تعلق المنح على قوة الانتاج وقيمة الخدمات ، فكلا الجداين يتفق فى توحيد الثروة ولكنهما يختلفان فى تحديد حقوق الفرد بالنسبة اليها ، لان الاشتراكية تقرر التوزيع طبقا للكفاءة الشخصية ، والشيوعية تقره طبقا للحاجة البشرية . ان القول على اطلاقه بان الاشتراكية ترمى الى محو الملكية الشخصية خطأ شديد كخطأ قرنهما بالفوضى ، فالاشتراكية لا تريد الا القضاء على النتائج السيئة التى تؤدى اليها الملكية الشخصية بشكلها الحاضر وتحقيق أنظمتها العادلة المستطاعة . »

. . . ان الاشتراكية لا تحتم الغاء الوراثة ولا تعترض عليها الا حيث تقضى الى امتناع السوء الاعظم . . . وبالجمله فان برنامج الاشتراكية الاقتصادية يرمى الى تحطيم نظم الاستثمار والاستغلال بتحديد حق الملكية الشخصية . . . أما المساواة فى الاشتراكية فليست مساواة فى الحالة الاجتماعية مطلقا ، وما هى الا مساواة فى « الفرص » فببدا الطفل حياته وجميع الابواب مفتوحة فى وجهه ، فلا يخلق ثمة منها فى وجهه ما يستطيع

(١) رامزى ماك دونالد - الحركة الاشتراكية - ترجمة محمود حسنى المرابى - ص ٨٧

(٢) الاهرام ١٩٢١/٨/٢٥

بولوجه... إن: استبعاد رأس المال هنا شيان بالغ حد الارهاق، وإن
استثنائي طائفة برأس المال هنا يقترن به طغيان فإدح يوضحه لك عنيف
أصحاب الضياع بالفلاح البائس القس،...
الى هنا والكلمات لا غير عليها فهي قد تكون مقبولة - الى حد ما -
من كلا الطرفين الاشتراكيين والشيوعيين

... ولكن الضدام الحقيقي يبدأ عندما يقود عنان الحملة ضد الاتجاه الذي
ترعمه حسنى المرابى ومارون وصفوان أبو الفتوح بضرورة الانضمام
للدولية الثالثة

... وانفصل محمد عبد الله عنان عن الحزب معلنا اعتراضه...
... وانفصل ليعمل هو أيضا في رجاب «الاجرار الدستوريين» في مجلة
«السياسة» ومجلة السياسة ليست بحاجة الى مزيد من الايضاح...
لكن المهم ان محمد عبد الله عنان واصل الكتابة فاصدر سلسلة من الكتب
شرح فيها آراءه في الاشتراكية... والشيوعية...

... والحقيقة ان عنان قد خزن كثيرا فهو في أحيان يمجذ البلاشنة
والماركسين، وفي أحيان أخرى بل وبعد صفحات قليلة يتأخرون...
أخذ كتابه «تاريخ الجمعيات السرية» والحركات الهدامة (١) ...
... فهو يتحدث عن ياركس قائلا انه «رجل من أئمة الثورة وأقطاب
الهدم» (٢) وهو من أعظم دعاة الشيوعية بل هو واضح أصولها العلمية
ومبنيها أساسها الثورية (١)

... وقد فهم ماركس وانجلز العالم ان الاشتراكية ليست عطفا على رؤساء
المجتمع من قوى الأبنية والطبائع البارزة بل هي بالعكس انقلاب
اجتماعي حائل وانه لا خلاص للعمال ولا فوز الا بصراع هائل ينشب بينهم
وبين الطبقات الحاكمة المستترة بالثروة والهيمنة وكانت آراء ماركس
وانجلز المنطقية ضربة ساحقة للمثالية والطوبارية فقويت الاشتراكية
واشتد ساعدها حتى أصبحت صراعا ماديا واضحا بين الطبقات وارتفع
ما حاق بها من الغموض وأصبحت قضية يدركها الفرد العادي... فشمع
العمال بقوة التضامن مع زفاته من كل البلاد ودوت في أفق صرخة ماركس
وانجلز «ياارعمال العالم اتحدوا» (٢)

... صدر في ١٩٢٦ عن دار الهلال...
... يستخدم المؤلف كلمة الهدم كإبدال لكلمة التغيير... وهو يقصد
بالحركات الهدامة الجركات التي تستهدف تغيير نظم الحكم بالقوة بغض النظر
عن تقويم أهدافها ذاتها

(١) ص ١٨٦ (٢) ص ١٨٩ (٣) ص ١٨٦

ويعد أن شرح شرحا مستفيضاً نظرية ماركس ولخص تلخيصاً وافياً
 « البيان الشيوعي » ، ينقل ليقول « كلمة موجزة عن الرجل الذي استنتج
 بعزمه انفياض، وذكائه الخارق أن يجعل مثل ماركس حقيقة واقعة وأن
 يقيم بمؤثرة زملائه أول جمهورية اشتراكية في التاريخ . . . ذلك الرجل هو
 لينين ، اعظم تلاميذ المدرسة الماركسية وأعظم دعاة الثورة العالمية ،
 وعضو الدولية الشيوعية الثالثة وأول رئيس لجمهورية روسيا
 الاشتراكية (١) » .

• • • وقد ظهرت مواهب هذا الرجل العبقري رائعه خارقة فقد
 استنتج في غمار هائلة من الصعاب والخطوب أن يسير بقية المجتمع الجديد ،
 النشء في نظمه وغاياته بمهارة مدعشة واستنتج أن يرعى الثورة الفتية • •
 ولم يمض عام حتى كانت الجمهورية الجديدة قد اجتازت أشواطاً في سبيل
 النظام والاستقرار ، (٢) .

ويعد مديح طويل للينين والبلاشفة وللاتحاد السوفيتي • • يعود عثمان
 يتخذ الموقف النقيض ويبدأ الهجوم بعد صفحتين فقط • •

• • • « الدولية الشيوعية قوة خفية • • فكرة يحملها جيش هائل من الدعاة
 يجتاحون أرجاء العالم ، تشهد أعمالهم ولا تراهم ، وتهيمن أشباحهم المظلمة
 في أفق كل اضطرابات وثورة ، ويهرع الي لوائهم كل ناقم وبائس ومغامر • •
 هذه هي الدولية الشيوعية التي تقبض موسكو على ناصيتها ويسيرها
 خلفاء لينين وتلاميذه » (٣) .

• • • ويقول « ولكن الدولية لا تستطيع رغم جهودها أن تقنع السواد
 باعتناق أهدافها الخلافة ومثل روسيا قائم يشهد بأن التجربة الشيوعية
 كانت خيبة ، وأن تعاليم ماركس ما زالت حلماً وحشياً لم تحقق مثله
 إلا لمحات ضئيلة » (٤) .

• • • كل هذا التناقض في كتاب واحد • • بل وفي صفحات متقاربة • •
 ولعله يفسر في ذاته ذلك الاضطراب والخلط والتناقض الذي يقع فيه وأحد
 من اشتراكيي الدولية الثانية عندما يحتمى من موجة العناء للاشتراكية في
 رحاب حزب الاقطاع • •

• • • (١) ص ٢٠٥ • • • (٢) ص ٢٠٧ • • • (٣) ص ٢١٠ • • • (٤) ص ٢١٢ • • •

... وثمة مثقفون آخرون غير هؤلاء كانوا هم أيضا اصداء مصرية لفكر
الدولية الثانية ومن هؤلاء حسين نامق (*)

وحسين نامق يقول عن نفسه وعلى غلاف كتابه انه خريج جامعة
أكسفورد ، والكتاب عبارة عن أسئلة واجوبة حول الاقتصاد السياسي وفي
الكتاب فضل عن الاشتراكية . . . ولنتأمل الاسئلة . . . والاجوبة (**)

س : ما هي الاشتراكية ؟

ج : هي التعاون الاجبارى فى الانتاج .

س : ما المراد بالتعاون الاجبارى ؟

ج : ان يكون منظما وتحت اشراف الحكومة .

س : فقيم يكون التعاون الاجبارى ؟

ج : فى جميع المرافق الانتاجية كالمسك الحديدية والتلغراف والتليفون
والبريد والطرق للزراعية والمعامل والمصانع والحقول وغيرها .

س : ما نوع الحكومة التى يكون تحت اشرافها التعاون الاجبارى ؟

ج : يجب ان تكون حكومة ديمقراطية لا مركزية بمعنى ان يعطى
الحكم الذاتى لكل اقليم ولكل بلد ولكل قرية . . . حتى يتسنى لجميع الاسر
الاشترك فى ادارة شئون امتهم .

ثم اسئلة اخرى اكثر تصراحة . . .

س : ما راي الاشتراكيين فى الملكية ؟

ج : يرون ان يقضى على التملك الفردى لتصبح الارض وما عليها
مشاعة بين الناس ينتفعون بها على السواء والملكية فى نظرهم هي السرقة
والاغتصاب . . .

س : ما راي الاشتراكيين فى رأس المال ؟

ج : يرون جعل رؤوس الاموال مشتركة بين جميع الناس حتى يصبح
كل افراد الامة ممولا فى هذا المال المشترك .

س : ما راي الاشتراكيين فى المرء العاطل ؟

(*) مؤلف كتاب خلاصة الاقتصاد ونبذة من التاريخ الاقتصادى

(**) المرجع السابق ص ١١٤ . ويلاحظ ان أسلوب الاسئلة والاجوبة
كان أسلوبا معتمدا فى الكتابات الماركسية فى أوروبا فى ذلك الحين .

ج : العاطل غنياً كان أو فقيراً لص لأنه يأخذ من مال الأمة ولا يبذل لصالحها . . .

وتتوالى أسئلة واجوبة أخرى كثيرة أهم ما يلفت النظر فيها أنه يقول ان : اتباع كارل ماركس يسمون بالاشتراكيين الفئتين ، (١) . . .

وأن من حسنات الاشتراكية أنها تنادي بنشر التعليم المجاني وبإبطال الحروب ويمنع الخمر . . .

وان من مزايا الاشتراكية أنها « حركت فينا عواطف الشفقة والمحبة نحو الطبقة الفقيرة وانها غير راضية عن الحكومات الاستبدادية وانها لا تتناهى الديانات الحقبة . . . » (٢) . . .

. . . ولكن أخطر ما يقوله نامق في كتابه هو تأكيده أن الاشتراكية يمكن أن تنشأ في ظل النظام الاجتماعي والدستوري الحالي نانياً أن الاشتراكية تسعى لتغيير هذا النظام . . . فهو يسأل « هل الاشتراكية مشتقة من النظام الدستوري الحالي ؟ والجواب نعم وبيان ذلك أن كثيرا من الحكومات الآن تملك أو تدير أغلب المرافق الانتاجية ، والاشتراكية تنادي بجعل هذه المرافق تحت اشراف الحكومة ولكن على نطاق أوسع وأهم ممنا هي الآن . . . » (٣) . . .

ولا ينسى المؤلف بطبيعة الحال أن يدعو لحزبه . . . فثمة سؤال « هل ظهرت الاشتراكية في مصر ؟ » . . . والجواب « نعم نهض نفر من أخوان العمل في مصر والنفوا حزبا يسمى بالحزب الاشتراكي المصري . . . » . . .

وسؤال آخر . . . « هل لهذا الحزب مبادئ معلومة ؟ » . . . نعم له مبادئ تنقسم الى ثلاثة أقسام وهي سياسية واقتصادية واجتماعية . . . (٤) . . . ثم يستطرد فيورد تقريرا النص الكامل لبرنامج الحزب . . .

. . . وإذا كانت أفكار حسين نامق هي نموذج لذات الطالب المصري في جامعة أكسفورد بأفكار حزب العمال البريطاني فثمة طلاب آخرون تأثروا بالاشتراكية الاشتراكية الاوربية الاخرى . . . البعض بالحزب الالماني مثل عصام ناصفة عبد الفتاح القاضي وآخرون . . . والبعض بالتيارات الاشتراكية في فرنسا وهؤلاء هم أعضاء الجمعية المصرية في باريس . . .

(٢) ص ١١٩

(١) ص ١١٨

(٤) ص ١٢١

(٣) ص ١١٥

والجمعية المصرية في باريس تكونت في الاساس كتجميع لشباب الحزب
 الوطني هناك يستهدف تعبئة الجهود المصرية في الدعاية للقضية الوطنية امام
 مؤتمر الصلح ، لكن هذه الجمعية سرعان ما اتخذت اتجاها يساريا . . .
 مؤسسها الجمعية خليفة بوبلي وعبيده جوده كانوا عضوين في الحزب
 اليساري لحزب حقوق الانسان بفرنسا شعبة الحزب الخامس بباريس وقد
 اينتطاعا ان يقيما علاقة وثيقة بين الاشتراكيين الفرنسيين وبين هذه
 الجمعية . . .

فانتما « لوسيان باركسيو » رئيس شعبة الحزب الخامس بالدفاع
 عن القضية المصرية في مؤتمر الحزب « (١) » ، كذلك اتامت الجمعية علاقة بالحزب الاشتراكي الفرنسي . . . وخاصة
 بزعيمة مارسيل كاشان ، وقد قام كاشان بزيارة مقر الجمعية معربا عن تأييد
 حزبه للقضية المصرية واستعداده لمساعدة حزبا بكل ما في وسعه . ثم طلب
 من الاعضاء ان ينتدبوا احدهم ليشرح للطلبة الاشتراكيين اصل المسئلة
 ويفهمهم ما يغيب عنهم من تفاصيلها ، « (٢) » . وبالفعل ارسلت الجمعية ثلاثة من اعضائها الى مؤتمر نظمته الحزب
 الاشتراكي الفرنسي ليشرحوا تطورات القضية المصرية . . . وفي ختام الحفل
 هدف الاشتراكيون الفرنسيون و لتحميا مصر ، ووقف المصريون والفرنسيون
 مما لينشدوا نشيد الدولية ، « (٣) » .

كذلك قام كاشان بتقديم عدد من ممثلي الجمعية الى بعض مشاعدي
 ويلسون في مؤتمر الصلح . . . وعندما وصل سعد زغلول والوفد المصري الى باريس اقام الحزب
 الاشتراكي الفرنسي وحزب حقوق الانسان حفل تكريم له راسه مارسيل
 كاشان . . .

تمنى والقي مارسيل كاشان كلمة قال فيها : « اذا كنتم قد طرقتم ابواب
 الاستعماريين فاقفلوها في وجوهكم فان الشعب الفرنسي يفتح لكم
 ابوابه » ، « (٤) » .

(١) محمود ابو الفتح - المسئلة المصرية والوفد - ص ١٣ .
 (٢) المرجع السابق - ص ٢٤ .
 (٣) المرجع السابق - ص ٢٣ .
 (٤) المرجع السابق - ص ٢١ .

وقد اهتمت الجمعية بإقامة علاقات بالحزب الاشتراكي الإيطالي ويكثرت
من القوى اليسارية في أوروبا . . .
وإذا كانت ثورة ١٩١٩ قد اتخذت لنفسها راية وطنية هي رقيقة
خضراء وثلاث نجوم رمزا للديانات الثلاث . . . فإن الجمعية المصرية في باريس
اختارت علما أحمرًا ذا ثلاث نجوم . . .
ولامد طويل ظل العلمان الأخضر والأحمر يرغرغان في سماء مصر . . .

كذلك عندما وصل الوفد إلى باريس حاول أعضاء الجمعية اقناعه بأنه
لا جدوى من أحزاب اليمين وأنه لا سبيل سوى التحالف مع الأحزاب اليسارية
ورفض سعد زغلول ذلك . (١) .

وإذا كان الوفد يميل إلى البحث عن حل وفاق ، بينما تطالب
الجمعية المصرية وهي في الأساس تجمع لشباب الحزب الوطني . عندما
يبتعدون يسارًا يبنون بضرورة اتخاذ موقف صارم وحاسم وهو لا يفاوضة
إلا بعد الجلاء التام . . .

فلا بد أن يحدث صدام . . .

ويترجم هذا الصدام شايان يساريان متأثران بالحزب الاشتراكي
الالماني مما مجد الدين حنفي ناصف وعصام الدين حنفي ناصف . . .

ويقول عصام أنه قال لسعد « اننا نسحب منك الثقة » فامتعض سعد
قائلًا انه يمثل الأمة كلها وليس حنفة من الطلبة . (٢) .

كذلك يبدو أن الجمعية المصرية قد أزججت الوفد لانها بدأت تمد
نشاطها إلى مصر وتؤسس لها فروعًا بالقاهرة وتجمع التبرعات وتحرض الشعب
على المقاومة ورفض التهادن ويبدو أنه عندما وقع الخلاف امتنع الوفيد
عن تمويل نشاط الجمعية فلجأت إلى جماهير الشعب المصري التي تبرعت
لها بسخاء . . .

وينزعج الوفد من ذلك كله ويرسل على ماشر من باريس رسالة
سرية إلى عبد الرحمن فهمي تقول : « يظهر ان مسألة الجمعية المصرية
قد اتسعت أخيرا وذلك لعطف البلاد على أعضائها وتمتاعهم بجبالهم . . .
وإيجاد لجنة لهم في مصر . . . وظاهر أن مثل هذه التصرفات لا تتفق مع وحدة
الوطن . . . »

(١) المرجع السابق - ص ٩٠ .

(٢) راجع محضر النقاش مع عصام الدين حنفي ناصف - الملاحق .

العمل ووحدة الوجهة فانهم ربما كان شعورهم عظيما يقعون في الاغلاط كثيرا ، ولا يؤمن عليهم من غير اشراف الوفد ، ولذلك يكون الاولي أن يترك الأمر للوفد فهو يقدم لهم ما يلزمهم من النقود ويشرف على أعمالهم بوجه الاجمال .

•• والى من وقت وصولي كان عمي ضيم الجمعية للوفد حتى يجهل اعضاؤها كائناته ويساعدهم بكل ما يلزمهم الا أنهم كانوا في غاية العيب واشدهم عنادا هو مجد الدين أفندي ناصف فذلك أرى أنه اذا عاد ليخدم القضية في مصر يكون اصح للوفد هنا ، (١) .

لكن هذا الصدام لا يعني أن سعد زغلول لم يكن يدرك أهمية الحركة اليسارية في أوروبا أو أنه لم يحاول الاستعانة بها . . . فسعد كان يحاول اللجوء الى الحركة الاشتراكية ولكن بقدرة محدودة بحيث لا يسمح للانجليز باتهامه باليسارية . . . فهو يكتب مقالات في الإومانييتيه وفي الديلي ميرالد . . .

كذلك قام الوفد في ٩ نوفمبر ١٩١٩ بإرسنال مذكرة الى المؤتمر الاشتراكي الدولي تحدث فيها « عن مطالب مصر وما تنتظره من الاشتراكيين من العون والمساعدة » . . . وأخذ بيرمن على أن الاسلام يتفق مع روح الاشتراكية . . . ثم أشار الى روح التضامن التي بين المزارع وصاحب الأرض والتي ميسلة الاوقاف الخيرية وقال إن الرابطة الزوجية عندنا تعادل الرابطة الحرة التي يقول بها الاشتراكيون . . . ومع المذكرة أربعة ملحقات عن التعليم والانظمة السياسية والمالية العامة والمسألة الاقتصادية ، (٢) .

وفي ٥ ديسمبر ١٩١٩ أرسل الوفد مندوبين رسميين عنه لادلاء بانوالهم أمام اللجنة المركزية لحزب حقوق الانسان . . . وكان مندوبوا الوفد أحمد لطفي السيد ، مصطفى الخحاس ومحمد علي (٣) .
وعقب المناقشة قررت اللجنة المركزية تأييد القضية المصرية وعقدت سلسلة من المحاضرات لشرحها .

وفي ١١ ديسمبر نظم الحيزب اجتماعا جماهيريا تحدث فيه واصف بطرس غالي وفي نهاية الاجتماع أعلن المجتمعون أنهم ويرسلون الى الشعب .

(١) محمد أنيس - دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ - ص ٢٥٢ -

(٢) محمود أبو الفتح - المرجع السابق - ص ١٣٩ .

(٣) المرجع السابق - ص ١٤٩ .

المصري سلامهم وأمانهم .. ويرجون أن ينال هذا الشعب الفيل امانيه
الشرعية في ظل السلام .

٠٠ وفي ٤ أغسطس أرسل الوفد برقية الى هندرسن رئيس المؤتمر
الاشتراكي المنعقد بلوسرن وقد احتج الوفد في برقيته على معاهدة الصئح
طالباً باسم مصر عون المؤتمر الاشتراكي على الظلم القاسى الذى حاق
بمصر ، (١) .

كذلك قرر الوفد أن يقدم نوعاً من المساعدة المادية لجريدة « الاومانتيه »
فتبرع لها بمبلغ ١٥٠٠٠ فرنك لكن مجلس ادارة الجريدة رفض - من ناحية
المبدأ - قبول هذا التبرع ، فأرسله سعد زغلول الى اكنتاب كان متوقفا
لتخليد ذكرى الزعيم الاشتراكي « جوريس » ، (٢) .

لكن كل هذه العلاقات لم تكن أكثر من محاولة للاستفادة من اليسار
دون أى ارتباط به .

وعندما انشأت الجازيت في ١٩ مايو ١٩٢١ الى أن سعد أتلى
بتصريحات لجريدة الديلى ميرالد والمحت الى عطفه على مبادئ حزب
العمال سماع الى نغى ذلك قائلاً « أدهشنى ما قرأته في صحيفتكم : ان
ارتياحى لخطة الديلى ميرالد الاجتماعية .. ولكننى أقول لكم ولقرانكم انى
لست ممن يهتمون بالمباحثات في هذه الشؤون الاجتماعية ، وانى لا أجهد
نفسى في امر الكرمونة أو البلشفية .. اذ ليست عندي أى فكرة عن هذه
الوجهة ، ..

وفي الوقت الذى كان الوفد في باريس يتلمس تأييد اليسار كان سعد
يرسل سرا الى عبد الرحمن فهمى مؤكداً « أن الوفد غير راض عن المنشورات
التي تتضمن الانتصار للبلشفيك ، فان هذه المنشورات يستفيد منها
أعداؤنا » ، (٣) .

وهكذا فاذا كانت علاقات التيارات المختلفة باليسار الاوربى وبحركة
الدولية الثانية يمكن تفسيرها بمضامين سياسية أو اجتماعية ، فان علاقات
الوفد المصرى بهذه الحركة كانت موقفاً عملياً بحثاً يستهدف الاستفادة من
هذه القوى فحسب .

فسعد زغلول كان قد حسم الامر أكثر من مرة معلناً انه ضد
الاشتراكية .

(١) محمود أبو الفتح - مع الوفد المصرى - ص ٨٦

(٢) عبد العظيم رمضان - المرجع السابق - ص ٢٠٩

(٣) محمد أنيس - المرجع السابق - ص ٢١

...
 ...
 ... (1) ...

...
 ...
 ...

...
 ...
 ...

...
 ...
 ... (2) ...

...
 ...
 ...

...
 ...

(1) ...
 (2) ...
 (3) ...

الماركسية

وكما وجدت المدارس الاشتراكية الاخرى كان طبيعيا ايضا أن تجد الماركسية نفسها دعاة مخلصين في مصر ..

.. والغريب في الامر أن هؤلاء الدعاة قد وجدوا في وقت مبكر جدا ، في وقت لم يكن يتخيل فيه انسان أن الماركسية قد وجدت طريقها إلى مصر ..

وليس بالامكان - للأسف - أن يتقدم الانسان خصراً متكاملًا أو حتى شبه متكامل للاتمكار الماركسية التي ترددت في ذلك الحين ..

غان الكثيرين قد عبروا عن هذه الافكار في همس وسرية ، والمؤرخون اجتمعوا على تعمد تجاهل هذه الافكار ، وما يعثر عليه الان يتطلب بحثًا مضنياً وجهداً شاقاً .. لكننا مع ذلك سنحاول أن نقدم بعض النماذج للافكار الماركسية التي ترددت في مصر في هذا الوقت المبكر ..

وأول ما نعثر عليه هو مقال بغير ترقيع ، منشور في مجلة المؤيد في عام ١٨٩٠ تحت عنوان « الاقتصاد السياسي » كل ما نعرفه عن كاتبه أنه « أحد الفضلاء القراء » (١) .

ولنقرأ معاً كلمات الرجل الذي لا نعرف اسمه ، واضمين في الاعتبار بطبيعة الحال أنه يستخدم أسلوب عصره في الكتابة .
« في مسألة اقتسام الأموال » :

« إذا كانت الاموال كمية غير محدودة ، فليس من حاجة تلزمنا البحث عن كيفية اقتسامها إذا كنا نترك كل انسان يأخذ منها ما يشاء .. نعم أن الاموال ليست كمية محدودة ، ولكنها تقرب من ذلك .. فيجب حينئذ اقتسامها بالعدل على قدر الامكان .. ولهذا تعددت المذاهب ولكن مذهب قاعدة ، فمن قائل أنه ينبغي أن يكون لكل انسان على قدر احتياجه .. ومن قائل أنه يجب أن يكون لكل انسان على قدر شغله .. وهذا القول يمكن توجيهه إلى معنيين : الاول اعتبار التعب والمشقة ، والثاني اعتبار

(١) منتخبات المؤيد لعام ١٨٩٠ - ص ٢٩١ .

النتيجة فينقسم إلى مائتين للماعنتين لكل انسان على قدر ما يتعب ،
ولكل انسان على قدر ما يُنتج . . .

وعنك مذهب آخر يقول : لا يلزم البحث عن قاعدة بها تقسم الاموال
بالعمل ، لان ذلك امر طبيعي ، فهي مقسمة بنفسها كالماء يتبع الانحدارات

وليس الفنى والفقر من حيلة الفتى ولكن احاط قسمت وجدود

فنجيب على هذا المذهب الاخر قائلين انه اذا كان الماء يتبع الانحدار فهذا
لا يمنع الجنابى او الميئس ان يفرقه كما يشاء بواسطة جداول صناعية ،
وحسب ذواتهم . علم اجراء الماء وارتفاعه . . . فواضع القانون يمكنه
ان يعمل ذلك فيما يختص بتفريق الاموال ، لان الملكية الشخصية والبادرة
في الاعمال هما العاملان اللذان يحكمان تفريق الاموال في جمعيات (مجتمعات)
زمننا ، وهما قانونان صناعيان وعلى فرض كونهما طبيعيين فمن الممكن
تعديل ما ينتج عنهما ونحن نشاهد ذلك في كل لحظة . . .

و سنشرح لك مضمون هذا . . . فينبغى انى ذلك ان بحثنا على
الطرق التى بها يمكن تقسيم الاموال بين الافراد بالكمسطة المستقيم ينجم
عنه بلا ريب فوائد جمة حينما نجزم ان تقسيمها في الوقت الحاضر مختلف
للعمل . . .

ولذلك سنأتى على جميع ما ذهب اليه العلماء على التوالي فنقول :

مذهب المساواة . . .

هذا المذهب يريد مساواة حصص افراد الناس معتصما بانه لا داعى الى
اعطاء الواحد اكثر من الاخر ، وبسطة هذا المذهب قد هيات له مكانة
في صدر اهل العصور الاولى . . . وفي الواقع ان واضع شرائع القدماء كمينيس
المصرى ونيكبرج اليونانى وروميليس اليونانى قد قسموا الارض بالمساواة
بين العائلات ، وكانوا يعيدون تقسيمها بعد زمن محدد عندها تضعف
المساواة السابقة . . .

ولكن هذا المذهب لا يمكن قبوله فعلا الا في جمعية صغيرة من الناس
وبما يخص نوعا واحدا من الاموال التى هي الارض . . . فليس من الممكن
تقسيم الاموال التى توجد في بلد كفرنسا الى سبعة وثلاثين جزءا . . .

ثم يتحدث الرجل عن الشيوعية ويدافع عنها قائلا :

و بعض دعاة المساواة يذهبون الى دعم تقسيم الاموال ويستحسنون
التمتع بالملكية اشتراكا . . . وهذا هو المذهب المسمى « بالكومينزم » ولا تظن
انه غير ممكن السلوك بمقتضاه . . .

ولا تظن أنه من الواجب على أعضاء تلك الجمعيات (المجتمعات) أن يعيشوا عيشة انضمام والتزام ، بل يمكن أن توضع لوازمهم في أماكن معلومة على قدر الامكان . . . فكل منهم يأخذ منها ما يحتاجه مقدرا بما يأخذ الآخر كما كان جاريا في الجمهوريات اليسوعية الشهيرة . . .

ويستمر الرجل في دفاعه عن « الكومينيزم » قائلا :

« نأل مخالفوا هذا المذهب أنه يضعف الغلة ، وهذا خطأ . . . لو تأملنا في اجتهاد أعضاء هذه الجمعيات المنتظمين في سلك هذا المذهب ، وهذا سهل الفهم إذ أن كل انسان منهم يعرف أن ما يخصه انما هو كل ما ينتجه ، غير أن حالتهم أحسن بدون شك من حالة العامل الذي يعمل لمنفعة غيره كما هو واقع في هيئتنا الاجتماعية لمعظم أفرادها . . .

ثم يمضي الرجل في رحلته عبر مختلف المذاهب والنظم الاشتراكية ، فيقدم نظاما آخر قوامه . . . أكل انسان على قدر احتياجه . . .

« يلزمنا أولا أن نقول ان قاعدة هذا المذهب هكذا : ان الاموال يجب اقتسامها على قدر احتياج كل انسان بالقياس الى الآخر ، وذلك لان الاموال ليست كمية غير محدودة فضلا عن كونها ليست بمقدار زائد ليتسنى لكل انسان ان يأخذ منها على قدر احتياجه ، . . .

ويتشكك صاحبنا في امكانية تطبيق هذا المذهب ، او على حد قوله « اخرجه من القول الى الفعل لاننا لا نجد طريقة نتوصل بها الى تقدير احتياجات كل انسان ، بل ما هي السلطة التي تحكم برفض وقبول طلبات الناس حسب ما تكون حقيقية أو باطلة . . .

وبعد أن يتبركم كاتب المقال على أفكار لوييس بلان وعلى مناداته بمنح الرجل المتزوج حصتين ورب العائلة حصصا بقدر عدد اولاده . . . يستعرض لنا مذهبها آخر . . . هو . . .

لكل انسان على قدر مشاقته . . .

معتقدا ابناء عو الاخر قائلا :

« لا تخفى علينا أنه اذا فرضنا أن الذين اشتهوا بعمل واحد ، وبذل ادمتاً من الجهد ما بذله الآخر . . . فقد يمكن أن تختلف النتيجة وتتساوى المشقة ، وقد يمكن أن تتساوى النتيجة وتختلف المشقة . . . فشرعة دعاء هذا المذهب النظر الى تقدير الكفاية بالمشقة لا بالنتيجة ، وهذا على جانب من العدل . . . ولكن لو تأملنا لوجدنا العمل به متبعثا ، وسبب ذلك هو

من أفرادها في المنزلة التي يؤمله لها عمله وتكافئه بمقدار تلك الدرجة .
وأحياناً من ذلك لو صُنفت لنا الفواميس الإنسيانية بتقدير درجات
الأشخاص بمقدار أهليتهم . . . ولكن مع الأسف أن ما نحى تلك القوة في رأى
البعض هم أعضاء الهيئات الحاكمة الذين خدعتهم الأقدار وتبصفت لديهم
الآمال فأحلوا الوضيع في منزلة الرفيع ووضعوا المستحق في درجة غير
المستحق . . .

ويواصل الرجل هجومه على مذهب سان سيمون ، بل ويصفه بأنه
أكثر ظلاماً مما هو كائن من أوضاع . . . فيقول . . .

« ولو قيل لنا أن تلك الحالة هي أحسن نتيجة وأسهل احتمالاً من
الحالة الفوضوية المتروكة تحت رحمة الأقدار ، ثلثنا أن هذا الأمر مما يوجب
التفرية . . . فإن الشخص الذي يحرم من واجباته يدعى أنه ليس أهلاً
لأسوأ حالة وأكثر مشقة ممن يحرمها علماً بذلك مرتكناً الى نفس طالعه
وخصيصة بخته . . . إذ أنه في الحالة الأولى مغضوب حقاً يعلم استحقاته له
متصوراً ما يتردد في قلوب مباشريه من أن ذلك لعدم أهليته وكفايته فيكون
مصابه من جهتين ، وأما في الحالة الثانية فهو ممنوع حقاً يعلم استحقاته
له ولكن لا يشعر من نفسه بامتهان . درجته ويسند ذلك الى رحمة الحوادث
» . . . فويل أهون من ويلين . . .

« ويُعد أن يفند صاحبنا حجج السان سيمونيين ، يعود مرة أخرى الى
أفكار كارل ماركس ليقدمها كالتمودج الذي يرتضيه . . . والذي يختاره من
بين كل المذاهب التي استعرضها فيقول :

« فلهلوا بنا الى أن نجعل القاعدة التي تحاولون المعدل بها هكذا . . .
لكل انسان بمقدار ما ينتج لا بمقدار ما يعلم . فتكون قد أخذنا بعناصر
الأفراد على حين لا نجحف بقسطاس المعدل . ولكن هذا هو المعدل الذي
لا يمكن أن يتصور المعدل أكمل منه . . .

بعمله بدون التفات الى عقله أو حظه أو رداءة بخته . . .
ويواصل الرجل تمجيدَه وامتداحه للمبدأ الذي اختاره قائلاً :

« ولنا على فضل هذا المذهب من الشواهد التي تجعله محلاً سامياً
تقاطر الناس أفواجا للتمسك بعروته الوثقى . فانا لو نظرنا في جميع
المذاهب السابقة بعين التأمل لوجدنا مغبة هذا المذهب . . .
المعدل المطلق ، وهي مضطرة الى أن تكافئ كل انسان بمقدار ما يفيدها
ويمضى صاحبنا محاولاً التمييز بين القيمة والثمن فيقول :

« علمناً الآن أن هذا العبر تحي بولية هذا المذهب مقبلاً بين نجواه
قاعدة لكل انسان على قدر ما ينتج ، وكل ذي عقل يعلم إن ما يخص

الإنسان إنما هو قيمة النتيجة لا ذاتها ، وهذا ناشئ من تبادل النتائج على
تقوم الاحتياج . ومن الواضح البين أن منفعة الأشياء والرغبة فيها
وظلها لا تدخل لها في العمل بل لا تعلق لها بإرادة المنتج ، فما دامت قيمة
كل شيء تتغير حسب قانون التقدم والطلب فالمكافأة تتغير كذلك وربما
لا تفي بالعمل .

وبعد . . .

لنت اعتقد أن الكلمات بحاجة إلى تعليق ، لكنني فقط أود أن ألفت
نظر القارئ إلى سعة اطلاع هذا الكاتب المجهول وتعرفه على مختلف المذاهب
الاشتراكية واتخاذ موقفا انتقائيا واعيا منها .

وأود أن ألفت نظره ثانيا إلى أن كثيرا من الامثلة التي أوردها هذا
الكاتب ، وخاصة في انتقاد البيان سيمونين وفي الحديث عن القيمة والتمن
وقانون العرض والطلب ، قريبة الشبه جدا بما أورده ماركس في كتابه رأس
التمال .

وأود أن ألفت النظر ثالثا إلى أنه كتب هذه الكلمات في وقت مبكر جدا
في عام ١٨٩٠ ، لكن صاحبنا قد كتب كلماته هذه في عصر كان يتبع فيه
على أمثاله أن يتحدثوا «مسا» فكتبها بغير توقيع . . .

كم نأتمنى أن أعرف اسمه . . . فهو واحد من إعمق دعاة الاشتراكية
فهما ورعيا ووضوحا .

ويتقدم الزمن ، ويزداد الماركسيون جرأة فيعلنون عن أسمائهم . .
ويستطيع الباحث أن يتتبع بعضا من هذه الكتابات .

ويتقدم الزمن ، ويزداد الماركسيون جرأة فيعلنون عن أسمائهم . .
ولعل كتاب مصطفى حسنين المنصوري (ناظر مدرسة طوخ الاعداية)
و تاريخ المذاهب الاشتراكية ، هو واحد من أهم هذه الكتابات التي توضح
مدى العمق الذي وصل إليه الماركسيون المصريون . . .

وإذا كان أحد الفضلاء القراء ، قد فضل أن يخفي اسمه . .
فإن مصطفى المنصوري يتحدث بشجاعة نادرة عن الماركسية . .
لقد شهدت مصر قبله كثيرا من الاشتراكيين ، وربما شهدت قبله عددا
من يؤمنون بالماركسية . . لكن أحدا لم يدافع صراحة ويجرأ كاملة
عن الماركسية كما دافع مصطفى حسنين المنصوري . . (١)

(١) لمزيد من التفاصيل عن حياة مصطفى حسنين المنصوري راجع :
أمين عز الدين - المنصوري - شجرة مثقف ثوري - دار العقد للعربي -
لقاهرة (١٩٨٤) . . .

فالنصوري لا يخفى موقفه ولا مذهبه ، بل هو يعنى صراحة ، ان
ماركس بلا شك هو اعظم دعاة الاشتراكية واكبر انصارها ، فهو الذي عضد
الحزب الديمقراطي الذي أسسه لاسال وحافظ على كيانه رغم هجمات بسمارك
العنيفة عليه ، وهو اول من وضع برنامجا لحزب اشتراكي ، وهو صاحب كتاب
رأس المال الذي يسميه الاشتراكيون انجيل الاشتراكية ، وهو الذي
وضع قانون الجمعية الدولية . . والى القارىء خلاصة مذهبه ، (١) . .

وبعد ان يلخص آراء ماركس يقول : « هذا مجمل آراء ماركس ومن شاء
ان يطلع عليها بجذاهيرها فامامه كتاب الاشتراكية العلمية واليوتوبية بقلم
فريدريك انجلز . صدق اصدقاء ماركس واكبر انصاره ، فعلم بان هذا الكتاب
مترجم الى معظم اللغات الأجنبية . »

والحقيقة ان النصوري كان رمزا لنضج الفكر الاشتراكي ودليلا على ان
الحركة الاشتراكية المصرية قد تفتحت امامها الافاق الرحبة للفكر العلمى
.. وانها قد اصبحت الان قادرة على ان تناقش وعلى اساس انتقادي
خلاق كل المذاهب الاشتراكية التى ماجت بها اوربا خلال القرن التاسع
عشر ومطلع القرن العشرين .

وليس مهما ان النصوري قد اختار الماركسية كمذهب سياسى
واجتماعى يدافع عنه ويروج له ، لكن المهم ان الفكر الاشتراكي الذى حقق
انطلاقة واسعة وجبارة من خلال التزاوج الذى تم بين الحركة الوطنية
والحركة العمالية .. ان هذا الفكر قد اصبحت من المنحرفة ومن الرسوخ بحيث
يستطيع ان يواجه انحزافات الاصلاحيين والفايبيين وغيرهم ممن رفعوا
رايات الاشتراكية الاصلاحية .. كما ان المهم ايضا هو ان النصوري لم
يستطع فحسب ان يقدم فكرا متكاملا للاشتراكية العلمية وبرنامجا غايبا فى
الواقعية وغايبا فى الثورية .. وانما استطاع ايضا ان يصد عن الفكرة
الاشتراكية هجمات خصومها ، وأن يفند كل ادعائهم وانتقاداتهم ..

لكننا بذلك نتخطى الاحداث ..

فلنسر مع الكتاب صفحة صفحة نستعرض الفكر الخلاق لعيسى

مصرى ..

(١) مصطفى حسين النصوري - تاريخ المذاهب الاشتراكية - (١٩٦٥)

(١٩٦٥)

ص ٤٩ .

في أعلى الغلاف كعادة كتاب عصره . . . يكتب الناصري حكمة تلخص
 شكل ما يريدون : *الاشتراكية هي الحل*

من جسمه . . .
 من رويدنا نعتصم طوال القرون الماضية بالباطل . . . نحنينا ولا زلنا
 نجني الشقاء والتمار . . . وقد جان الوقت الذي يجعل بنا فيه أن نغير طرفنا
 الفاسدة وأهل البينا العقيمة . . .
 ويبدأ الكتاب بمقدمة يتناول فيها : « كثيرا ما نسمع عن الاشتراكية

ولكن القليل منها من يفهم حقيقتها . . .
 12. والاشتراكية هذا المذهب الذي ينتشر انتشارا عظيما في قارة أوروبا ،
 بل تعداها الى أمريكا واخترق المحيط الهادى ووصل الى أستراليا ونيوزيلنده
 الجديدة . . . وظهرت برادره في مملكة الشمس المشرقة . . .

وفي صفحات أخرى من الكتاب يتحدث الناصري عن انتشار الاشتراكية
 وقوتها فيقول : « قد علمنا الآن كيف نشأت وانتشرت الاشتراكية في
 فرنسا وألمانيا وروسيا . . . ولكن انتشارها لم يقف عند هذه الممالك رغم
 مقاومة الحكومات والأغنياء له . . . ولكن ما تضمنته الاشتراكية من الحقائق
 وما أظهرته من عيوب هذا المجتمع الحقيقية كان خير كفييل لنجاحها . . .
 الآن الفكرة الصالحة لا حد لانتشارها ، ولأن الحق مهما سعى ذوو الإغراض
 في إخفائه لا يد وأن يتسرب الى الناس يوما من الأيام . . . (1)
 ثم يقدم الى القراء جدولاً ببيان عدد الاشتراكيين في دول أوروبا (2)

البلد	عدد الاشتراكيين	البلد	عدد الاشتراكيين
ألمانيا	١٠٠٠٠٠٠	انجلترا	٢٠٠٠٠٠
فرنسا	١٠٠٠٠٠٠	سويسرا	١٠٠٠٠٠
النمسا	١٢٥٠٠٠	الدانمارك	٥٠٠٠٠
الروسيا	٥٥٠٠٠٠	السويد	٥٠٠٠٠
إيطاليا	٣٥٠٠٠٠	اسبانيا	٣٥٠٠٠٠

(1/P1) - حجة لا بد منها في الاشتراكية - د. محمد مصطفى مصطفى (1)
 (1) ص ٦٧

ويضي قائلًا ، ويظهر من هذا الجدول أن باروبا ما يزيد على عشرين مليون اشتراكى على وجه التقريب ، وهناك ملايين غيرهم يميلون إلى هذا المذهب ، ولكنهم لا يعتقدونه جهارا خوفاً على مراكزهم أو لأسباب أخرى . وبالاختصار يمكننا القول بأنه سيأتى يوم تكون فيه الاشتراكية مذعب جميع الأمم المتقدمة .

أما بالنسبة لصر . . . فإن التصورى يؤكد :

« نحن واصلون حتما إلى ما وصلت إليه أوربا ولا يد من مجيء يوم يكون للاشتراكية فيه شأن يذكر بيننا . »

ولنعد إلى المقدمة حيث يحاول التصورى أن يقدم تعريفا للاشتراكية . . . وبعد أن يورد سلسلة من التعريفات التى صاغها عدد من المفكرين يقول :

« وبالاختصار يمكننا أن نقول أن الاشتراكية هى مذهب القائلين بافتقار النظام الاجتماعى إلى اصلاح اقتصادى واجتماعى وسياسى ودينى نظرا للخلل الذى أصابه من جراء اطلاق سبل المزاخمة ، سيما بعد اكتشاف قوة البخار واختراع الآلات العديدة التى حلت محل الأشخاص فى إنتاج المنوعات وأجريت مركز الصناع لاشتداد التنافس بينهم ، وضاعفت مكاسب أصحاب الأموال حتى وصلوا إلى ذروة الغنى وتحكموا فى الصناع وعاملوهم بالقسوة والشدة ، فانزلوا عن أجورهم وأطالوا ساعات عملهم طمعا فى انماء ثروتهم . . . نساء أمر العمال وفسدت اخلاقهم وانتشرت بينهم الأوبئة وتكاثرت بهم السبل فتكا ذريعا وطفقوا يستنجدون بالأغنياء فلا يجدون الا ألقا صماء ، حتى قبض الله لهم أشخاصا من ذوى العقول للراجة انتصروا لهم وساعدوهم بمؤلفاتهم وخطبهم بل ويمالهم . »

ولكن ذهبت صيحات هؤلاء القوم يادى، ذى بدء أدراج الرياح ولاقى أصحابها العقاب الصارم من أجلها فزج بعضهم فى السجن ونفى الآخرون إلى البلاد النائية حتى ظهر أخيرا « كارل ماركس » فتكمن من إذاعة مبادئه وتكوين حزب قوى فى ألمانيا من العمال وعقد عدة مؤتمرات دولية من عمال الأمم المختلفة بعدما لاقى فى طريقه كثيرا من الصعوبات ونفى من ألمانيا إلى فرنسا ومنها إلى بلجيكا ومن ثم أخذت الاشتراكية شكلا علميا وعلا شأنها واعتنقها كثير من كبار المفكرين والصحفيين والكتاب فهذبوا مبادئها ونبذوا منها ما كان غير قابل للتنفيذ ووضعوا البرامج الواقعية وسعوا فى سبيل تاييدها حتى الابطال (١) .

ويعدُّ مبدأ الفكر الاشتراكي المصري على يدى المنصوري مرحلة جديدة من أساليب الإدراك الواعي للمغزى العلمي للاشتراكية ، مرحلة تتقبل فيها من الأمنيات والإجلام والتطلعات الى مجتمع أفضل . . . الى الايمان العلمى بنظرية ذات بنیان محيّد ، مرحلة يتم فيها التمييز بين التطلعات الخيرة نحو مجتمع عادل ، وبين التطلعات الفسادية نحو مجتمع اشتراكي . بين الدعوة للاشتراكية كطريق عام وبين الايمان بمدرسة محددة من مدارس الفكر الاشتراكي العلمى . . .

فألا اشتراكية بالمعنى الصحيح مذهب ولد وترينى في القرن التاسع عشر . . . ولكنه لم يبلغ رشده بعد . الا ان كثيرا من الأتقدمين أشاروا في كتبهم الى اصلاح المجتمع بعيد ما تبين لهم فساده في أيامهم (1) .

ويقتّم المنصوري بعد ذلك نماذج للاشتراكيين الخياليين الذين سعوا الى بناء مجتمعات تسودها العدالة دون ان يجدوا المسبيل العلمى والنضالى الذى يبرر امامهم طريق النجاح . . .

فهناك توماس مور ، الذى تحدث عن مدينة فرض وجودها في جزيرة سماها يوتوبيا . . . ووصف سكانها قائلا انهم ممتعون بالسعادة الكاملة ليس لاحدهم ملك خاص بل يشغلون جميعا بلا اجر معين والحكومة تتولى سد حاجاتهم بنظام مضبوط لا يعوزه نقص ويتناول الناس طعامهم على موائد مشتركة يضرب بها اليوسيتى وتنتشر الاطياب ، والثروة فيها محرومة على الافراد ، والحكام جميعا ينتخبون من بين الاهالى لمدة معينة . . . وانتشر كتاب مور وشرع الكثيرون في انشاء مدن تنطبق على كلامه وان كان اتباع هذا المبدأ اخذوا ينترضون شيئا فشيئا لما حل بهم من الفشل في مدينتهم . . . وهكذا اخفقت التجارب الاولى لانشاء مدن على مبدأ اشتراكي ولكن لم تكن هذه التجارب لتنتهى عزم القائلين بها ، وتقنعهم ببطلان ما يتطلبون بل ثابروا على سعيهم وكان فشلهم درسا لمن اتى بعدهم حتى ظهر كارل ماركس فوضع المبادئ الاشتراكية على اساس علمى ولم يكتف بالاصلاح الجزئى الذى ظهر له فشله بل اراد ان يجعل للاشتراكية دولية حتى اذا توحدت الأنظمة في سائر الممالك كان ذلك خير ضامن لنجاحها . . .

وقد بقيت الاشتراكية محافظة لهذه الروح الدولية التى بثها فيها ماركس الى يومنا هذا وبذا أصبحت مذهباً معقولاً قابلاً للتنفيذ لا مجرد خيالات يحلو تصورهما ويستحيل تطبيقهما . . . وأصبحت مسائل العمال تعرض في مؤتمرات دولية وهى التى تقر مدة العمل اليومي واجز العمل وطرق

حمايتهم لتنفيذ في شبائر البلدان على نسق واحد مع بعض التعديلات التي يقتضيها مركز البلد. (١)

ولفتأمل هذه الجملة الأخيرة . . . فهي ذات دلالة كبيرة جدا على وعي صاحبنا وعلى تفهمه في فهم النظرية الماركسية فقد ردد في عام ١٩١٥ مسألة نظرية ردها لينين قبله بفترة وجيزة وهي بناء الاشتراكية بطرق مختلفة في البلاد المختلفة . . . والشئ المثير بالفعل هو أن هذه العبارة لهم تكن مجرد جملة عارضة لكن التصوري يعود فيؤكدنا مرة أخرى بتخصصين أكثر عمقا وأكثر دلالة . . .

وتختلف مناهج الاشتراكيين باختلاف البلاد التي هم فيها . . . فتراهم في البلاد الديمقراطية كإنجلترا وفرنسا يقدمون مطالبهم الى ولاة الأمور ولا يتحرشون بالحكومات ولا يفاوضون موظفيها . . . اما في البلاد الاستبدادية كالروسيا مثلا فتراهم يجنحون الى الشدة وسفك الدماء ولانهم رأوا ان الشلطة الادارية تطاردهم في كل مكان ، ولا تدع لارادتهم . . . ولا تلتفت الى مطالبهم وعلى ذلك يكون من الخطا ان نتصور ان للاشتراكية مبادئ ثابتة غير قابلة للتعديل أو التحوير وان دعواتها يظهرون بمظهر واحد ورأي واحد في جميع الأمم ، وان كانوا مققنين على الغرض الذي يريدون الوصول اليه ، ولكنهم يختلفون في الطرق التي تؤدي الى ذلك الغرض باختلاف شكل الحكومات والنظام الاجتماعي في بلادهم . . . (٢)

وهو يتحدث عن البيان الشيوعي قائلا أنه " اتقدم برناج واضح للحزب الاشتراكية ولا يزال يرجع اليه في بعض الأمور وان كانت بعض مبادئه قد أصبحت عتيقة " (٢)

وهكذا وفي بساطة وبسر يردد المنصوري وأخدا من أهم المنجزات الفكرية التي لم يستطيع كثيرا من قادة الفكر الاشتراكي أن يستوعبوها . . .

والعبارات السابقة نستوقفنا لا لمجرد دلالتها على وعي الرجل ونهمه الاصيل والعميق للفكرة التي يعرضها . . . وانما أيضا لأنها توحي لنا ان المنصوري ربما كان قد اطلع على بعض من كتابات لينين أيضا والذي يقوى هذا الاعتقاد هو أن الرجل يشارك لينين كثيرا من أفكاره حول قضية الحرب العالمية الأولى فيقول :

(١) ص ٧

(١) ص ٧

(٢) ص ٩

(٢) ص ٩

(٣) ص ٤٦

(٣) ص ٤٦

« وما يؤسف له كثيرا أن الأحزاب الاشتراكية في أوروبا قد فشلت في منع الحكومات عن الوقوع في هذه الحرب الشعواء » (١)

« ولا شك أنه سيكون انتشار الاشتراكية بين الناس احدي نتائج هذه الحرب سيما بعد ما لاقوه من مصائب الحرب ومصائبها » (٢)

والمعروف بعد ذلك يناقش قضية الحرب والسلام مناقشة غاية في الوعي والعمق ، فالاشتراكيون أكثر الناس سعيا في سبيل توطيد أركستان السلام في العالم لأنهم يعلمون أن معظم اعباء الحرب يقع على كاهل الفقراء تسوقهم الحكومات الى ساحات الوعي وهم لا يحفلون بضعفهم بلعومهم ولا يعرفون سببا لتقاتلهم ولا مآرب لهم خاص يريدون الوصول له ولا ربح الا لبعض الاولئمة ولا تفنى صاخبينا شيئا » (٣)

وهو يورد نقرة من قرارات الجمعية الاشتراكية الدولية (الأممية الأولى) تطالب « بالغاء الجيوش الواقفة والاستعاضة عنها بالاهالي الكريين على حمل السلاح الذين عليهم تلبية طلب الحكومة عند وقوع النبلد في خطر »

ويعلق المنصوري على هذه العبارة قائلا « وقد يقول البعض ان الغاء الجيوش يجعل الامة مهددة ، نعم بلا ينكر ذلك ، ولكن الاشتراكيين يريدون الغاء الجيوش في جميع الممالك مرة واحدة ، وبذا يزول الخوف من هجوم العدو ، واذا لوحظ فوق ذلك أن الجيوش تتطلب مَضروفا هائلا لو صرفت في المسائل الحيوية كالترعيم لاتي بالفوائد الجمة ، وان الجيوش تجبرم الامة من ايد عاملة كثيرة ، لو استخدمت في الاعمال المثمرة لضاعبت ثروات الأمم ، لكان هناك حق للاشراكيين »

« يريد الاشتراكيون السلم التام الذي قد يتراى للبعض حلما من الاحلام فان الحروب اعمال وحشية محضية لا تليق بالانسان المتبعين وان في وسع البشر الوصول الى الشروط بدون الالتجاء الى السيف »

ثم هو يقدم التفسير العلمي للحرب قائلا « والحقيقة أن الاستعمار يأتي من طمع اصحاب الاموال الذين يدفعون حكوماتهم الى امتساق الحسام وقتل الالوف من الناس لتوسيع المجال لتجارتهم فلو تمكن الاشتراكيون من القضاء على هذه الطبقة لما بقي هناك

(١) ص ٩

(٢) ص ٩

(٣) ص ٨

صفت وأحد ينادي بالحرب شيئا بعد ما شاعده الإنسان من آلات الشخص
والثمنير الجهنمية (١)

وهو بعد ذلك يحدد أهداف النظرية التي يدعو إليها ويسائل فضالها
فإذا كان الرأسمالي يمتنع بما العامل عن طريق الآلة فإنه يحكم هذه
الآلة لتعيد الإنسان إلى فردونه المفترود ؟ ••• ويجب التصوري على سلوكه
••• أظن أنه ليس هناك عاقل يريد بالعالم الرجوع إلى مذبذبة لبعض المظلمة
••• لذا يجب علينا جعل الآلات خادما للإنسان لا مزاوما له. ولكن اني لنا
ذلك ومن المستحيل تغيير أخلاق الآلات ما دامت في قبضة اصحاب الأموال
الذين لا يراعون إلا صالحهم الخاص ولا يعبأون بما يلاقيه العمال من التعب
والإلم ما داموا يحصلون على معظم أرباح معاملهم ولا يتركون للعمال إلا
جزءا طفيفا لا يكفي لسد حاجاتهم ••• فالطريق الوحيد لاسعاد البشري هو
منع التملك الفردي وجعل رأس المال في قبضة العمال أنفسهم (٢)

ويمضى موضعا أسس النظام الذي يريد •••
••• أن امتلاك الأرض يعوق حون استغلالها بالقدر الذي في وتصح
الإنسان عمله فيها بعكس ما لو كانت هذه الأرض ملكا شائعا بين الناس
فاننا اذا نظرنا إلى مصر نجد أن وجود مزارع صغيرة فيها قد جعل أدوات
استعمال الآلات الزراعية التي لو استعملت لضاعفت نتاج الأرض فالتنظيم
الاشتراكي يقضى بالغاء الملكية الفردية بمعنى أنه لا يجوز للفرد أن يمتلك
أرضا أو معملا أو منجما أو أي ثروة تحتاج في استغلالها إلى عامل أو عمال
وعليه يجوز للفرد أن يمتلك أدوات بيته وملابسه وأمواله طالما كان لا يستغلها
بواسطة عمال بل ربما سمح له بامتلاك مسكن أيضا لأن هذا الملك لا يضر
الآخرين •••

ولو كان الملك في الأرض أو المسكن مبنيا على قاعدة الملك في القالب لكان
نشأت الاضرار الحاضرة ••• وهذا مع العلم بأن امتلاك الأراضي والمناجم والتساكن
لا يحتاج من الاستنباط والتفوق العقلي عشر ما يحتاجه اختراع آلة أو استكشاف
نظرية في العلوم ••• بل على العكس من ذلك قد يحتاج إلى كثير من التذلل
والحطة والضمة كما نشاهد باعيننا في المربين والمغامرين والتجار (٣)
••• ونجد أن استعرض المنصوري أسس النظرية التي يدعو إليها يحسن
ان واجبه يحتم عليه أن يرد عنها هجمات الأعداء وأن يحصنها ضد

- (١) ص ٨٠
- (٢) ص ١١
- (٣) ص ٨٩

افتراءاتهم، واكاذيبهم : وهو يفند بهوء ما يردده اعداء الاشتراكية من انتقادات . . فهم يقولون ان الاشتراكية تعنى ان الانسان لا يؤمن بالوطن ولا يؤمن بالاسرة ، ولا يؤمن بالدين .

لقد شاهدنا كيف كانت سيادة هذه المفاهيم الخاطئة عن الاشتراكية سببا في انتكاسة خطيرة لانكارها وقهرتها على الانتشار . . . ولهذا يتصدى المنصوري لهذه الانتقادات فيفندها واحدا واحدا . . . فاذا كان الاشتراكيون قد أصبحوا بعد تعاليم كارل ماركس دوليين الا ان العاطفة الوطنية لم تمت في نفوسهم كما يتوهم البعض وهي لا تلبث ان تتأرجح اذا ما أثار غائر غائر على بلادهم فهم لا يمتنعون عن الدفاع عن الوطن لكنهم يأنفون ان يكون لهم يد في حرب يراذ بها نسلب حرية امة ضعيفة (١)

د اما رأى الاشتراكيين في نظام العائلة فهو لا يختلف عن رأينا مطلقا وان كان قد صدر من بعض دعاة المبدأ ما يشير الى رغبتهم في ردم هذا النظام واستبدال الزواج الحالى بزواج حر مبنى على الحب ، الا ان ذلك لا يعنونه ، لانه رأى فردي . . . أما مجمل آراء الاشتراكيين فمنسقة على ان نظام الأسرة مفيدس وانه يجب ان يحفظ ، غير انهم يطلبون مساواة المرأة بالرجل (٢)

ثم ينتقل المنصوري بعد ذلك الى مناقشة القضية الخطيرة . . . قضية موقف الاشتراكية من الدين ، ولا بد انه قد اطلع على كتابات شميل ، ولا بد انه قد أدرك مدى الخطأ الذي ارتكبه شميل . . . فالمنصوري يقبح لنا فكرة ناضجة غاية في النضج وغاية في الوعي . . . بقى علينا ان ننظر في رأى الاشتراكيين في الدين ، لا شك ان معظم الاشتراكيين قد تأثروا قليلا او كثيرا من المبادئ المادية وهم لا يعتقدون ان الدين يكتفى لاجتراح هذا المجتمع الا انه رغم ذلك نرى الذين والاشتراكية ليسا يتناقضين ، وان كليهما يرمى الى نصرة الضعيف ، فان من يقف رعى حيايق الدين الإسلامى والمسيحى يجد كثيرا من المبادئ الاشتراكية الحديثة كالزكاة التى تعادل ضريبة الدخل ويقصد بها تسوية الخلاف بين الفقراء والاعنياء . . . ولقد قام فريق من الكهنة واللاهوتيين في أوروبا في القرن التاسع عشر وغدوا الاشتراكية جزاء . . . يتما للدين المسيحى ودعوا الناس الى اعتناقها والأخذ بمبادئها ولم يعدوا هذا خروجا على الدين (٣)

(١) ص ٨

(٢) ص ١٢

(٣) ص ١٣

وفي مكان آخر يقول المنصوري :

« فاذا سمعنا الاشتراكيين يطلبون إلغاء الميزانية الخاصة بأقامة الشعائر الدينية فليس هذا دليلاً على الحادهم بل هم يرون أن هذه لاشياء تستلزم نفقات كثيرة لو صرفت على التعليم أو بناء مساكن أو مستشفيات للفقراء لأفادت النوع الانساني كثيراً فضلاً عن أن العبادة ممكنة في أي مكان »

« ان الاشتراكيين لا يحارثون الدين وإنما يحارثون بعض رجاله الذين كانوا سبباً في كثير من المصائب ولا يزالون •• انهم يريدون ابعادهم عن التدخل في أمور السياسة والتعليم حتى لا يشوهوا وجه العلوم العصرية بخزعبلاتهم ولكنهم لا ينكرون ضرورة الدين للإنسان إذ لولاها لامتلأ العالم بالكذب والفتن والسرقة والظلم » (١)

لكن الزجل لا يكتب بالحدِيث العام • فاستغواض الفكر مجرداً لا يكفي ، ولا يكفي أن يمجّد الانسان الاشتراكية وأن يرد عنها هجمات خصومها ما لم يرتبط ذلك كله بالمعركة الدائرة على أرض وطنه ••

ولقد رأينا كيف كان المنصوري يؤمن بأن لكل بلد طريقة الخاص •• وأن الاشتراكيين لا يمكن أن يظهروا برأى واحد في جميع الأمم •• فلا بد أن سن حديث عن طريق مصري للاشتراكية ••

وهنا يصل بنا المنصوري التي قيمة من فهم الواعي والإدراك المتمكن •• فهو ليس مجرد تلميذ ، استوعب ما قرأ ، ولا مجرد داعية لفكرة عامة •• لكنه يتوج كتابه القيم بفصلين غاية في الابداع الفكري الخلاق •• أحدهما بعنوان « غرضي » نظامنا الاجتماعي ، والآخر بعنوان « مصر والاشتراكية » ••

والفصل الاول اذاعة ساحتة للنظام الاجتماعي السائد في مصر •• و دفاع حار عن الكادحين المصريين ••

فان « كل من مارس الامور وكابد الاحوال وخبر الزمان لا ينكر ما في هذا المجتمع من تفاوت واضطراب •• هذا يرغل في الخز والذبيح وذاك يرتدى الاطمار والاسمال •• وهذا يمتطي سهوات الجياد وذاك يجوب فييا في الارض على الأقدام الحفاة ، هذا يسكن القصور الشاهقة وذاك يسكن الشوارع والأزقة •• وهذا اذا سئل تسابقت الاطباء لخصه وذاك يجوب

(١) ص ٨٢ •

البا في حوخة فلا يجلد يدا وأخذة تجزعة القواء من اللهم لا أنتقادا ولا
اعراضا - وما هذا الا من ظلم الانسان

يشغل العامل طول النهار والعرق يتصبب من جبينه وصاحب العمل
جالس امام مكتبة الجميل يشغل لفافة من وقت لآخر ويتحدث مع الزائرين
عن لهوه وشجونه حتى اذا انتهى النهار كان الغنم كله له ، وباء العامل ببضعة
قروش لا تكاد تكفي لشراء حاجياته الضرورية

يشقى المزارع طوال النهار في حرث الارض وريها وتسميدها وحتى
النهار وتقليع الجذور حتى اذا حل الليل تابط بنفثته وأقام نفسه لفاتفة
كل من يريد الاعتداء على مزرعة سيده فاذا أتى وقت الحصاد خرج صاحب
الارض وجيوبه منتفخة من النصار وباء المزارع بالحسرة وخيبة الرجاء

تبريك خبرني أيها القياري الكريم عما يخالج ضميرك ان كان كنت من
ذوي النفوس الحساسة عند مرورك على أحد العاطلين المعجمين وقد تكاتف
عليه المرض والفقر والشيخوخة وحوله أولاده وعياله ليكون ربيعولون اليأس
هذا المشهد كافيًا لجمال الانسان أشد الباقين على هذا النظام ؟ (١)

ويمضي المنصوري في حومه الساخ على النظام الاجتماعي قائلاً
ولو كانت هناك أسباب للسعادة والشقاء لو كان الغنى غنياً لإجتهاده
وجده - والفقر فقيراً لتماونه وضعفه لما تجشم الاشتراكيون متاعب
الدعوة التي مذهبهم ولما كان هناك حق للفقر في تذمره وتأفقه ولكن
الشيء والواقع ان الخيرات موزعة بين الناس على غير قاعدة فكم من جاهل
كيبول يملك القصور والضياح وتحف به العبيد والاماء وكنم من البيت
فطن لا يجد في جيبه فلساً واحداً يبتاع به لقمة يتبلغ بها نفسه

لقد أوجد نظامنا الاجتماعي من الناس فريقين متعاديين متنافرين
فريق الاغنياء الذين لا يزالون يجهدون في إيجاد طرق لاخضاع الناس فواللهم
حتى تبقى لهم الكلمة النافذة والرأي الاعلى على ممر الأزمان وفريق
الفقراء الذين لا ينفكون يبحثون عن طريق الانتقام من الاغنياء (٢)

ويمضي المنصوري في ادانته للاغنياء
ولا يأتي المسأل بطرق مستى ولكنه من العجيب ان تكون الطرق التسببلة
غير المشروعة أقرب واسرع الطرق للوصول اليه فالتعامل والمزاج

(١) ص ٩٢

(٢) ص ٩٣

الذآن هما «بناء الثروة كلها يعيشان في فقر مدقع ، والمعلم الذى يضىء جسمه في تهذيب الناشئين وتكوين رجال المستقبل لا تضيق له مطلقا في الاستفادة المادية بينما صاحب الماخور أو القواد سرعان ما تمتلئ جيبه من الذهب والنضار .. المرأة التى تصون عفتها تعيش فقيرة ذليلة بينما المرأة الفاجرة سرعان ما تمتلئ خزانها ببارق الحلى وساطع الياقوت ، اليس في هذا الخط ما يشجع على هجر الاعمال الشريفة والالتجاء الى سافل الميس وأدنتها ما دام المال هو كل مطلوب الانسان ..» (١)

ثم يتوج المنصوري هجومه بعبارة حاسمة ..

« فلا عجب بعد ذلك اذا تشبث الاشتراكيون بمذيعهم فهو البلسم الشافي لجميع ادوائنا الاجتماعية ..»

وبعد ذلك .. بعد ان يوقف النظام عاريا تماما ويفضح كل متناقضاته يتقدم المنصوري ببرنامجه ..

والبرنامج يستحق وقفة نتأمله فيها ، فصاحبه يترك طبيعة المجتمع الذى يعيش فيه .. ومصر كانت في ذلك الحين مستعمرة تتخذ فيها البرجوازية المصرية الناشئة حديثا بالرغم من كونها مستغلة موقفا وطنيا معاديا للاستعمار .. ومن ثم فان أى برنامج يطالب بنزع ملكية وسائل الانتاج من اصحابها سوف يهدم الجبهة الداخلية ويمزق الوحدة الوطنية .. وهنا تبدو المقدرة الحقيقية للمنصوري ، فبعد ان يستعرض المبدأ الاشتراكي العلمى ويحدد ابعاده النظرية ، وبعد ان يبرز كل الادعاءات والايمانات التى تساق ضده ، وبعد ان يمزق كل أسنار النظام الاجتماعى ويكشفه ..

بعد كل ذلك يتقدم المنصوري ببرنامجه اصلاحى يدعو لبعض الإصلاحات الاجتماعية والديمقراطية ..

وهنا تكمن الممخة الذكية للاشتراكي الواعى الذى يترك ظروف وطنه وظروف جبهتها النضالية .. هنا يبدو المنصوري مفكرا متعمقا دون ادنى مبالغة ..

.. وبرنامجه المنصوري بالرغم من اصلاحيته الا أنه أيضا برنامج حائتم وحازم معا لا يزال وحتى وقتنا هذا صالحا كأساس للتفكير الاشتراكي العلمى في كثير من المجالات ..

ولنقرأ بعض نقاط البرنامج الذى قدمه المنصوري عام ١٩١٥م

قائلا :

(١) ص ٩٩ .

في أن مجال الإصلاح واسع وأمامنا وأبوابه غديدة فمما علينا الإلتفات
فقتاسي الماضي ونظرة نفوسنا، مما هو عالق بها من الأدران ونشروع في نبشها
مصر الجديدة وشعب جديد
والى انفازى بعض الإصلاحات التي يمكن أيجازها بمصر فقلها تكون
عند استخضاع الجمهور (١)
وبعد ذلك ترد فقرة يبدو أنها كانت تقليدية في ذلك العصر
الفقرة التي داب كل الكتاب الاشتراكيين في ذلك الحين على ترديد ما

رأى وليس قصدي أن تكون برنامجا لحزب اشتراكي مصري، فاني أرى
الوقت لم يحن بعد للقيام بهذا العمل الذي يتطلب كفاءة علمية وأدبية،
لم تتوفر لدينا بعد
والتصورى صادق فيما يقول وهو لا يتصل من الحزب باعتباره تهمته

وأنما يقطع إليه باعتباره أملا يمكن أن يتحقق عندما تتوفر له الكفاءة
العلمية والأدبية اللازمة
وبعد ذلك يضع التصورى البرنامج الذي يقترحه
لكننى سأكتفى بإيراد بعض نقاط منه كأمثلة (٢)
* جعل رأى الجمعية التشريعية قطعيا
* جعل الوزارة مسؤولة أمامها

- * اصدار قوانين تكفل حرية الانتخاب
- * اصدار قانون يمنع تعدد الزوجات
- * جعل الطلاق على يد القضاى الشرعى للجميع ويتحتم ايجاد أسباب
- * تعيين نحد الذنى لأجرة المزارعين والعمال بحيث لا تقل عن خمسة
قروش ومعاينة كل من يخالف ذلك من أرباب الاعمال بالحبس أو بغرامة
مالية
- * يجب تقريب التفاوت الهائل بين موظفى الحكومة في المرتبات
ولا يصح أبى حال من الأحوال أن يأخذ موظف أكثر من مائة جنيه أو أقل
من خمسة جنيهات في الشهر

(١) ص ١١١
(٢) ص ١١٢ وما بعدها

* على الحكومة توزيع الارض على المزارعين الفقراء .
* على الحكومة فرض ضريبة متدرجة على الدخل اذا زاد عن ٣٠٠ جنيه سنويا . وكذا ضريبة على التراكات تزيد كلما بعيد الوارث عن الموروث من حيث القرابة .

* الغاء الامسام الادبية في المدارس الثانوية .
* تقرير اعانة قدرها ١٠٠٠٠٠٠ جنيه سنويا للجامعة .
* على الحكومة عمل معامل (ورش) للمصنوعات التي يمكن عملها بمصر .

* الغاء المحاكم المختلطة .
* الغاء امتيازات الاجانب .
* ايجاد محلفين بالمحاكم الاهلية .
* تعديل القانون الشرعي حتى يتماشى مع الروح العصرية .
* الغاء الرتب والنياشين وقصرها من الآن فصاعدا على اصحاب الكفاءات العالية .

* اصدار قانون بتحديد الحد الاعلى للارباح بحيث لا يضح ان تزيد على ٥٪ .

* على الحكومة اصدار قانون بالزام اصحاب الاعمال الاجانب باستخدام قدير معين من الوطنيين لا يقل عن النصف .

* على مجالس المديرية تعيين الحد الاعلى لايجار الشدان كل في دائرة اختصاصها بحيث لا تزيد عن عشرة جنيهات .

* الغاء جميع القوانين التي تقيد حرية الاجتماع والخطابة والصحافة .

والآن لست اعتقد اننى بحاجة الى تعليق . لكن ثمة كلمة اخيرة هي ان هذا الكتاب القيم الذي قدمته للقارئ ليس كل ما انتجه مصطفى حسنين المنصوري فهناك كتاب آخر اصدره بعنوان « مسأوى النظام الاجتماعى وعلاجه » وهناك كتاب مترجم آخر بعنوان « التقدم والفقير » .

كذلك فان اسم المنصوري يظهر فيما بعد عضوا في الحزب الاشتراكي المصرى .
وبعد المنصوري ياتى مفكر آخر هو نقولا حداد .

ونقولا حداد واحداً من القلائل الذين انطلقوا الى خارج العالم العربي وتلقوا خبرة عميقة على أيدي اشتراكيين اجانب
وهو مثلاً ما كان مساهمة موسى قد سافر الى انجلترا وقابل برنارد شو وانضم الى القابيين وعاد ليُبشر بأرائهم الاصلاحية . . .

ان نقولا حداد قد مثقفنا الى امرياً واستقر في نيويورك واتصل بواحد من قادة الفكر الاشتراكي الامريكي هو اوجين ديبس . . . وفي عام 1910 أسس نقولا بالاشتراك مع أمين الريحاني وفرح انطون جمعية عربية اشتراكية في نيويورك وقد أصدرت هذه الجمعية مجلة اسمتها الجامعة لتبشر بأرائها . . . (1)

ويمود نقولا حداد الى القاهرة ليمارس نضاله من اجل الاشتراكية . . . مستعينا بسعة اطلاعه وبتمرسه في النضال العملي في مجتمع رأسمالي متقدم يعادى حكاه الاشتراكية عداً شديداً . . . ويحتل حداد ميدان الدفاع الفكري عن الاشتراكية والجموعه اليها مقدما . . . في اعتقادي اكثر الشروح علمية ووعيا للنظرية الاشتراكية . . .

ان الأهمية للتصوي لكتابات نقولا حداد انها تنقلنا من مرحلة الحماس الفكري الى مرحلة الفهم العلمي الاصيل والقدرة على الشرح المنطقي والكفاية العالية في الجدل وفي افحام المعارضين او المنقدين . . . ان كتابات نقولا حداد هي قمة التطور والنضج للفكر الاشتراكي في مصر في ذلك الحين وكان صيورها في مصر ايداناً واعلانا بيان الاشتراكيين قد بلغوا من النضج ما يمكنهم من مجابهة اعدائهم وجها لوجه ومن القدرة ما يمكنهم من ان يتقدموا لاجتماعهم بصياغة نظرية متكاملة متماسكة وعلمية . . . وكان ذلك كله بداية لمرحلة جديدة من النضال الاشتراكي . . .

فيما قسمته في 1912 . . . ونظالم كتابات نقولا حداد . . . اوتين ايداناً مقال في كتاب . . . ولتبدأ بالقبال . . .

(1) كامل ابو جابر - مقدمة لكتاب جنود الاشتراكية - دار الطليعة - بيروت - 1964 - ص 3 كائنه لا عيه به هذا مجله يغيره نون حننا صعب

••• كتبه نقولاً في عام ١٩١٨ ونشرته مجلة الهلال رداً على بعض مؤلاء
الذين تصدوا للهجوم على الاشتراكية
والقال بعنوان « الاشتراكية ما تطلبه وما لا تطلبه » (١) ويبدأ نقولاً
مقاله كما يلي :

« بعد أن اطلعت على ما جاء في الهلال الماضي تحت عنوان « حل
المشكلات الاجتماعية الكبرى بمشاركة العمال لأصحاب المال » رأيت أنه
إذا لم يذيل بإيضاح قضية الاشتراكية كما تنقبت وتصفحت أخيراً بقي للذين
لا يعلمون شيئاً عن حقيقة الاشتراكية ••• وهم كثيرون على ما اظن متورطين
في اعتقادهم السئ بها ولا سيما أن المقالة التي أشرت إليها مستهله بهذا
النص :

ويرى الاشتراكيون أن الحل الوحيد لمشكلة العمال إنما هو انتزاع
الوسائل التي تحدث الثروة من أيدي اصحاب المال وجعلها ملكاً للعمال
فيتقاسمون ربحها فيما بينهم بدلاً من أن يتقاسوا أجوراً معلومة ••• فهذا
القول قد يبرر جحود الذين لم يطلعوا على العقيدة الاشتراكية بل ويرجح
اعتقادهم ان بغية الاشتراكيين اغتصاب اموال الاغنياء واقتسامها فيما
بينهم وهو اعتقاد باطل •••

لذلك لابد من بيان موجز لحقيقة العقيدة الاشتراكية والا بقيت
الاشتراكية مظلومة فيما يرميها به من الخطل جاعلوا حقيقتها •••

ثم يتقدم نقولاً جداد ليفند عدداً من المذاهب الإصلاحية التي قد تختلط
مع الاشتراكية فيهاجم مذهب السند يكالزم وهو « مذهب استيلاء العمال
على الشركات التي يعملون فيها وتقاسمهم ارباحهم فان هذا المذهب لا يحل
مشكلة التنازع الشديد بين المال والعمال ••• زد على ذلك ان هذه الطريقة
لا تقطع شامة تسيّد المال على العمل لاحتمال ان جانباً من العمال يمكنهم
ان يثروا ويعودوا الى القبض على ناصية العمل والاستبداد في متناثر
العمال الآخرين •••

ثم يهاجم مذهباً اصلاحياً آخر هو « مذهب اشراك اصحاب الاعمال
للعمال بنصيب من الارباح علاوة على اجورهم فان هذا المذهب أيضاً لا يحل

(١) أعيد نشر المقال كاملاً في عدد الهلال الصادر في ١٢/١٩٦٧
ص ٤١ وما بعدها

المشكلة ولا يترفع زمام المسئولية من أيدي التمولين ولا يخفف من غلواء استبدادهم بالعمال ، وان لجى اليه في بعض الاحيان فلكي يتكسر حدة العمال ويسكن ثوراتهم ويجول دون اعتصابهم . فهو كالمورفين للمريض المتألم يسكن الألم ولكنه لا يشفى المريض .

اما المذهب الثالث فهو تقليل ساعات العمل وزيادة الاجور ، وهو كسبائنة لا يحسم النزاع بين العمال واصحاب العمل بل هو مورفين آخر ورضاء الاشتراكيين يهذين الذهبين مؤقتا كرضيا المريض بالعلاج المسكن لآلمه . ريثما يتسنى للطبيب العلاج الشافي . فذلك لا يتعد هذا الأسلوب أو سابقة عقيدة اشتراكية ورضاء الاشتراكيين به أحيانا ليس حجة عليهم بأنهم يعنونهم الأساسية .

اما المذهب الرابع فهو اغتصاب الثروات من أيدي ذويها ، سواء كانت مالا أو مرفقا أو تجارة الخ وتوزيع هذه الثروات على جمهور الأمة بالتساوى فان هذا المذهب لم يوجد الا في اذهان فريقين من الناس الفوضويين والتحاملين على الاشتراكية . وهكذا يندو الامر غريبا بعض الشيء . ولكنه مثير ايضا لعنان معركة لينين التي خاضها ضد هذه التيارات بالتحديد . وبمثل هذه الحجج بالتحديد ايضا لم تبق طويلا بعيدة عن مناخ الفكر الاشتراكي المصري

وإذا كان الاضطلاعيون قد استلوا الى مصر من خلال الفابية واشتراكية الدولية الثانية فان تخضوعهم من الاشتراكيين الحقيقيين فقد وجدوا سبيلهم الى افعالهم والرد عليهم

وبعد ذلك يسأل نقولا حداد ما هي الاشتراكية ثم يقدم تعريفا علميا غاية في الوعى وغاية في التحديد والايجاز

أما مذهب الاشتراكية فمبطل في معقول وهو مبني على سببه اجتماعية اقتصادية منصفه وهو يقتضي بقلب النظام الاقتصادي الحاضر ووضع نظام جديد

فهو أولا لا يقبل أى اصلاح أو ترفيع للنظام القائم وهو لا يقبل سوى قلب هذا النظام ووضع نظام جديد ، يقتضى بالغاء ما أدعاه المال - نقدا كان أو عتقا أو مرفقا - من حق الإنتاج أى ان المال وأن يكن ثروة ويمثل قوة لا يجوز ان يكون منتجا ثروة أخرى لأن الوسيلة المشروعة الوحيدة لإنتاج الثروة هي العمل فقط . يعرق حبيبتك تاكل فحزبك . فلا يجوز ان يكسب قرشا الا من عمل عملا يساوى القرش ولكن النظام الحالي ينافى لكل من

احتياز مالا أن يشتري أسهما في شركة أو عمارا يزرجه أو أن يسلف نقودا فيجنى ربحا من ذلك بنسبة ماله من غير أن يعمل عملا قط . . .

ووجه الإجحاف في النظام الحالي الذي يشكو منه الاشتراكيون هو أنه يفضي إلى تجمع الثروة التي هي ثمرة تعب العمال وخدمهم في أيدي فئة من الناس وحرمان العمال من هذه الثروة كما هو الواقع لأن في البلاد المتقدمة ولا سيما في أمريكا حيث استطاع أفراد قلائل أن يجمعوا في حياتهم من الأموال ما لا تتصوره مخيلة ، في حين أن الرغبا من العمال يتسولون ليس للرزق بل للعمل الذي يتعيشون منه فلا يجدونه . . .

أما النظام الذي يبتغيه الاشتراكيون فيمكن إجمالاً بكلمتين وهما نقل الشركات وجميع المرافق التي يقوم بها مجموعة عمال وجميع المصارف من أيدي ذويها مساهمين ومالكين إلى يد الحكومة بحيث تصبح هذه المرافق المنتجة للثروة ملك الأمة . . . وبدلاً من أن تكون ملكاً لفئة من الناس يبتزون أرباحها وخدمهم تصبح الأمة كلها كساحمة فيها وأرباحها تعود للأمة كلها . . . فإذا تسنى ذلك لا يبقى للمال قوة الإنتاج أو التثمين بقاتا وإنما يبقى المال ممثلاً لثروة فقط يمكن جماعه أو مخزئه أن يتمتع بانفاقه على لذاته من حين لآخر ولكنه لا يمكنه من أن يجنى منه ربحاً . . .

وفي اعتقادي أنها المرة الأولى في تاريخ الفكر الاشتراكي المصري التي تطرح فيها مسألة الاشتراكية بهذا الوضوح العلمي البسيط والمنطقي . . . مرة أخرى أنها دليل على نضج الحركة الاشتراكية . . . وأنها تتبشير مرحلة جديدة من النضال الاشتراكي . . .

فإذا انتقلنا إلى كتاب نقولا حداد أحسننا أن الرجل يزداد عمقا في الفهم وقبرة على الأيضاح وكسب الانتصار والرد على المعارضين . . .

والكتاب صادر في ١٩٢٠ . . . وتحت عنوان مباشر مكون من كلمة واحدة هي « الاشتراكية » أصدرته إدارة مجلة الهلال . . . ولا بد أن تصدى مجلة كالهلال وهي مجلة معروفة بموقفها المحافظ لإصدار كتاب كهذا هو خير دليل على القوة التي كسبها الفكر الاشتراكي في هذه الأيام . . .

وتصدر الكتاب كلمة من إدارة الهلال فيها اعتذار . . . وتحمل بين طياتها مغزى تهنيء تقول « قد أصبح للاشتراكية شأن عظيم في حياة الشعوب ولا سيما بعد الحرب العظمى فجدير بقراء العربية أن يطلعوا على حقيقة هذا المذهب وقضاياها ومراميها إلى غير ذلك من المباحث الخطيرة الدائرة على إصلاح المجتمع المصري ولما كانت اللغة العربية متقدمة إلى كتاب في هذا الموضوع . . .

طلبنا إلى الكاتب الاجتماعي نقولا أفندي الحداد وضع مؤلف وجيز لمسجد هذا النص . . .

وجا هو ذلك المؤلف تقدمه إلى القراء ويقيننا أنه يقع لديهم موقعا خشناً ويعينهم على فهم دقائق المشكلة الاجتماعية الكبرى - سواء وافقوا على العقيدة الاشتراكية أو لم يوافقوا فان غاية هذا الكتاب شرح تلك العقيدة . . . وليست غاية نشر الدعوة الاشتراكية أو البحث على الانحراط في تلك الأحزاب الاشتراكية . . .

والكتاب يقع في حوالي مائة صفحة (١) ولربنا نستطيع أن نستعرضه هنا في هذه المقالة لكنني سأحاول ان اكتب ببعض نماذج منه . . .

والكتاب يمكن تقسيمه الى ثلاثة اقسام :

١ - في اجحاف النظام الفردي (الرأسمالي) . . .

٢ - في النظام الاشتراكي . . .

٣ - أوام خصوم الاشتراكية . . .

وأيضاً الخاتمة بعنوانها « مصير العالم الى الاشتراكية » . . .

وفي مقدمة الكتاب يقول نقولا حداد :

« ان ابرامج الاحزاب السياسية الاشتراكية في العالم الديمقراطية تختلف اختلافات متعددة وبعض هذه الاختلافات جوهرية . . . على أن روح العقيدة التي تحيي ابدان هذه الاحزاب واحدة وليست الفروق التي بيننا الا من الوجيهات السياسية التي ترمى الى كيفية تنفيذ النظام الاشتراكي واحلاله محل النظام الحاضر . . . »

ان الفكرة الاشتراكية بنيت العقل اللطفي أي انها نظرية عقلية تقتضيها الاحوال الاجتماعية وما تضاربت الآراء والاقوال فيها في ادوار متوفاها وتطورها الا لأن النظام الفردي الحاضر أصبح على التماذي اصيلاً في العقل الاجتماعي . . . واحلال الخيل مما كان صواباً مكان الاصيل مهما كان خطأ لا يتسنى بسهولة . . . ولهذا تعذر على العقل الاجتماعي وجود عقيدة فردية واعتناق عقيدة الاشتراكية دفعة واحدة . . . هذا هو سر تدرج الحركة الاشتراكية وتطورها وسبب التضارب في آراء أهل الحركة واختلاف مذاهمم حتى يخيل اليك انهم كانوا يخطبون خطباً عشوائية إلى ان بزغت نكاة واهتدوا . . .

والله (١) اعاديت دار الطليقة بيروت طبع وهذا الكتاب عام ١٩٦٤ تحت عنوان جريدة الاشتراكية الكتابية سيمتد على الطبعة الاولى الصادرة في عام ١٩٦٤ . . .

أخيراً في ضيائها إلى العشيّدة بعد أن تمخضت وتصفت وتفتت من شوائب
التجارات والإباطيل . . .

ثم يتزم بعد ذلك تفسيراً لكلمة «افرادية» ويقول إن المراد منها
«وهو النظام الحاضر الذي يطلق العنان لسنة التنازع بين الأفراد بحيث يؤذن
لثقوى أن يتمتع بقيمة تعب الضعيف أو على الأقل يخوله حق مقاسمته
قيمة عمله ، وبعبارة أخرى يسمح للثقوى أن يعيش عائلة على الضعيف وهي
نتيجه الاشتراكية التي تقضى بأن يتمتع كل فرد بنتيجة تعبها كلها ، على
إعتبار أن الناس وهم مشتركون في الأعمال يجب أن يتقاسموا ثمراتها كل على
قيمتها عمله» (١) .

وبعد هذه المقدمة يبدأ الباب الأول من الكتاب وفيه يسجل نقولاً حداد
إدانية كاملة وصارخة للنظام الرأسمالي . . . ويلجأ لأول مرة إلى استخدام
الأرقام والأسماء والوثائق كأدلة مادية لا تدحض .

* فخمسة آلاف أمريكي ، أي ١ : ٢٠٠٠٠٠ ، من سكان أمريكا يملكون
ثروة الولايات المتحدة كلها . . .

* وروكنر يكسب من شركة واحدة من شركاته هي ستندارد أويل
١٠ ملايين ريال وكسور في العام ، أي ٢٧٧٣٨ ريال في اليوم» (٢) .

ويورد بعد ذلك أمثلة عن ترف الرأسماليين ينقلها عن كتاب «الصراع
بين رأس المال والعمل» وهي أمثلة صارخة أيضاً . . .

«سيدة غنية دفعت ١١ ألف ريال بسوزما جمركية على ملابس
استوردتها من باريس . . . وسيدة أخرى انفتت على ملابس كلبها ورياش
غرفته نيف وألف جنيه» (٣) .

وهناك فصل بعنوان «المال ثمرة العمل» يشرح فيه نقولاً حداد في
بساطة فكرة ماركس عن القيمة بل يستخدم تقريباً نفس الأمثلة التي استخدمها
ماركس في كتابه رأس المال . . .

«لا يمكن أن يستخرج من الرزق ما يساوي جنيتها مثلاً إلا إذا بذل
الإنسان قوة في استخراجها تساوي جنيتها . . . فإذا كان في حوزتك أردب
قمح يساوي ٣ جنيهات مثلاً ، وكانت أجرة العامل تساوي ريالاً ، فذلك
الأردب من القمح لم يصرف في حوزتك إلا لأن عاملاً (أنت أو غيرك) اشتغل
في الأرض ١٥ يوماً حتى استغل ذلك الأردب من القمح من الأرض» . . .

(٣) ص ٩٠

(١) ص ٦ ، (٢) ص ٨

ثم هو يستخلص بعد هذا التشرح نتيجة غاية في الأهمية :
 وعلى هذه القاعدة التي لا غبار على صحتها يقال : أنه إذا كان
 في يدك مائة أو ألف أو مليون جنيه فاعلم أنه بما حصلت على هذه الجنيهات
 إلا أن تعمل بذلوا من القوة في العمل ما يساويها ، فكل جنيه بذل لأجل
 تحصيله من التعب والغناء ما يساوي جنيتها ، فإذا كان زيد من الناس
 قد جمع في حياته مليون جنيه فهل يعقل أنه بذل من العمل وعانى وقاسى
 ما يساوي مليون جنيه ؟ وإذا فرضنا أن أجره العامل ريال في اليوم
 اقتضى أن تعيش هذا الزجل ٥ ملايين يوم أو نحو ٣٠ ألف سنة ، وهذا هو
 عمر صاحب المليون ، فما قولك بصاحب الملايين ؟ وما تقول بعمر روكفلر ؟

قد يقول البعض أن أنواع الأعمال تتفاوت قيمة فلماذا أن يكون
 زيد من الناس قد حصل على ثروته الهائلة بما بذل من العمل الثمين الغالي
 القيمة ؟ (١)

وهذا يضرب نقولاً سلسلة من الأمثلة

الرئيس الجمهورية الفرنسية الذي يتقاضى ٢٤ ألف جنيه في العام
 يجب أن يتراعى الجمهورية أكثر من ٤١ عاماً متوالية ، وأن يوزن كل ما هيته
 ولا ينفق منها شيئاً حتى يجمع المليون

وكذلك الرئيس ويلسون يجب أن يتراعى الجمهورية الأمريكية ٥٠ عاماً
 متوالية حتى يجمع المليون ، لأنه يتقاضى ٢٠ ألف جنيه في السنة ، وبناء
 على هذا الحساب يجب أن يتراعى روكفلر الجمهورية الأمريكية ١٠ آلاف عام
 حتى يمكن أن يجمع من ما هيته ثروته التي بلغت ٢٠٠ مليون جنيه ، هذا
 إذا لم ينفق شيئاً واحداً منها (٢)

وأشبهه ، إننى لم أقرا يوماً للنظام الرأسمالى يمثل هذا العنف ، ولا شرحاً
 لمعاييه يمثل هذه السلسلة والاتساق

ويمضى نقولاً حداد في شرحه العبقري ليوضح كيف استحوذ الرأسماليون
 على ثروة المجتمع وكيف يمتصون في استغلال العمال ، وكيف يستخدمون
 اختراعات الحديد لزيادة أرباحهم ولزيادة استغلالهم للعمال

فإن هذا التمييز العظيم الذى أحدثته الاختراعات في الحياة
 البشرية لم تنعم به طبقات الهيبة الاجتماعية على السواء ، بل على العكس

(١) ص ١١٦ : (٢) ص ١٣

كان بلا منأحة من جهة غلة لاكثر النعيم والراحة والهناء لطيفة الاعتناء
ومن جهة أخرى صار غلة لتمادي طبقات العمال في الثمارة والفاقة والفقر
حتى التصور والموت جوعاً (١) .
« ولما كانت الثروة حاصل عمل جسدي وعقلي - كما أسلفنا القول -
فلا يتعذر علينا بعد ما تقدم أن نعلم من الذي تعبت في تحصيلها . . . وبما صرح
عبارة تفهم جيداً ان العمال والمفكرين جنسهما وحسنهما وما وصلت الي ايدي
التموليين الا لانها اغتصبت من ايادي المحصلين لها ، فغنى أولئك يشيد على
فقر هؤلاء . . . ولولا ذلك ما كان هذا » (٢)

وقحت عنوان فرعي هو « صراع المال والعمل » يروى حذاد قصة
اختراع الترامواي ، وكيف أن مهندساً اخترع هذا الترام فذهب الي فلان
المالي وبسط له المشروع فاقترح بالفكرة لكنه خشي الفشل . . . فقال له
المهندس :

« ان اسمك ومركزك المالي يكتفيان لتنفيذ المشروع . . . فاذا اعلنت
انك مقدم على هذا العمل النافع وترضته بذوي الاموال لكي يشتركوا فيه
بالمساهمة وتوزع ارباحه على اسهمهم ، فلا ريب انهم يتهافتون على المساهمة
فيه لانهم سيقولون لانفسهم لو لم يكن فلان المالي العظيم التذد ذا ثقة
ينجح المشروع ما اقدم عليه . . . وفي هذه الحالة تاخذ لنفسك اسهم تأسيسية
بلا ثمن وتجنس ربها بلا رأس مال . . . وان حبط المشروع سقط على رؤوس
المساهمين وجعلنا اللوم على مدير الشركة مهما كان بريئاً ولا ضرراً ما دام
لا يضحى بمال من عنده » (٢)

وعلى هذا النحو تكثرنت الشركة المساهمة . . . وهكذا يستمر نقيلاً
حذاد في براعة لا مثيل لها في اداة كافة اشكال الاستثمار الرأسمالي . . .
من يقوم بالمشروع ؟ المهندس والمدير والكاتب والحاسب والفحاصم والوقاد
والسائق . . . الخ . . . اما المساهمون فلا يبدون شيئاً عن المشروع بنسبتي
انهم يركبون مركبات الترام تتسباب في الشوارع ، ولا يعملون للشركة
عملاً مطلقاً . . .

« فنترى مما تقدم ان المال استميد عقل الفكر وجسد العامل جميعاً ،
واقتضم غلة تعديماً ، وصاحبه ناعم الببال يتقلب على اسرة اللذات . . .
وما اكنى المال بهذا الاستعباد فقط ، بل افضى الي قطع ارزاق كثيرين

(١) ص ٢٦ . (٢) ص ٢٨ . (٣) ص ٢٩ .

من مؤلاء العمال والمفكرين خدمة لسنة ، الاستقطاب المالى ، لانه لا يمكن ان يتجمع المال في قطب ما لم ينضب من القطب الآخر المقابل له . ومعنى نضوبه موت من هم في ذلك القطب « (١) » .

وبعد ان يجهز على فكرة الشركات المساهمة يتقدم ليهاجم الاحتكار الذى يقول ايه يرفع شعار « السمكة الكبيرة تاكل السمكة الصغيرة » . الشركة تتعلم التاجر الصغير والشركة الكبيرة تتقلد الشركة الصغيرة « فعنى تم الاحتكار بعد ذلك الصراع واستقلت شركة بمشروع ولم يبق لها من مزارع تمادت في طمعها ولم تعد تعرض ثمرة عملها رخيصا كما كانت تفعل يوم كانت تزاحم في حلبة الصراع بل رفعت اسعاره ما استطاعت . وقد تتصالح جميع الشركات المتخاصمة او المتزاحمة وتتحالف لكي تقف على نهب الجمهور « (٢) » .

ويمضى نقولا حداد بأسلوبه السهل ليطن المجتمع الرأسمالى الطمعة تلو الاخرى ، فيتحدث عن « تفريط النظام الافرادى بالثروة العمومية » . وعن « تعطيل قسم من الثروة لرفع ثمن القيم الاخرى » .

« فبينما كان جانب من العمال في بعض ولايات اميركا يتصورون جوعا اذ لا يجدون لانفسهم شغلا وعملا ، كانت بعض شركات الاراضى وبعض كبار الملاك يرفضون ان يؤجروا قسما من اراضيهم بل تركوها بورا لكيلا تهبط اجور الاطيان الزراعية » (٣) .

وفصل آخر عن « التفریط بالعمل حرصا على الثمن » - وقصصنا عن « الاعلانات » « فشركات الصابون في انجلترا كانت تنفق على الاعلانات نصف مليون جنيه . ومن يدفع هذه النفقات ؟ الشارى الاخير ، اى المستهلك » (٤) .

وأخيرا . . . وبعد هذه الحثيات الرائعة ، يصدر نقولا حكمه بالادانة على النظام الرأسمالى فهو نظام يقضى « بان يتمتع فريق من الناس بثمرة أعمال السواد الاعظم من الناس ، وقدر لهم ان يبذخوا وينبذوا ويتصفوا في حين ان ذلك السواد الاعظم يرى ثمرة عمله ويشتهيها ولا يقدر ان يمد لها يدا . . . الفلاح يربى الفرخة ويستنتج منها البيضة ولا يذوق لحم الفراخ ولا بياض البيض ، يصنع الجبن ولا يأكله . . . يزرع التمح ويخصده ولا يأكل الا الفرخة » .

(٢) ص ٣٢ .

(١) ص ٣٠ .

(٤) ص ٤٠ .

(٣) ص ٢٦ .

فالنظام الأفرادى "أذن لم يستطع أسعاد الجنس البشرى بزمته" .
أن في الجنس البشرى قوة للعمل كافية أن تسعد ضعيفة جميعنا .

النظام الأفرادى فشل وخاب في مهمته . فلتر ماذا يستطيع أن يعطي
النظام الاشتراكي (١) .

وهكذا يبدأ نقولا حداد الباب الثامن من كتابه القيم فيتحدث عن
الاجتماع البشرى بين التنازع والتعاون ، ويؤكد أن التعاون هو دليل انسانية
الانسان وأن التنازع بقايا من بهيميته . . . فلذلك تقول الاشتراكية : اذا كان
الناس متعاونين حتما في تحصيل الثروة ، أو بعبارة أخرى في استخراج
الارزاق واجتناء المعاشي . . . فلماذا لا يشتركون في التمتع بها على قاعدة
العدل والانصاف كل على قدر استحقاقه ؟

اذا كان المهندس والحداد والفجار والفاعل و . . الخ قد اشتركوا جميعا
في انشاء السكك الحديدية أو الترام في شوارع العاصمة وعم القاهمون
بإدارة حركته ، وتسييره . . . فلماذا لا يشتركون في أرباحه ؟ وما هو شأن زمرة
من العاطلين حتى يجنوا القسم الاعظم من ثمرات العمل المفيد ولا يدعوا
إلا النذر القليل لأولئك الذين يقومون بالعمل ؟ . .

قد يقول البعض من قدر أن يعمل ما عمله الممولون فليعمل ، لان سنة
التنازع تسوغ له ذلك . . القوى بقوته . . والدنيا لمن غلب وفاز ونال
وظفر . . عجا ! عجا ، اذا صرع القوى الجسم ضعيفة وسلب ما في جيبه
أوعزتم الى الشرطة المسجونين أن يتقبضوا على القوى ويسوقوه الى المحكمة
قائلين يجب أن يجرى العدل فيه مجراه . . يجب أن يعاقب على جنايته ، بالله
الا يجب أن يجرى العدل مجراه هنا ؟ . . أو لا يجوز أن يجرى مجراه بين
المتمول والعامل في قضية الترام مثلا ؟

. . الساطي قوى والمتمول قوى . . المسلوب ماله ضعيف والعامل
ضعيف . . فلماذا يجب أن ينصف المسلوب من الساطي عليه ، ولا يجوز
أن ينصف العامل من المتمول . . بالله قولوا لنا متى وأين يجب أن يستيقظ
العدل ومتى وأين يجب أن ينام ؟

قد نقول للسبط قانون عقوبة معروف ومدون ، والقوة الحاكمة موافقة
عليه ومنفذته . . لهذا يعد جريمة تستحق العقاب ، لكن ليس لاغتصاب

المتمول يجب العمل قانون، فلا يعد جريمة . . فنقول الاشتراكية تطالب
بمسئله هذا القانون . .

الاشتراكية تبسط هذا الحيف وهذا الإجحاف، وتسمى الى الإبلوب
الموافق لازالتها ، ولاقامة قسطاس العدل والانصاف بين المتمول والعمل .
حتى لا يبقى في طوق ذلك أن يقتصب ثمرة عمل هذا ويتمتع بها ، وحتى
لا يعيش ذلك على جنى هذا . .

وما دامت الارزاق لا تجني الا بالتعاون والاموال لا تجمع الا بالتعاون
والثروات لا تحسد الا بالتعاون وجب أن يتقاسمها المتعاونون بجمعها على
قاعدة العدل والانصاف . هذه نواة العقيدة الاشتراكية ، (١)

وفي فصل بعنوان « فكرة النظام الاشتراكي » يقول :

فولقد رأينا ان الذي سبب النؤس والشقاء في المجتمع الانساني امرين
خارجين عن دائرة الخلق افضى اليها التطور الاقتصادي التمشي على مسنة
التبئيسازع . .

الأول : املاك الارض . .

الثاني : تجميع المال المدخر . .

أما ان املاك الارض باطل ولا رائحة للحق فيه فلان الارض ليست
نتيجة عمل الانسان حتى يحق له امتلاكها بل هي مشاع للحتمس البشري
كله فمن اشتغل فيها جنى منها . . فيجب الا يجنى منها الا من اشتغل فيها . .

وأما ان تجميع المال باطل فلان المال ليس قوة عاملة تنتج عملا بل
هو معبر عن حاصل عمل . .

ولتلافى النتائج المخيفة يجب ابطال هذين الامرين . .

فكيف ذلك ؟ وكيف يمكن تنفيذه . .

وعنا لابد من التنبيه الى امر جوهري خطير الشأن وهو ان تنفيذ
المبادئ الاشتراكية يجب ان يسبقه تنفيذ المبادئ الديمقراطية في الحياة
السياسية . . لان الاشتراكية ليست الا ديمقراطية لحياة اقتصادية فاذا
لم تكن الحكومة حكومة الشعب فلا يمكن ان يشترك الجمهور في الارزاق

على حد اشتراكهم في تخصيصها ،
•• لكن ما هي صورة المجتمع الذي يريده حداد ••

« تكون الأرض كلها في المملكة الواحدة ملك الأمة كلها وتكون حكومة
الامة قيمة عليها ويكون الذلاحون وسائر العاملين في الارض مزارعين في
ارض بالخاصة حسبما تجدد الحكومة ، أو بالاحرى لجنتها الزراعية ، تعيين
الحصص تعيينا عادلا ، »

وكما تشرف لجنة الزراعة على شيوع الارض تشرف لجنة الابنية على
شيوع الابنية ••

« وعلى هذا النحو يمكن أن تكون الامة مالكة لجميع المرافق بلا استثناء ،
•• فتكون مالكة للتلفون والتليفون والبريد والترام ومصحة المياه ومصحة
الغاز ومصحة اللبن ومصحة السكر ومصحة الملح ومصحة الصابون
وجميع أنواع العامل والمصانع والمرافق كالمخابز والمجازر والفنادق والملاهي
والتاجر حتى يمكنها أن تكون صاحبة الكافين والقهوات وكل مسترزق ويكون
جميع أفراد الناس مستخدمين في هذه المسترزقات والمرافق ولكل أجرته حسب
قيمة عمله بالتعاون والتكافؤ ، »

وبعد ذلك فصل عن محاسن النظام الاشتراكي يلخص فيه حداد هذه
المحاسن فيما يلي :

١ - سقوط دولة المال أي أنه لا تبقى لرأس المال قوة التثمين مطلقا
لان المرافق وجميع موارد الرزق ملك الجمهور بإدارة حكومته ••

٢ - ضمان الاسترزاق لكل فرد فاذا كان العمال أكثر من حاجة العمل
وكان ذلك قليل يسير ورخاء وتوزع الاعمال على الجميع ، ويمكن في هذه
الحالة ان يكفي للحصول على ارزاق الامة أن تشتغل الامة نصف النهار وتتمتع
بالراحة وحسن العشرة وترويض الاخلاق والتثقيف •• في النصف الآخر ••

٣ - تواجد السيطرة على الانتاج ••

٤ - يستغنى بقاتا عن اتفاق جانب من القوى العاملة في ترويج
البضائع ••

٥ - يختفى الميراث بانتفاء الملكية ولا يرث الابن من ابويه الا بحسن
بنيته وعقله واخلاقه وما فضل من النقد عندهما •• ولكنه يرث من الامة
كلها حقه في العمل والارتزاق وحمائته من الفقير والشقاء ••

٦ - السخاء على المنافع العمومية كالغناية والتعليم والصحة .
الخ (١)

وبعد ذلك يخصص نقولا جداد فصلاً للهجوم على النظريات الإصلاحية والنوصوية تحت عنوان « ما تبرا منه العقيدة الاشتراكية » .
وفصل آخر بعنوان « أوام خصوم الاشتراكية » . ولست بحاجة إلى استعراض ما جاء فيهما فقد لخصت مجمل آرائه في هذا الصدد في مقالتي السابق الإشارة إليه .

ثم هو بعد ذلك يورد فصلاً هاماً بعنوان « مورفين النظام الافرادى لتسكين اليم المجتمع » .

يقول في مقدمته « إن اعداء الاشتراكية بالرغم من تعنتهم في شجب المبادئ الاشتراكية ووجد هذه العقيدة شاعرون أن التيار ضيغهم ولهذا لا يرون بدا من مماشاه هذا التيار الحارف بقدر الإمكان » .

يروون أن المتالم لا يستطيع إلا أن يصرخ وتصراخه يزعجهم ويخسبون ان الكلب الجائع اذا اشتد جوعه أضرى وانهش فيضطرون أن يلقمونه .
يروون أن المجتمع يتالم أما سبيجدة تحت نير النظام الافرادى الثقيل فيحاولون أن يحققوه بمورفين تسكيننا لآلامه واليك أنواع المورفين (٢) .

ثم ويتحدث عن عدد من هذه المسكنات ويهاجمها هجوماً شديداً . نحن لا نشكر لركفلر جودة معظم ثروته الطائلة لكن ينفق في المبرات والاحسان والمشروعات الخيرية لأنه ما جمع تلك الاموال الطائلة الا بعد أن انضك الوف ومالين من العمال في تحصيلها له . فلا كان انضك العمال في جمعها ولا كانت هذه المنحة من يد روكفلر . نحن نريد أن يقال العامل حقه وأن يتمتع بثمره عمله وأن يفاث وقت الضيق بحق له وليس بصدقة عليه .

ولا نشكر كارنجي الذي ملا امريكا مكاتب للمطالعة لان الاموال التي انفقها في هذه المكاتب ليست من عرق جبينه بل هي ثمره اعمال ملايين العمال . فنحن لا نريد مكاتب من يده بل من يد النظام الاشتراكي . ولا يحتاج العامل الى مكتبة للمطالعة بل يحتاج حقه من المال لكي يتسنى له ان يتعلم في المدرسة ويصير اهلاً لتفهم ما يطالع . (٣)

(١) ص ٦١ . (٢) ص ٨٦ . (٣) ص ٨٢ .

ويعد أن يفند حداد كل أنواع المورفين التي ابتدعها النظام الرأسمالي
يقول: أن الرأسمالية تجبر قيرها بيديها، وأنها تعد السبيل الختيمي للوصول
الى الاشتراكية.

وفي الخاتمة يؤكد حداد حتمية انتصار الاشتراكية بالرغم من كل
العقبات التي تصادفها. فمثلا فكرة الحكم الجمهوري قديمة وقد
حاولت الامم منذ القديم مزة غير مرة انشاء جمهورية لها فكانت تفشل
حتى كاد يقوم في يقين السواد الاعظم من الناس الذين لا يرون إلا ظواهر
الامور ان الحكم الجمهوري لا يثبت لانه غير طبيعي وان الحكم الملكي هو
الثابت الدائم الخالد لانه طبيعي بل كان فريق يعتقد بصحة دعوى الحكام
أن ساطة الملك مستمدة من الله. ولكن القرن التاسع عشر اثبت لنا ان الحكم
الجمهوري الذي كان يعد بدعة في السياسة هو الحكم الطبيعي الذي يجب
ان يقوم ويثبت حتى ان بعض الامم التي كنا نظنها عريقة في التقاليد القديمة
أخذت تندخ عنها غبار هذه التقاليد ونادت بالجمهورية كالصين واليابان.
إذا كان شأن الجمهورية هكذا فلا بدح أن يكون شأن الاشتراكية كذلك
هي ديمقراطية كذلك تبدو لفريق من الناس نظرية مستحيلة لكنها ستصبح
حين يتمد السبيل بها بتيقن راعنة.

ثم عم يلبث نقولا الحداد ان اصدر كتابا جامعا بعنوان: علم الاجتماع
حياة الهيئة الاجتماعية وتطورها (١).

يتوج به معرفته باسس الماركسية ورؤيتها لتطور المجتمعات
ونقرأ معه:

إن الطبيعي قابل للتغير لان عوامل الكون المختلفة متأبطن بعضها
بعضا، وكل ما تراه من حوادث التغير انما هو نتيجة لهذه المناهضة.

ثم يتحدث عن الديمقراطية قائلا: وما دامت الديمقراطية المناهضة
ناتجة، ولا تزال تسمح بالفجوات الاقتصادية أي ما دامت لم تشمل العالم
بحسب المبادئ الاشتراكية، وما دام مباحا للافراد أن يجمعوا الثروات
الطائلة، ترى السلطة تغتصب اغتصابا من تحت ذن الديمقراطية، لان
السلطة الاولى لم تنزل للمال منع ان حقاها أن تكون للنظم والأخلاق (٢).

ويقول: وكان من أهم نتائج نظام الملكية الذي تطور على هذا النحو

(١) نقولا الحداد - علم الاجتماع - حياة الهيئة الاجتماعية وتطورها -
ط ٢ - ١٩٨٢ - دار الرائد العربي - بيروت
(٢) أنرجح السابق - ص ١٥٠

الاستقطاب المالي، وهو تحول الفروة إلى جانب الأبنية التمويلية والمصر
المدقع إلى جانب العبيد العمال، أو حركة الاشتراكيين المقاومة لاستنفال
التمول تعد تطورا لرقى الاقتصادي إذ تحول الى وجهة أخرى (١) .

ثم وبصراحة أكثر ولا يستطيع تقرير الحق الاقتصادي على قاعدة
الديمقراطية ما لم تفضل جميع الأنظمة ، وتترزع وتتداع ، ولا يستطيع
بناء نظام اقتصادي جديد إلا يهدم كل نظام ذي علاقة بالاقتصاديات القديمة ،
إلا إذا ألغيت الملكية ، وأصبح كل ذي قيمة ملكا للامة بإدارة الحكومة ،
وصار كل شخص غاملا أو موظيا عند الحكومة يأخذ منها أجره عمله ، ويشترى
منها حاجته ، أو يستأجر منزله ، فأى أسلوب من أساليب الحياة الحالية ،
لا يتزعزع ، بل ولا ينتقص ؟ (٢)

وأخيرا لست أعقد أنني املك وحدي إصدار تقييم لهذا الرجل . . . يكفي
أن أفكر أنه . . . قمة القمة . . . قمة هذا التراث العظيم التي سيار شعبنا
مشترته المحيطة ليشق له طريقا . . . وسط الصخر الصلب . . .

قمة الفهم الواعي والفكر المستنير والايقان العميق بالعلم والشعب
والعدالة . . . قمة الرحلة المحيطة التي بداها رفاة . . . وخاض غمارها مئات بل
الوف من المفكرين العباقرة والكادحين البسطاء . . . من أجل أن يفتخروا في مصر
ازهار الاشتراكية السعيدة . . .

وبعد للوصول الى هذه القمة يبدأ الفكر الاشتراكي مرحلة جديدة
وأساليب جديدة ، يبدأ في العمل الفصالي المنظم والواعي من أجل تحقيق
هذه الأفكار . . .

إننا لا نريد أن نبالغ في مدى نقاء هذا الفكر الماركسي ودقة التزامه
بالتعاليم اللينينية لقد كان دعاة هذا الفكر مجرد رواد في مجال صعب ، ذليل وبالغ الصعوبة
بالنسبة للمثقف المصري ، وكانوا يشقون طريقهم نحو فهم أعقق ونوسط
صواب قمة أهمها انعدام أية كتابات لينينية باللغة العربية ، وحتى بالنسبة
للغات الأجنبية المتاحة للمثقف المصري وهي الإنجليزية والفرنسية فإن الكتابات
اللينينية لم تكن متوفرة أيضا . . .

(١) المرجع السابق - ص ٢٣٥
(٢) المرجع السابق ص ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠

كذلك فان هؤلاء المثقفين الماركسيين قد ظلوا لفترة طويلة يمارسون دوراً فكرياً محضاً ولم تتح لهم فرصة الاحتكاك بالنضال اليومي للبروليتاريا لا الاندماج المباشر في العمل الحزبي . .

كانوا مجرد مجموعات من المثقفين يدرسون ويتناقشون ويبحثون عن طريقين ، ولم يكن ممكناً ان تنضج أفكارهم ويصح مسارها وتتحول الى مفهوم فكري عميق واصيل الا من خلال العمل الحزبي والممارسة اليومية للنضال . . وهو امر لم يتوفر الا مع تأسيس الحزب في اغسطس ١٩٢١ .

وهكذا يمكننا ان نعتبر هذه الكتابات الماركسية مجرد خطوة في الطريق الصحيح ولا شك أننا نعلم أصحابها لو حاولنا تقييمها وفقاً للمقاييس الدقيقة للماركسية اللينينية . فلا شك ان هناك اخطاء وشوائب ونقص في الفهم وبعض الانحراف . . ولم يكن ممكناً ان يصحح المسار الا من خلال النضال الحزبي وهو امر لم يتوفر الا فيما بعد . .

وهكذا فإننا - كي لا نظلم هؤلاء الرواد الشجعان - يتعين علينا ان نقيم أعمالهم تقييماً موضوعياً مرتبطاً بظروف مجتمعاتهم وبظروف التكوين الفكري للمثقف المصري . . وأن نضعهم في موضعهم الصحيح رواداً في طريق صعب لم تكن قد اتضحت لهم بعد كل معالته . لكن ذلك كله لا ينفي عن كتاباتهم أصالتها وأهميتها .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذي بعث في طينتنا نبيًا ربيًّا
مباركًا طيبًا غيَّرَ قلوبنا
وهدانا لغيرنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي جعل في كلِّ شيءٍ
دروسًا لمن يفتقر إلى التوفيق
والهدى والرشاد والبرهان
والعلم والفضل والرحمة
والعفو والصفح واللين
والهدوء والطمأنينة والبرهان
والعلم والفضل والرحمة
والعفو والصفح واللين
والهدوء والطمأنينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي جعل في كلِّ شيءٍ
دروسًا لمن يفتقر إلى التوفيق
والهدى والرشاد والبرهان
والعلم والفضل والرحمة
والعفو والصفح واللين
والهدوء والطمأنينة
والبرهان والعلم والفضل
والرحمة والعفو والصفح
واللين والهدوء والطمأنينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي جعل في كلِّ شيءٍ
دروسًا لمن يفتقر إلى التوفيق
والهدى والرشاد والبرهان
والعلم والفضل والرحمة
والعفو والصفح واللين
والهدوء والطمأنينة
والبرهان والعلم والفضل
والرحمة والعفو والصفح
واللين والهدوء والطمأنينة

القسم الثالث

من الفكر المجرد
إلى العمل المصنوع

١
* الخلايا الاشتراكية في مطلع

القرن العشرين

* اعلان الحزب الاشتراكي

* الاشتراكية المصرية من الدفاع

الى الهجوم المضاد .

شمة روايات. عفيفة لتلك القصة الجيدة. قصة بدء النشاط الحزبي
للاشتراكية في مصر لكن كل الروايات تتفق على أن البداية كانت بإيد
أجنبية

والحقيقة أن الخاليات الأجنبية في مصر التي تكاثرت عندما بعد الاحتلال
الانجليزي ونتيجة للامتيازات الأجنبية قد لعبت دورا هاما في التأثير على
المحتوى الفكري للطبقة العاملة المصرية ومثقفها

والغريب أن هذا التأثير قد اقتصر - تقريبا في حدود العمال
والفكر العمالي . فالثقوف المصريون كانوا معزولين عن المثقفين الأجانب .
بعزلهم تعالى الأجانب واتجاههم الى تكوين مجتمعات خاصة بهم ، واختقارهم
للغة العربية وللمتحدثين بها وتزلهم الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها
. واحساس كل موظف اجنبي - ايا كان مركزه - بأنه جزء من فئة أكثر
تفوقا وأكثر احتراما .

أما العمال فقد كانوا الفئة - الوحيدة - في المجتمع التي امتزجت في مجال
العمل اليومي مع العمال الأجانب الذين كانوا يؤدون نفس العمل - ويتعرضون
لنفس القهر - ويقاومون نفس المستغل .

يساعد على ذلك أن غالبية هؤلاء العمال كانوا من غير الانجليز ،
أرمن ، يونانيون ، ايطاليون ومن خلال هذا الامتزاج في العمل ، بدأ الاحتكاك
الفكري

لكن التكوينات الحزبية كانت في البداية أجنبية صرفة وقد أدى إلى
ذلك تخلف العمال المصريين واحساسهم بتعالى العمال الأجانب عليهم ،
وعدم الثقة بهم ، كما أن هذه التكوينات كانت في الغالب تكوينات قومية
مغلقة في حدود جنسية واحدة تعمل كامتداد للأحزاب الاشتراكية في الوطن
الأم .

فالتنظيم الاشتراكي اليوناني ظل مستقلا بإستمرار واحتفظ بكيانه
المستقل حتى ما بعد النصف الثاني من القرن العشرين

يوظف هذا التنظيم قائما حتى صدور قوانين التخصير في عام ١٩٥٦
ثم قوانين التأميم في عام ١٩٦٠ التي اعقبتها موجات هجرة غادر فيها معظم
الأجانب مصر .

منه وسوا العمال الأبطال اليونان - كان الكثيرون منهم يحضرون إلى مصر في مواسم
مؤخدة فخرية لمن يفتخر في العمل في إيطاليا ثم يعودون إلى بلادهم مرة أخرى
وقد أدى هذا إلى استمرار ارتباطهم بالحزب في الوطن الأم . . .

ولكن هذا لم يمنع من وجود محاولات لإقامة منظمات تضم اجانب من
هذه الجنسيات مختلفة
ونحاول الآن أن نتبع الخيط من بدايته إلى النهاية

والحقيقة أن هناك روايات عديدة ، وربما كانت كلها صحيحة طالما
أن كل رواية تتحدث عن تنظيم مختلف
ولنبدأ بأولى هذه الروايات
بإسكندر ، نيرديس ، اليونانيون ، والإيرانيين
إذا كان روزنتال قد بدأ نشاطه عام ١٨٩٩ فان هناك من بدأ قبله

ولعل المنظمة الشيوعية اليونانية تمتلك الحق في أن تقرر لها الإنشاء - وفي
ما هو متاح من معلومات تاريخية - كانت أول مجموعة منظمة مارست نشاطا
شيوعيا في مصر

منه
ونلاحظنا ضعف نظام ١٨٩٤ - معلومات عن واقعة لا ضابط أحد اليونانيين وهو
يوزغ منشورا (غوضيا) في ١٨ مارس ١٨٩٤ يخضع فيه العمال على الاحتفال

بذكرى نبضة الكومون عام ١٨٧١

والجدير بالذكر أن كلمة شيوعية تترجم إلى صحيف ومجلة الفجوة فوضوية
فيما بعد تترجم اباحية
هذا المنشور فتتفل منه فقرة تقول : اذكروا ان هذا اليوم هو تذكار نهضة
الكومون في بارتيس وفلمم زاهية العمال المظلومين تتجدد جميعا

فليس من الغريب ان تشير ايضا في هذا الصدد إلى اضراب قام به العمال اليونانيون
في شركة قناة السويس في ذلك العام

(١) الهلال - ١٨٤ ج ١٥ - السنة الثامنة نقلنا عن د . عبد الوهاب
بكر - أضواء على النشاط الشيوعي في مصر - ١٩٢١ - ١٩٥٠ - دار المعارف
(١٩٨٣) ص ١٨

(٢) دار الوثائق القومية - محفظه ١٠٥ داخلية أفونكي - تقرير محافظ
عثوم الفال عن ديبان الخواث القى وقعت بين الثغالي الكراكات وقومانية
القناة من أول اكتوبر ١٨٩٤ لغاية ١٥ منه
اليونانيين بالقومية

وونقل أبرز شخصية يونانية لعبت ذوا مميزاتا ومستمرتا في هذا النشاط كانت ساكيلاريدوتس ياناكاكس تاجر الاسفنج الذي وصفه احد زملائه بأنه «ضخم الجسم منوتطة القامة ، رأسه ضخم كسفناني الشبغراء ، جبهته خمراء ، عريضة ومنتفحة ، يعلف عينييه برود زمادي غامق ، لكنه مؤثر ونفاد ، يعطيك انطباعا حادا بانك امام شخص قوى البنية يرضى الارادة من أسرة أورتودوكسية يونانية متعصبة لم تغفر له أبدا أنه أصبح ماركسيًا . زوجته تانيا ممرضة ضخمة الجسم . لم يبد عليها أبدا أنه ماركسي لكنها وهبت روحها وكل حياتها لزوجها .»

و كان أبوه تاجر الاسفنج الاول بالاسكندرية ، وكان تاجرا مرموقا ولم يكن يريد أن يخسر مركزه الممتاز في المدينة بسبب نشاط ابنه الذي يروج الشيوعية أكثر مما يروج الاسفنج في أسواق الاسكندرية ، لم يكمل ياناكاكس دراسته الابتدائية وتركها ليعمل في التجارة مع والده . كانت علاقته في السرق تدفعه للاحتكاك بوسط راق ، فالبرجوازية هي التي تستعمل الاسفنج ، بعد فترة بدأ يقرأ بنهم . قال لي ياناكاكس ذلك ، وقال أيضا إن الاسكندرية كانت قبيل نهاية القرن التاسع عشر الميناء الرئيسي في البحر الأبيض تغص بالصالونات الادبية والفنية والمنديات واللقاءات ، وكانت صقوة المفكرين والمهنيين الاجانب تقيم فيها ، وكان البرجوازيون اليونانيون كبارا وضغارا يتبادلون في المقامى والنوادي والصالونات والمنديات احاديث صاخبة في السياسة . لا أحد يتفق مع أحد ، كانوا يقولون لا يمكن ان يتفق اثنان من اليونانيين حول أية قضية قضية سياسية ، وكل اليونانيين سياسيين (١)

ولم يكن ياناكاكس وحده ، كان هناك أيضا مالانوس ، كازانتفلكس ، نيكوس نيقولايدس ، جورج بيريدس ، كونستانتينيدس بيريدس (الشاعر الشهير) ، زريني (وكان مليونيرا وقد قدم مساعداات كبيرة للتجمعات اليونانية التقدمية وعندما فتحت وصية زريني بعد وفاته فوجيء الجميع بأنه يوصى بأن يشرف الرفيق ستالين على تنفيذ وصيته وطبعًا لم تنفذ (٢) .

١) نيقولاى باباريدوتس - تقرير عن ذكرياته ومعلوماته عن المجموعة الشيوعية اليونانية - كتبه بناء على طلب المؤلف وهو مكتوب على الآلية الكاتبة الفرنسية من اثنان وخمسون صفحة بعنوان : *Le Mouvement Politique Grec En Egypte et Toute Particuliere-ment Au Caire* .

٢) المرجع السابق .

ترجمته وحرره : (٣)

وكانت المجموعة الماركسية اليونانية تعيش في قلب الحياة الثقافية اليونانية. وأسست دار الكتب الشعبية اليونانية، ومجموعة من الصالونات الأدبية، وأصدرت، فالانوس، وكان صاحب مكتبة شهيرة بالاسكندرية، مجموعة من دواوين الشعر، وكان كونستانتينيتس بيرديس واحداً من أشهر شعراء اليونانية الحديثة. وأصدر نيكولايدس مجموعة من الروايات، وكانت ترجمتها بيد فينان، بجوازدي صغير، يوناني قبرصي مصري ينفذ في أبطال رائعة عطرة من الحب الانساني العميق (١).

وتسبب نشاط هذه المجموعة لغزو حتى الصالونات الارستقراطية.

يقول نيقولاي بياريدوتى، كنت موظفا صغيرا في البنك الاهلى اليونانى ومند صغيرى كنت ضد الاعتياد منذ ١٩١٧ بدأت اقرأ الانث الروسى المترجم الى اللغة اليونانية. كنت احضر مجموعة للدراسات الادبية يرأسها يونانى زججى اسمه لوكاس ديسنوميتس وتتخذ مقرها في المدرسة اليونانية للبنات تسارع ثوريه. وكان ديسنوميتس ملكيا يمضى معظم الوقت في امتداح صفات ملكه. وفي هذا المكان بالذات تعرفت على شيوعى كان يحضر المناقشات هو نيكوس نيقولايدس. وكان ذلك عام ١٩٢٠ واصبحت شيوعيا (٢).

يقول بياريدوتى: انه لستجيب او لاخر كان الاديب الروسى هو موضبة العصر. وكانت كتابات اتولوسيتوى وديستوفسكى وليرمنتوف يجرى تداولها بلهفة في اوساط المثقفين وتجرى حولها مناقشات عميقة (٣).

وقد اهتمت المجموعة بتقديم الدراسات عن الطبقة العاملة، واوضاعها والف جورج بيرديس بكتايا عن عمال القطن (٤).

ومن الواضح ان الادبيات الماركسية حتى المتممة منها لم تكن بعيدة عن هذه المجموعة. يقول بياريدوتى عن ياناناكاس: ان يقرأ كثيرا وخاصة المؤلفات من الثورة الروسية. ومؤلفات لينين وماركس وانجلز. وافق انه قرأ اتقى نحو هونج وكثيرا من المؤلفات انجلز (٤).

اما متى بدأ اليونانيون نشاطهم الاشتراكي فان رواية الدكتور عبد الفتاح القاضى تقول: ان الحركة المصرية للتحرير الوطنى كلفتها في عام ١٩٤٢ بكتابه

- (١) المرجع السابق
- (٢) المرجع السابق
- (٣) المرجع السابق
- (٤) المرجع السابق

تاريخ الحركة الماركسية في مصر فأتصل بيناكاكس الذي قال له "أن أول حركة اشتراكية ظهرت في مصر كانت وسط اليونانيين الذين اشتروا في تأسيس نقابة لعمال الأخذية وكانت مكونة أساساً من اليونانيين والأرمن" (١) .

وعندما بدأت محاولات تأسيس الحزب الاشتراكي المصري. قابلت الأهرام أن بيريدس شارك في المفاوضات بصفته سكرتيراً للفرع اليوناني بالاسكندرية (٢) .

ولكن لم تبد أية أسماء يونانية فيما بعد بين صفوف الحزب . ويبدو أن الأمر قد استقر على أن تستمر المجموعة اليونانية في نشاطها المستقل .

ولكن هذا النشاط المستقل قد تعرض أيضاً للمطاردة من جانب أجهزة الأمن . فما أن وجهت الضربة للحزب الشيوعي المصري عام ١٩٢٤ حتى كان البوليس يلقي القبض دون إذن من النيابة على مجموعة من اليونانيين ضمن حملة القبض الواسعة . وضبطت لديهم مطبوعات تؤكد وجود منظمة شيوعية يتضمن برنامجها الاطاحة بالبرجوازية الاجنبية والمحلية وطرد الاستعمار الإنجليزي من مصر وإقامة حكم اشتراكي .

وعندما قدموا للمحاكمة صدرت أحكام بالسجن على العديدين وكان من المحكوم عليهم ياناكاكس الذي انتقل في أعقاب الإفراج عنه الى القاهرة حيث افتتح محلاً لتجارة الاسفنج بشارع سليمان باشا ناصية عبد الخالق ثروت . وكان هذا المحل ملتقى الشيوعيين اليونانيين والهندي الذي يلتقون فيه باستمرار .

والشيء المؤكد ان هذه المجموعة من اليونانيين لم تكن بعيدة عن نشاط الحزب الشيوعي المصري . ويقال ان ياناكاكس الذي تعرف في السجن على عامل شيوعي مصري هو محمد عبد العزيز خرج من السجن ليقدم له تزييته حتى توالى تصعيده في صفوف الحزب وأصبح اثر الضربات المتتالية التي أطاحت بالقيادات الأساسية سكرتيراً للحزب ثم اكتشف فيما بعد انه أصبح عميلاً للبوليس .

وعند ذلك الحين اتخذ الشيوعيون المصريون . واتخذ الكومفترن موقفاً من ياناكاكس وقرروا عدم التعامل معه .

(١) راجع في الملاحق محضر النقاش معه .

(٢) الأهرام ١٦/٨/١٩٢١ .

سبيلها تلى مذكرة بالمعلومات التي في حوزتنا عن جوزيف وشارلوت روزنتال
في عام ١٩٠٣ بدأ اهتمام أجهزة الامن في المذكرتين كونهم في شديدة الغضب
يقوم بترويج دعايات مثيرة بين اليهود المحليين في لفسيف نسو وما تقيسنا

عام ١٩١٢ ز وردت ايمته بشكل اساسي في قضية ادموفيتشيم واليهود ليست
الروسي

يونيو ١٩١٦ : ورد تقرير من ادارة شيئون الالاجئين يتهمه بانه يثير للاضطراب
وانغضب في صفوف اليهود الروس في لفسيف نسو في عام ١٩١٦ في لفسيف نسو
نوفمبر ١٩١٨ : خلال احتفالات السلام قام برفع علم الاشتراكيين وهو رقعة
حمراء في وسطها اركان يتصافحان في سنة ١٩١٨ في لفسيف نسو

٧/٧/١٩٢٠ : قام جوزيف روزنتال بصفته رئيسا لاتحاد المستأجرين بتنظيم
اضراب لمدة ٢٤ ساعة كاعلان عن احتجاج المستأجرين على ارتفاع اجارات
المحلات وقامت ابنته بالاشراف على عدة مجموعات من الامارات التي تولت مهمة
اجبار اصحاب المحلات غير الشيركين في الاضراب على اغلاق محالهم
١٦/٧/١٩٢٠ : ورد تقرير من بوليس الاسكندرية يفيد بان المذكور كان
المنظم الاساسي لاضراب عمال القرزية كذلك اشترك في تنظيم اضراب عمال
محلات الجلابة متظاهرا بانه اشتراكي لكنه كما يقول تقرير بوليس الاسكندرية
ليس اشتراكي وانما هو مجرد محب للاثارة ويعمل لتحقيق افكار خاصة به
وهو يبذل جهدا كبيرا كي يصبح رئيسا للمجلس البلدي بالاسكندرية وذلك
بالرغم من انه لم يحصل في الانتخابات السابقة للمجلس البلدي على
اصوات قليلة

٣٠/٨/١٩٢٠ : منح بوليس الاسكندرية روزنتال وابنته تصريح
بالسفر الى ايطاليا وسويسرا والتمسك

٢٨/٨/١٩٢٠ : ز امانا قومندان بوليس الاسكندرية بالقرينة التالي
روزنتال معروف كنوضوي سياسي خطر مدرج في القائمة السوداء
معروف بانه ضريح في التعبير عن آرائه السياسية له علاقة بكل الحركات
الثقافية الموجودة بالاسكندرية يمكن القول بانه اشتراكي ثوري ذو ميول
شيوعية

٣٠/٨/١٩٢٠ : عاشرت شارلوت روزنتال الاسكندرية على الباخرة
كارلسباد

(١) تقرير بالانجليزية مرفوع من ي . كلايتون عن المدير العام لادارة
الامن العام بوزارة الداخلية المصرية الى ماكنجتون في ٢٨ سبتمبر
١٩٢١ (مودع في الارشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية) ص ١٠٢

١٩٢٤/١٠/١٠ : وصلت الباخرة المظلة لشارلوت الي بور سعيد واقتاد
قومندان بوليس قناة السويس - وبور سعيد بيانه علم انها قد حجزت مكانا
على السفينة الى يافا بخلسطين

١٩٢٤/١١/١٢ : ورد تقرير من مساعد مدير الأمن - العام بالقاهرة

بأنه تفيد بأنه قد التقى القبض على - شارلوت روزنتال بسبب نشاطها
النياسي وان سلطات يافا تمتلك وثائق تؤكد انها بلشفية نشطة في
١٩٢١/١/٤ : عبرت شارلوت روزنتال القبطيرة في طريقها

للاستكبرية (٢)

ان هوية روزنتال الشيوعية ظلت غير معلومة للبوليس لفترة طويلة
ان اجهزة الأمن كانت تركز جهودها مكثفة وعبر شبكتها البوليشة
لتنقبه أنشطة روزنتال وابنته - كما ان هوية روزنتال
كانت غير معلومة لرجال أمن مصر حتى انهم لم يكتشفوا
ان روزنتال كان شخصية انما هيية - وقد نفذ وسط التجاليفات
الاجنبية - اتحاد المتحاربين - نقابات العمال - اضطرابات العمال - مكنته من
ان ينظم لترشيح نفسه رئيسا لبلدية الاستكبرية وهو منصب مزور للغاية
في ذلك الحين - كما ان هوية روزنتال كانت غير معلومة لرجال أمن مصر حتى انهم

والحقيقة ان اهتمامات البوليس بروزنتال لم تنته وسوف تعود اليها
فيما بعد ولكن بعد ان نستمع الي ما يقوله روزنتال نفسه أولا - يزوي روزنتال
في شهادته امام النائب العام في ١٩٢٤/٢/٦ موجزا لجهوده المبكرة فيقول
انني منذ حدثتني اميل الي المبادئ الاشتراكية - واهن اليها وقد كان اعظم
الامال عندي ان تارقي نحالة العمال بتحسين بقوة التربية والنظام والبر وفيدت
الي مصر منذ ٢٥ سنة - جعلت اسمي لتاليف النقابات - واول نقابة اشتراكية
في تاليفها كانت نقابة عمال السجايز - وبعد ذلك اشتراكية في تأسيسه بوضع
نقابات اخرى للخياطين وعمال المادن وعمال المطابع وكانت تلك النقابات
كشها تقربيل للعمال الاجانب لان العمال الوطنيين كانوا في ذلك الوقت اقلية
في جميع الحرف ودوائر العمل بالنسبة لزملائهم الاجانب (١) ليس

(٢) تقرير بالانجليزية مرفوع لمبتشار وزارة الداخلية المصرية مورخ
في ١٠ مارس ١٩٢٦ ات مودع بالارشيف العام - لوزارة الخارجية البريطانية

وتلاحظ أن نقابة عمال السجاير قد تأسست عام ١٨٩٩ وروزنتال يترى في شهادته (١٩٢٤) أنه حضر إلى مصر منذ ٢٥ عامًا أي أنه حضر عام ١٨٩٩. ومعنى هذا إنه قد شرع فور وصوله إلى مصر في حوض معركة تأسيس النقابات العمالية، وممارسة نشاطه السياسي. أما البوليس فقد اتقى إلى هذا النشاط كما نرى في التقرير السري السابق في عام ١٩٠١ ولم يكن اختيار عمال السجاير بالذات مجرد مصادفة، فقد كان البدء في استخدام الآلات الحديثة في لف السجاير في أواخر القرن التاسع عشر -أيذانا بتسديد لفاي السجاير الذين كانوا يلفون السجاير بأيديهم وقد استمر الأضراب الأول للنساق السجاير شهرين كاملين- (١).

ويلاحظ رؤوف عباس ملاحظة لم يجد لها تفسيراً وهي اشتراك لفاي السجاير وغيرهم من العاملين في مهن أخرى في أضراب الخياطين، ناسيا أن روزنتال كان المؤسس والموجه لمعظم النقابات في ذلك الحين والتسوق بين حركتها والتضامن في صفوفها (٢).

وثمة وثيقة أخرى تبدي اهتماماً بنشاط روزنتال المتعددة بعنوان «مذكرات عن النشاط اللشفي في مصر عام ١٩١٩» . تقول الوثيقة عن روزنتال «أنه معروف للبوليس منذ عشرين عاماً (الأمر الذي يؤكد أنه كان تحت نظر البوليس منذ وصوله إلى مصر عام ١٨٩٩) وهو يتبنى عادة مواقف متطرفة للغاية فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية، وصفه البوليس من أن لآخر بأنه قوضي مهيج سياسي خطر، ويقول أحد المرشدين وهو يعرفه تمام المعرفة أنه لا شك لديه في أن روزنتال يعتقد أشد أنواع الشيوعية. تطرفاً وأنه يعمل بنشاط على ترويجها، وبرغم أنه يؤمن بضرورة تغيير الأوضاع القائمة إلا أنه لا يعتقد أنه يجب استخدام العنف، هدفه الرامن هو توحيد العمال في مصر في اتحاد ضخم وما من شك في أن أحد أهدافه من القيام بمثل هذا العمل هو نشر الشيوعية في صفوف العمال تحريجياً» .

ولا شك أن اعتناقه لهذه المبادئ يدفعه بطبيعة الحال إلى تشجيع إنشاء والإسهام في تأسيس ناد مثل «نادي الدراسات الاجتماعية» وهو ناد ينجح نهج الدولية الثالثة، وما من شك أيضاً في علاقة روزنتال كمثل أو كمراسل في مصر الدولية الثالثة، وهو على مراسلات متصلة بلديقيونف الذي يقال

(2) Vallet -- Contribution a L'etude de la Condition des Ouvriers de la grand Industrie au Caire (1911) P. 141.

العناصر الماركسية (التي كانت قد شكّلت في ذلك الحين الحزب الاشتراكي المصري) وعلى رأسها روزنتال الذين اتفقوا مع رابطة مصر على عقد مؤتمر في القاهرة والحقيقة ان روزنتال كان أيضا محط اهتمام العناصر الاشتراكية المصرية التي سعت اليه عندما بدأت في التفكير في تأسيس حزب اشتراكي .
يقول سلافه موسى أنه وزملاؤه عندما قرروا تأسيس جمعية اشتراكية كتبوا الى مسيو روزنتال باعتباره سكرتيرا للحزب الاشتراكي المؤلف من الجالية الأجنبية في مصر يسألونه عن برنامج هذا الحزب فإذا وافقهم انضموا اليه (١) .

ويقول د. علي العناني ، عرفت المسيو روزنتال الذي يسمى منذ امد بعيد لتأليف حزب اشتراكي في هذه البلاد وعرفت عنه هذه الجايات الشريفة العادلة .

لكن روزنتال برغم حيويته الدافقة ، ونشاطه الواسع لم يكن فيما يبدو ماركسيا أصيلا فما لبث ان ثارت خلافات عديدة حوله وبسببه وكان استبعاد من الحزب أحد شروط الكونغرس (الدولية الثالثة) لقبول الحزب المصري عضوا فيه . وان كانت شارلوت ابنته قد ظلت عضوا عاملا وربما قياديا في صفوف الحزب وتزوجت واحدا من منظّمي الاساسيين هو أمجدور *
ولم يكن روزنتال وحده .

كانت هناك شخصية أخرى أشد غموضا وأشد إثارة للجدل .
شخص لم تستطع أجهزة الامن الانجليزية التعرف على اسمه بالتحقق فاسمته زايديمان أو زيدرمان .
وقد عثرنا على عدد من الوثائق الهامة حول هذه الشخصية الغامضة في الأرشيف الخاص لوزارة الخارجية البريطانية .
أولها مميونة وميكرين عن اقوال زايديمان (زيدرمان) وتقول هذه المذكرة

في يناير ١٩٢١ أبلغ الميجور كورتنى ان لندن تطلب معلومات عن
(١) الأهرام ١٩/٨/١٩٢١ -
* اسمه الحقيقي بهيتل كوسى وهو واحد من كوادز (الكومنتزن)
الاساسية المكلفة بالعمل في منطقة الشرق الأوسط وقد التقى القصر عليه في مصر عام ١٩٢٥ ، حيث حكم عليه بالسجن لمدة تزيد من التفاضيل عن خدمته الشخصية راجع كتابنا اليسار المصري ١٩٢٥ - ١٩٤٠ وراجع أيضا والتر لاکور الاتحاد السوفييتي والشرق الاوسط .

العيفان : زرقاوان
الشارب : صغير وأشقر
لون الملابس : بني فاتح
القبة : لينة ولونها بني فاتح، (١)

وتمضى المذكرة فتشير الى أن قومندان بوليس الاسكندرية قد كتب مذكرة اخرى في ٨ مايو ١٩٢١ يقول فيها انه يعتقد ان الشخص الذي ألقى خطاب اول مايو هو نفس الشخص الذي تحدث عنه البرنس عزيز حسن .

وتواصل أجهزة الامن ببحثها الدؤوب حتى تصل الى الحقيقة في ٢٦ سبتمبر ١٩٢١، وتمضى المذكرة قائله : أفاد بوليس الاسكندرية ان البحث قد توصل بشكل قاطع للشخص الذي ألقى خطاب اول مايو وان أسمه انوارد زايد مان وابنه صاحب مكتبة عنوانها ٢٥ شارع أنستاسي بالاسكندرية ، وما لبثت المعلومات ان تتالت من هذه الشخصية الغامضة .

وسرعان ما ربط البوليس بين اسم هذا الشخص وبين الحاج لندن في الحصول على معلومات عنه ثم ربط أيضا بينه وبين حديث البرنس عزيز حسن وأشارته مذكرة البوليس الاسكندرية ان اعتقاد المصدر الذي نقل حديث البرنس بان اسم البلشفي المشار اليه هو روزنبرج أو روزنبلوم هو اعتقاد نابع من الربط بين زايدمان واسم صهره روزنفولد .

وتمضى التقارير : أفاد قومندان بوليس الاسكندرية في ١٩ أغسطس ان السيد بيتروف القنصل الروسي بالاسكندرية قد أبلغه ان شخصا يدعى زيدمان وهو روسي يهودي ويمتلك مكتبة بشارع أنستاسي يقوم بتوزيع منشورات بلشفية وسط اللاجئين الروس المقيمين في سيدى بشر وذلك عن طريق الملازم ثان الكسندر نيكولايف الذي كان ضابطا بالجيش الاحمر والذي تم أسره بواسطة جيش دونكيت ، (٢)

وسرعان ما نجح بوليس الاسكندرية النشط في جمع معلومات اضافية عن هذه الشخصية وسجل تلك في مذكرة سرية جديدة تقول : زيدمان يهودي روسي دخل الى انجلترا خلال الحرب يجيد الانجليزية . قال لأحد مرشقيننا السريين انه قد افترق هذه المكتبة خصيصا لنشر الدعاية البلشفية ويقوم

(١) مذكرة باللغة الانجليزية معنونة : مذكرة عن انوارد زايدمان (زيدمان) مودعة بالارشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية .
(٢) مذكرة باللغة الانجليزية تحت رقم ب/س/أ/٤١٩٨٩ بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٢١ .

المصريين ومحاولاتها المبكرة لترسيمة الأديبونات الماركسية إلى اللغة العربية.

جوزيف روزنتال -
 شارلوت روزنتال -

ع - جوزيف ابوارد زايدمان أو روزيكرمان ...
 ...
 نعم هناك اسم تلتقطه من ملفات أجهزة الامن ورد في تقرير مرفوع من
 كلايتون مساعد مدير الامن العام التي من منشور وزارة الداخلية يتضمن
 معلومات يخص عليها بالتولين من مرافقة البزيد الوارد الى جون سولوس ،
 صاحب صندوق البزيد رقم ١٨٥٥ الاسكندرية والتي تشير الى ان سولوس
 هذا كان يستورد (بشكل ما) كميات ضخمة من مواد الدعاية الماركسية
 ويتضمن التقرير نسخة من أحد هذه المواد (١) ...

وكان أيضا اسم مثير للاهتمام هو الملازم ثان الكسندر نيكولايف الذي
 تقول تقارير البوليس انه كان ضابطا بالجيش الأحمر السوفييتي وأنه كان
 نشيط في عام ١٩٢١ وسط الحالة الروسية بالاسكندرية ...
 ولا بد أن المزيد من البحث سوف يصل بنا الى المزيد من المعلومات
 والمزيد من الاسماء ...

الجماعات والاندية :

وكان طبيعيا أن تصب هذه الأنشطة قبل أن يتبلور في شكل حزبي
 في صورة اندية وجميات وروابط واتحادات ...

وكان روزنتال هو المايسترو الذي إبتدى ومنذ البداية المبكرة من
 اقامة هذه التجمعات الديمقراطية بمختلف توجهاتها ...
 ففي العام الاخير من القرن التاسع عشر أسس روزنتال العديد من
 النقابات والروابط العمالية ثم جمع بينها جميعا في الاتحاد العام للعمال
 والذي وصلته عدد أعضاءه الى قرابة ٤٠ ألفا في سنة (٢) كما تكونت في هذه
 ...

(١) مذكرة مرفوعة من ن . كلايتون مساعد مدير الامن العام بوزارة
 الداخلية التي من منشور وزارة الداخلية مؤرخة في ٢٨ سبتمبر ١٩٢١ محررة
 بالانجليزية ومودعة في الارشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية ...
 (٢) الاهرام ١٩٢٤/٢/٢٢

التقنيات، وفي المراكز المالية الهامة صناعات الخمرة التي
تستهدف جمع منخرات عمالية استعداداً للانفاق على العمال عند إضرابهم
عن العمل .

وكان هناك أيضاً اتحاد المستأجرين الذي استهدف توحيد جهود
المستأجرين ضد ارتفاع اجارات المساكن والمحال . وقد نجح في تنظيم
إضراب شهير لأصحاب المحال التجارية احتجاجاً على ارتفاع الأيجارات في
٧ يوليو ١٩٢٠ . وكانت هناك أيضاً الجامعة الشعبية التي نظمتها
الاشتراكيون الإيطاليون لتعليم العمال ، والمكتب الشعبية اليونانية التي
أسسها اليونانيون وسلسلة من التجمعات اليونانية والأرمينية والإيطالية .
لكننا سنتوقف عند جميعتين نعتقد أنهما أكثر أهمية من غيرها .
جماعة الدراسات الاجتماعية بالاسكندرية :
Groupe D, Etudes Sociales

وتصنفها تقارير الأمن بأنها مصدر أساسي للثورات والمطبوعات
الشيوعية باللغات الفرنسية والانجليزية والروسية والعربية وتقول أنها
تتخفي الى مواقع الدولية الثالثة (١) وكان روزنتال رئيس هذه الجماعة
جماعات الوضوح :
Clarte

وقد ظل اسم هذه الجماعة يرد في تقارير الأمن بشكل غامض دون
توضيح لمايتها حتى تمكنا من الحصول على تقرير كامل أعدته أجهزة
الأمن عن هذه الجماعة .
يقول التقرير . . .

وتأسست هذه الجماعة مؤخراً في مدينة الاسكندرية ، وهي تتخذ اسمها
من اسم المجلة الاسبوعية الشيوعية Clarte والتي تصدر في باريس وهي
مماثلة للجماعات التي تأسست تحت هذا الاسم في مختلف أنحاء فرنسا وهي
تتراسل بشكل منتظم مع المركز الرئيسي لهذه الجعيات في باريس ويوجد
على رأس هذا المركز شخصيات انبئية وثقافية بارزة مثل رباتول
فرانس ، هنري باربوس ، رومان رولان . الخ .

(١) F.O. 141-799 E. G. (1919)
مودة يارثيفيا وزارة الخارجية البريطانية : بالتحف البريطاني
بلندن .
٧٦٧٦٦٤٢٤٤ (٦)

البرنامج :

تستهدف الجماعة السالفة الذكر نشر الأفكار والمبادئ الشيوعية عن طريق المحاضرات والمحادثات الشخصية مع العناصر العاطفة على هذه الجماعة. والذين يتزايد عددهم في هذه الايام . والذي لا شك فيه ان أعضاء الجماعة هم عناصر عالية الثقافة بصورة ملفتة للنظر تماما مثل أعضاء جماعة الدراسات الاجتماعية ، بينما تضم الاندية الشيوعية الاخرى التي يقيمها روزنتال مثل الاتحاد العام للعمل (C. G. T.) عناصر عمالية أساسا

وإذا كانت هذه التجمعات الشيوعية الثلاثة ذات أسماء مختلفة فإنها تشكل تجمعا واحدا من خلال عناصر عديدة تعمل في صفوفها جميعا. وهي جميعا تستهدف تحقيق نفس الهدف . . وهو نشر الشيوعية .

اللجنة القيادية :

- ويلاحظ أنها كالمادة في كل الاندية الشيوعية ليس لها رئيس
- * السكرتير : أوجوستى تيرنى - موظف في شركة الملح وانصودا

* أمين الصندوق : م . ستيرن .

- كذلك تضم اللجنة القيادية أحد اليهود والآنسة روزنتال

الأعضاء : تضم الجماعة حوالي ٢٥ عضوا معظمهم من اليونانيين الذين ينشطون في صفوف جماعة الدراسات الاجتماعية مثل ياناكاكس . جوردانجيس ، بيريدس ، زوتو - الخ وتضم الجماعة أيضا ثلاثة أو أربعة من اليهود الروس منهم كوسوفسكى وهناك أيضا اثنان من الأفندية المصريين أحدهم يسمى عبد المنعم .

المقر : تتخذ الجماعة مقرا مؤقتا لها في مقر المكتبة الشعبية اليونانية شارع حمام الذهب (شارع سيدى المتولى) .

الاشتراك الشهري : عشرة قروش كحد أدنى .

الاجتماعات : كان الاجتماع الذى عقد في الساعة السابعة والنصف من مساء الخامس من الشهر الحالى اجتماعا بالغ الأهمية ذلك أنه قد تمت فيه مناقشة برنامج النشاط في المستقبل وقد لوحظ حضور آنسة من الباهرة لهذا الاجتماع هي الآنسة ليلي بيتاراكى Lili Petaraki وعنوانها

طرف مكتبة ستارينوس (شارع قصر النيل - القاهرة) وتعتبر هذه الأنسبة حلقة اتصال بين شيوعي القاهرة والاسكندرية .. وقد تلى السكرتير قسما وقع عليه الاعضاء وفيما يلي نص هذا القسم ..

« اذ نشئتم الفلق من انعدام العدالة في ظل النظام الرأسمالي ، ذلك النظام الذي يمكن حفة ضئيلة من ان تستغل وتستبد بالغالبية الساحقة التي تشكل الجماهير العاملة فاننى أعلن انضمامى الى نادى الوضوح وانقسم اننى سوف أقدم كل ما أستطيع من عون للحركة الثقافية الثورية تلك الحركة التي تفتح الطريق وتمهده نحو الثورة الاجتماعية »

وبعد أن ناقش المجتمعون حالة المجاعة المتفشية في روسيا أفاد احد الحاضرين أن روزنتال يقوم بجمع تبرعات لإرسالها الى ضحايا المجاعة هناك واتفق الحاضرون على الاسهام في هذه الحملة ..

ثم تلى تيرنى رسالة واردة من هنرى باربوس الى فرع الاسكندرية ..

الآن يكون الاشتراكيون قد اجتمعوا في حلقات واندية .. ويكونون قد تعودوا على العمل المنظم .. ويكون المبرح معدا للانطلاق نحو تأسيس الحزب :

مجموعة البلشفيك

وقد وصلت هذه المجموعة الى الاسكندرية عقب ثورة ١٩٠٥ .. ومن المعتقد انها كانت مكونة اساسا من عدد من بحارة المدرجة « بوتومكين » .. كذلك كان هناك عدد كبير من الروس الذين هربوا الى مصر من القهر القيصري ويؤكد مارسيل اسراييل انه كان من بينهم أعضاء في الحزب البلشفي (١) ..

وتشير رسائل من كروبستكيا (زوجة لينين وسكرتيرة هيئة تحرير ايسكرا) الى أن اعداد مجلة ايسكرا التي طبعت في الفترة من مارس الى أغسطس ١٩٠٢ في ليدزج كانت ترسل الى ميناء باطوم بروسيا عن طريق طوبيل يهر من ليدزج الى برلين ومنها الى ميناء برينديزي الايطالى ثم منها الى الاسكندرية حيث يتم تخزينها سرا في مخزن تابع لطعم سياستوبل ويمتلكه روسي بلشفي هو يوستف بوزيفوفتش السذى يحتفظ بالاعداد لحين مرور

(١) مارسيل اسراييل المرجع السابق ،

وقاد بأحد السفن الروسية أسمة الحركى فيرييسوتسكى واسمه الحقيقي تريتيكوف وفى سبتمبر عام ١٩٠٢ ضبط البوليس المصرى مجموعة من أعداد ايسكرا قبل نقلها الى السفينة الروسية بروجرم ووصل تريتيكوف الى روسيا ليبلغ أن الاسكندرية مدينة خطرة بسبب يقظة البوليس ونشاط القنصل الروسى (١) .

وثمة شخصية استغلت النظر هي تيودور روزنشتين وهو اشتراكى روسى فر من روسيا القيصرية الى لندن ثم جاء الى القاهرة ليعمل محررا فى الجريدة الانجليزية التى كان يصدرها الحزب الوطنى ، ذى اجيبسيان استاندارد ، وقد ألف كتابا فيما بعد عن تاريخ الاحتلال البريطانى لمصر اسمه « حملار مصر » وقد انتهى من تأليفه فى ١٩١٠ ثم غادر مصر الى لندن ليشارك بلنت فى اصدار المجلة الانجليزية 'EGYPT' وهى مجلة منع كرومر دخولها الى مصر .

لكن الغريب فى الامر هو ما يرويه على احمد شكرى مترجم كتاب « دمار مصر » ، والذي قال أنه تعرف بروزنشتين شخصيا . . . فهو يقول « وعلى اثر شبوب ثورة البلاشفة عاد المسيو روزنشتين الى روسيا حيث اختاره لينين سكرتيرا خاصا له . ثم عينته الحكومة الروسية فيما بعد وزيرا مفوضا لها فى طهران » (٢) .

لكن البحث المتواصل أمكنه أن يجمع المعلومات التالية عن هذه الشخصية الفسدة :

- روزنشتين من مواليد ١٨٧١ فى بولتانا بأوكرانيا .
- كان من مجموعة الشعبيين حتى طلب القبض عليه فى ١٨٩٠ فهاجر الى لندن حيث درس الماركسية وانضم الى الحركة الاشتراكية البريطانية .
- فى ١٩٠١ انضم الى الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى حيث تعرف على لينين سنة ١٩٠٢ خلال وجودهما معا فى لندن .
- أصدر كتابه « دمار مصر » ردا على كتاب كرومر « بناء مصر الحديثة » .

(١) مراسلات لينين وهرثة تحرير ايسكرا الى منظمات الحزب فى روسيا من ١٩٠٠ الى ١٩٠٣ . الطبعة الروسية (ثلاثة مجلدات) موسكو - (١٩٦٩) ، رسالة رقم ١٤٦ - ص ١٨٥ .

(٢) روزنشتين ، دمار مصر ، ترجمة على احمد شكرى ، مقدمة المترجم .

ولم يقتصر نشاط هذه المجموعة على ذلك فقد ساندت العمال المصريين في اضراباتهم وفي احدى المظاهرات العمالية خرج اعضاء المجموعة ليحصلون علما أحمر مكتوب عليه « الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي (البلشفيك) » (١) .

وقازت ثائرة قنصل روسيا في الاسكندرية وطالب السلطات بتسليمهم فوراً ولقى القبض على ثلاث منهم وتُنشر الأهرام :

« لقي القبض في الثغر على ثلاثة من الروس اللاجئين اليه على اثر الحوادث التي وقعت في بلادهم ويقال أن أحدهم من حملة الاتيلاء (الكتاب) هناك - وسيمادون الي روسيا مخفورين وقد كان لهذا الحادث تأثير شديد بين النزلة الاوروبيين في الثغر » (٢) .

ويوضح هذا الخبر المنشور في الأهرام مسألة هامة هي أن مؤلا الروس قد وفدوا الي الاسكندرية « على اثر الحوادث التي وقعت في بلادهم » ولا شك أنها أحداث ثورة ١٩٠٥ كما يوضح أيضا أنه كان بينهم عندئذ من المثقفين (حملة الاقلام) .

ولعله من المفيد أن نخوقف قليلا عند حادثة الروسيين الثلاثة هذه .

ليس فقط لأنها تلقي بذلتها أضواء على النشاط الاشتراكي في ذلك الحين . . . ولا لمجرد أنها أتحقت ضجة كبيرة للغاية سواء في صفوف الاجانب عموما أو للصحافة . . . وإنما لأنها تعبر عن وجود أشكال تنظيمية كانت تتحرك وتتحرك مختلف القوى . . . ولأنها على أية حال تعطي لنا صورة عن أساليب العمل وقدرات الحشد ومجالات التأثير للجماعات الاشتراكية العاملة في مصر في ذلك الحين .

وبعد أن نُشر الأهرام خبر القبض على الثلاثة الروس في ١٩ يناير ١٩٠٧ نشرت المؤيد في ٢١ يناير مجموعة من المقالات حول هذا الموضوع :

« الاسكندرية - الحادثة الاسرائيلية الارمنية كاتيفا السكندرية .

(١) نيكولاي كوتساريف . من الف عام على الطريق . دار الهنا . القاهرة .

(٢) الأهرام - ١٩/١/١٩٠٧

وصلكم تليفونيا أمس واليوم ملخص ما حدث في شغرتنا من الهياج واللجاج ضد قنصلاتو روسيا واليكم التفصيل وما جرى بعد ظهر اليوم. وما تلاه من المظاهرات والمخابرات الرسمية والخطب. وعكسها وما اتخذته الحكومة من الحيطة لحفظ النظام .

هاجر مع من هاجروا من أنحاء روسيا ثلاثة انفجار روسيون ارملى واسرائيلى روسى ومسيخى ويقال انهم من لجان الثورة المحكوم عليهم بالاعدام وحضورهم لمصر لغاية شريعة . . ابلفت قنصلاتو روسيا ذلك الى الحكومة المصرية فقبضت على الثلاثة المتهمين ووجدت بين امتعتهم مواد انفجارية ايدت دعوى القنصلاتو الروسية . وبذلك لم يعد لهؤلاء الثلاثة صفة الجرمين السياسيين لينظر في امرهم نظر آخر يعين حكومة دستورية شعارها الحرية والامن كالحكومة المصرية كما هو مفهوم .

نقص الرواية بجملتها دون تحيز الى احد ولذلك ندع لليراع مجاله ليقول ما ظهر وما بطن من الامور . ذلك ان رؤوس الجماعة (يقصد الاجانب في الاسكندرية) تصدوا محافظ للثغر وسبأوه عدم تسليم الثلاثة الى قنصلاتو روسيا فاجابهم باسم الحكومة ان هذا من شئوننا فاجأوا الى مجتمعهم واوعزوا الى بعض الصحف الافرنجية بكتابة ما يحمل الشعب على السخط والحكومة على الرافة بهؤلاء المتهمين .

وقبل ظهر أمس علم الجماعة بالمسألة والظاهر ان مخابرات طويلة جرت في هذه المسألة فحضر جناب الفريد كمبوس الى حكمة المضاربة في البورصة وخطب على الجمهور حكاية المتهمين، وانهم سيبأفرون من بلاد الحرية والعدالة التي بلاد الجور والاستبداد . واستنهض منهم الناس بعمل ما يفهم الحكومة عدم رضا الغزلاء من هذه المجاملة الدولية التي تقضى على ثلاثة ارواح بالزهاق ظلما واستبدادا . فضج البعض لخطابه وكانهم في انتظار موقفه .

ويمضى الرسائل ليصف كيف سارت مظاهرة ضخمة تضم عامة الارمن والايطاليين والاروام والاسرائيليين لبدء سخطهم واستيائهم مع طلب استلام المتهمين من قنصلاتو روسيا التي اوصدت ابوابها ونوافذها ، ثم كانت مظاهرة اخرى يصفها الرسائل في نفس المقال وهي في الاساس مظاهرة عمالية .

وبعد ظهر أمس اى في الساعة الخامسة مساءً انتظم سلك جمع ثمان اكثر عددا وقوة بينهم بعض الفوضويين الايطاليين والارمن المستطيرين واليونان المعز اليهم وبالجملة ان التظاهرين بالحماس تشددوا بعدد من جمعية العمال

المختلطة فمروا من المنشية ضائحين الحرية ، الحرية ، فلتستط الروسياً
وليتسقط استبدادها وما زالوا على هذه النعمة مع الترنم بالشميد-الوطنى
الفرنساوى (المرسيلىز) الى ان وصلوا الى القنصلاتو الروسية . . .

ثم يصف مظاهرة ثالثة توجهت الى الميناء الغربية ، للعبث بالباخرة
الروسية الراسية في مرساها على الرصيف ظانين ان المتهمين الثلاثة قد انزلوا
اليها بقصد تسفيرهم الى أوروبا وانهم سينتزعونهم منها قوة واقتدارا
فاحاطوا بالباخرة غير مكترئين بخفوا السواحل وحرس الجمارك وخفواته
الذين كانوا في انتظار هذا النوكب الناثر الهائج . . . وقد صعد بعض التحسينين
وليسوا بالعدد القليل الى ظهر الباخرة فقابلهم ريانها بكل لطف ودعه وانكر
وجود من يطلبونهم وسمح لهم من باب المسألة ان يفتشوا الوابور ففتشوه
فعلا ولما لم يجدوا احدا نزلوا الى الرصيف صاحبين مهديدين فجاءت مضخة
اطفاء النار ومدت خرطومها لتهددهم به فقطعوه اربا بالمدى واعتصموا على
الخفراء ، وعندما جاءت - المضخة الكبرى يمانها الحار تهيئوا للمقاومة والشرف
وجرت ملاكمة بين احدهم ورئيس المطافئ الانكليزى ثم انصرفوا . . .

ثم يصف مظاهرة رابعة جرت في اليوم التالى حيث أحاط المتظاهرون
بمبنى القنصلية الروسية ، فرشقوها بالبيض والوحل والبصق والحجارة
وتطاول بعضهم الى سارتها الرسمية بواسطة تسلقهم على عمود الترام الثابت
امام بابها فانقزعوا الشاره والقوها الى الارض . . .

ثم توجهت المظاهرة الى البورصة ، التي عصت بالناس وكان فيهم
الروسى والارمنى واليونانى والايطالى وهكذا من كل صبغة وجنس واذا بالخواجا
أربيب الأسرائيلى يعتلى منصة جىء بها ليعلو بواسطة على كل عال فصق
له القوم ترحيبا به فقال يجب على الاسكندرية أن تبتل غدا اعمالها التى ان
تبلغ غرضها تجاه المقبوض عليهم ظلما ويجب على كل فرد منا بحكم الانسانية
ان لا ياكل ولا يشرب فى الغد الى ان ننال امنية العدل من الحكومة فصاح
الجميع الحرية الحرية وصفقوا له فاستفاد الكلام وهو يرتجف غيظا
وانقاعا . . . (١) . . .

وهكذا . . . تبدو الصورة واضحة . . . كيف استطاعت العناصر الاشتراكية
بالاسكندرية ان تجمع حولها مجمل الجاليات الاجنبية تقريبا فى هذه المعركة
وان تحشدها فى مظاهرات صدامية صاخبة وان تصعد المعركة الى الاضراب
العام بل والى الصيام عن الطعام والشراب تضامنا مع الثوريين الروس
الثلاثة . . .

(١) المؤيد ٢١ - ١ - ١٩٠٧

وكتذكرك كان الأمر في القاهرة ففي ٢١ يناير كانت المظاهرات أيضا صاخبة
وتصيف المؤيد الجالة قائلة ، في الساعة الثانية عشر تماما ابتدأت حركة
الناس في الجورجية وإمامها يزداد بحيث لم تنتصف الساعة الواحدة حتى
كان عدد المتظاهرين والمفرجين نحو الألف تقريبا ، فوقف في الجمع جهارا
أمام النيورصة وفي الشوارع العمومي المدعو باطيطي وهو مهندس إيطالي في
الخامسة والثلاثين من عمرة وتكلم بحماس قائلا أن الأمن على الخيرية
الشخصية في مصر أصبح مهددا إذا صح أن يؤخذ الأفياء الروسيون - الثلاثة
الى روسيا حيث يلقون القضاء عليهم من غير محاكمة ، ولكن لا تباينوا يا نصراء
الإنسانية وضحوا جميعا بلسان واحد لتحي العدالة ، ثم سارت المظاهرة وهي
تهتف ، لتحي العدالة وتحي الحرية وينشدون النشيد الفرنسي بحماس (١)

وتصيف المؤيد اجتماعا آخر لكيار رجال الجاليات الاجنبية عقد ، في منزل
الكونتنتال ، وقد وقف في المجتمعين ويبلغ عددهم نحو المائتين بعض مذهب
للخطابة وتكلم مسيو روسي ومسيو بنزراكي وفورغوف وشالوم الا أن خطاباتهم
كانت معتلة غير هياجية وعلى أثر هذه الخطابات تالفت لجنة مكونة من مسيو
بنزراكي وروسى وفورغوف وفيبييه وكولرا وذهبت الى دار القنصلات الروسية
لمقابلة معتمد الدولة الروسية السيامي فقابلهم أحسن مقابلة .

ولكى ندرك مدى قدرات الجماعات الاشتراكية وسط الجاليات الاجنبية
سواء على الحشد أو التنظيم أو سرعة الحركة نورد هذه الملاحظة التي اوردتها
المؤيد في دهشة وفي أثناء ذهاب هذه اللجنة الى دار القنصلاتو طبع بعضهم
إعلانا بالخط الكبير واللغة الفرنسية قيل فيه أن جواب جناب سفير روسيا
على اللجنة المشكلة في صالح الدلائل الروس سيبلغ في تياترو النوفوتية بشوارع
كامل الساعة السادسة مساء ، فكان هذا الاعلان الموزع على الناس في القهاوي
والمجال العمومية في جميع أنحاء العاصمة في بحر ضاعة واحدة بمثابة استدعاء
الى المشاركة في المظاهرة لانه ما جاءت الساعة السادسة مساء حتى كان عدد
عظيم من الخلق أمام تياترو النوفوتية فدخلوه حتى غص بهم ، (٢)

كذلك توجه وفد من المتظاهرين لمقابلة اللورد كرومر طالبين عدم تسليم
الروس الثلاثة لقنصلهم والتحقيق معهم بمعرفة السلطات المصرية .

(١) المؤيد ٢٢ - ١ - ١٩٠٧

(٢) المؤيد ٢٢ - ١ - ١٩٠٧

لكن سلطات الاحتلال كانت قد حزمت أمرها وتررت توجيه ضربة للنشاط الاشتراكي وسط الجاليات الأجنبية المقيمة في مصر ، وبث الذعر في صفوف القائمين به شاجرة في وجوه الجميع بمساح ترحيلهم من مصر وتسليمهم لقنصل بلادهم . . .

وتواصلت المعركة واستخدم فيها سلاح المنشورات .

وتنشر جريدة الاهرام نص منشور وزع في القاهرة ، أيها الرفاق . . . اذا كانت المظاهرة الهادئة المنظمة التي اشتركنا بها طالبا للمحافظة على كرامة اللجا لم تنتج النتيجة التي يريدها الاسكندريون ، فمن الواجب لصالح ضحايا الظلم اتخاذ وسائل فعالة حتى ننصر الحرية والانسانية . . . من الواجب على كل انسان في هذه الظروف الحرجة أن يكون مستعدا للعمل وان يلبي الدعوة عند الحاجة لمقابلة الشدة بالشدة . . . فليعش الشعب الروسي وليبسقط التيسر السفاح ، (١) .

وتواصل سلطات الاحتلال توجيه ضرباتها للتجمعات الاشتراكية تهدت اضعاف نشاطها وتخويف المنتمين اليها من الابعاد عن مصر والتسليم لقنصلهم . . . وتبدأ سلسلة من المحاكمات السريعة التي تستلقت النظر في سرعتها تبعد مظاهرات ٢١ يناير بالاسكندرية بدأت المحاكمات في اليوم التالي مباشرة وتنشر الاهرام :

د حوكم اول امس امام محكمة الاسكندرية الاهلية . . . هركيز اكسيان تربيسيان الارمني وعمره ٢٤ سنة وحرقته خياط وديمترى استقاراتى وعمره ١٩ سنة وحرقته اسكافي ، ومانولى جرمانى وحرقته خمار لاتهامهم بانهم اهانوا جلالة قيصر روسيا وانزلوا على الارض الشعار الروسى . . . ولا يزال التحقيق جاريا عن أعمال عشرة آخرين ، (٢) .

وفي ١٠ فبراير تنشر المؤيد د روت الغازيت ان قنصلية فرنسسا في الاسكندرية تواصل التحقيق في القضية التي رفعتها الحكومة المصرية وقنصل روسيا على مسيو كانيئة محرر الريفورم بسبب ما كتبه في نصرة المتظاهرين لصلحة المجرمين الروسيين .

(١) الاهرام ١٩٠٧/١/٢٤

(٢) الاهرام ١٩٠٧/١/٢٤

ومتى انتهت القنصلية الفرنسية من التحقيق تقرّر هل القانون
الفرنساوي يعتبر المحرر مذنباً ومستحقاً للمحاكمة (١)

وفي ١٣ فبراير تنشر خبراً آخر حددت قنصلاتو النمسا يوم غد للمحاكمة
الخواجة الفريد كمبوس لاثباته بزعامة المظاهرات التي حصلت ضد
قنصلاتو روسيا (٢)

وهكذا يتضح أن قناصل الدول قد تواطؤوا مع اللورد كرومر وسلطات
الاحتلال على توجيه ضربة لتلك التجمعات الاشتراكية الأجنبية التي تواجدت
في مصر محتمية بالامتيازات الأجنبية التي تكفل لهم حق المحاكمة أمام قناصلهم
فاذا بالقناصل يشددون الفكر عليهم

كذلك يبدو اهتمام سلطات الاحتلال بقصّ أجنحة هذا النشاط من
أصرارها على تسليم الثلاثة الروس رغم عدم التزام الحكومة المصرية بتأي
معاهدة نقض تسليم المجرمين (٣)

بل ويبدو هذا الاهتمام أيضاً من تخصيص الحكومة لقطار خاص لنقل
المقبوض عليهم الثلاثة إلى بور بنعيد سرا تمهيدا لترحيلهم إلى روسيا
من هناك (٤)

أما هؤلاء الثلاثة الذين أثاروا كل هذه الضجة والتي لم نجد في صحف
هذه الفترة أية إشارة لاسمائهم فإن ملفات التحقيق معهم قد أثبتت « أن تاريخ
حياة المذكورين وأن تحريرهم محضاً ضبطاً لديهم يدل على تبعيتهم لأحدى لجان
الثورة كذلك فإنه من الثابت أن الثلاثة المذكورين روسيون ارتكبوا جرائم
سياسية في بلادهم وحكم عليهم بأحكام أقربها حكم صادر ضد أحدتهم لمناسبة
الاعتصاب الذي وقع أخيراً في أوديسا وأنهم جاءوا إلى الإسكندرية محتجين
في أرض مصر (٥)

(١) المؤيد ١٩٠٧/٢/١٠

(٢) المؤيد ١٩٠٧/٢/١٢

(٣) راجع المذكرة القانونية التي رفعها بالنيابة عن الجاليات الأجنبية
في مصر لسالوم ، ن . روسي إلى اللورد كرومر بشأن طلب عدم تسليم
الروس الثلاثة إلى قنصلهم والمؤرخة في ١٩٠٧/١٠/٢٢ والنشر في
المؤيد ١٩٠٧/١/٢٨

(٤) المؤيد ١٩٠٧/١/٢٨

(٥) المؤيد ١٩٠٧/١/٢٩ مقال « الخطر من سلطة القناصل كيف
يتقى » ، ٤٩

وإذا كانت المؤيد والأهزم قد اتخذتا من هذه الحادثة موقفاً فيه قدر من
الافتقار لحركة الاشتراكيين الأجانب فإن اللواء جريدة الحزب الوطنى قد
اتخذت موقفاً آخر .

ففى تعقيب لها على ما نشرته المؤيد من وصف للمظاهرات اختتمته قائلة :
« وأنا نحمد الله على أنه لم يكن بينهم مصرى مسلم على الاطلاق ، . . . شنت
للواء هجوماً قالت فيه : ان المؤيد قد تغافل كثيراً مما كان يجب عليه ازاء هذه
القضية سواء من حيث خطته أو الشعور الاسلامى فى مصر . . . وإذا كان
يحمد الله على أنه لم يكن بين أهل المظاهرة مصرى مسلم على الاطلاق
فانما يحمد الله على موت الشعور الحى بين مواطنيه المسلمين والحقيقة ان
الوطنى المصرى الحر ينبغى له أن يبكى دما عسداً يرى أن لا أثر للمسلمين
فى مثل المظاهرات لان ذلك دليل على أن المسلمين ما زالوا لم يدركوا ما هى الحرية
الحقيقية ، وما هى الوظائف الانسانية . . . ولذلك كان ينبغى على المؤيد الذى
لا تخفى عليه كل هذه الحقائق ويقدر ما لها من التأثير فى حياة الأمة المصرية
والأمة الاسلامية أن يحض المسلمين عن أهل مصر على الاشتراك فى مثل هذه
المظاهرات ، (١) .

وهكذا فإن هذه المعركة لم تمض بلا أثر ، حتى بالنسبة لجمهور المصريين
ولعل هذا التأثير لم يكن بعيداً عن تلك المظاهرات الصاخبة التى لم تلبث أن
تفجرت بعد أشهر قلائل والتى نظمها العمال المتعطلون . . . وغيرهم .

الايطاليون :

كان العمال الايطاليين يفتدون الى مصر بكثرة وقد اهتم الحزب الاشتراكى
الايطالى بتنظيمهم وايضاً كوادراً اشتراكية معهم . الى حد أن لورد لوييد
كتب يقول : ان الحزب الاشتراكى الايطالى كان نشطاً فى مصر نشطاً
لا يقل عن نشاطه فى ايطاليا ، (٢) .

والحقيقة أن لهذا النشاط تاريخاً قديماً ، ففى أثناء ثورة عرابى ١٨٨٢
وعندما وقف معظم الأجانب ضدها أرسل العمال الايطاليون رسماً وقدموا

(١) اللواء ١١/٢/١٩٠٧

(2) Lord, L.Loyed — Egypte, Since Crommer P. 353

كامبني ، رئيس جمعية العمال الايطاليين بالاسكندرية ، التي البارودي رئيس وزراء الثورة يعلنون فيها تأييدهم لاهداف الخبز الوطني . المصري ، وأمانتيه الوطنية ويستتكرون التدخل الاجنبي (١) .

والحقيقة أن مجموعة الاشتراكيين الايطاليين كانت أكثر من المجموعات تنظيميا ، ولجات الى الاساليب التي توحى بوجود عمل حزبي منظم خلفها .

فقد كانت منشوراتها تغمر المدن الكبرى في عديد من المناسبات وقد طابعت منشورهم دفاعا عن الثلاثة الروس كما انهم أسسوا في الاسكندرية الجامعة الشعبية الحرة ، لتعليم العمال (٢) .

ولعل اهم ما يلفت النظر في فكرة الجامعة الشعبية الحرة ، هي انها كانت فيما يبدو أكثر من مجرد محاولة لتعليم وتثقيف العمال ، فان نظرة على مجلس ادارتها الذي تكون في ١٣ مايو ١٩١١ تشير بأنه كان يضم عددا من غير الايطاليين . . . مصريين ويونانيين وأرمن . . .

بما يوحي بان الهدف كان ايجاد تجمع . . . من مختلف الجنسيات ومن بينها المصريين لادارة الجامعة الشعبية . . . ونشر الافكار الاشتراكية . . . التي كرسها الجامعة برنامجها اساسا لتقديمها للجمهور . . .

ولنطالع بعض أسماء مجلس الادارة فانها تقدم لنا صورة كافية : د . مودينوس ، د . كامبيني ، المهندس كولو . ومع هؤلاء أسماء توحى بانها يونانية مثل باباداكيس ، ل . ا . بياجيني لكن هناك أيضا أسماء مصرية مثل عثمان الخدي . . . وهناك بالطبع القاسم المشترك في كل تجمع تقدمي ج . روزنتال (٣) .

ولعل اهم ما يلفت النظر هو قدم هذا النشاط . . . فئمة وثيقة تشير الى نشاط تقديم للاشتراكيين الايطاليين . . . هي رسالة من مهرداد ختوي مؤرخة في ٨ جمادى الثاني ١٣٠٠ هجرية موجهة الى ناظر مجلس النظائر تفتت النظر الى خطورة نشاط جمعية الانتزاسيونالي الايطالية في الاسكندرية ، (٤) .

(١) رفعت السعيد ، الاساس الاجتماعي للثورة العربية . دار الكاتب

العربي ص ٢٣٥ .

(2) Jacques Berque — L'Egypte Impérialisme et Révolution.

(3) Le Phare d'Alexandrie — 13-5-1901.

(٤) دار الوثائق القومية - مخفظه ٨١٠ داخلية افرنكي .

•• ولقد استمر هذا النشاط متواصلاً وفاعلاً منا. بقيت في مصر جالية
إيطالية كبيرة العدد •

وأخرون:

ولم تكن هذه هي كل الجهود التي بذلت على أرض مصر ، فقد كانت
هناك جهود أخرى كثيرة فهناك جدى انجليزى اسمه فكتور أستور كان
عضواً بحزب العمال وحضر الى مصر ضمن قوات الاحتلال ابان الحرب
العالمية الاولى •• وقد لاقم أستور علاقات وثيقة بعدد من المثقفين المصريين
ذوى الميل الاشتراكية ••• ويشير عبد الرحمن فضل الى وجود عدد من
البلغار الذين أسهموا معهم في العمل الحزبى من بينهم بعض سائقى التاكسى،
الذين كانوا يستخدمون في نقل المواد الحزبية (١) •

كذلك يقول د • عبد الفتاح الفاضى ان فتاة بلغارية اسمها « بوبوفا »
اتصلت به خلال وجوده في ألمانيا عام ١٩٢٠ ولقنته الماركسية (٢) •

والحقيقة انه لابد من بذل مزيد من الجهود. بحثاً عن تاريخ هذه المجموعات
الاجنبية التي أسهمت في بذر بعض بذور العمل الاشتراكي في أرض مصر ••

والصريون أيضاً •••

وكان لابد للمثقفين المصريين من أن يتأثروا بكل ذلك وبتطور الاحداث.
في مجتمعتهم وبنمو النضال العمالى الامر الذى طرح قضية الاشتراكية امام
أعينهم ••

ولا شك أن علاقات الحزب الوطنى بالقوى الاشتراكية قد أثرت في
جناح من أعضائه وخاصة من الشباب فيه •

وفي ١٩٠٧ وزع منشور في مدينة القاهرة بتوقيع شباب الحزب الوطنى
« يدعو المصريين الى دراسة الاشتراكية والاهتمام بها » ومن بين الموقعين
ش. هذا المنشور سلامة موسى وصالح الجهنساوى •

وقد تركت ثورة ١٩٠٥ في روسيا و ١٩٠٨ في تركيا وايران أصداء هامة
وسط المثقفين المصريين •• (٣) •

(١) راجع محضر النقاش معه •

(٢) اتضح من البحث عن هذه الفتاة أن الرفيق ديمتروف كان يعمل
معه خلال اقامته في ألمانيا رفيق بلغارى اسمه بوبوف ••• ومن المحتمل ان
تكون هذه الفتاة أخته •

(٣) لأكور - المرجع السابق ص ٣٢ •

ولكم يبدو مثيرا للاهتمام والدهشة معا، ان تجد ثورة ١٩٠٥ في روسيا
انعكسية انعكاسا سريعا ومكثفا كذلك الذي وجده في مصر ..

فالامر لم يقتصر على بعض اخبار نشرت في الصحف .. وانما اليس
غريبا، ان يصدر في القاهرة، وفي نفس العام ١٩٠٥، كتاب بعنوان « اسرار
الثورة الروسية » .. يكتب مؤلفه خليل بك سعادة في مقدمته قائلا :
« سيكون للثورة الروسية التي لا تزال حتى الساعة نارها في اضطرام
واوارها في استعار من تغيير شئون الجنس البشرى ونهضة الامم ما كان
لثقيقتها الثورة الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر من الضرب على
يد الجور الائمة وكسر اغلال الظلم وتقيود الاستبداد والتسروج بنى
الانسان من دياجير الجهل والاوهم الى نضاء الحرية ومناهل العمران » (١)

ويؤكد لاكور ان الخلايا الاشتراكية الاولى وجحت في مصر في عام
١٩١٨ وتناثرت في المدن الكبرى مثل الاسكندرية .. القاهرة - بور سعيد .

كذلك لا يمكننا ان نتجاهل اقدام النصوري على تاليف كتابه عن
الاشتراكية وانتشار الخचित عن الاشتراكية في الصحف المصرية انتشارا
يوحي بوجود قوى اشتراكية مصرية تحركه ، كذلك يمكننا تقويم النفوذ الفكري
للإشتراكية في مصر من خلال دراسة ردود الفعل على العناصر الترجمية التي
سرعان ما اخست بالخطر واخذت تترجم عن عجل كتابات معادية
للإشتراكية مثل كتب جوستاف لوبون وغيره .

لكن اكثر ما يثير الانتباه في هذا الصدد هو ان اجهزة الامن التي كانت
تتابع أنشطة الاشتراكيين الاجانب قد اشارت اكثر من مرة الى اهتمام
هؤلاء بالتمرف على عدد من المثقفين والافندية المصريين ونشر الافكار -
الاشتراكية بينهم ..

كما تشير هذه التقارير الى اهتمام هؤلاء الاشتراكيين الاجانب بتعلم
اللغة العربية كمعبر ضروري للتفاهم مع المصريين . وتشير كذلك الى اهتمامهم
بطبع « ادبيات » ماركسية باللغة العربية .

كذلك فان وثائق اجهزة الامن تسجل بدايات هذا التلاحم بين
الاشتراكيين الاجانب والاشتراكيين المصريين .. سواء في الاحتفالات

(١) خليل بك سعادة - اسرار الثورة الروسية - مطبعة القهظن بمصر

(١٩٠٥) الصفحة ج

المبكرة بعيد اول مايو حيث رصد رجال الامن النشيطون وجود افسندية مصريين بين الجالسين او في صفوف الاندية الثقافية والجماعات ذات التوجه الماركسي مثل « نادى الدراسات الاجتماعية » و « جماعة الوضوح » .

ويقول أحد هذه التقارير « ان من بين أعضاء جماعة الوضوح Clarte اثنان من الافندية أحدهما يسمى عبد النعم » (١) .

كذلك تصاعد النضال العمالي المصري وازدادت اضرابات العمال عندما وتنظيما الأمر الذى يوحى بتزايد الوعى الطبقي بينهم .

ولا شك أن نجاح ثورة أكتوبر ١٩١٧ قد ترك آثارا هامة وسط المثقفين المصريين .

يقول مارسيل كولب « ان الثورة الروسية ١٩١٧ والنداءات التى وجهتها الدولية الثالثة فى السنين التالية « الى فلاحي وعمال الشرق الأدنى » و « الى مسلمى العالم ضحايا الاستغلال » قد تركت أصدا ذات اثر فى المراكز الكبرى وخاصة فى الاسكندرية وهى بطبيعتها مدينة دولية » (٢) .

وعندما اشتملت ثورة ١٩١٩ ولعب العمال والفلاحون دورا ثوريا بارزا فى احداثها أسهم ذلك اسباما كبيرا فى دفع العمل الاشتراكي فى مصر خطوات كبيرة الى الأمام .

ولا بد أن نشاطا كبيرا قد حدث ، اتى الحد الذى دفع سعد زغول أن يوجه رسالة سرية من باريس بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩١٩ الى اللجنة المركزية للوفد يقول فيها « الوفد غير راض عن المنشورات التى تفيد اعتماد المصريين على الألمان أو تتضمن الانتصار للبليشفيك فان هذه المنشورات يستفيد منها اعداؤنا للقول بأن الحركة المصرية المصرية لها اتصال بالألمان وبالحركة البليشفية » (٣) .

وقد بدأت الصحافة الانجليزية فى مصر حملة ضد ما أسمته بالخطر البليشفي (٤) .

(١) الارشيف العام - تقرير بعنوان Clarte

(2) MARCEL COLOMBE — L'Evolution de L'Egypte 1924-1950.

(٣) محمد أنيس ، دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ص ٢١ .

(٤) اجيسان ميل ١٩١٩/٤/١٦ .

وتصاعدت هذه الحملة الى حد ، ان الجنرال ولسون قائد قوات التدخل
البريطانية في القوتاز ارسل تقريراً الى حكومته ينصح فيه بالجلء الفوري
عن المناطق المحتلة في القوتاز لتركيز القوى اللازمة للدفاع عن بعض المناطق
الهامية في الامبراطورية وخاصة مصر والهند اللتين يتهددهما التأثير
البلشفي (١)

وفي اعتقادنا ان هذه الحملات مبالغ فيها جدا . صحيح ان نشاطا
اشتراكيا واسعا قد جرى في مصر ذلك الحين ، لكنه لم يصل الى الحد
الذي يدفع بريطانيا الى سحب قواتها من أماكن اخرى لحشدتها في أرض
مصر

والحقيقة ان قوات الاحتلال قد بالغت متعمدة في اثاره الفزع مما
اسمته بالثورة البلشفية للوشيكه التوسع كسبيل لاحافة قيادة الوعد
والطبقات الوسطى من الحركة الثورية النشطة للعمال والفلاحين في ذلك
الحين ، بل وكسبيل أيضا لازعاج كل القوى الوطنية والايحاء اليها بان
انتشار الشيوعية في مصر سيؤدي ببريطانيا الى رفض منحها الاستقلال
ولا بد ان هذه الفكرة الاخيرة قد سيطرت على اذهان الكثيرين الى حد ان
مؤسسي الحزب الاشتراكي المصري قد طرحوها للنقاش فيما بينهم عندما شرعوا
في تأسيس الحزب

فقد كتب سلامة موسى قائلا ، ربما كان الوقت الحاضر أسوأ الاوقات
لتأليف هذه الجمعية فاننا في مازق سياسي لا ينبغي ان نزيده حرجا بما
يمكن ان يتخرب به المعارضون لاستقلالنا في انجلترا من ان في مصر شيوعيين
وبلشفيين .

ويقول سلامة موسى ان مؤسسي الجمعية يحثوا هذه المسألة وقرروا ، ان
التخوف من اقامتها قد لا يكون عائقا في سبيل المناقضة الحاضرة .
فان اكثر اعضاء الجمعية المزمع تأليفها يحسنون اللغات الاوروبية المهمة
ويجيدون كتابتها ولن يقصروا عندما يرفع الاستعمار عقيرته ويندد بنا ،
في الرد عليه وانحامه ببيان لغته (٢)

ولقد شاهدنا كيف اثرت هذه الدعاية في سعد زغلول فكتب رسالته الى
اللجنة المركزية للوفد . وقد اثرت أيضا في مكري اباطة الذي كتب ، ان

(١) مارسيل اسراييل . المرجع السابق

(٢) الأهرام ١٨/٨/١٩١٩

مصر البائسة ، مصر المستعبدة ، مصر الراسفة في الاغلال همها الوحيد في الوقت الحاضر أن تبحر عن حريقها .. وأن تتوجه الى مكان البحث كتلة واحدة ثابتة قوية التركيب ، حتى لذا حصلت على استقلالها المنشود وصفت الحساب بينها وبين المنتصب استطاعت أن تتفرغ لفض مشاكلها الداخلية .. ، (١) .

ان هذه المبالغة المتصودة كانت تستهدف تخويف كل القوى الوطنية من الاشتراكيين وايامهما بان تاسيس الحزب الاشتراكي خطر على الاستقلال .

ويحفل في باب المبالغة أيضا ما قيل من أن الفلاحين المصريين قد أسسوا خمسة سوفياتيات مستقلة خلال ثورة ١٩١٩ .. وقد راجت هذه الفكرة في كثير من المؤلفات عن هذه الفترة من تاريخ مصر ولا شك ان قائلها يقصدون تلك الجمهوريات المستقلة التي أعلنت في زفتى والمطرية ، الخنيا ، وغيرها ولسنا نعتقد أيضا ان مؤسسها كانوا يستهدفون إقامة سوفياتيات بالمعنى الصحيح للكلمة ولكنهم ربما طبقوا شعار الاستيلاء محليا على السلطة ولكن لتحقيق أهداف وطنية ويهدف خلق نشاط ارتكاز للعمل الثوري المعادي للاستعمار والدليل على ذلك ان قادة هذه الجمهوريات المستقلة قد اكتفوا بالاطاحة بممثلي سلطات الاحتلال ولم ينتخبوا أي اجراء يتعلق بالملكية أو بأسس توزيع الثروة .

وهكذا كانت ثورة ١٩١٩ والانتفاضة الثورية العنيفة التي خاضتها الفلاحون والعمال خلالها واحدة من العوامل التي ساعدت وشجعت الاشتراكيين المصريين على رفع رايات النضال .

(١) اللواء ، ١٩٢١/٩/٥ .

إعلان الحزب الاشتراكي

كانت الظروف الاجتماعية تنضج سريعا ، وتلاحقت معها الصيحات الشجاعة للعمال والفلاحين الذين واجهوا الاستعمار بالسلاح فاذا بالقيادة الوفدية ترتعد ، وتصرخ وتنبئ هؤلاء المتمردين .

ومكذا كان لا بد من قيادة جديدة . . تمثل هذه القوى التي تجرحت في عطف محطة الاضرار الذي رسمته القيادة الوفدية .

لكن كيف بدأ العمل ؟

كانت هناك سلسلة من المحاولات . .

وقد رأينا في فصل سابق كيف حاول البعض (منصور فهمي وعزيز ميرهم) تأسيس حزب اشتراكي لكنه تحول تحت ضغط العناصر الليبرالية اليمينية الى مجرد حزب ديمقراطي .

ولقد حدد الحزب الديمقراطي مكانه باعتباره وسطا بين اليمين واليسار . هكذا قال عزيز ميرهم سكرتير الحزب . . ولما كانت العناصر المتأخرة (الرجعية) شديدة المراس في البلاد المصرية كان من المصلحة ان يقوم فيها حزب اشتراكي قوى يلزم حزبا الديمقراطى بالتزام الوسط كما هو شأن الأحزاب الديمقراطية غير الاشتراكية في جميع البلاد المتقدمة (١) وكانت هناك المحاولة التي قام بها روزنثال . . الذي يروى في شهادته الاسلوب الذي اتبعه لتأسيس حزب اشتراكي مصري . .

و كانت النقابات مسيرة لاغراض سياسية مختلفة تتبع الأحزاب النامضة بالتضحية الوطنية في البلاد كالرفد والحزب الوطنى وغيرهما . . وكان من رأبى ان نشئ، للطبقة العاملة مراكز للدفاع الاقتصادى والتربية الفكرية ولبهذه العناية نشرت في غضون عام ١٩٢٠ نداء الى النقابات العاملة ادعوها .

(١) الأهرام ١٩٢١/٩/٢

التي تأسيس اتحاد يضم شملها جميعا فتلقت هذا النداء بالقبول والاجماع
 وارسلت الى الامكنة منقوبين من قبلها يمشون ٢٥ ألفا من العمال
 للاشتراك في البحث في الميثاق ، غير أن رؤساء النقابات التمشيعين بالفكرة
 للسياسة شعروا اذ ذلك بان انشاء النقابات الحقيقية بطريقة تراعى فيها
 حالة العمال يؤدي الى ضياع كل ما لهم من السلطة بظلمة ويحول دون
 الوصول الى اغراضهم السياسية فسعوا سعيا جديا لحمل نقاباتهم الى
 عدم الاشتراك بالاتحاد وظنوا يماطلون في التدابير الاولية سنة كاملة وفي
 بدء ١٩٢٦ تمكنوا من تأسيس اتحاد النقابات بعدد محدود لا يتجاوز ثلاثة
 آلاف من العمال ولما تمكنوا تروى أن النقابات لا تستطيع أن تتدخل بتدخل
 فعليا في الامور السياسية كونها مؤلفة من عمال مختلفين ووفى نزعات
 سياسية متضاربة ، فكرنا في تأسيس حزب سياسي يكون بمثابة لسان حال
 نقابات العمال ويكون في استطاعته ان يدافع عن مصالحهم في المجلس النيابي
 وغيره ويسعى لحمل الحكومة على اقتدار قانون اجتماعي لحماية العمال
 المتروكين تحت رحمة الرأسمالية بظلمها . وعملا بهذه الفكرة انشأنا الحزب
 الاشتراكي .

ومن هذه الكلمات نستخلص ما يلي :

١- أن النفوذ اليساري وسط الحركة النقابية كان الذي خد ما
 قويا .

٢- ان النقابيين من حزب الوفد والحزب الوطني قد عارضوا بشدة
 هذا النفوذ اليساري .

٣- ان الحزب الاشتراكي الذي استتبع روبرتال تاسيسه قد نتج
 أساسا من خلال معركة عمالقة تستهدف توحيد العمال .

٤- الحقيقة ان الفضال النقابي كان سبباً لقيادة الكثيرين من المناضلين
 العماليين الى صفوف الحزب الاشتراكي .

٥- وفي الكلمات التالية يجاوبنا
 عبد الرحمن فضل وهو واحد من طلائع الاشتراكيين في مصر ان يروي تجربته
 وقصة انضمامه مع زملائه الى الحزب الاشتراكي .

٦- لقد تزعت أميناً ثائرة ١٩١٩ (عزوح العمل الجماعي) . وكنا قد تأثرنا
 بزوح الحزب الوطني في تأسيس النقابات وفي تقنينه في خلق العمل
 بالبحيرة وهو تابع لشركة انجليزية لاستصلاح الاراضي أسسنا نقابة عمالية
 كجزء من موجة النقابات التي انتشرت في أعقاب ثورة ١٩١٩ وكان يرأس
 النقابة عبد الحميد أفندي العسال الذي كان يثق عليها من ماله الخاص

ويعاونه محمد أئندى سلامة، وأنتا... وانتسح نشاطه النقابية في مواجهة ضغط أصحاب الشركات وتدخلت الاتحادات العمالية في دمنهور والاسكندرية لتأييدها هناك وعن طريقهم انضممنا الى الحزب الاشتراكي (١) .

ولم يكن هذا هو السبيل الوحيد للعمل الجماهيري الذي شغفه روزنتال في طريق تأسيس الحزب فقد نظم حملة جماهيرية للمطالبة بتحسين الاجازات المساكين من خلال اتحاد المستأجرين . وقد نجحت هذه الحملة نجاحا كبيرا قال عنه روزنتال في شهادته امام النائب العام ، لقد وافق هذا البعير هوى في نفس الجيمور فهبت الصحف تساعدن في هذه الحملة ويشيرت باسمي اسمي مرارا ، (٢) .

وهكذا يلتقي طريقان يولدان معا . ممكنات حقيقية نغشوا حزب اشتراكي فاعل .

فالحركة الوطنية تتألق في اوج نشاطها وحيويتها . وحركة الطبقة العاملة تتصاعد . . . ولقد لعب الحزب منذ ايام نشأته الاولى دورا بارزا في تعميق وتأكيد دور الحركة العمالية في ايام نهضتها الاولى . (٣) .

لقد أصبح الجو مهيأ للعمل ولاعلان الحزب . . .

لكن النجم يؤكدون أن الحزب كان موجودا من قبل وان روزنتال كان قد أسس فعلا حزبا من الاجانب في الاسكندرية . . .

اما الجديد فهو ظهور جماعة من المصريين تسمى لتأسيس حزب اشتراكي مصري . . . والاسماء كثيرة ، سلامة مويى ، د . علي العناني ، محمد عبد الله عنان ، الشيخ صفوان أبو الفتح ، أحمد المدني ، حسنى العرابي ، أنطون مارون ، حسين نامق ، حسن محيسن والشيخ عبد اللطيف بحيث . . .

ويقول علي العناني « ان النفس الثائقة منذ امد بعيد التي وجود اتحاد اشتراكي من الوطنيين . » (٤) .

(١) عبد الرحمن فضل - مخطوط لم ينشر بعنوان « مقدمة لتاريخ الحركة العمالية في مصر » وراجع ايضا مجلة المصور ١١/٣/١٩٦٦ صبري ابو الجند مقال بعنوان « هذا الحزب المصري تدريس قضيته في كلية الحقوق . » (٢) الاهرام ١٩٢٤/٣/٧ .

(3) Selma Botman — The Rise and Experience of Egyptian Communism — Studies in the Comparative Communism-vol. XVIII No.1 Spring 1985:P.49

(٤) الاهرام ١٩٢١/٨/١٩ .

ويقول سلامة موسى: إن الدكتور النخاس هو جماعة من الشيعة
 المسيحية رأيا تاليف جمعية اشتراكية ليدرس مذاهب هذا المذهب
 المتعددة (١) ويقول سلامة موسى في مقال نشره في اليوم التالي بالأهرام بعنوان
 الاشتراكية المصرية: إن الجمعية المذكورة من أجلها من أجلها
 اجتماع عدد غير قليل من الاشتراكيين المصريين - واكثرهم من الذين
 عينوا بأنفسهم النضال القائم في أوروبا بين رأس المال والعمل - وقد رأيتهم
 على تاليف جمعية تضم شملهم وتمكنهم من المذاكرة في بزوع هذا المذهب
 وتطبيقه على الأحوال المصرية (٢)
 وتستخرج التي رواية أخرى من واحد من أقدم الاشتراكيين المصريين
 مصطفى حسين النصوري

وصفتي خطاب باللغة الفرنسية يدعوني إلى اجتماع سينعقد في إحدى
 القوالب أمام حديقة الأزبكية ويشرح فيه أحد الأجانب نظرية الاشتراكية .
 وفي هذا الاجتماع قابلني كل من سلامة موسى وعبد الله غنان ولم يكن أعرفهما
 من قبل . حضر الاجتماع حوالي عشرين شخصا
 وتعد يومين أو ثلاثة يستدعي النصوري لمقابلة محافظ القاهرة
 فلما ذهبت إلى محافظة القاهرة وجدت من حضر الاجتماع
 هناك واستقبلنا المحافظ وسألنا عن سبب حضورنا للاجتماع فعرفنا
 بأنها خضرتنا من باب حب الانتطال وندعوة من جهة النضال . إن المحاضر
 شيوعي ونضحنا بعدم العوزة
 وهكذا يمكن الصورة أن تتضح
 * روزنتال اشتراكي أجنبي يتمتع بخبرة واسعة وبوضوح نظري
 وعلاقات قديمة بالعمل النقابي ويستفيد من ذلك ومن تفوذه وسط النقابيين
 بالأمكندرية ووسط الأجانب فيحاول أن يؤسس حزبا اشتراكيا بين الأجانب

أساسا ومن خلال العمل النقابي والعمالي والأنشطة الأخرى
 * مجموعة من المثبتين المصريين - معظمهم كما يقول سلامة موسى - من
 المثقفين المتأثرين بالفكر الأوروبي لكنهم عشتقون ذوقا فكياية محترمة في
 (١) الأهرام ١٤/٨/١٩٢١
 (٢) الأهرام ١٨/٨/١٩٢١
 (٣) الشيخ عز الدين ، النصوري ، سيرة مثقف ثوري - المرجع السابق -
 ص ٤٦

المجتمع ، آمنوا بالاشتراكية وفقا لاتجاهات متفاوتة تتراوح بين الثنائية
واشترابية الدولية الثانية والماركسية اللينينية . . .

وهم يفتخرون الى الوجود الفكرية ، والتي الوضوح حتى حول حقيقته
الخلافا بين هذه المدارس المختلفة ، ولا يملكون معرفة كافية بأساليب
ومناهج النشاط الحزبي . ولا يذكرون حقيقة الهوية التي تفصلهم عن بعضهم
اللبعض ويتصورون ان مجرد اعلان كل منهم انه اشتراكي يكفي كى يضموا
جهودهم معا في حزب واحد . . .

وكان من الطبيعي ان تسمى المجموعتان اждаهما الى الاخرى من اجل
تأسيس حزب اشتراكي واحد . . .

لكن من سعى الى الاخر . . . هناك روايتان . . .

يقول سلامة موسى « انهم كتبوا الى روزنتال : يسأونك عن برنامج
حزبه . . .

وينكر العنانى ان روزنتال هو الذى اقتنعه ، لاني مع اعجابي بهذا
الرجل لست في حاجة الى ان اخذ عنه بل في حاجة لردة الى ما قد مارسته
طويلا من تعزف على هذا المبدأ (١)

اما روزنتال فيورد الامر بطريقة اخرى مصورا انه صاحب الفكرة فيعد
ان يتحدث في شهادته امام النائب العام عن تحدث الصحف عن جهوده
يقول : فرأيت من بعض الوطنيين عطفا على الاشتراكية وكان من هؤلاء
العاطفين حسنى العرابى والدكتور على العنانى وسلامة موسى وعبد الله عثمان
فاتفقت معهم على العمل وقررنا تأسيس الحزب الاشتراكي المصري . وقد
كتبوا لهذا الغرض منشورا يحتوى على مبادئ الحزب موقعا عليه منهم
ولم اشترك في التوقيع عليه لاني كنت اعتبرت ان ظهور اسمى الاجنبى بالرغم
من كونه مصرى الجنسية يمكن ان يعد بمثابة تدخل اجنبى في مساندة
مصرية . . .

وعلى اية حال وسواء اكانت المجموعة المصرية هي التي ارسلت رسالة
الى روزنتال او كان روزنتال هو الذي سعى اليها بحثا عن وجوه مصرية

يستند إليها - فقد اجتمع ممثلوا الجماعات الاشتراكية المختلفة حوالي منتصف شهر أغسطس ليناقتشوا الامرين في ايام عيد ميلادنا في

ولم يكن النقاش سهلا فالخلافات الفكرية عميقة جدا ، وأى اتفاق لن يعني تسوية لتفريق بيتان وسطي بين أطراف متنازعة ، كما هو الحال في المفاوضات تجري في سرية غير أن مراسيل الإبرام بالإسكندرية وهو شخص أثبت طوال السنوات التالية نشاطا ملحوظا واحتماما متبالغا فيه بنشاط الحزب - يفاجئ الجميع بنشر الجبر التالي

يسمى الميسور روزنتال منذ امد بعيد لتأليف حزب اشتراكي في هذه البلاد وبدأ عمله بالمطالبة بحقوق المستأجرين ثم باتحاد النقابات ، مع مواصلة السعي لاقتناع جماعة من المواطنين بأن يماشوه في مشروعه وقد نجح بأن اقنع الدكتور على أفندي العناني بأن يكون سكرتير الفرع الوطني كما يكون هو ذاته أي روزنتال سكرتير الفرع الفرنسي والانجليزي كما يكون الخواجا بيديتيني سكرتير الفرع اليوناني . ولا شك بأن هذا الحزب سيعمل برنامجه ولا شك بأن هذا البرنامج سيتضمن وعودا طيبة ولكن الوعود شيء والعمل شيء آخر .

ان حالة البلاد الاجتماعية تقتضي علينا وعلى كل عامل اصلاحها برفاعة حزب كهذا لا لانا نكره التعاليم والمذاهب الاشتراكية العلمية بل لاننا نكره النظريات المتطرفة التي تقتضي باطفرة ونحن نود التطور رويدا رويدا

ولا نعرف مذهب الدكتور العناني من هذه الوجهة ولا ما هو اشتراكيته وهل هي متطرفة او عملية ولكننا نعرف شيئا من مذهب الميسور روزنتال ونعرف شيئا مما بسطه لرؤساء النقابات الوطنية فنعرف انه اشتراكي متطرف وقد تجاوز حدود التطرف فهل الدكتور العناني من مذهبه ؟

وسواء كان الأمر مجرد شيق صحفي يحرره مراسل نشيط أو كان واقعة مآكرة بين الجموعه المصريه وروزنتال ومحاولة الحزب الوحدية بينهما أو كان بدائه الحملة معادية . في كل حال فانه لا شك بان فان نشر الخبر قد فاجأ الجميع وهم مختلفون

- * مختلفون حول الأسس النظرية
- * بل ومختلفون هل يعلن حزب سياسي أم جمعية علمية
- * ومختلفون حول من يكون السكرتير العام

ولقد كانت هذه الخلافات جلية وتتطلب تصنيفاً حقيقياً إذاً يكون اتفاق حقيقى حولها يصبح البناء مهدداً بالانهيار في أى وقت من وقت محاولة لاسكات مراسل الأهرام والحملة المعادية التي فجرها اقيم البناء على عجل وبغير اتفاق جدى

لكن ما هي حدود الخلاف بين مجاولى التوصل الى اتفاق
اولا : الخلاف الأبيولوجى :

ولقد كان الخلاف خطيرا وحادا بين جميع الأطراف : وقد تفجر الخلاف صريحا على صفحات الأهرام في الأيام التالية، وقد أفسحت الأهرام صدرها لتتشرب آراء الجميع ولعلها كانت محاولة مكررة لتثبيت مدى عمق الخلاف بين هذه الأطراف

غروزيغال شيوعى لا يخفى شيوعيته ولم يخفها في يوم من الأيام بل انه وعندما كان الشيوعيون يطاردون ويرسلون الى السجن يكتبون الأهرام صراحة وقد كنت وما زلت ولا أزال حتى آخر نسمة من حياتي شيوعيا كاملا ومخلصيا اخلاصا تاما لقضية البروليتاريا (1) :
وثمة شيوعيون آخرون بين المصريين لم يخفوا شيوعيتهم أيضا منهم الشيخ صفوان أبو الفتوح وأنطون مارون
ولنتأمل الآن كميات شخص وقع رسالته الى الأهرام بأفضاء اشتراكي صميم :

« ان برنامج الحزب قد يصبح أعمالا جليلية تفضى الى تحطيم تلك الأغلل الظلمة التي ضربها رأس المال على العمل في مصر : ان الحالة الاجتماعية لاى بلد لا تتناقى مع المتأدى الاشتراكية التي ليست الا نداء بتأييد الحقوق الطبيعية للانسان ودعوة لتحطيم تلك الانظمة الاستبدادية التي فضت بان تضهد الجماعات الرأسمالية طوائف المجتمع بأثره وأن تتسع الهوة بين الرفاهية والفاقة وبين النعيم والشقاء وأن يطلق العنان للقوى العبادرة لتنبطش بالضعيف المهين سواء كان ذلك المعتدى شعبا على شعب أو فردا على فرد »

ثم يواصل الاشتراكي الصميم دفاعه عن مبادئه قائلا : اذا كنتم تريدون من طرف حتى ان تقولوا ان حزبا اشتراكيا يؤمن في بلقنا لا بد وأن يقبل بموسكو دعامة الدعوة وفخثار العمل وزعب رأس المال : فهذا ما أخالفكم فيه لان مبادئ موسكو أو البلشيفية وان كانت مثلا أعلى للمبادئ

(1) الأهرام ١٢/٣/١٩٢٤ :

الاشتراكية فان عدم ديمومتها الخالية الاجتماعية في بعض البلاد يرجع لظروف خاصة لا يتسبب المقام للافاضة فيها (١).
 هكذا وبصراحة يصف ماركس بانها «دعامة الدعوة وقنار العمل ورغب رأس المال» .
 ويصف البلاشفية بانها «مثل أعلى المبادئ الاشتراكية» .
 اما سلامة موسى فنحن نعرف رأيه فهو قائلًا ضد البلاشفية ونفسد الثورة .

وحسن الغرابي كان منشغلا في ذلك الحين بترجمة كتاب ماكس نولدت زعيم حزب العمال الانجليزي .
 وعبد الله عثمان طالعتنا أيضا رأيه في فصل سابق وهو في احسن الأحوال واحد من اشتراكيي الدولة الثانية .

••• وعلى العناني، ربيعي، أني يريد جزيا، «يحصن نفسه في حدود الاعتدال للارشاد» الى ما في الشرائع من مبادئ المساواة والعدالة بين الناس .
 يدعو إلى الأخذ بما تطلبه طبيعة البلاد وتقدم الاحكام الشرعية وتبنيها قوانينا دستورية .
 ويصفى مذهبه بالاشتراكية العملية المعتدلة (١) .
 لصيق بالفلسفة الهيكلية الى حد أنه يمكن اعتباره مجرد «ميجلي يساري»
 وفيما بعد شغل العناني نفسه كثيرا بالدعوة لأفكار ميخيل وآرائه .
 وهكذا يتضح اني أي رخصد كان الخلاف الأيديولوجي مستحكما .
 فماذا عن نقطة الخلاف الأخرى ؟

حزب سنياتي أم جمعية علمية .
 عندما فاجأ الأحرار الجميع بنشر هذا الخبر كانت المجموعة لم تتفق بعيد حول هذه القضية الاساسية .
 بل لم تكن قد ظهرت بعد بوادر حول هل يمكن لها أن تتفق أم لا ؟
 في ١٩ أغسطس ١٩٢١ كتبت «اشتراكي صميم» الى الأحرار قائلا «أرجو ألا تتقوما منذ الساعة على جماعة لم يلتزم شملها بعد» .
 وفي نفس اليوم يكتب علي العناني الى الأحرار أيضا قائلا «ومن أين للراوي جاءت العقيدة يتكون هذا الحزب مثلا ؟ أفلا يصبح أن يكون الموضوع قاصرا على تأسيس جمعية علمية تدرس المبادئ الاشتراكية مفردة ما يناسب منها وينتقدها بما يراه ضرارا» .

(١) الأحرار ١٩/٨/١٩٢١ . ١٩٢١/٥/٢٢ .

كذلك كتب سلامة موسى قائلا انه ما لم يتم اتفاق حول تأسيس الحزب فانهم « يؤمنون بجمعية غايتها الدرس أكثر من السياسة » (١) .
والحقيقة أن هذا الموقف يمكن تفسيره من خلال سلسلة من الظواهر .
فإن بعض المثقفين كان يدرك مدى افتقارهم الى الدراسة النظرية المتعمقة ،
وكانت طلائع المثقفين والليبراليين المصريين كما شاهدنا في فصل سبينان
قد عكست في افق الفكر المصري آراء وكتابات متسرعة حول مختلف المدارس
النقدية .

ولم يكن الفارق الجدى واضحا بين هذه المدارس ، ذلك أن الفارق
للجدى لا يتضح الا عندما تتحدد واجبات نضالية .
ولهذا فان الخلاف يمكن تبسيطه كما يلي :
البعض يقول لنتنظر فترة ندرس فيها ونناقش ونختار . . . ولننظم
هذا الدرس وهذه المناقشة من خلال جمعية علمية . . .

والجموعه الاخرى ترى أن البدء في العمل النضالي وعلان الحزب
هو السبيل الافضل لحسم الخلافات وتحقيق التمايز . . .

ثم ان هناك مسألة ثانية وهي أن النقاش كان يجري في عام ١٩٢١
وفي هذا العام باذات كان الوفد المصري - الذي جسد وحدة الأمة - تقهده
الانقسامات ، وكان الشعار السائد وسط الجماهير أن اى اعلان لحزب جديد هو
تفتيت لوحدة الأمة ، وخروج على زعامة سعد ، ولعلنا نلمح ذلك كثيرا في
كتابات معارضي الحزب الذين اتهموه بتقسيم الصفوف وتجزيل الخلافات
اللطيفية قبل الاستقلال . كما أن الوفد كان بنفوذه الكبير يعرقل اية محاولة
كبهذه ويتهمها بالانقسامية . . .

وهناك ثالثا تلك الحجة التي تردت كثيرا وهي ان اعلان حزب اشتراكي
في مصر قد يخيف الانجليز ويؤدي بهم الى عدم الجلاء . . .
السكوتير العام من يكون ؟

ولقد كانت هذه الجموعه تضم عديدا من المثقفين الرموزيين والمناضلين
الذين اتبعتوا نضاليتهم وقدرتهم على القيادة خلال أحداث ثورة ١٩١٩ .
كان من بينهم كتاب مشهورون مثل سلامة موسى وعبد الله عريان . . .
ورجال دين محترمون مثل الشيخ صفوان أبو الفتح . . .

(١) الأعرام ١٧/٨/١٩٢١

(١) الأعرام ١٧/٨/١٩٢١

والذين استطاع بعضهم أن يجمع نقاباتهم تضم ٣٥ ألفاً عاملين بناء على نداء نشره في الصحف لأقامة اتحاد لهم وتؤكدوا كان من الصعب أن يفرض واحد منهم نفسه على الآخرين. من سوء حظهم سبوا في ذلك منهم عشرة

كذلك فإن الحزب، لم يكن تتويجاً لعمل تنظيمي متقدم حتى ولو كان مبعثراً فيمكن لهذا العمل التنظيمي السابق أن يقدم مقياساً لاختيار السكرتير العام وفقاً لمبدأه. فلو كان الحزب قد تم بالفعل في ذلك الوقت لكانت

لكن الحزب كان بداية لعمل جديد

ولم يعتمد العمل التنظيمي الذي سبقه عن تكوين خلايا متفرقة لم يرتق إلى مصاف العمل الحزبي الحقيقي

كان الحزب الجديد اذن بداية تتطلع الى قائد، فمن من هؤلاء كان يتطلع الى القيادة؟

روزنغال أعلن مسبقاً أن كونه اجنبياً يمنعه من ذلك بل أنه لم يوقع مع الأربعة بيان إعلان الحزب، قائلاً في شهادته، ولم أشترك في التوقيع عليه لأنى كنت اعتبر ان ظهور اسمى الاجنبى بالرغم من كونى مصري الجنسية يمكن أن يعمد بمثابة تدخل اجنبى في مسألة مصرية (١)

وعلى العنان الذى رشحته الأهرام للسكرتارية العامة، كتب يقول ان هذا غير صحيح، وعلق عرفى الذى حدد مهمتى وشيئاً عن مبادئى ليا صح له هذا الرجوع بالخب لان هذا العمل لا يلتزم ايا كان وفي أى دائرة وحيدت مع دوائر اعمالى الاصلية بما دار لى هذا يوماً ما تجلد ولا عرضة على انسيان ولن يخطر لى ابدأ على بال (٢)

بين من اذن انحصر الصراع ؟

ان التمتع الديمق لكنايات قادة الحزب في تلك الايام يوضح لنا حقيقة هامة هي ان سلامة موسى كان يريد هذا المنصب لنفسه

وان المجموعة الاخرى لم تكن تريده له

هو يريد المنصب محتاجاً لنبؤدة الفكرى والادبى وشهرته الواشمة وهم لا يريدونه لانه مجرد قايى ويشعرون بان تسليم قيادة الحزب له خطراً على الحزب وعلى اتجاهااته

(١) الأهرام ١١/٣/١٩٢٤

(٢) الأهرام ١٩/٨/١٩٢١

لم يكن للصراع إذن شخصياً ؟ بل كان امتداداً للصراع الإيديولوجي الذي اشتعل بين القادة - الذين لا يعرفون شيئاً عن قواعد الانضباط الحزبي - على صفحات الجرائد .

عمل القيادة الثمانية والاضلاحيين أم الماركسيين ؟

وحاول سلامة موسى أن يفرض نفسه مستخدماً أسلوباً قريداً . يستحق التأمل فما أن نشر الأهرام خبره المفاجئ عن مباحثات تأسيس الحزب في ١٦ أغسطس حتى سارع سلامة موسى لينشر في عدد اليوم التالي رسالة بعنوان « الحزب الاشتراكي » يقول فيها « ولنا كنت واقفاً على حقيقة الخلل أعين للقراء أن الدكتور العناني ليس سكرتيراً » (١) .

لكن سلامة موسى كان في عجلة من أمره ويريد أن يضع التفاوضيين أمام الأمر الواقع وانتهز الفرصة ليصدر في ٢٣ أغسطس « نداء إلى الأمة المصرية » تنشره الأهرام موقفاً باسم سلامة موسى سكرتير الحزب الاشتراكي المصري . . .

وهذا النداء يستحق التأمل ، لا لأن سلامة موسى قد وقعته كسكرتير للحزب فقط وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي فعل فيها ذلك . . .

ولكن لأن سلامة موسى كان يحاول فيه أن يساوم التيار الماركسي وأن يتقرب منه مؤملاً أن يقبلوا بذلك وضعه كسكرتير للحزب . . .

فالنداء يناشد الشعب المصري وجمعيته الهلال الأحمر والصليب الأحمر جمع تبرعات الشعب الروسي الذي يعاني من المجاعة . . . والهيام في هذا الأمر هو أنه يقول « لقد قضى الشعب الروسي ثلاثة قرون وهو رازح تحت نير الاضطهاد والعبودية في جهل مطبق وفقير مدقع . . . وعندما استيقظ من غفلته وشاء أن يحيينا حياة جديدة فاجأته الطبيعة بأفاتها » (٢) .

ولنتسارن هذه الكلمات بكلمات أخرى نشرها سلامة موسى قبل خمسة أيام فقط في الأهرام يقول فيها . . . « إن البولشفية الروسية قد أخفقت أخفاقاً يكاد يكون تاماً ونشرت على ربوع البلاد الروسية الويتة الخراب والدمار . . . بينما هو الآن ينسب المجاعة إلى سببها الأصلي « الآفات الطبيعية » ويصف الثورة بأنها « استيقاظ للشعب من غفلته ورغبته في أن يحيى حياة جديدة » . . .

(١) الأهرام ١٧/٨/١٩٢١ .

(٢) الأهرام ١٨/٨/١٩٢١ .

برنامجين مختلفين تماما فون. ان ينتبه. الكثيرون الى اختلاهما التام في
الأهداف والاسلوب والصياغة.
والبرنامج الاول هو الذي نشره شهدي عطية الشافعي في كتابه وتطور
الحركة الوطنية ، طبعة الدار المصرية للطباعة والنشر ١٩٥٧ ص ٤٢ .

وقد اشار شهدي في كتابه هذا الى أن البرنامج قد نشر في عدد الأهرام
الصادر في ١٤ فبراير ١٩٢١ ونقل عنه ذلك عدد من الكتاب دون تدقيق .

منهم على سبيل المثال عبد المنعم الغزالي ، المرجع السابق ص ٨٧
وقد أورد البعض فقرات من هذا البرنامج
اكتفى بالتقرير انها فقرات من برنامج الحزب (١) .

وفيما يلي نص هذا البرنامج : يعمل الحزب على استقلال وأدى
النيل بأسره ، استقلالاً خالياً من كل شائبة سياسية واقتصادية
 واجتماعيا .

أولا :

(١) جلاء تجنود الإنجليز عن مصر والسودان وعدم الاعتراف للخاصية
بأى مركز ممتاز .

(٢) عدم الاعتراف بالمعاهدات والاتفاقات التي أجريت خلسة من الشعب
وعلى كره منه .

(٣) جعل قناة السويس ملكا للأمة .

(٤) تعديل الدستور وقانون الانتخاب حتى تصبح الأمة مصدر
السلطة الحقيقية .

(٥) إلغاء القوانين الاستثنائية والرجعية كقانون الاجتماع
والأحزاب .

ثانيا :

(١) الاعتراف بهيئات العمال رسميا وبحقها في الدفاع اقتصاديا
وسياسيا واجتماعيا عن مصالحها .

(٢) تنظيم العمال غير المنظمين وضمهم في اتحادات وضم الاتحادات
الى بعضها في اتحاد عام وربطه بالاتحاد العام الدولي .

— MONA Hanmam — women workers and the practice of Freedom as
' Education' the Egyptian Experience — (P.W.D. Thesis, University of
Kansas' 1977) P. 118.

في ٢٠٠٠ (٣٤) الدفاع عن قانون ٨١ ساعات شغل في اليوم ومستأواة العمال المصريين والاجانب العاملين في عمل واحد ٠٠٠ شغل لتوزيع الحماية العمال

الرضي والمطالين الخ ٠٠٠ شغل لتوزيع الحماية العمال
(٤) تاليف تعاونيات للإنتاج والتوزيع ٠٠٠ شغل لتوزيع الحماية العمال

٠٠٠ شغل (٥) تمثيل العمال وقراء الفلاحين تمثيلا صحيحا في البرلمان مع
ثالثا ٠٠٠ شغل (٥) تمثيل العمال وقراء الفلاحين تمثيلا صحيحا في البرلمان مع

٧٨ (١) للتيسر التمتع بالحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية
٠٠٠ شغل (١) للتيسر التمتع بالحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية

(٢) المطالبة بجمال التعليم الجارية للجميع طين وبنات ٠٠٠ شغل
مجانا للفقراء مع اصلاح برامج التعليم الحالية ٠٠٠ شغل

٠٠٠ شغل (٣) محاربة الامية بجميع الوسائل ٠٠٠ شغل
٠٠٠ شغل (٣) محاربة الامية بجميع الوسائل ٠٠٠ شغل

رابعاً :

(١) تنظيم فقراء الفلاحين في نقابات ويجاد صلات بينها وبين نقابات
العمال مع العقل على ربطها باتحادات الفلاحين الدولية ٠٠٠ شغل

(٢) الغاء نظام ملكية العزب التي لا تختلف كثيرا عن نظام
الاقطاعات ٠٠٠ شغل

(٣) الغاء ديون الفلاحين الذين يملكون اقل من ثلاثين فدانا ٠٠٠ شغل
٠٠٠ شغل (٣) الغاء ديون الفلاحين الذين يملكون اقل من ثلاثين فدانا ٠٠٠ شغل

(٤) اعفاء الفلاحين الذين يملكون اقل من عشرة أمجدة من الضرائب ٠٠٠ شغل
٠٠٠ شغل (٤) اعفاء الفلاحين الذين يملكون اقل من عشرة أمجدة من الضرائب ٠٠٠ شغل

(٥) وضع ضرائب على ميساء الري للذين يملكون واكثر من ١٠
فدان ٠٠٠ شغل
٠٠٠ شغل (٥) وضع ضرائب على ميساء الري للذين يملكون واكثر من ١٠ فدان ٠٠٠ شغل

خامساً :

(٦) انشاء مصارف تعاونية لصغار الفلاحين ٠٠٠ شغل
٠٠٠ شغل (٦) انشاء مصارف تعاونية لصغار الفلاحين ٠٠٠ شغل

(٧) المطالبة بالاعتراف بحكومة الجمهورية الزوسية ٠٠٠ شغل
٠٠٠ شغل (٧) المطالبة بالاعتراف بحكومة الجمهورية الزوسية ٠٠٠ شغل

(٨) العقل على التفرقة بين الجزائيم السياسية وغير ما اقام المحاكم
المصرية والامراج عن المسجونين السياسيين دون تفرقة ٠٠٠ شغل
٠٠٠ شغل (٨) العقل على التفرقة بين الجزائيم السياسية وغير ما اقام المحاكم المصرية والامراج عن المسجونين السياسيين دون تفرقة ٠٠٠ شغل

(٩) طلب محاكمة اذئاب الاستعمار من كبار المصريين ممن تمتع عليهم
مسئولية الازمات والاشتباه او معاونة الاجتيا على الحكام نهضة
الشعبية ٠٠٠ شغل
٠٠٠ شغل (٩) طلب محاكمة اذئاب الاستعمار من كبار المصريين ممن تمتع عليهم

لكن وثيقة شيئا لفت نظري وهو أن الإعراب قد نشره أول خبز عن محاولات تأسيس الحزب في ١٦ أغسطس ١٩٢١ وأنه اشترى في هذا الخبر إلى ما يليه لا شك في أن هذا الحزب سيعلن برنامجه بما يوحى بأن الحزب لن يمكن قبل أغسطس قد نشر برنامجه

وثانياً أن الحزب قد نشر بالفعل في الإعراب ٢٩ أغسطس وثيقة بعنوان بيان الحزب الاشتراكي وهي ما سنناقشها فيما بعد كبرنامج للحزب

وثالثاً فإنه بالبحث في عدد الإعراب الصادر في ١٤ فبراير ١٩٢١ لم نجد فيه أي إشارة إلى صدور هذا البرنامج

فما هي حقيقة هذا الأمر إذن وما هي هذه الوثيقة التي نشرها شهدي كاملة مشيراً إلى أنها برنامج الحزب

ذلك أنه بغض النظر عن خطأ تاريخ ١٤ فبراير ١٩٢١ فإن مؤرخنا مؤتمنا ودقيقاً مثل شهدي لا يمكن أن يكون قد اختلق هذه الوثيقة اختلاقاً

وثمة احتمالان أطرحهما للنقاش

الأول : أن يكون هذا البرنامج هو واحد من المشاريع التي لا بد وأن المجموعات المختلفة التي كونت الحزب قد أعدت كثيراً منها كمحاولات لاقتناع الآخرين بها وإصدارها كبرنامج للحزب الجديد وهذا احتمال استبعدته

أما الاحتمال الثاني : وهو الأرجح - أن يكون البرنامج الذي نشره شهدي هو البرنامج المعدل الذي أصدره الحزب بعد انضمامه للكونغرس والذي يقول لأكور (١) أن الحزب قد أصدره في كراسة صغيرة باللغة العربية وباللغة الفرنسية

لكن إذا فترجح هذا الاحتمال الثاني

إذ لا لأن لأكور وهو يناقش هذا البرنامج الجيد الذي قال إن الحزب أصدره بعد انضمامه للكونغرس يشير إلى الفقرات التي تتعلق بتأميم قناة السويس واستقاط ديون الفلاحين الذين تقل ملكياتهم عن ٣ فداناً وإعفاء الفلاحين الذين يملكون أقل من عشرة أفدنة من الضرائب وهذه المطالب كلها واردة في البرنامج الذي نشره شهدي وغير واردة في برنامج ٢٩ أغسطس ١٩٢١ وهي دليل على جدية الوثيقة التي نشرها شهدي

(١) لأكور - الشيوعية والقومية في الشرق الأوسط - المرجع السابق - ص ٣٤

ثانياً : أصبح أحد أعضاء الحزب الاشتراكي وهو حسين نامق كتاباً بعنوان « خلاصة الاقتصاد » في أغسطس ١٩٢٢ وقد نشر برنامج الحزب بمؤدبه نص برنامج ٢٩ أغسطس ١٩٢١ (١) بها يوجي بآء البرنامج المنشور بكتاب شهدي عطيه قد صدر بعد عام ١٩٢٢

ثالثاً : ان البرنامج يتضمن نصاً يقول « عييم الاعتراف بالمعاهدات والاتفاقيات التي أبرمت خلية من الشعب وعلى كره منه »

ولا شك في ان واضع البرنامج يقصدون تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢

رابعاً : البرنامج يطالب « بتعديل الدستور وقانون الانتخاب حتى تصبح الامة مصدر السلطة الحقيقية »

اذن هذا البرنامج موضوع بعد اعلان سيكتور ١٩ أبريل ١٩٢٢

لكل ذلك فاننا سينرجي محاولة تقويم هذا البرنامج الى صفحات كافية نتناقش فيها دور الحزب بعد انضمامه الى الكومنترن وسوف نعتبر ان الوثيقة المنشورة في اهرام ٢٩ أغسطس هي وحدها برنامج الحزب الاشتراكي المصري الى حين انضمامه للكومنترن

« بيان الحزب الاشتراكي المصري »

في تلك الاونة التي تعصف فيها النظم الرأسمالية الفردية بحياة بنى الانسان وازواحهم وعقولهم وجهودهم تبت النظم والبيادى الاشتراكية في الافئدة المعنبة لإنجاد الانسانية واغاقتها من بطش القوى الظالمة وتحقيق غايات العدالة الطبيعية من تاييد عواطف التآخي والسلام في المجتمع الانساني ، والقضاء على افتيات المستعمرين المستغلين الذين سلجوا حرية الشعوب والامراد وسعوا الى تحقيق رفاهيتهم بالاضطهاد المريع للامم والمجتمعات المستضعفة وليس ابلغ ايضاًحاً للمأساة المخزنة التي تمثلها الان تلك النظم المستبدة من أن أغلب الامم قد انتهكت حريتها واهتمت حقوقها دولا استعمارية تسود فيها تلك النظم ، وان الأغلبية الساحقة في المجتمع الحاضر قد استعبتتها أقلية صغيرة متعصبية تمتنقثر بزؤوس الأموال وازقان الطبيعة ثمرة كدماً وجهادها

ولقد امتدت يد الاستعمار والافتيات الى مصر فاستلبت حريتها عملاً

— (١) حسين نامق « خلاصة الاقتصاد » مطبعة هندية ، أغسطس ١٩٢٢

بسياسة تلك النظم الرأسمالية سعيًا إلى استثمار أرباحها واستغلال جهود
بنيتها . وكذلك تسيطر تلك النظم على المجتمع المصري سيطرة سحقت معها
دولة العمل وبطش بها رأس المال بطشًا شائنا مرهقا أدى إلى خلق الغنى
الفاحش واللباس البالغة جنبًا لجنب واتساع الهوة بين الرفاهية والفاقة .
لذلك كان من الضروري أن يمتد إلى تلك البلاد صراع المبادئ
الاشتراكية العادلة للنظم الرأسمالية سعيًا إلى تخفيف ظلمها وويلها الفادح .
وتحقيقًا لتلك الغاية نهض اخوان العمل في مصر لتأليف الحزب الاشتراكي
وهذه هي مبادئه التي سيمثل على تحقيقها :

المبادئ السياسية :

- ١ - تحرير مصر من نير الاستعمار واقصاء ذلك الاستعمار عن وادي النيل بأسره .
 - ٢ - تأييد حرية الشعوب واختيار المصير ، والتأخي مع جميع الأمم على قاعدة المساواة والمنفعة المتبادلة .
 - ٣ - محاربة الاستعمار ومقاومته أينما وجد .
 - ٤ - مقاومة العسكرية والديكتاتورية وانظمة التسليح في البر والبحر والهواء .
 - ٥ - مقاومة الاعتداء والحرب الهجومية .
 - ٦ - إلغاء المعاهدات السرية .
- ومبادئ الحزب الاقتصادية هي :

العمل على إلغاء استغلال جماعة لأخرى ونحو التفريق بين طبقات المجتمع في الحقوق الطبيعية وإخماد استبداد المستغلين والمضاربين والسعي إلى إنشاء مجتمع اقتصادي يقوم على دعائم المبادئ الاشتراكية الآتية :

- ١ - توحيد الثروة الطبيعية ومصادر الإنتاج العامة لجميع الأمة .
- ٢ - التوزيع العادل للثمرات على العاملين طبقًا لقانون الإنتاج والكفاءة الشخصية .
- ٣ - إخماد المزاخمة الرأسمالية .

أما المبادئ الاجتماعية فهي :

- ١ - اعتبار التعليم حقًا شائنا لجميع أفراد الأمة نساءً ورجالًا ينحطه

ومكذباً: أخرج البرنامج معتدلاً إلى حد ما ، مكثفياً بالصياغات المعاصرة
مثل إلغاء استقلال جماعة لاخرى ومحو التفرقة بين الطبقات في الحقوق
الطبيعية .

وبعبارات غامضة مثل « توحيد الثروة الطبيعية » .

وهو يحرص على تحديد أسلوب نضاله « بالصراع الحزبي والدعوة
السلمية » .

لكنه بالرغم من ذلك كان برنامجاً اشتراكياً يعبر عن وجهة نظر
اشتراكية واضحة ويتضمن مطالب محددة لعديد من فئات الامة .. العمال
المثقفين ، الطلاب ، النساء ، رجال المهن وان كان قد اغفل ايراد أى نص يتعلق
بالمطالب الفلاحية .

ولسنا نستطيع ان نلوم الحزب الوليد على ذلك .

فالمشكلة الزراعية هي أعقد المشاكل في مصر ، وجماعير التحسالف
(صغار الفلاحين) هم بالرغم من كونهم فقراء ومطحونين الا أنهم ملاك
سرعان ما تتحرك فيهم نزعة البرجوازي الصغير الحريص على ما يمتلك .

وعلى أية حال فان هذا البرنامج كان خطوة هامة في سبيل ارساء
التعاليم الاشتراكية في المناخ المصرى ، لعلها كانت بحاجة الى بعض النضج ،
لكن الطريق الوحيد للنضج كان الكفاح اليومي بين الجماعير ، جماعير
العمال والفلاحين والمثقفين .. وهذا ما قام به الحزب على الفور وبكفاءة
ممتسزة .

كذلك لا يمكن ان تفوتنا تلك اللمحة العبقريية .. الربط بين الاستعمار
والرأسمالية ومحاولة الاستفادة من السخط الوطنى ضد الاستعمار لخلق
سخط ضد الرأسمالية المصدر الاساسى للاستعمار .

منه ما يشي به من واقع في الآراء والوسائل التي يتبعها في العمل السياسي والاجتماعي (١)

الإشتراكية المصرية

من الدفاع إلى الهجوم المضاد

لقد شاهدنا كيف تعرض الحزب الإشتراكي منذ البداية - بل وحتى قبل أن يعلن - لهجوم شديد . ولقد شاهدنا في صفحات سابقة نماذج من هذه الهجمات ابتداء من يسوعيا زغول الزعيم المرموق للامة الى حسين عيكل أحد قادة الليبرالية المصرية في ذلك الحين . . . الى قادة الحزب الوطني . . . الى رجال الدين . . . الخ . . . لقد كانت حملة عاتية توضح مدى الوعي الطبقي لدى كبار الملوك والبرجوازيين المصريين الذين تلمسوا الخطر منذ بداياته الاولى وحشدوا كل جهودهم لسحقه . والحقيقة ان الرجعية المصرية قد اثبتت على الدوام حساسية فائقة في تلمس المخاطر الإشتراكية وفي مجابعتها . . . ومنذ أن أعلن الأحرار خبر اعتزام الإشتراكيين تأسيس الحزب أنهالت في عديد من الصحف والكتب والمجلات حملات من العداة .

فكرى اباظة (الحزب الوطني) يكتب قائلا : ان وظيفة الحزب الاقتصادية تتلخص في انه سيكون من الان فصناعا ومقاتلي ، بين أصحاب الاموال والعمال الى ان تمنح الفرصة فيقوم بتوزيع الاملاك عملي للجميع ، فتصبح مالية الامراء كمالية الفقراء سواء بسواء (١) . ويكتب عصام الدين حفني ناصف (يسار الحزب الوطني)

(١) ان بلدا كمصر تقف دائما موقف المصارعة لعنوها التيمناسي الكبير يجب أن تستجمع كل قواها لدفعه وبعد ذلك تتفرغ لبحث النظم الاجتماعية اما أنها تشغل مجهودها بمسائل اجتماعية ثانوية لا يمكن أن تفقد منها الا ما لم يكن فيه معاكسة للاحتلال فتضيق لقوى الامة

(١) اللواء ١٩٢١/٩/٥

(٢) حتى ولو فرضنا أن القائمين بأمر الاشتراكية يفهمون ما ترمى إليه على حقيقتها فعليهم أن يفهموا أنها تكون مضرّة جداً عند التطبيق ، ليس لان عقلية الأمة غير مستعدة لقبول هذه التعاليم فحسب بل لانه لم توجد للان طريقة صالحة لبث الدعوة الى هذا المبدأ في أوروبا ، (١)

وتمتد موجة النداء لتشمل الكثيرين

فيكتب أمدراوس جناً مقالاً بعنوان « الكهانة الجديدة » يتهم فيه مؤسس الحزب بأنهم « ذروا بيش حجبهم » أنهم يعرضون أعينهم عن كل شيء يبعث على الجِد في الحياة أو لا يفتحونها - الا يعنى الرأى والخيلات - انهم كهنة لا يرون في الافكار والمبادئ الا نوعاً من الكرب والبطاطس تستطيع ان تزرعها حيث شئت ما داموا قادرين ان يستهواوا بالانتصاب وينتفخوا بالعقله والجهلة ، والا فإى رجل أمين مدقق يرضى أن يحاج القاطن في الشرق بنظريات كارل ماركس (٢) .

ومرة أخرى يعود أمدراوس حياً الى الهجوم تحت عنوان « عيشة زيادة التعاليم » فيقول

هذا استغلال مخزن للجهلة والعقيلة ، وما من شيء قط يكسو الذين يعملون على الانتفاع بانظريات العامة فان حياة الناس أكثر من النظريات والتعاليم ، (٣)

بل البعض يحاول استعداء السلطات وحملها على الفتك بالحزب ومثيله احمد حلمي الذي كتب تحت عنوان « النظام الاجتماعى والخطر الذى ينتهده » قائلاً :

« فهل تظن بالحكومة ان ذلك الحيزب لو تألف ففلا وعزف الغنامة وسوادهم والاعظم من الاميين ان منيادته ومشروعة والحكومة راضية عنه بهل تبا يبقى في القطر حجر على حجر ، وهل يمتطح حياة الاموال بعد ذلك حبايتها ، وهل يمكن احتفاظ قوى الاموال بما لاكنم عقاراً أو نضاراً أو ما يامن ذو عرضة على عرضه ؟ »

ان عزاء الفقراء من قوى الإيمان هو أن الرزق موجود مشبوم من الله ، وان الصابرين على ما أصابهم في الحياة الدنيا لهم حياة أخرى طيبة

(١) الاميرام ١٩٢١/٩/١٦

(٢) الاميرام ١٩٢١/٨/٢٣

(٣) الاميرام ١٩٢١/٨/٢٦

١٢١/٦٤١

في جنة عالية تطوفها دانية... فإذا انهزم الهنكل والدين من النفوس ولا سيما نفوس العامة كان ذلك نكبة على النظام الاجتماعي المصري، فهل الحكومة راضية عن ذلك؟ فان كانت راضية فكم من الجند أعدت لحفظ النظام؟ بل عملهم هي الوسائل والتدابير التي أعدت للمحافظة على نفسها من عوامل الاشتراكيين الذين يقولون: بتاليفه حزب جديد للاشتراكية في مصر.

••• اننا نعو رجال الدين في مصر أن ينهضوا لمحاولة هذا الخطر فان ناره ستاكلهم قبل غيرهم وتذهب بأخلاق الشرق الجميلة المؤسسة على الفسحة والذمة والعفة ومكارم الاخلاق (١)

ولم يتوان رجال الدين عن تلبية هذا النداء فبعد ثلاثة أيام فقط ليحل في الشيخ محمد الغنيمي التفتازاني الحركة. يمثل رعاية في العطف ويصدره بآية من القرآن الكريم: الله فضل بعضكم على بعض في الرزق.

ويوجه التفتازاني هجومه مباشرة: ما شاء الله، كانتنا فرغنا من أمرنا، وكانتنا فرغنا من الدنيا، فلم يبق إلا الهدم.

أيها الدعاة التي الحزب الاشتراكي الجديد، لقد كفى الشرقي ما ربي عاقبه من بلاءه وما يعالجه من نكباته فلا تمزقوه بهذا الداعة الأوربي (٢)

ولم يكتب التفتازاني بذلك فهو يكتب مقالا آخر أكثر عنفا بعنوان: «الفتنة الثالثة لمن الله من أيظنها ويصدره بآية قرآنية أخرى: ولو شيا ربك لجعل الناس أمة واحدة» وهو يخاطب الاشتراكيين قائلا: ان كنتم تعطفون على العمال والفقير فما ينال من الفاقة فاطلبوا انشاء الملاجي والمستشفيات والمطاعم.

ان كان العامل يشكو جورا من الرأسماليين فخذوا هذا الجور واطلبوا الى الهيئة التشريعية سن قانون العمل.

كل هذا معقول... اما غير المعقول فان تجيئونا بتشريع جنتيده يقشبهنا اوضاع حياتنا راسا على عقب ويهز طبقات المجتمع هزات عنيفة ويوشك ان يقوض بصرح النظام ويقضي على الدين في نفوس المتدينين.

ثم يواصل هجومه قائلا: أي سعادتي الاشتراكيين، يتوالى هجومهم دعوتكم في قيلة غير مصر، ان كنتم مولعين بالدعوة لذاتها، وإذا خستين لديكم فلتذهبوا جميعا (ومع السلامة) وقد الى روسيا... الى معيوتكم - البلشفية.

(١) الامرام ١٩٢١/٨/٢٠
(٢) الامرام ١٩٢١/٨/٢٤

فاذا اطيقتم ان تسميوا اثنين الجسائمين وهم عشرات الملايين وقدزتم على الوقوف في معبد الاشتراكية العليا المتطرفة فانشروا دعوتكم هناك لتصلحوا ما فسدت الطفرة من شئونهم» (١)

ويحذل الملك ميدان الهجوم ايضا محاولين استنارة كل المالكين على الحكومة لانها تسمح لهؤلاء الاشتراكيين بالنشاط

وقبل اعلان الحزب بايام وتحت عنوان «هل الاشتراكية مرغوب فيها» يكتب على مقولى مزارع وصاحب اطيان قائلا ان الاشتراكية «ما هي الا امور ضد الدين والاخلاق وسرقة مال الغير وليس لها نتيجة الا قتل الامة بانسرها وضياع الاديان والاخلاق كما هو حاصل فعلا في روسيا

قالوا ان العمال والفلاحين بحاجة الى اشتراكية علمية لحياتهم في دائرة القانون ونحن معهم في وجوب الحماية ولكننا مختلفون عنهم في طرق هذه الحماية •• ان حماية المال لا تكون أبداً باى اشتراكية ولا باى احزاب بل تكون بتعليمهم الاقتصاد ومضار الخمر ومضار الخشيش وازشادهم الى الدين للاعتماد عن المحرمات فتتوفر لهم الارزاق

ليعلم للجميع ان مصلحة هذا البلد وحكومته لا تسمح لكاتب من كان وتحت اى ستار كان ان يلعب بالنار ولنا يحق ان نطلب من الحكومة عاجلا منع الحزب الازمغ تاليفه قبل انتشاره فالوقاية خير من العلاج» (٢)

بل ان هذا الهجوم لم يقتصر على صفحات الجرائد فقد امتد الى حد استصدار فتاوى دينية بتحريم الاشتراكية مثل فتوى شيخ اسلام الاستانة التي قال فيها «يشتمل الدين الاسلامى من الاحكام الاساسية ما يناقض جميع المسالك الاشتراكية» (٣)

وفتوى اخرى اصدرها مفتى الديار المصرية الشيخ محمد بخيت بن بناء على طلب مراسل جريدة التايمس الانجليزية - «ان طريقة جماعة البلشفية طريقة تهتم الشرائع السماوية وعلى الاخص الشريعة الاسلامية» (٤)

(١) لامرام ١٩٢١/٩/٧

(٢) الامرام ١٩٢١/٨/٢٦

(٣) الاخبار ١٩٢٠/٩/٢٠

(٤) محمد انيس - المرجع السابق ص ٢٨١

وسلسلة أخرى من الكتب والافتراءات والتهيام بأن هذه الدعوة
ينشرها عملاء قادمون من روسيا .. والنماذج في هذا كثيرة جداً لكننا
سنكتفي بواحدة منها لعلها يقدم صورة عن المبالغات والافتراءات التي حشدتها
دعاة العداة للاشتراكية .. ولنتأمل هذه الفقرة من كتاب صدر في هذه الأثناء
مترجماً عن اللغة الفرنسية .. (١) :-

« أعرف في هذا الشأن معلومات مأخوذة من مصدر ثقة .. حاولت
البلشفية أن تنفذ الى مصر لأول مرة عام ١٩٢١ عمالاً من أتقنة موقنين من
رسل الشعب الروسى أو من الكماليين لنشر انجيل الاشتراكية وغرضهم
اقامة المعقبات في سبيل الانجليز المسئولين عن اليونان وكل هؤلاء العمال
من يهود الاناضول يعمل فريق منهم في المذن وفريق في القرى .. ففى المذن
تجرى مفاوضة نقابات العمال ونقابات عمال السكة الحديدية والقرام
وتحريضهم ضد المسيطرين عليهم وارباب الاموال واقتناعهم بأن سيادة
الرعاع هي وحدها الكفيلة بتحقيق امانى الشعوب .. »

وفي القرى يخترق الرسل الحقول اiban الحصاد يقولون الفلاحين انه
ليس من العدل ان غنيا كبيرا يملك ألف فدان بينما الفقراء لا يملكون شيئاً ..
فكانت هذه العبارات الساخجة عن الاشتراكية تغرى .. وقد اغرت
فعلماً بعض الفلاحين ،

.. وهكذا استمر الهجوم عنيفاً مقمداً نموذجاً فريداً للوعى الطبقي ..
المبكر لبرجوازي مصر وكبار ملاكها ، لقد تحصنوا رقابهم حتى تبطل أن يعلن
الحزب ..
وبداوا في شن حملة ظالمة وعنيفة مستخدمين منطلقات غاية في التأثير
والفعالية ..

- * الحزب يهدد وحدة الامة التي يتعين ان تواجه الاستعمار متحدة ..
- * الاشتراكية عندما طبقت في روسيا جزت اليها المجاعة والخراب ..
- * الاشتراكية ضد الدين ..

انفنى اشفق على هؤلاء الدعاة الأول للاشتراكية الذين واجهوا هذا
الاعصار ببسالة نادرة .. ولقد كان اعصاراً حقيقياً كفيلاً باقتلاع هذا النبات

(١) وجه لامبلان - الى الاستقلال ، مصر وانجلترا - ص ١٢٢.

الحقيقة العزيم خاصة وان الاعصار قد فاجأهم وهم مخطفون مستشوقين غير
 مستعدين للمعركة العزيم
 ولكنهم ومع ذلك خاضوا معركة شجاعة تكلمت بالنصر

وعلى النطاق الايديولوجي - او بالدقة على نطاق المعركة الكلامية في
 الصحف - اندري بعض أعضاء الحزب يفتنون افتراءات أعدائهم . . مهاجمين
 الاستغلال والظلم

فيكتيف عبد الله ععان
 الان النظام الفردية من ان الاعلانية السناحقة في التجمع الحاضر رقدت جردت من
 الملكية وان طائفة ضغيرة تستنقره بنعيم الملكية الشخصية في حين ان الشيوعيين
 الاكبر من هذه الطائفة غارق في تحقيق شهوته السافلة لا يمسدون للمجتمع
 عملاً

ويطن ععان بصراحة
 - شائن بالغ حد الاذعان والقتل وان العالم مهين مسلوبه وان الاستيثار
 طائفة بؤاسر الخالق هنا يقترون به طغيان فاذح يوضعه الكعسك امل تحاي . . .
 الضياع والفلاج البائس القبيح . . (١)

ويقدم اشتراكي آخر هو حسن محيسن - دبلوم التجارة العليا -
 محاولاً ان يوضح العلاقة بين المعركة الوطنية والمعركة الطبقة
 تناقض بينهما وان تأسيس الحزب مفيد للقضية الوطنية فيقول . . نحن نطالب
 بحقوق مهضومة مغتصبة فاما السياسية منها فنحن نطالبها من خصمنا
 الانجليزي واما الاقتصادية فمن خصمنا صاحب المال اجنبيا كان او مصرياً
 فليقتصر لنا نظراء الحق والعدل
 الحزب الاشتراكي ليصلح ما افسدته ايدي الزمان القديم والقرون الوسطى من
 المظلمة . . (٢)

ويطرح الاشتراكيون على الامة السؤالات التالية
 الامة . . نحن ام الراسماليون ؟

ويوجه احد الكوليد الاشتراكية العمالية
 نقابة عمال الخاني والسجاير . . نداء الى الزاي العام المصري . . يقول

(١) الامرام ١٩٢١/٨/٢٥
 (٢) الامتزام ١٩٢١/٨/٢٤

... باسم الوطن العزيز واتجاهكم الممدى جئنا، نستتجد بكم... هل من
الوطنية الشريفة أو من العدالة أن تتكسب الاموال، الهائلة، في جزائن أصحاب
الماكينات في حين أن العمال لا يجدون القوت الضروري مع العلم بأنهم هم
الذين شيدوا تلك المعالم المصخمة بماء اسخترف، من دماهم الزكية وبفاه اغتصب
نامن حقوقهم بالمقدسة... (١)

... قهل يوافق الشعب المصرى على مثل هذا العمل الوحشى والجزيرىة
الفظيمة كلا ثم كلا... أن مثل هذه المظالم لا تتفق مع الشهامة والسرورة
ولا شك عندنا في انكم ستهبون لنصرة الضعفاء، وتظنون الظلم ظمنة وطفية
فجسلا... (١)

... وهكذا يقدم الاشتراكيون المصريون فهما جديدا، المعنى للوطنية، وطريقنا
جديدا لتوحيد الأمة... ولا شك أن كلمات أديب بقشعوى لم تكن، لتمر بغير
اثر...

... فإذا كان الرأسماليون يريدون حقا وحدة الأمة ضد المحتل فليتنازلوا
قليلا عن جشعهم وظلمهم، انها صيحة معقولة ومنزنة وقابرة على أن
تكسب الراى العام الذى وجهت اليه...

... بل ان، الاشتراكيين لم يكتفوا بالزرد على صفحات الجرائد ولا بتوجيه
النداءات إلى الراى العام وبدأوا في حملة ايديولوجية لادانة النظام
الرأسمالى وشرح فكرة الاشتراكية ويصدر احدهم - حسين نامق - دبلوم
من جامعة أكسفورد - كتابا بعنوان « خلاصة الاقتصاد » وهو كتاب جيد
يبسط حقائق علم الاقتصاد السياسى ويقدمها في صورة أسئلة وأجوبة بحيث
يمكن للقارئ أن يفهم كثيرا من القضايا المعقدة... *

... وعن طريق الأسئلة والاجابات يشرح احسين نامق فكرة تطور المجتمع،
ونشوء الملكية الخاصة وحمية التوصل الى الاشتراكية...

... ويفسر كلمات غامضة - على المجتمع في ذلك الحين - مثل القيمة وفائض
القيمة والربح ولاحتكار... الخ...

... وبغض النظر عن بعض الأخطاء النظرية التى وقع فيها المؤلف متأثرا
بافكار العولية الثانية فلقد كان الكتاب نموذجا لشرح الفكر الاشتراكى واداة
النظم الرأسمالية...

(١) الاهرام ١٢/٩/١٩٢١

* يلاحظ أن الماركسيين الأوربيين، الإوائل إستخدموا ذات الأسلوب
لشرح أفكارهم...

ومكذلك لم يبق أمام أعداء الاشتراكية سوى التحصن خلف أذعائهم من
الاشتراكية ضد الدين
والحقيقة ان الحزب الاشتراكي المصري قد اتخذ موقفا جريدا من قضية
الدين ولا شك ان وجود عدد من رجال الدين في صفوفه أمثال الشيخ صفوان
والشيخ عبد اللطيف بحيث قد لعب دورا اساسيا في دفع الحزب الى تكشف
الجوانب التقدمية في الدين الإسلامي واستخدامها سلاحا ضد أعداء
الاشتراكية

لقد تفادى الاشتراكيون المصريون الاخطاء القاتلة التي وقع فيها شنجلي
شميل وغيره واعلنوا ان الدين معهم والى ضيقهم . . . الى صف الضعفاء
والكاذبين وليس الى صف أعداء الانسان . . .

ويسال حسين نامق في كتابه « ما علاقة الاشتراكية بالاسلام ؟ »
ويجيب « اساس الاشتراكية مواساة الفقراء والمساواة في الحقوق ، والدين
الاسلامي يأمر بالزكاة وينهى عن المنكر ويدعو الى الالفه بين جميع
الطبقات » (١)

ويقول حسين محيسن في مقاله « الاشتراكية تطلب المساواة بين
طبقات البشر وإصلاح الجموع وإزالة مساوئ النظام الاجتماعي وحماية
العامل من تحكم صاحب العمل وهذه مساوئ تتفق مع الاستثنائية وروح
الدين »

بل ان عددا من غير أعضاء الحزب ينتقد ليخوض هذه المعركة . . .
فنقول اعداد توجه رسالة الى الشيخ التفتازاني على صفحات الاهرام
يقول فيها :

« الاشتراكية عقيدة اجتماعية لا دينية ولا شان لها بالدين ، ألا انها
أكثر انطباقا على الاديان السائدة من سائر الانظمة الاجتماعية الغابرة
والحاضرة » (٢)

ويرد عزيز ميرهم على الشيخ التفتازاني ايضا قائلا « لا نظن أن
التعصب للملكية الفردية يصل بانسان فيدعي بانها ركن من اركان الدين »

(١) المرجع السابق - ص ١٢٠
(٢) الاهرام ١٣/٩/١٩٢١

لان الفضيلة وتهذيب النفس وهما أساس الدين يمكن تحقيقها على السواء في نظام الملكية الفردية وفي نظام الملكية الشيوعية ، فمسلح مخالفة للدين مرعود على القوم الذين يريدون الاحتفاظ بالاموال المكتسبة ظلما والتخلص من واجبه الاجتماعي والانساني فهم بذلك يحددون عن الدين وينكرون مبادئه السنانية ، (١)

لكن القول الفصل جاء من احد كرادل الحزب من رجال الدين .
الشيخ عبد اللطيف بخيت - بمدرسة القضاء الشرعي - الذي كتب تحت عنوان
« الاشتراكية والدين » قائلا :

« كثرت اراجيف اعداء الاشتراكية وسلخوا سبيلا يظنونه اكثر تأثيرا من غيره وهو تبغيضها للناس عن طريق الدين . . . والذي نعجب له هو سكوت اهل الدين العميق وكان المسألة لا تعنيهم الا اذا قدمت لهم فتوى رسمية . . . وبصفتي في مدرسة دينية عالية اتحدى المدعين مخالفة الاشتراكية للدين بالاتيان بآية او حديث يتعارض مع الاشتراكية بل على العكس من ذلك نجد روح القرآن والسنة تتمشي مع الاشتراكية كقوله تعالى « عسى ان جاءه الاعمى » « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ولم يقل اغناكم . . . والحديث القدسي « عبيد لو اطعتمني لادخلتكم الجنة ولو كنتم عبدا حبشيا ولو عصيتني لادخلتكم النار ولو كنتم شريفا قرشيا » .

فأله لم يعتبر الجاه والمال وإنما اعتبر العمل فقط . . .

ولما فتح عمرو بن العاص مصر وزع أرضها على الجند وغيرهم حسب ما يرى ولم يجد في الدين ما يمنعه ، (٢)

ولم يقبل الشيخ التفقازاني التحدي فصمت ولم يجب . . .

وهكذا كان تصدى الحزب للحملة الدعائية الموجهة ضده تصديا ذكيا وقويا الى الحد الذي اسكت معارضيه والتقط منهم المبادرة ثم شرع في الهجوم عليهم من نفس المنطلقات التي حاولوا استخدامها ضده . . .
الوحدة الوطنية . . . الدين . . . الخ . . .

ولقد كانت نتيجة هذه المعركة الفكرية نصر مؤزرا للاشتراكيين ودليلا على قدراتهم الفكرية وعلى شجاعتهم في التصدي لخصومهم . . .

(١) الامرام ١٩٢١/٩/١٠

(٢) الامرام ١٩٢١/٩/١٠

والفقد كانت اجام ١٣٠٠ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٦ - سبتمبر ١٩٢١ من صحيفة الهجوم المضاد
من الذين ارتقبوه وترتيبها ذكيا ، بحيثما استخدم الاشتراكيون الذين سألنا في الهجوم
وعلى خصوصتهم اولم يستطع الشيخ التفقاراني ولا غيره ان يردوا ...

وهنا اشهر اعداء الاشتراكية افلاسهم واعلنوا صراحة دانبخابهم من
الميدان محزين جريده الأهرام من أن الاستمرار في هذه المعركة التي بدأوها
من بعيد سنوي للاشتراكيين - ويتطوع بهذا التحذير - اندرناوس احتنا ، والذي نشر
شملتة - من المقالات ضد الاشتراكية في مكتب رسالة الى هذا الأهرام يقول فيها
« اسمحو لي أن أشكو من الطريقة التي تتبعونها في الكتابة علماء يسومونه
الاشتراكية والديمقراطية في مصر فانكم بعد كامتكم الأولى عنها تركتم طريقة
الغش والخبث غير متعادلة ولكنم أن تجميعوا المقالات والبيانات التي اذاعها هؤلاء الدعاة
والجدد وتجميعوا معها المقالات التي نشرت بكرود عليها فينبطى لكم انكم كنتم
مسترجعين لغيره - هذه الدعوة - « ثم يقول : « ان الاشتراكيين في هذه المعركة
لا يخطرون شيئا لانهم لا يملكون شيئا » (١)

ولقد كان صوت التحذير الذي رفعه اندرناوس هنا كافيا لابقاط الأهرام
وغيره من المنابر التي تعرضت للهجوم على الاشتراكية : فتوقفت هذه المعركة
الكلامية حتى لا يتاح للاشتراكيين مزيد من الانتصار .

ان هذا التراجع من جانب القوى المناهية للاشتراكية يستحق
التامل ، فهو دليل على عمق التأثير الذي استطاعت الافكار الاشتراكية ان تمارسه
على جماهير الشعب .

وهو دليل أيضا عن أن الحزب الوليد كان من القوة بحيث استطاع أن يلزم
أعداءه الحائط وأن يجبرهم على الانسحاب من المعركة . ولكن الحزب لم يكتف
بالمعركة الكلامية فلقد كان يسرع . . . وكأنه يسابق الزمن - في بناء قواعد
تقوية لهم في أماكن عديدة . . .

والحقيقة ان هناك محاولة متعمدة للتهوين من قيمة النشاط الذي بذله
الحزب الاشتراكي وقد تزعم هذه الحفلة لكونه الذي حاول تقديرا استطاعته أن
يتألف في التقليل من اثره الحزب ومفاليته وانما كانت مكتوبه ولا كوربه ، تعدد بالنسبة
للكتيرين مراجع انسانية في تاريخ الحركه الشيوعيه والاشتراكية في الشرق
الاروسط فسوف نحاول هنا ان نتامل ما أورده لاکور

(١) الأهرام ١٤/٩/١٩٢١

يقول للاكور : « ان القليلين من أعضاء الحزب كانوا يتحدثون العربية او يكتبونها وقليلين جدا هم الذين يعرفون كيف يقيمون علاقات بالعمال الذي هو في العادة فلاح يقوم بأعمال موسمية في المدينة » (١) .

ويكتب في كتاب آخر معلقا على تقرير قدم للكونغرس يقول ان ٨٠٪ من أعضاء الحزب من المصريين و ٧٠٪ منهم عمال « وقد جاء هذا التقدير في وقت لم يكن فيه عدد أعضاء الحزب يتجاوز عدد اصحاب اليديين بل ربما لم يكن يضم آنذاك في عضويته اى عامل » (٢) .

واعتقد اننا لسنا بحاجة الى التأكيد بان هذه التقديرات خاطئة تماما .

فالولا : ان لاكور يتجاهل وجود البروليتاريا المصرية ، ويقول ان العامل هو في العادة فلاح يقوم بأعمال موسمية في المدينة وهذا غير صحيح .

ثانيا : ان الصفحات السابقة والصفحات التالية قد شهدت ومستشهد سبيلا لا ينقطع من الاسماء المصرية التي لعبت دورا قياديا في الحزب الاشتراكي .

ثالثا : ليس من المعقول ان حزبا لا يزيد عدد أعضائه على اصحاب اليديين يقيم كل هذه الضجة . وعلى أية حال فان الامرام يقول ان « الدفاتر التي أخذها البوليس من نادى الحزب عند اعتقال المكان - عند حملة القبض الاولى على الاعضاء في ١٨ مارس ١٩٢٣ - أثبتت ان المنتمين الى الحزب والمنضوين الى الراية الحمراء من الوطنيين يبلغ عددهم ١٥٠٠ شخص » (٣) .

وهذا عدد كبير بغير شك في ظل الظروف السائدة في ذلك الحين .

والآن لنترك الادعاءات الباطلة لوالتر لاكور جانبا ولنحاول ان نلقى بعض الضوء على نشاط الحزب في الفترة الاولى من تكوينه .

اولا - فيما يتعلق بالقضية الوطنية :

لقد فهم الحزب فهما صحيحا طبيعة المعركة التي تخوضها مصر ضد الاحتلال واتخذ موقفا صحيحا من حزب الوفد وزعامة سعد زغلول باعتبارها زعامة وطنية معادية للاستعمار . كذلك دعا الحزب الى تكوين جبهة وطنية

(٢) لاكور . الاتحاد السوفييتي والشرق الاوسط . المرجع السابق

ص ٢٩

(٣) الامرام ١٩٢٤/٢/٢٢

تريد شاملة تسعى للاستقلال بالاضافة التي استمرارية في كشف القوى الموالية للاحتلال...
وفي ١٤ ديسمبر ١٩٢١ أصدر الحزب بياناً الى الأمة أعلن فيه
سرويه بانقطاع المفاوضات مع الانجليز وطالب فيه الجماعات الموصوفة
بالأعيان والمقبة باصحاب المصالح ان يتربصوا عن وضع انفسهم يتقاروا
للإحرام الزاري ، وحماية لما يرتكبه الوزارة من افعال حقوق الأمة
ثم حدد الحزب في هذا البيان برنامجاً من ثلاث نقاط لتوحيد النضال
ضد الاستعمار . وهذه النقاط الثلاث هي :

- ١ - تضامن الصحافة على ترك مسائل الشقاق ، والاقنصار على ما فيه خير البلاد .
- ٢ - توحيد السياسة الوطنية بالا يقبل مصري تاليف وزارة تعمل باى شكل تحت هيئة مشروع كيرزن .
- ٣ - الاتفاق على تعيين خطة الجهاد الوطنى المشروع تحت لواء وكيل الأمة وزعيمها الخالص الامين سعد باشا زغلول ، (١)

وفي مناسبة اخرى ساند الحزب الاتجاه الوفدى صراحة ، فعندما طرحت للنقاش مسألة استيزاك مصر في مؤتمر لوزان ام لا ، وحل تمثل بؤند حكومتى - تمثل الحكومة العميلة - ام بؤند شعبي يمثل الأمة . اجتمعت اللجنة المركزية للحزب في ١٧ أكتوبر ١٩٢١ واصدرت بياناً جاء فيه :

ولما كانت مهمة المؤتمر الذي سيعقد قريباً تسوية مشاكل الشرق فان الشغيب المصرى لا يستطيع ان يقف بعيداً يراقب غيره من الدول تتصرف كيفما تشاء في مصيره فاستقلال مصر وحياد قناة السويس مسألتان دوليتان يجب ان تكونا موضوع معاهدة دولية لا ان تتركا لواحدة من الدول تهيمن عليها كيفما تملى عليها مطامعها الاستعمارية .

مسئلاً ذلك ، فالحزب الاشتراكي المصرى بصفتة المترجمان لصنادق الامانى للطبقة العاملة في مصر عمالها وفلاحها يرى وجوب تمثيل مصر رسمياً في هذا المؤتمر ولا يقر أى مندوب عنها الا اذا كان حائراً لثقة الشعب القامة وواجب الحزب ان يحذر الأمة من الوقوع في الاحبولة التي نصبها الانجليز فتخرج انقطرت من المؤتمر وقد كسبت صوت مصر الى جانبها .

(١) الابرار ١٤/١٢/١٩٢١

ويعتمد الشعب المصرى على أن تركيا ذات الصلحة الكبرى في مسائل الشرق والدول الأوروبية الديمقراطية وعلى الاخص الجمهورية الاشتراكية الروسية الحامية الامينة للشعوب الصغيرة تؤيد مطالبنا الشرعية ، (١) .

كذلك كان الحزب الاشتراكي في مقدمة من اعترفوا وقوفهم ضد أسلوب الاغتيال السياسي .

ثانيا - الحزب والطبقة العاملة :

منذ البداية أدرك الحزب أهمية خلق مراكز له وسط الطبقة العاملة وتشكيلاتها النقابية ، وقد رأينا كيف كان العمل النقابي سييلا الى انضمام عدد من القادة العماليين الى صفوف الحزب .

بل ان بعض الباحثين يؤكد أن الحزب كان يعتبر ان تعميق علاقاته بالطبقة العاملة يمكنه أن يخلق عناصر دفع حقيقية في الحركة الوطنية ذاتها ، وذلك من خلال أنتمركز في صفوف البروليتاريا المنظمة ، وبناء اتحاد نقابات العمال وتوجيهه وقيادة نضال الطبقة العاملة ، (٢) .

والحقيقة ان التياز الماركسي في الحزب قد اهتم بالعمل وسط الطبقة العاملة كسبيل لتغيير المحتوى الفكرى والطبقي للحزب وللتخلص من نفوذ العناصر البرجوازية الصغيرة على القيادة .

وهكذا انطلقت الكوادر الأساسية . . الشيخ صفوان - مارون - روزنتال - شعبان جافظ - الشحات أحمد - مصطفى أبو هريرة للعمل وسط الطبقة العاملة سواء في الاسكندرية حيث كانت التركزات العمالية الأساسية أو في المدن الصناعية الأخرى مثل المحلة الكبرى وكانت للحزب مراكز قوية . ويؤكد مراسل الاهرام في الاسكندرية ان الحزب كان له نفوذ كبير في نقابات عديدة مثل : نقابة عمال الترام الحمراء - نقابة الصنائع - نقابة عمال الازر - نقابة العمال المختلطة - نقابة الصناعة اليدوية بالمحلة - ونقابة في الزقازيق . ويقول ان المعلومات التي حصل عليها من أوثق المصادر تؤكد ان عدد المنضمين الى اتحاد العمال المتأثر بنفوذ الحزب يبلغ ١٥ أو ٢٠ الفا .

(١) الاهرام ١٩٢٢/١٠/٢٠

(2) Jane De Gras (ed.)— The Communist international (1919-1943) : Documents (London : Oxford University press'1971) P.95

ويقول أنه قد علم بطريق الصدفة أن أعضاء فرع المحلة يبلغ عددهم نحواً من ٦٠ عضواً (١) .

كذلك سعى الحزب إلى كَسْب خريجي المدارس الصناعية وكانت مهمة خطوة غاية في الذكاء ، فهؤلاء هم أكثر العاملين استنارة ووعياً .

وقام أحد أعضاء الحزب وهو « ابراهيم الحسوقي رحمي » بتأسيس نقابة لخريجي المدارس الصناعية ووجه نداء إلى زملائه تحت عنوان « دعوة عامة إلى خريجي المدارس الصناعية » قال فيه : « نحن العمال الجائزين على الشهادات الفنية من المدارس الصناعية . يجب أن نقود العمال النشطاء إلى الطريق الصحيح ، فلذا أدعوكم جميعاً للانضمام إلى عضوية الحزب الاشتراكي المصري في أول فرصة ممكنة لنكون يداً واحدة كعامل واحد ، ويد الله مع الجماعة » (٢) .

كذلك اهتم الحزب بالعمل وسط عمال الشخن والتفريغ في الواحي المختلفة . وفي ٢١ أكتوبر ١٩٢١ وجه ابراهيم الحسوقي رحمي رسالة أخرى إلى الأهرام يقول فيها أن انضمام عمال الشخن والتفريغ إلى الحزب الاشتراكي سوف يزيده قوة .

كذلك قرر الحزب فتح مدارس ليلية ومدارس نهائية لتعليم أبناء العمال . وفي ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٤ أصدر الحزب بياناً قال فيه : « قرر الحزب الاشتراكي المصري في جلسته المنعقدة أمس فتح عدة مدارس مجانية في أنحاء مصر لتعليم العمال في الليل وأخرى لتهديب أبنائهم في النهار .

وسيجتفل بافتتاح أول مدرسة لهذا الغرض في ١٥ أغسطس ١٩٢٢ بجي كرموز وسيفتتح غيرها في أحياء الثغر الوطنية . والحزب يرجو العمال الراغبين في الالتحاق بهذه المدرسة وبغيرها أن يسارعوا إلى تقديم أسمائهم في سكرتاريته بالاسكندرية بشارع نوبار رقم ١٨ ليتمكن من معرفة العدد اللازم وضبطه .

وقد ورد اليوم على الحزب جواب من شعبته في المنصورة يفيد أنها قد أخذت حثو المركز الرئيسي وفتحت مدرسة للعمال هناك وستقتدى باقي الشعب هذا الأثر الأظيب في القريب العاجل » (٣) .

- (١) الأهرام ٢/٢٢ و ١٩٢٤/٢/١٩
- (٢) الأهرام ١٨/١٠/١٩٢١
- (٣) الأهرام ٢٩/٧/١٩٢٢

والخشقة أن الحزب قد لعب دورا بالغ الأهمية وسط الطبقة العاملة متشددا من الانتفاضة الثورية التي تموج بها جموع العمال ، حيث كانت أحداث ١٩١٩ الجيدة والوزن البطولي الذي لعبه العمال فيها لا تزال ماثلة في الذاكرة وحيث تحولت الاضرابات السياسية الى حركة نشيطة للمطالبة بحقوق اقتصادية ، وحيث أدى فشل القيادة البرجوازية والانتفاضة للثورة في تبني أية شعارات اجتماعية التي تحرك العمال لكن ينالوا حقوقهم معتمدين على أنفسهم .

ويشير التقرير الذي أصدرته لجنة التوفيق الرسمية في ٢١ يوليو ١٩٢٢ حول نشاطها في معالجة مشاكل العمال خلال السنة أشهر التي انتهت في ٣١ مارس ١٩٢٢ الى أن حوادث الاعتصاب قد ازدادت بشكل كبير منذ يوليو ١٩٢١ وأنه في تلك الفترة حدثت ٨١ حادثة من حوادث الاعتصاب بين ٥٠ شركة ومعملا وكان أطول هذه الاعتصابات اعتصاب عمال تكرير البترول في السويس والذي استمر ١١٣ يوما ثم اعتصاب عمال ترام القاهرة وقد استمر ١٠٢ يوم واعتصاب عمال شركة د ورمس ، واستمر ٦٠ يوما واعتصاب عمال شركة الغزل واستمر ٥٢ يوما ، واعتصاب شركة الغاز بالقاهرة واستمر ٤٥ يوما ، واعتصاب عمال المعروة الوثقى بالاسكندرية واستمر ٣١ يوما واعتصاب شركة ملابس لومبتون بمصر واستمر ٢١ يوما ، واعتصاب شركة الهندسة بالاسكندرية واستمر ١٩ يوما ، واعتصاب حلاجي القطن بدمهور واستمر ١٦ يوما وحلاجي القطن بزفتي واستمر ١٠ أيام .

كذلك اجتمعت اللجنة ما يوجد في مصر من نقابات العمال وجمعياتهم المنظمة موجبة أنه يوجد في القاهرة ٣٨ نقابة والاسكندرية ٣٢ وفي منطبة القنال ١٨ وفي طنطا ٤ ونقابة في دمهور والخرى في زفتي (١) .

ولقد لعب الحزب دورا قياديا في كثير من هذه الاضرابات التي أدت الى تحقيق مكاسب هامة للعمال . . . الى الحد الذي دفع مراسل الأهرام بالاسكندرية الى الشكوى مما حققه العمال من مكاسب فقال تحت عنوان «فوري الاشتراكية» : « لقد أرفنا الاختبار في الاسكندرية مدينة التجارة والصناعة والعمال ، أن العمال المستغربين قليلا فيها غالبوا أصحاب الاعمال فغلبوهم في مواقف عديدة وأجبروهم على رفع أجورهم من ٦٠ قروش التي ٣٠ قرشا ومن ٢٠ الى ٦٠ و ٨٠ قرشنا . ويؤكد الدكتور غرانفيل ان عمال مصانع السجاير اضطروا منحوتهم الى زيادة أجورهم أثناء الحرب في بعض الحالات الى ١٠٠ قرش العامل في اليوم الواحدة .»

(١) الأهرام ٢١ - ١٩٢٢/٧/٢٢

وقد رأينا شركة الغاز تخضع لمطالب عمالها وشركة الترام تجيب مطالب
 عمالها (١) .
 والذي يلفت النظر هنا هو ان المراسل يكتب هذه الكلمات تحت عنوان
 وهوى الاشتراكية ، وكأنه يريد ان ينسب الى الاشتراكية هذا النشاط .
 ويضع تقرير لجنة التوفيق الرسمية السابق الذكر جنحولا للاجور يوضح
 ان الاجور قد زادت عما كانت عليه في ١٩١٣ بنسبة ٨٥٪ وان معظم هذه الزيادة
 قد تحققت في عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ .

ولا شك ان هذا النجاح الذي حققته حركة النضال العمالي والنقابي
 قد تآثر الى حد كبير بوجود حزب نشيط كالحزب الاشتراكي ، كما انه لا بد وان
 هذا النجاح قد اثر أيضا في نشاط الحزب وفي الأقبال عليه . لقد كانت
 الحركة العمالية تخوض معركة نشيطة وعذيمة وكان الحزب الاشتراكي هو الحزب
 الوحيد الذي ساندنا بكل ما يستطيع من قوة وكان المحامون من أعضاء الحزب
 هم مستشارو هذه النقابات ، كذلك بذلت الكوادر الحزبية دورا هاما في تنظيم
 هذه الاضرابات وتنظيم ما يسمى بصناديق المعونة الحمراء ، لجمع التبرعات
 للعمال المضربين . وكان طبيعيا بعد كل ذلك ان يقبل الكثيرون من العمال
 للانضمام تحت راية الحزب .

وبسرعة - تستحق التقدير والاعجاب - استفادت قيادة الحزب من هذه
 الخطوة وضمت الى اللجنة المركزية عددا من العمال النشيطين مثل عبد الحميد
 أحمد عمثا لفرع الحزب في المحلة ، والشياح ابراهيم ممثلا لفرع الحزب في
 سمود ، ويومى الباسوسى ممثلا لفرع الحزب في العطف ومصطفى أبو مرجة
 نائب سكرتير الاتحاد العام للنقابات (٢) .

ثالثا - الحزب والفلاحون :

والطريق الى اقامة مراكز حزبية وسط الريف صعب للغاية ، وخصوصا
 في ظل الغموض الذي أحاط بموقف الحزب من المشكلة الازراعية في البداية وفي ظل
 العناية المركزة التي شنها رجال الدين ضد الحزب ، وفي ظل زعامة سعد زغلول
 . ومع ذلك حاول الحزب ان يصل الى الريف مستفيدا من كوادره العمالية
 والعمال عادة قادمون من الريف .

(١) الاضرام ١٩٢١/٨/٢٦
 (٢) الاضرام ١٩٢٤/٢/٢٢

وهكذا تمكن الحزب من إقامة فروع في المدن الأيضية مثل دمنهور -
المنصورة - بورسعيد - الزقازيق - المحلة - أبو كبير - شبين الكوم - وفي
عدد من المراكز التي هي في الواقع قرى كبيرة مثل سمندوت - العطف وغيرهما
والحقيقة التي تستحق التأمل أن بلدا مثل سمندوت يعتبر أحد المستأجرين
الأساسية للقوى العاملة للمركز الصناعي الهام في المحلة الكبرى * * *

ومن هنا فإن النشاط وسط العمال كان يؤدي إلى اقترب الحزب من
الفلاحين كذلك فإن النشاط وسط الفلاحين كان يمنح الحزب بعض النفوذ في مراكزه
تصوير العمال إلى المدن * *

غير أننا لا يمكننا أن نبالغ في الدور الذي لعبه الحزب وسط الفلاحين
مكتفين بالقول بأنه في هذه المرحلة كان قد خطا الخطوة الأولى الضرورية وهي
إقامة مراكز نشطة في المدن الريفية التي تعتبر بالضرورة معبرا إلى الريف
الحقيقي * * *

ومع ذلك فإن عبارة وردت في رسالة نشرها أحد الملوك في الإصرام
يمكنها أن تثير الاهتمام بالمزارع على متولى يقول « إن الفلاح قانع وصبور
* * * إلا أن بعض أبناء الفلاحين من متخرجي الكتاتيب قد هجروا الزراعة واصيبوا
بوباء المدن * * * واخذوا يذيعون في طول البلاد وعرضها أن البلشفية على أبواب
مصر ، ثم شرحوها للفلاحين على غير الحقيقة وأصبح الشيخ العجوز والشاب
يقولان إذا خلوا لأنفسيهما متى تكون « القسمة » (يقصد تقسيم الأرض)
والسواوة » (١) * *

والذي لا شك فيه أن الفلاح المصري الذي ظل آلاف السنين يحلم بملكية
قطعة من الأرض قد تأثر إلى حد كبير بتلك الأخبار التي تأتي من بعيد عن
حواء البلاشفة الذين يصادرون أراضي كبار الملوك ويوزعونها على الفلاحين

رابعاً - الحزب في مجال النشاط العام :

وفي عديد من الحالات لعب الحزب دورا لا بأس به سواء في الدعوة
لفكر الاشتراكي أو في إقامة التنظيمات الجماهيرية كالإتحادات والجمعيات
والليجان * * *

وفي مجال النشر أصدر الحزب سلسلة من الكتيبات حول الفكر الاشتراكي
ولعل أولها ما أصدره الحزب من هذه النشرات هو ما اشتراك فيه الإصرام * * *

* * * انتهجت التنظيمات الشيوعية بعد الأربعينات نفس الخطة تقريباً

(١) الإصرام ٢٦/٨/١٩٢١ * * *

في ٢٦ أغسطس ١٩٢١ على لسان مراسله بالاسكندرية الذي قال: « وقد رأينا رسالة مطبوعة باللغة العربية بعنوان: مجموعة أفكار اجتماعية بثت الدعوة للاشتراكية. » وقد جمعت بين أقوال كاتب عربي استعار اسم « مؤذن » وبين دعاية اشتراكية نلاوضاع في روسيا. » وهي أول رسالة عربية من نوعها تظهر في هذه البلاد. »

بل أن الحزب قد قام بعد ذلك بترجمة عددا من البيانات الهامة الصادرة عن الكومنترن ويدل اختيار هذه المنشورات على ذكاء كبير.

فقد ظلمت بالذات ابراز التحالف بين الاتحاد السوفياتي وتركيا الكمالية ضد الاستعمار الانجليزي. » وكانت هذه القضية تحظى بشعبية كبيرة وتثير اعجاب الشعب المصري بالسياسة السوفياتية ، حتى أن الاهرام لم يمتالك نفسه وهو ينقل الترجمة التي اصدرها الحزب الاشتراكي المصري لاجل بيانات الكومنترن بهذا الصدد من أن يقول « أن هذه البلاد - مصر - ليست اشتراكية والاشتراكية المتطرفة لا تنهض فيها غير انها تلتفت الى الحواظت الروسية بعين الاهتمام. » أما نص المنشور الذي وزعته الحزب فهو :

« انبها العمال عارضا كل حرب جديدة في الشرق »

« السلام للشعب التركي والحزب ضد الاستعمار الاوروبي »

ايها العمال والفلاحون »

« تجرى حوادث ذات اهمية كبرى في الشرق لقد حكم التحالف الراسمالي على الشعب التركي بالاعدام. »

ويناشد البيان عمال وفلاحى العالم الوقوف ضد حزب جديدة في الشرق تبيغك فيها، دماء أوروبا لفائدة الاستعمار الانجليزي » (١)

والحقيقة أن نجاح الحزب في ابراز التحالف للسوفياتي - التركي ضد الاستعمار الانجليزي قد اكسبه جماهيرية كبيرة ولتأمل هذه الكلمات التي يكتتبها مراسل الاهرام بالاسكندرية تحت عنوان: « حركة الحزب الاشتراكي » تجزئ في الاسكندرية الآن حركة اشتراكية شيوعية لم تر البلاد مثلها من قبل ، وهي تجتذب اليها العمال وعشاق الاشتراكية من كل جانب .

(١) الاهرام ٢١/١٠/١٩٢٢ .

وقد لا نخطئ إذا قلنا ان الحزب الاشتراكي يفتنم فرصة تأييد الروس
للمترك لنشر دعوته في مصر .. ونرى الناس يقبلون على اجتماعاته في شارع
نوبار اقبالا كبيرا (١) ..

والكلمات السابقة صالحة أيضا لتمطى لنا صورة حية عن نشاط
الحزب ومدى الجماهيرية التي حققها ..

وقد سعى الحزب الى اصدار جريدة أسبوعية له ..

وتقول الاهرام : كان الحزب الاشتراكي قد طلب من الحكومة رخصة
لاصدار جريدة اشتراكية خاصة به فرفضت وزارة الداخلية هذا انطلب لا سيما
على اثر ما نشره الحزب من الاحتجاجات والاعتراضات المتعلقة بالسياسة
المحلية . ولما لم ينجح في أخذ الرخصة جعل يبحث عن جريدة موجودة فوجد
جريدة «الشبيبة» وهي جريدة اسبوعية ادبية اجتماعية للشيخ عبد الحميد
النحاس فانفق واياها على تحويلها الى جريدة اشتراكية . وحولها الحزب
الى شكل جديد وألغى عدد ما صدر منها وجدد نشرها بالعدد ١٤٠ وقد
صدر عددها الاول في هذا الاسبوع الغائب وفيها مقالة عن لينين ومقالات
اشتراكية متعددة وقد جعل شعارها النجل والمطرفة .

ويظهر ان وزارة الداخلية لم توافق على هذا الابدال فأصحرت التيوم
امرا باغلاق الشبيبة ومنع نشرها . وكان الحزب قد شرع في توزيع نسخها
على أعضائه باعتبار انهم مشتركون وجعل الاشتراك ٣٠ قرشا في السنة (١)

والغريب في الامر انه يبدو ان الشيخ عبد الحميد النحاس صاحب
امتياز الشبيبة كان وفديا فان الشعار الذي اختاره لمجته قبل التنازل
عنها للحزب الاشتراكي كان احد كلمات سعد زغلول . من كانت الشبيبة معه
فان المستقبل بيده (٢) ولا شك ان لهذا دلالة كبيرة فهي توحى بان الحزب
الاشتراكي كان الى حد ما مقبولا من بعض العناصر الوفدية في هذه
الفترة ..

(١) الأهرام ١٠/١٠/١٩٢٢

(٢) الأهرام ٧/١٢/١٩٢٢

(٣) قسطاكي عطارة - تاريخ تكوين الصحف المصرية - المرجع السابق

والحقيقة ان الحزب لم يتراجع امام هذه الملاحقة التي تقوم بها السلطات
 ففي اليوم التالي مباشرة تنشر الاهرام ان الحزب الاشتراكي سوف يتخذ
 صحيفة اسبوعية جديدة تصدر في القاهرة كلسان حال له بعد ان الغيت
 جريدة الشبيبة . وقد اتفق الحزب بالفعل مع صاحب الجريدة على تحويلها
 اليه
 لكن صف هذه الفترة لا تحمل اية اشارة الى جريدة اشتراكية اخرى
 والارجح ان وزارة الداخلية قد لاحظت المحاولة قبل اتمامها فمنعت صاحب
 المجلة عن التنازل عنها .

وإذا كانت جماهير الشعب قد بدأت تشعر بنوع من الغضب على
 مساندة الاتحاد السوفيتي لتركيا ومناصرته المستمرة للشعوب فقد وجدته
 الحزب ان هذه فرصة سانحة لتنظيم حملة جماهيرية لجمع تبرعات لتكوين
 المجاعة في الاتحاد السوفيتي
 والحقيقة ان هذه الحركة قد اتخذت طابعاً جماهيرياً بحسب وتعمد
 الاشتراكيون ان يشركوا فيها اوسع الجماهير
 ويشير الاهرام الى انه قد ألفت في الاسكندرية لجنة جديدة من
 انصار الاشتراكيين والمستغلين في نشر مبادئها وفي مقبديتهم انيسوا اوزونثال
 بقصد جمع تبرعات لاغاثة الشعب الروسي لان الاشتراكية لا وطن لها
 وفهمنا ان هذه اللجنة المؤقتة ستدعو اليهم جميع ممثلي النقابات في
 القلدة الى اجتماع يعقد في آخر الاسبوع لتأليف لجنة اوسع (١) .

ولم يقتصر نشاط اللجنة على العمل وسط النقابات فقط فصح شكلت
 فيما بعد لجنة خماسية بهدف الاتصال بالحكومة والتواصل والدوائر الاخرى
 وعمل اسواق خيرية واجراء حفلات موسيقية وتمثيلية تدوم عدة ايام
 وقررت ايضا جمع الاكتنابات ومما يذكر انه مما قرره هذه اللجنة ان تطلب
 من الحكومة المصرية التنازل عن جزء من القمح والدقيق المخزون لديها
 لاغاثة الكوبيين (٢) .

(١) الاهرام ٢٦/٨/١٩٢١
 (٢) الاهرام ٨/٩/١٩٢١

٠٠ والحقيقة ان اللجوء الى أسلوب اقامة اسواق خيرية واحياء حفلات موسيقية وتمثيلية ٠٠ يدل على ان قيادة الحزب الاشتراكي قد اتقنوا فن العمل بين الجماهير ٠٠ واصبح باستطاعتهم ان يصلوا اليها على نطاق واسع .

كذلك فان النشاط الجماهيري الواسع الذي قامت به شعبة الحزب في مدينة النصورة من تاسيس فرع لجمعية الاسعاف يديره متطوعون من أعضاء الحزب وفرقة موسيقية تعزف في أفراح العمال بالجان وفصول لتعليم اللغة الفرنسية وأخرى لمحو الامية ٠٠ وللمعد الكبير من الاعضاء الذين ضمتهم الى صفوفها كل ذلك يمكنه ان يقدم لنا صورة عن النشاط الجماهيري الواسع الذي مارسه الحزب في ذلك الحين(١) .

كذلك فان مشروع « صناديق المعونة الحمراء » الذي يستهدف جمع تبرعات للعمال المضربين قد مكن الحزب من ان يصبح ذا نفوذ وسط جماهير الكادحين وقد تبنى مشاكلهم ودافع عنهم على قدر طاقته في وقت تخلت فيه كل الاحزاب عن اية شعارات او مطالب اجتماعية والنتيجة الحتمية لذلك هي ان يتسع نشاط الحزب ويتزايد ويتشعب في اتجاهات عديدة تعبر عن نمو خبرته وقدراته وكوادره ٠٠

وينعكس اثر ذلك على الطبقة الحاكمة التي تقرر انه قد ان الاوان للدخول في صراع ضد الحزب .

وبعد ١١ شهرا فقط من اعلان الحزب ٠٠ وهي مدة وجيزة جدا تجرد وزارة الداخلية انه من الضروري انشاء مكتب جديد لتابعة النشاط السياسي بالاسكندرية ويخصص له اثنان من اكفأ رجال الباحث عما انجرام بك ٠٠ والبكباشي كمال الطرابلسي (٢) .

ولاشك ان لهذا القرار الخطير مغزاه الواضح ، فالحكومة تستعد للهجوم ولكن الحزب لم يتراجع وقرر ان يستمر في التقدم بأسرع ما يستطيع .

(١) راجع محضري النقاش مع السعيد السجري وحافظ سند بالملاحق .
(٢) الامرام ١٩٢٢/٨/٣ .

التي كانت لها اليد الطولى في توجيه الحركة الوطنية في مصر، وقد كان لها دور كبير في تنظيم العمل القومي، وتهيئة الظروف لقيام ثورة 1919م.

بعد قيام الثورة، عملت هذه المجموعة على تنظيم العمل القومي، وتهيئة الظروف لقيام ثورة 1919م، وقد كان لها دور كبير في توجيه الحركة الوطنية في مصر.

بموجب ذلك، فقد تم تنظيم العمل القومي، وتهيئة الظروف لقيام ثورة 1919م.

*** المؤتمر الأول للحزب .. الانضمام للكونغرس ***

في 1919م، انعقد المؤتمر الأول للحزب، وقررت فيه الانضمام للكونغرس.

*** المؤتمر الثاني .. تغيير اسم الحزب ***

في 1920م، انعقد المؤتمر الثاني للحزب، وقررت فيه تغيير اسم الحزب.

*** موجة من النشاط العام ***

ثم بدأت الظاهرة ..

بعد ذلك، شهدت مصر موجة من النشاط العام، وقيام ثورة 1919م.

وكانت هذه الموجة من النشاط العام، نتيجة لقيام ثورة 1919م.

هذا هو التاريخ الذي شهد قيام ثورة 1919م.

المؤتمر الأول للحزب الإضيقام للكونمنترون

في الفصل السابق تابعنا كيف دعمت العناصر الماركسية مراكزها وكيف عززت نفوذها من خلال النضال اليومي وقى الأساس من خلال الالتصاق بالحركة العمالية . .

وبالتدريج أصبحت هذه العناصر هي القوة الايساسية في الحزب . وبينما كان سلامة موسى والعناني والآخرون يترجمون على قمة الحزب عن اللفاحية الشكلية كان حسنى العرابي وصفوان أبو الفتوح واسكندر صاده وأنطون ماريون وغيرهم من العناصر الماركسية يقومون بنشاط جم يهدف تأسيس مراكز حزبية في أماكن عديدة ويهدف دعم الحركة النقابية ودعم التواجد الحزبي فيها ونشر الفكر الماركسي بين صفوف الأعضاء الجدد . وهكذا وصل الحزب الى وضع غريب .

قاعدة ماركسية . . وقيادة يحكمها التركيب القديم الذي تابعنا كيف كان الحزب يعاني منه في الصفحات السابقة . . قيادة تضم نابيين وهيكلين يساريين واشتراكيين الدولية الثانية وقاعدة شيوعية ، وكان لا بد من تصحيح هذا الوضع .

ولأن الحزب كان قد عزز لنفسه مراكز قوية في مدينة الاسكندرية (حيث كانت تتركز القوى الايساسية للطبقة العامة) ولأن حسنى العرابي وروزنتال ومارن وصفوان أبو الفتوح وأحمد المننى ومصطفى أبو هرجه واسكندر صاده كانوا يقيمون بالاسكندرية فقد حدث في هذه المدينة نوع من التركيز للعناصر الماركسية التي سيطرت على شعبية الحزب هناك وتابعت من هناك عملية القيادة الفعلية لكل فروع الحزب (١) بينما استمر سلامة موسى والعناني وعنان وغيرهم يمارسون نشاطهم التقليدى ، وهو نشاط محدود جدا في شعبية القاهرة وحدها عاجزين عن أن يخوضوا غمار المنافسة مع الماركسيين الذين نشطوا نشاطا متزايدا أعجز هذه العناصر التقليدية عن أن تلعب أى دور منافس .

ومن هنا يبرز التصور الذى حكم بعض الكتابات عن هذه المرحلة والذي أوحى بأن الصراع كان بين شعبية القاهرة وشعبية الاسكندرية (٢) لكن التعبير

(1) MURIUS Deeb — Party politics in Egypt 'The walk and its Rivals 1919-1939 (London : ithaka press' 1979) — P.86.

(٢) رؤوف عباس وعبد العظيم رمضان ولاكوز وغيرهم .

للصحيح هو أن الصراع قد اجتمع بين الاتجاه الماركسي الذي ساد عبر الحزب بزعامته قادة شعبة الاسكندرية وبين المثقفين التقليديين الذين يعادون اعلان ماركسية الحزب

كذلك يحاول عبد العظيم رمضان أن يصور هذا الصراع على أنه صراع بين المثقفين من جانب والعمال من جانب آخر (١). قائلاً أن الصراع قد انتهى بطرد المثقفين من الحزب

ولنا على هذا الرأي ملاحظتان

الأولى : صحيح أن التيار الماركسي وهو أحد قطبي الصراع كان يؤمن بقيادة البروليتاريا لكن ذلك لا يعني أنه ضد المثقفين : فتقادة هذا التيار أنفسهم كان كثير منهم من المثقفين ، العرابي وصفوان ومارون وغيرهم ، ويعتقد أن عبد العظيم رمضان قد تأثر في هذا الرأي بعبارة قالها فولاد الشمالي يتأخّر فيها المثقفين ويطلبهم بترك العمال يديرون شؤون حزبهم

والثانية : أن أحداً لم يصدر قراراً بطرد المثقفين لكن غداً من المثقفين انسحب من الحزب رافضاً فكرة اعلان ماركسية الحزب والانضمام الى الدولية الثالثة

والحقيقة أن الغموض يحيط بإطراف وأساليب هذا الصراع الذي تفجر سريعاً داخل الحزب وبلغ ذروته في ٣٠ يوليو ١٩٢٢ عندما عقد الحزب مؤتمراً سرياً لقرار الاسس الجديدة للنشاط ولاقرار فكرة الانضمام للدولية الثالثة

وليست هناك معلومات كثيرة عن هذا المؤتمر ، لكن ثمة شواهد تؤكد اعتقاده وتؤكد إنه قد اتخذ عدداً من القرارات الهامة

يقول روزنتال في شهادته لقد تبين أن لجنة القاهرة لم تظهر إخلاصاً كافياً على حين كان فرع الاسكندرية بالرغم من قلة عدد أعضائه يظهر كفاءة تفوق كفاءة المركز الإداري. وقد طلب بعض أعضاء الفروع جعل الاسكندرية مقراً للحزب ، وبالفعل تم هذا التغيير بعد موافقة أعضاء الفروع على ذلك في اجتماع خاص عقد لهذا الغرض (٢)

(١) ص ٢٥٨ - كذلك يقول عبد النعم الغزالي أن الحزب قد انعزل تماماً عن الجماهير الثورية الأخرى غير العمال وقاطع النشاط في أي وسط جماهيري ما دام غير عمالي ص ٩٢ وهذا غير صحيح في اعتقادنا

(٢) الأهرام ١٩٢٢/٨/٣

كذلك أشارت الأهرام إلى بيان صادر باسم الجمعية العمومية للحزب الاشتراكي المصري يتضمن القرارات التي اتخذتها هذه الجمعية (١) بتاريخ

لكن مواد الشمالي يقرر عقد المؤتمر صراحة فيقول « وفي يوم ٢٠ يوليو عقد في الإسكندرية مؤتمر حضره مندوبون من جميع شعب الحزب في أنحاء القطر بينهم وفد من أعضاء لجنة القاهرة فتقرر بالإجماع جعل سبعة الإسكندرية مركزا إداريا للحزب . كذلك تقرر بالأغلبية التجري اعتراف المذهب الشيوعي وتم في المؤتمر انتخاب اللجنة الإدارية المركزية . »

ومكذا يمكننا ان نستخلص جدول أعمال المؤتمر الأول للحزب

- ١ - نقل المركز الإداري للحزب
- ٢ - تحديد موقف الحزب من الشيوعية ومن ثم مسألة الانضمام للكومنترن
- ٣ - انتخاب لجنة مركزية جديدة

والواضح ان هذا المؤتمر قد عقد سرا ، وفي الاغلب عقد في الإسكندرية لكن مراسل الأهرام النشط لم يستطيع اكتشاف الأمر الا بعد ان أصدر الحزب بيانا يعلن فيه قرارات المؤتمر .

والواضح أيضا ، ان المحور الأساسي للصراع داخل المؤتمر كان مسألة الموقف من الشيوعية ، ولم تكن مسألة نقل المركز الإداري للحزب ومسألة انتخاب لجنة مركزية جديدة سوى نتائج طبيعية للإلتفات على الموقف الأيديولوجي .

والحقيقة ان تفجير هذا الصراع كان مسألة حتمية وخاصة بعد ما شاهدهنا في الفصل السابق من تجمع عناصر من اتجاهات متباينة دون صراع فكري حقيقي ، وبدون أن تحدد مفهومًا متقاربا لما تعنيه بكلمة الاشتراكية ، وكان النضال اليومي هو المفجر الحقيقي للصراع ، وهو الذي حدد أطرافه وحدد قوى كل طرف من هذه الأطراف .

وخلال عملية بناء الحزب كان الماركسيون هم أكثر العناصر نشاطا ومن ثم كانوا أكثرها نفوذاً وبعد أقل من عام من النشاط الحزبي عقد

(١) الأهرام ١٩٢٤/٣/٧ .

المؤتمر الأول ليقرر بالغالبية العظمى إعتناق الذهب الشيوعي ، والانضمام
للدولية الثالثة .

وخلال هذا المؤتمر أمكن عزل العناصر المعارضة . . . سلامة موسى
والدكتور الغناني ويبدو أن عزلتهما كانت شبه تامة فلم يرتفع أى صوت
بالمعارضة سوى صوت سلامة موسى نفسه أما محمد عبد الله عنان وأحمد
الميدنى فقد أمكن للماركسيين كسبهما فى هذه الجولة . . . (١)

وهذه مسألة هامة تستحق التأمل وتوخى بأن حظة الماركسيين كانت
تستهدف كسب أكبر قدر من العناصر - بغض النظر عن موافقتها
السابقة - طالما أنها تغلظ موافقتها على النظرية الماركسية .

وقد بدأ الأمر بمسألة قد تبدو شكلية: فالاستمرار الاسم كما هو . . . الحزب
الاشتراكي المصري ، وأضيفت بعد ذلك عبارة « الشعب المصري للدولية
الشيوعية » ، ثم استبدلت بـ « حزب مصر الشيوعي » .

وهى خطوة تدل - بغير شك - على جانب كبير من الذكاء وتوخى
ايضا بالاتجاه المرن للقيادة الجديدة . . .

لكن مراسل الأهرام بالاسكندرية لم يشأ لهذا التغيير ان يميز بغير
صفة فكتب يقول « كل يوم يتكشف لنا هذا الحزب الذى يطلق على نفسه
اسم الحزب الاشتراكي عن شئ جديد فهو يسمى نفسه الآن ويطبع على أوراقه
اسم « الحزب الاشتراكي المصري » ، وتحت هذا الاسم الضخم يطبع كلمة
« الشعب المصري للدولية الشيوعية » ، وقد نشر في البلاد ورقة باسم
الجمعية العمومية للحزب أورد فيها ما أسماه قراياته ، ومن هذه القرايات
أن تكون لجنة الحزب المركزية بالاسكندرية وأن ينضم الحزب للدولية
للاثالثة . فحين اذا أمام البلشفية بتمامها لانه أورد في برنامج أعماله قرايات
ما أسماه بالدولية الثالثة في موسكو . . . (٢)

وكالعادة فقد كانت كلمة الأهرام إشارة البدء لاعلان الصراع على
صفحات الجرائد ، وفي اليوم التالى نشرت الأهرام بياناً لسلامة موسى
بعنوان « عام فى الاشتراكية » .

(١) لم يفظن عبد العظيم رمضان الى هذه الحقيقة الهامة فأدرج اسم
عبد الله عنان ضمن المعارضين لهذه الخطوة ص ٥٢٩ . . . وهذا غير صحيح
كما سنرى فيما بعد .

(٢) الأهرام ١٩٢٢/٨/٣

قال فيه : « منذ عام تقريبا. تألف بالقاهرة حزب اشتراكي معتدل
المذهب يسير على خطة نيرة رشيدة يقودها زعماء أكثرهم تربي في أوروبا
وشامدوا بأعينهم الحركة الشيوعية في إقبالها وإدبارها وغلوها وإعتدالها
وكلهم مع ذلك وطني يعترف ان مصر لم تبلغ بعد الدرجة التي تستطيع فيها
أن تهمل الرابطة الوطنية مستعينة عنها بزوايا أخرى شتعية أو
اجتماعية .. »

لهذا السبب أراد مبتدئو الحركة في مصر أن تكون صيغتها مصرية
بحيث تكيف بتكيف الزاج المصري ولا تنقل عن أوروبا نقلا . كما أرادوا أن
ينهجوا نهج الاعتدال والثقة في خططهم بحيث لا يجد ولاية الامور مجالا
للتخوف أو الشدة في سيرهم . »

وبعد هذا الغمز والاشارة الى موقف السلطة من التغيير الجديد . .
بيدأ سلامة موسى محاولة اظهار أن التحول الجديد تم على بند اجنبية
هي يد روزنتال الذي قال عنه « انه مع اجتهاده في نشر الدعوة الاشتراكية
منذ أكثر من عشرين سنة لم يفلح في ادماج الوطنيين في الجماعة الامرنجية
التي تلتف حوله . » وانما اقبل الوطنيون على الحركة عندما راوا اعتدالنا
واخلاص نيتنا . »

وعلى هذا سرنا عدة شهور الى أن رأى مسيو روزنتال أن صدره لا
يتسع لاعتدالنا وان محاولته لكي يجرنا الى خطته قد ذهبت عبثا فاتفق مع
بعض مشاركيه في الرأي على نقل الحزب الى الاسكندرية . »

ثم يمضى سلامة موسى محددنا نقطة الخلاف الاساسية بينه وبين الخط
الجديد للحزب فيقول : « انى اعتقد أن الاشتراكية لن تفلح عندنا حتى
يرضى بها المتوسطون - ان لم أقل الاغنياء - قبل العمال لانهم هم الطبقة
المستفيرة التي تستطيع فهم مبادئها . »

ثم هو يؤكد « ان الثورة في بلاد مثل مصر مقضى عليها بالفشل ولو
نجحت لكان نجاحها أكثر شرا من الفشل . »

وفي النهاية يكمل سلامة موسى تحديه قائلا : « بقيت كلمة اتولها
للمتخوفين والمرتابين وهي أن الرعونة التي ظهر بها مسيو روزنتال لن تصيب
بها غير نفسه وسيلتئم الحزب الاشتراكي بالقاهرة قريبا . » ويعود الى
خطته التعليمية التمهيدية من غير هوج أو غلو وهو فيها يعمل ويعلم ويضع

مصلحة مصر فوق كل المصالح. (١). ولا شك أن تطور الأحداث قد أثبت خطأ
تصورات سلامة موسى وخاصة فيما يتعلق ببرونيتال.
لقد اتفقنا المؤكد أن سلامة موسى وزملاء لم يبذلوا أي جهد جدي
لتكوين تنظيم مستقل واكتفوا بالانسحاب تاركين الميدان تماما للحزب. باتجاهه
الاجنبي. وحتى سلامة نفسه يؤكد هذه الحقيقة فهو يقول في إحدى
مقالاته ، فحاولنا أن نجدد الحزب حتى نقاوم هذه الحركة الجنوبية فلم
نقو لعدة أسابيع فقمنا بالسكوت فننظر تقلب الأحوال ، (٢)

لكن سلامة موسى - بالرغم من توفيقه عن أي نشاط حزبي - لم يكف
عن إعلان معارضته للدولية الثالثة ولا عن هجومه على الاتجاه الجديد
للحزب

وبعد أيام يكتب مقالا آخر بعنوان « الدولية الثالثة والأشتركية »
يتحدث فيه عن الدولية الثانية ويقول : لقد كان بمقدورها أن تضم جميع
اشتراكيي العالم فيهما. ولكنها فقدت شيئا كثيرا من مكانتها لنا ظهر
فيها من الضعف والانشقاق مدة الحرب
ثم يعرض على الحزب تحديلا للدولية الثالثة فيقول : « وفي فيينا
عاصمة النمسا الآن دولية تدعى « الاتحاد الدولي للحزب الاشتراكية » وقد
تألفت في ١٩٢٠ من الأحزاب التي رفضت قبول الاحدى وعشرين نقطة التي
تتطلبها الدولية الثالثة في موسكو ، وهي مع ذلك لا تريد الرجوع إلى الدولية
الثانية في بروكسل »

ومصلحة الحزب الاشتراكي المصري الآن إذا أراد أن تكون له مكانة
في النظام الاشتراكي العالمي أن ينضم إلى دولية فيينا . . . أما الانضمام
إلى الدولية الثالثة فمعناه الخروج من الاشتراكية وقبول الثورة كوسيلة
شرعية للحصول عليها . ومن يحاول الآن أن يدمج الحزب الاشتراكي
المصري في الدولية الثالثة إنما يخدع أعضاء هذا الحزب الذين انتموا إلى
الحزب باعتباره حزبا اشتراكيا محسب

ثم يمضى سلامة موسى ليحرف بنفس اللغة التي حاجمها من قبل
فيقول : « وإذا راجت الإشاعة بأن عقدنا حزبا شيوعيا على اتصال دائم
بموسكوا باتت حركة الاستقلال بعيدنا في خطر . . . إن ولاءنا لمصر ينبغي

(١) الأهرام ١٩٢٣/٣/٤
جد (٢) الأهرام ١٩٢٤/٣/٨

أن يكون أكبر من ولائنا للاشتراكية فاستقلالنا هو الغاية الأولى والاشتراكية هي الغاية الثانية . . . (١)

ويبدو أن هذه الكلمات لم تكن ذات تأثير كبير ، فإن أحداً لم يرفع صوته بتأييد هجوم سلامة موسى ، حتى دعا على العناني شريك سلامة موسى في موقفه لم يكلف نفسه عناء كتابة كلمة نايبيد لهذا الموقف . لكن الحزب لم يترك هذا الهجوم بغير رد وتصدى للرد محمد عبد الله عنان (سكرتير فرع القاهرة) .

والحقيقة أن اختيار محمد عبد الله عنان للرد على سلامة موسى بانذات كان خطوة بارعة فهو اعلان بأن سلامة موسى لا يمثل فرع القاهرة و اعلان بأن سلامة موسى لا يمثل حتى كل المعتمدين ، السابقين .

ويكتب محمد عبد الله عنان المحامي وأحد مؤسسي الحزب الاشتراكي ، - هكذا وقع المقال - مقالا عنيفا بعنوان أكثر عنفا هو «رسول شيوعي يشرح مذهبه» قال فيه .

« لقد دعونا الى تأليف الحزب الاشتراكي منذ عام واصدرونا إذ ذاك بياناً أو برنامجاً ندعو اليه . وقد مضى عام ونحن نعمل في دائرة الطرق السلمية الهادئة ولم نهمل قط مراعاة ما يسود البلاد من ظروف خاصة ، وقد جاهرنا ولا زلنا نجاهر باننا لسنا من الثوريين وأنا من دعاة التطور الاجتماعي والسياسي . نقرر ذلك ولكننا نقرر أيضا أننا نعتقد المبادئ الاشتراكية الماركسية . وأنا لا نعترف اشتراكية وطنية ، اللهم إلا أن تكون تلك التي تلقيناها الرفيق سلامة موسى عن الاشتراكية الرجعية الانجليزية التي عاش في ظلها مدة من الزمن .

لهذا لا نتفق مع الرفيق سلامة في وجوب وطنية الاشتراكية المصرية . ان للحزب الاشتراكي مساعدة خاصة بالسياسة المصرية لوجود مصر في ظروف خاصة ولكن تلك المساعدة لا مساس لها بالاشتراكية .

ان من يقرأ كلمة الرفيق سلامة موسى يعتقد أننا قد أصبحنا متطرفين وأنه حافظ على اعتداله .

(١) الأهرام ١٩٢٢/٨/٩ .

حيثما وقع الواسع أننا لم نغير شيئاً من مبادئنا التي وافقنا عليها وأعلنناها منذ
ومن التحامل أن يرى في تقرير الحزب الانتماء إلى الدولة الثالثة أمراً
جديداً يسميه بسيماء الغلو لأن ذلك متعلق بتضامنا مع باقي الرفاق في
العالم وبرائنا في تقرير المبادئ الماركسية. وقد يناح لنا أن نناقشه
في ذلك مناقشة خاصة غير أننا لأنقره منذ الآن على وجوده مبظرف ومعتدل في
الاشتراكية المضرة ونقرز أن اعتداله في نظرنا تكوّن على المبادئ وأوتدأ
إلى زوايا الرجعية.

وبعد ، فقد حدث اتهام جم في ماهية الاشتراكية والشيوعية من ونحن
نقرر بملء الصراحة أن الغاية الاشتراكية مهما تنوعت لا تخرج عن شيوعية
الملك. وأن الاشتراكية لا تعادى بذلك هي الاشتراكية عتيقة فسندختها
الاشتراكية الماركسية التي أصبحت نبراس القوة العاملة ومثلها الأعلى
والتي قامت على مبادئها دعائم الجمهورية السوفياتية (١).

وهكذا أعلن الحزب صراحة موقفه ، لكنه اتخذ خطة تقول أننا لم
نغير شيئاً ، أما هي نفس أفكارنا القديمة لكن سلامة موسى هو الذي تغير
ان تضمن الرد اسم سلامة موسى. وتحدثه دون إشارة إلى زملائه
يوحي بأن الحزب قد نجح في حد كبير في عزل أفكار سلامة موسى وأن
المؤتمر الأول كان يمثل الشيء حد كبير جميع كوادر الحزب.

وفي اعتقادي أن تصدي محمد عبد الله عنان للرد يهدم الصورة هو
خير دليل على نجاح المؤتمر في توحيد كوادر الحزب ونجاحه في كسب أكثر
العناصر اعتدالا إلى صف الخط الجديد.

وإذا كان محمد عبد الله عنان ما لبث أن ارتد فهو أيضاً يعد قليل من
الوقت ، فإن ذلك لا يظلل. وطلقاً من أهمية هذا النص الأبيولوجي الذي جقته
المؤتمر ، ولهم يكن محمد عبد الله عنان هو الوحيد من بين المعتدلين الذي
تم كسبه إلى صف الاتجاه الجديد فهناك أيضاً أحمد الحنن المحامي الذي
تولى الشكرتازية العنامة للحزب في فترة غياب جنيني الغزالي في موسكو (٢).

وبطبيعة الحال فإن موجة الهجوم لم تقتصر على سلامة موسى بل
شاركت فيها جريدة الأهرام كعادتها دائماً.

في ٣ أغسطس عاجم مراسل الأهرام بالإسكندرية الاتجاه الجديد
للحزب مندداً بالبلشفية ، التي أدت إلى هدم وخراب الإمبراطورية الروسية

(١) الأهرام ١٨/٨/١٩٢٢

(٢) الأهرام ٢٠/١٠/١٩٢٢

وعلاوة على مليونين من أمثاله ، ويقولون ، فقلوبنا إن النظام اللاديمقراطية لنجح أو ألقى بخير ما للصغير أو تكبير لكان لدعائه - في مصر - عذر مقبول لبعض القبول ، لكن الأمر بالعكس ، فما بالهم يحلمون بأن يحل الفقير محل الغنى والضعيف محسب القوي والملكية للمجموع ، بلا مالك وغير ذلك - ههنا - يصرف - بتجديدها وتؤدي إلى الهلاك - (١)

وفي تعليق على مقال سلامة موسى السابق تكتب الأهرام ، ونحن نقائيل هذه المذاهب الشيوعية لانها الفوضى ونحن محتاجون إلى النظام ، ونحن بحاجة إلى تقوية رؤوس الاموال حتى نعلم الخراب - (٢)

وتنشر الأهرام أيضا هجوما شديدا بتوسيع ملكية ، يطالب فيه الحكومة بمطاردة الحزب

بل انه يهددها بان الملاك قد يحاولون ان يدفعوا هذا الخطر بأيديهم فيقول : اننا نكتب الحكومة الى ان ما يقوم به هؤلاء الناس مما يمتنيه القوانين البحرية عامة سواء في ذلك القانون السماوي أو القانون الوضعي من واجب ان نفهها كذلك الى اننا نحن الملاك فننظر فيها ان يقوم بالوليد ازاء ما يهددها من الخطر وازاء امر لا نريد ان ندفعه بأيدينا ، فهل عند الحكومة اذنان لتسمع بهما ؟ ذلك ما نظن والسلام - (٣)

لكن الحزب لم يعبأ بذلك وواصل مسيرته ، وتنتهيا لقرار المؤتمر الاول ، سافر حسنى العرابى الى موسكو ليحضر المؤتمر الرابع للكونغرس طليبا الاعتراف بالحزب المصرى كعضو فى الدولية الثالثة

ومن موسكو كتب حسنى العرابى سلسلة من المقالات عن زيارته الى روسيا الحمراء ، وتوالت الاخبار عن خطب حماسية ألقاها فى المؤتمر قال فيها ، انه يؤمل بالرغم من معارضة الاستعمار الانجليزى والرايىمالية المصرية ان يرى الاعلام الحمراء خلف يوم ما فوق ربي الأهرام ، وقال ان الحزب المصرى قد خطا خطوات واسعة وانه سيشارك فى الانتخابات القادمة وسوف يوضع برنامجا للفلاحين - (٤)

- (١) الأهرام ١٩٢٢/٨/٣
- (٢) الأهرام ١٩٢٢/٨/٤
- (٣) الأهرام ١٩٢٢/٨/١١
- (٤) نفا عن بيان محمد عبد الله عنان - الأهرام ١٩٢٣/١/٦

والحقيقة ان الخطوات الاساسية كانت قد اتمرت في المؤتمر الاول ، ولم يكن سفر حسنى العرابي الا تنفيذاً لها

وكذلك كان حسنى العرابي الا يزال في موسكو عندما اصبح احمد المنفي بياناً عن احتفال الحزب بذكرى اعلان الثورة الروسية وانبثاق فجر الحرية محضر الاجتماع جمع غير من الاعضاء وافتتحت الحلقة بالنشيد الدولي ثم وقف الرفيق احمد أفندي المنفي المحامي والتي خطاباً بين فيه تاريخ الثورة الروسية واسبابها ونتائجها وما ضارفتها من العقبات وانتهى من خطبته بين التصفيق والهتاف

وبعد ذلك رفع الستار عن تمثال الحرية المقيدة التي اخذ العامل على نفسه ان يحطم قيودها ويطلقها من الاسر الذي وضعتها فيه الراسماليون

ثم وقف الرفيق نيوتسف روزنتال والتي خطاباً شرح فيه معنى الثورة الروسية وأشار الى علاقتها بالشرق والشرقيين فقوبلت اقواله بالتصفيق وقام بعده الرفيق السيد هزدي فشرح أعمال الثورة وعلاقتها بالفضيحة التركية وانتهى الحفل كما بدأ بالنشيد الدولي . (1)

كذلك اصحر الحزب قبيل عودة حسنى العرابي من موسكو ميثاقاً هاماً بعنوان « نداء الى العمال اليدويين والذهنيين في العالم » اذان فيه « العدوان الوحشي الذي ترتبه سلطات الاحتلال البريطاني ضد مطالب مصر المقدسة » ويعلن ان الحزب الاشتراكي المصري سوف يقف في طليعة الحركة الوطنية وسوف تقف الجزوليتاريا المصرية الواعية في وجه اى تهافتات مع الطفلة

ويعلن النداء « ان المثل الاشتراكية التي تتجسد في بعث كل شعب في العالم قد اظهرت الان على مسرح السياسة في مصر

وفي النهاية يدعو البيان « المثقفين الاشتراكيين » الى « الاتجاه نحو الريف كي يخلقوا جبهة سياسية واقتصادية موحدة يمكنها ان تجابه نفوذ البرجوازية » (2)

(1) بيان احمد المنفي السكرتير العام للحزب - الاحرام ١١/١١/١٩٢٢ .
(2) walter Laquer — Communism and Nationalism in the Middle East, P. 34.

المؤتمر الثاني تغيير اسم الحزب

لقد سافر حسنى العرابى ليحضر المؤتمر الرابع للكوهنترن ويحقق هدفين محددين :

١ - قبول الحزب الاشتراكى المصرى عضواً فى الكومنترن والاعتراف به كممثل للبروليتاريا المصرية .

٢ - خلق ارتباط بين الحزب وبين الحركة البروليتارية العالمية .

وقد قام حسنى العرابى بدور نشط ناخى عديداً من الخطب والبيانات . ولكن يبدو أن المسألة لم تكن سهلة فقد تشكلت لجد للدراسة الموضوع كان مقرراً للرفيق كاتاياما واستمعت اللجنة الى تقرير قدمه حسنى العرابى نوره بنصه للاهمية التاريخية (١) .

تقرير عن الحزب الاشتراكى المصرى وقرار حياله

ايها الرفاق :

لقد اجتمعت لجنة المسألة المصرية عدة مرات واستمعت الى تقرير الحزب الاشتراكى المصرى وناقشت القضية باستفاضة ، اننا ندرك ان مصر تحتل مكانا هاما ، فهى من ناحية تفصل بين الشرق والغرب ومن ناحية اخرى تصل بينهما ، وهى المفتاح الى الشرق والشرق الاقصى ، ولذلك فالحركة الشيوعية المصرية ذات أهمية كبرى .

ولقد عانى الشعب المصرى طوال أربعين عاماً من استغلال الاستعمارين الانجليزى والفرنسى ، وكانت لحدى نتائج الحرب الاخيرة ان غير الشعب المصرى موقفه فثار ضد الاستعمار الانجليزى ، وبينما يكتب صحفنا الجورجسوازيين والرأسماليين المصريين بالاستقلال الاسمى لبلادهم قيان

(1) International press Correspondence V. 3.N.

2-5-1-1923. P. 21

الشيوعيين والعمال والثوريين لا يرضون بهذا الاستقلال ، وإنما يطلبون استقلالاً حقيقياً ، وبالنسبة لموقفهم من هذه القضية فانهم يجب أن يحضروا بمساعدة الكومنترن ، ولقد إتفقنا - نحن لجنة المسألة المصرية - على أن الحركة الشيوعية في مصر يجب أن تتلقى المساعدة والتشجيع ، وبناء حركة شيوعية في مصر أمر ضروري حتى تمسك بالمفتاح الى الشرق والشرق الأقصى . وفي حالة وقوع تمرد في الهند فإن مصر بفضل الموقع الجغرافي لأذن تتسلفه يمكن أن تفتح الطريق للثورة الهندية وتبنيانديها بإغلاق فتنة الشيوعيين ، لهذا تحوينا الرغبة في مد يد المساعدة للحركة الشيوعية المصرية وإلى الاعتراف بالحزب الاشتراكي المصري . إن الحزب الاشتراكي المصري ما زال حديث الولادة لم يختر بعد حزمة في عمدة نواح . هذا بالرغم من أن الزفاق المصريين يسرون على خط الكومنترن . ومع هذا نود أن نضع بعض الشروط لانضمامهم إلى الكومنترن . لهذا قررنا طرح هذا القرار أمامكم :
 ١ -

١ - قرار من لجنة المسألة المصرية عن الحزب الاشتراكي المصري ، صادر في ٢٦ نوفمبر عام ١٩٢٣ .
 ٢ - قرار من لجنة المسألة المصرية عن الحزب الاشتراكي المصري ، صادر في ٢٦ نوفمبر عام ١٩٢٣ .

٣ - تقرير مندوب الحزب الاشتراكي المصري الذي أتيح لنا الاطلاع عليه للدلالة على أن الحزب الاشتراكي المصري يمثل حركة ثورية عارمة تسير على نهج الدولية الشيوعية .

٤ - ومع هذا فاللجنة تقترح تأجيل قبول الحزب الاشتراكي المصري في الدولية الشيوعية الى حين :

١ - يطرد الحزب بعض العناصر غير المرغوب فيها .
 ٢ - ويقتد مؤتمر ينضم فيه إلى الحزب الشيوعي المصري رأى عنصر شيوعي في مصر يمكن أن يكون حالياً خارج الحزب الشيوعي المصري ويقبل الشروط الواحد والعشرون الدولية الشيوعية .

٣ - ويكون الحزب قسدي غير اسمه إلى الحزب الشيوعي .
 لذلك تقترح اللجنة التي الحزب الاشتراكي المصري عقد مؤتمر يهدف إلى تحقيق الشروط المشار إليها أعيناً في تاريخ قريب لا يتعدو الخامس عشر من يناير ١٩٢٣ .

٤ - القيد عاد جسني العرابي وهو في عجلة من أمره فقرار المؤتمر الرابع الكومنترن يلزمه بالقيام بأعمال جسيمة خلال فترة قصيرة جداً - لا تتجاوز

١٥ يناير ١٩٢٣ . وإذا كانت لجنة المسألة المصرية قد أعدت تقريرها في ٢٦
نوفمبر ١٩٢٢ ثم عرض بعد ذلك على المؤتمر فإن حريتي العرابي يكون قيد
وصيل مصر حوالى منتصف ديسمبر ، ولم يكن أمامه سوى شهر واحد تقريبا
لانجاز ثلاث مسائل عميرة .

١ - تغيير اسم الحزب من الحزب الاشتراكي المصري الى الحزب
للسيوعي المصري ، وهو خطوة يبدو أن المؤتمر الاول للحزب قد أثار جوليا
جدلا طويلا انتهى بنوع من المساومة بين الأطراف المختلفة تمتت في الاحتفاظ
باسم الحزب الاشتراكي المصري مع اضافة عبارة « الشعبية المصرية للدولة
الثالثة » وحتى هذه المساومة للذكية توافق عليها المؤتمر بالاغلبية
وأيس بالاجماع .

كذلك فإن الدعايات المعادية للشيوعية كانت قد نشطت خلال الفترة
السابقة الى حد أن كلمة « الشيوعية » أصبحت مرادفا لتعبير آخر هو الاباحية .
بل ان بعض المترجمين كان يترجم كلمة Communism وربما بحسن نية - الى
اللفظ العربي « أباحية » اشتقاقا من لفظ مباح وإيحاء الى أن الشيوعية تبنيح
الملكية للجميع .

كذلك نلاحظ أن الإصرام يعلن أن اللجنة المركزية للحزب قررت أن يغير
اسم الحزب الى الحزب الاباحي (١)

والحقيقة انه لا يد من التأمل - في ظل الظروف الموضوعية لمصر
عما اذا كان ضروريا تغيير الاسم ام لا ، فلينين عندما عرض عليه الحزب
المغولي في ١٩٢١/١١/٥ تغيير اسمه من الحزب المغولي الشعبي الثوري
الى الحزب الشيوعي قال لقادة الحزب « أنا لا أنصحكم بذلك . المشكلة
ليست استبدال اسم باسم آخر . ولو طلبتم رأيي فأننى لا أنصحكم بالتغيير .
وقال لينين أيضا « ان أمام الثوريين المغوليين واجبات كثيرة كى يبنوا دولة
جديدة واقتصادا جديدا وثقافة جديدة قبل تحول هؤلاء الرعاة الى
بروليتاريا . الامر الذى يساعد في المستقبل على تحويل هؤلاء الاشتراكيين
الشعبيين الى شيوعيين ، لكن مجرد تغيير للواجهة مضر وخطير »

الا انه يتعين ملاحظة أن ظروف مصر تختلف عن مغوليا من حيث قوة
البروليتاريا المصرية وتتصاعد نضالها ونضجها في المارك الثورية . ومن
حيث ضرورة تحديد جد فاصل يميز الاشتراكي الدولية الثانية الذين كانوا
لا يزالون يمارسون نشاطا في الحزب .

(١) ١٩٢٢/١٢/٢٧

٢٢ لكنه وبالرغم من هذه الظروف الموضوعية فإن عملية الاسراع الشديد بتغيير اسم الحزب دون صراع ايديولوجي كاف ودون توضيح للتواعد قد وصلنا بالمسألة الى الوضع الذي وصفه نيتن يانه ، مجرد استبدال اسم باسم آخر ، او مجرد تغيير للواجهة ،

٢٣ - فصل بعض اعضاء الحزب ، او بالدقثة - فصل روزنتال ونحن نعلم ان روزنتال قد لعب دورا أساسيا في تأسيس الحزب ، وكان يمارس نفوذا واسعا وسط العناصر الاجنبية ، ووسط النقابات (١) ، ولقد كان له دورا كبيرا في عقد مؤتمر ، ولم تكن هذه مسألة سهلة ، نظرا لضيق الوقت الذي يعوق اي اعداد جدي للمؤتمر ، كذلك فاننا نلاحظ ان مجلة International Press Correspondence قد نشرت القرار في عندها الصادر في ٥

يناير ١٩٢٢ وربما اذيع القرار قبل ذلك مما يجعل من المستحيل امام الحزب عقد مؤتمره سيرا كما حدث بالجنسبة للمؤتمر الاول ، خاصة وأن السلطة تعلم انه مضطر الي عقد المؤتمر في مدة لا تتجاوز ١٥ يناير ١٩٢٢ ، ولهذا اضطرت اللجنة المركزية الى أن تحاول عقد المؤتمر علنا وعمل البوليس على منعه .

ولسنا نعرف الدوافع التي حدثت بلجنة المسألة المصرية في المؤتمر الرابع للكومنترن التي تحديت يوم ١٥ يناير كحد أقصى لتنفيذ هذه الأمور جميعا ،

(١) تضاربت الأقوال حول سبب اصرار الكومنترن على فصل روزنتال فيقول لاکور أن السبب هو قبول روزنتال الفوضوية (الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسط حاشية ص ١٠٦) وثمة شواهد تؤكد هذا الاستنتاج منها أن مقر الحزب الاشتراكي بالاسكندرية كان يضم ضورا لماركس ولينين وروزا لوكسمبرج وياكونين ، للزعيم الفوضوي ، كذلك ثمة رواية شخصية سمعناها تقول ان روزنتال هو الذي اقترح على سلامة موسى ترجمة وبتداء التي السباب لياكونين ، ويقول لاکور في كتابه ، الشيوعية والوطنية في الشرق الأوسط ، ان روزنتال كان ضمن الاقلية التي عارضت الانضمام للدولية الثالثة ص ٢٢ كذلك نلاحظ أيضا في شهادة روزنتال امام النيابة - راجع الملاحق - ان لروزنتال تحفظات على شروط الدولية اذ يقول اعرفها جميعا ولو كنت احد واضعها ربما كنت لا اوافق على مجموعها ، وفما تجدر الاشارة اليه ان أفيجدور واسمه الحقيقي ، نيقول كوني ، وهو زوج ابنة روزنتال كان في ذلك الوقت ممثل الكومنترن في مصر ، وان شتارلوت روزنتال ظلت عضوا في الحزب ، بل وأصبحت في عام ١٩٢٥ عضوا في اللجنة المركزية للحزب .

لكننا ندرك اية صعوبات واجهت قيادة الحزب عندنا حاولت التقييد بهذا الموعد
وندرك ان الاسراع الشديد ربما أدى الى بغض الفواقص
المهم ، لقد بدأ حسنى العرابى وزملاؤه العمل بفرعة ربما كانت أمسك
ضرا من الابطاء ودعوا الى اجتماع للجنة المركزية تقرر فيه

١ - فصل روزنتال .

٢ - اعلان تغيير اسم الحزب .

كذلك قررت اللجنة المركزية ان يتولى احمد المدنى امانة الصندوق بدلا
من روزنتال ، لكن الامور تتطور سريعا
فروزنتال يصغر. بيانا غاضبا يتهم
فيه « احد الأشخاص » (حسنى العرابى) بالتمسك والسيطرة والوقية بينه
وبين الكومنترن

وأحمد المدنى ما لبث ان قدم استقالته بيجة ، ان الشيوعية بهذا
الشكل كثيرة جدا على مصر ، وأن البلاد لا تقوى على تحمل مبادئها ، وأنه
لا يستطيع الاشتراك بالعمل مع اللجنة المركزية الموجودة

وبعد عدة اسابيع انسحب أيضا السيد مريدى واسكندر صاده

ثم ما لبث محمد عبد الله عنان ان بدأ هو أيضا الهجوم ، فكان هجومه
جاء مناقضا تماما لكل ما جاء في بيانه السابق ، فبدأ يهاجم لجنة الاسكندرية
لانها خرجت وتمردت على ما اختطه الحزب لنفسه من سياسة الرزائفة
والتعقل وسرعان ما تأيد خروج تلك الشعبة بما زعمته من انها قررت نقل
لجنة الحزب المركزية الى الاسكندرية وبما زعمته أيضا من فصل زعماء
الحزب ومؤسسيه ورجالها العاملين تخلصا من رقابتهم الحكيمة وسياستهم
الرشيده ولم يقف خروجها عند ذلك الحد ، بل انها تحت ظل اسم الحزب
الاشتراكى المصرى ارتكبت الشطط ونادت بابعاد المبادئ تطرفا وأدعاها الى
تشويه هيبه المبادئ الاشتراكية الصحيحة ، فلم ير مؤسسوا الحزب عندئذ الا
أن يعلنوا للرأى العالم براعتهم من خطر هذه التصرفات وسفه تلك السياسة ،
وأن يؤكدوا لرفاقهم ومواطنيهم انهم ملتزمون جانب الرؤية متمسكون بشد
أزر الغاية الوطنية

لكن الناس جميعا كانوا لا يزالون يذكرون هجوم عبد الله عنان على
سلامة موسى وكلماته الحاسمة التى تصف نفس الافكار التى يرددها اليوم
بالرجمية

منه ان اجتماع اللجنة المركزية الذي عقد في ١٠ اواخر ديسمبر لم يجزئه احد من
القاهرة . . . ولا محمد عبد الله عن نفسه . . .
والسؤال المطروح هو: هل يمكن في عهد اللع عنان - سكرتير اللجنة
الحزب بالقاهرة عضوا في اللجنة المركزية . . .

ام ان منظمي هذا الاجتماع التاجل اکتفوا بجمع بعض اعضاء اللجنة
المركزية فقط . . .

هذه المقالة من الصنوب التاكد منها ، بالخاصة وان نظام الحزب بالرغم من
جديته لم يكن يسمح باعلان اسماء اعضاء اللجنة المركزية . . .
المهم ان عنان لم يشترك في اجتماع الاسكندرية ، يؤكد ذلك ما نشره
الاهرام يوم ٤ يناير نقلا عن رسالة واردة من مكتبة بالاسكندرية في ٣ يناير
وازلتنا اليوم حضرة الاستاذ محمد عبد الله عنان المحامي مستشار الحزب
الاشتراكي - المصري في العاصمة ، واخبرنا انه قدّم الى الاسكندرية ليربّط عن
حقيقة الظروف والموامل التي دعت بعض اعضاء فرع الاسكندرية لفتح
بعض امور ادت الى احداث ضجة شديدة حول مبادئ الحزب وعاياته . . .

ثم ان عنان يذكر في بيانه الذي نشر في الاهرام : و اخيرا قامت حول
تصرفات تشبه الاسكندرية ضجة ثانية وتكررت الاهرام ان نرى ان من الأعضاء
قرر ان يسمى الحزب ثانيا ، وان اعضاء من اساطيننا قد اقبلوا
له اشتغال احتجاجا على تلك التصرفات (١) . . .
السهم هكذا يستقى عنان معلوماته من الاهرام فيشرع الى الاسكندرية ليثبت
الموقف ثم صدر بيانه الذي يهاجم فيه الحزب ويحرض ضده السلطات فيقول
وان الخبز في التطرف المقبول ليس من شأنه الا ان يؤخر الدعوة الاشتراكية
وان يحزن السلطات على عدم الثقة بمبادئنا واعراضنا العاقلة . . .

ولقد كان عنان من الانتهازية بحيث هاجم كل المواقف والاتجاهات التي
دافع عنها جاراً منذ اسابيع قليلة وعلى صفحات نفس الحسيرة
والاهرام . . .

ولقد كان من السهل الرد عليه وافحامه بحججه هو ، وبنفس كلماته
الساذجة لكن الذي تصدى للرد عليه لم يكن موقفاً . . . ان بطبيعة هذا

(١) الاهرام ١٩٢٣/١/٤

الشخص - فؤاد الشمالي - فوجهي بيانه قد اشتمع للرد دون تكليف من الحزب. - فقد اكدتني بعبارات عامة لا تتسع لحداد، رغم اذا به يقبول « كلمتي الى زعماء الاشتراكية في مصر. ان يتذكروا العمال، يتولون بانفسهم جميع شؤونهم، لان الاشتراكية من العمال والعمال وبالعمال وليست بالتجار والملاك والمحامين » (١).

فهل كانت كلمات الشمالي موجهة ضد عبد الله عنان، أم انها غمزة من طرف خفي للقيادة الجديدة ومن أعضائها حسنى العرابي، « التاجير » وصفوان أبو الفتح « المدرس » وأنطون مارون « المحامي » وغيرهم من المثقفين *.

وعلى أية حال فان الحزب لم يكتف بهذا الرد وتوجه عدد من أعضائه الى مكتب الاهرام بالاسكندرية وطالبوا بنشر رد على عبد الله عنان، لكن الاهرام اكتفى بأن نشر في اليوم التالي « أن عددا من أعضاء الحزب قد زارنا وأطلعنا على مراسلات كثيرة متبادلة بين زعماء الحزب في القاهرة والاسكندرية

(١) الاهرام ١/٩/١٩٢٣

... على أية حال ما لبث فؤاد الشمالي أن انسحب من الحزب معلنا تأسيس حزب جديد اسمه « الحزب الاشتراكي السوري اللبناني » مقره الاسكندرية وأصدر بيانا مليئا بالتخبط يقول فيه « شرعنا في تكوين جمعية ترمي الى تحرير سورية ولبنان سياسيا واقتصاديا وقلنا اشتراكي لا شيوعي لاننا وجدنا معنى الشيوعية يتفق والاباحية - وما وضعنا مبادئنا الاساسية التي استخلصناها من الوثيقة الثالثة رأينا انها تتناقض مع معنى الشيوعية والاباحية - وما نحن سوى لسان حال الطبقة العاملة المغلوبة على امرها نعمل لتحسين حال العمال على قدر المستطاع في الوقت الحاضر، ونرمي الى تسليم مقاليد الاحكام وزمام الامور الى طبقة العمال والفلاحين في اول فرصة تمكننا » (الاهرام ٢٦ مايو ١٩٢٣) لكن سلطات الامن لم تسكت على محاولة الشمالي تأسيس حزب سوري لبناني بالاسكندرية فاستدعته وانخرته وقالت له - على حد قول مراسل الاهرام - « يجب أن تسكت وتحذروا » (الاهرام ١/٩/١٩٢٣) - وقد سكت الشمالي ويبدو أنه قد غادر البلاد على الفوز الى الشام حيث شارك هناك في تأسيس الحزب الشيوعي السوري اللبناني.

وقد ظهر اسمه فيما بعد عضوا في اللجنة التنفيذية للمصنعة المعادية للامبريالية - ثم ما لبث أن اُبعد أيضا من صفوف الحزب الشيوعي السوري اللبناني -

يستغل منها إن هناك أشياء شخصية كثيرة بينهم . (١) . ولم ينشر الأهرام
رأى الحزب ، لكن هذه العبارة توحي على أية حال بأن ثمة محاولات قد
بذلت لتبوية الأمر مع عبد الله عنان .

وعلى أية حال وبالرغم من بعض النواقص التي أدت إليها محاولة
الاسراع الشديد في التنفيذ ، فقد تمكنت اللجنة المركزية من التحكم في الموقف
واستطاعت أن تعد العدة لعقد المؤتمر الثاني للحزب .

ولقد كان الصراع حول حق الحزب في عقد مؤتمره العيाम محيا لموقف
السلطات من التطورات الجديدة التي طرأت على الحزب .

والحقيقة ان السلطة كانت قد بدأت منذ فترة في محاولة تقييد نشاط
الحزب وفي ٧ ديسمبر سنة ١٩٢٢ استدعت سلطات الامن بالاسكندرية
روزنتال وأبلغته أنها بأمر مدير الامن العام تحظر عليه نشر الدعوة الشيوعية
والا فإن الحكومة قد تفكر في ابعاده عن البلاد . فرد روزنتال قائلا « انه
مضري الجنسية ويسرى عليه من القوانين ما يسرى على جميع المصريين فاذا
كانت الحكومة ترى عمله مخالفا لهذه القوانين فليس اسهل عليها من محاكمته
والا فلا داعي للتعرض له في مبادئ ليس في نيته الكف عن اتباعها » (٢) .

ثم تفجر الموقف من جديد عندما تقدم الحزب بطلب رسمي لسلطات
الامن بالاسكندرية بطلب عقد مؤتمره العام يومي ٦ - ٧ يناير ١٩٢٣ . وقد
احتاطت اللجنة المركزية للأمر فقررت ان المؤتمر سوف يصبح قانونيا مهما
كان عدد الاعضاء الحاضرين (٣) .

ويقول الأهرام إنه « كان مفهوما ان أحد اركان النهضة الشيوعية في
أنطريا وهو الدكتور بول سياتي الى الاسكندرية مؤندا من قبل الحزب
الرؤسي لخصور هذا المؤتمر . لكن هذا الرجل لم يات حتى الان غير ان
الحزب لا يزال عازما على عقد مؤتمره في موعده » .

ويواصل الأهرام قائلا « وقد علمنا ان ادارة الامن في الاسكندرية
استدعت اليوم المسيو روزنتال سكرتير الحزب الذي فصل منه مؤخرا ومنجمود
انفذي حسنى الغرابي السكرتير العام للحزب وابلغت كلا منهما على حدة
ان وزارة الداخلية قررت ان تمنع عقد المؤتمر الشيوعي الذي ينوي الحزب

(١) الأهرام ١٩٢٣/١/٦ .
(٢) رؤوف عباس - المرجع السابق - ص ٢٤٤ .
(٣) رؤوف عباس - المرجع السابق - ص ٢٤٤ .

عقدته في الاسكندرية ، وإن البوليس في هذه العينة سينفذ هذا الامر ويجول
دون عقد ذلك المؤتمر ، (١) .

لكن الحزب أعلن عن تصميمه على عقد المؤتمر في موعده ويبدو انه قد
حاول الاستفادة من الامتيازات الممنوحة لأعضائه من الاجانب والتي تمنع
البوليس من التدخل إذا ما عقد الاجتماع في مكان مستأجر باسم شخص
اجنبي (٢) .

وفي ٣ يناير أصدرت اللجنة المركزية نداء الى الراى العام العالمى
أرسلت صوراً تلوغرافية منه الى الاحزاب الشيوعية بالخارج والى النواب
الشيوعيين في البرلمانات المختلفة جاء فيه :

• تقييم بعض الجماعات الرجعية في مصر اجتماعات ينازلون فيها
الشعب المصرى المءاء جبهة تحت حماية للبوليس • وصحفهم تسمى للبلاد
في الداخل والخارج بما ينفثون من سموم بدون مراقبة ولا ازعاج .

ويعلن الحزب الشيوعى المصرى عن عقد مؤتمر له من بين أعضائه يومى
٦ و ٧ يناير ١٩٢٣ فتعلمه الوزارة المصرية بالتعطيل وتتحدهاء فتمنع
محاضراته الاسبوعية وتحرمه من لسان يعبر عن آمال الشعب المصرى
المطلوب على امره • ففى أى زمن نحن ؟ وهل نحن حقاً مستقلون ؟ وهل هذه
ثمرة الاستقلال المزعوم ؟ •

فالى الشعوب الاوربية نشهدهما على مهزلة الاستقلال وتجار اليها من
المظالم الاستعمارية التى لن يصبر المصريون على تحملها طويلاً ، (٣) .

ويتضح من هذه الرسالة ان المسألة لم تكن مجرد منع عقد المؤتمر ، بل
ان البوليس قد منع أيضاً المحاضرات الاسبوعية بدار الحزب •

وقرر الحزب أن يتوجه اعضاء المؤتمر الى مقر الاجتماع ، ولا يتفرقون
الا اذا فرقهم البوليس بالقوة •

(١) الامرام ١٩٢٣/١/٤

(٢) عيد العظيم - رمضان - المرجع السابق - ص ٥٣٦

(٣) الامرام ١٩٢٣/١/٥

والتي وافق عليها المؤتمر بالموافقة على ما تضمنه من مبادئ
ومنتع أعضاء المؤتمر بالقوة من دخوله . . . واكتفى الحزب نيتيا للاحتجاج على
هذا المنع . . .

سنة ١٩٢٤ . . . في مؤتمره في القاهرة . . .
وغيره لكن هذه المبرحة لم تكن إلا استقرار الحزب خلفه انما هو مؤتمره
سيرا . . . وان كان قد اكتفى بان حضره عدد محدود من الاعضاء . . . وقد أقر المؤتمر
الاجراءات التنفيذية التي اتخذت (١) . . . كما يبدو أيضا ان هذا المؤتمر قد وافق
على مشروع البرنامج الجديد . . .

والذي . . .
. . .

لجنة (٢) . . .
. . .

وهو . . .
. . .

(١) عبد العظيم زهنتان عرض ١٩٣٦ رؤوف عياش النص (٢٤٤) ١٩٣٤
وشهادة روزنتال - باللاحق . . .

موجة من النشاط القارم

وبرغم هذه الظروف المعقدة فإن الحزب قد مارس ابتداءً من أول عام ١٩٢٢ نشاطاً ملحوظاً وواسع النطاق في مختلف المجالات وفي مختلف الاتجاهات.

فأصدر الحزب برنامجاً - الذي سبقت الإشارة إليه - وكان يغير شك برنامجاً ممتازاً يعبر عن المتطلبات الحقيقية للمجتمع المصري وكان نموذجاً للموقف الطبقي الواضح في اظهار الفهم السليم للقضية الوطنية في بلد مستعمر. وقد تورد هنا مقرة من حيثيات الحكم الصادر ضد قادة الحزب في عام ١٩٢٤.

ففي هذه حيثيات تحاول الهيئة المحكمة ان توضح عن هذا البرنامج فتقول: وحيث أنهم ابتدأوا هذا البرنامج يأمور تتعطش إلى كثير منها نفس كل مصري، وتود تحقيقها لجعلوا هذا البرنامج نافذاً إلى العفول (١) كذلك تبني الحزب في برنامجه وخطوطه العامة سياسةً بيليمية تجاه القوى الوطنية الأخرى، فدعا إلى تنظيم جبهة متحدة من العناصر الأشد تطرفاً والموثوق بها في الحركة الوطنية مع احتفاظ الحزب الشيوعي بشعاره ونظمه أدته، وتضمن برنامجه نكاحاً تاماً يمكن للقوى الوطنية ان يلتفت حولها وهي:

العمل على تحرير مصر والسودان تحريراً تاماً خالياً من كل سائبة وربط الشعبين أحدهما بالآخر لينتقما معاً ويتمكنا من استثمار ثروتهمما الطبيعية وتعميم نفعها في البلدين، ويقاونا على شن الغارة على ممتلكاتنا سواء كانوا وطنيين أو أجانب.

تيسير الفناء الدين العمومي الذي تستعمله القوة الاستعمارية لاستعباد الشعب المصري استعباداً اقتصادياً. (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

* الغاء الامتيازات الاجنبية *

* المطالبة بحرية الاجتماعات والمطبوعات والخطابة والافراج عن المسجونين السياسيين *

وهي جميعا مطالب وطنية وقومية يمكنها أن تمنح الحزب مكانا وسط القوى الوطنية التي كانت تغلى بالغضب من تهادن القيادات والزعامات مع الاستعمار.

ونود هنا أن نلاحظ أن هذه المطالب لم ترد في البرنامج الذي أورده شهدي عطيه والذي قلنا في فصل سابق أننا نعتقد أنه البرنامج الذي أصدره الحزب عقب مؤتمره الثاني في أوائل عام ١٩٢٣.

وأما وردت ضمن حيثيات الحكم الثبات في الأشتارة التي مع تأكيد من هيئة المحكمة بأن هذه المواد كانت ضمن البرنامج المطبوع الذي أصدره الحزب في كتيب مع الشروط الواحد وعشرين للدولية الثالثة.

لكن ذلك لا يشكك في صحة البرنامج الذي أورده شهدي فان معظم نقاط هذا البرنامج مشار إليها وورادة بنفس العبارات في حيثيات الحكم.

كذلك نلاحظ أن لأكور في كتابه الشيوعية والقومية في الشرق الأوسط لم يورد هذه المطالب أيضا وإن كان قد أشار إلى مطلب لم يرد عند شهدي

ووردت في الحيثيات - وهو الغاء الامتيازات الاجنبية (١) -

وهو ونحن نعتقد أن ما أورده المحكمة في حيثياتها المقبول من الديساجة الطويلة التي اتفق الجميع على أنها كانت تتضمن البرنامج .. بينما اكتفي شهدي بنقل مواد البرنامج ذاته .

كذلك فإن الحزب قد أهتم بتتخيف أعضائه وبدأت حملة لترجمة عديد من الكتب إلى اللغة العربية كذلك وزعت مطبوعات باللغات الأجنبية على الأعضاء الأجانب.

من ٤-٣- وأن كان لا كورته قد أخطأ في فهم موقف الحزب من قضية السودان فقال ان الحزب كان مثل غيره يطلب الوطنيه مع اليهودان . لكن العبارات الواردة في الحيثيات وهي بغير شك تنتمتع بحق الاحكام القضائية تؤكد أن الحزب قد اتخذ موقفا يطالب به بربط الشعبين ايجادهما بالأخسر ليقتفعا معا .

وتقول الحثييات إنهم كانوا ينشرون بعض الكتب والرسائل الموضوعية في هذا المذهب مترجمة وغير مترجمة ، وإن المنهم الأول محمود حبيبي العرابي ترجم إلى العربية كتاب يوخارين أحد زعماء الحركة الشيوعية وكان يؤزع على أفراد الشعب

كذلك يقرر بعض الاعضاء أنهم كانوا يتلقون مطبوعات عديدة وكتباً للينين مترجمة إلى العربية (١)

ويرد في الحثييات أيضاً ما يوحي بأن الحزب قد بدأ حملة من الدعاية النشطة لترويج أفكاره

فالتهم الثالث صفوان أبو الفتح ، وهو مدرس في إحدى المدارس كان يملئ على تلاميذه بعض الامالي ، المواضيع ، التي يحيد فيها الشيوعية . والمتهم الحادي عشر عبد الحفيظ عوض كان يطرئ الشيوعية على ملا من اطلاب المعهد الذي بطنطا وفي منزل أحمد وجهائها ويزعم أنها موافقة للدين الاسلامي

وقد حرص الحزب على ان يعلن رايه في كل مناسبة عامة وفوز صدور دستور ١٩٢٣ اجتمعت اللجنة المركزية للحزب في ٢٨ ابريل واصدرت بياناً وقعه صفوان أبو الفتح ، والقائم بأعمال السكرتير العام هاجم فيه الدستور هجوما شديدا

وعندما تولى سعد زغلول رئاسة الوزارة وجه اليه الحزب خطابا مفتوحا ، تولى الحزب طبعه وتوزيعه وقد طالبه فيه ، بالاعتراف بنقابات العمال والفلاحين وبحثها في الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وطالبه بالعمل أيضا على حل مشاكل العمال المعاطلين ، وانشاء مكاتب لاهضاء العمال المعاطلين . كذلك طالبه ، بتكليف لجان الوفد المركزية في كل انحاء القطر بان تقوم بتنظيم فقراء البلاحين في نقابات ترمع مستواهم اسوة باخوانهم في انحاء العالم وايجاد صلة بين هذه النقابات ونقابات العمال حتى يمكن حشد القوى المصرية كلما تطلبت الحاجة واخيرا طالب حكومة سعد زغلول ، بالاعتراف بحكومة السوفيات اسوة بالامم المتعدنة (٢)

(١) راجع محضر النقاش مع حافظ سند بالملاحق : (٤)
(٢) راجع الحثييات السابق الإشارة إليها بالملاحق : (٦)

في هذا الخطاب المفتوح أهمية خاصة، فهو يوضح، إن الحزب قد اتخذ
 من قفا صنديقاه أزاء حكومة الوفد وأنه، ستمي إلى تأييدها تأييداً مشروطاً
 بتحقيق لأماني العمال والفلاحين منه. بل، أن الحزب قد يسيء إلى العمل من خلال
 تجمعات الوفد ذاتها بمطالبته لجان الوفد في كل أنحاء القطر بأن تعمل على
 تنظيم فقراء الفلاحين . . .

ولقد حاول الحزب في خطابه، المفتوح أن يقنع بيسمى زغلول بأهمية
 تعبئة قوى العمال والفلاحين وتعزيز التحالف بينهما حتى يمكن حشد القوى
 المتحررة كلاً ما تتطلب الحاجة، مؤجلاً لديه أن الاحتلال لن، يضرب على وجوده
 طويلاً في الحكم، وإن عليه أن يستند إلى قوى الشعبنة، وتبركها تطالب
 الحاجة . . .

وقد برزت قيادة الحزب حاجتها الشديدة إلى تربيته كواكب مخرجة من
 الشباب، تضطلع بالعمل الحزبي، فقررت إرسال عشرة من الشباب إلى
 موسكو للدراسة في جامعة كادجي الشرق، وبالفعل أرسل الحزب أربعة
 من الشباب وكان من المقرر أن تلحق بهم فتاتان أخداهما من الزقازيق
 والأخرى من سمند، الأمر الذي أثار جريدة الأهرام التي اعتبرت أن
 إرسال الفتيات إلى رومانيا والجزيرة قطر غير حميد، وطالبت الحكومة بمنع
 الفتيات من السفر (١) . . .

كذلك قررت قيادة الحزب تأسيس مدرسة للكاثر في الإسكندرية لتلحق
 الأعضاء منادى الشيوعية (٢) . . .

ويبدو أن مسألة إرسال شبان للدراسة بالأحد ساد الشوقيات قد لقيت
 اهتماماً كبيراً من جانب الشعب المصري الذي كانت غالبية محرومة من التعليم
 وقد أعد الحزب استمارات خاصة انتهالت عليها طلبات كثيرة، وأمرت الشوقيات
 بالاطلاع على الطلبات، ولجست في استطلاعها، فاستقرت على إرسال عشرة من
 الشباب، وبخطابها لفت انتباهات قادة الحزب في ١٩٢٤ فنادج عتيقة من
 طلعات السفر جزرها على سبيل المثال سليمان مصطفى، وهادي وأخته، ومحمد
 شهاب سليمان هذا أمام المحكمة، وأنه قرأ في إحدى الصحف أن الخبنة من حزب
 الشيوعي المصري يرسل بعثة للتعليم في الخارج فمنهم طلباً تأسسه وظلت بأهم
 أخته، فلما جاء الجواب وجد الطالب أن البعثة شيوعية فلم يوافق عليها (٣)

- (١) الأهرام ١/٣١/١٩٢٤
- (٢) رؤوف عجايب - المراجع السابق، ص ٤٥
- (٣) رؤوف عجايب - المراجع السابق، ص ٤٥

كذلك طلب الانضمام التي الائمة محمد انفق مؤسس خيريل تمخير شركة
 التعاون التابعة لموظفي السكة الحديد والسيد العناني التاجر بكثرة الزيات
 الذي ارسل الى حسنى العرابي بطلب الانضمام الى البيعة الشياخية الى
 موسكو فجاه رذ من الشحات ابراهيم بائلا يمكنه الالتحاق بالبيعة الا بعد
 الالتحاق بالحزب وارسل اليه استمارة عضوية رز وفي طلبيات اخيري
 مشيدة (١) .

كذلك يسعى الحزب الى توسيع نطاق دعايته مستخدما فنون التشكيل
 فطلب حسنى العرابي الى احد الرسامين من أعضاء الحزب وهو حسين موزي
 رسم صورتين كبيرتين احدهما تمثل العامل حاملا علما احمر قاصدا وضعة
 فوق الشمس والى اخرى تمثل العامل يحرب ومامه صاحب العمل ممسكا
 بملقحة في يده ، وكانه ياكل بها رز ، على ان العامل يشتغل بصاحب المال
 ياكل ، (٢) .

نشاط واسع وسبط العمال
 وقد ركز الحزب جهوده من اجل دعم مراكزه ونسطة الحركة العمالية
 وتأسيس النقابات وتدعيم اتحاد النقابات . كذلك عمل الحزب على تضمين
 عدد من القادة النقابيين الى صفوفه وتصبدهم بسرعة الى مراكز القيادة
 وعبد الحميد قوه احد قادة شركة الشرق للغزل . وقد سيطر الحزب تماما على عديد من النقابات ، منها نقابة عمال القار
 ونقابة عمال النور ونقابة شركة ايجولين ونقابة شركة الغزل بالاسكندرية
 ونقابة عمال القرام ومصعل ابو شبيب في القاهرة .

ويقون لاکور بان اتحاد النقابات المصري الذي تزعمه الشيوعيين قد
 انضم في اواخر عام ١٩٢٢ الى الاتحاد العالمي للنقابات (٣) .

ويقول مراسل مجلة The Labour monthly ان اتحاد نقابات العمال
 (١) ١٩٢٤/٩/٢٥

- (١) الامراء ١٩٢٤/٩/٢٥ - رز في صحيفة شركة (٦)
- (٢) المرجع السابق .
- (٣) لاکور . المرجع السابق - ص ٣٣٣ - قیامه بنعمت (٥)

الذي ظل تحت قيادة الشيوعيين حتى ١٩٢٢ - ١٩٢٤ كان في طريقه إلى أن يصبح حركة جماهيرية حقا. (١) وقد بدأ الحزب في تنظيم سلسلة من الاضرابات - من راحها - اضرابات عمال الأضواء - مصابيح الشوارع - بالاسكندرية في شهر فبراير ١٩٢٣. وقد نظم الاضراب عقب اجتماع عمال الشركة - حضرة حسني العرابي الذيلقى خطابا حماسيا. ومما تجدر ملاحظته ان العمال قد اضرَبوا دون انذار الشركة مسبقا.

ولم يكف العمال بالاضراب لكنهم نظموا مجموعات من بينهم لتمنع الشركة من استخدام عمال آخرين في اضاءة مصابيح الشوارع وتبشر الاهرام الخبز التالي و ابلغ أحمد مصطفى أن ثمانية من عمال الأضواء العمومية - المضربين عن العمل - الآن اعتدوا عليه في أثناء اشتغاله باضاءة المصابيح. (٢)

وقد استمر هذا الاضراب أكثر من شهرين. وتما ان نقابة عمال اضاءة المصابيح العمومية عضو في اتحاد النقابات العام عقد قرر الاتحاد تصعيد تأييده للمضرب المضربين إلى جدد دعوة العمال في جميع أنحاء القطر للتظاهر تأييدا لأخوانهم المضربين (٣). وهذه خطوة هامة بغير شك. انها وضع لشعار وحدة الطبقة العاملة موضع التنفيذ وتشجيع للعمال في كل مكان إلى التحرك مطمئنين التي تأييده الطبقة كلها.

وكان رد الحكومة على هذا الاضراب ان اصدرت قانونا يحدد على عمال الخدمات العامة الاضراب او الامتناع عن العمل (٤).

ويحظر على العمال الاضراب قبل اخطار السلطات بخمسة عشر يوما ويعتبر الاضراب المفاجئ جريمة (٥).

(1) The Labour Montly — May 1925

- (٢) الامرام ١٩٢٣/٢/٢٢
- (٣) عبد العظيم رمضان - المرجع السابق ص ٥٢٨
- (٤) لاكور ، المرجع السابق ص ٣٦
- (٥) شهدي عطية - المرجع السابق - ص ٤٥

وفي نفس الوقت بدأ الحزب بتعديد أن دعم مراكزه في عديد من النقابات - في شن هجوم عنيف على لجنة التوفيق - وهي لجنة حكومية تكونت في ١٩١٩ برئاسة أجنفي ، هو الدكتور جرانفيل - بهدف التسعي في الصلح بين العمال وأصحاب العمل .
وقد بدأ الحزب حملته بتوجيه « خطاب مفتوح » الى أعضاء لجنة التوفيق وفتح حسنى العرابي سكرتير الحزب وسكرتير اتحاد النقابات العام ٥٥ شن فيه حملة عليهم واتهمهم بالاستجداد والتآمر مع أصحاب الأعمال .

ونشر فؤاد الشمالي بيانا قال فيه أن لجنة التوفيق - « حجر عثرة في سبيل العمال » ، وأنها وإن لم تكن لها سلطة تنفيذية إلا أنها ترفع تقاريرها يقاترها المسئولون (١) .

وشارك روزنتال في الحملة على لجنة التوفيق - رغم فصيلة بين الحزب - فقال أنها لا نفع فيها ولا تأثير لها وإن وجودها كما هي لا يتفق مع مصلحة العمال ، وذلك « لأنها لا تملك سلطة تنفيذية ، وليست لها سلطة قانونية تشريعية ، ولأن أعضاءها يعملون لمصلحة الأغنياء ، وإن كانوا هم أو بعضهم لا يعنون من طبقة الإغنياء إلا أن مبدأهم هو مبدأ الرأسماليين » (٢) .

والحقيقة أن هذه الحملة ضد لجنة التوفيق لم تنظم مصداقة ، فهي تعبير عن رفض الحزب لاستلوب المصالحة بين العمال وأصحاب الأعمال وتعزيز للموقف الاضرابي والنضالي للطبقة العاملة ومطالبة بتعديل جذري لاستلوب الحكومة تجاه العمال .

وبعد أن نضجت المعركة ضد لجنة التوفيق قرر الحزب في ١٦ مارش سنة ١٩٢٢ تنظيم مظاهرات للعمال امام منازل أعضاء لجنة التوفيق - شخصيا واستدعت سلطات الامن حسنى العرابي وطلبت منه منع المظاهرات فأعلن أن هذه المظاهرات تنظم وفقا لقرار صادر من اتحاد النقابات ، وأنه شخصيا لا يستطيع الغاء هذا القرار . وقال ان هذه المظاهرات هي مجرد تعبير عن شكوى العمال ، وليس من شأنها الاخلال بالامن العام .

(١) الامرام ١٧/٢/١٩٢٢

(٢) الامرام ١٣/٢/١٩٢٢

وأقترح الإضرام بعد ذلك بين تشريعات جديدة للعمال تكفل حقوقهم (١) ولقد كان من الطبيعي أن أفرج عنهم عندما ألغيت الأحكام العرفية (٢) من قبلهم ولقد رأينا كيف ان اعتقال قادة الحزب والاتحاد وإغلاق داريهما لم يؤدي إلى تضائل النشاط، بل على العكس تزايد نشاط الحزب وسط الطبقة العاملة تزايداً كبيراً وكان عيد أول مايو مناسبة لمزيد من النشاط وبدأت النقابات الخمسة إلى الاتحاد في الاستعداد للاحتفال بهذا العيد وأصدر مجلس إدارة نقابة عمال النور نداء إلى العمال جاء فيه: بمناسبة حلول عيد أول مايو الدولي لعمال نرفع تهانينا القلبية لجميع العمال بالأقاليم ونتمنى لنقابتنا الاستمرار والمقاومة ولعمالنا الاتحاد والتضامن ولرؤساء النقابات المعتقلين الأفراج، ولسجنوي العمال إطلاق السراح ونرجو اعتبار هذه التهنئة خاصة لكل نقابة .

ولسنا بحاجة إلى الإشارة إلى نفوذ الحزب الواضح في هذه البيان الصادر عن مجلس إدارة نقابة من أهم النقابات .

كذلك أصدر اتحاد النقابات قراراً ببيان ينقطع جميع العمال عن العمل في أول مايو، وأن يجتمع عمال الاسكندرية في حديقة، ويخدم على بيانشيفيه، فلما نعى المخبر التي البوليس أصدر أمرًا بمنع هذا الاجتماع وأبلغ الأمر إلى لجنة العمال (٣) .

وعندما تولى سعد زغلول الحكم بعد الانتخابات التي أجريت على أثر إعلان دستور ١٩٢٣ * بادر الحزب بإصدار الخطاب المفتوح السابق الإشارة إليه داعياً الوفد إلى الالتقاء مع الحركة الجماهيرية على أسس معقولة، غير أن سعد زغلول قد تجاهل هذه النداء التي مذهبها إليه الحزب، ولم يرد على ذلك .

(١) لاكور . المرجع السابق ص ٣٦
 (٢) الإضرام ١٩٢٣/٥/١
 (٣) الإضرام ١٩٢٣/٥/١
 * لم يشارك الحزب الشيوعي في الانتخابات رغم أن حسني المرسي قد أعلن في إحدى خطبه في موسكو أنهم سوف يشاركون في الانتخابات، وربما كان ذلك دعاية عن موقف الحزب المعارض للدستور، والذي أعلنه في بيان صادر باسم صفوان أبو الفتوح القائم بأعمال السكرتير العام، وربما أيضاً لأنه أدرك أنه ما من مرشح يستطيع أن يقاوم جماهيرية مرشحي الوفد الذين يباركهم سعد زغلول .

ويبدو ان حكومة سعد زغلول كانت تتخرج من اتخاذ اي موقف جيد تجاه اصحاب رؤوس الاموال الاجانب ، فهمى اول حكومة وطنية تمثل الاغلبية ، وربما خشيت من اتخاذ اي موقف حتى لا تثير مخاوف الاجانب ، لكن هذا الموقف المتهاون ادى الى نتيجة خطيرة . لقد تمادى اصحاب رؤوس الاموال في رفض مطالب العمال ، بل لقد كان وصول سعد زغلول الى الحكم ايذانا ببدء حركة هجوم مضاد شنها اصحاب المصانع والنسب لما ناله العمال من حقوق ضئيلة ، وربما كان هدف هذه الحركة اخراج حكومة سعد زغلول وربما كان الهدف انتهاز فرصة الموقف المتهاون الذي يقفه سعد زغلول لتدفع حركة العمال الثورية الى التراجع ، وربما كان الامر انفع ، لكن النتيجة ان العمال الذين ضحوا بدمائهم في معارك طاحنة دفاعا عن سعد زغلول والذين سقطوا شهداء بالعشرات ، وهم يفتقون بحياة سعد لم يكن سهلا عليهم ان يسكتوا على محاولة انتزاع حقوقهم الضئيلة التي نالوها خلال تسفوت مريرة من القسحيات .

والحقيقة ان العمال قد تعرضوا للحملة واضطهاد حقيقية من ولينامل بعض النماذج :

١- ففي نوفمبر ١٩٢٣ وندون اى مبرر اعلنت شركة الغزل بالاسكندرية عزمها على تخفيض اجور العمال ١٠٪ فاضرب العمال عن العمل واسيتهم الاضراب ثلاثة اشهر متواصلة وعرض الامر على لجنة التوفيق التي حاولت ان تقنع الشركة بالتراجع عن موقفها المتعسف ، لكن الشركة صمتمت على موقفها .

٢- وفي اكتوبر ١٩٢٣ اعلنت شركة الغزل بالاسكندرية عزمها على تخفيض اجور العمال ١٠٪ فاضرب العمال عن العمل واسيتهم الاضراب ثلاثة اشهر متواصلة وعرض الامر على لجنة التوفيق التي حاولت ان تقنع الشركة بالتراجع عن موقفها المتعسف ، لكن الشركة صمتمت على موقفها .

فتفجر الموقف من جديد (١) ومما تجدر الإشارة اليه ان نقابة هذه الشركة كانت منضمة لاتحاد النقابات العام ، وكان انطون مارون مستشارها القانوني ، فتبادلت النقابة مع اتحاد النقابات العام في حالة العجز والمرض ، وانهى العمال الاضراب وعاذوا الى القنصل الا ان الشركة صمتمت على فصل خمسة من زعماء العمال بالرغم من تعهد ما بعدم فصل اى من العمال المضربين .

(١) الاضراب ١٩٢٣/٥/١

ببعض المطالب فمطالبت الشركة ثم اتبعت خطة فصل خمسة أو عشرة عمال كل أسبوع ، ثم قررت فجأة فصل مائة عامل بحجة تقليل المصروفات ، وكانت هذه النقابية إحدى النقابات التي يتمتع فيها اتحاد النقابات بنفوذ كبير ، وكان انطون مارون مستشارها القانوني أيضا .

ويبدو أنهم أحسوا أن صاحب المصنع يريد أن يستفزهم ليدفعهم دفعا إلى الإضراب فاتخذوا موقفا غاية في التسامح فأعلنوا استعدادهم إذا ما عدلت الشركة عن فصل المائة عامل - أن يقيضوا أجر خمسة أيام بدلا من سبعة كل أسبوع ، وبذلك يمكن للمصنع أن يوفر المبلغ المطلوب دون أن يفصل أحدا من العمال .

وهنا يبرز الموقف المتعنت بصورة لا تدع مجالاً للشك ، فصاحب المصنع يصمم على فصل المائة عامل . . (١)

وفي نفس الوقت تقدم عمال شركة الملح والصدودا ، ونقابتهم أيضا إحدى النقابات المنضمة للاتحاد بعبء مطالب إلى الشركة ، وتلخصت مطالبهم في زيادة الأجور وتحسين معاملة الشركة لهم وانقاص ساعات العمل وإنذار العمال بالاضراب عن العمل إذا لم تجب مطالبهم خلال عشرة أيام لكن الشركة لم تجب هذه المطالب فتبدأوا الإضراب في أول مارس ١٩٢٤ وعرض الأمر على لجنة التوفيق التي طلبت بدورها إلى الشركة أجابة بعض المطالب وتهدت الشركة بذلك ، لكنها ما لبثت أن فصلت ٤٠ من قادة العمال بحجة أنهم عمالة زائدة ، لكنها ما لبثت أن استخدمت غيرهم بأجور عالية . فتجدد الإضراب بصورة أكثر عنفا .

. . انها مجرد نماذج نسوقها محاولين أن ندلل على أن ثمة مؤامرة كانت تحاك لوضع العمال وجها لوجه أمام حكومة سعد ، وتضع حكومة سعد وجها لوجه أمام الحزب الشيوعي ، والنماذج السابقة توضح كيف أن الحزب واتحاد النقابات التابع له كانا يدركان إلى حد ما أبعاد هذه المؤامرة وأنهما قد حاولا تفاديها بقر الإمكان بأسلوب سياسي في البداية عندما وجه الحزب خطابه المفتوح إلى سعد زغلول . .

(١) راجع رؤوف عباس - ص ٢٥٣ ، عبد العظيم رمضان - ص

٥٤٣ ، الامرام ١٩٢٤/٢/٢٦

رب: لاعمال اعمال شركة زيتون في الزيت فقد وضعوا نفس الشعار موضع التطبيق، وتقول الاقلام انهم احدثوا المصنع فندبتهم للفظالبة بما يزعجون انه حق لهم وانقسموا الى فريقين يتناوبان الاختلال بمعنى ان يظل الفرقه منهم في المصنع وتخرج الفرقه الاخرى للاكل والشرب والراحة والمطالبة (١)

وكذلك فان اعمال شركة الملح واليودا قرروا احتلال المصنع وتوجهوا الى مقر المصنع لكن قوات البوليس كانت قد سبقتهم اليه ومنعتهم بالقوة من الدخول

كذلك فان نقابة امغل، ابو شنب للزيت والصابون بالاستكندرية، وهي احدى النقابات المنضمة لاتحاد النقابات، ومندوبها ايضا هو انطون مارون تقدمت بعديد من المطالب من بينها تخفيض ساعات العمل، وزيادة الاجور، وضرب اعانات للعاجزين والمرضى من العمال، لكن صاحب العمل رفض هذه المطالبات لذلك انشأ في ايامها شايه للمرضى والفقراء

ويصف الامرام الواقعة فيقول: ذهب عمال معمل الخواجة ابي شنب اليوم التي المجافظة طالبت النظر في مسألتهم فانفهم وتكيل المختارفة ان وزارة الداخلية اقرت باقالة هذه المشالة التي لجنة التوفيق، وكان الاستناد انطون مارون يتكلم باسمهم فترجم من هذه الاحالة واعلن انسحابه من الدفاع عن العمال عند ذهاب العمال الي محل عملهم بقصيد احتلاله حتى لا تذهب قوة الاضراب من ايديهم، ودخلوه عنوة بالرغم من تدخل البوليس في الامر

وقد تصادم الفريقان فخرج من البوليس شريطان واصيب بعض العمال اصابات خفيفة وقد دخل ٢٥ من العمال الي محل العمل، اما اصحاب العمل فرفضون البحث في امر عمالهم تحت تهديد الاضراب (١)

وامتدت موجة الاضرابات لتشمل عمال قفطيش خلق الجميل التابع لشركة البحيرة وقد استمر الاضراب ستة اسابيع (٢) وعمال شركة زيت فاكوم وعمال شركة زبوت كفر الزيات وعمال شركة النور وشركة ميتو للاعلان وترام القاهرة وشركة هيلوبوليس وتليفونات القاهرة وعمال الخابز (٣)

(١) ١٩٢٤/٣/٤٤ - ١٩٢٤/٣/٤٥
 (٢) راجع محضر النقاش مع عيد الرحمن فضل وفيه يوضح ان نقابية هذا القفطيش كانت تحت قيادة الشيوعيين
 (٣) رؤوف عباس - المرجع السابق ص ٢٥٥ - ٢٥٦

واعتلا شوارع القاهرة والاسكندرية بمظاهرات العمال المطالبين بحقوقهم . . . كذلك امتلات بمظاهرات العمال العاطلين الذين تجمعوا في ظل هذه الموجة بمطالبتين : بالتحسين أو العمل ، وبالحد من البطالة . . .
تقول الاممram : نهض لليوم نحو ١٧٠ عاملا من البرشمجية العاطلين في القفر وقتموا عريضة الى السلطة المحلية وبيانا الى الراى العام والصحف يفسطون فيه حالهم (١)

وقد هزت هذه الموجة الاضرابية العمالية اركان الحكومة . . . وتبيغر سعد زغلول ان هبية حكومته تضعف وان جماهيريتها تهتز ، وان انسيبسيتمرار الاضرابات والظواهر العمالية يفقد حكومته صفة الشعبية ، ولا شيك في اياه قد تعرض لضغط كبير من اصحاب الاعمال الاجانب ومن تسلطات الاجتلال التي قيل انها هددت بارسال قوات انجليزية لحفظ النظام طالما ان الحكومة الوطنية عاجزة عن ذلك . . .

وتعمالت الصنيحات تخفر من الخطر اليشفي الذي يحق بالبلاد ، وفسر اختلال العمال للمصانع بانه تنفيذ لخطط بلشفي بالاستيلاء على المصانع ونقل ملكيتها الى العمال . . . وقيل ان العمال قد ارتفعوا اعلاما حمراء على المصانع وانهم اقاموا فيها شومئيات (٢)

وتسهم الاممram في حملة التخويف فتعلن : انفجرت الحركة الاشتراكية المتحة بالشبيوعية في هذين اليومين في الاسكندرية انفجارا قويا حمل الحكومة على المبادرة الى معالحتها والاستعداد لقمعها بالقوة المتلحة اذا قصت الحال ، وتمضى الاممram قائلة : اننا نرجو ان تتلخذ وزارة الشعب التدابير اللازمة لمنع تكرار ذلك ، وان تقضى على المذهب الشبيوعي قبل استفحاله . ان للعمال حقوقا يجب ان تصان ، ولكن لهذه الحقوق حدودا يجب الا تتجاوزها واذا كانت الصحافة قد عطفت عليهم ، فانه لا يسمعها اليوم الا ان تحذرهم من عواقب الميل الى الشبيوعية والتشبع بالباديء المتطرفة (٣)

- (١) الاممram ١٩٢٤/٣/٤
- (٢) والغالب ان هذه الواقعة غير صحيحة رغم ترددها بكثرة بظليل ان اخدا من شهود الاثبات لم يوردوا اثناء محاكمة مارون وزملائه بالرغم من ايرادهم لكافة تفاصيل حوادث الاضراب . راجع الاممram ١٩٢٤/٩/٢٩
- (٣) الاممram ١٩٢٤/٣/٢٥ - راجع الاممram ١٩٢٤/٣/٢٥

ثم هي تحمل الحزب الشيوعي المصري مسؤولية هذه الحركة كاملة فنقول
 « تنسب الحكومة حركة العمال الثامنة في الاسكندرية الى التي بدأت في ١٣
 فبراير الماضي .. الى تحريض الحزب الشيوعي المصري ودعااته في الاسكندرية
 وقد قررت بمناسبة ذلك أن تجتث هذه الحركة من اصولها للمحافظة على النظم
 الاجتماعية المحلية ، (١) :

وأوفدت الحكومة على جمال الدين باشا وكيل وزارة الداخلية الى
 الاسكندرية مزودا بسلطات كبيرة لقمع حركة الاضراب بالقوة .. ووضعت
 تحت تصرفه قوة من الجنود أرسلتها خصيصا الى الثغر من القاهرة ، (٢) :
 ونزل سعد زغلول الى الميدان بثقله الجماهيري الكبير وبدأ يتدخل بنفسه
 موجها رسائل باسمه الى العمال المضربين .. وعندما قرر عمال ترام القاهرة
 الاضراب أرسل اليهم سعد رسالة ينصحهم فيها بالعدول عن الاضراب ، وورد
 عليه العمال بالرسالة التالية :

« لقد قابلنا نصيحتكم بالطاعة والامتنان واستأنفنا أشغالنا اليوم راجين
 النظر في أمرنا داعين لدولتكم بطول البقاء حتى تنقذونا من الجور النازل
 بنا ، (٣) »

كما وجه سعد زغلول أيضا رسالة الى عمال معمل « أبو شنب » توجه بها
 رجال المحافظة الى العمال المتضمنين معنيين أن لديهم رسالة شخصية من
 صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول تقول :

« انكم ان احقرتم ملكية الغير ، وخرجتم من مكان الشركة طوعا فاتكم
 تعاملون معاملة المخلصين للقانون والوطن : وان ايتم الا احتلال ملك الغير
 اغتصابا فانكم تعاملون معاملة الغاصبين الخارجين على القانون ، (٤) »

ويلاحظ أن سعد زغلول كان هو أيضا يعتبر احتلال العمال للمصانع
 « اغتصابا لملكية الغير » وتطوع مدير مصنع ايجولين ، وهو كما قلنا روسي
 هارب من الثورة البلشفية ليعلن أن ما ساعده من أحداث « مشابه لما كان
 يراه في روسيا من هذا القبيل في ثورة ١٩١٧ وقد كان أيامها أيضا مديرا
 لمصنع » (٥) :

- (١) الاغرام ١٩٢٤/٣/٤
- (٢) الاغرام ١٩٢٤/٣/٢٥
- (٣) الاغرام ١٩٢٤/٢/١٩
- (٤) الاغرام ١٩٢٤/٣/٥
- (٥) الاغرام ١٩٢٤/٩/٢٩

منه ويلاحظ ان المناقشة العام - قد تسأل روزنتال أثناء استجوابه - ألا تعد
حركة اختلال المصانع كهدية لتفديد الفكرة الشيوعية؟ مفرد روزنتال مقاتلا :
ان الكثرة من مخططات بين الاضراب مع البقاء في محل العمل - وبين نزع الملكية لان
العمال اذا اختلوا المصنع لا يظنون الاستيلاء عليه - بل انما لانهم يراوا في
ذلك أفضل وسيلة للتعجيل بحل المشكل والوصول الى اتفاق بينهم وبين
أصحاب العمل (١) -

ويلاحظ ان روزنتال قد شعروا بسحب الخطر تتجمع وان ثمة مؤامرة
تعد لتوجيه ضربة اليه - فيبدأ الحزب تنفيذ خطة للتراجع

مستشارين الأهرام ويظهر مما علمنا ان سعادة علي جمال الدين باشا تمكن
من إقناع مستشار النفاية الأستاذ مارون بوجوب إخلاء معمل الزيت عاجلا
وقد ذهب المستشار الزكور وضايطر ومفتش البوليس لاقابلة العمال وحملهم
المستشار على الغدول عن الخطة الاحتلالية التي يتبعونها ، والفهم انهم
قبلوا النصيحة (٢) -

لكن المؤامرة كانت قد أحسكت أطرافها وضدركت الأوامر باعتقال قيادة
الحزب وإغلاق ثوره في جميع أنحاء البلاد

الاتجاه نحو الفلاحين :

في يوم ١٠ / ١١ / ١٩٢٤ - تم اعتقال قيادة الحزب في
الريف ببلد كمين حيث الغالبية الساجقة من السكان فلاحون ، فإن المسألة
الزراعية لابد وان تحظى باهتمام الحزب ، بل ولا بد لها وان تفرص نفسها
فرضا عليه -

وأذا كان الحزب خلال الفترة الأولى لعمله قد أحفل ذكر المسألة الزراعية
في برنامج الصادر في ١٩ / أغسطس ١٩٢١ - فلما نشك ان ذلك ظلوا موضوعية
أهمها صغوبة المسألة وحاجتها الى دراسة متأنية ودقيقة ، وكذلك فإن توازنات
القوى بين الأطراف المختلفة التي أصدرت البرنامج ، قد أدت في هذا الطرف المبكر
التي نحو البرنامج من أية إشارات طبقية حاكمة - فبدأت في ١٩٢٤ -

(١) راجع شهادة روزنتال بالملاحق (٥) -

(٢) ١٩٢٤/٢/٢٥ - وكان مارون نفوذ كبير وسط العمال بحيث يقول
انجرام أحد كبار رجال البوليس في شهادته أمام المحكمة - ان العمال كانوا
يعملون بصنائح الأستاذ مارون ورفاقه ٤٠ فؤانه لم يكن يسهلا على البوليس
إخراج العمال من المصنع - ولكن أخرجهم كان من أيسر الامور على الأستاذ
مارون ، كما ان كلمة واحدة كانت تكفي لانهاء الاحتلال العمال للمصنع ،
- الامرام ١٩٢٤/٩/٢٩ ٢٢٦١ / ٢٢٦٢ (٥)

لكنهم الحزب وأدراكه للمسألة الزراعية قد نفا نموها سريعاً وما لبث
أن أصدر في ١٩٢٣ برنامجاً فلاحياً كاملاً.
ولقد قيل الكثير حول هذا البرنامج

قيل أن الحزب قد وضعه كتنفيذ لشرط ملزم صادر من الكونغرس
ولقد ردد الكثيرون بهذا القول دون ترو نقلاً عن روزنتال الذي قال في
شهادته أمام النائب العام
الجنة المركزية للدولية الشيوعية الثالثة اشترطت لقبول حزبنا كفرع للدولية
الثالثة ثلاثة شروط وهي :

- أولاً : فصلى من الحزب
- ثانياً : تغيير اسم الحزب من اشتراكي إلى شيوعي
- ثالثاً : إعداد برنامج للفلاحين

ونقلاً عن روزنتال تردت هذه الشروط دون فحص دقيق
عبد العظيم رمضان (١) وروؤوف عباس (٢) وترتب على ذلك بعض التحليلات
التي تتمم الحزب بالانفصال عن الفلاحين
الفلاحية (٣)
لكننا نلاحظ ما يلي :

أولاً : أن الحزب قد بدأ الاهتمام بمشاكل الفلاحين قبل سفر المرايبي
التي موسكو وقد بدأ فعلاً في الاتجاه إلى الريف ومحاولة إقامة مراكزه
في المدن الريفية منذ أواخر ١٩٢١ وطوال ١٩٢٢
أصدر قبل عودة حسنى المرايبي من موسكو نداءه الموجه إلى العمال الديقويين
والذميين في العالم وفي هذا النداء ناشد الحزب المثقفين الاتجاه إلى
الريف ليخطفوا جيبة سياسية واقتصادية موحدة يمكنها أن تجابه نفوذ
البرجوازية

ثانياً : أن الوثيقة الرسمية التي أعدتها لجنة المسألة المصرية والتي
تضمنها الرفيق كاتاياما إلى المؤتمر الرابع للدولية الشيوعية تحدد شروط
قبول الحزب المصرى عضواً في الدولية بشروط ثلاثة
وضع برنامج للفلاحين

(١) المرجع السابق - ص ٥٣٣
(٢) المرجع السابق - ص ٢٤٢
(٣) من بين الذين ردوا ذلك مارسيل تشيريزي (اسرائيل)
السابق

بين هذه النقائبات ونقائبات العمال وحتى - ويمكن جسد القوى المصيرية كلما
 رتبطت بالحاجة فربما أنها تلتزم لتدعيمها، أما في رومانيا فقد كانت
 رومانيا وإيطاليا من منصفين وأيضاً - من منصفين أيضاً - في رومانيا
 كما، كذلك فإن برنامج الحزب الشيوعي المصري الملن في أوائل ١٩٢٣ يعكس
 وبعيناً اتجاهاً بالتضايقات النظرية التي تحيط بالقضية الزراعية في بلد مستعمر
 والتي تستهدف جسد الفلاحين كجيش للثورة العارضة للاستعمار. وكجزء من
 الجبهة الوطنية لامامة، وفي نفس الوقت فإن هذا الحشد لا يمكن أن يتم
 إلا على أساس مطالب طبقية محددة تستهدف تصفية الاقطاع المتخالف مع
 الاستعمار.

وتشتمل مواد البرنامج الخاص بالفلاحين (١)
 ١ - تنظيم فقراء الفلاحين في نقابات وایجاد الصلات بينها وبين
 نقابات العمال مع العمل على ربطها باتحادات الفلاحين الدولية .

٢ - إلغاء نظام ملكية العزب التي لا تختلف كثيراً عن نظام الأقطاعيات
 ٣ - إلغاء ديون الفلاحين الذين يملكون أقل من ثلاثين فدانا .

٤ - إعفاء الفلاحين الذين يملكون أقل من عشرة فدان من الضرائب .
 ٥ - وضع ضرائب على مياه الري للذين يملكون أكثر من ١٠ فدان .
 ٦ - إنشاء مصارف تعاونية لصغار الفلاحين .

كذلك فإن البرنامج العام قدم مطالب يمثّل العمال وفقراء الفلاحين
 تمثيلاً صحيحاً في البرلمان .
 ويبدو أن شهدي عطية قد اكتفى - كما لاحظنا من قبل - بنقل بنود
 البرنامج كون إيراد المقدمة .

(١) تردد في حقيقتنا الحكم الصادر في ٦/١٠/١٩٢٤ ضد قادة الحزب
 عبارة تقول ، والحقوا بهذا البرنامج برنامجاً آخر. اسموه برنامج الفلاحين .
 وهي عبارة توجي بأن الحزب قد أعد برنامجاً خاصاً ومنفصلاً للفلاحين .
 كذلك شهد عند الزاقي جسين مساعد ، وهو مقارن في نورستيد أمام نفس
 المحكمة - بأنه طلب برنامج الحزب فأرسل إليه في فبراير مطبوع يحتوي على
 شروط الدولية الثالثة وبرنامج للفلاحين (الأهرام ١٩٢٤/٩/٢٠) وعلى أية
 حال فإن البرنامج الذي نشره شهدي عطية يورد البنود الخاصة بالفلاحين في
 فصل مستقل تحت عنوان - رابعاً .

٥) الإشارة التي تفكره الزراعة الاشتراكية (الجماعية) عندما قال
البرنامج: «توزيع ما يزيد منها على الفلاحين الذين لا ملك لهم أو استملاكه
في تحسين مزارع الشعب» .

ونلاحظ هنا أن الحزب قد اتخذ جانب الحفر الواجب والضروري
بالنسبة للفلاحين الفقراء الذين تطلعوا عبر قرون طويلة لتملك قطعة من
الأرض ، ولهذا فإن مطالبة الحزب بمصادرة ما يزيد عن المائة فدان قد
اقتربت بالمطالبة بتوزيعها على الفلاحين المعدمين مع الإشارة إلى إمكانية
تحويلها إلى مزارع للشعب .
وهذا موقف غاية في الوعي وفي الذكاء وفي فهم عقلية الفلاح المصري .
كذلك نلاحظ أن الحزب قد وضع بثورة فكرة التعاونية في الزراعة كمنهج
طالب بإنشاء مصارف تعاونية لصغار الفلاحين . . .

وبعد هذا التحليل فاننا نملك الحق في القول بأن هذا البرنامج يعتبر
دليلا على وعي تام بالموقف النظري من المسألة الزراعية في بلد كمصر ودليلا
أيضا على فهم عميق وتحليل سليم للأوضاع التطبيقية في الريف المصري .

وقد حاول لاكور أن يشكك في قيمة هذا البرنامج (١) عندما قال ان
البرنامج الزراعي للحزب كان هاما ، بالرغم من بعض الشكوك حول ان هذه
المطالب قد بنيت على أساس دراسة حقيقية لواقع الفلاحين . . .

لكن المقارنة مع الدراسات العملية الحديثة لواقع الريف المصري
ومحاولة استخلاص تجارب الواقع طوال الفترة الماضية تؤكدان لنا ان هذه
المطالب والتحديدات التطبيقية قد بنيت على أساس واقعي تماما .

وأخيرا . . .

سنحاول أن نقوم بنشاط الحزب وفقا للتقديرات التي أعطاها الكومنتار
لمعضوية عديد من الأحزاب التي كانت تعمل في ظروف مماثلة . . .

.....
.....
(١) المرجع السابق - ص ٣٥ .

(١) المصطفى مصطفى باشا وزير الداخلية في عهد الخديوي عباس الثاني
والذي كان له شأن كبير في إصلاح التعليم في مصر في عهد الخديوي عباس الثاني

ثم بدأت المطاردة

في ١٩٢٤ م

والحقيقة أن الحملة العداوية لنشاط الحزب قد بدأت منذ زمن بعيد
ولقد شهدت الصفحات السابقة نماذج كثيرة من هذه الحملة

كذلك فإن واضعي الدستور الذي صدر في ١٩٢٣ قد خدشوا العنق الأبد
عدد من النصوص من بينها:

م ١٥ : الصحافة جرة في حدود القانون والرقابة على الصحف محظورة
وانذار الصحف أو وقفها أو التنازعاً بالطرق الإدارية محظور كذلك الأذا
كان ذلك ضروريا لوقاية النظام الاجتماعي

م ٢٠ : للمصريين حق الاجتماع في هدوء وسكينة غير حاملين سلاحاً

وليس لأحد من رجال الدين أن يحضروا اجتماعهم ولا حاجة بهم إلى
اشعارهم، لكن هذا الحكم لا يقيد أو يمنع أي تدبير يتخذ لوقاية النظام
الاجتماعي

وقد أضيفت عبارة لوقاية النظام الاجتماعي في المادتين السابقتين
السابقتين بناء على طلب وزارة يحيى إبراهيم التي صدر دستور ١٩٢٣ في
عشرتها، وقد أضافت الوزارة هذه العبارة التي تمسوخ لجنة الدستور وأضاعت
مذكورة حددت على تعيين الكفء ما تقصد إليه بتعبئة وتقلية النظام
الاجتماعي وذكرت أن المقصود هو وقايته من الدعاية البلشفية (١)

كذلك فإن الحكومة منذ أوفدت أخذت كثيرًا رجال وزارة الداخلية وهو
انجرام بك التي انتقلت لفرانته طرق مخاربه الشيوعية (٢) في
ولقد كان قادة الحزب يدركون أن السلطات لن تصبر على بقاء حزبهم
عليها لفترة طويلة وفي ١٨ مارس سنة ١٩٢٣ عندهما أعقبت أربعة من قادة
الحزب صدرت التعليمات إلى جميع الفروع بإحراق السيخات والأوراق

(١) السياسة المصرية والانقلاب الدستوري تأليف د. محمد حسين
هيكل وعبد القادر المازني ومحمد عبد الله عنان - ط ٢٩ - ١٩٦٤
(٢) الأهرام ١٩٢٤/٩/٢٩

التي تضم أسماء أعضاء الحزب مع استمرار الفروع في العمل علنا (١) .
بل ان بعض الفروع قد اغلقت مقارها تماما وبدأت في العمل بعيدا عن
هذه المقار .
فتقدمًا توجه البوليس لتفتيش مقر فرع الكتلة الكبرى في أوائل مارس
١٩٢٤ . وجد الاوراق - يكسوها الغبار ونسيج العنكبوت (٢) .

وذلك بالرغم من وجود نشاط حزبي مستمر بالمحلة الكبرى علنا .
لكن الحزب مع ذلك استمر في ممارسة نشاطه علنا وفي اصدار بيانات
موقمة باسم قائده ، واستمرت الدار العامة للحزب مفتوحة في مقر جديد
بفخرم بك بالاسكندرية .

وانما كان الامر مجرد استعداد لضربه متوقعة
كذلك فان الحزب قد تقدم بطلب رسمي لمحافظة الاسكندرية لعقد مؤتمر
عام له يومي ٢٣/٢٤ فبراير ١٩٢٤ .

ولا شك ان الحزب قد أدرك ان الخباثة الماثلة التي توحيد اقواه
وايديولوجيته تجاه الموقف الحديدي الامر الذي يعكس لتساؤل المؤتمر
الثاني الذي عقد في عجالة لم يكن قد حقق كثيرا من اهدافه .
لكن المحافظة وبلغت زعماء الحزب يعيد السماح لهم بعقد المؤتمر
ثم عادت المحافظة فسالت عن عدد الدعويين لحضور المؤتمر فقيل لها انه ينتظر
حضور مندوبين من جهات مختلفة . وعادت المحافظة لتؤكد منع عقد المؤتمر
في أي يوم وفي أي مكان (٣) .

ويلاحظ في هذه المرة ان قادة الحزب لم يعلنوا تصميمهم على عقد
المؤتمر رغم منع الحكومة له كما فعلوا في المرة السابقة . وانما اكتفوا ببيان
طلبوا من المحافظة ان تصدر امرا كتابيا بالتحريم .
لكن الضربة جاءت عنيفة وسريعة بدرجة لم يكن يتوقعها احد .

(١) راجع محضر النقاش مع حافظ سندر الملاحق
(٢) الأهرام : ١٩٢٤/٣/٤
(٣) الأهرام : ١٩٢٤/٣/٢٠

فقد توجه إلى الإسكندرية على جبال الدين باشا وكيل وزارة الداخلية
 والمستتر دكين بويدي ، رئيس القسم الأوروبي بإدارة الأمن العام وقوة كبيرة
 من رجال البوليس . وفي الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٢ مارس تحركت
 ست مجموعات في وقت واحد لتفتيش منازل أنطون مارون - حسني العربي -
 أحمد الخدي - السيد مريدي - انكندر صاده - صفوان أبو الفتح ، كذلك
 تحركت قوات أخرى لتفتيش دار الحزب بمشارع عرفان باشا ودار اتحاد
 النقابات (١)

ولم تكن هذه الحملة سوى اشارة للبدء لحملة متصلة التحركات شملت
 كل أنحاء البلاد

ووصل إلى الإسكندرية محمد باشا ابراهيم النائب العمومي ليشرف على
 التحقيق بنفسه ، وإلى الإسكندرية أيضا سيق عشرات المقبوض عليهم من
 مختلف بلدان القطر - القاهرة - المنصورة - أبو كبير - الزقازيق - طنطا -
 - كفر الزيات - الحطة الكبرى - سمينود - العطف - بور سعيد - شبين
 الكيوم وغيرها

وقد اتخذ عدد من المقبوض عليهم مواقف شجاعة ، فاعلن أنطون مارون
 امام المحكمة ، انه مستشار اتحاد النقابات ، وهو يكرس حياته لخدمة
 العمال ، وانه كان يدافع عن حقوق العمال كلما وقع عليهم ضيم . وقد رأى وهو
 يحكم مصاباتهم ان كثيرين منهم يعاملون كالتحيوانات لان العامل يشتغل
 اثني عشرة ساعة في اليوم ويعطى اجرا ١٠ قروش يوميا ، وهذا الاجر لا يكفي
 للخصان خلفا فكيف يكفي العامل وعائلته ،

وقال حسني العربي ، انه السكرتير العام للحزب الشيوعي المصري
 وان علاقة الحزب بالدولية الثالثة كانت علاقة اخوية ، وان الشيوعية المصرية
 كانت ترمى إلى انهاء العيامل واحداث تطور جديد في حالته يناسب الزمن ،

وقال عيد الحميد ترة ، انه كان ينوي السفر إلى روسيا طلبا للعلم لان
 التعليم في مصر غير ميسور الا للاغنياء وهو فقير (٢)

(١) الأهرام ١٩٢٤/٣/٤
 (٢) الأهرام ١٩٢٤/١/١

تمس وقال جوالدينج شكرت اللجنة الحزبية بالمقامرة على انشاء شيوخى ومجتهد
 يقع الدخول الى الشيوخية بالقول حول الكتابة ويكفى وشيلة اخرى في سنة ١٩٢٤
 في سنة ١٩٢٤ في سنة ٧ في سنة ١٩٢٤ في سنة ١٩٢٤ في سنة ١٩٢٤ في سنة ١٩٢٤
 وبمناسة القبض على بعض الروس تذكر الحكومة ان الحكومة
 الشيوعية قد تنازلت عن امتيازاتها بمصر فاعلن النائب العام ان الروس
 قد فتوروا امتيازاتهم الاجنبية التي كانت لهم في عهد الحكومة القيصريه واصبحوا
 خاضعين للقوانين المصرية . كذلك تقرر نفي الاجانب الذين لم يمكن
 اثبات التهمة عليهم ، ولكن عرف عنهم اعتناق الشيوعية (١)

وتذكرت الحكومة باناكاكس وروزينال رغم انقطاع علاقتهم بالخيرب
 وصدر الامر باعتقالهما (٢) ، وقد حاولت الحكومة لبعاد روزينال من البلاد
 وايضا فعلا لكنه تمكن من العودة الى مصر بعد سلسلة من المفاوضات
 شملت الصحف لفترة من الوقت (٣) . استتب عدده في سنة ١٩٢٤ في سنة ١٩٢٤
 به كذلك امتدت الحملة للتصفية مواقع الحزب في وسط الطبقة العاملة
 ونظمايتها بالانتمائية في سنة ١٩٢٤ في سنة ١٩٢٤ في سنة ١٩٢٤ في سنة ١٩٢٤
 في سنة ١٩٢٤ في سنة ١٩٢٤ في سنة ١٩٢٤ في سنة ١٩٢٤ في سنة ١٩٢٤ في سنة ١٩٢٤
 من خطر التصفية ، فعلى اثر القبض على قادة الحزب اصدر مخطط اثره هزيمة
 سكرتير عام الاتحاد بالنيابة بيانا قال فيه :

نأتم ما كان اتحاد النقابات المتنامية الحزبية من الاحزاب او اعلمت من
 النقابات التي تفتقر الى انتماء هوية واحدة والخدمة العنصرية منها . فمخططا عام
 مصر في سنة ١٩٢٤
 وقال ان البعض بينهم الاتحاد بأنه سيقام بعض الحزب الشيوعى المصرى
 من خلفه لكن الاتحاد يفتقر ذلك والواقع يفتقر ان الاتحاد النقابات شي
 قائم بذاته والحزب الشيوعى المصرى شىء آخر لا يدخل ولا يتمازج بينهما
 والاتحاد خادم للعمل على تباين مذاهبهم السياسية ونزعاتهم الحزبية
 واختلاف عقائدهم الدينية .

في سنة ١٩٢٤
 (١) عبد العظيم رمضان - المرجع السابق - ص ٥٤٥
 (٢) الأهرام ١٩/٩/١٩٢٤ - ١٩٢٤ - ٩ - ١٩٢٤

* بيرو نيقولا باباريدوتى في مذكراته - المرجع السابق - ان ياناكاكس
 هو مجموعة من اليونانيين في قبض عليهم بطريركة غير قانونية وتوانه شارك
 اعضاء الحزب اضرابهم عن الطبخام في الشيوخية ، وأنه صغر ضدهم محكم ولكن
 حيثيات الحكم في القضية تخلو من اسمه الامر الذى يعنى أنه قيد افرج عنه
 دون محاكمة .

(٣) يمكن تتبع هذا الموضوع في اعداد الأهرام ١٥/٨/١٩٢٤ ، ١٢/٩/١٩٢٤ ،
 ١٥/٩/١٩٢٤ ، ١٥/٩/١٩٢٤ .
 سبتمبر ١٩٢٤ .

الأزهر، يفتخرون هذه الفرصة ليعلنوا العصيان والرأي القسام في مصر، وإلى رجال الحكومة أن حركته ليست مفصطة بل غاية رصينة سياسية، وإن الخبثات به ومرمى سهمه تكمن في الوصول بالعصيان إلى مستوى أخوانهم في المتناكفة الأوربية فيمتنع العمال بالحقوق الشرعية التي أقرها التشريع الوضعي والتماويل (١) في عتقهم من عبادة الرأسمالية، وأصنافه من عبادة شغل

لكن الإحتياج - رغم هذا البيان - لم يسلم من مبهات الحكومة التي سارعت بالقبض على مصطفى أبو عرجة وتسديمه للمحاكمة

ويعد ذلك بدأت حملة تستهدف عزل النفوذ القومي عن الحركة النقابية وتنتشر الأهرام وتعد ظهرت في الإسكندرية في هذين اليومين حركة مضادة للشيوعية ترمي إلى تبرئة العمال من اتباع مبادئها وإلى إبعاد الاشتراكية المتطرفة عن القطر وأنه، وهي حركة طيبة نقابيا بتميز من الأفتتاح

وإبدات البيانات تتوالى على صفحات الجرائد لا تفتقر عن نقابات وإجماعات تقام تستهدف إعلان اشتراك العمال للشيوعية وتبرئهم منها، وشملت هذه الحركة عددا من النقابات، مثل نقابات عمال الصناعات اليدوية والترام والمياه وعلب الكرتون والمنجدين بالإسكندرية (٢)

وإماتات صفحات الجرائد أيضا بإبدات من نوعه وإخواني العمال أفيقوا وانتهبوا واحذروا من تدخل الشيوعية والتوقيع على العمال جسيوية أحد رؤساء العمال (٣)

كذلك بدأت محاولات لإبادة العناصر النشارية من قيادات النقابات وتنتشر الأهرام وتعدت نقابة عمال شركة الجوليين الاجتماعات أمس، وكان الغرض الأهم من هذا الاجتماع فصل النقابة من سيااسة الشيوعية التي كانت لجنقتها الإدارية السابقة تتبعها وقد حدث هذا الفصل وغزت النقابة قانونها واختارت لها رئيسا جديدا بقودها في طريق العمل المقيد (٤)

لكن الخطوة الأكثر خطرا كانت القرار الذي اتخذته لاعتد زلزلت عتبان، يدخل حزب الوفد ميدان العمل النقابي محاولا الاستيلاء على النفوذ فيه، وعزل القيادة الليبرالية بعيدا عنه، بل أنه قد استندت له بعض

- (١) الأهرام ١٠/٣/١٩٢٤
- (٢) عبد العظيم رمضان - ص ٥٤٥
- (٣) الأهرام ٤/٣/١٩٢٤ - ١٠/٤/١٩٢٤ - راجع في عمارة - والعدد (١)
- (٤) الأهرام ٩/٩/١٩٢٤ - ٦/١٠/١٩٢٤ - راجع في عمارة - والعدد (٢)

ولم يكن صدفة ان يلقى القبض على قادة الجزيب في ٢ مارس ١٩٢٤
 بينما يعلن حزب الوفد تأسيسه والنقابة العامة للعمال في ٥ مارس ١٩٢٤
 ثم تحولت هذه النقابة فيما بعد الى اتحاد عام للعمال في ٢٠ مارس ١٩٢٥
 وقد بلغ من اهتمام سعد زغلول بالامر ان كلف بهذه المهمة واحدا من
 اكفنا قادة الوفد واكثرهم التصاقا بشخص سعد زغلول واحسنهم سمعة
 بين الجماهير هو عبد الرحمن فهمي شكرته لجنة الزقند المركزية

وفي ١٨ ابريل ١٩٢٤ صدرت مجلة عمالية وعيانية باسم العمال
 يرأس تحريرها محمد متولي سويلم لتعلن في افتتاحية عددها الاول ان واجب
 العمال ان يتضامنوا ويتآلفوا تحت ثواء واحد وزعامة واحدة وان يظفروا
 باب الاصلاح بالطرق المشروعة

ثم هي تتابع من يعطون الامور ولا يتفقون مينا في الرأي ويجادلون
 الظفرة وهي مجال ويرتكبون اعمالا مكيدة قد تضطر ولاة الامور حتى في
 المعهد الدستوري الى كبح جماح الخارجين على القانون والنظام
 (٦) ثم تتوالى المقالات وكثير منها يهاجم « التطرف » و « التسرع »
 و « الخروج على القانون والنظام » و « المبادئ الضارة » لان كل ذلك
 « غير مجد ويؤجل الخير الذي ننتهده » (١) « راحة زواجر اهدمنا اهدمنا
 (٦) « راحة زواجر اهدمنا اهدمنا »

تدريج ايجاد اخرى ترمي هجوما صريحا على الشيوعية عند نقل تنفيذ مجلة
 خبزنا عن هيئة عمال البجادين وقالت فيه نريد وفي ختام الحفل تطيح
 رئيس الشريف من العمال ان يتبرأوا من الشيوعية فيقولوا صدها مرارا وتادوا
 بحياة جلالة الملك (٢)
 ثم يصدر الوفد مجلة عمالية اخرى اسمها « اتحاد العمال » وقد راسها
 بتحريرها سيده هي نجاة عبد العزيز ، وقد كانت هذه المجلة لسان حال

الاتحاد العام للعمال ، و صدر عددها الاول في ٢٠ يونيو ١٩٢٤
 وتوضح لنا صفحات هذه المجلة الدور الحقيقي الذي تقوم به الوفدية
 ومثله عبد الرحمن فهمي وسط الحركة العمالية في ذلك الحين

١٩٢٤/٤/١٨ - العدد الاول - العمال - ١٢٦
 ١٩٢٤/٤/١٨ - العدد الثالث - العمال - ١٢٦
 ١٩٢٤/٦/٣ - العدد الثالث - العمال - ١٢٦

فحينما أُضرب عمال هابريتيّة المعصرة للاستعنت ذهب إليهم محمد أفندي
فؤاد سينكرتير القنابة العامّة ، وأبلغهم نصائح الزعيم بفيض الأضراب والعودة
إلى العمل فقبلوا ذلك النصيح الغالي على الطاعة الواجبة ، (١) سن ١٩٢٤/١٩

وعندما أُضرب عمال شركة السكر بالمطاعنة لم ينتقدهم محمد فؤاد
وطلبا منهم للصبر فان الله مع الصابرين والشعب كله ضائع الحقوق
مثلهم (٢) سن ١٩٢٥/١٩

والحقيقة أن عبد الرحمن فهمى قد تحول إلى بوق يحمي مصالح
الرأسماليين ، وكانت خطبه باستمرار تهاجم الاشتراكية وتعمل على تمهين
الموقف الطبقي للعمال ، وفي خطاب له في افتتاح فرع الاتحاد العام
لنقابات العمال بالفيوم قال إن على العامل «أن يمشى تحت إواء القنظام
والشرايع ويجتهد لمصلحة بلاده قبل مصلحة نفسه»

ما تقو الجناة والمال ؟ وما قيمتهما ؟ هما زائلان ... ولا يبقى إلا
العمل للصالح .. وإن العامل الذي يطمع فيهما بيد أصحاب رؤوس الأموال
بلا حق إنما يسمى بالدمار ببلاده وخراب شوقها الاقتصادي ، فاني قيلت
بزعافتكم لادافع عنكم وأحمي مصالحكم فلا تنتظروا مني أن أحاول الحصول
لكم على أكثر من حقوقكم فاني كما أدافع عن حقوقكم أدافع عن حقوق الشركات
معكم ، ولو لم تكلفني هي بذلك لان حماية مصالحها صيانة لمصالح بلاننا
التي فتحت صدرها للجانب المستفيد منهم ويستفيدوا منها لانهم ضيوفنا
وقد استنهرتم بتكرايم الضيف ...

وأعلموا أن هؤلاء القوم الذين يقولون إن العامل يشتغل طوال يومه
وليله بأجر زهيد بينما صاحب رأس المال يكسب الذهب ، إنما هم قوم
يفسدون العقول والعقائد (٣)

ثم يلجأ قادة الاتحاد إلى الهجوم المباشر على الشيوعية فيكتب
محمد فؤاد سينكرتير الاتحاد سلسلة من المقالات عن «حركة العمال في مصر»
يقول فيها

«دفع الطيش بعض الشبان الذين لا خلق لهم بالاشكندرية وغيرها من
المدن إلى اعتناق مذهب الشيوعية واحتالوا بهذا المذهب على العمال فنفثوا

-
- (١) اتحاد العمال ١٩٢٤/٦/١٩
 - (٢) اتحاد العمال ١٩٢٥/٢/١٥
 - (٣) اتحاد العمال ١٩٢٤/١١/١٦

هذه السم، وكان هذا الداء الغضال يفتشى في هيكل الأمة بلولا أن يقبض الله
لها يقبض رجنال النجكم من ذوي الفطنة فما عتقلوا هؤلاء الشبان الإنميين، وزجروا
بهم في أعماق السجون جزاء ما قدمت أيدىهم، وما جنتوه من الذنوب، زجروا بها

ثم يواصل تحديثه موضحا حقيقة الثورة التي يلعب عبد الرحمن فهمي
في وقبض الثورة في هذا الظرف العصيب للعمال، استعداد عبدة الرحمن بذلك فهمي
زعيم العمال فانتسبهم من هذه الهوة التي كانوا أن يقفوا فيها (١) بزيده

والسولم يكتفب بالوحد بذلك، بل إنه يبتخدم أيضا نفوذه وسطا الطلبة
ليتهنئ العمال، ومجازية في النفوذ البيماري، بيقبضهم نفسا (٢) مارس ١٩٢٤
بما عقدت لجنة الطلبة بالانتكندرية سلسلة من الاجتماعات والنظر في مسابغة
الحكومة على مواجهة حركة العمال ببيت رواج للسكنية فيهم لكي يكفوا عن الإضراف
ويقولوا على عطف الحكومة والبرلمان (٣) من سنة ١٩٢٤ حتى سنة ١٩٢٤

ووجدت الإشارة هنا إلى أن الوقت بعد أن استخدم هذا الأستخدام
الجزري ضد العمال بوضد الجذب الشيوعي، بقا لبث هو أيضا أن تلقى الضربة
بتلو الضربة، وكان يصيب عبد الرحمن فهمي بمبدا كبيرا، أما انتخاب العمال
الذي أقامه الوفش فانه ما لبث أن تفوق بوضووقه، لا بعبئد عليه، بعبئد أن
أدى الثورة للرسوم لجانا، بعبئد بوضووقه، لا بعبئد عليه، بعبئد أن

لذلك وبسطت عليهم لهما لهما، بعبئد بوضووقه، لا بعبئد عليه، بعبئد أن
لقد وتمتد الحرب لتشمل كل البلادين وتجد القوى المادية للجماع
عموما الفرصة سانحة لتحاول أن تستخدم هذه الحرب بطريقة لضرب
الكتسبات الديمقراطية والدستورية للشعب كله، فتنشر جريدة المحاكم
المختلطة، مقالا تقول فيه: «لا ينبغي أن تتسرع مصر بتمسكها من
قوانين مكتوبة وغير مكتوبة للدفاع عن كيانها، أزا، الكشائس الشيوعية منذ
يكون هناك بعض الفائدة من لقاء نظرة إلى الحرب العوان التي أعلنتها

الفاشية في إيطاليا على العدو المشترك» (٤) في سنة ١٩٢٤، بعبئد بوضووقه، لا بعبئد عليه، بعبئد أن
لها دعوة ضريجة لاستخدام الأساليب الفاشية ضد العدو المشترك،

كذلك نظم الأهرام حملة واسعة ضد الطلبة المصريين الذين يخرسون في
موسكو طالبا عن النائب العام والسلطات التدخل بحزم وحتى لا يعودوا،
وكل منهم لثمن صغير (٤) بعبئد بوضووقه، لا بعبئد عليه، بعبئد أن
أبغضت الأمة بعبئد بوضووقه، لا بعبئد عليه، بعبئد أن

- (١) اتحاد العمال ١٢/٢١/١٩٢٤
- (٢) الأهرام ٢٧/٣/١٩٢٤
- (٣) الأهرام ٨/٩/١٩٢٤
- (٤) الأهرام ٦/٣/١٩٢٤

تسببها وقد وصله الأمر الذي اتخذته استخدام أشخاص كسيلامة موسى وعبد الله
 وعنان في الهجوم على الحزب والنشهر بأعضائه في ١٠ شباط سنة ١٩٢٤ كما ورد
 ويبدو أن سلامة موسى قد خشي أن تشمله موجة الاعتقال كما شملت
 في البداية أشخاصاً مجزوا الحزب منذ مدة مثل اسكندر شاهة والسيد
 مريدي واحمد المني ٠٠ فسارع الى الأهرام لينشر مقالا بعنوان "الاشتراكية
 والشيوعية وتاريخها في مصر" (١) نشره الأهرام في صفحته الأولى وهو مقال
 مليء بالظن في الحزب وقادته والهجوم على الثورة والشيوعية ٠٠ لكن أهم
 ما في هذا المقال هو أن سيلامة موسى حاول الي جانب اعلان برأته أن يربط
 نفسه بعجلة الحكومة العمالية البريطانية ملتصقا بذلك بحماية لنفسه فقال
 "وقصد كنت أنا نفسي بعضوا في اللجنة الفابية الانجليزية وتعرفت من أعضائها
 مستر شندلي نائب أحد وزراء إنجلترا الآن في ربيع سنة ١٩٢٤".

كما حاول أن يخيف الحكومة ويمنعها من اعتقاله قائلا "فانا أريد أن ألفت
 نظر حكومتنا الي أننا سننتفضي مع حكومة اشتراكية مؤخه من العمال هي
 حكومة رامزي مكدونالد وهي وان كانت لا توافق على الخط الشيوعي فانها
 لا تخشى وليس اق وسبعها أن ننظر بعين العطف التي اضطهاد الاشتراكيين".
 وقد ورد في رده رده سنة ١٩٢٤ في ١٠ ابريل ١٩٢٤ قائلا "فانها
 وهكذا ضمن سلامة موسى لنفسه السلامة ٠٠ لكنه وحتى في ظل
 المحنة القاسية وجد من يتصدى بالرد عليه منددا بهؤلاء الذين ينكرون
 اليوم بسفاحه اما عبوة فالأقرب (٢) في رجب سنة ١٩٢٤ في رجب سنة ١٩٢٤
 فبالسوء كانت محكمة جنائيات الإلكترونية فتد نظرت في المعارضة المقدمه من
 المتهمين ، وقررت الافراج عنهم مع حضورهم للمحاكمة في جلسة شهر
 نوفمبر (٣)

لكن الحكومة لم تحتل أن يبقى قادة الحزب طلقاء حتى نوفمبر ٠٠
 فعجت بنظر القضية ، ذلك أن « سعادة النائب العمومي قد رأى تغيير
 موعد المحاكمة ، اذ يقال أنه تقرر أن تكون محاكمتهم في دور سبتمبر المقبل
 أمام محكمة الجنائيات كما كان مقررا من قبل » (٤)

(١) الأهرام ١٩٢٤/٣/٨
 (٢) الأهرام ١٩٢٤/٣/١٢
 (٣) العمال ١٩٢٤/٨/٢٢
 (٤) العمال ١٩٢٤/٨/٢٤ - رجب سنة ١٩٢٤ (٤)

شأنه وقد حاول المتهمون أن يستفروا هذه الخطة فعندما انعقدت جلسة المحكمة برئاسة أحمد طلعت باشا في 28 سبتمبر لم يتحضر أنطون مارون وقال للدفاع أنه مريض لا يستطيع الحضور.

وقد حضر في الجلسة القاضي وأمر بالقبض على المتهمين وإداعهم للسجن والقبض على مارون والحضاره (1) بالمرتبعة على ما كان عليه من قبل. وقد ورد في راقعه وهكذا بدأت المحاكمة في 29 سبتمبر (2) في الساعة العاشرة في قاعة المحكمة. ومع اشتغال حملة الغذاء بدأت حملات التفتيش وتكونت في عديد من البلدان جمعيات باسم "أزغوا ايديكم عن مصر" عن مصر. وقد حضره لبريد وفيها يكون عقد مؤتمر عالمي للتضامن مع الشيوعيين المضربين حضره مخوبون من الاتحاد السوفياتي وإيران وتركيا وغيرها من البلدان (3).

وأخيرا وقبل أن نظوي هذه الصفحات يتعين علينا أن نذكر أن واحداً من هؤلاء الرجال الذين تحدثنا عنهم طويلاً في هذا الفصل قد أنتهت حياته في 17 كانون الثاني 1936 عن الطعام. هذا الرجل هو أنطون مارون (4).

ويتحدث محمود محمود حسني العرابي عن هذا الأضراب قائلاً إن الإضراب عن الطعام قد استمر 36 يوماً وأن ملك الموت قد حلق فوق رؤوسهم جميعاً (5).

كذلك يتعين علينا أن نقول أن الأحداث قيد فرضيت على المؤلف لا يكتب بكل ما سبق، فثمة صفحات أخرى يجب أن تكتب، فالحزب الذي صدر قرآنه يتصفه والذي حوكم قاضيه قد واصل العمال سراً ولا يد من محاولة لتتبع هذا المسار الجديد.

... (6) ...

(1) الامرام في 29/8/1924
International Press Correspondence - pp. 1956' 9-12-1924
(2)
(3) الامرام 10/8/1930
(4) محمود حسني العرابي - 89 شهر ابريل المنقح (1936) ص 277
(5) ...

٢٠٥

الجزء الثاني من المجلد الثاني

العدد ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠

القسم الرابع

العدد ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠

الملاحق

العدد ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠

العدد ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠

العدد ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠

العدد ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠

العدد ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠

س : هل تعتقد أن عبد الحميد الطوبجى كان مؤسساً شيعياً
المنصورة؟

ج : الذى اعرفه ان الطوبجى كان يعطف على العمال ويشاركهم
ويتجمعهم على تأسيس النقابات لكنه لم يكن اشتراكياً بالمعنى المفهوم

س : كم كان عدد اعضاء الحزب بالمنصورة؟

ج : حوالى ٦٠ أو ٧٠ على ما اذكر

س : من كان يتكون مجلس ادارة الشعبة؟

ج : لا اذكر كل الاسماء كان هناك محمد احمد عبد الجليل (١) وحافظ
سند وعبد الحميد الطوبجى وشفيق باسيور، وهو مهتم من اصل شامى
وانا وآخرون لا اذكر اسماءهم

س : متى تأسست الشعبة؟

ج : فى اواخر عام ١٩٢١ على ما اذكر

س : هل كنتم تتصلون بالشعب الاخرى؟

ج : نعم كانت هناك علاقات ، لكن علاقتنا الاساسية كانت بقيادة
الحزب فى الاسكندرية . فمثلا كان فى سفوف شعبة قوية جدا . وكذلك فى
المنية والزقازيق لكننى لم اكن مختصا بمثل هذه العلاقات

س : ما هو نوع العلاقة مع القيادة بالاسكندرية؟

ج : كانوا يراقبون النشاط ويرسلون لنا معلومات كثيرة ، اذكر منها
كتبا للبين وكذا اخرى ونشرات وكان يحضر من الاسكندرية بعض المسئولين
منهم شخص شامى لا اذكر اسمه والشيوخ صفوان ابو الفتح ومصطفى
ابو هرجه

س : هل كنتم تدرسون الاشتراكية؟

ج : كنا نعلم اساسا على المطبوعات التى تصل من الاسكندرية ،
وكان عبد الحميد الطوبجى يلقى علينا محاضرات

س : ما هى نسبة العمال فى الشعبة؟

ج : كانت الاغلبية من العمال

(١) نشر الاهرام ١٩٢٤/٣/٦ رسالة موقعة منه يحتج على تفتيش
منزله وينفى عن نفسه تهمة البلشفية

فبعض من سئله، كان يهكم الجانب بفتح ريشة ياء، رة عندها رة : رس

ج : ٧٠ لأن ذلك كان سيضر بالحركة ، لكن كانت هناك مجموعات اشتراكية وسط الأرمين واليونانيين وقد اتصلوا بنا وشجعونا، وسيساعدونا كثيرا .

س : هل كانت في المنصورة شعبة للحزب الديمقراطي؟

ج : كانت هناك شعبة لكن معظم أعضائها كانوا من أبناء الأسر الغنية والمحامين ولم يكن بها عمال مطلقا .
والذي حدث في الانقسام الذي حدث في الحزب بتعيين اعلان انضمامه للكونغرس ؟

ج : سمعنا ان حسنى العرابى سافر الى موسكو والتمى خطابا وقال فيه : أتمنى أن تعرف قريبا الراية الحمراء فوق الأهرامات . لكننا لم نتبع الخلافا بالتفصيل ، وعموما لم يكن الاتصال بالقيادة يتم عن طريقى ، وكان المسئول عن الاتصال بشعبتنا الشيخ صفوان رومئى بنابو رة وها من مؤيدى الانضمام للكونغرس .

ج : أنا كانت مؤامراتي عن الاشتراكية قليلة ، لكن كان عندى احساس ان اعلان بلشفية الحزب خطأ وبعد مناقشات لم أعارض .
س : وماذا حدث بالنسبة للشعب الأخرى ؟

ج : الذى أعرفه ان شعبة بيمبري استمرت في النشاط حتى أصبحت البلدة قلعة للاشتراكية ، أما شعبة المحلة فقد قال أعضاؤها في التحقيق عند القبض علينا سنة ١٩٢٤ ان البوليس عندما فتش الشعبة وجد الأوراق والمكاتب يكسوها التراب مما يوحي بأن نشاطها كان قد توقف بعد اعلان ضم الحزب للكونغرس .

س : ما هى اوجه نشاطكم ؟

ج : كان هدفنا جذب أكبر عدد ممكن من العمال ، وقد نشطنا-نشطنا واشتغنا في النقابات ، وحوارنا ذلك الحزب الذى نادى بالعمل وكان الكثيرون يترددون عليه . كذلك افتتحنا مدرسة ليلية لمجانبة التعليم العقال ، القزاة

والكتابة ، وقد تطوع للتدريس فيها مجاناً بعض المدرسين من أعضاء الحزب منهم الاستاذ الفاضل الخولي وكان مدرستا اولياً (٧) ، وقد تم في شهر ربيع الأول سنة ١٩٢٢م ذلك فتحنا فصلاً لتعليم اللغة الفرنسية مقابل ٢٥ قرشاً شهرياً ، وكان يتولى التدريس فيه أحد أصدقاء الحزب وهو موظف سابق بالحاكم المختلطة مجال إلى المعاش .

كذلك قررنا أن تكون دار الحزب فلماً للعمال يقيمون فيها ما تمهم وأفراحهم مجاناً ، وايضاً منّا بتكوين فرقة موسيقى من أبناء العمال واشترينا لهم الآلات وعلماهم على استعمالها ، وكانت هذه الفرقة تعزف في الأفراح العمال مجاناً .

لكن أهم مشروعاتنا هي انشاء جمعية للاسعاف ، لان المنصورة لم يكن بها جمعية اسعاف ، وقد جعلنا من دار الحزب مقراً للجمعية وتدريب عدد من أعضاء الحزب على الاسعافات وتطوعوا بخدمة الجمهور مجاناً . وقد ساعدنا في هذا المشروع حسن عوضين ، وهو ابن واحد من اغنياء المنصورة وكان متحمساً لفكرة تأسيس جمعية اسعاف ، لكنه لم يجد سواناً لتساعدته في تنفيذ المشروع .

- س : هل اطلعت على مجلة الشبيبة ؟
 ج : نعم ولكن لم يصلنا منها سوى عدد واحد فقط ثم توقفت .
 س : هل كانت لكم جماهيرية حقيقية بالمدينة ؟

ج : طبعاً وقد أصبحت الشعبية محط انظار العمال فعلاً واتسع النشاط الى حد انه عندما رشح الوفد كامل يوسف صالح لعضوية المجلس البلدى اتصل بنا طالباً تاييدنا ، وقد ايدنا قائمة مرشحي الوفد ، ولم نرشح سوى شخص واحد هو سعد عثمان نور ، وقد نجح أيضاً في الانتخابات ولكي تعرف مدى تأثيرنا في هذه الانتخابات يكفي أن أقول أن المجلس البلدى قد قرر في اجتماعه الاول اعفاء دار حزبنا من دفع قيمة استهلاك المياه والنور واعتبارها داراً ذات نشاط اجتماعي مفيد .

لكن يجب أن تضع في الاعتبار أن اغلبيية الجمهور كانت وفدية ، وكان من الصعب اقتناع الناس بالوقوف بعيداً عن الوفد .

وقد سبق القبض علينا حملة شديدة شنتها علينا جريدة كانت تصدر بالمنصورة اسمها ، الدلتا ، وكانت جريدة لا تتدخل في السياسة ، فهي

(١) اشار حسنى المرابى في احد بياناته الى هذه المدرسة - الاهرام ١٩٢٢/٧/٢٩

مخصصة في السياس لئلا يعلن الاحكام ، وفجأة بدأت تشن علينا هجومًا شديداً وبدأت تتحدث عن التسيط الشيوعي الخطر بالنصورية وتذكر اسماءنا وتحرض علينا الحكومة .

رغم ذلك ، في يوم ٢٧ من شهر ديسمبر ١٩٤٤ ، قدمنا خطاباً للحزب الشيوعي في مصر ، وفيه بيننا موقفنا من هذه المواقف ، وماذا كان موقفكم في التحقيق في ذلك الحين ، كما بيننا موقفنا من ذلك .

ج : لم يقبض علينا جميعاً ، وإنما قبض على البعض ، وكانوا من قبل التي نفى صليته بالحزب حتى لا يقبض عليه ، ومن نفوا صلتهم بالحزب محمد أحمد عبد الجليل ، أما نحن المقبوض علينا فقد اتخذنا موقفاً متوازياً ، وهو إعلان أننا نقف في زعامة سعيد زعلول ، وروايتنا لا نريد قلب الحزب ، كما ذكرنا ذلك حاولنا شرح أفكارنا الاشتراكية .

ج : فماذا فعلتم بعد هذه الضربة ، وماذا فعلتم بعد ذلك ؟
ج : بعد هذه الضربة أخذت بعض أعضائنا في تنظيم عملهم ، فعملنا في بعض المجالات ، ولقد أغلق البوليس دار الحزب واستولى على دفاتر العضوية وتعبت الأعضاء برمهم ويضطهدهم ، والحقيقة أننا تفككنا وقتنا صلنا بالقيادة ، واقترح علينا عبد الحميد الطويحي أن تؤسس حزبا عماليا نسميه حزب العمال بالنصورية دون أن نعلن عن أية أهداف اشتراكية ، فوافقنا ، ولم نتعرض لنا السلطات واستمر الحزب في العمل لفترة لكننا كنا قد فقدنا التوجيه والحماس وسرعان ما توقفت هذا الحزب عن العمل .
ج : فماذا فعلتم بعد ذلك ؟
ج : قمنا بالتحقيق في بعض هذه المسائل ، وماذا فعلتم بعد ذلك ؟

ج : انتم أيضاً وسعنا العمل ، والحقنا بعضه ببعض ، فعملنا في بعض المجالات ، ولقد أغلق البوليس دار الحزب واستولى على دفاتر العضوية وتعبت الأعضاء برمهم ويضطهدهم ، والحقيقة أننا تفككنا وقتنا صلنا بالقيادة ، واقترح علينا عبد الحميد الطويحي أن تؤسس حزبا عماليا نسميه حزب العمال بالنصورية دون أن نعلن عن أية أهداف اشتراكية ، فوافقنا ، ولم نتعرض لنا السلطات واستمر الحزب في العمل لفترة لكننا كنا قد فقدنا التوجيه والحماس وسرعان ما توقفت هذا الحزب عن العمل .
ج : فماذا فعلتم بعد ذلك ؟
ج : قمنا بالتحقيق في بعض هذه المسائل ، وماذا فعلتم بعد ذلك ؟

ج : فماذا فعلتم بعد ذلك ؟
ج : قمنا بالتحقيق في بعض هذه المسائل ، وماذا فعلتم بعد ذلك ؟

ج : فماذا فعلتم بعد ذلك ؟
ج : قمنا بالتحقيق في بعض هذه المسائل ، وماذا فعلتم بعد ذلك ؟

ج : فماذا فعلتم بعد ذلك ؟
ج : قمنا بالتحقيق في بعض هذه المسائل ، وماذا فعلتم بعد ذلك ؟

؟ نعمنا! الله! الله! الله!

محضر نقاش مع حافظ بسند بصيرة سنة ٢٠٠٠

أجرى النقاش في مدينة المنصورة يوم ١٩٦٩/٥/٢٩

س : كيف انضمت الى الحزب الاشتراكي المصري، متى ولماذا؟

ج : كان ذلك في أواخر عام ١٩٦١ وبالتحديد في بداية نفي سعد زغلول الى سيشل (١) وأنا أذكر - عذرا تقاماً ، وكنت قد سافرت الى الاسكندرية لاشتري أخشابا للجلس الأيرية لاننى كنت أعمل به . وفي أثناء تشرى بالطريق قام شخص بتوزيع نشره على مقابل خمسة مليقات وكانت النشرة صادرة عن الحزب الاشتراكي المصري ، وبها عنوان دار الحزب بفنار فويار بالاسكندرية ، وأعجبت جدا بالأهداف والآراء التي تضمنتها النشرة فتوجهت الى هذه الدارة ، وهناك قابلت اسكندر ضادة وأخرون غيره . وبعد نقاش حول أهداف الحزب اتفقت معهم على أن أفتح شعبة بالمنصورة وأعطوني كمية من الكتب والنشرات .

والحقيقة ان هذه المقابلة قد اثرت في جدا فقد كان قادة الحزب اناسا بنشاطا وعماليين حقا .

س : هل انهم من ذلك أنك مؤسس شعبة المنصورة؟

ج : هذا صحيح ولو أنني لا أريد أن أتحدث كثيرا عن نفسي

س : كيف تأسست الشعبة؟

ج : اتصلت بعدد كبير من الأشخاص أذكر منهم محمود فقه (تاجر نحاس) وعبد الحميد الطوبجي والشيخ أحمد المرافي ومحمد عبد الجليل والشميد الصبري . وجمعت تبرعات من الكثيرين وأنشأنا دارا للحزب بهيدان الطمهي وافتتحنا الدار في حفل كبير ، وأذكر أننا طبعنا ٣٠٠٠ تذكرة دعوة وان الكثيرين حضروا حفل الافتتاح .

س : هل كان لك نشاط سابق على عملك في شعبة الحزب الاشتراكي؟

ج : كنت قبل زيارتي للاسكندرية عضوا في جمعية الاستقامة وهي جمعية دينية ، وان كان عملها الانساني نحو الامية بين العمال .

* ورد اسم سند خلال النقاش مع الشيخ الصبري وتذكر انه كان أمين صندوق شعبة المنصورة ، وهو تاجر يبلغ من السن ٩٠ سنة وقت اجراء الحوار ومحدث لبق ثقافته واسعة ويغلب عليها الطابع الإسلامي . وهو يؤكد باسنياريا وفي جملة ما دافعني انه ياركسي من وذاكرته قوية .
(١) نفي سعد زغلول الى سيشل في ديسمبر ١٩٦١ .

س : كم بلغ عدد أعضاء الشعية ؟
ج : كانوا كثيرين ، وربما أكثر من مائتين .
س : السيد الصبيري يقول أنهم كانوا ستمين فقط ؟
ج : هذا غير صحيح ، والسيد صبيري لم يكن يعرف العدد الحقيقي

لكنني متذكر تماما ، إن دفتره المصنوية كان قد امتلاء تماما ، وأرسلنا إلى

الإسكندرية نطلب دفترا جديدا .

س : هل تذكر أسماء أعضاء مجلس إدارة الشعية ؟

ج : اللجنة الإدارية كان عددها عشرة ، أذكر منهم :

شفيق ياسينور - (مهندس معماري) وقد عمل لفترة كسكرتير للشعية

أحمد طرابية - مقاول

عبد الحميد الطوبجي - خريج جامعة أوكسفورد من الإعيان

محمد أحمد عبد الجليل - موظف حسابات بالبلدية

الشيخ أحمد المواق - مدرس لغة عربية بمدرسة الفيردي

السيد الصبيري - عامل

وأنا .

وقد تمتددت وقتا لتعليمات القيادة في الإسكندرية أن يكون تشكيل

اللجنة الإدارية ممثلا للفئات المختلفة .

س : اسم الشيخ مواق يلفت النظر فهل كان لديكم رجال دين آخرين ؟

ج : كان لدينا سبعة من رجال الدين وقد أفاضونا كثيرا جدا وكان

الشيخ المواق يلتقي في دار الحزب مواعظ وخطبا تلمح استحسانا كبيرا

من كان يحضر اليكم من الإسكندرية .

س : كان يحضر مندوبون من القيادة بالإسكندرية لمناقشة نشاطنا

وأذكر منهم أسكندر صادة والشيخ صيفوان أبو الفتح ، وكان يصطنعنا من

الإسكندرية باستمرار مطبوعات وكتيبات ومشهورات ، وأذكر أنه وصي لنا

كتبا للدين باللغة العربية .

س : هل كانت لكم علاقة بالشعب الأخرى ؟

ج : كانت هناك شعب نشطة بسمنود والحلة ، وقد تمت بزيارة شعبية

بسمنود وتناقشت مع قادتها حول أساليب عملهم .

س : ألم تحاولوا مد نشاطكم إلى الريف ؟

ج : طبعا حاولنا ولتكن في ذلك ضمننا التي صفونا قديما من المهندسين

الزراعيين ، واتصلنا ببعض الفلاحين في عدد من المراكز وعندما وجهت إلينا الضربة

كنا على وشك تأسيس شعبة بالثغلاويين وشعبة بالمنزلة وتأسيس مثل

هاتين الشعبتين كان كميلا باقامة اتصال مباشر بالفلاحين .

والحقيقة ان نشاط شعبيتنا لم يستمر الا عامين فقط ، ولو تمكنا من الاستمرار لفترة اطول لكانا قد نجحنا في اقامة مراكز قوية في الريف .

س : هل كنتم مستعدين لمواجهة حملات الحكومة ضدكم ؟

ج : نحن كنا في بداية نشاطنا ، ولم نتح لنا فرصة كافية للعمل وتربية الاعضاء تربية حقيقية حتى نحن لم نكن قد أصبحنا بعد كوادر حقيقية رغم اننا كنا نشيطين جدا .

وفور عملية القبض الاولى على قادة الحزب (١) صدرت تعليمات بحرق بفاقر العضوية حتى لا يحصل عليها البوليس ، ولكن نشاطنا ظل علنيا .

س : لماذا لم يقبض عليك ؟

ج : الحقيقة انهم مارسوا ضدى ضغطا شديدا جدا وأنا كنت اعمل في مجلس المديرية ومدونى بالفصل وتشريد اولادى وأخيرا خضعت للضغط وكتبت استقالة من الحزب ما زلت أنكرها بالنص .

وهي « بما ان العمال في مصر بين قوات ثلاث : الاستعمار الظالم والحكومة التي تربت في احضانها والقباضون على زمام الاموال ، فان على العمال ان يكتفوا بحزب عمالي وأن يبتعدوا عن الشيوعية والاباحية » .

وطبعا هذه الصيغة لم تعجب مدير الدقهلية لكننى رفضت تعديلها .

س : وهل اكتفت السلطة بهذه الاستقالة ؟

ج : اكتفت بها البداية لكنها عمدت بعد ذلك الى تشريدنا جميعا فاننا وكثيرون فصلنا من العمل ومحمد عبد الجليل فصل ثم أعيد للعمل بشرط نقله الى سوهاج في افاصى للصعيد ، وعلى العموم ظلت حملات التنكيل والاضهاد والتفتيش تلاحقنا بشكل مستمر حتى ما بعد عام ١٩٣٠

بل ان البوليس كان يستدعى اى شخص يتصل بنا لاي سبب من الاسباب حتى ولو كان مجرد قريب او صديق شخصي ويجزئه من الاتصال بنا .

س : هل تريد ان تقول شيئا آخر ؟

ج : ازيد ان اقول اننى لا ازال ماركسيا ، واننى خزيق لاننى كتبت الاستقالة في عام ١٩٢٤ تحت ضغط السلطات .

(١) ١٧ مارس ١٩٢٣

موفدون من الكومنترن ولكن بكل اسف كان اغلبهم من اليهود .
وفي سنة ١٩٣٠ وبعد عودتي من ألمانيا اتصل بي عصام الدين قنطري
ناصر وعرفني بحسنى العرابي وكانت عذرى ميول اشتراكية . سوكتنا
اتهمت بالشبوعية سنة ١٩٢٥ بسبب هذه الجول . وفي هذه السنة
اصدرنا جريدة روح العصر . صدر منها حوالي ٢٤ عددا وثمة نسخ منه
موجوده بدار الكتب وكنا نحن الثلاثة مسئولين عنها (انيا وحسنى وعصام) .
وكانت تناصرها المنظمات القائمة . برغم تزعم عباس سليم للحركة النقابية
وكان يرأس الوزارة اسماعيل صدقي وكانت الصحيفة علنية واشتراكية
وسياسية واجتماعية .

ولما لم يجد اسماعيل صدقي وسيلة قانونية لتعطيلها عطيلها بقرار من
مجلس الوزراء .

(اوقفت الجلسة الساعة السابعة وعشر دقائق بسبب اصابة الدكتور
القاضي بازمة قلبية) .

المحضر الثاني ١٩٦٨/٩/٢٣

قال الدكتور عبد الفتاح القاضي اود ان ابدأ من جديد لاننى تذكرت بعض
المعلومات الهامة :

الحقيقة ان اول حركة اشتراكية ظهرت في مصر كانت سنة ١٩١٥ في
الاسكندرية بنشوة نقابة الكونترجية (عمال الاحتفانية) وكادت مكونة من
الارمن والاروام (وقد قال لى هذه المعلومات الشيعوى القديم ياناكاسن .
وكانت الحركة المصرية ح . م قد كفتنى سنة ١٩٤٢ بكتابة تاريخ الحركة
الاشتراكية فانصلت به وابلغنى هذه المعلومات . وقد كتبت عملا موجزا لهذا
التاريخ وسلمته للمسئولين في ح . م ولا اذكر اذا كان قد قال لى اذا كان
هناك مصريون في هذه النقابة ام لا) .

وانا اريد ان اربط بين ذلك النشاط وبين بداية نشاط لينين في روسيا
في ذلك الحين . اريد ان اربط بين هذه الحركة في مصر . وبين الحركة
في روسيا .

صحيح لم يكن هناك روابط مباشرة ، لكن ازيد ان الالحظ ايضا ان
تولستوى عندما مات سنة ١٩٠٦ رثاه شوقى رغم ان شوقى كانت ثقافتا
فرنسية وانه كان شاعرا رجعيا . ان من يرثى تولستوى لا بد ان يكون قد
اطلع على بعض تراثه الفكرى ثم لما اذا لا تربط بين ثورة الفلاحين الروس
١٩٠٥ وثورة الفلاحين المصريين في دنشواى ١٩٠٦ .

بعد ذلك كانت الخطوة الاشتراكية الثانية خطوة عمر لطفي على راسها
الدعوة داخل الحزب الوطني من عمر لطفي كان يمثل الجناح اليساري في
الحزب الوطني. ثم بعد ذلك في سنة ١٩١٧م في مصر وفي سنة ١٩١٩م في مصر
أدرك هذا الجناح أن الاعتماد على طلبية المدارس العليا لا يكفي، ولهذا
بدى الاهتمام بالعمل والفتيات، ولم يكن من الممكن أن يتم ذلك بمعزل
عن الحركة الاشتراكية القديمة والجديدة العالمية، فمصطفى كامل ومحمد فريد،
كانا يتنافران إلى الخارج ويتصلان بالحركة الاشتراكية الأوربية وخاصة
محمداً فريداً، ذلك في سنة ١٩١٧م في مصر، وأدركوا أن العمل في مصر
كذلك ثورة أكتوبر ١٩١٧ أثرت علينا في ثورة ١٩١٩ ولا ننسى
مبادئ الحق تقزير الصيرة التي أخذها الذين أخذوها، فليسوا في مؤتمر
باريس ليكسب الشعوب إلى صف الرأسمالية.

بعد ذلك أريد أن أنتقل إلى موضوع الجلسة السابقة
في سنة ١٩١٩م في مصر.

أريد أولاً أن أحاول تقويم حسني العرابي وهو رجل كويس هو
دوره كدور بلخانوف لم يكتب بممارسة دراسة الماركسية على يد الجندي
الانجليزي، وإنما حاول أن يكون نفسه نظرياً، وترجم كتاب رامزي
ماك دونالد عن الاشتراكية لكن حسني العرابي كان قلبه طيباً ويخضع بتهمة
وكان لا يحسن اختيار الأشخاص وخاصة الذين أرسلهم إلى موسكو للدراسة
فيقيد أرسل مثلاً محمد عبد العزيز وهو الذي اختارته وأنا قرأت مذكراته
محمد عبد العزيز عند محام اسمه حفيظ عبود، كل مذكراته خيانية وحتى وهو في
الاتحاد السوفيتي، فعندما كان في روسيا كان يخون، وهو يذكر ذلك صراحة
في مذكراته، وكانت مكتوبة بخط اليد في جوالي خمسين كراسات وعندما كان في
روسيا أرسل مثلاً إلى السوفيي للاتحاد السوفيتي لاقتراعهم بالاشتراكية، وكان
يحرصهم ضد النظام الاشتراكي وأورد في مذكراته أيضاً سلسلة خياناته
وتسليمه لكل المنحدرين الذين أتوا إلى مصر.

ثم وقد اختار أيضاً حسونة وهو شخص نشيط وينجز أعمالاً كثيرة وقد
عمل معنا كثيراً في الأربعينات في الطبع السري، لكنه كان مادياً من نوع
الثلاث ورفقات وكان أحسن من اختار شعبان حافظ وعبد الرحمن فضل، ولكن
فضل لم يبق، وشعبان حافظ كان أحسنهم وكان عنواننا صحيحاً جداً للعامل
المصري، ثم بعد ذلك في سنة ١٩٢١م في مصر، ثم في سنة ١٩٢١م في مصر،
وقد استفاد جيداً من مدرسة الكافر في الاتحاد السوفيتي وبرزت
كفاءته في العمل السري وفي تكوين الخلايا وفي الاتصالات في العمل الجماهيري
وفي كل المجالات.

أما أنا فانا كنت أدرس في ألمانيا وكنت قد قررت إن أقل من إتيصالي
بالمصريين حتى أتعلم الألمانية بسرعة . وجاء حظي أثناء دراساتي لكورس
اللغة الألمانية قبل بدء الدراسة الجامعية في يناير ١٩٢٠ مع عدد من
البلغاريين . وخاصة البلغار منهم . مثلاً الزميل بوبوغا وكنا نذكر سوريا
وأي الكلية استمرت المذاكرة : سوريا ، وخاصة مادة التشريح لانهم يعرفون
لاتيني أكثر مني . بوبوغا والبلغار الآخرون عرفوني بجماعة من الروس منهم
لاديفسكى . كانوا في كلية أخرى وأنا كنت في ذلك العهد وطنياً متطرفاً . وكل
هذه هي أن أظن في الانجليز وإن كنت تسيطر على فكرة الطبقات وكنت
متديناً أيضاً فكانت تنسب مناقشات حادة حول الفكرة الماركسية . وحول تأييد
نضال الطبقة العاملة المعالية . وأنا كنت خالي البال . تماماً عن فكرة الأممية .
كنت وطنياً أؤمن بمصطفى كامل ومحمد فريد . لم أكن أحب الوفد لأنه
يسعى للمفاوضة والمفاوضة تؤدي إلى التسليم .

ومع مضي الوقت ابتدأت هذه الأفكار تختم في عقلي ، واقتربت من
الاشتراكية أكثر فأكثر عن طريق الأدب .

في شتاء ١٩٢٣ انتقلت إلى جامعة فرايبورج - لا أذكر أن ذلك كان في
شتاء ١٩٢١ . وهناك تعرفت بممثلة قديمة اسمها « فراو هيندا بانداكا »
جملتني أهتم بالأدب ، وكانت تقوم ندوة أدبية تعرفتني بأدب إبسن ومكسيم
جوركي وجيرك هوفمان واناتول فرانس . وهكذا اتجهت إلى الأدب .

وعن طريق القصص الاشتراكية ابتدأت أتمتع بالاشتراكية ، وبعد
ذلك بدأت الاطلاع على النظرية الاشتراكية وساعدني على ذلك أنني درست
في الجامعة كورس اقتصاد ، وكان أستاذ الاقتصاد في جامعة فرايبورج له كتاب
هام اسمه الرأسمالية والاشتراكية والفوضوية .
وقرأت هذا الكتاب .

المهم أنني أصبحت اشتراكياً فكرياً ، لكن لم يكن لي نشاطاً وعندما رجعت
إلى برلين سنة ١٩٢٣ لأكمل دراستي اتهمنتي الفتنسية المصرية بأنني لي علاقة
متطرفة مع ذوى المبادئ الهدامة ، ولم يكن هذا صحيحاً فانا لم أقابل المصريين
كثيراً إلا أنني استمرت عضواً في لجنة الحزب الوطني إلى أن عدت سنة
١٩٢٥ إلى مصر . ومن ١٩٢٥ حتى ١٩٣٠ لم تكن لي علاقة بالحزب .

وعملت كطبيب أطفال وأحسيت بحقيقة الفقر وبشاعته ، كنت أقول
للأم اشتري بواء لطفلك أو غذاء لطفلك وأشير إليها لا تملك قرشاً ، اقتنعت
أنه لا فائدة من الطب ولا فائدة من أي مجهود يبذل إلا إذا تغير المجتمع .

وهنا يمكن أن تكون هناك جدوى من أي عمل وأيركتك أن الواجب الاساسي
 للثلاثين هو العلم لبناء الاشتراكية. ثم بعد ذلك ان يكونوا قادرين على
 ان يفسروا ذلك. عندها ان يصل بين اعضاء الدين حقبتي باصاف. ويرفني ريجيني
 الغرابي، وعرضا على فكرة اصدار جريدة اشتراكية سياسية اسيوية صانف
 ذلك جوي في نفسي وجعلت عنادتي بشارع محمد علي بعد اجرائها براتب
 والبيت موجود حتى الان - ادارا للجريدة، والقيت فيها بكل ما املك من
 نقود، وكذلك حقبتي الغرابي ايام اعضاءه فقدمت اموالهم لخرقة ثم توقف
 كان معنا انا وحقبتي الغرابي الا تعطي لاسماعيل صبحي رخصة قانونية
 لاغلاها كان هدفنا ان تستمر المجلة اطول مدة ممكنة اما اعضاءه فقد كان منظرنا
 وكان رواية ان نهاجم ونستقر اسماعيل صبحي في ذلك الوقت من غير ان
 * * * * *
 وعن طريق المجلة التفت حولنا عدة نقابات وما زلت اذكر بالخير عدا
 من النقبانيين الشيخان مثل شقيد قنديل وغيره. وكان نقابتي مقياس كان
 يحمل الجريدة على كتفه ليوزعها. وشخص آخر اسمه مجاهد لا اذكر
 بقية اسمه.

بأن في ذلك الوقت - من سنة 1918 - كان يوزع الجريدة باليد. وكان ياتيها العمال
 ليوزع الجريدة باليد. لان مذهب الجرائد «الفهوى» كان يأخذ المجلات
 ولا يوزعها بايغاز من البيوليشن السياسي، والحقبة ان هذه الجريدة كانت
 مدرسة.

سحبنا كرتة من الجريدة. ثم اوزعها باليد. وكان ياتيها العمال
 ليوزع الجريدة باليد. لان مذهب الجرائد «الفهوى» كان يأخذ المجلات
 ولا يوزعها بايغاز من البيوليشن السياسي، والحقبة ان هذه الجريدة كانت
 مدرسة.
 * * * * *
 وكان يوزعها باليد. وكان ياتيها العمال ليوزع الجريدة باليد. لان مذهب الجرائد «الفهوى» كان يأخذ المجلات
 ولا يوزعها بايغاز من البيوليشن السياسي، والحقبة ان هذه الجريدة كانت مدرسة.
 * * * * *
 وكان يوزعها باليد. وكان ياتيها العمال ليوزع الجريدة باليد. لان مذهب الجرائد «الفهوى» كان يأخذ المجلات
 ولا يوزعها بايغاز من البيوليشن السياسي، والحقبة ان هذه الجريدة كانت مدرسة.
 * * * * *
 وكان يوزعها باليد. وكان ياتيها العمال ليوزع الجريدة باليد. لان مذهب الجرائد «الفهوى» كان يأخذ المجلات
 ولا يوزعها بايغاز من البيوليشن السياسي، والحقبة ان هذه الجريدة كانت مدرسة.
 * * * * *

س : متى بدأت العمل الحزبي في العراق ؟
 ج : لم تبدأ عملاً حزبياً ، ولما ألقى أسماعيل صدقي المجلة ، كنا في الحقيقة أفلسنا : أنا أفلسيت وحسيني العرابي أفلس ، حتى أنني اضطرت إلى الاقتراض لاسافر للخارج ، وبعد إغلاق المجلة ظل البرليس يطارد حسيني العرابي ويستجوب كل شخص يتابله حتى اضطرت إلى الهجرة من مصر ، وبعد عودتي من العلاج بالخارج لم أجد حسني العرابي ، ولم يكن عندنا تنظيم ، فلم أجد من أتصل به ، وكنت مذليبا ومدينا فتوظفت في شعب القناطر واستمرت في العمل في العيادة - دون نشاط سياسي إلى أن أصدر حسيني العرابي كتاب ٨ سنوات في المنفى وأنا كتبت المقدمة للكتاب معتقدا أن حسيني العرابي هو رجلنا الذي استمر كما كنا معا ، وقد عاد حسني العرابي بواسطة حسن نجات باشا سنة ١٩٣٨ أو ١٩٣٩ لا أذكر *
 س : من كان معه ؟

ج : وبعد عودته رحبنا به وحاولنا إقامة علاقة معه ، وبدنا حركة جديدة لاصدار جرائد مستعملين ترخيص جريدة من الجرائد الخاملة ، لا أذكر اسمها ، وكنا كلما أصدرنا عدة أعداد اغتمت بواسطة السلطات وكانت الخطة تقريبا مثل خطة روح العصر ، وحول هذه الجرائد تكون تنظيم وكان معنا العرابي وضممنا أيضا عبد الفتاح الشرقاوي وعبد المنفى سعيد .

س : عبد المنفى سعيد والشرقاوي كانا يكونان جناحا يمينيا يؤمن بالماركسية دون الذكر المادى والشرقاوي ضم الشيخ سعاد جلال . . واستمر التنظيم في العمل . . وعبد الرحمن فضل اتصل بنا في هذا الوقت . .

س : كيف التقيتم بالحركة الجديدة ح . م . ؟

ج : في البدء استمرنا في العمل في التنظيم المخلخل لسدى لا ينظم دراسات جدية ولا عملا جديا . .

س : هل التنظيم جمع بقايا الحزب القديم ؟

ج : لا . كانت خطتنا البحث عن عناصر جديدة وظل التنظيم مخلخلا حتى عاجمت ألمانيا الاتحاد لسوفييتي وزارني حسني العرابي وطلب مني عقد اجتماع ، يؤكنا في ذلك الحين صدر جريدة (لا أذكر اسمها) وكنا نعلن على صفحات جريدتنا أننا محايدون ، سوى الاجتماع طلب حسيني العرابي مؤازرة ألمانيا ، وقتت له هل نحن اشتراكيون أم نازيون قال إن الإلزام اشتراكيون أيضا ، قلت له أقرأ كتاب كفاحي وأقرأ فيه الهجوم على الاشتراكية ، والحقيقة

* الاسم الحقيقي للكتاب ٨٩ شهرا في المنفى .

اننى دهشت من موقف حسنى العرابى هذا واقترحت تأييد الحلفاء * وتحت
سقف تأييد الحلفاء نويد الاتحاد السوفيتى وجمعا المجموعة وانقسمنا بلديات
حسنى العرابى من المظة والمناطق الجاوزة لها انضموا اليه والقسم الاخر
انا وعبد الفتاح الشرفاوى والآخرين استمروا فى العمل * * (عبد المنى سعيد
كان مترجما)

وذاذت يوم عند عودتى الى منزلى اذا باحمد اسماعيل جالس فى مطعم
يونيون زمعة عسكري انجليزى * وتادلتى * وقصه لى * وكان اسمه سام
باردل * وكان قد تزوج فتاة يهودية اسمها جورجيت على ما اذكر (١) كانت
تعمل فى مكتبة الميدان

وقصه لى كمضو فى الحزب الشيوعى الانجليزى وبعد حديث طويل
سألنى سام لماذا تعملون متفرقين وابلغنى ان هناك مجموعة اخرى وتعرفت
بكورزيل

وانتدانا العمل مع كورزيل فى تنظيم ح م *
وكانت المجموعة التى تعرفت بها باردا فى لندن

فوجدت انهم كانوا يعملون فى ميدان
وكانت المجموعة التى تعرفت بها باردا فى لندن

وكانت المجموعة التى تعرفت بها باردا فى لندن
وكانت المجموعة التى تعرفت بها باردا فى لندن

وكانت المجموعة التى تعرفت بها باردا فى لندن

وكانت المجموعة التى تعرفت بها باردا فى لندن

وكانت المجموعة التى تعرفت بها باردا فى لندن * وكانت تعمل فى مكتبة الميدان التى
استلمتها هنرى كوريل * وكانت هى وسانام * عضوين فى ح م * أما سام باردل
فهو فى الاصل عضو فى الحزب الشيوعى الانجليزى وصل الى مصر جنديا فى
الجيش البريطانى اثناء الحرب العالمية الثانية * وبعد الحرب عاد الى انجلترا
للمعمل فى مكتب المستعمرات بالحزب *
رصدته فى لندن

ملحق رقم ٤
الناقشة الأولى مع عصام الدين حفني ناصف
مؤرخ

أجريت المناقشة بالقاهرة يوم ٣٠/٩/١٩٦٨

س : ما هي معلوماتك عن نشأة الحزب القديم ؟

ج : سنة ١٩١٩ خلال الثورة بدأت فكرة تكوين أحزاب عديدة، ونشأ الحزب الديمقراطي (عزيز ميرهم) وفي الاسكندرية تأسس حزب اشتراكي كان فيه عبد الله عنان وكان حسنى العرابي يتزعم مجموعة وقد اتجهت مجموعة حسنى العرابي لتكوين حزب شيوعي ، وحدث انقسام في الحزب .

وكانت مجموعة حسنى العرابي تميل الى الفورات المتسارعة فمثلا سنة ١٩٢٣ احتل العمال أحد مابريقات الزيت بانبعاث من الشيوعيين ، وكان هذا عملا متسرعاً ، وسعد زغلول أرسل أوطنتين من الجيش واستخدم العنف ضدهم وصدر قانون ضد الشيوعيين أظن ثروت باشا هو الذي أصدره وحكم قادة الحزب وفقا لهذا القانون وحكم عليهم بثلاث سنوات رزيعهم أنطون مارون مات في السجن مضرباً عن الطعام .

وبعد ذلك أصبحت الحركة غير شرعية وكان باستمرار هناك مستجونون شيوعيون وحدثت عدة مزارات ومحاولات لأحياء الحزب والحدى هذه المرات قام بها شخص اسمه العربي ، وهو شخص حكم عليه في قضية محاولة اغتيال كتشنر وحكم عليه بالسجن ١٥ سنة وأفرج عنه عند وصول سعد زغلول للحكم ، وبعد الإفراج عنه انضم الى مجموعة من الشيوعيين كان معظمهم صحفيين وكان العربي يكتب مذكرات تفصيلية ، وقبض عليهم وضبطت هذه المذكرات التفصيلية ، ولست أدري ان كان العربي جاسوسا أم لا ، لكن مذكراته كانت دليل أدانة ضدهم جميعا لكن العربي أفرج عنه * .

حسنى العرابي كان متخرجاً من سنة ثانية ثانوى وكان عنده نقص فهو معقد من المثقفين ، وكان معظم أصحابه من انصاف المثقفين ، مثلاً عندما طلب اليه ارسال ٥ أشخاص الى موسكو أرسل محمد عبد العزيز (كان ممرضاً) وشخصاً من الاسكندرية اسمه يحيى (تاجر بطاطين) . وفي الاتحاد
* ثبت فيما بعد أن طاهر العربي كان عميلاً للأمن .

السوفيتي كان محمد عبد العزيز نموذجاً سيئاً ، وعندما عادوا اتصل مباشرة بالباحث وعمل معها وكان يرسل معلومات للكومنتزن مبالغاً فيها قال لهم مثلا ان الحزب الشيوعي في مصر له ١٠٠٠٠٠ عضو

الكومنتزن ارسل شخصنا يمشاويانا لسنتمه فاقين في عام ١٩٢٧ على ما اظن وعندما وصل قابله محمد عبد العزيز واستولى على نقوده وسنتمه للمباحث

واذكرة انه حدثت محاولة لاعتقال محمد عبد العزيز بان طمعه شخص امام دار الكتب برفقة زوجة و قيل ساعفتها ان الذي حاول اقلته شيوعي وبعد ذلك في سنة ١٩٣٠ كان لي صديق هو عبد الفتاح القاضي وتعرفت بحسنى العرابي ، واجتمعنا نحن الثلاثة لاصدار مجلة

وايا كنت معروفا اني شيوعي ، وكذلك حسنى العرابي ولا يمكن منحنا رخصة للمجلة لهذا طلبت الرخصة باسم عبد الفتاح القاضي

وكان هناك شخص اسمه الهامي كان موظفا في السكة الحديد وفضل ان يكون شيوعي وعمل في المجلة كمدير للادارة

وتامر ضدنا متعدد توزيع الجرائد الفهلوي فكان يحزن الأعداد ولا يوزعها ، واحسنا اننا بنطس وانطسنا عملا وبدلا عن ان نعلق المجلة بايدينا ، اجعنا الحكومة بشدة وعنف فاجتمع مجلس الوزراء واصدر قرارا باغلاق المجلة

وسافر حسنى العرابي الي ألمانيا لأنه افس وفي ألمانيا اعجب بالحركة النازية فكان يكتب لنا مادحا في هذه الحركة ، لكنه كان يعيش هناك في حالة سيئة جدا وكان يعطي دروسا في اللغة العربية

وعندما اوشكت الحرب على القيام ، ادرك الانجليز ان من الخطر بقاء حسنى العرابي في ألمانيا حتى لا يستخدمه النازي بوقا للدعاية للنازية

ومكذا تدخل حسنى كمشاك باعزاز من الانجليز لاعاقته لخطرنا (سفيرهم في مصر) فاجتمعوا في مصر واتخذوا قرارا بترحيلنا من مصر وعندما عاد حسنى وتقابل بمعنى ومع اليكتور القاضي حاول ان يبنضم اليها وتمسك بالمظهر الشيوعي لانه احس ان كل ما له من احترام وكرامة في مصر كان بسبب اضطراره بيشيول شيوعيته

وأصدرنا جريدة أطلقنا عليها «الكناخ» وكانت سياسة «العراي» مائعة يقول مثلا ان الفلاحين مظلومون... لكن لا يقول ما هو النحل لانهاء الظلم أى كلام يمكن ان يستخدمه الشيوعى ويستخيمه النازى

وظل الامر كذلك حتى غزت المانيا اراضى الاتحاد السوفيتى وأنا نوعيت الى د. القاضى بضرورة اعلان الهجوم على المانيا والدفاع عن الاتحاد السوفياتى ، وبعد اجتماع لناقشة الموقف وقال القاضى ان علينا ان نعلن دفاعنا عن الاتحاد السوفياتى فقال حسنى العراي انه يطب ثلاثة ايام مهلة للتفكير . كان يأمل ان تسفر الايام الثلاثة عن نتيجة الحرب ، فلما سمع جورنج يقول ان الجيش الالمانى سيشرق روتسيا كما يشق السكين قالبا من الزيت خيل اليه ان الالمان هم الحصان الرابع ، وعلن رفضه لفكرة الهجوم على الالمان ، وتركنا وانضم الى مجموعة من مؤيدى الالمان وكون تنظيميا بالفعل . . . وكون وزارة ظل ، فى انتظار احتلال النازى لمصر . . . واعدوا رايات وفصلوا تمصانا لونها بنى . . . وعندما انتصر الاتحاد السوفياتى حاول حسنى العراي ان يتصل بنا من جديد فرقمصنا . . .

س : فى الفترة من ١٩٣٠ حتى ١٩٣٨ اتم تشكلوا تنظيميا . . .

ج : لا كان مجرد عملية اصدار مجلات أساسا . . .

وأنا مثلا أصدرت رواية اسمها «عاصفة فوق مصر» سنة ١٩٣٩ عن نضال الفلاحين ، وفى سنة ١٩٣١ أصدرت كتابا اسمه «التجديد الاجتماعى - أبحاث فى شؤون العمال والفلاحين» وفى سنة ١٩٢٦ ترجمت لتولستوى قصة «النور يضى» فى الظلام . . . وفى سنة ١٩٢٣ أصدرت كتاب «مبادئ الاشتراكية» . . .

وترجمت كتاب «حركة العمال والاشتراكية الديمقراطية» وقصد ترجمته عن الالمانية وهو بقلم كامفماير .

وهذه الكتب كانت ذات تاثير لدرجة انهم قبضوا مرة على خلية شيوعية فى المنصورة اتضح انها تقوم أساسا على دراسة هذه الكتب . . .

والحقيقة انه فى فترة الحرب العالمية الثانية الانجليز تهاونوا مع الشيوعية ، وبالتالى سكنت الحكومة المصرية عنا ، فانا مثلا أصدرت عدة كتب منها : «لماذا تعنى الرأسمالية الحرب» وكتاب «الاتحاد السوفياتى» ونشطت مجموعة سلامة موسى وظهر معه جماعة تحيط به مثل رمسيس يونان ، ومصطفى كامل منيب . . . لكن الحركات الجديدة كانت فى الاسناس من أناس جدد . . .

وجعل الناس يفترون اليها على أنها موحى بها من احزاب الاقليات السياسية
 المعادية للوفد ، وظلت هذه النظرة قائمة لفترة طويلة فعانت الحركة الشيوعية
 من جرائمها ، وكان دعايتها يلقون الاضطهاد من الجانب الحكومي والشعبي
 على السواء ، ولم يطلع زعماء تلك المذبذبة على الشعب باي كتاب يشرح
 المذهب الاشتراكي ومما تقدمهم عن ذلك ان اكثرهم كانوا ذوي ثقافة ضحلة
 وعلى العكس من ذلك ، امتازت المرحلة الثالثة (مرحلتنا) بظهور كتب ومجلات
 وشماعات ودراسات اشتراكية وكان من الممكن ان يتضاعف عددها لو انه
 كان هناك حزب منظم ينشر الامر بطريقة جماعية ، ويجب الا ننسى ان
 اخراج الكتب كان امرا بالغ الصعوبة للافتقار الى المراجع وهو النقص الذي
 سببته في ما بعد مكتبة السيدان (عزيزي كوربيل) ، ولان الوعي والطبقي كان
 مفقودا فكيف الموفيق او المترجم يتقبل على العمل والشك يداخله هل تسمح
 به السلطات ام لا ، وهل سيباع ام لا ، يرومن الموكيد انزل ، يربح منته
 مطلقا .

• في الواقع سببنا انه لم نكن نملك في سنة ١٩٥٠ طبعة واحدة لا نملكها

بجانبنا ونحن في السنة ١٩٥٠ لم نكن نملكها في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠

• في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠

شأننا في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠

• في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠

في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠

• في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠

في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠
 في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠ في سنة ١٩٥٠

ملحق رقم ٦
محضر نقاش مع عبد الرحمن فضل (١)
س : متى بدأت العمل الحزبي ؟

ج : بدأ سلامة موسى بحزب اشتراكي على علاقة بحزب العمال
الانجليزي ، كان هناك ثلاثة زعماء ، سلامة موسى وعبد الله عنيان وثالث .
ثم انضم اليهم حسنى العرابي .

س : ما هي معلوماتك عن حسنى العرابي ؟

ج : من عائلة أرستقراطية من تجار القطن فقدت أموالها ، وكان يبحث
عن عمل ، كان مثل البكوات الذين فقدوا أرضهم ويمثلون الارستقراطية التي
اقتضت ، كان لبقاً ومجلسه لطيف ، انضم مع سلامة موسى ، وانضم
معه أنطون مارون (مخامى مختلط) .

س : هل تعرفت بمارون ؟

ج : نعم . . . كان مارون زعيماً حقيقياً كان مشغولاً بنفسه وكان
يعلمنا الماركسية بينما حسنى كانت معلوماته ضئيلة قراء عدة كتب ، لكن

(١) عبد الرحمن فضل - نجار - الفن حوالي ٨٠ سنة (عند اجراء
الناقشة) .

وهو شخصية شهيرة في تاريخ مصر لانه يعد ذهابه الى الاتحاد
السوفييتى موفداً من الحزب الشيوعى المصرى . . صدر قرار باسقاط الجنسية
عنه وعن كل زملائه وعند عودته سنة ١٩٣٦ منع من النزول الى الاراضى
المصرية . . ورفضت السلطات اليونانية السماح له بالنزول الى الاراضى
اليونانية وظل لفترة طويلة على ظهر المركب ، واهتمت الصحف المصرية ببسالته
وأطلقت عليه اسما ما زال معروفا حتى الآن هو ذارع البخارة . . وبعد
أن هرب من السفينة وتسلل الى الاراضى المصرية سمحت له السلطات المصرية
بالبقاء تحت ضغط الرأى العام ، ولكنه لم يستعد جنسيته الا بعد فترة .
وهو شخصية معروفة أيضا لان وضعه اثنائى ، وهو على المركب قد
اتخذ نموذجا كلاسيكيا في دروس القانون الدولى وقانون الجنسية التى
تدرس نطلبة كلية الحقوق وقد أشير الى حالته في أكثر من مؤلف جام منها
المؤلف الشهير فى القانون الدستورى للدكتور سيدى صبرى . بل ان اليكيتور
بييدى صبرى قد ألقى إيمانى محاضرات حول عدم دستورية القرار الذى
أصدرته الحكومة المصرية بجرمائه من الجنسية . .

س : هل تعريف شخصاً اسمه روزنتال ؟
ج : روزنتال كان اشتراكياً قديماً ، ويقى روزنتال مع سلامة موسى لان أحسنى عاجم بشدة الاجانب وخاصة اليهود .

س : أين كان مركز الحزب ؟

ج : في شارع نوبار بالاسكندرية .

س : لماذا ؟

ج : لان الاسكندرية هي العاصمة الحقيقية ومركز الثروة والصناعة والتجمعات العمالية .

س : متى أعلن الحزب الشيوعي ؟

ج : حوالي ٢١ أو ٢٢ ٠٠ لكن أنا فاكراً أننا اشتغلنا بنتين جيدتين واتحاد النقابات كان كله تحت ادارة الحزب الشيوعي ، كنا نهب الاسكندرية . استولوا على الفابريكات ورفعوا الرايات الحمراء ، كانت الاسكندرية في أيدينا تماماً . كان المحافظ يرتعش أمام مارون .

سعد زغلول هو الذى قضى على الحركة .

س : ما هو عدد أعضاء الحزب ؟

ج : ما اذكره حوالي ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ عضو .

وكانت لنا مراكز في كثير من البلاد .

وأود أن أؤكد أن معظم نضالنا كان ضد الاستعمار .

وكان هناك بعض الاجانب يعملون معنا ونستفيد من تهمتهم بالامتيازات الاجنبية ، وأنا شخصياً كنت أعمل مع سائق اسمه جورجى ، وهو بلغارى الجنسية ، وكان يقوم بنقل النشرات والمطبوعات بعد صدور قرار الحكومة بحل الحزب .

س : كيف بدأت الحملة ضد الحزب ؟

ج : في سنة ١٩٢٤ جاء سعد زغلول ، وكانت حركة الاسكندرية قد بدأت واستولينا على ٣ فابريكات (الزيوت في الاول) ، لكن الثلاثة كانوا في الاسكندرية . استمرت العمية ١٥ يوماً ، لدرجة أن ستالين قال لزعما ألمانيا انتم لستم ثوريين اذهبوا وتعلموا من مصر كيف يستولى العمال على الفابريكات ، وأغلق الحزب ، وقدم الأعضاء للمحاكمة .

س : انكم تفضل قبض عليه ؟

ج : قبض على الزعماء صانوا من حبسيتي - مارون - والقبض هرب

س : وانت ماذا فعلت ؟

ج : انا كان مفروضاً ان اسافر الى الاتحاد السوفياتي ومعى رسائل عامة ، وكان مفروضاً ان ينتظروني شخصي في تركيا وكانت هناك علامات معينة متفق عليها حتى اعرفه ولم اجد الشخص ، لان الحزب التركي كان قد ضرب في ذلك الوقت ، لكني قابلت شابا ثريا ابن اميرة تركية سابقة هذه تهرب بعض السجائر ، وقد انزلني على نفقته في فندق اسمه الاسكندرية ولما لم يحضر الرفيق التركي الذي اتمنى على مقابتي قررت البحث عنه وساعدني بعض المصريين الذين تعرفت بهم في قهوة خاصة بالمصريين واخيرا عثرت على منزله وكان مزاجه شدة من البوليس التركي ، وتحدث الشاب شديدة تعجوزا فالتفت الى الاسم الذي اسأل عنه اعز موجود ، فاعطيتا صورتني وبطاقة باسمي وعنوان اللوكاندة وانتظرت في اللوكاندة اربعة ايام وفي اليوم الرابع حضر الرفيق وظل يقبلني ربيع ساعة ، قال انه قبل حضوري بثلاثة ايام قبض على كوادر الحزب التركي وانه هارب ، وطلب الى العودة لكنني رفضت العودة ، واعطاني نفودا ٦٠٠ واتيحت في تركيا ٤٠ يوما تحاولا البحث عن طريقة للسفر للاتحاد السوفياتي والامير لم يحضر المسافر اجرة اللوكاندة ونفذ ما معى من نفودا ، فقربت ان اعمل شيالا في البناء حتى امرب على احد المراكب الروسية ليست برخيطة ونزلت في القارب متجها الى الركب السوفياتي وكنا قد اتصنا بقائد السفينة من قبل ورغض متاعدي وفوجيء قائد الركب بي على السلم ولم يستطع طردي وبعد شهرين وصلت حبسيتي من تركيا مقيد بمدد الرضاك الاتراك اجر اللوكاندة وتسلموا حبسيتي وارسلوها لي ، انا اقول لك هذه التفاصيل عشان تعرف قد انه كان هناك حب اكثر من الاخوة بين رفاق الاممية .

س : عندما وصلت الى موسكو من كان هناك من المصريين ؟

ج : كان هناك خاشن اسمه عبد العزيز ويحبي (مغربي الاصل) ، لكنه ارسل من مصر وكان هناك آخرون من سوريا ولبنان والجزائر ومن فلسطين يهود وعرب (لكن الاغلبية يهود) . وعندما كنت هناك وصل اثنان اوثانثة من المصريين مخفد دويدار (عامل في السكة الحديد عطشجي) وشخص اسمه عبد العزيز مرغى (متزاد لكنه عشق في دراسته) وحمدى سلام واخذنا

في الدراسة لنا كنت أدرس هندسة أنواع الخشب والاقتصاد السياسي ، وأحمدى
سلام درس الطب (1) .

س : ماذا عن المسجونين ؟

ج : ما زون مات في السجن - بعد اضراب عن الطعام ، ولبقي أنهى
الاضراب عن الطعام واستمر مارون مَضْرِباً أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْماً وَمَاتَ

س : أين تركز نشاط الحزب ؟

ج : في الارياف كانت الحركة أحسن من الإسكندرية ، وكانت تتخذ
إيساسياً شكل اتحاد النقابات العمالية ، واستمر هذا الشكل بعد حل الحزب ،
لكن الاجانب لعبوا دوراً رئيسياً وأضروا بالحزب والعمل الحزبي .

لقد أكد ثينين أكثر من مرة على أهمية تعريب الاحزاب الشيوعية في البلاد
العربية بينما كانت هناك عناصر أجنبية تصمم على السيطرة على الاحزاب
العربية كان هناك روزنتال ، وابنة روزنتال ، وأصدقاء روزنتال وحتى الكومنترن
عندما أرسل مندوباً الى مصر أرسل أنيجدور ، وهو زوج ابنة روزنتال . وكان
هناك شخص يهودى عربى في الكومنترن مسئول عن الشرق الاوسط كله
اسمه (أبو زيام) وكان خطيراً جداً .

كان لا يزيد أن يتولى أى عربى منصباً قيادياً في احزاب الشرق الاوسط ،
كان يساعده عدد من اليهود في الكومنترن وكان شخصاً لبقاً ، كان ينفذ
الأغراض الصهيونية وكلما كنا ننادى (أرابيز اتسيا) أى التعريب يهاجمنا
بشدة ، بل انهم عملوا لنا نقداً لاتنا رفعنا شعار أرابيز اتسيا وأنا شخصياً
حوكمت أمام هيئة الكومنترن ، أبو زيام قال في المحاكمة ان العرب لا يصحون
لانهم متخلفون واستقدم شخصاً ابله اسمه ابراهيم كان قد أحضره أبو زيام
معه من الشام وسلمه خطاباً إمامهم ، وقال له ارم هذا الخطاب في الصندوق
فرمناه في صندوق الزبالة فقلت ان أبو زيام هو الذى اختار هذا الشخص ،
وهذا يوضح خطر أبو زيام ، وعلى أية حال أوقفت المحاكمة ، لكن بعد ذلك

(1) حمدى سلام كان موزع بريد ودرس لطب في الاتحاد السوفييتى
وتخرج طبيباً ، ونצל الإقامة في الاتحاد السوفييتى حتى وفاته .

حدث تطهير في الكومنترن بوايمد : ٧٠ شخصاً صهيونياً ، وهذا يؤكد محتاجة
مخاوننا (١) .

س : ماذا فعلت في الاتحاد السوفياتي ؟

ج : احكيت بالرعاة ، تعلمت ، درست .

عندما غادرت موسكو قال لي ميشول وهو (أرمني) نحن لا نريد
ملاييناً وانما نريد اناساً يوظفون الشعب .
س : كيف عدت ؟

ج : الباسبور كان معي ، لكنه كان يستخدم خلال وجودي في موسكو
لسفر أشخاص آخرين ، ملئ بالفيزات لب العالم كله . مزقت الباسبور
وقلت في الاسكندرية ان الباسبور فقد ، ولما سألوني عن اسمي قالوا اني
مفتوح من الدخول لان قراوا خبر باستعاقب الجنسية على واستمرت المسألة
١١ شهراً ، (لنجد ائمة الأهرام) انارت قضيتي وكذلك البلاغ والمظلم . واخيرا
المصري كتب ، وانا كنت استفيد من ذلك كله في اثارة القضية ككل وفي احداث
أكبر ، اصبحت ممكنة ، وابتعرت السبئية تذهب التي بيرييه ثم تعودتني الى
الاسكندرية فمضت بزولي طوال الفترة من منتصف ١٩٢٦ حتى ١٩٢٧ . وكانت
معظم الصحف تتحدث عن القضية .
رأيت اني اصبحت الفرصة . لاثارة قضية الشيوعية من جديد ، واثارة عطفا
الناس . لدرجة ان بعض الرأسماليين بدأوا يظفوا على ، و كانت الركب تسير
في خط بيريه الاسكندرية بانتظام . وكان ينامر - على بناء كثير ، عن المزيين
و كنت اتصل بهم جميعا فاتصلت مثلا بالدكتور فتاوى رئيس المجلس البلدى
في اسكندرية ، وكان شخصية كبيرة ، قابلي على المركب جو وزوجته -
زوجته بكت عندما سميت القضية . وعندما عاد اتصل بأحد اصدقائي وهو
عبد الوهاب انوكيل مراسل المظلم في الاسكندرية وطلب منه اثارة قضيتي
وبدا المظلم يهتم بهشكتي واسماني ذارع البحار .
وعلى المركب اضريت عن الطعام ، وزارني الطبيب ، وقال انني سأموت
بعد ست ساعات .
نشرت المظلم مقالا بعنوان - الكلمة - الاخيرة ، لذارع البحار ، وشخص
الحزب الشيوعي - اليوناني واكتشفت ان قبطان السفينة رقيب هو وعقد عن
البحارة ، وكانوا يكتمون لي باستقرار - الجواميس الذين ترسلهم الحكومة
المصرية لمراقبتى على السفينة .

(١) لا بد انك يشير الى حظة التطهير التي قام بها شيكالي بييه .

وأخيراً اتفقت معهم على تهريبى من البحر بعد أن يتركنى الحراس
المصريون حتى لا يضار أحدهم ، وكان النظام المتبع أن يصعد الى المركب
نور وصوله الى الاسكندرية حراس يلازمونى طوال فترة بقاء المركب في
الميناء ، وكان هناك لنش حراسة يدور حول المركب باستمرار وعندما تتحرك
المركب يتسلم الحراس ايصالاً من القبطان بأننى موجود على ظهر المركب
ويستمر لنش الحراسة في تعقب المركب حتى تخرج من المياه الإقليمية ،
وكنيت قد رتببت الأمر مع القبطان واتفقت على ترك المركب وترتبت لنشاً خارج
الميناء الإقليمية ليعود بى الى الاسكندرية وكنيت أعلم أنه بمجرد ملامسى
لأرض الاسكندرية فإن أية قوة لن تستطيع ابعادى عنها والحقيقة أن الحراس
كانوا يعطون على ، وفي ليلة الهروب أحس شاوليش الحراسة اننى مرتبك
فسألنى وهو يغادر المركب « أنت ناوى » فقلت له نعم فقال لى : اتجه
يميناً ، فنى الاتجاه الآخر توجد حراسة على الشاطئ ، وبعد أن اتعدت
السفينة عن المياه الإقليمية اتفقت بنفسى الى الماء وكان الراجح انى جداً
والبحر هائجاً والظلام حالكياً وبعد أربعين دقيقة في الماء عشر على اللش
وعادتنى الى الوطن وخرجت من باب سراى رأسى القين وفي نفس الليلة تحدثت
تليفونياً مع عباس المنفى مدير مكتب الاعزام بالاسكندرية وزارنى في مخبئى
وكلمت ايقظت أيضاً .

س : هل صدر قرار من الكونغرس بحل الحزب في سنة ١٩٣٠ ؟

ج : لا اعتقد ، وإنما صدر قرار بفصل محمد عبد الميزيز وكان
جانسونياً فعلاً .

س : الى متى استمر نشاط خلايا الحزب الشيوعى ؟

ج : كان النشاط مستمرا حتى سنة ١٩٤٠ أو ١٩٤١ ، وكل مرة كانت
الحكومة تعلن أنها قبضت على آخر خلية ثم تظهر خلايا جديدة .

س : عند عودتك سنة ١٩٣٧ هل وجدت حزبا متماسكا ؟

ج : وجدت مجموعة معقولة من الناس كوشين وقالوا ان هناك مجموعات
أخرى وطلبوا منى التوسط لتوحيد هذه المجموعات .
س : كيف اتصلت بهذه المجموعة ؟

ج : عن طريق د . عبد الفتاح القاضى .

شهادة روزنتال أمام النائب العام

في ٥ مارس ١٩٢٤ استدعى النائب العام الشريف علي التحقيق مع أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصري القبول عليهم المسيو روزنتال لسؤاليه والاستماع إلى شهادته

وقد نشر الإهرام هذا التحقيق ماثلاً ، وأنه عبارة عن بيان تاريخي خطر لنشأة حركة العمال وتطورها في مصر منذ ٢٥ سنة فلا يخفى أن هذا الرجل هو بمثابة تاريخ حي لتنهضة العمال في هذه البلاد ، وهو الذي أيقظ الثغثان بين العمال بقوة النقابات .

وعندما دخل المسيو روزنتال إلى قاعة التحقيق سيال معالي النائب العمومي عن سبب استدعائه إلى النيابة ، وهل هناك تهمة خاصة موجهة إليه فقال له النائب العام أنه إنما استدعاه ليمثله أن يروي له ما يعرفه عن نشأة الحزب الاشتراكي المصري بصفة عامة . فظهر المسيو روزنتال تمام استعداد له لاجابة هذا الطلب وطق يسرد تفاصيل المسئلة فقال

اني منذ حدثتني أميل إلى المبادئ الاشتراكية واحن إليها وقد كان أعظم الأمل عندي أن أرى حالة العمال تتحسن بقوة التربية والنظام . ولما وفدت إلى مصر منذ ٢٥ سنة جعلت أسعى لتأليف النقابات . وأول نقابة اشتركت في تأليفها كانت نقابة عمال السجاير ، وبعد ذلك اشتركت في تأسيس بضع نقابات أخرى للخياطين وعمال المعادن وعمال الطابع ، وكانت تلك النقابات كلها تقريبا للعمال الاجانب لان العمال الوطنيين كانوا في ذلك الوقت أقلية في جميع الحرف ودوائر العمل بالنسبة إلى زملائهم الاجانب .

ولكن الوطنيين أخذوا بالنهوض منذ ذلك الحين وتعلموا كثيرا من الحرف الفنية فكثر العمال الذين منهم ، وما زالت الأحوال تسير سيرها التدريجي حتى جاءت الحرب العظمى واضطرت العمال الأجانب التي مغادرة مصر لصالح العمال الوطنيين أغلبية كبرى في الدوائر العاملة ، وهذا النمو ساعدهم على تأسيس النقابات التي كانت منبهره لأغراض سياسية مختلفة تتبع الأحزاب الفاعضة بالقضية الوطنية في البلاد كالوعد بالحزب الوطني وغيرهما ولم اشترك اشتراكا فعليا بإدارة هذه النقابات وكان من رأي أن ننشئ للطبقة العاملة مراكز للدفاع الاقتصادي والتربية الفكرية ولهذا الغاية نشرت في غضون ١٩٢٢ ندوة التي للنقابات العاملة فدعوا إلى تأسيس اتحاد يضم شملها جميعا فتلقت هذا النداء بالقبول بالاجماع وأرسلت إلى الاسكندرية مندوبين من قبلها يمثلون ٣٥ ألفا من

بالعمال للاشتراك في البحث في المشروع غير أن رؤساء النقابات المتشبعين بالفكرة السياسية شعروا اذ ذاك بان انشاء النقابات الحقيقية بطريقة تراعى فيها حالة العمال يؤدي الى نزع كل ما لهم من سلطة عليها ويحول دون الوصول الى اغراضهم السياسية فسبعوا سعيًا جديًا لحمل نقاباتهم المتناثر اليها على عدم الاشتراك بالاتحاد وظلوا يماطلون في التدابير الاولية سنة كاملة وفي بدء عام ١٩٢١ تمكنا من تأسيس اتحاد النقابات بعدد محدود لا يتجاوز ثلاثة آلاف من العمال

ولما كنا نرى أن النقابات لا تستطيع أن تتدخل تدخلًا فعليًا في الأمور السياسية لكونها مؤلفة من عمال مختلفين وذوي نزعات سياسية متضاربة فكرنا في تأسيس حزب سياسي يكون بمثابة لسان حال النقابات العمال ويكون في استطاعته أن يدافع عن مصالحهم في المجلس النيابي وغيره ويسعى لحمل الحكومة على اصدار قانون لحماية العمال المزدوركين تحت رحمة الرأسمالية وذاك هو

وعملنا بهذه الفكرة انشأنا الحزب الاشتراكي

س : كيف تأسس الحزب الاشتراكي ومن هم الأشخاص الذين اشتركوا في تأسيسه ؟

ج : اتفق في ذلك الوقت ان تمت بحملة على الحكومة بقصد حملها على اصدار قانون يحدد اجور المنازل ووافق السعي هوى في نفس الجمهور فهبت الصحف تساعدني في هذه المسألة ونشرت اسمي مرارًا في بعض مقالات تتعلق بالشئون المحيية فرأيت من بعض الوطنيين عطفًا على الاشتراكية وكان من هؤلاء العاطفين حسنى أفندى العرابي والدكتور علي العناني أفندى وسلامة أفندى موسى والاستاذ عبد الله عسّان ، فاتفقت معهم على العمل وقررنا تأسيس الحزب الاشتراكي المصري كما تقدم ، وقد كتبوا لهذا الغرض منشورًا يحتوي على مبادئ الحزب موقعا عليه منهم ولم اشترك في التوقيع عليه لاني كنت اعتبر ان ظهور اسمي الاجنبي بالرغم من كوني بمصر الجنسية يمكن ان يعد بمثابة تدخل من اجنبي في مسألة

مصرية . . .
وقد جعلنا مركز الحزب في العاصمة وظللت عضوا في اللجنة الادارية وانشأنا بعض فروع للحزب في الأقاليم ثم تبين لي ان لجنة العاصمة لم تظهر اخلاصًا كافيًا لغاية مهمة كهذه في حين كان فرع الاسكندرية بالرغم من قلة عدد اعضائه يظهر كفاءة تفوق كفاءة المركز الاداري ، وقد طلب اعضاء الفروع جعل الاسكندرية مقرا للحزب وبالفعل تم هذا التغيير ؛ ويعني موافقة اعضاء الفروع على ذلك في اجتماع خاص عقد لهذا الغرض ، فاستجاب

أعضاء لجنة القاهرة من هذا النقل وطلقوا يحملون على ويظنون في شخصي .

وبعد انقضاء بضعة شهور من ذلك التاريخ تقرر عقد المؤتمر الشيوعي الرابع في موسكو ، فأرسل الحزب مندوبا يمثلته فيه ، وكان هذا المندوب المذنب خسنى العرابي .

ولما عاد حسنى أفندى من روسيا أبغنا أن اللجنة المركزية الدولية الشيوعية الثالثة اشترطت لقبول حزبنا كمنوع للدولية الثالثة ثلاثة شروط

- أولاً : فصلى من الحزب
- ثانياً : تغيير اسم الحزب من اشتراكي الى شيوعي
- ثالثاً : اعداد برنامج للفلاحين

وعلى اثر ذلك نشرت اللجنة في الصحف خبر فصلى من الحزب وبعد أيام اجتمع عدد محدود من الأعضاء عدتهم اللجنة مؤتمراً ووافقوا على قراراتها التنفيذية .

س : ما هي الاسباب التي اعتبروها كإهانة لفصلك من الحزب ؟
ج : انى لا أعرف اسباباً معينة ، ولكن مما تشروه في الصحف أن المسبب كان ما زعموه من كونى غير شيوعي وانى انتقم من الشيوعية أكثر مما أعيدتها . وقد كتبت اذاً ذلك الى المركز الرئيسى في موسكو طالباً ايضاحاً عما اذ كان قد طلب فصلى حقيقة وعن المسبب في ذلك فلم أتلج جواباً حتى الان .

س : ما هو الفرق بين الاشتراكية والشيوعية ؟
ج : الاشتراكية والشيوعية نشأتان من مصدر واحد بمعنى أن مبادئهما الأساسية متشابهة باعتبار أن كلا منهما يعمل لابطال الملكية الشخصية وتجديد النظام على قاعدة الملكية الاجتماعية والحزب الاشتراكي ينقسم الى قسمين أحدهما يعمل لتغيير الحالة بقوة الإصلاح والاخر يسعى للتغيير بالعمل الثورى

أما الحزب الشيوعي فانه يختلف عن الحزب الاشتراكي الثورى من حيث تقدير ملامة الزمن للثورة الاجتماعية ، ذلك أن الاشتراكيين يرون أن الطبقة العاملة غير ناضجة لتولى أزمة الحكم وادخال الاشتراكية على الانظمة الخالفة ، فهم يتبعون طريقة التعاون بين الطبقات العاملة والمتوسطة الحرة للوصول الى غرضهم في حين أن الشيوعيين يرون أن الحرب العالمية الاخيرة عجلت الرأسمالية بضربة قاضية وأظهرت أن الفرصة سانحة للقيام بعمل حاسم وعملاً بهذه الفكرة قام الحزب الشيوعي الروسى بثورته ، وهو يؤمل في وصول البلدان الصناعية في أوروبا الى الثورة الاجتماعية العالمية عاجلاً أو آجلاً .

س : هل أنت توافق على البرنامج الاخير للحزب الشيوعي المصري ؟
ج : لا استطيع ان ابدى رأيا في برنامج لم أشتريه في وضعه .
س : الا تعد حركة احتلال المصانع كبدء لتنفيذ الفكرة الشيوعية ؟
ج : يلوح لي ان الحكومة تخلط بين الاضراب مع البناء في محل العمل
ويبين نزاع الملكية لان العمال ان احتلوا المصنع لا يطلبون الاستيلاء عليه ، وهم
يقال بدون سلاح امام اصحاب العمل الاقوياء الذين يستطيعون تجويمهم
وارغامهم على قبول شروط قاسية ، فاذا اتفق ان العمال وقفوا في اماكنهم
داخل المصنع فلانهم رأوا ذلك افضل طريقة لتتمجيل بحل المشكل والوصول
الى اتفاق بينهم وبين اصحاب العمل ؟

س : هل أنت توافق على عمل كهذا ؟
ج : لاجل الاجابة على هذا السؤال بالسلب او بالاجاب يجب ان
اكون مطلعا على الظروف والاحوال التي تم فيها هذا العمل .
س : ما رأيك مبدئيا في ذلك ؟
ج : لا شك في ان عملا فرديا محدودا كهذا يعتبر غير جائز مبدئيا
فانا ارى ان الفرد ايا كان لا يجوز له ان يكون حكما اجتماعيا والمجموع هو
صاحب الحق في تغيير النظام ، سواء كان ذلك بالطرق المشروعة او بغيرها
اذا هو اضطر الى غير ذلك .

س : هل ترى ان الاحزاب هو المعرض على الاضراب ؟
ج : ان العمال المصريين محرومون من كل وسيلة للدفاع عن مصالحهم
فهم على استعداد بطبيعة الحال لطلب المساعدة من كل من يظهر عطفه
عليهم .

س : هل تعرف البنود الواحد والعشرين وما بعدها الى تشتملها المبادئ
الشيوعية وما رأيك فيها ؟
ج : اعرضها جميعا ولو كنت احد واضعها ربما كنت لا اوافق على
مجموعها ، ولكني ارى ان التفسير الحرفي لكل بند لا يؤدي الى المنى
المقصود ، ومعاني المبادئ والشرائع جميعا لا تظهر الا عند التطبيق .
ولا اظن ان اللجنة المركزية الدولية ترى ان مصر قابلة للتغيير حتى تدفع
الفرع المصري الى تنفيذ الفكرة الثورية .

ويلوح لي ان البعض يستعمل كلمة ثورة كشبح مخيف ، مع ان هذه
التكلمة تستعمل في جميع العلوم والتواريخ لاغراض علمية وتاريخية ، على
كل حال فان الطريق المتبعة للشيوعية تختلف باختلاف البلدان والجلسات
الاقتصادية والنفسية في كل بلد بالرغم من كون المبدأ واحدا للجميع .
انتهى التحقيق .

الاصرام - ١٩٢٤/٣/٧

بيان من روزنتال ردا على بعض التطبيقات

على شهادته امام النائب العام

وردت في بعض الصحف ملاحظات وتطبيقات تتطرق بتصريحاتي التي فُهِتَ بها امام معاني النائب العمومي عن الحركة الشيوعية في مصر ، وتمتد رأيت ان ذلك يستدعي بعض التصحيح .

اولا : اني لم اكن قط رئيسا للحزب الاشتراكي المصري ، ولكني اشتركت في تاسيسه وكنت احد اعضاء لجنته التنفيذية .

ثانيا : ان الحزب الاشتراكي المصري لم يتحول في الحقيقة الى حزب شيوعي لانه كان منذ تاسيسه حزبا شيوعيا يتسمى بالاسم الاشتراكي ، وقد اعترف بمبادئ الشيوعية وتعاليمها ووافق على خطط الدولية الشيوعية اما تغيير الاسم فقد تم وفقا لطلب اللجنة المركزية للشيوعية الدولية . وكان ذلك شرطا لقبول الحزب في هذه الدولية .

ثالثا : اذا كان لا علاقة لي بالحزب الشيوعي الحالي فذلك ليس ناتجا من تلاشي الحزب الاشتراكي المصري (الذي لم يتلاشى غير اسمه) ولكني ارغمت على ذلك على اثر وشايات ومطاعن وجهها الى بعض المتطرفين على السياسة من الذين دخلوا الحزب وتوصلوا الى فصلى منه فتنجحت حتى لا اوجد انفسنا في وحدة الحزب ولا اظهر كاني اعمل ضد حركة اجتماعية اشاطرها مبادئها .

رابعا : ما كنت ولن اكون ابدا من اولئك الاعضاء ذوى النفوذ (يقصد سلامة موسى والعناني) الذين ينكرون اليوم بمساجحة ما عبدهوا بالأمس فمت كنت ولا زلت ولا ازال حتى آخر نسمة من حياتي شيوعيا كاملا ومخلصا اخلاصا تاما لقضية البروليتاريا .

خامسا : بالرغم مما اظهرته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصري عن قلة الخبرة وما ارتكبته من الاغلاط فاننا اتضامن معها تضامنا تاما واطالب بتصويب من المسئولية .

الاهرام - ١٢/٣/١٩٢٤

٥٠

١- **SAMUEL KARSONN**

يهودي روسي مقيم في القاهرة منذ سنة ١٩٢٥م. يعمل في شركة التجارة العامة في القاهرة. له علاقات مع الشيوعيين الأجانب في مصر. له علاقات مع **ABRAHAM KATZ**.

ABRAHAM KATZ

يهودي روسي مقيم في القاهرة منذ سنة ١٩٢٥م. يعمل في شركة التجارة العامة في القاهرة. له علاقات مع الشيوعيين الأجانب في مصر. له علاقات مع **HEHAL (or HAIL) SANDBERG**.

HEHAL (or HAIL) SANDBERG

يهودي بولندي مقيم في القاهرة منذ سنة ١٩٢٥م. يعمل في شركة التجارة العامة في القاهرة. له علاقات مع الشيوعيين الأجانب في مصر. له علاقات مع **GREGORY SHKLENDER**.

GREGORY SHKLENDER

يهودي روسي مقيم في القاهرة منذ سنة ١٩٢٥م. يعمل في شركة التجارة العامة في القاهرة. له علاقات مع الشيوعيين الأجانب في مصر. له علاقات مع **MOISE WILBUSHEVITZ**.

MOISE WILBUSHEVITZ

يهودي روسي مقيم في القاهرة منذ سنة ١٩٢٥م. يعمل في شركة التجارة العامة في القاهرة. له علاقات مع الشيوعيين الأجانب في مصر. له علاقات مع **SAMUEL ZASLAVSKY**.

SAMUEL ZASLAVSKY

يهودي روسي مقيم في القاهرة منذ سنة ١٩٢٥م. يعمل في شركة التجارة العامة في القاهرة. له علاقات مع الشيوعيين الأجانب في مصر. له علاقات مع **JOSEPH ROSENTHAL**.

JOSEPH ROSENTHAL

يهودي يهودي مقيم في القاهرة منذ سنة ١٩٢٥م. يعمل في شركة التجارة العامة في القاهرة. له علاقات مع الشيوعيين الأجانب في مصر. له علاقات مع **SAKELLARIS VANNAKAKIS**.

SAKELLARIS VANNAKAKIS

يهودي يوناني مقيم في القاهرة منذ سنة ١٩٢٥م. يعمل في شركة التجارة العامة في القاهرة. له علاقات مع الشيوعيين الأجانب في مصر. له علاقات مع **ALBERT FREUNDLICH**.

ALBERT FREUNDLICH

يهودي نمساوي مقيم في القاهرة منذ سنة ١٩٢٥م. يعمل في شركة التجارة العامة في القاهرة. له علاقات مع الشيوعيين الأجانب في مصر. له علاقات مع **Technical Supply Co. New York**.

Technical Supply Co. New York

مدير المخابرات العامة

Handwritten signature and stamp

١٥١٥٨

تقسيم اتهم
مظلم من النيابة العمومية لغرضه قاضي الاحالة بمحكمة اسكندرية الاهلية
في قضية الجنابة رقم ٢٩٢ محرم بك سنة ١٩٢٤

تتبع النيابة العمومية

- (١) محمود حسنى المرادى . عمره ٣٠ سنة تاجسرو ومقيم بالابراهيمه ومحموس بسجين كوم الذكك
- (٢) انطون مارون " ٣٩ " معامى مختلفون مقيم بالبرمل
- (٣) سفوان ابوالفتح " ٢٨ " مدرس " بوالنحو
- (٤) الشحات ابراهيم " ٢٢ " كاتب " باسكندرية
- (٥) عبد الحميد احمد نزه " ٣٢ " " بمحلة ابرعلى
- (٦) مسعود ابراهيم السكرى " ٣٠ " سكرى " بالبلقضية
- (٧) ابرام كانس غير معلوم له محل اقامة بالدولة المصرية الآن
- (٨) هليل زانجج " " " " " "
- (٩) نصمان حافظ " ١٩ " مساعد لبريسى " بالزقازيق
- (١٠) محمد الصنبر " ٤٥ " " " " " " " " " " " "
- (١١) عبد العفيف عوض " ٢٧ " مدرس " بطنطا

بأتهم اولاً - في الةة من ٢٥ يناير سنة ١٩٢٣ الموافق ٨ جماد ثانى سنة ١٣٤١ و٢ مارس سنة ١٩٢٤ الموافق ٢٦ رجب سنة ١٣٤٢ بمدينة الاسكندرية

اتفقوا اتفاقاً جنائياً بان اتحدوا مع آخرين غيرهم على ارتكاب الجنایات والجنح وعلى الاعمال المبهزة والمسهلة لارتكابها الا وهى جنایات القتل المبد ونشر الافكار الثورية الضالمة لمبادئ الدستور المصرى الاساسية وتعميد تشهير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب ووسائل اخرى غير مشروعة المنطبقة على العواد ١٩٤ و١٩٨ و١٥١ فقرتهاً من وثائقه من قانون العقوبات وسمح انتهاك حرمة تلك النمر والشرب والجرح والسمى علناً في تكدير السلم الموحى بشخص طائفة العمال وشار الفلاحين على بعض طائفة اصحاب الممل والملاك والتحميش علناً على عدم الانقياد للقوانين وتحشيش العمال على استعمال الوسائل النمر المشروعة في الاعداء على حق اصحاب الاعمال في الممل ولى استخدام وعدم استخدام العمال المنطبقة على العواد من ٢٢٢ الى ٢٢٧ ومن ٢٠٥ الى ٢٠٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥٢ و ١٥٤ و ٢٢٧ (٢) من قانون العقوبات وقد حرضوا على الاتفاق الجنائى المذكور واداروا جميعهم حركه

ثانياً - في الةة من شهر اكتوبر سنة ١٩٢٢ الموافق ربح اول سنة ١٣٤١ و٢ مارس سنة ١٩٢٤ - الموافق ٢٦ رجب سنة ١٣٤٢ - بمدينة الاسكندرية.

اشتركوا في اتفاق جنائى القرضه ارتكاب جريمة تأليف عصابة من العمال وشار الفلاحين لمهاجمة طائفة من السكان وهى طبة اصحاب الاعمال والملاك وهذه هى الجنابة المنطبقة على المادة ٨٠ من قانون العقوبات وقد حرضوا على الاتفاق المذكور وتد اخلوا في ادارة حركه ثالثاً - في الزمان والمكان المذكورين اتفاقاً

حكم محكمة جنابات الاسكندرية في قضية الشيوعية

فيما يلي حكم محكمة جنابات الاسكندرية في ٦ اكتوبر الماضى في قضية الشيوعية الكبرى . وهو بعد الديباجة :

وحيث أنه تبين للمحكمة وثبت لديها من التحقيقات التى حصلت و هذه القضية وشهادة الذين سمعتمهم بالجلسة ومن الاطلاع على الاوراق والكتب المضبوطة عند المتهمين وفي نقابة اتحاد العمال ان المتهمين اعتنقوا المذهب الشيوعى الذى نجت بذوره في روسيا وسرت عذوه الى كثير من بلاد العالم ، واساس هذا المذهب الثورة على الحكومة وعلى اصحاب رؤوس الاموال وقلب النظام الاجتماعى بالقوة والعمل نحو القروق بين طبقات الناس وجعل للسيادة للعمال . كما يستفاد ذلك صريحا من الكتب التى للمها زعماءه التقدم بعضها في هذه القضية ، مثل مفكرات لينين وكتاب بوخارين وكتاب قانون واوضاع روسيا الشيوعية للدكتور . نيدينا باق . وغيرها ومن الواحد والعشرين شرطا التى اقراها مؤتمر الدولية الثالثة في روسيا واذا دعا في النزوع التابعة له للعمل على مقتضاها وان المتهمين لم يكتفوا باعتناق هذا المذهب الضار المبني على الاوهام والخيالات ، وانما الفوا له شعبا في كثير من الجهات ، مثل مصر وخطا وبورسعيد والزقازيق والمطلة الكبرى وشبين الكوم وغيرها ، وكانوا يوزعون شروط الدولية الثالثة السابق ذكرها مطبوعة بين افراد الشعب التى كانت مكلفة ببث الدعوة الى هذا المذهب بين طبقات العمال وسموا الى جمع نقابات العمل والقائيف بينها واسسوا لها محلا سموه اتحاد نقابات العمال جعلوا مركزه بمدينة الاسكندرية وعلقوا على جدرانها صور زعماء الثورة الروسية ووضعت لكل شعبة لائحة تجرى عليها في تنظيم عملها ، واتخذت بعض الدفاتر لتسجيل اعمالها وقراراتها ومحاضر جلساتها وسمى المتهمون خصوصا اولهم ، محمود حسنى العرابى ، في ايجاد صلة بين هذا الحزب وبين المركز الرئيسى للشيوعية في موسكو . وسافروا الى روسيا وطالب بالانضمام الى الدولية الثالثة فقبل طلبه بشرطين . احدهما عزل المسيو روزنتال الذى كان عضوا في الحزب من قبل لما كان مسمى بالحزب الاشتراكي وثانيهما تغيير هذا الاسم باسم الحزب الشيوعى ، وكان يذهب الى المانيا للاجتماع بالشيوعيين هناك وبث الدعوة لمساندة عمال الرور فيها ، ولما عاد من روسيا نشط في بث الدعوة الشيوعية واخذ يحسن

للناس ارسال اولادهم الى روسيا بحجة تعلم العلوم والصنائع والمبادئ الشيوعية مجانا فانخدع بدعوته بعضهم ، وسافر اربعة من شبان مصر ليتصلموا في هذا المذهب ويعودوا الى بلادهم فيكونوا اعموانا للدولية الثالثة في نشر مبادئها الثورية وكان الحزب الشيوعي المركزي في روسيا يمد هذا الحزب ببعض رجاله وامواله لتقوية الدعوة . كما تفيد اقوال بعض المتهمين في التحقيقات والمكتوب الفرنسي العبارة الذي افضاه محمود حسنى انجراي المتهم الاول باسم اللجنة التنفيذية للدولية الشيوعية الذي ضبط قبل ارساله وقدم للنيابة بتاريخ اول مارس ١٩٢٤ والذي بين فيه اعمال الحزب وجهوده وسوء حالته من الوجهة المالية وطلب مده بالمال والرفقاء فقال صريحا ما ترجمته : ايها الرفقاء ، والقادة وحراس الثورة العالمية انكم تعلمون العمل الذي ستتوم به مصر في هذه الثورة وتعلمون للحياة النفسية للشرقيين ، وقد بينا لكم حالة الحزب في مكثوباتنا السابقة كما وصفناها في هذا المكتوب فاعينوه وارسلوا اليه المال والرفقاء الاكفاء فبتلك تؤدون خدمة كبرى الى الثورة العالمية .

وحيث انه قد بلغ من تعلق المتهمين بالمذهب الشيوعي واشراب نفوسهم حبه انهم ارسلوا تعزية في الزعيم لينين حين وفاته المركز الرئيسي في موسكو واتخذوا يجندون الشيوعية في قرارات شعبهم وخطب الخطباء معهم واتخذوا اليوم الاول من شهر مايو من كل سنة عيدا للعمال يستريحون فيه من العمل تذكارا لنهضتهم .

وحيث ان مقتضى الواحد وعشرين شرطا التي وضعتها الدولية الثالثة وجعلتها برنامجا لها وجميع شعبها ومعها الحزب الشيوعي المصري الذي يدين بها التزام كل شيوعي ببث الدعوة الشيوعية بجميع الوسائل الممكنة ومقاطعة الاشتراكيين المعتدلين الذين مبدؤهم تحسين حالة العمل بالوسائل المشروعة واعتبارهم اعداء للثورة ومحاربتهم بكل ما في الوسع وصيغ الدعوة والتهييج اليوميين بصيغة شيوعية والرقابة العامة على الصحف المتخذة لنشر الدعوة ووجوب اقامة نظام سرى شيوعي بجانب النظام العلنى الشيوعي يكون قادرا في الساعة الحاسمة على ان يقوم بواجبه نحو الثورة ، وبث روح التهييج بين الجيوش ، وان هذا التهييج ضرورى لنشر الدعوة وانه لا يبد من استمالة الفلاحين المستعدين في الفقر الى الدعوة والاستعانة بهم ، وانه لا بد من القيام بعمل حاسم ونهائى ضد الاحزاب المعتدلة وبث هذه الفكرة بين اعضاء جميع الهيئات وان العمل الشيوعي الذي يتبع ذلك لا يمكن تنفيذه الا بدفع هذا الثمن وان الدولية الشيوعية تحتم بطريقة قاطعة وبدون مناقشة ذلك العمل الذي يجب تنفيذه باسرع ما يمكن وان كل حزب يريد الانضمام الى الدولية الشيوعية يجب

عليه أن يواصل اذاعة دعوتها بين النقابات وهيئات التعاون وطبقات
جميع العمال وأن ينفى نواة شيوعية ليكون عملها مؤثرا في انضمام
النقابات إلى الشيوعية وتنتمى من تريده انابتهم عنهما في البرلمان من
العناصر غير المشكوك فيها وأن تطلب من كل مندوب شيوعي أن يضح جميع
مجهوداته في مصلحة الدعوة الثورية والتبليغ وأن على هذه الأحزاب أن تبني
على مبدأ المركزية الديمقراطية حتى إذا استعنت حرب اعلية استطاع الحزب
الشيوعي أن يقوم بواجبه إذا نظم نظاما جديا يماثل انشطار المسكرى
وزود بقوات واسعة يتمكن منها من بنسط نفوذه من غير مقارمة ، ولا يكون
ذلك الا اذا تمتع بثقة الحارين الاجتماعيه ، وان من الواجب على الأحزاب
التي تريد الانضمام إلى هذه الدولية أن تؤيد الجمهوريات السوفيتية في
قيامها بحرب ضد الثورة الرجعية بلا قيد ولا شرط ، وأن تفهم العمان
بالاستمرار على وجوب رفض نقل الذخائر والمعدات لاعدا، هذه الجمهوريات
••• وان على الأحزاب التي تحتفظ ببرامج الاشتراكيين الديمقراطيين القديمة
أن تنقحها بلا تأخير وقضغ لكل منها برنامجا شيوعيا جديدا موافقا
لاحوال بلده الخاصة ومفرغا في روح الدولية الشيوعية ويجب أن تكون
جميع برامج الأحزاب مطابقة لبرنامج الدولية الشيوعية وان جميع
القرارات التي تصدرها مؤتمرات الدولية الشيوعية وقرارات لجانها التنفيذية
ملزمة لجميع الأحزاب المنضمة اليها وان على كل حزب أن يغير اسمه
فيجعله « الحزب الشيوعي لجهة كذا » وان المنضمين إلى الحزب الفين
يرفضون الشروط والموضوعات التي قررتها الدولية الشيوعية يجب اخراجهم
من الحزب •

وحيث أنه تنفيذًا لهذه الشروط التي يدين بها المتهمون قد وضعوا
لحزبهم برنامجا سموه برنامجا للحزب الشيوعي المصري وطبوه معها
في كراسة ونشروه بين العمال كما ذكرنا آنفا وفي احدى الجرائد الكثيرة
الانتشار في مصر وهي جريدة الأهرام •

وحيث أنهم ابتدأوا هذا البرنامج بأمر تقمطش ألى كثير منها نفس
كل مصري وتود تحقيقها ليحمله نافذا للعقول وهي العمل على تحرير مصر
والسودان تحريرا تاما خاليا من كل شائبة وربط الشعبين أخدهما بالآخر
لينتقما معا ويتمكنا من استثمار ثروتها الطبيعية وقممهم نفعها في
البلدين ويتعاونوا على بن الغارة على ممتضميها سواء كانوا وطنيين أم
اجانب ، وذلك بواسطة الصراع الدائم وتنظيم جبهة متحدة من العناصر
الأشد تطرفا والوثوق بها في الحركة الوطنية مع احتفاظ الحزب
الشيوعي بشعاره ومبادئه وجعل قناه السويس مرفضا اعليا وانما
الدين القومي الذي تستعمله القوة الاستعمارية لاستبعاد الشعب المصري

استعداداً اقتصادياً والغاء الامتيازات الاجنبية والمطالبة بحرية الاجتماعات
والمطبوعات والخطابة والافراج عن المسجونين السياسيين ، ثم اتبعوا ذلك
بامور هي مقتضى ما تدعو اليه الدولية الثالثة في برنامجها ، وهي العمل بين
نقابات العمال السياسية التي غير ذلك مما هو في مصلحة العمال واحقوا
بهذا البرنامج آخر سموه برنامج الفلاحين اتوا في مقدمته بما يولد الشحنة
والبغضاء في قلوب الفلاحين على أصحاب الاملاك وصموا له من القواعد
ما يخلب اليابهم ويحسن لهم الثورة . مثل الغاء نظام ملكية العزب
والغاء ديون الفلاحين الذين يملكون أقل من ثلاثين فدانا واعفاء من
يملكون منها أقل من عشرة امدنة من الضرائب الاميرية ومصادرة جميع
الاراضي الملوكة للأفراد التي تزيد عن مائة فدان بدون تعويض وتوزيع
ما يزيد منها على الفلاحين الذين لا ملك لهم واستعماله لتدشين مزارع
الشعب وتنظيم مجالس سوفيتية لفقراء الفلاحين حتى اذا سحقت الغرض
امكن استنهاضهم أو حجز الارض لتفويتهم الخاصة :

وحيث أنهم عملوا لتنفيذ هذا البرنامج بإعداد النفوس له ، وذلك
بالتدخل بين طبقات العمال وتفهمهم أنهم هم أصحاب الثمن في البلد ،
وهم الذين يجب أن تكون لهم السيادة على من عداهم من الطبقات وانهم
مغبونون- في حقوقهم مهضومون في اجور اعمالهم ، وان اصحاب الاعمال
يظلمونهم ويتسبون عليهم حتى أوجسدهم عليهم وشارت ثائرتهم
فاضربوا عن اعمالهم في كثير من الشركات كشركات الايجولين وكفر الزييات
والغزل. وأبى شنب وظهروا في هذا الاضراب بمظهر بغى وعدوان لم يعهد
فيهم من قبل وذلك بعدم اقتصارهم على الكف عن العمل ، بل تعدوا ذلك
الى احتلال المعامل ووقف حركتها والحيولة بين اصحابها وبينها حتى
لا يتمكنوا من تشغيلها بواسطة عمال آخرين ، ومقاومة بعضهم لرجال
الشرطة بالقوة ، وعدم خروج البعض الاخر منها ، لا بعد اذارهم من جهة
الحكومة باستعمال قوة السلاح ، وكان الذي يدير حركة هذا الاضراب
ويحرض عليه في بعض الشركات بعض المتهمين بمواقفة الاخرين لتضامنهم في
البدء وكان اظهرهم تحريضا هو انطون مارون ولشحات ابراهيم وابرام
كاتس وهليل زانبرج وكان العمال في اثنائه يقبضون على قطع من حديد
المعامل ويهددون بها من يناوئهم ويقولون لبعض رجال الشرطة ان هذه
المعامل ملك لنا ونحن احق بها من اصحابها ، وهذه ولا شك نزعة شيوعية
لقتها لهم المتهمون في تعاليمهم وفاضت بها نفوسهم على المستنهم كما
يستفاد ذلك من المكتوبات التي ضبطت عند بعض المتهمين خصوصا ابرام
كاتس المتهم السابق وقرارات لجنة لتصاد المعامل المسجلة في دفتر محاضر
جلساتها ومن شهادة بعض الشهود من رجال الشرطة بان انطون مارون
المتهم الثاني كان يحرض العمال امامهم ويسوى لهم حالتهم .

وحيث أن المتهمين استثمروا على العمل لنشر الدعوة وجمع صفوف العمال على مقتضى برنامجهم وفقا لشروط الدولية الثالثة السابق تلخيصها في اواخر فبراير ١٩٢٤ اذ كانوا على وشك عقد مؤتمر عام لاتحاد النقابات اتخذوا له المصداق وبثوا الدعوة اليه بين افراد وشعب الحزب لاتقرار برنامجهم أو تعديله ولكن الحكومة منعت عقد هذا المؤتمر .

وحيث أنه يتبين من قرارات الحزب واتحاد نقابات العمال ان المتهمين كانوا يحذون في أعمالهم كلها نحو الدولية الشيوعية الثالثة وينفذون مقاصدها وكانوا جادين في الدعوة الي مبادئها الي جد أنهم كانوا ينشرون بعض الكتب والرسائل الموضوعة في هذا المذهب مترجمة وغير مترجمة وان المتهم الأول محمود حسنى العرابى ترجم الي العربية كتاب بوخارين أحد زعماء الحركة الشيوعية . وكان يوزع الاشتراك على أفراد الشعب وان المتهم الثالث صفوان أبو الفتح وهو مدرس في إحدى المدارس كان يملئ على تلاميذه بعض الامالى ، الموضوعات ، التي يجذب فيها الشيوعية وان المتهم الحادى عشر عبد الحفيظ عوض كان يطرئ الشيوعية على ملا من طلاب المعهد الدينى الاحمدى في طنطا وفي منزل أحد رجبائها ويزعم أنها موافقة للدين الاسلامى مع انها تغايره كل المغايرة ، بل تنكر الأديان عامة كما يستفاد ذلك من أقوال أحد زعمائها المدعو بوخارين في كتابه (أ . ب . ت) عن الشيوعية . فقد قال في الصفحة نمرة ٢٤٦ من هذا الكتاب ما ترجمته تحت عنوان : لماذا يتنافى الدين والشيوعية ، قال كارل ماركس ، الدين هو أفيون الشعب ، فمن واجب الحزب الشيوعى أن يفهم هذه الحقيقة أحط جماهير الشعب العامل وان يبت في نفوس الجماهير العامة حتى أشدها تأخرا هذه الحقيقة ، وهي ان الدين كان ولا يزال آلة من أقوى الآلات في ايدى الظالمين لابقاء التفاوت بين الطبقات واستغلال العمال وضمان طاعتهم وأن بعض متوسطى الادراك من الشيوعيين يستدلون على صحة الدين بأنه لا يمنه من أن يكون شيوعيا فيمكن أن يعتقد بالله وبالشيوعية وايمانه بالله لا يمنه من أن يقاتل لنصرة ثورة العمال ، ومثل هذا الاستدلال معيب من أساسه لان الدين والشيوعية لا يتفقان لا من الوجهة النظرية ولا من الوجهة العملية .

وحيث أنه مما يدل أيضا على أن المتهمين كانوا ينفذون سنن الدولية الشيوعية الثالثة وينفذون تعاليمها كما جاء في الخطاب المنسوح الذى أرسلوه الى دولة رئيس الحكومة المصرية بعد أن طبعوه ونشروه من طلبهم الاعتراف بنقابات العمال والعمال وحققها في الدفاع عن حقوقهم اقتصاديا

واجتماعيا وسياسيا وانشاء مكاتب لاحصاء العمال العاطلين وتكليف لجان
الوقند المركزية في كل انحاء القطر ان يقوموا بتنظيم فقراء الفلاحين في
نقابات ترفع مستواهم اسوة باخوانهم في انحاء العالم واييجاد صلة
بين هذه النقابات ونقابات العمال حتى يمكن حشد القوى المصرية
كلما تطلبت الحاجة والاعتراف بحكومة السوفييت اسوة بالامم المتقدمة .

وحيث ان المتهمين قد وصلوا بالثابرة على نشر دعوتهم دون تعرض
احد لهم الى ان دخل في حزبهم ما يزيد على الف وخمسمائة عضو ، وذلك
لان مبادئه تستهوى النفوس الساذجة الجاهلة غير البصيرة بعواقب الامور
بما يملئها من الاماني الكاذبة ، ولو ان من انضموا اليه كانوا من ذوي
العقل والبصيرة لانكروه اشد الانكار لانه مفاير لتقتضى الفطرة التي
قضت بان يكون الناس متناوتين في الادراك والمواعب ، وانه من الظلم
والبغى بغير الحق ان تكون ثمار العقول الكبيرة ونتاج الافكار الصحيحة
ملكا لغير اطها وليس من السهل على عاقل ان يسلم بان واضع هذا
المذهب يعتقدون صحته عن سلامة قلب وحسن طوية ، والاشبه بالحق ان
تكون النزعة الشيوعية حجابا لستر ما وراءه من غرض سياسي كبير لطائفة
من الناس وهم الذين اثاروا هذه الثورة في روسيا وراوا ان احسن وسيلة
لايدراك غرضهم هي التظاهر بالرحمة على اليوساء عن العمال والفلاحين
والرثاء لحالهم والقاء العداوة والبغضاء بينهم وبين الحكومات واصحاب
الاملاك وتاليبيهم عليهم بحجة ان النظام الاجتماعي الحالي فيه قسوة وظلم
على طائفة العمال وخصهم على الذورة للتخلص منه وسلب اموال الأغنياء
وتوزيعها بينهم كما حصل في روسيا حتى اذ دان لذهبيهم العمال في كس
قطر وضعوا انظمتهم واظهروا مكنون غرضهم واصبحوا اشد الناس
ظلما وقسوة .

وحيث انه يتعين من جميع ما تقدم ان المتهمين في المدة التي مضت
بين ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٤١ (٢٥ يناير ١٩٢٣) وبين ٢١ رجب سنة
١٣٤٢ (٢ مارس سنة ١٩٢٤) بمدينة الاسكندرية :

اولا - اتفقوا اتفاقا جنائيا بان اتحدوا مع آخرين غيرهم وهم اعضاء
الجمولية الثالثة الشيوعية بروسيا كما يؤخذ ذلك من انضمامهم اليهم على
تجديد تغيير النظم الاساسية لهيئة الاجتماعية في مصر بالقوة والارهاب
ووسائل اخرى غير مشروعة .

ثالثا - اتهم في المدة التي مضت بين ٢ صفر ١٣٤٢ (١٣ سبتمبر
١٩٢٣) وبين ٢٣ رجب سنة ١٣٤٢ (٢ مارس ١٩٢٤) بالاسكندرية وطلبا
والزقازيق وبور سعيد وشبين الكوم وبلاد اخرى في المملكة انصرية نشروا

أفكارا ثورية مغايرة للمبادئ الأساسية لدستور الدولة المصرية حسبوا فيها تغيير النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية في البلاد المصرية بالقوة والارهاب وذلك عنما بتوزيع نشرات مطبوعة وغير مطبوعة والقضاء مقالات في بعض المخاضل العمومية وباشهار صور لزعماء الحزب الشيوعي الروسي وهذه النشرات والمقالات تحوى امورا وافكارا تخالف مبادئ الدستور الاساسية للهيئة الاجتماعية ، مثل الغاء نظام الكيكية الفردية المقرر في دستور الدولة ونزع ملك الغير بغير الطرق المشروعة واستبداله بالنظام الشيوعي بالثورة والقوة والارهاب .

ثالثا - انهم في المدة التي مضت بين ربيع الاول ١٣٤١ (اكتوبر ١٩٢٢) وبين ٢٦ رجب سنة ١٣٤٢ (٢ مارس ١٩٢٤) بمدينة الاسكندرية قاموا متفقين على تحريض عمال شركات زيت الايجولين والغزل وكفر الزيات وانبى شئب على ارتكاب جريمة استعمال القوة والارهاب والتهديد والتدابير غير المشروعة والاعتداء على حرية اصحاب الاعمال المذكورة في استيخاطام غيرهم من العمال ، وذلك باغرائهم عمال هذه الشركات على اختلال معاملها التي يشغلون فيها بالقوة وتهديد اصحابها اذا لم يذعنوا لطلباتهم واذا استخدموا غيرهم او فصلوا احدا منهم من العمل .

وحيث ان عقاب جميع المتهمين على هذه التهم الثلاث ينطبق على نص المواد ٤٢ مكررة والفقرتين الثانية والثالثة من المادة ١٥١ من قانون العقوبات المعدلة بالقانون نمرة ٣٧ لسنة ١٩٢٣ والمادة ٣٢٧ المكررة المضافة الى قانون العقوبات بالقانون المذكور .

وحيث ان باقى المواد التي طلبت النيابة تطبيقها ضد المتهمين المذكورين لا ترى المحكمة محلا لها لان ما وقع من المتهمين بالفعل يدخل تحت نص المواد سالفة الذكر .

وحيث ان التهم التي رأت المحكمة ، ادانة المتهمين بها مرتبط بعضها ببعض لانها كلها ترمى الى غرض واحد ، وهو قلب النظام الاجتماعى بالقوة وتجيده باخر شيوعى فيتمين معامتهم بالسادة ٣٢ من قانون العقوبات .

وحيث ان دفاع المتهمين يتلخص في هذه المسائل وهي :

اولا - ان السلطة العسكرية سبق لها ان غتشت محل الحزب الشيوعى

ألمصرى واخذت ما فيه من الاوراق واطلعت عليها وبرات اثنين منهم وادانت
الآخرين بتهمة اخرى .

ثانيا - انتم لم يتفقوا جنائيا على الجرائم المذكورة في التهم المسندة
اليهم ، وانما كان غرضهم مساعدة العمال على نيل حقوقهم ورفع الظلم عنهم
ورفع مستواهم الى الدرجة اللائقة بهم في المجتمع الانساني . وان الاتفاق
الجنائى مشروط بان يكون على تنفيذ الجرائم لا على مجرد الدعوة اليها
وبالاستمرار عليه وتعيين الجرائم المتفق على ارتكابها . والحزب لم يستمر
في عمله لان بعض اعضائه كانوا محبوسين ، وكل ما عمله البعض الآخر
انما هو نشر المنشورات .

ثالثا - انتم لم يجمعوا على الواحد والعشرين شرطا التي وضعتها
اندولية الثالثة ، بل وضعوا لانفسهم برنامجا خاصا وما جاء فيه من الفناء
نظام العزب ومصادرة ما زاد عن المائة فدان ليس فيه ما يدل على ان ذلك
يكون باستعمال القوة ، بل ان غرضهم الوصول اليه عن طريق التشريع
على ان التعرض لحق الملكية واخذ الاملاك من اربابها حصل له نظير
في مصر من قبل في زمن مينا عمرو بن العاص الذي صادر الاطيان من
اصحابها وجعلها خراجية ، وفي زمن محمد على باشا خديو مصر الاسبق وفي
عهد اسماعيل باشا ، وعلى ان المراد بالثورة في عرف الشيوعيين انما هو
الثورة الفكرية وان قلب النظام ليس من الضروري ان يكون بالقوة بل
قد يحصل بغيرها بعد اعداد النفوس له .

رابعا - ان شروط علانية النشر المذكورة بالمادة ١٤٨ عقوبات لم تتوفر
لانهم ما كانوا ينشرون مبادئهم الا بين اعضاء الحزب وبطريقة سرية .

خامسا - ان القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٣ المظلوم عمالية المتهمين
بمقتضى المادة ١٥١ منه مغايرة لحرية الفكر التي هي من المبادئ الاساسية
للدستور ، وبذلك يكون معارضا له وكان يجب عرضه على البرلمان قبيل
اصداره وانه نص في الدستور على انه يعمل به من تاريخ انعقاد البرلمان
وعلى ذلك لا يصح تطبيقه على المتهمين .

وحيث ان هذا الدفاع في غير محله :

اما اولا - فان المتهمين لم يقدموا للمحكمة اى دليل على سيق محاكمتهم
على ما هم محاكمون من اجله اليوم وتبرئتهم منه . بل التابت من الاوراق

أن القهمة التي كانت موجهة الى بعضهم امام الحكمة العسكرية ، انما هي تهمة المظاهرة .

اما ثانياً - فان الاقتساق الجنائى وقع منهم فعلا على تحبيذ قلب نظام الهيئة الاجتماعية المصرية بالقوة والتهديد والوسائل الاخرى غير المشروعة كما يدل انضمامهم الى الحزب الشيوعى الروسى الذى مبعوذه الاساسى قلب نظام الحكومات وهدم ارباب الاموال بالثورة والقوة بعد الاستعداد لذلك بتكوين نقابات للعمال وضم هذه النقابات فى عروة اتحاد واحد لايجاد القوة الكافية للثورة ، وذلك يستفاد صريحا من الواحد والعشرين شرطا السابق تليخيصها ومن عمل الشيوعيين فى الحكومة القيصرية بروسيا ، وتحبيذهم لقلب نظام الهيئة الاجتماعية هو جريمة مهيئة جاء ذكرها فى الفقرة الثانية من المادة ١٥١ من قانون العقوبات للسالف ذكرها . وقد استمروا على الاتفاق حتى وقت ضبطهم بنشر الدعوة الى مبادئ حزبهم وانكارهم على الحكومة ضبط بعضهم وضبط اوراقهم .

واما ثالثا : فان برنامجهم الذى نشره فى بعض الجرائد وطبعوه فى كراسة ووزعوه على اعضاء الحزب هو مستمد من شروط الدولية الثالثة التي لا يمكنهم ان يحددوا عنها ويتفق معها فى المبادئ والمقاصد ، وحيث انه لا يمكن ان يكون غرضهم الوصول الى ما قرروه فى هذا البرنامج عن طريق القانون لان هذا يكون منافيا تمام المنافاة للمبادئ الثورية التي وضعتها الدولية الشيوعية الثالثة والتي هم مطالبون بالاستمسك بها ومعاداة من يعمل على نقيضها ولا معنى لتفسير كلمة ثورة التي لاكتها السنتمهم وجرت بها اقلامهم فى كثير مما قالوا وكتبوا بالثورة الفكرية لان اقوال زعماء الحزب الشيوعى واعمالهم تنل على خلاف ذلك وان المراد بالثورة ، انما هو الثورة الفعلية التي اناسها القوة المادية ولا معنى كذلك للمقارنة بين ما يرمى اليه المتهمون من الفناء الملكية الفردية وبين اعمال بعض ولاة مصر السابقين لان سيدنا عمرو بن العاص دخل مصر فاتحها بجيشه وسلاحه فتشعبهم ما يطمحون اليه بعمله هو حجة عليهم فى انهم يريدون بالثورة اغتصاب الاطيان من اربابها بالقوة على ان هناك فرقا بين عمل ذلك الفاتح العظيم وبين ما عمله الشيوعيون فى روسيا وما يطمح المتهمون الى ان يحصل نظيره فى مصر فان ذلك الفاتح ترك الاطيان للناس يزرعونها بكل حرية واختيار ويحصلون على ثمراتها فى مقابل دفع خراجها . واما الشيوعيون فى روسيا فانهم انتزعوا قهرا من اربابها وصبروا غلتها الى الحكومة توزعها كيف تشاء .

واما فى عهدى محمد على باشا واسماعيل باشا فالنظام الذى حدث فيها كان مبنيا على طرق مشروعة تناسب ذلك الوقت :

وأما رابعاً - فلأن المتهمين لم يكتفوا في سبيل نشر دعوتهم إلى الشيوعية بالانفشاء بها سرا ، بل قد جهروا بها ونشروا برنامجهم في إحدى الصحف السيارة وطبعوه مع شروط الدولية الثالثة في كراسة وكانوا يوزعونها علناً حتى علم فوق ألف وخمسمائة عضو بها ونشروا بعض هذه المبادئ في المكتوب المفتوح الذي وجه إلى دولة رئيس الحكومة المصرية الذي طبع ونشر ، وكان أحدهم يحدد هذه المبادئ الشيوعية في محفل وجد في بيت من شأنه أن يجتمع فيه كثير من الناس لكثرة صاحبه وكونه زعيماً من زعماء الحركة الوطنية وكان آخر يملأ على تلاميذه أمالي «موضوعات» في تحييد الشيوعية وهذا كله كاف في توافر شروط العلانية .

أما خامساً - فلأن القانون رقم لسنة ١٩٢٣ المعدل للمادة ٥٩ من قانون العقوبات قد صدر من الجهة التي لها ولاية التشريع وقت صدوره ولم يأت نص في الدستور مانع لتنفيذه أو معلق له إلى الوقت الذي ينظره فيه البرلمان فأحكامه لا يمكن تعطيلها إلا بقانون آخر ينسخها وما دامت موجودة فلا بد من تطبيقها على المتهمين .

وحيث أن المتهمين محمود حسني العرابي وأنطون مارون وصفوان أبو الفتوح والشحات إبراهيم وإبرام كاتس وهليل زانبرج هم زعماء هذا الحزب وأشدهم تحملاً للشيوعية وأكثرهم نشاطاً في بث دعوتها وهم بذلك أعظم خطراً لثقتين التمييز بينهم وبين باقي المتهمين في العقوبة وتدعو إلى معاقبتهم بمقتضى المادة ١٧ من قانون العقوبات .

وحيث أن إجراءات الغياب قد اتخذت في حق المتهمين إبراهيم كاتس وهليل زانبرج حسب القانون فيصح الحكم عليهما غيابياً .

فلهذه الأسباب وبعد الاطلاع على أفراد سالفه الذكر

حكمت المحكمة :

أولاً : بمعاقبة كل من محمود حسني العرابي وأنطون مارون وصفوان أبو الفتوح والشحات إبراهيم وإبرام كاتس وهليل زانبرج بالسجن ثلاث سنوات .

وثانياً : بمعاقبة كل من عبد الحميد أحمد ترة ومحمود إبراهيم السمكري وشعبان حافظ ومحمد الصغير وعبد الحفيظ عوض بالحبس مع الشغل لمدة ستة شهور .

(الأهرام : ١٠/٧/١٩٢٤)

مراجع غربية ومترجمة

- أحمد بهاء الدين
أحمد رشاد
أنور الجندي
إسماعيل مظهر
أمين عز الدين
أمين عز الدين
توفيق دياب
جوستاف لوبون
جوستاف لوبون
جوستاف لوبون
جوستاف لوبون
حسين فوزي للنجار
حسين نافع
خليل بك سعاده
رامزي مالكوفناك
رشدي صالح
زفعت السعيد
روزنشتين
رؤوف عباس
زكي فهمي
- إنيام لها تاريخ
مصطفى كامل حياته وكماله
عبد الميز جويش
مذهب النسوة والارتقاء
تاريخ للطبقة للامة منذ نساتها حتى ١٩١٩
المصوري = سيره منشف ثوري
المحسنة
زوج الاشتراكية ترجمة عادل زعيتر
روح الثورات ترجمة عادل زعيتر
روح للسياسة ترجمة عادل زعيتر
سر تطور الامم ترجمة فتحي زغلول
أحمد لطفي السيد
خلاصة الاقتصاد وثبذة من التاريخ الاقتصادي
اسرار الثورة الروسية
الحركة الاشتراكية ترجمة محمود حسني المرابي
كروفر في مصر
الاساس الاجتماعي للثورة المرابية
دمار مصر ترجمة علي شمكري
الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩ - ١٩٥٢
صفوة مصر في تاريخ ورسوم مشاهير
رجال مصر
الحركة العمالية في مصر وموقف الصحافة
والسلطات المصرية منها ١٨٨٢ - ١٩٥٢
ولي الدين يگن
مقدمة السوبرمان
الاشتراكية
تربية سلامة موسى
مختارات سلامة موسى
جيوبنا وجيوب الاجانب
تطور الحركة الوطنية المصرية
مارس ١٩١٩ الدامي والفلاحون
خليل مطران
- سليمان محمد النخيلي
(دكتور)
سامي الكيالي
سلامة موسى
سلامة موسى
سلامة موسى
سلامة موسى
سلامة موسى
شهدي عطية الشافعي
صباحي وحيدة
طاهر الطناحي

الفصل
أصراء على النشاط الشيوعي في مصر
١٩٦١ - ١٩٥٠

مطالعات في الكتب والحياة
تطور الحركة الوطنية في مصر
تاريخ الحركة النقابية ١٨٩٩ - ١٩٥٢
مذكراتي
محمد مرشد
سيرة مصطفى كامل
نقابات التعاون الزراعية
شئون مصرية
الديمقراطية
في الأدب الحديث
تقرير عن المالية والإدارة والحالة العمومية
في مصر

الضناخك الباكى
دراسات في تاريخ مصر السياسي
تاريخ تكوين الصحف المصرية
جذور الاشتراكية
دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩
تاريخ المؤتمرات السياسية
تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة
الشذائي الأول
السياسة المصرية والانتقال الدستوري
ترام للقاهرة
مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية
المسألة المصرية والوفد
٨٩ شهرا في المنفى
خبايا سياسية
سلامة موسى الفكر والائتمان
تاريخ المذاهب الاشتراكية
الاشتراكية
علم الاجتماع
من ألف عام من الزمان
الاتحاد السوفييتي والشرق الأوسط

عباس محمود العقاد
عبد الوهاب بكر (كتور)

عباس محمود العقاد
عبد العظيم محمد رمضان
عبد المنعم الخزالي
عبد الرحمن الرافعي
عبد الرحمن الرافعي
على فهمي كامل
عبد الرحمن الرافعي
عزيز خانكي
عزيز مبرهم
عمر الحسوقي
غورست وكشغور

نكري باقطة
فوزي جرجس
قسطنكي لياس عطارة
كامل ابو جابر
محمد انيس
محمد عبد الله عخان
محمد عبد الله عخان
محمد علي غريب
محمد حسين ميكل وآخريين
محمد سيد كيلاني
محمد صبيح
محمود ابو الفتاح
محمود حسني الجرامي
محمود عزمي
محمود الشرقاوي
مصطفى حسنين التصوري
نقولا حداد
نقولا حداد
نيكولاي كوتساروف
والقر لاكور

الى الاستقلال ، مصر وانجلترا

المعلوم والمجهول

التجارب

الصحائف السنوية

عبر خاطر

وجه لامبلان

ولى الدين يكن

ولى الدين يكن

ولى الدين يكن

ولى الدين يكن

وثائق وأبحاث وتقارير غير منشورة

- محفوظات دار الوثائق المصرية
- وثائق وزارة الداخلية المصرية - اداة الامن العام - مودعة بالارشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية
- عبد الرحمن فضل مقدمة لتاريخ الحركة العمالية في مصر (مخطوط)
- مارسيل اسرائيل تقرير حول تاريخ الحركة الاشتراكية المصرية

مراجع اجنبية

- A.E. Crouchly — The investment of Foreign Capital in Egyptian Companies and Public debt.
- Charles Issawi — The Economic History of the Middle East.
- Jane De Gras (ed.) — The Communist international ' 1919-1943.
- Mona Hamman — women workers and the practice of Freedom as education — The Egyptian Experience.
- Selma Botman — The Rise and Experience of Egyptian Communism
- Suliman Bashir — Communism in the Arab East 1918-1928.
- Roger Owen — Lord Crommer and the development of Egyptian industry 1882-1907
- Roger Owen — The Middle East and the world Economy
- Dr. L. RATHMAN : Some remarks on the stay in Germany of Mustafa Kamel and Muhamed Farid.
- N. Papanidoti — Petit Resumé du mouvement politique Grec en Egypt.
- GABRIEL BEAR — A History of Landownership in Modern Egypt.
- EDI — La Fortune immobilière de l'Egypte et sa dette hypothécaire
- Lord LLOYD — Egypt since Crommer.
- J. A. AHMED — The Intellectual Orgins of Egyptian Nationalism.
- JACQUES BERQUE — L'Egypte Impérialisme et Révolution.
- WALTER Z. LAQUER — Communism and Nationalism in the Middle East.
- Oeuvres du Congrès National Egyptien tenu à Bruxelles, 1910.
- VALLET — Contribution à l'étude de la condition des ouvriers de la grand industrie au Caire.

« صحف ودوريات »

الاتحاد
اتحاد العمال
العمال
المؤيد
مقالات قصر الدوازة (مختارات من المؤيد)
للشواء
العلم
ليقن دار
الأهرام
الجريدة
الأمالى
الأخبار
الأخبار
الهلال
المقطف
البلاغ
مجلة مجمع اللغة العربية
كل شيء والذخيرة
المجلة الجديدة
الطليعة
السياسة الأسبوعية
الأمم
المصور
المؤيد
المقطم

مجموعات عام ١٩٠٧ حتى ١٩٢٥

(جريدة للحزب الوطنى)

مجموعة ١٩٦٢

- International Press Correspondence. 1923-1928
- The Labour Monthly. 1925
- Le Phare d'Alexandrie
- L'impazzial

فهرست الجزء الأول

القسم الأول :

- ١٣ مصر في مطلع القرن العشرين
١٥ التجمعات الطبقية والقوى الاجتماعية المختلفة
٤٧ الحركة وسط الفلاحين
٥٥ الفضال النقابي والسياسي للطبقة العاملة
٧١ المثقفون .. طريقان تؤدي اليهما الليبرالية

القسم الثاني :

- ٨٧ المناهج الفكرية للعمل الاشتراكي
٩١ الفابية
١١١ اشتراكية الدولية الثانية
١٣٩ الماركسية

القسم الثالث :

- ١٧٥ من الفكر المجرد الى العمل الحزبي
١٧٧ الخلايا الاشتراكية في مطلع القرن العشرين
٢١١ اعلان الحزب الاشتراكي
٢٣١ الاشتراكية المصرية من الدفاع الى الهجوم المضاد
٢٥٣ المؤتمر الأول للحزب .. الانضمام للكونغرس
٢٦٣ المؤتمر الثاني .. تغيير اسم الحزب
٢٧٣ موجه من النشاط العام
٢٩٥ ثم بدأت المطاردة

القسم الرابع :

- ٢٠٥ الملاحق
٢٥١ المراجع

الجزء الثاني

اليسار المصري

١٩٢٥ - ١٩٤٠

الطبعة الاولى - دار الطليعة - بيروت

١٩٧٢

الطبعة الثانية - دار الطليعة - بيروت

١٩٧٣

Handwritten text, possibly a title or header, appearing as a series of dark, irregular marks.

Handwritten text, possibly a date or a specific reference, appearing as a series of dark, irregular marks.

Handwritten text, possibly a signature or a name, appearing as a series of dark, irregular marks.

Handwritten text, possibly a signature or a name, appearing as a series of dark, irregular marks.

Handwritten text, possibly a small mark or a number, appearing as a series of dark, irregular marks.

الى . . . ابي وامى

والله اعلم بالصواب
والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

ان اجيالا متعاقبة من شباب مصر قرأت
تاريخها الوطني على غير حقيقته • وصور
لها الأبطال في تاريخها تائهين وراء سحب
من الشك والغموض ، بينما وضعت حالات
التمجيد والاكبار من حول الذين خانوا
كفاحها ...

جمال عبد الناصر (الميثاق)

ليست مقحمة ...

نعم فالمقحمة - إن صح استخدام هذا التعبير - قد استغرقت عدة مئات من الصفحات هي الجزء الأول من هذه الدراسة :

لكننا نعرف أن الرواية لم تنتم فصولها بعد ، لا بالنسبة للقارىء ولا للكاتب فثمة فصول هامة يجب أن تكتب . وإذا كان المؤرخون البرجوازيون قد نجحوا إلى حد ما في طمس كثير من معالم تاريخ الحركة الشيوعية في العشرينيات ، فإنهم قد نجحوا إلى حد كبير في طمس كل معالم تاريخ هذه للحركة في الثلاثينيات .

والذين كانوا يشكون من قلة المعلومات عن نشاط الاشتراكيين المصريين في العشرينيات ويترجمون من أن أيديهم لا تمتك غير تعميمات وأنصاف حقائق ووقائع مبهمه ، فإنهم بالنسبة للثلاثينيات في ظلام تام ، فالمعلومات تكاد أن تكون منعدمة .

والحزب الذي كان ملء السمع والبصر في عام ١٩٢٤ بدأت مطاردته ...

والحركة النقابية الثائرة ونقاباتها الحمراء وصناديق المعونة البروليتارية ... اختفت لتحل محلها نقابات صفراء ...

والقادة لعالميون-الحقيقيون ، الشيخ صفوان أبو الفتح ، والشحات إبراهيم ، وأنطون مارون ومصطفى أبو هريرة ، اختفوا ليحل محلهم قادة برجوازيون بئس وأتقاعيون يحاولون امتطاء حركة الطبقة العاملة ... أسماء مثل عبد الرحمن قهسى والنشيل عباس حليم وداوود بك راتب ، عزيز بك ميرهم ، وأحجار جلاد ياشا الخ .

لكن هذه الصورة زائفة تماما ...

صحيح أن حركة اليسار المصري قد تعرضت لجذر حاد في الثلاثينيات لكن الحزب كان لا يزال موجودا بشكل أو بآخر ...

والحركة العمالية كانت تموج بالتيارات الثورية الحقمة ...

وانتفاضات عمال المناير ضد ارباب صدقى لم تكن انتفاضة وفدية
بقدر ما كانت انتفاضة عمالية . . .

وهكذا كان لابد من محاولة لاستكمال فصول الرواية . . .

وأذا كانت دراسة تاريخ الحركة الشيوعية في العشرينيات مسألة صعبة ،
فإنها بالنسبة للثلاثينيات شيء بالغ الصعوبة وبإلغ التعقيد مما
لكننا مع ذلك سنحاول . . .

* * *

وتقسم حركة اليسار في الثلاثينات بالتشعب وتعدد المناير . . .

هناك خلايا الحزب القديم ومحاولاته الدائرية والمستمرة لكي يؤسس
مراكز فعلية لنفسه وسط الجماهير ، ووسط تجمعات العمال على وجه الخصوص ،
وهناك محاولات أخرى عديدة للمتقنين الماركسيين المصريين . . . بعضها
اتخذ طابعاً ثقافياً ، والبعض الآخر اتخذ طابعاً تنظيمياً . . .

وهناك محاولات لليسار الأجنبي المقيم في مصر انحصرت وسط تجمعات
الاجانب ومحاولات أخرى امتدت لتجذب في صفوفها يساريين مصريين . . .

ولا بد من جهد لتجميع شتات المعلومات المتناثرة حول هذه النشاطات
جميعها ، لكن مثل هذا الجهد يصطدم بعقبات حقيقية . . .

فالمعلومات قليلة ، ومعظمها مختزن في صدور أصحابه ، وهؤلاء الناس
بعضهم طواه الموت ، والبعض الآخر تفتت في أرجاء العالم ، أما مطرودين
بسبب نشاطهم السياسي وأما مهاجرين ضمن موجات هجرة الاجانب التي
توالى منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ . . .

وهكذا فإن البحث عن هذه المعلومات والذكريات الشخصية ، يجب ان
يتمند الي فرنسا وإيطاليا وقبرص ، وألمانيا ، والسودان . . . الخ . . .
ولقد كان الجهد الذي بذل في هذا الصدد - بالرغم من صعوبته البالغة في
مجزئاً . . .

فلقد استطعنا من خلاله أن نحصل على معلومات بالغة الأهمية تكشف
أمامنا حقيقة الدور الذي لعبه يسار الثلاثينيات. بصورة لم يكن من الممكن
التوصل اليها دون الاستعانة بالذكريات الشخصية . . .

فلا المراجع التاريخية ، ولا صحف هذه الفترة ، ولا حتى معلومات أجهزة
الأمن تستطيع أن تعنى من هذه الذكريات الشخصية ، فمعظم هذا النشاط تم
بشكل جانبي بعيداً عن أعين أجهزة الأمن متخذاً في كثير من الأحيان ستارا . . .

من نشاط علني : بل أن بعضه قد أعلن في سرية الى حد أنه أصبح سرا
تفصيلا لا يتوصل اليه الا افراد قلائل اما الآخرون - فبالرغم من مشاركتهم
فيه - فقد كانوا يعيشون على هامش الحقيقة .

وبحسبنا عن الحقيقة كان من الضروري أن نتحدث عن هؤلاء الرجال ، وأن
نحسب مختلف البدان ، سعيا وراء ذكرياتهم .

لكن الذكريات وحدها لا تكفي

فالذكريات انطباعات شخصية ، تتأثر بالفواعل الذاتية ، وتتنظر للمسائل
دوما من زوايا شخصية ، وهي كثيرا ما تتخذ مسارات جانبية دون تحليل
شامل للاتجاهات العامة وأهم من هذا كله فان هذه الذكريات لا تتحدث
الا عن بعض المحاولات دون الأخرى ، وللأسف فان الجانب الذي تتجاهله
هذه الذكريات جميعا هو متابعة نشاط خلايا الحزب القديم وجهوده الثابتة
لإعادة تكوين نفسه .

تتجاهل قصة هؤلاء الرجال الشجعان الذين تعرضوا لضغوط قاسية ،
وارهاب لم تشهد له مصر مثيلا ومع ذلك فقد صمروا على أن يواصلوا
المسيرة . وواصلوها فعلا في اصرار غريب ثم راحوا ليطويهم نسيان متعمدا .

هؤلاء الرجال الشجعان الذين تعرضوا فيما تعرضوا لتجاهل الماركسيين
للجدد الذين نبتوا من بطن أحداث الغلايينات العاصفة قرأوا يبحثون عن
طريق جديد لمصر ، لكنهم بحثوا عن هذا الطريق بمعزل عن النشاط القديم ،
لا لأنه غير موجود ، وإنما تصوروا بأن مجرد التماس مع هؤلاء الرجال سوف
يجر وراءه ويلات المطاردة والسجن .

وهكذا وكأنه قد كتب على هؤلاء الرجال أن يتحملوا تبعات المسيرة
أكثر من خمسة عشر عاما يحملون فيها رايات تنوء بحملها السواعد . ثم
يأتى الآخرون ليحسبوا ثمار هذا الجهد المتواصل ، ولا يكون أمام هؤلاء الرجال
الا الانزواء في صنم في صفوف المؤخرة تحت دعاوى الامان وتجنب مطاردات
البوليس . الخ .

ومن هنا كان لا بد من جهود أخرى كي تكتمل الصورة :



وعلى صفحات جرائد ومجلات هذه الفترة تردد صوت هؤلاء الرجال في
مرات عديدة في مقالات أو بيانات يرددها مثقفوا اليسار ويشرحون فيها وجهات
نظرهم . وفي أخبارهم وهم يفتنون في انفاص الاتهام يدينون قضائهم ويدافعون
ببنيالة عن الاشتراكية ، أو أخبار كواجرهم وهم يتحدون قرارات الطغيان

بإسقاط الجنسية المصرية عنهم فيظفون بتصفيهم على العودة الى أرض الوطن ملحة لتزويد أصدائهما على صفحات جميع الجرائد وتحويل الى قضية دستورية تناقش في كافة الأوساط وتدرس لطلبة كلية الحقوق وتنتهى بانتصارهم وبإسقاط الرسوم الجائر .

وفي مضابط البرلمان - الذي شغل نفسه كثيرا - بمقاومة التيار الاشتراكي والنشاط الشيوعي توجد معلومات كثيرة أيضا . . .

وفي أرشيفات أجهزة الامن معلومات أكثر . . .

لكن الجهد المتواصل لا يكفي وحده ، ثمة معلومات لا يمكن التوصل اليها مهما بذل الانسان من جهد ومع ذلك فلقد كان لا بد من المحاولة . . .

وأثمرت هذه المحاولات بصورة غير متوقعة . . .

وحتى معلومات رجال الامن أمكن التوصل الى بعضها معروضة في المتحف البريطاني في لندن . وهي مجموعة وثائق خاصة بوزارة الخارجية البريطانية وتتضمن تقارير من السفارة البريطانية في مصر وبعض أوراق المخابرات البريطانية وتقارير البوليس السرى في القاهرة . . . الخ .

وهنا . . . وبعد أن تتجمع خيوط كافية ، يملك الانسان الجراءة على أن يبدأ محاولة الكتابة في موضوع كهذا . . .

* * *

وهكذا يحدد الموضوع نفسه .

* مجموعة من الصور التمهيدية في محاولة لتصوير المناخ العام الذي حاول اليسار أن يتحرك عليه على أرض مصر .

وهي ليست بآية حال استقصاء أو دراسة تحليلية للأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمصر في الثلاثينات فهذه مسألة تتطلب دراسة مستقنة واسهاما لا يتوفر ضمن محاولة كهذه ، وإنما هي مجرد لمحات أو صور يمكنها أن تعطي فكرة عن المناخ العام ويمكنها أن توضح أفاق حركة اليسار والامكانيات المتاحة أمامها والاسباب التي حددت لها مسارات معينة .

* محاولة لتتبع مسار القوى الشيوعية التي واصلت النضال عقب الضربة التي وجهتها السلطة للحزب في عام ١٩٢٤ . وهو مسار بالغ التعقيد ، فإن الحزب الذي فرضت عليه السرية بصورة مفاجئة ودين استعداد كفاف قد خاض معركة البقاء ضمن قوالب وأشكال متعددة من الصعب استقصاؤها

جميعاً لكنه من المفيد تقديم كل ما أمكن التوصل إليه من معلومات في هذا الصدد لعله يكون بداية لدراسات أخرى تبحث عن خيوط أخرى. بهتف استكمال الصورة .

* مجموعة من محاضر النقاش مع من أمكن التوصل إليهم من المسؤولين عن النشاط اليساري في مصر في ذلك الحين ، وكذلك بعض آرائهم مثبتة في تقارير .

وهي تقدم بصورة - شبه واقية - ومن خلال مجموعة من الذكريات الشخصية صورة عن نشاطات وأفكار وأساليب وإمكانات يسار هذه الفترة .
* مجموعة من الوثائق والأوراق القضائية ووثائق وزارة الخارجية البريطانية ووثائق النشاط الحزبي .

* * *

والحقيقة أن أكثر ما يستمتع به كتاب التاريخ ، هو أنهم يطلقون يدهم في إصدار التقييمات والأحكام على كل شيء ، وعلى كل شخص أو حدث أو موقف .

لكتاب التاريخ يتحركون في مجال معظمه أناس قد طوتهم الأحداث وتخطاهم الزمن ومن هنا تكون الجراءة في إصدار أحكام وتقييمات قاطعة .

لكنني لست أملك مثل هذه الجراءة ، وفي هذا الموضوع بالذات فأنني أعترف بعجزى عن أى ادعاء للتقييم العام أو استصدار أحكام شاملة وقاطعة فهو بالنسبة لي أمر غير ممكن ، ولا هو مطلوب .

فالتقييمات وهي ضرورية - لا يمكن التجرؤ على استصدارها إلا بعد استقصاء الحقيقة كاملة ، ونحن بالنسبة لهذه الحقيقة لا زلنا في أول الطريق ، ومن هنا فإن الاجترار على التقييم هو اجترار على الحقيقة ذاتها .

لكنني مع ذلك أشعر أنني بهذه الدراسة أخطو الخطوة الأولى نحو محاولة التقييم فلنبدل حيناً آخر . مرة أو مرتين أو ثلاث ، أنا وغيرى ثم بعدها يكون من الممكن أن نستصدر أحكاماً ، وبعدها يكون لأحكامنا بعض من رنين الحقيقة ، ويكون بإمكاننا أن نجترى على التقييم ، دون أن نجترى على الحقيقة .

* * *

ولسوف يجد القارىء وخاصة في القسم الخاص بمحاضر النقاش ، آراء متناقضة ، وروايات تختلف عن بعضها البعض ، وهجوماً من شخص على شخص ، وانتقادات واتهامات ومحاولات لالقاء مسؤوليات على هذا الشخص

أو ذلك ؛ وكل هذا طيني ، وهو في ذاته انعكاس للصورة الواقعية التي عاشها
يسار الثلاثينيات في مصر .

ولقد تعمقت أن أتركها كما هي ، فلست أعتقد أن من حقي أن أقف
حكما بين هؤلاء الرجال ، ولست أعتقد أن من حقي أن أمسك في يدي قلم
الزريب أشطب هذا ، وأبيح ذلك ، والمسألة ليست مجرد موقف أخلاقي ، ولا هي
تمسك بحقوق من قالوا هذه الكلمات ، لكنها في واقع الأمر - وقيل كل شيء -
تمسك بالحقيقة واحترام للتاريخ .

وكما قلت من قبل فإن تجميع هذه الفكريات يستهدف - في الأساس -
لنصفها من الضياع ، وتقديمها للباحثين والقراء مادة تخضع للدراسة
واللتقييم والاستخلاص للنتائج .

ويعد

ان المحاولات التي بذلت لدراسة تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر قليلة
جدا ، ومعظم هذا القليل مغرض ومضلل ، يقدم نصف الحقيقة ويطمس
النصف الآخر أو يزيفه ، ولعل كتابات «القر لأكور» (١) نموذج لذلك كله ،
لكن أكبر ما ريدته هذه الكتابات من أكاذيب هو تأكيدها أن الثلاثينيات لم
تشهد تحركا اليسار في مصر ، وأنها كانت فترة تضاعف فيها وجوده إلى حد
الانعدام .

ولست أعتقد أن من حقي أن أسبق تسلسل الكتاب لأؤكد أن هذا
الزعم غير صحيح ففي الصلحات الضامة الرد الحاسم على ذلك الادعاء .
ولكني لا أزعج أنني قلت الحقيقة كلها ، أو أنني قد استوفيت كل
ما يمكن أن يقال عن يسار الثلاثينيات في مصر ، فهذه الدراسة ليست سوى
بداية .

ليست سوى محاولة لتحديد معالم الطريق وتعبيده ودعوة للآخرين
أن يسلكوه ، وأنا واثق تمام الثقة أن تاريخ اليسار في مصر من الثراء بحيث
يجد كل باحث فيه جديدا وبحيث يثمر فيه كل جهد اثمارا يفوق كل توقع .
وأخيرا فإن هذه الكلمات لم تكن مقدمة لكتاب يقهر ما كانت استعراضا
لأفكار كاتب يحاول أن يثبتها على الورق ، كي يستطيع أن يبدأ .

(١) راجع كتابيه :

* The Soviet Union and the Middle East.

* Communism and Nationalism in the Middle East.

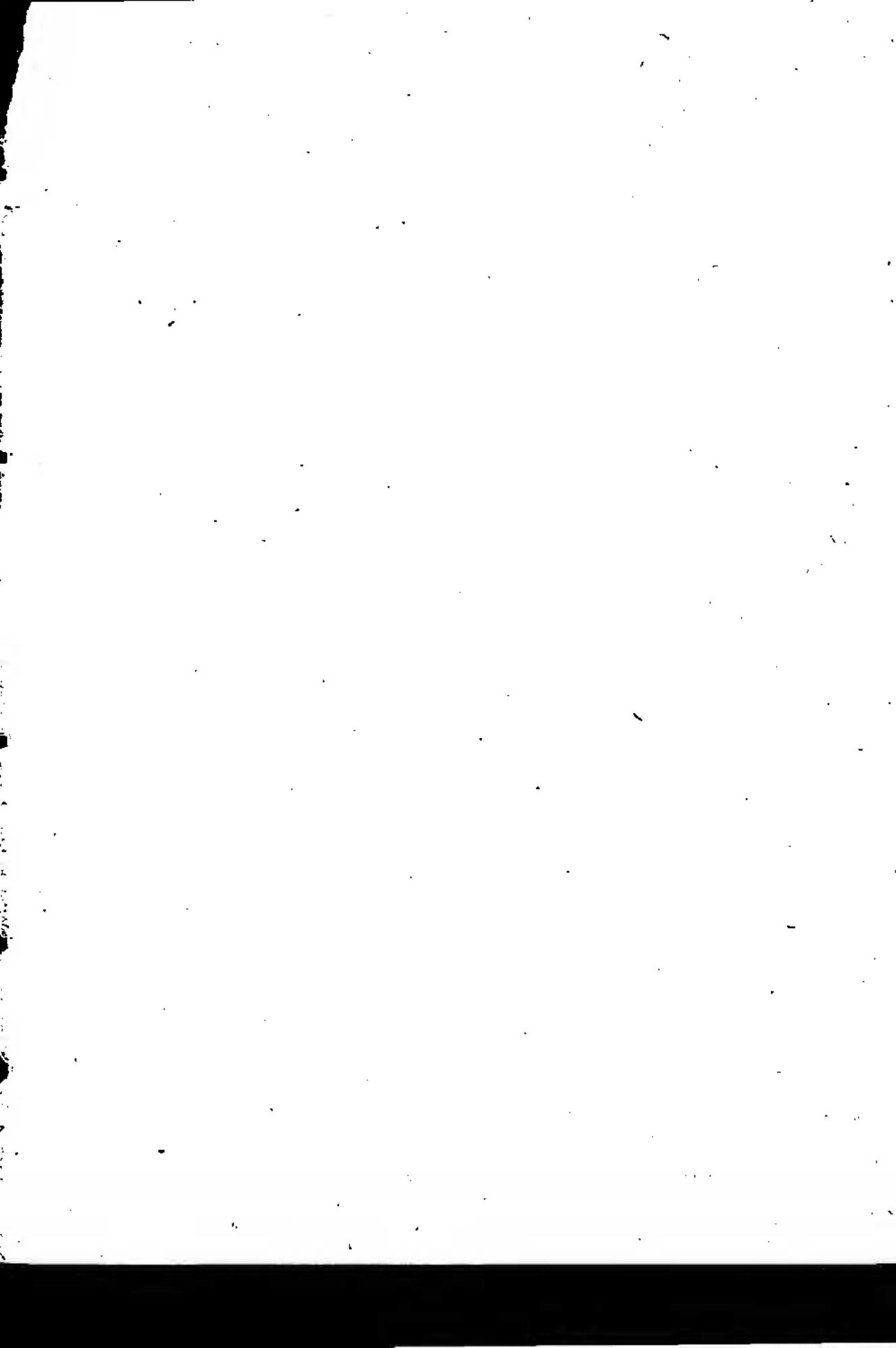
القسم الأول

مصر الثلاثينات

الصراعات الفكرية والسياسية

بين

اليمن واليسار



- ١ -

اليمن

- * حرب الدعاية . . .
- * قادة برجوازيون للطبقة العاملة .
- * وللفلاحين ايضا .
- * الفاشست ينشطون .

حرب الدعاية ٠٠٠

إبل مذهبيا من المذاهب الأخرى لم يوجه اليه كل هذا القدر من الهجمات والافتراءات ، فلقد شعرت البرجوازية المصرية أن فكرة الاشتراكية لم تكن مجرد رأى استثنوي عددا من المواطنين لكنها أصبحت شيئا لا يمكن اقتلاعه .
أو كما وصفه أحمد الصاوي محمد ، شوكا دق جنوره العميقة في الأرض ،
ولم تعد السجون وحدها تكفي ، ولا حملات الارهاب ، ولا إجراءات منع ورود المذهب من الخارج . فلقد نفت الجذور نفسها عميقا في تربة مصر ، ولم يعد هناك مناص من محاولات عنيفة لاقتلاع هذه الجذور .

وتفانها كما شن الحكام اربابا بشعا ضد دعاة الاشتراكية فقد شن مفكرو البرجوازية حملات تستوى مهبها في البشاعة ولكن على المستوى الفكري وانهاالت الكتب والمقالات والدراسات تهاجم الفكرة الاشتراكية بل وفكرة المساواة من أسامها ، وتبث في عقول وظنوب المصريين أوهاما واكاذيب حول التجربة التي كان البلاشفة يبنونها على أرض روسيا .

بل لقد تصدى بعض المفكرين البرجوازيين لمحاولة تفنيد « المذهب الاشتراكي » وتقديم نظريات لتطويع المجتمع المصري . فعضة نفاق صريح عن الرأسمالية والبعض الآخر يتستر خلف محاولات إحياء النموذج الإسلامي .
التح .

ومن بين هؤلاء الذين شغلوا أنفسهم كثيرا بقضية « تفنيد » المذهب الاشتراكي ، اسماعيل مظهر الذي أصدر كتابا بعنوان « الاشتراكية » تعوق ارتقاء النوع الانساني ، (١) .

ويبدأ اسماعيل مظهر محاولته قائلا « نسمع بين آونة وأخرى صدى الاشتراكية يرن في آذاننا في أنحاء مصر ، نتشقق أن يكون من أثر ذلك أن تدلف بعض الجماعات في تلك السبيل بقمها مأخوذه بمزيناات تلك المبادئ الخيالية ، دون اللوقوف على حقائقها العلمية والاقتصادية ومركزها الفلسفي وآثارها الاجتماعية .

والحق أن كلمة المساواة التي نقوم عليها المبادئ الاشتراكية الشيوعية

(١) الاشتراكية . تعوق ارتقاء النوع الانساني - مجموعة مجلة العصور لنشر المعرفة والآداب - مطبعة الترقى ، سنة ١٩٢٧ .

كافة، لتأخذ بالروح وتستهبى الأنفس، كما تستهويها كلمات الشرف والفضيلة» (١). ثم يعرض اسماعيل مظهر مهاجماً فكرة المساواة ذاتها « أن ما تدعو إليه الاشتراكية من المساواة مناقض في ذاته لحقائق الكون. الأولية : مضاد لحرية الفرد وتمدحه بمزاياه ومواهبه التي وهبته ليها الطبيعة» (٢). « وليس في العالم جن شيء أبعد عن العدل والحرية أكثر تناقضاً مع بديهة العقل من التسوية بين غير المتساويين» (٣).

ثم ينحني اسماعيل مظهر ليهاجم التجربة السوفيتية، ولقد مثل هذا الهجوم محور نشاط كل أعداء الاشتراكية . ذلك أن هدم النموذج الذي بنته الثورة الاشتراكية - في العقول - هو السبيل لهدم فكرة الاشتراكية ذاتها . وأن محصل ما وقع في روسيا السوفيتية هو أنه قام في روسيا حكم الاستبداد العسكري، الشيوعي مقام الحكم القيصري المبتدع تحت طلاء من المساواة الفروضة الواقعة بالفعل . ولا يستطيع باحث اجتماعي أن يقضى في حالة روسيا القائمة اليوم بحكم فيه شيء من روح اليقين قبل أن تتجلى غمرة الغمام التي تجتازها روسيا ، وقبل أن تستقر المدفعية على أساس ثابت ، وقيل أن ينقشع عن أنفها غيبوب المجاعات التي تكساد تغنيها وتذهب بريحها» (٤) . ويحاول بعد ذلك أن يقدم انتقاده لكثير من جوانب الفكر الماركسي فيهاجم المادية التاريخية - وينتقد موقف الماركسية من الحرب ، وموقفها من الدين ، لكنه لا يثبت أن يكشف التناقض عن نفسه تماماً فيدافع عن الرأسمالية « أن الفكرة القائمة على أن رأس المال أصل الشرور الاجتماعية كلها ، غير صحيحة وإن كان لرأس المال كما هو موضوع اليوم ضلعه ونصيبه منها وإن كان تصنيا ضئيلاً تأفها» (٥) .

بل هو يعمد في موقفه فينثبث بالنظام القائم في مصر في ذلك الحين وإن البقاء على ما نحن فيه خير من استبدال نظام موروث بنظام موضوع ، لا نعلم من أمره إلا تجربة مرة وقعت في ناحية من نواحي الأرض سفكت في سبيلها الدماء ، وضحي لها رؤساء الدين قرباناً لصنم المساواة ، وعبت من أجلها: بأخص ما يمتاز به الإنسان عن الحيوان من المبادئ القويمة الخالدة، مبادئ الرحمة والعدل وحرية وما إليها» (٦) .

- ١ - المرجع السابق ص ٣
- ٢ - المرجع السابق ص ٤
- ٣ - المرجع السابق ص ٥
- ٤ - المرجع السابق ص ١٢
- ٥ - المرجع السابق ص ٨
- ٦ - المرجع السابق ص ٩

والغريب بعد ذلك كله ان اسماعيل مظهر لا يلبث ان يقوم بمحاولة لتأسيس حزب للفلاح ، وبعد لهذا الحزب برنامجا مطولا سنحاول مناقشته في فصل قادم لكننا نكتفي هنا بالاشارة الى انه قد رفع هذا البرنامج الى زعيم الامة مصطفى النحاس وفي النهاية وضع توقيعه تحت عبارة « خادمكم الطيع » (١) .

وشمة محاولات اخرى عديدة لتفنيد وانتقاد المذهب الاشتراكي من بينها كتاب السيد محمد عفيفى البقلى الحامى (٢) ، ولقد قدم البقلى في محاولته هذه مجلدا ضخما حاول ان ينتقد فيه تفصيلا كل المذهب الاشتراكية وان كان قد ركز أساسا على النظرية الماركسية وعلى نظرية القيمة بشكل خاص . ويخلص من هجومه الى النتيجة التالية : ان هذا المذهب (يقصد المذهب الاشتراكي) مهما تنوعت مبادئه في الشدة والضعف ، ومهما تنوعت آثاره وتبعاتها للمعالة في المطالب وفي السعى لقب نظام الاجتماعى الاقتصادى اى ان كان اشتراكيا بسيطاً او متضامناً ، او شيوعياً او ذوضوياً ، فانه يذهب الى خان القواعد الطبيعية غير قابلة للتغيير وأساسه الاعتراض على الملكية الفردية التى يقول عنها بانها معيبة في تكريتها وفاسدة ويجب لغزوها واستبدالها بالملكية المشتركة او الشيوعية (٣) .

وهو اذن يضع كل المذاهب الاشتراكية في كفة واحدة ويثمن عليها هجومه قائلاً ان الذى يتأخر الثروة في بعض الدول ، ان عدد الاغنياء قليل والفقراء كثير . ومن هنا يتضح جلياً خطأ الاشتراكيين حيث يزعمون بان في سلب الاغنياء أموالهم وتوزيعها بالعدل بينهم وبين الفقراء يصبح جميع الأفراد اغنياء ، وهذا وهم لا محل لاعتباره مطلقاً ونظرية فاسدة لا تحل مشكلة (٤) .

ولا يكتفى البقلى بالهجوم على الاشتراكية لكنه يدافع بصراحة غريبة عن الملكية الفردية قائلاً : وعليه فكل وسيلة تتخذ لتكون عقبة في سبيل الملكية الفردية والمجهود الشخصى مقضى عليها بالنشل (٥) . ويقول : ومن ذلك وجب علينا ان ندافع عن الملكية العقارية لاهميتها للمجتمع الانسانى لانها من رأس الانتاج والتى عليها قضاء حاجات الغذاء .

- ١ - مجلة الطليعة - مارس ١٩٦٥ .
- ٢ - السيد محمد عفيفى البقلى ، نوائد الثمرات الاحمدية في المناخات الاقتصادية والسياسية ، الطبعة الاولى - ١٩٢٥ - مطبعة المقتطف والمقطم .
- ٣ - المرجع السابق ص ٢٦ .
- ٤ - المرجع السابق ص ٢٣٤ .
- ٥ - المرجع السابق ص ٢٧ .

والذى يهتم الاقتصاد هو أن تزيد العلة بغير المستطاع لأن المسألة محدودة ولا وسيلة للوصول الى هذه الغاية الا بالدفاع عن الملكية المتنازعة للقرضية والتبول بأنها لم تكن مؤسسة فقط على حق طبيعي بل وعلى حق مدعى وعلى البسمل المطلق وعلى المنفعة العامة واذا سلمنا بأن المجتمع هو صاحب الحق على الأرض فليس له نظرا للمصلحة العمومية المشتركة بين الخلوقات الا ان يفتدب عنه في حقه من يقوم مقامه ويستطيع ان يستخرج من الأرض أكبر فائدة . ولهذه اللحظة لم نجد الا الافراد الذين يختصون بالملكية هم القادرون تون غيرهم على تحقيق هذه الغاية (١) .

... بل هو يحاول جهده تثبيت الظلم الاجتماعى الذى كانت ترسيف فيه مصر قائلا : « وذلك ولجميع الاسباب المتقدمة والانتقادات المختلفة التى لاظ ائمل تحتها نلتزم بقبول الحالة الحاضرة عن طيب خاطر ، إذ ليس في مقدورنا أن نغير القوانين الطبيعية .. وانما نجتهد بتلطيف عيوبها بواسطة الشركات وبنداخل العونة بسن القوانين واللوائح اللازمة لذلك » (٢) .

ثم يختتم دفاعه عن الرأسمالية بعبارة قاطعة : « .. واذا كان لا محل من للظلم من الحالة الحاضرة ويجب قبولها بعلاتها ، فأحسن حل للرضا بالحالة الحاضرة » (٣) .

لكننا نشهد للبطل بأنه كان بروجوازيا مصريا .. بمعنى أنه أدرك بوعيته الطبقى أن الخطر لا يأتى من الاشتراكية وحدها .. وانما يأتى أيضا من الاحتكارات الأجنبية التى تحدث عنها قائلا أنها « تخلق تضامنا مزيفاً فاسداً لأن التضامن الصحيح يذترتب عليه الاشتراك في السراء والضرء .. وبمقتضاه ان عم الخير يجب أن يأخذ كل فرد منه حظه » (٤) .

« .. » ان عم الخير يجب أن يأخذ كل فرد منه حظه « انها عبارة غريبة على هذه الدراسة التى تستند أساسا على محاولة عدم فكرة المساواة .. لكن البرجوازية كانت تحارب في جبهتين ، فهى تخشى الاشتراكية .. وهى تؤذى أيضا منافع الثراء الوفير تناسب الى جيوب الاجانب فنطالب بنصيبها منه .. »

ولسوف نكتفى بهذه الامثلة برغم وجود محاولات أخرى عديدة لبل من اهمها كتاب (كميل فلأمريون) « على اطلال المذهب المادى » وكتاب (قسطن كى ليس عطاره) « تاريخ تكوين الصحف المصرية » .. الخ . لكننا قلنا

- ١ - المرجع السابق ص ٢٦٨ .
- ٢ - المرجع السابق ص ٢٤٥ .
- ٣ - المرجع السابق ص ٢٣٤ .
- ٤ - المرجع السابق ص ١٨٩ .

هذه البدائية انبثا سنجاول فقط ان نقتحم « ملامح » لصورة العصر الذي

نتبصدي للحديث عنه . . . فلنتقل اذن الى مجال الصحافة ، والمحاولة هنا - ضغطة المغاية

الفتالات التي تهاجم الاشتراكية لا يمكن حصرها . . . ولنجاول ان نستعرض

هنا بعضا منها . . . ان الطبيعة لا تاذن بان يتساوي افراد البشر مهما بذل الاشتراكيون

المطرفون من السعي لتحقيق فكرتهم الخائفة . فوجود الخلاف بين الأفراد

والطبقات ضروري لل عمران ، ولا يمكن الاستغناء عنه بوجه من الوجوه

فاختلاف الطبقات هو المسند الذي يحدد العرائم ويستتقر مطامع البشر . . .

ثم ، نحن نختتم « مجلة كل شيء » افتتاحيتها قائلا : « الا انها لحكمة بالغة ان

تكون ايت كما ايت وانا كما انا . . . فالتشكوي من هذه الحال لا يستفيد الى

شيء من الحق (1) . . . حاولت البرجوازية ان تفرسها في العقول . . .

ويستهم احمق لصاوي متمد في المفركة هو ايضا تمقالات عديدة اخذها

بعنوان « على اطلال المذهب الشيوعي » جاء فيه « في هذه الايام كثر لغظ مكاتبي

الصحف الأجنبية بالفاخرة عن وجود حركة شيوعية بهذا البلد الامين . ونحن

لا نعرف مبلغ هذا القول من الصحة وقربه او يبعده عن الحقيقة . لكننا

نعرف ان بعض اصحاب عقول الذباب واجلام العصافير قد سولت لهم انفسهم

امرا نجوا شيئا غير قليل عن انفسهم واطفيهم وسمعة بلادهم . . .

ولعمد قريب طالع الناس رسالة مكاتب الامزام الفاضل بمدينة الاسكندرية

عن « عائلة شيوعي في السجن » وراوا الجموع التي اراقتها تلك المرأة المسكينة

جليلة السيد زوجة الشحات اليراهيم . هذا الرجل الذي كان على ما اذكر عاملا

صغيرا من عمال مضلحة سكة الحديد بالزقازيق يعيش مع زوجته واطفاله

في امان الله . لكن سعاة القرم منبتون بسوء الحظ في كل مكان . . .

« روضة وفضل شرهم من موسكو حتى مسكن لشحات اليراهيم عامل الدريسة

بمقينة الزقازيق فاصبح الماتون شيوعيا . . . اى ان شحاتنا صار رفيقا للينين

وتروتسكي وزيروفيف ويزيوس بييه . . .

فان !! كيف لشحاتنا ان يفهم ماهية الشيوعية هذه التي اكناد اوتمن

ان القائمين بامرنا ونشرها لا يكلمون هم انفسهم يفهمونها . . .

١ - كل شيء - ٢٠ - ١٢ - ١٩٣٠ . . .

حتى أي عقل يمكن أن يفهم ويهضم فهم الفوضى التي تقضى على النظام الإلهي الذي سنته طبيعة الكون والعمار للعالم منذ بدء الدهور.

فهل تفهم جليلة زوجة الشحات إبراهيم أن نظام الشيوعية يقضي بحرماتها من أولادها ويقضي بوضعهم في الملاجئ ويقضي عليهم بأن تشتغل طوال أيامها لا في أشغال بيتها والعناية بأبنائها بل في مصانع الحكومة لتأخذ تذكرة تاكل بها في مطعم عمومي في حين يكون زوجها أيضا يدايب ويعانى للحصول على تذكرة أخرى لنفسه؟

فالشيوعية تضيع سعادة البيت وتقتل حب المرأة، حب الزوجة.

والشيوعية ليست سماء تمطر ذهبا أو فضة كما يخيل للذين بغريتهم صدى الذهب الروسي المزيف، بل إن الشيوعية ليست سماء تضرر أرغفة وفراخها مكتمة.

واليك مثل ابن الشحات إبراهيم فقد يكون مريضا بالحصبة أو بالحمى ولا يستطيع المسكينة أمه ترك عملها لنذهب لرؤيته بينما يكون الطول العائر الجدد في أيدي غريبة عنه وليس يصدر أصحابها ذرة من الحب الحقيقي العميق للهول المذهي الذي لا حد له وقد أودعه الله قلب امرأة واحدة هي الأم والنظام الذي يقضي الأم عن ابنها وزوجها، كما يقضي الزوج ويشرد الأطلاق ويمحو القومية ويهضم الدين فهو نظام فاسد، بل كيف يكون نظاما وليس فيه من النظام أي شيء؟

تم يواصل أحمد الصاوي محمد مقالته متقلبا إلى موضوع آخر وهو: أمي واليني، يذكر أن لهذه الصحيفة أن تفخر بأنها أول من تصدى لخاربه تلك الطائفة الخاطئة التي كان يحمل علمها الإجماع القاسي، ذلك الشيوعي الثالث روزنتال، لكن روزنتال وما هم بدائه وأنسل رجل لحق زرع الشوك وانبعث ولم يجمعه بل أنه ترك الحصاد لابناء من وطننا السذج مثل الشحات إبراهيم وزملائه قراحوأ ضحاياها وما أنت تراهم الآن في غياهب السجن وموخر طليق.

ثم يختم أحمد الصاوي محمد مقالته الذي اختار لنشره يوم أول ماير في محرضيا الحكومة مطالبا بمزيد من العنف ولفلول من حكومتنا الوقررة السهر واليقظة المضاعفين للضرب بالحديد على أيدي دعاة البغي والفوضى.

في البلاط والنهول من وزارة معارفها الخيلة العناية بتقرير التعليم الديني
وتربية الأخلاق في المدارس (١).

ولقد تعمدت أن أبتعد في عرض هذا المقال وهو وحده كإف عرض
البحر في الفكر والنظريات السياسية لجملة العدا التي شنتها الطبقات المصرية
الحاكمة.

بل إن كتابنا من أمثال سلامة موسى قد تورطوا هم أيضا في حملات
كثيرة ، فتحت عنوان « الفاشية والشيوعية » يكتب سلامة موسى في مجلته
الجديدة :

« تمثل الفاشية والشيوعية الطرفين للخلو السياسي في أوروبا الآن .
فالفاشية غلو المحافظين والشيوعية هي غلو الإشتراكيين . ومع أنهما طرفان
خضمان فكلاهما يسير على وثيرة واحدة هي الغصب بدل الرفق ، والألتجاء الى
القوة بدلا من الانتحاء الى القوانين وكلاما لهذا السبب خطر على الأمن العام ،
ومن مصلحة الأحزاب المعتدلة - الإشتراكيين والكافطين والأحرار أن يقتاطعوا
الطرق التي يلجأ إليها كل من الشيوعيين الروس أو الفاشيين الإيطاليين
لإتباع طرق غير دستورية تعمل للوضي بدلا من النظام . » (٢)

والغريب في الأمر أن سلامة موسى نفسه كان يتعرض في هذا الوقت بالذات
الى هجمات شديدة . . . ويتحدث سلامة موسى عن بعض هذه الهجمات التي
صهرت في كتاب بغير توقيع فيقول : « تسائلت عن كاتبه في إدارة المطبوعات
فعرفت انه ابن أخ رشيد رضا الصحفي السوري المعروف الذي وفد على بلادنا
كما تقدم الطواغيت وخص نفيه بشتم الثبائن المصريين وإتهامهم بالاشيوع
والشيوعية . . . »

وبعد أن يورد سلامة موسى نماذج من الشتائم التي كالمها له الكاتب
يقول : « وهكذا بحيث أنك تحتاج الى أن تغسل يديك عقب قراءة هذا الكتاب .
وقد تناولنا مدار السوري ، المناقن بتهمة الشيوعية والدعاية لها . فوضع نفسه
بالموضع الذي يستحقه وهو موضع الجاسوس على الناس يفتري عليهم كي
يؤذيهم . »

وإذا كان سلامة موسى قد كتب هذه الكلمات في نفس العدد السابق من
« المجلة الجديدة » ، بدا واضحا لنا كيف أن العناصر الرجعية كانت تتعمق الكتاب

١ - الإهرام - ١ مايو ١٩٢٥ .
٢ - المجلة الجديدة - العدد التاسع من المجلد الأول - يوليو ١٩٢٥ -
ص ١١٤٩

الديمقراطيين والتقدميين بالاتهامات وتجاوزهم بها قد يجد البعض منهم سبيلا للدفاع عن نفسه إلا بالشاركة في نفس حملة الهجوم .

والحقيقة ان الرجعية المصرية قد استخدمت سلاح الدين استخدامها ذكيا في هجومها ضد التيار الاشتراكي فقد اكتشفت من تجربة السنوات السابقة انها مهزومة لا محالة في أي نقاش متزن حول موقف الدين الاسلامي من الاشتراكية ، وقد نجح الاشتراكيون بالفعل في اتهامها واسكات اعترافها . وهو الشيخ التمنزاتي مؤكبين ان مبادئ الاشتراكية لا تتعارض مع تعاليم الدين الاسلامي (١) .

وهكذا ركزت الصحف هجومها حول موقف الثورة البلشفية من الدين وامتلات صحف هذه الثورة بمقالات عديدة مثل « روسيا تحارب العين » (٢) « القضية التركستانية - تعاضد الشعوب الاسلامية في محاربة البلشفية » (٣) ودعوات كثيرة تستنهض همم المصريين للدفاع عن مسلمي الاتحاد السوفييتي . ولعل أهم هذه الدعوات ذلك الكتاب الذي يحمل عنوان « مذكرات » القادري (٤) .

والقادري شخصية غريبة يقول عن نفسه انه « كودي الاصل قبل كل شيء » . ومسلم بعد ذلك « (٥) » .

وقد شارك في قيادة الجيوش البيضاء ضد الثورة البلشفية وتولى قيادة احد هذه الجيوش برتبة « مييجر جنرال » وقد صدره اعداء الثورة لهذه القيادة كسبيل لمجع مسلمي الشرق الاقصى ضد الثورة البلشفية ، وتولى « القادري » بعد ذلك وظيفة « المفتش العام لحكومة كردستان الجنوبية » حتى عام ١٩٢٢ . ومع توالي هزائم الجيوش البيضاء هرب القنادري مفادرا الاراضي السوفيتية وعلى الحدود قبض عليه الحرس الاحمر ليجد معه ثروة مقدارها « نحو ألف ليرة ذهبيا وعقدار خمسين ألف روبل قيصري » (٦) ولكنه استنطاق الهرب ليعود الى بغداد ليكتب مذكراته هناك . وتستهدف كل صفحات هذا الكتاب تعبئة الشعور الاسلامي ضد

- ١ - لمزيد من التفاصيل راجع - د . رفعت السعيد - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - المرجع السابق - ص ١٩٠ وما بعدها .
- ٢ - المجلة الجديدة - يوليو ١٩٣٠ .
- ٣ - السياسة الاسبوعية - ٢٥ يوليو ١٩٢٧ .
- ٤ - الميجر جنرال صديق رسول القادري - مذكرات القادري - نقله الى العربية القاسم العنوي - طبع على نفقة محمود حلمي صاحب المكتبة المصرية .
- ٥ - المرجع السابق ص ٢٥٨ .
- ٦ - المرجع السابق - ص ١١٢ .

البلانسية ومعه يختتم مذكراته - فبذرة تصفحة تغزلها - وكلمتي - الأخيرة - يقول فيها :

نيتي أولم تكن إحدى هذه الصناعات المنادية التي وردت لخذ الآن لتخيني عن اعزيتي وتفتي همتي وتحوطني عن غايتي ومسلكتي - بل - ازال - يعتمدا على نفسي - واثني مستعد اندا - لاكمال الخدمات التي بدأت بها في روسيا بقصد اعتماد مسلميها ولا ازال مؤمنا بظهور حكومة روسية شرعية في المستقبل - تعترف للقائار - بفتحهم - وما فنتت - مستعدا لترويج رأي - فكتيرة قومية او حركة وطنية تحدث في روسيا بقصد تأسيسها - روسيا المفتلة - التي لا يفرق قطعا بين النثار وبين ابناءها البررة - كما نفي - لا ازال منظرنا بكل جورحي لأي فداء يدعو الي حمل السلاح ضد البلشفية في روسيا - ومستعدا تمام الاستعداد للرجوع الي قيادة جنودي اليواصل (١) -

بسدوالثقيقة - ان - يقظة الرجعية المصرية واهتمامها بالبحث عن مثل هتة الكليات ونشره في مصر - امر يثير الدهشة ويوضح لنا عتف وعمق خربا الدعاية التي شنتها ضد الاشتراكية -

نية - لكن - الامر لم يقتصر على قضية الدين - هناك مسألة الاخلاق والزواج وما نسج حولها من اكاذيب ومقالات مدل - فوضي الزواج في روسيا - ورجوعنا بتعدد الأزواج والزوجات - تحرية خطيرة تهدد النظام العمراني (٢) -

وحمالات أخرى تصور البلاشفة في صورة جزارين سفاحين - فالشبابية الاشتراكية تنشر مثلا صورة تكتب تحتها الكلمات التالية - جزاز البشرية - فاضروا اسمالوقا رئيس الشناقين البلشفيين في قومازيا ويبلغ عدد الذين شنقوا ببديه ٢٨٥٤ نس في مدة وجيزة (٣) -

واللطائف المصورة تنشر خبرا يقول - وفاة جلد البلاشفة - جاء في الانباء من موسكو بان شابين جلد حكومة الشوفييت السابق ماتا - وكانا عدد من اعدوا بيدي هذا الجلد خمسمائة شخص وقد اشقوا بقتل المحكوم عليهم بعمار ناري واحد (٤) - وتحت عنوان - من مظالم الشيوعية - تقول مجلة - كل شيء - - ويخطئ من يحثن الظن بالشيوعيين الروس ويستنعم الي تفنيهم بخيال الةم الكاذبة فان الواقع الذي دلت عليه الحواث انهم مثل

- ١ - الرجوع السابق أض ٢٥٦ -
- ٢ - الشبانة الاشتراكية - أغسطس ١٩٢٧ -
- ٣ - الشبانة الاشتراكية - أغسطس ١٩٢٧ -
- ٤ - اللطائف المصورة - ١٤ فبراير ١٩٢٧ -

القاصرة ظلما وعتوا بل هم أشد منهم فتكا بالشعب الروسى المسكين» (١) .
ومقالات عديدة أخرى تستهدف تقديم صورة وحشية وبشعة عن تلك
الثورة التى تنبأوا لها بالانهيار . فتحت عنوان « هل اذنت شمس البلشوية
بالأقول » تؤكد السياسة « لا ريب فى اننا اليوم نشهد احتضار النظام
البلشوى » (٢) .

وإذا كان اعدام العاملين ساكو، وفانزيتى بأمرىكا قد اثار موجة استياء
فى اوساط عديدة من العالم فان هذه المسألة قد استخدمت هى ايضا فى
الصحافة المصرية كمادة للهجوم
فتحت عنوان « مسالة فانزيتى الغرامية . . ما الذى يجعل المرء شيوعيا »
تروى « السياسة » قصة نسيبها الي أخت فانزيتى تقول « انه لاجب فتاة
لكن اخوتها اجبروها على دخول الدير حيث ماتت »
ثم تستخلص « السياسة » من هذه القصة النتيجة التالية « ومنذ
تلك اليوم تحول قلب فانزيتى الى حجر صلد واعلن الحرب على المجتمع ونظمه
المقرر » (٢) .

والشئ الهام الذى اريد ان اذنت نظر القارىء اليه . هو اننى اکتفى
دوماً بمجرد أمثلة قليلة . ذلك ان حرب الدعاية كانت اوسع واشمل من ان
تدرس تفصيلا فى مثل هذه العجالة .
لكننا فقط نحاول ان نشير الى اتساع هذه الحرب والى منطلقاتها
الاساسية .

ويهمنا ان نلاحظ مسألتين هامتين
* ان الرجعية المصرية التى تظاهرت فى البداية بانها ضد التطرف . . .
وانها لا ترفض « الاشتراكية المعتدلة » قد انتزعت فرصة التراجع الذى عانت
منه حركة اليسار المصرى لتسفر عن وجهها لترفض أى نوع من أنواع
الاشتراكية ، بل وترفض فكرة المساواة ذاتها وتؤكد فى سفور تمسكها
بالنظام الرأسمالى كما هو « أن تكون أنت كما أنت ، وأنا كما أنا ، فالشكوى
من هذه الحال لا يستند الى شئ من الحق »
* ان الرجعية المصرية فى حربها ضد الاشتراكية قد ركزت نيرانها على
النموذج السوفيتى محاولة هدمه فى العقول والقلوب كسبيل لاقتناع الجماهير
بفشل الاشتراكية فى التطبيق
لكننا مع ذلك نخطئ لو تصورنا ان الرجعيين كانوا وحدهم فى ميدان
الدعاية فلسوف نشهد فى فصل قادم كيف نجح اليسار المصرى فى شن حرب
دعاية مضادة حققت نجاحا ساحقا

- ١ - كل شئء والدنيا - ٢٠ فبراير ١٩٢٢ .
- ٢ - السياسة الاسبوعية - ١٨ فبراير ١٩٢٨ .
- ٣ - السياسة الاسبوعية - ١٠ سبتمبر ١٩٢٧ .

خادم للعمال على تعيين مزاياهم السياسية ونزعاتهم الحزبية واختلاف
معتقدهم الدينية» (١)

لكن مصطفى ابو هرجه ما لبث ان اعتقل واعلقت دور الاشتراك
بالاسكندرية ومختلف المدن وغرقت صفحات الجرائد في حملات معادية
للحزب ونشاطه وسط العمال

وزيدت اسهمت جريدة الاهرام في تدبير المؤامرة والاعداد لها منذ البداية
نشرت تقول «حقا اننا لا نحري كيف تتعامل الحكومة وجود حركة اشتراكية
حادة بين الريف العمال في مدن القطر المصري ، مع ان الواقف على سيز الاحوال
يرى ان هذه الحركة اخذة بالنمو» (٢)

ومرة اخرى تسهم الاهرام في حيك المؤامرة تقول «انفجرت الحركة
الاشتراكية الملحة بالشيوعية في هجين اليومين في الاسكندرية انفجارا قويا
حمل الحكومة على المبادرة الى معالجتها والاستعداد لقمعها بالثوة المسلحة
اذا قضت الحال » ثم تضى قائله « اننا نرجو ان تتخذ وزارة الشعب
التدابير اللازمة لمنع تكرار ذلك » ان لعمال حقوقا يجب ان تصان ولكن
لهذه الحقوق حدودا يجب الا تتجاوزها واذا كانت الصحافة قد عطفت عليهم
فانه لا يسعها اليوم الا ان تحذرهم من عواقب الميل الى الشيوعية والتشبع
بالمبادئ المتطرفة» (٣)

واستجابت « وزارة الشعب ! » لنداء الاهرام وخاضت المعركة ضد
الحزب وضد اليسار الى اقصى مداها
ولقد بذل الوفد كل ما لديه من نفوذ سياسى وقومى في الضغط على
التقايبات المختلفة للتخلص من قادتها اليساريين

ونزل الوفد بكل ثقله في هذه المعركة ، فسعد زغلول بكل ما لزغامته
القومية من تأثير اسهم شخصيا في توجيه نداءات للعمال تفادهم « احتزام
ملكية الغير » والا « فانهم يعاملون معاملة الناصيين الخارجين على
القانون» (٤)

واسهم كبار قادة الوفد في هذه المعركة ايضا . . . كذلك اسهمت فيها
كل التنظيمات الوفدية الجماهيرية مثل لجان اللطبة الوفديين وغيرها

- ١ - الاهرام ١٠-٢-١٩٢٤
- ٢ - الاهرام ١٧-٢-١٩٢٢
- ٣ - الاهرام ٢٥-٢-١٩٢٤
- ٤ - الاهرام ٥-٢-١٩٢٤

وتنشر الأهرام: عقدت لجنة الطلبة بالاسكندرية سلسلة اجتماعات
لتنظر في مساعدة الحكومة على مواجهة حركة العمال ببيت ربح السكنية بينهم
لكي يكتفوا عن الاضراب ويعولوا على عطف الحكومة والبرلمان (١).

وقد تركزت الحملة الوفدية في بداية الامر على محاولة ابعاد القادة
اليساريين عن مراكز القيادة في النقابات وانهمك رؤساء لجان الوفد في المدن
والاقليم ومختلف التنظيمات الوفدية لانجاز هذه المهمة.

وتنشر الأهرام: عقدت نقابة عمال شركة ايجولين اجتماعا امس وكان
الغرض الاهم من هذا الاجتماع تنصل النقابة عن سياسة الشيوعية التي
كانت لجنقتها الادارية السابقة تتبعها وقد حدث هذا التنصل وغيرت النقابة
قانونها واختارت لها رئيسا جديدا يقودها في طريق العمل المفيد (٢).

وقد شملت هذه الحركة عديدا من النقابات مثل نقابات عمال الصناعات
النيتوية والنزام والياه وعلب الكرتون والمنجدين بالاسكندرية الخ (٣).

لكن الخطوة الاكثر خطرا كانت القرار الذي اتخذه سعد زغول بان يدخل
حزب الوفد ميدان العمل النقابي مقدما من بين اعضائه قادة للحركة العمالية.

وهكذا كانت المرحلة الاولى هي مرحلة اغلاق الباب في وجه اليسار
وبعد ذلك اتت المرحلة الثانية وهي فتح الباب للبرجوازية كي تقود الحركة.

ولم يكن من قبيل الصدفة النخلة ان يلقي القبض على قادة الحزب
في ٢ مارس سنة ١٩٢٤ ثم يعلن الوفد تانسيس « النقابة العامة للعمال »
في ١٥ مارس ١٩٢٤ ثم تحولت هذه النقابة فيما بعد الى اتحاد عام للعمال.

وقد بلغ من اهتمام سعد زغول بالامر ان اوكل هذه المهمة التي واخذ
من اكتاف القادة الوفديين واكثرهم قدرة على التنظيم وعلى العمل بين الجماهير
عبد الرحمن فهمي صاحب السيد الطولي في كل التحركات والتنظيمات
الوفدية التي صاحبت ثورة ١٩١٩ وسكرتير لجنة الوفد المركزية.

بل ان سعد زغول خاض المعركة بنفسه - ايضا - وخطب اكثر من
مرة في الاجتماعات العمالية معلنا ابتهاجه بتوجه الوفد الى التجمعات العمالية
متملقا العمال ما يستطيع.

-
- ١ - الأهرام ٢٧-٢-١٩٢٤ .
 - ٢ - الأهرام ٩-٩-١٩٢٤ .
 - ٣ - عبد العظيم رمضان . تطور الحركة الوطنية في مصرية دار الكاتب
العربي عام ١٩٦٨ ص ٥٤٥ .

خبري - وفي خطبة له في حفل اقامته نقابة عمال شركة السبك الحديدية
وواحات عين شمس يوم ٤ يوليو ١٩٢٤. قال في خطبة له ...

بنيي! افرح كثيرا واسر كثيرا كلما شعرت ان هذه الحركة ليست فيما
يسمونه بالطبقة العالية فقط ، بل هي على الاخص في الطبقة التي اسمائها
حسادنا « طبقة الرعايا » وافتر بائي من الرعايا مثلكم . ويمضي سعد
زغول قائلا : « طبقة الرعايا » هي الطبقة التي ليس لها صالح خاص والتي
هيدوما ثابت على النول . . . هذه الطبقة لا تسعى وراء وظيفة تنالها
ولا منصب تحل فيه . . . ولا يبهر نظري ولا يطرب سمعي أكثر من أن أرى
رجلا فقيرا لا قوت عنده ينادي « يحيى الوطن » وليس يطمع في شيء إلا ان
يعيش كما هو ، ولكن ذلك الرجل صاحب الاموال وذلك الموظف في المنصب
العالبي إذا قال يحيى الوطن فانما يقول « يحيى وظيفتي أو مصلحتي » . ولذلك
رأيت كثيرا من أرباب تلك اصالح ومن ذوي الوظائف تقبلوا أو تغيروا ،
ولكن الرعايا أمثالكم ما تغيروا ولا بدلوا عقائدهم .

ثم يوجه سعد زغول مديحه لعبد الرحمن فهمي وحسن فامع مثنيا عليهما
ه ثناء جميلا ، لما اتقياهم من النصائح العالية ، وما أوصياكم به من
التمسك بالصدق وحسن المعاملة والوفاء والطاعة وحسن النظام . نعم ان
تلك الصفات لازمة لكم لزوما أكيدا . . .
وعكده يحدد سعد زغول مطالبه تجاه حركة العمال ، الصدق . . . حسن
المعاملة . . . الوفاء . . . الطاعة . . . حسن النظام . . .

وهي الى جانب أنها الفاظ أخلاقية عامة إلا أنها إذا قدمت من رئيس
الحكومة - في ذلك الحين - فان كلمات مثل الطاعة وحسن النظام تحمل
معان ذات دلالة خاصة وإذا شفعها سعد زغول بشروط هامه فاذا برجتم
علي النوال الذي ربيتم لكم فإن الحكومة التي هي حكومة الشعب
تساعدكم (١)

وفي ١٨ أبريل ١٩٢٤ صدرت مجلة عمالية وفدية باسم « العمال »
وهي مجلة نصف شهرية رأس تحريرها محمد متولى شويلم . . .
وفي ١٢ يونيو ١٩٢٤ تصدر مجلة وفدية عمالية أخرى اسمها (اتحاد
العميان) وتراش تحريرها نجاة عبد العزيز . . .

١ - آثار الزعيم سعد زغول - عهدة وزارة الشعب - جمعها ورتبها محمد
إبراهيم الحريزي - الجزء الأول - نوفمبر ١٩٢٧ - الطبعة الاولى - ص ٢٤١ .

ومكذا خيل للوفد أن المرشح قد تهيأ لكي يتولى قيادة الحركة العمالية .. فماذا كانت النتيجة ؟

وما هو موقف جماهير العمال من سياسة إغلاق باب اليسار وفتح الباب أمام قيادة البرجوازية ؟

التدبيرات الخطوة الأولى وكأنها تحقق نجاحا كبيرا ..

فالعمال الذين حل اتحادهم العام ، كانوا لا بد ساعين الى تأسيس اتحاد جديد ، وحتى الكوادر اليسارية التي كانت لا تزال طليقة ركزت اهتمامها على تكوين وحدة عمالية صلبة تواجه المد الرجعي الذي صاحب الحملة ضد اليسار .

ولا شك ان اسهام الوفد في عملية تكوين الاتحاد قد جذب اليه كثيرا من القوى التي كانت تتخذ موقف التردد .

كذلك فقد كان عبد الرحمن فهمي ، يقوم بهذه الخطوات في ظل مباركة حكومة الوفد .. وكان يتحرك في مراكب ثمنه حكومية .

وفي حفل افتتاح فرع الاتحاد بالفيوم حضر الحفل محمود بك صبيحي مدير تخطيط المن بمصلحة التنظيم ومندوب الحكومة في النقابات وحضره الاستاذ حسن نافع عضو مجلس النواب وعبد الستار بك الياضل وعلى بك نجيب عضوا مجلس النواب .. وحضر الحفل كذلك بسعادة مدير الفيوم وحكمदार البوليس وكبار الموظفين .. وقد قضى الضيوف ليلتهم في سراي سعادة المدير (١) .

والحقيقة ان البداية كانت مشجعة جدا .. فالنقابة العامة التي تأسست كخطوة أولى لتأسيس الاتحاد العام ضمت بعد ثلاثة اشهر من اعلانها ١٢٠٠٠ عضو (٢) ثم تضاعفت الارقام سريعا عندما تأسس الاتحاد العام .

وتتضح صورة النجناح الذي تحقق من الخطاب الذي القاه محمد أنقدي فؤاد سكرتير الاتحاد العام بمناسبة تأسيس فرع الاتحاد بالاسكندرية (تحت رئاسة محمد بك جسيب نقيب المحامين) .. وقد جاء في هذا الخطاب ان الاتحاد يجمع بيننا ومائة نقابة تضم نحو مائة وخمسين ألف عامل ..

١- اتحاد العمال ١٦ - ١١ - ١٩٢٤ .

٢- اتحاد العمال ١٢ - ٦ - ١٩٢٤ .

فضلا عن الجهود التي لا يزال يبذلها العمال لتوحيد كلمتهم للانضمام للاتحاد وينتظر ان تتكون ١٠٠ نقابة أخرى في وقت قريب .

وقال محمد فؤاد : ان هذا النجاح العجيب كان ابن شهرين فقط . (١) لكن ماذا فعلت قيادة الوقت بهذه الألفين المؤلفة من العمال ؟ لقد حاولت معها نفس القصة القديمة اغلاق باب وفتح باب آخر . وهكذا تركزت الحملة الأسبوعية داخل صفوف لاتحاد انعام لاغلاق الباب في وجه اليسار

واتخذت حملة اغلاق باب اليسار اشكالا متعددة ، مقالات وخطب وجملات تطهير في النقابات . . . الخ .

وفي مجلة اتحاد العمال وهي المجلة الرسمية للاتحاد يكتب محمد فؤاد : سكرتير الاتحاد مقالا يقول فيه : دفع الطيش بعض الشبان الذين لا خلق لهم بالاسكندرية وغيرها من المدن الى اعتناق مذهب الشيوعية واحتالوا بهذا الخبث على العمال ، فنفثوا هذا السم وكاد هذا الداء العضال ان ينتشر في هيكل الأمة لولا ان تفيض الله بعض رجال الحكم من قوى النخبة فاعتقلوا هؤلاء الشبان الآثمين وزجوا بهم في اعماق السجون جزاء ما منحته ايديهم وما جنوه من الذنوب . . .

ثم يواصل حديثه موضحا حقيقة الدور الذي يلعبه هو وعبد الرحمن نهمي وكل لاتحاد العام (الوفدي) . وقيض الله في هذا الطرف العصيب للعمال سعادة عبد الرحمن بك نهمي زعيم العمال فابتغبلهم من هذه الهرة التي كادوا ان يقعوا فيها . (٢)

وفي افتتاحية العدد الاول من مجلة العمال (الوفدية) يكتب رئيس التحرير قائلا : واجب العمال ان يتضامنوا ويقالفوا تحت لواء واحد وزعامة واحدة وأن يطرقوا باب الإصلاح بالطرق المشروعة والحكومة ذنوبها لا تقصن عليهم فيما يطلبونه ما دام في دائرة العقول . . . بيد أن من يتعجلون الإصـور لا يتفكرون معنا في الرأي ويحاولون الطهارة وهي مجال . وهم مع اخلاصهم يندفعون انديفاعا يجاكي التيارات الجارفة ولا يقبلون التأنى والتريب فيما يقدمون عليه وهذه حال لا تشر أصحاب المدارك ومن ذلك نرى أعمال ميكرة .

١ - اتحاد العمال - ١٦ - ١١ - ١٩٢٤
٢ - اتحاد العمال - ٢١ - ١٢ - ١٩٢٤

قد تضطر ولاية الامور حتى في العهد الدستوري الى كبح جماح الخارجين على
القانون والنظام» (١)

لكن اغلاق الباب في وجه اليسار كان مجرد خطوة لا بد ان يتبعها خطوة
اخرى تستهدف بث الفكر البرجوازي في صفوف العمال . ولقد بذل
عبد الرحمن فهمي (زعيم العمال - كما اسمى نفسه) كل ما لديه من جهد
في محاولة ابراع هذا التجمع العمالي من اى محتوى ثورى وطلانه بطاوة
مفتخل غاية الاعتدال تهيئ عليه الافكار البرجوازية .

وفي خطابه في افتتاح فرع الاتحاد بالقيوم يتساءل عبد الرحمن فهمي
« ما هو النجاء والمال ؟ وما قيمتهما ؟ هما زائلان بزوال الزمن فانسان مع
العسر ولا يبقى الا العمل الصالح والذكرى الطيبة . ان العامل الذى يطمع
ميرما بيد اصحاب رؤوس الاموال بلا حق انما يسمى لثمار بلاده وخراب
سوقها الإقتصادي . فاننا في حاجة ان نثبت للعالم ان العامل المصرى
متمسك بحقه فقط ، فلقد قبلت زعامتكم لادافع عنكم واجمى مصالحكم فلا
تنتظروا . منى ان نحاول الحصول لكم على اكثر من حقوقكم ، فانى كما
ادافع عنكم وعن حقوقكم ادافع عن حقوق الشركات معكم ولو لم تكفىنى مى
بتلك . ان حماية مصالحها صيانة لصالح بلادنا التى نتحت صدرها للاجانب
لتتفقد منهم ويبتغوا من لانهم ضيوفنا ولقد اشتهرتكم باكرام الضيف »

ثم يمضى عبد الرحمن فهمي قائلا « واعلموا ان هؤلاء القوم الذين يقولون
ان العامل يشتغل طوال يومه وليته باجر زهيد بينما صاحب زابى المال
يكسب الذهب ، انما هم قوم يفيدون العقول والعقائد » (٢)

ولكن الامر لم يكن مجرد خطاب جوفاء ، العمل الصالح والذكرى الطيبة ،
فقد اثبت الاتحاد العام (الوفدى) انه كان أداة برجوازية لفرض الاستسلام
على اى تحرك عمالى ولشل كل محاولة ايجابية يتخذها العمال سبيلا
لتحقيق مطالبهم .

وعندما اضرِب عمال فابريكة المعصرة توجه اليهم عبد الرحمن فهمي
طائفتا منهم تفويضه في « كل الاشكال » وما ان منحه العمال هذا التفويض
حقى اصْحَر اليهم ازمزهم « بغض الاضراب والعودة الى العمل » .
لهم وتقول مجلة « اتحاد العمال » ان « العمال فقد قبلوا ذلك التصح الغالى
بالمطاعة الواجبة » .

١ - العمال - ١٨ - ٤ - ١٩٢٤

٢ - اتحاد العمال - ١٦ - ١١ - ١٩٢٤

الساذجة عن الصيرفة وود القناعة . و . العمل الصالح ، و . وكرام الضيفه
... الخ .

لكن الصراع الطبقي العنيف الذي كانت تموج به مصر ، والنضال
الاستقلالي الشيع الذي مارسته الراسماليون المصريون ، والاجانب على السواء ،
حفز العمال الى نضال طبقي كان لابد لقيادة الوفد ان تنفت ضده
وكذا ، وكما تجمع الوقت العمال شريفا حول قيادة الاتحاد العام
الوطني ، انفضوا شريفا .

ومن بين ... ٢٥٠ عامل ضمهم اتحاد العمال الخاضع لنفوذ سعد
زغول لم يبق سوى ١٣٠٠ في عام ١٩٢٧ ، وفي بعض النقابات تسربت
المعضوية بنسبة ٦٠ أو ٧٠٪ وكذا فقدت مقومات استمرارها ، (١)
وما ان اعتقل عبد الرحمن فهمي في حادث مقتل السرदार ، وما ان جاء
زيور الى الحكم خلفا لحكومة الزويد حتى انهار هذا الاتحاد من اساسه
واختفى من ذاكرة التاريخ مسجلا الفشل الاول والصارخ لمحاولة البرجوارية
لقيادة النضال الطبقي للعمال .

وفي الوقت الذي كان الشيوعيون والنقائيون اليساريون يهاجمون هذا
الاتحاد (الوئدي) ويسمونه « الاتحاد الاصفر » (٢) كان الرجعيون وسلطات
الاجتلال يعارضونهم ايضا - جهود الوفد لكتيب نفوذ العمال .

فجريدة الاجيبيان جازيت (القاطنة باسم سلطات الاجتلال) هاجمت
هذا النشاط الوئدي وحاولت التشكيك فيه « لان حركته لا تحددها الغيرة على
مصالح العمال ولا يديرها عمال - ولان فرض المشروع هو خدمة صالح اولئك
الذين وكثروا لاسباب مختلفة ان الطريق العادي للتقدم محدود امامهم ،
فاخذوا في البحث عن وسائل اخرى تمكنهم من خلق مراكز تخدم اغراضهم
السياسية » (٣)

وربما كان الإصرار أكثر ذكاء ، عندما أدرك أهمية ان يسيطر الوفد على
زمام حركة العمال فرد على الاجيبيان قائلا :

(1) The Labour Monthly - vol. 10 - No5 - May 1923.

(2) Zaki Badaoui- les Problemes du travail et les organisations ouriers
P.235.

(3) The Egyptian Gazette 19.4.1924.

« إن العمال في كل بلد محتاجون لمن يأخذ بيدهم في كل طور من أطوار
الانتقال من عهد عتيق إلى عهد جديد » ، وقال إن هذه الجريمة ترمى إلى
« إيجناد جو هادي » ، يعيشت التعامل فيه مطمئن البال راضى النفس بعيداً عن
الفوضى والعبث بالنظام » (١) .

لكن الرجعية المصرية ظلت على الدوام في حذر شديد من أى نفوذ وفدى
وسط، صفوف العمال المنظمة وربما نجح خوفها من أن يؤثر مثل هذا التلاحم على
المحتوى الطبقي والنضالي لحزب الوفد ذاته .

وفي فترة لاحقة - يناير ١٩٣٥ - عندما قرر الوفد بناء على تقرير
تقدم به عزيز مبرم انشاء المجلس الاعلى لنقابات برئاسة حمدي باشا
سيف النصر ، واجت الدوائر الاستعمارية والرجعية ودوائر اتحاد للصناعات

ونشرت الديبلي تلجراف برقية لراسلها في القاهرة جاء فيها « أن قرار
الوفد بانشاء مجلس أعلى لتنظيم اتحاد العمال بعيد في نظركم أهم تطور
سياسي وقع في مصر منذ عام ١٩٢٢ . لقد أنشأت الحكومة مكتبا للعمل
والعمال وقام هذا المكتب بتنظيم حالة العمال تدريجيا على قاعدة سياسية
ولهذا يعد ما قرره الوفد من انشاء مجلس أعلى للعمال بمثابة سعي منه
لاغتصاب سلطة الحكومة وبعبارة أخرى يمكن أن يقال أن الوفد يتحدى
وزارة نسيم باشا » (٢) .

وتحركات الرجعية المصرية أيضا فوجئه اسماعيل صدقي رسالة الي
نسيم باشا رئيس الوزراء جاء فيها « ان الوفد بقيامه بانشاء مجلس أعلى
لعمال إنما يهدف الى اتخاذ طوائف العمال أداة يستغلها في أغراضه
السياسية » (٣) .

وقد اعتبرت الحكومة بالفعل لقرار الوفد هذا « . . . ويشير « البلاغ » الي
ذلك قائلا « اهتم ولاة الامور بوزارة الداخلية بالقرا الذي أصدره الوفد المصري
منذ يومين بانشاء مجلس أعلى لاتحاد العمال . وقد اتصل بي ان مستر
جريفز مدير مكتب العمل رجع اليوم الي صاحب الدولة محمد نسيم باشا وزير

١ - الاهرام - ٢٢-٤-١٩٢٤ .

✳ تولى الرئاسة في البداية عباس حليم ولكنه ما لبث ان تنحى تحت
ضغط مستر جريفز مدير مكتب العمل .

٢ - ١٢-٢-١٩٣٥ .

٣ - عبد المنعم الغزالي - تاريخ الحركة النقابية المصرية - دار الثقافة
الجديدة - الطبعة الاولى ١٩٦٨ ص ١٨١ .

الداخلية مذكورة بشأن هذا التمرار . . . وقد قابل حسن بك رفعت (وكيل وزارة الداخلية) صاحب الدولة نسييم باشا صباح اليوم مقابلة دامت أكثر من ساعة ونصف . والمفهوم أن مسألة العمال كانت موضوع الحديث بينهما (١) .

وهكذا ارتكبت الرجعية وسطات الاحتلال الخماقة الكبرى ، فلقد كان الوفد بطبيعة موقفه اليساري وتركيبه الطبقي ومنطلقاته الوطنية هو الحزب البرجوازي الوحيد المؤهل لأن يلعب دورا في صفوف الطبقة العاملة . . . وكانت الحرب التي شنت ضده في هذا الصدد أشهر لافلاس منسحق لاية محاولات اصلاحية أو برجوازية للتسبل لصفوف الطبقة العاملة والتاثير فيها تاثيرا شتالا . . .

وعلی أية حال فلم يكن الوفد هو الحزب الوحيد الذي حاول أن يلعب دور القائد البرجوازي لجمهير العمال - اذا أنه يبدو أن الغياب المفاجي ، لكي ادر اليسارية عقب حل الحزب في ١٩٢٤ ونتيجة للملاحظات المستمرة ضدهم قد اعطى انطباعا بان ميدان العمل النقابي قد أصبح مستباحا لأي انسان . . . وهكذا تشددهم جميع القوى تحاول أن تكسب لنفسها مكانا في موقع القيادة التالي . . .

وحتى عناصر مثل د . محجوب ثابت حاولت هي ايضا ان تلعب دورا فاشلا في تكوين اتحاد عمالي بعيد عن السياسة وبعيد عن الأحزاب . . .

ومحجوب ثابت واجد ممن ايهموا في الحملة المشعورة ضد اليسار في عام ١٩٢٤ ، وفي ١ مارس ١٩٢٤ اصدر بياننا يعلن فيه « براءة سائر أعضاء نقابته (نقابة الصنائع اليدوية) من الشيوعية » ويؤكد من ناحية اخرى « انه يعطف كل العطف على مطالب العمال العادلة تحت لواء السلم » (٢) .

وعندما ناقش البرلمان موضوع منع الناخبين الانجليزى الشيوعى سنكلانقلا من دخول مصر كان موقفه استمرارا للموقف السابق فطالب الحكومة بمنعنه من الدخول (٣) .

وقد نشط محجوب ثابت في عام ١٩٢٧ محاولا تأسيس اتحاد للعمال بعيدا عن الاحزاب ووجه نداء للعمال جاء فيه . . .

١ - البلاغ ١١-٢-١٩٣٥ .
٢ - امين عز الدين - شخصيات ومراحل عمالية - كتاب الجمهورية - ص ٢٧ .
٣ - راجع نص مضبطة مجلس النواب - بالملاحق .

« أيها العمال : جانبوا الأحزاب لمصلحتكم ومصحة وطنكم ، ولا تكونوا
خطايا للأشخاص ، أخدموا الزعماء والمترجمين وسامرتهم المستغلين .
لا تتحزبوا بل تقفوا من الأحزاب موقفا سلبيا » (١) .

وإذا كان ظاهر الكلمات هو عزل العمال عن حزب الوفد ، فقد كان
أساس الدعوة لابعاد العمال عن السياسة والأحزاب هو محاولة عزل العمال
عن أدراك دورهم الفصالي والطبقي وحصر كفاحهم في إطار المطالب
الاقتصادية وحدها .

وإذا كنا لا نملك الحق في تقييم دور رجل كمحجوب ثابت في عماله
كهنه ، فإننا نكتفي بأن نشير إلى علاقاته الوثيقة بإسماعيل صدقي وأن
صدقي هو الذي عينه كبيرا لأطباء الجامعة ثم عينه مستشارا لمكتب العمل ،
بل لقد رشحه لعضوية النواب عن دائرة بولاق بعد مذبحه عمال العنابر
وإن كان محجوب قد تخرج من ذلك الترشيح واعتذر عنه (٢) .

ويكفي أن محجوب ثابت وصف إسماعيل صدقي بعد كل ما ارتكبه
من جرائم في عام ١٩٢٠ بأنه « الرجل الوطني الشديد في وطنيته ، للقوى
انمراضية ، الصعب المراس ، البعيد النظر ، والربان السياسي الماهر » (٣) .

لكن محاولة محجوب ثابت لم تكن المحاولة الوحيدة ، كما أن فشله
لم يكن الفشل الوحيد .

فهناك محاولات أخرى عديدة قام بها أشخاص مثل عزيز بك ميرهم
(الوفد) داود راتب بك (الأحرار الدستوريين) إدجار جلاذ باشا (السراي) (٤)
لكنها باءت جميعا بفشل ذريع مسجلة أن الحس الطبقي المرف لجمياهير
العمال المصريين كان أعمق من أن يضلل بقيادات برجوازية . . .

وكانت هناك أيضا تجربة عباس حليم وهي تجربة طويلة مرت عبر
عديد من المنحنيات وأسهمت فيها قوى مختلفة من بينها كوادر اليسار التي

- ١ - أمين عز الدين - المرجع السابق ص ٣٤ .
- ٢ - ننتفضيل راجع - رؤوف عباس - الحركة العمالية في مصر ، دار
الكتاب العربي - ص ٧٨ وما بعدها .
- ٣ - صالح علي عيسى السوداني - الاسرار السياسية لاباطال الثورة
المصرية وآراء الدكتور محجوب ثابت - شركة فن الطباعة (دوت) ص ٢٠٨ .
- ٤ - رؤوف عباس - المرجع السابق - ص ١٤٣ .

حاولت أن تؤيد ديموثرياس خليم كطريق للدعوة لخلق حزب سياسي للطبقة
العمالية (١).

وعلى أية حال فإن تجربة ديموثرياس خليم قد عانت حتى الأخرى من
فشل ذريع

وهكذا وبمعد جهود مستمرة ومتعددة بخلتها قوى وتيارات برجوازية
عديدة للسيطرة على الحركة العمالية المصرية ابتداء من عام ١٩٢٤ وحتى
نهاية الثلاثينيات يأتي مطلع الأربعينيات ليجد الحركة العمالية وهي متجهة
من جديد نحو اليمين ولا تكتفي بأن تفرز قادة وكراد عمالية ونقابية
وأفكاراً فُرزت أيضاً كوادراً سياسية يسارية

* * *

وبالحقيقة أن الحركة العمالية لم تتعرض فقط في هذه الفترة لتحاولات
من الغزو الطبقي الخارجي للتسلط على قيادتها، وإنما تعرضت أيضاً
لهزوات فكرية عديدة حاولت جهد الطاقة انزعج التحرك العمالي من مضمونه
السياسي والطبقي

وقد شارك في محاولات الغزو هذه كتابا وصحفيون ومفكرون عديدون
لكننا سنكتفي بتقديم بعض النماذج التي تقدمت للعمال في صورة
النصح المختص والمؤيد المتعقل

فعمداً أُضرب عمال النسيج في عام ١٩٢٧ مطالبين بزيادة الأجور
وتحسين شروط العمل كتبت مجلة الرقيب في ٢٠ زوت الصخف أن النيابة
العمومية أحالت بعض عمال النسيج للتحريز إلى قاضي الاحالة توظفهم لحاكمتهم
جنائياً وذلك لما نجم عن إضراب عمال النسيج في الجمالية وما يترتب
على هذا الإضراب من الهياج والشروع في القتل

ويجب أن يكون مفهوماً لدى العمال أنه قد يفنأل نبالين ما لا يقال
بالشدة والنفذ وأن الإضراب سلاح كرهه الله يمكن قنوى الناس من استناره
سلاحاً للقليل والقال والدعوى بأن الشيوعية وأماليها متشعبة بينهم
ولعم الحق أنهم أبرياء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ولعل أخواننا
العمال يعقلون، وبأنهم لا يجدون مبرراً (٢)

أما للفاضل زانج - د - رفعت السعيد - عصام الدين حنفي ناصفاً
سلسلة طلوع الفكر الاشتراكي - آذار الثقافة الجديدة -

٢ - الرقيب - ١٠ - ١١ - ١٩٢٧

وحتى . كاتبة مثل أحمد الصاوي محمد نجده يخصص بعضها عن
• ما قل ودل • للاستهام في مثل هذا الغزو الفكري فهو يحث العمال على
أنه • لا يجوز أن يكون في يد الحكومة أو على الحكومة • وعندما تصبح تلك
عضيدة عنده ، ويأبى أن يستغل باليمين أو الشمال لاهواء سياسية سيصن
الى ما يطمح اليه من احترام جميع طبقات البلاد ••

وكل ما نطمح فيه ونتمناه أن يفصل العمال عن السياسة •• وإذا
خلص العمال حركتهم من التطرف في المذهب . الخطة فان حركتهم تكون
جديرة بكل تشجيع • (١) •

كذلك خضعت الحركة العمالية لمحاولات أخرى من الغزو من قبل تجمعات
مثل الاخوان المسلمين أو مصر الفتاة أو تجمعات شبه فاشية كالعصان
النخضر والزرقي •• الخ •

لكن الحركة العمالية المصرية استطاعت بأصالتها الثورية وحسنها
التطبيق ان تكنس ذلك كله • وأن تفرض أسلوبها الخاص في النضال وأن
تعمز مكانة قادتها العماليين المخلصين •

ولقد كان الاضراب السلاح الاساسي للتطبيق العاملة المصرية •• وثمة
دراسة تقول :

• لقد كان هناك اضراب أو تهديد بالاضراب في كل أسبوع ••
وفي سبتمبر ١٩٢٧ اضراب ٣٠٠٠ عامل بسكة جديد الفيوم بسبب قسوة
التشريف على العمل ، وتم ينته الاضراب الا بعد طرد هذا المشرف • وما لبثت
العمال أن عادوا للاضراب في الشتاء بسبب محاولة الشركة انقاص الاجور
بنسبة ١٠٪ •

وفي نوفمبر ١٩٢٧ اضراب عمال غزل الحرير ضد محاولات تخفيض
الاجور ، وقد احتشد العمال أمام المصنع في مظاهرة صاخبة وتصدى
ليهم البوليس واعتقل عددا كبيرا منهم •

كذلك فقد انتهى البوليس بطريقة دموية الاضراب آخر لعمال النسيج
بالقاهرة ، وسجن ٥٠ عاملا •• ونظمت اضرابات عديدة أخرى لعمال السجاير
وعمال قناة السويس وعمال الخابز وعمال ميناء الاسكندرية وعمال الايكندرية

١ - أحمد الصاوي . محمد • ما قل ودل • الجزء الاول : مطبعة دار الكذب
عام ١٩٣٤ ص ١٢٥ •

لكن أهم حدث أصرأى شد أنظار الجمهور كان أضراب عمال الترام
بالاسكندرية والذي استمر من ٢١ إلى ٢٦ نوفمبر ١٩٢٧ وقد تقدم العمال
بالمطالب الآتية :-

- ١ - زيادة الأجور بنسبة ٤٠٪
- ٢ - حق العمال في العلاج الطبي المجاني
- ٣ - الحفاظ على حقوق العمال في حالة انتقال الشركة إلى مالك
آخر

وبينما كانت هذه المطالب معروضة أمام لجنة التحكيم قرر العمال
الأضراب وكان أضرابا شاملا وجماعيا ، وقد تقرر الأضراب في اجتماع عام
للعمال ، ونشلت كل محاولات الشركة في تسير قطارات الترام
وسرعان ما تدخلت الحكومة وأعلنت أن الأضراب غير مشروع بحجة أنه قد
بدأ قبل الإنتهاء من عرض الأمر على لجنة التحكيم ومن ثم فقد أصدرت
الأوامر للبوليس بل وللجيش بالتدخل لإنهاء الأضراب بالقوة ، لكن هذه
التدابير لم تؤثر في العمال كثيرا ، كما لم يؤثر فيهم قرار الشركة باعتبار
كل عامل لا يعود للعمل فورا منصولا ، واستمر العمال في الأضراب ، وتضامن
معهم سائقو التاكسي بما أظهر الأضراب بشكل مؤثر فعلا .

و لم ينفذ الأضراب الا بعد أن أعلنت الحكومة مسئوليتها عن
تنفيذ مطالب العمال . (١)

ثم ما لبثت الطبقة العاملة أن شهدت في الثلاثينيات فضلا شجاعا
بشخصه ذو صبغة سياسية مثل أضراب عمال العنايز في مواجهة الإرهاب
الشيائى بالحكومة صدقى (١) نقل في هذا الأضراب ١٦ عاملا وجرح ١٢٠ -
وحوكم ١٢٠ أمام محكمة الجنايات - وفضل ٤٧٧ عاملا (٢)

وبعضة الأخر ذو صبغة اقتصادية والحقيقة أن أعوام الثلاثينيات
شهدت موجات لا تنقطع من الأضرابات العمالية التي تفجرت نتيجة لاختلاف
عوامل القهر السياسى والإقتصادى والاجتماعى (٢) والتي لم يكن من الممكن

(١) The Labour Monthly - vol . 10- No 5 - May 1929.

(٢) The strike wave in Egypt . by . j . B .

٢ - عبد المنعم الغزالي - المرجع السابق - ص ١٦٧
٣ - للبحث تفصيلا في التحركات الأضرابية في هذه الفترة - راجع
عبد المتعم الغزالي - المرجع السابق ص ١٦٦ وما بعدها
رؤوف عباس - المرجع السابق ص ٩٨ وما بعدها

لأى متزعين برجوازيين في صفوف العمال ولا لى دعاوى برجوازية أن توقف تدفقها الجارف ... ذلك التدفق الذي كان بمثابة الألهام المستمر للتجمعات الحزبية اليسارية ولتوى المثقفين الليبراليين ، وكان بليلا حيا ومستمرا لفشل محاولات الغزو البرجوازي وعجزه عن إخماد الروح الثورية في صفوف حركة الطبقة العاملة .

* * *

ولذا كانت القوى الرجعية قد قاومت أى نفوذ وفدى في صفوف الطبقة العاملة ، فانها قد قاومت أية اتجاهات اصلاحية أخرى . والحقيقة ان انتفاضات العمال المتكررة والتي اتخذت في كثير من الاحوال طابع العنف والتحرك الجماعى التماس ، قد حفزت كثيرا من المفكرين البرجوازيين الى الدعوة لانتهاج مواقف اصلاحية تخفف من حدة انبفاس العمال نحو اليسار .

لكن القوى الرجعية كانت لا تزال تمشي بعقلية مطّح القرن ، وكأذت لا يزال تصمم على أن العامل جاعل ويجب أن يبقى مغمض العينين وأن أى يصدى من النور ، خطر يتعين مقاومته ، وكانت تصمم على اتهام أية اتجاهات اصلاحية بأنها تحرك بلشفي

وعندما طالب الاصلاحيون وفي طليعتهم بعض النواب الوفديين مثل حسن نافع وغيره بسن تشريعات عمالية ، وأصدر البرلمان تحت ضغطهم

ونتيجة للحاحم قرارا في عام ١٩٢٧ بتشكيل لجنة لاعداد تشريع عمالى برئاسة عبد الرحمن رضا باشا ، رفض اتحاد الصناعات من حيث المبدأ فكرة استصدار أية قوانين عمالية ، واطن أنه في حالة الاصرار على سن قوانين عمالية يجب أن تصدر هذه القوانين تدريجيا ، كما يجب حمايتها من خطر الآراء الفقهية الهدامة (١)

.. وبينما كانت لجنة رضا تواصل عملها في وجه مقاومة ضارية من البرجوازية المصرية شكل اتحاد الصناعات ، لجنة لبحث الامر ووضعت الشروط التي يراها الاتحاد ضرورية في حالة البحث في اصدار أى تشريع عمالى

١ - عبد الحمم الغزالي - المرجع السابق - ص ١٦٢ .

ومن بين هذه الشروط :
 * ألا يتخذ أى قانون عمالي إلا بعد فترة يستعد خلالها أصحاب الأعمال لتنفيذ التشريع
 * ألا يكون للتشريع العمالي أى أثر رجعي
 * ألا تفضل التشريعات الاجنبية ، بل يجب عند وضع التشريع أن تراعى مستوى عقلية العمال وتوتهم والمقدرة المالية . لأصحاب الاعمال (١) .

وأخيرا انتهى الصراع بان تجاهلت الحكومة مشروع القانون الذى أعدته لجنة برضا ، وانفتحت في اعداده ثلاث سنوات كاملة ، وضمنته المادة ١٠٢ في ثمانية عشر فصلا . وكان وأد قانون لجنة رضاء تعبيراً قاطعاً عن رفض الميزاجازية المصرية لأية اتجاهات اصلاحية وتضمينها على مواصلة الانتعاش الشرس للعمال دون أية مراعاة لظروفهم الانسانية أو المعيشية . الا ان النصيب العمالي المستقر ما لبث ان أجبر الحكام على الرضوخ للمطالبة بضرورة سن تشريعات تحمى العمال وتنظم علاقاتهم بأصحاب العمل ، وفى عام ١٩٢٢ شكل المجلس الاستشارى الاعلى لعمال مصر وفى أعوام ٢٤ - ١٩٢٦ صدرت أول أربعة تشريعات عمالية تنظم أولها تشغيل غير البالغين (قانون ٤٨ لسنة ١٩٢٤) والآخر تشغيل النساء (قانون ٨٨ لسنة ١٩٢٣) وتعلق التشريع الثالث بتجديد ساعات العمل في الصناعات الخطرة (القانون ١٤٧ لسنة ١٩٢٥) أما الرابع فقد جدد حقوق العمال في مجالات حوادث العمل (القانون ٦٤ لسنة ١٩٢٦) وبرغم تصور هذه التشريعات الا أنها كانت نقطة تحول هامة في تظيم علاقات العمل (٢) .

لكن كل محاولات الإصلاح هذه كانت تنتم في متاح معاد تماما بعقيد ان كل تحرك عمالي هو عمثل هدام ومعاد للنظام الاجتماعى .

١ - المرجع السابق - ص ١٦٤ .

٢٠ - السفارة الفرنسية - القاهرة - تقرير مؤرخ في ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠
 مرتبط من موريس كوفى دى موريل سفيرا فرنسا بالقاهرة الى وزير الخارجية روبرت شومان - معنون : الحركة النقابية والعمالية في مصر ، محرر بالألة للكتابة الفرنسية - مودع بالارشيف الخاص بوزارة الخارجية الفرنسية في باريس ومثبت في صدره أنه قد أعد بناء على طلب ادارة قسم افريقيا الشرقية برسالة مؤرخة في ٢٣ مايو ١٩٥٠ .

والفلاحين أيضا

وكالعادة فقد كان الريف المصرى يعاني أكثر من أى مكان آخر

وبالإضافة الى المعاناة التقليدية ، تراكمت فوقه كل اضطرابات عهود
الانقلاب والتسلط ابتداء من حكم زيور الى حكم اليد الحديدية ، الى
حكمة صدقى .

وبدءا وكأنت أزمة القطن وتدهور أسعاره تمثل خاتمة المطاف التى هوت
بنايريف المصرى الى حالة الانهيار الأقتصادي الكامل وتوالى حالات
الانفاس والحجز والبيع الاجبارى بحيث أصبحت أسلوبا معتادا
وارتفعت الأصوات تطالب الحكومة بالتدخل . وحتى تلك الأصوات
التي ظلت لعدة سنوات تنشد أغنية عدم التدخل والحرية الكاملة للاقتصاد ،
عادت لترتفع مطالبة الحكومة بأن تدخل سوق القطن مشتريه

وبعد تردد طويل - كما تقول جريدة « الاتحاد » لسان حال « حزب
الاتحاد » أخذت الوزارة تشتري كل يوم ، حوالى المائة بالة مع أنها قررت
مشتري القطن من سوق ميناء البصل لغاية ٥٠٠ ألف قنطار . والقندر
الذى كانت تشتريه الحكومة هو دون ما يشتريه كثير من المصدرين كل على
انفراد ، ونضلا عن ذلك فقد كانت الحكومة تدفع أسعارا دون ما يدفعه
المصدرين . فلو أن الوزارة لزمت السكوت لكان الأوفى لان ضعف
تعداد ما تشتريه وتؤديه من السعر أطمع المضارب وهيا له سنبل الغش
على أمل عيوط الاسعار بالتدريج » (١) .

وقد تدهورت اسعار القطن الى حد لم يسبق له مثيل ، حتى خسرت
البلاد بسبب ذلك نحو ثلاثين مليوناً من الجنيهات المصرية ، مما كانت عليه
الأسعار فى أول السنة ولا يعلم أخذ الى أى حد تهبط بعد ذلك ، (٢) .

١ - الاتحاد - ١٤ - ١ - ١٩٢٦ .

٢ - أحمد شفيق باشا - حوليات مصر السياسية - الجزء الثالث - طبعة

سبتمبر ١٩٢٩ ص ١٩٦ .

وعجز المستأجرون تماما عن تسديد الايجارات ، وارتفعت اصوات
عديدة في الصحف تطالب ، أصحاب الاطيان بتنزيل اجور اطيانهم تفريجا
للازمة وتهويننا لحال انفلاح المستأجر الذى أصبح في ضيق من جراء هبوط
اسعار القطن . وكان سعد باشا زغول اول من تقدم على هذا العمل الخيري
حيث جمع المستأجرين لاطيانه ، وسألهم عما يريحهم في الاجرة ، فاجابوا
ان تخفيض اجرة الفدان ثلاثة جنيهات يكفى ويزيد ولكن مكارم اخلاقه
وانزل الأعلى الذى اراد ان يضربه للكبار والصغار من أصحاب الاطيان حمله
على ان يجيب اولئك المستأجرين بأنه تنازل عن ستة جنيهات من اجرة
الفدان « (١) » .

وإذا كان هذا الموقف - الشخصى - من سعد زغول ، قد اكسبه
« دعاء الآلاف المؤلفة من الفلاحين » كما قال الاحرام ، فإنه لم يحل المسكنة
التي كانت تعصف بكيان الريف المصرى . . .

وعلى أية حال فقد حاول بعض النواب - الوفديين - ان يستصдروا
من مجلس النواب قانونا في عام ١٩٢٧ ، بتخفيض ايجارات الاطيان عن
عام ١٩٢٦ بمقدار الربع وما يكون قد تمددت منها يرد بما يوازى هذه
القيمة أو تحسب من ايجار السنة القادمة . . .

وقد تقدم بهذا الاقتراح النائب محمد حافظ حنحوح أندى - فهاجمه
الاعضاء هجوما عنيفا جدا ، وقاطعوا أى دفاع عن الاقتراح واتهموه بالدعوة
للبلشيفية . . .

وساد جلسة مجلس النواب جو غريب من العنف ظهر في المضبطة
الرسمية للجلسة في صورة مقاطعات مستعرة وضجيج في مواجهة أى دفاع
عن الاقتراح ، ثم تصنيق حاد لاي معارضة له . . .

الامر الذى دفع أحد مؤيدي الاقتراح وهو حسن يوسف عامر الى تهديد
المجلس قائلا : « ان نظرية التدخل هي في الحقيقة أقل النظريات تطرفا لان
هناك من النظريات الاقتصادية ما هو شديد الخطر على الهيئة الاجتماعية
مثل الاشتراكية والبلشيفية ، وهما يرمسان الى أخذ الملك من المالك واعطائه
لعامة الشعب (ضجة) ، وليست أخال حضراتكم الا عالمين بالسبب في وجود
هذه النظريات المتطرفة ، فبى لم تنشأ الا لعدم وجود روح العدل والشفقة
من الملاك . . . » (ضجة) . . .

ولم يستطع المتحدث ان يكمل دفاعه وسط الضجيج الصاخب الامر
الذى اضطر رئيس الجلسة الى التدخل محاولا تلطيف الجو قائلا « أرجو

عدم المقاطعة - فحضرة الخطيب بين لكم انه يرى الشفقة بالمستأجرين درا
لاخطار النظريات الاشتراكية التي أشار اليها» (١)

لكن انخفاض أسعار القطن وتشدد كبار الملاك واصرارهم على عدم
تخفيض الأيجارات لم يكن كل الكارثة التي تعرض لها الفلاح

فحكومة صدقي قد عمدت الى استخدام الحالة الاقتصادية السيئة
وسبلة لاضعاف المقاومة السياسية للجماعات .. وقد أدى تدهور أسعار القطن
بأبزرعين التي خذ حال بينهم وبين الحصول على المال لمستوية. ضرائب
أموالهم ، نعمدت الحكومة الى الحجز على مواشيمم وبيعها في الاسواق العامة
بأثمان بخسة لا تدور بخاطر أحد من الناس» (٢)

وتورد جريدة « الأحرار الدستوريين » نماذج من الأسعار التي بيعت
بها مواشي الفلاحين وفاء للضرائب :

بيع ثوران وجاموسة يملكها محمد العتايوي من دراجيل بـ ٨ جنيهات
وبيع للسيد فريه من كوم مازن جاموسة بـ ٤١٣ قرشاً وبيع ١٠ أرادب قربة
يمتلكها عبد العزيز مطر من بشفة بسعر الاربع ٢٦ قرشاً وبيعت حمارة
لأبيد الإهالي بسوق بيرسنا بـ ٧٠ قرشياً» (٣)

وكما رفض مجلس النواب في عام ١٩٢٧ اصصدار قانون بتخفيض
الايجارات .. فقد رفض - فيما بعد - اصصدار قانون بمنع الحجز على
الضروريات اللازمة للفلاح الصغير ويعيشته

ان الصورة البشعة التي قدمتها جريدة « الأحرار الدستوريين » لبيع
أخص مستلزمات الفلاح الصغير بأخس الاسعار ، لم تدفع نواب حزب
« الأحرار الدستوريين » الا الى مزيد من التشدد ورفض اية اصلاحات
أو تسهيلات

فلقد كانت الرجعية المصرية مازالت متشبثة بفطيس الفكرة التي تشبثت

١ - مضبطة الجلسة السابعة عشرة لمجلس النواب يوم ١٠ - ١ - ١٩٢٧ -
الطبعة الرسمية - ص ٢٣٦

٢ - د . محمد حسين هيكل ، ابراهيم عبد القادر المازني ، محمد
عبد الله عنان - السياسة المصرية والانقلاب الدستوري - مطبعة السياسة
عام ١٩٣١ ص ٥٦

٣ - الأحرار الدستوريين ٢ - ١ - ١٩٣١

بهما في مجال العمال وهي أن أي تنازل اصلاحي .. بلشيفية ، وإن مزيداً من التهر ومزيداً من الاستغلال هما السبيل الوحيد لحكم مصر ..
ويظل الاتهام « بالبلشيفية » مغلقتاً في رقائب كل دعوة للإصلاح ، وحتى الحكومة عندما قدمت في ١٩٤٠ إلى مجلس النواب قانوناً ينص على عدم السماح بالحجز على الضروريات اللازمة للفلاح الصغير ولعيشته . لم تسلم هي الأخرى من الاتهام بالبلشيفية .
فقد ثار النواب وتتابعوا في الهجوم على القانون :

• - لبيب أبو قورة بك : هذا القانون ليس له معنى وهو معطل للإصلاح الصغير .

• محمود سليمان غنام : إن هذا المشروع فيه تعقيد لشؤون الفلاحين .
• خليل أبو رحاب : هذا القانون يعلم الناس الباطل والتضليل .
• اسماعيل فهمي الشلقاني بك : لا يوضح عرض هذا القانون هنا .
أما أحمد عبد الغفار فقد تحف صراحة بالاتهام الذي كانت ترتبته الفرائض خوفاً منه في ذلك الحين وضاح في وجه ممثل الحكومة قائلاً : أنا أعارض هذه القوانين التي تتعيا لنا الحكومة لأنها قائمة على مبادئ البلشيفية (١) .

لكن تشدد الاقطاعيين وأصرارهم على رفض أية تحول ولو جزئية أو وقتية لمشاكل الأناحي وتصميمهم على فرض القهر الكامل والاستغلال الكلي على الفلاحين لم يزد الفلاحين الا نضالية ، بل لعل عنف الاستغلال الرجعي كان دافعا الى عنف التحرك النضالي للفلاحين ، فالصلاح الذي مارس العنف الثوري إلى أقصى مداه في ثورة ١٩١٩ ، والصلاح الذي توجه إليه الاشتراكيون منذ مطلع العشرينيات ببرامج ثورية تطالب بتخصيص الاقطاعات وبتوزيع الأرض على الفلاحين المعدمين والذي مارست الكوادر اليسارية عملا نشيطا في صفوفه ، امتد الى أعماق الريف في قرى الصعيد والوجه البحري (٢) ، هذا الصلاح كان - بانزعم من كل شيء - محورا للنضال السياسي الوطني حتى بعد أن صفيت ثورة ١٩١٩ .

فعملية النضال ضد انتخابات زيور كانت في الأساس نضالا فلاحيا .
ومقاطعة الانتخابات والاستقالات العمد الجماعية وهي تحركات نضالية

- ١ - التطور - مايو ١٩٤٠ .
- ٢ - لمزيد من التفاصيل راجع د . رفعت السيد - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠ - ١٩٢٥ - المرجع السابق - ص ٢٠٣ وما يعدها .

أثبت حماس المجتمع المصري ككل لسهاما فلاحيا في النضال ضد الاستبداد السياسي ومن أجل احترام الدستور .
والنضال الفعلي ضد ارباب صدقى كان نضالا فلاحيا وعماليا قدم
الاصحاب والفلاحون ضحاياهم وتضحياتهم بينما اكتفت البرجوازية بالتشديد
سعاتها الليبرالية .

لكن النضال المصري لم يكتف بالنضال السياسي ، بل لجأ في كثير
من الأحيان الى العنف الثوري ، وواجه طغيان كبار الملاك موجهة
مسلحة . . .

وثمة أهلة عديدة لكننا سنكتفى بان نورد بعضا منها .

تحت عنوان « الحادث البروق في بنى سويف » كتبت مجلة السياسة
الاشبوعية عن أحداث يوم ٢١ يوليو ١٩٢٧ تقول : « قام مزارعون اوقاف
ببنا لتفويض حكم قضائى لمصلحة الاوقاف ببلدة الشنطور التى بها نقطة
مولدين فاعترضه المنتفعون في هذه الارض فاستعان بالنقطة الا ان هذا لم يكن
يحسم النزاع فاضطر الى طلب النجدة من المركز فاعانه بقوة اخرى .
وقام بعدئذ براك عفيف بتبديل فية العيارات النارية والذخاير ولما نما
الخبر الى المديرية قام في الحال سعادة المدير بالنيابة ومعه الحكمدار ورئيس
النيابة وقوة من الهجانة وباشروا التحقيقات . وقد انجحت هذه المعركة
عن وفياة ثلاثة من الاهالى واصابة رابع اصابة خطيرة اُرسل من اجلها
الى المستشفى ، كما اصاب خمسة من رجال البوليس اصابات غير
خطيرة » (١)

وبعد اسابيع قليلة تفشى « السياسة » خيرا آخر بعنوان « معركة
جسيمة بين البوليس والاهالى » جاء فيه : « ابلخ تفتيش صبيح التابع لمركز
مهبيا ان خلافا شجر بينه وبين مزارعى التفتيش يدعو الى التفتيش
التيلىسى ، فتحاتت قوة من المركز لحسم النزاع فاستتبك الاهالى والبوليس
في معركة استعمت فيها الاسلحة النارية وانجحت عن اصابة كثيرين من
الذريقتين فقد اصاب من الاهالى انور محمد الشحات و ابراهيم حسن هجين ،
عبد الستار مصطفى الصباغ ، ابراهيم حسن الشرقاوى ، حسن على الصبحي
على عبد الرحمن سويلم ، أمية بنت عبد الله ، محمد عبده ، أحمد موسى ،
عبدى محمد موسى . وقد توفى الاول وحالة الثانى خطيرة . واصيب من
البوليس والخفراء فضل الله خلف الله من قوة الهجانة بمقذوف ناري في بطنه
ومحمد ابو زيد سرور في راسه .

السياسة الاسبوعية - ٦ - ٨ - ١٩٢٧

وتوفيت غزلان بنت سعيد اذ اصبحت برصاصة قضت عليها في الحال .
اما من اصاب من الضباط فمأمور المركز موسى انغدى جاد الله اصابة
خفيفة . ومعاون البوليس . وبلغ مجموع المصابين ٢٥ مصابا منهم ٢٨ من
الأهالي ، (١) .

وهكذا خاض الفلاحون العنف الثوري الى اقصى مدهاء متمثلا في المواجهة
للسلطة مع كبار الملاك ومع السلطة التي تساندهم ، وقدموا شهداء وشهيدات
بغير حصر بعضهم تحنثت عنه الصحف في خبر صغير يفظ لنا ذكرى
دمركة نضالية شجاعة والكثير طواه نسيان متعمد .

ولقد كانت هذه الانتفاضات التلاحية المسلحة مثارا لفرع كبار
الملاك والسلطة بشكل عام . . .

وتعاما كما تطوعت البرجوازية لتخوض محاولة فاشلة لقيادة الحركة
العمالية بهدف كبح جماحها ، فقد تطومت أيضا لتحاول ان تروض
الفلاحين وتحد من تحركهم النضالي عن طريق فرض قيادة برجوازية
عليهم . . .

وكان المتطوع في هذه المرة « اسماعيل مظهر » .

وإذا كان الوفد المصري بزعامة سعد زغلول قد شعر في عام ١٩٢٤
ياهمية التوجه نحو العمال ومحاولة فرض قيادة وفدية عليهم ، فقد كانت
محاولة اسماعيل مظهر حثا للوفد على التوجه نحو الفلاحين ، مؤكدا ضرورة
مثل هذا التوجه كسبيل لكبح جماح حركة الفلاحين وفرض
وصاية برجوازية عليها ومنعها من الاتجاه يمارا .

والحقيقة ان « اسماعيل مظهر » كان من الصراحة بحيث لم يحاول
اخفاء هدفه . . . في « مشروع تأسيس حزب الفلاح المصري » الذي وجهه
الى مصطفى النحاس رئيس الوفد قائلا « بالصفة العليا التي لكم في هذه
البلاد كرئيس للوفد المصري وخليفة للزعيم الاكبر المغفور له سعد زغلول
ياشأ والمدافع الطبيعي عن الديمقراطية الحقيقية ، وبحكم انكم الزعيم الاول
للاندية الساحقة من المصريين اتقدم اليكم بهذا المشروع . . . » ثم
اختتمه بعبارة « خادكم للطبع » (٢) .

١ - السياسة الاستيعابية - ٢٩ - ١٠ - ١٩٢٧ .

٢ - العصور - الشهرية - أكتوبر ١٩٢٩ ، حيث نشر البرنامج والمذكرات
الثقفة به . وقد أعادت « الطليعة » نشر هذا البرنامج في عدد مارس ١٩٦٥

في هذا المشروع أكد اسماعيل عظهرو ان الفلاح لن يقنع بتقنيات زراعية
ولاشعوراف زراعية تظل على ضعف وعلى خطر من الانحلال ما دامت تنفرد
الاشعة الذي يمكن ان يعصدها في الكيماة وهو القوة الميثانسية وتحت تطلب
للصلاح القوة السياسية باعتبارها اساس الاصلاح الاجتماعي قانعين بان
الاصلاح الاجتماعي بشي وينضال الطوائف (يتصد صراع الطبقات) شيء
أخيراً في
وهيئة لسان
وفي المكرة التمهيدية المرتبة بالبرنامج يقول : وإذا علمنا أن هذا
النظام من شأنه أن يجعل الطبيعة عنصراً قوياً في تكوين الأسباب التي
تهضى إلى الإنزيمات الاجتماعية الكبرى ، شعرنا إلى أي حد بلغت بنا الحاجة
إلى تكوين حزب اجتماعي يكون أساس الاصلاح فيه فلاح مصر باعتباره
الأكثرية العظمى ، وأنه أصل الثروة ، كما أنه لا يجب أن يغيب عن أذهاننا
أن إهمال تكوينه سوف يكون عما قريب أساس التلبق الاجتماعي .

وهذا وأخيراً فهو يحدد بشكل أوضح الهدف من مشروعه قائلا :
لهذا وجب علينا أن نبحث في أمثل الطرق والوسائل التي تحميننا
من الانقلابات الفجائية والتي تصد عنها سبيل الإنكار المتطرفة الحثيثة
التي تفيض علينا بما دوليات أوروتنا الشيوعية . وأننا لشديداً الاقتناع
بأن تنفيذ مشروع حزب الفلاح المصري على القواعد التي وضعناها في مبادئه
كقيلة بأن تحميننا هذه الثروة .
وهو في يصوص البرنامج ذاته مادة خاصة بعنوان «مجازفة المبادئ
البلشفية» تقول : « يتقوم الشيوعية والبلشفية على مبادئ خيالية -
هساواة - إخاء - حرية - فالساواة تنافي الحرية والحرية تقتضي المنافسة
المشروعة بين الأفراد فهي بذلك تنافي الإخاء على المعنى الشائع الذي يلوح
بها الشيوعيون للناس

أذن فهو أساس للتوضي الاجتماعية ودواء قلت التجارب على أنه غير
تأجج في شفاء الأمراض الاجتماعية التي نشأت مع حلول العصر الانبساطي
الأحدث
لهذا يحاربها حزب الفلاح المصري بكل قوة لانها تنافي مبادئه

الإفانمة على اشتراك الناس في فرص الحياة وتنمية مبادئ الحرية
والبرغم من الضبغة والاصلاحية . السانارة للمشروع الذي قدمه اسماعيل
المشروع

وبالرغم من تأكيداته القاطعة بأن هدفه الأساسي هو حماية الفلاح من خطر الاتجاه يساراً . . . وبالرغم من أن البرنامج الذي تقدمه جاء خلوًا من أية مطالب ثورية أو شبه ثورية . . .

وبالرغم من أن أقصى تطرف لجأ إليه البرنامج كان حديثًا عن تحديد الحد الأقصى للملكية الزراعية بخمسمائة فدان . . . وبشرط أن يتم ذلك دون أي تدخل قانوني أو حكومي. وإنما بمجرد الانتظار لأن تفعل أحكام المواثيق فهناك الطلبيعي. في تقسيم الكميات الكبيرة . . .

والمقترح أن تحدد الملكية في النهاية القصوى بخمسمائة فدان يملكها رأس عائلة وأولاده في حال حياته ، وبحكم التوريث بعد الوفاة نصل من غير احتياج للقيام بأعمال يشعر معها الناس بعسف إلى هذه النتيجة . . . فمن يملك ٦٠٠ فدان تقسم بعد وفاته على اثنين فيملك كل منهما ٣٠٠ ثم تقسم على عشرة بعد وفاتها وبهذا نصل إلى النتيجة المرجوب فيها من غير حاجة للاتجاه إلى عمل غير عادي أو نزوح قهري للأموال . . .

أقول أنه بالرغم من ذلك فإن الرجعية المصرية قد وقفت من محاولة اسماعيل مظهر موقف العداء تماما. مثلما وقفت موقف العداء من الاتجاهات الإصلاحية في صفوف العمال . . .

ذلك أن عبادة حزب الفلاح . . . كانت في حد ذاتها خروجًا عن كل تصورات الرجعية المصرية وآمالها في حكم مصر حكمًا يستند على القهر وعلى القهر وحده . . .

وكانت حدود الإصلاحات المسموح بها في نظر كبار الملوك المصريين تنقذ عند حد « رزم البرك والمستنقعات وتعميم المياه الصالحة للشرب » (١)

أما عندما طالب مريت غالى « بتأسيس المعهد الوطنى للبناء والتجديد » . . . وقواضع فطالب بأن تقتصر عمليات البناء « على إعادة بناء القرى التي يدمرها الحريق ، وقد تحترق كل سنة قرية أو قريتان فينتهز المعهد هذه الفرصة لانشائها على طراز يتفق وحاجة التقدم الاجتماعى في بلادنا » (٢).

١ - اليد القوية - خطب وأحاديث حضرة صاحب الدولة محمد محمود .
بياشيا منذ أسنيت له برئاسة مجلس الوزراء - مطبعة الاسكندرية عام ١٩٢٩
- ص ٢٧ .

٢ - مريت بطرس غالى - سياسة الغد - برنامج سياسى واقتصادى واجتماعى - مطبعة الرسالة بالقاهرة - ص ١٠٦ .

فإن الرجعية المصرية شرع عن أنزعاجها ورفضها لتقاطع هذه الدعوة
« الخطرة » ، ويطلق قليضي فهمي باشا بحديث الى « مجلة الأدب الحر »
يقول فيه : « أما الفلاحون الصغار أو الاجرية فاهم شئ ، يلزم عمله لاصلاح
خلافهم ، وتحسين معيشتهم هو ردم البرك والمستنقعات المحيطة بمساكنهم انقاذا
لصحتهم من الامراض التي تتولد بها . كذلك يجب انشاء دورات مياه
صحية في كل قرية ، وإمدادهم بمياه نقية . صالحة للشرب . هذه هي اهم
المطالب . أما النعمة القائلة بتشديد القرى النموذجية وتجهيز بيوتها
بالتعرف الرحبية والحمامات النذيفة فضلا عن انارتها بالكهرباء ، وتزيينها
بالمساحي وأماكن اللهو والتسلية ، فهذه مظاهر لا تنفيذ الانلاح بل تفسده
لانها تؤخره عن عمله وتدعوه الى النفور من طبيعته الخشنة اتى الفها
وتعود عليها آباؤه واجدايه » (١)

وعكذا ووجهت محاولة « اسماعيل مظهر » بالتجاهل من حزب الوفد
وبالرفض لتقاطع والحرب العنيفة من كبار الملوك المصريين
وإذا كان رد الفعل الذي نجم عن مثل هذا الموقف من حركة العمال هو
اتجاه العمال الى الموقف الوحيد المتاح وهو اليسار .

فإن الغريب في الامر هو ان « اسماعيل مظهر » نفسه هو الذي انتج
يسارا تحت تأثير هذا الرفض لتقاطع من جانب الرجعية المصرية .
لقد تبنى المحاولة في البداية حتى يعوق اتجاه الفلاح نحو اليسار .
لكن تجاهل الوفد وتنف الحرب اتى سخطها الرجعية ضد فكرته .
هذا بالإضافة - الى أن يد اليسار قد امتدت اليه ممثلة في أحد قادة
الاتجاه اليساري في ذلك الحين هو عصام الدين حفني ناصف . كل ذلك دفع
بالرجل الى مواقع أقرب من اليسار .

وفي تلك الاثناء كان عصام ناصف منشغل البال بفكرة تأسيس حزب
اشتراكي ، أو حزب عمالي وكان على اتصال بعدد من الشخصيات العمالية
منها محمود محمد ناصر . مراقب نقابة الصنائع اليدوية بالانشكندرية وعدد
آخر من العمال (٢) .

أما قليضي فهمي - آراء وفكرات في السياسة والاقتصاد والاجتماع
صفحة ٤٤ ،
٢٠٢ - رفعت السعيد - عصام الدين حفني ناصف - المرجع السابق -
ص ٦٥ وما بعدها .

وكان طبيعياً أن تلتقى هذه المحاولة بمحاولة «اسماعيل مظهر» لتأسيس حزب فلاحى .

وتم اللقاء أولاً فى صورة مقالات عن الماركسية كتبها عصام على صفحات مجلة «العصور» .

ثم استطاعت هذه المجموعة التى يتزعمها عصام أن تقنع «اسماعيل مظهر» بأن يعمل سوياً لتأسيس «حزب العمال والفلاحين» .

وبالفعل أعد عصام برنامجاً جديداً . . . يختلف اختلافاً جديداً عن برنامج اسماعيل مظهر السابق . فهو وثيقة غاية فى الثورية وغاية فى التقدمية تتخذ مواقف ومنطلقات تختلف تماماً عن أفكار اسماعيل مظهر السابقة . فهى تتضمن مطالب مثل :

* القضاء على الاستعمار البريطانى وكافة النزعات الاستعمارية فى جميع بلدان العالم .

* تحرير الطبقات العاملة فى مصر من عمال وفلاحين ، مع تقليل الفوارق بين الطبقات الاجتماعية . وجعل هذه الفوارق قائمة على أساس الاجتهاد والمنتجة للجميع .

* بث الافكار الديمقراطية وروح المساواة العامة فى الشعب .

* التكاثر مع الامم المستعبدة ولا سيما الامم الشرقية والعربية على محاربة الاستعمار .

* عدم التعاون مع المحتلين اطلاقاً ومقاطعة التجارة البريطانية .
* قيام الحكومة باصلاح اراضيها للبور وتوزيعها على صغار المزارعين .
* فرض ضرائب متدرجة على الدخل والميراث .
* حماية العمال والفلاحين بقوانين تحدد اجور وساعات العمل ، وتحتم على اصحاب المزارع والمصانع بناء مساكن صحية مريحة للعمال .

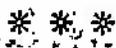
* مجانية المعالجة للطبقات العاملة الاجيرة .
* جعل التعليم مجانياً بجميع درجاته .
* إلغاء الرتب والنياشين .
* تحديد الملكية الزراعية .

القيام بشهر الدعوة لظهور بشاعة الحروب الاستعمارية وغرس روح
الإخاء للشعوبى بين الامم (١) .
وقد نشر هذا البرنامج موقعا باسم اسماعيل مظهر نيابة عن اللجنة
الثقافية الحزب العمال والفلاحين .

والغريب في الامر ان كثيرا من الدارسين لم ينتبه الى هذا التغيير الجذرى
الذي طرأ وخلال فترة وجيزة جدا - على مواقف ومنطقات اسماعيل مظهر .

وحتى ابنه الأستاذ جلال مظهر لم ينتبه الى هذا التغيير وتصور ان هناك
برنامجا واحدا وليس برنامجين فقال في مقال نشرته جريدة الاخبار وما جاء
في ميادى الحزب التي نشرت بمحلته العصور في اكتوبر سنة ١٩٢٩ ثم في
يونيو ١٩٣٠ ما يأتي (١) ثم اورد بعض فقرات برنامج يونيو ١٩٢٩ .
وعلى اية حال فان مقارنة البرنامجين تغنى عن أى جدال فيهما وثيفتان
مختلفتان تمام الاختلاف في كل شيء .

وفي نفس الوقت اذى نشر فيه اسماعيل مظهر البرنامج الجديد في عدد
يونيو من مجلة العصور . قام محمود محمد ناصر مراقب نقابة الصنائع اليدوية
ببطونته في منشور يدعى بعنوانه في الواقع بالعمالية الامر الذى أدى
الى التضييق عليه وانتهائه بالترؤيج لانكاره البلشفية . ويعترف محمود ناصر
في التحقيق بأنه اشترك في محاولة لتأسيس حزب العمال والفلاحين وبأنه قد
طبع بياناً من الف نسخة يدعو فيه الى تأسيس هذا الحزب ووزع معظمها (٢) .



وعلى اية حال فان محاولة اسماعيل مظهر لم تكن الوحيدة في هذا المجال
فهذه محاولات اخرى قام بها عدد من المثقفين الاصلاحيين الذين كونوا جمعية
نهضة القرن في عام ١٩٢٨م . استقال احد اقطاب الجمعية - وهو احمد
كامل قطيب - ليعلن عن تأسيس حزب الفلاح الاجتماعى والاقتصادى . تأكيداً
لبعد الحزب عن السياسة (٣) .

- ١ - العصور يونيو ١٩٢٩
- ٢ - الاخبار - ١٥-٣-١٩٦٢
- ٣ - ملف القضية رقم ٢٤٤٤ اذكى السنينة ١٩٣٨ محكمة جنبايات
الاسكندرية - دور يوليو
- ٤ - تام المؤلف بتجميع الوثائق الخاصة بهذه المحاولات ونشرت كاملة
في مجلة الطليعة - للقاهرة - عددى اغسطس وسبتمبر سنة ١٩٧٠

كذلك فإن كثيرا من المفكرين قد ساءت لهم حالة الفلاح المصرى فأسهموا
بأقلامهم فى الكتابة عن مشاكله .

إن مراجعة قوائم الكتب الصادرة فى هذه الفترة تقدم لنا نماذج لا تحصى
من المحاولات التى بذلها المثقف المصرى لتفهم قضايا الفلاح ومشاكله والبحث عن
حلول لها (١) .

لكن كل هذه المحاولات سواء تلك التى اكتفت بالتعبير عن نفسها فى صورة
مقال أو كتاب أو ذلك التى اتخذت طريق الدعوة لتأسيس احزاب أو جمعيات
نضالية ، قد لقيت - جميعا - الصدود والنفرة من جانب الرجعية المصرية التى
لم تقوان عن توجيه تهمة « البلشفية » ضد أية محاولة اصلاحية . . .

الامر الذى دفع عصام ناصف إلى الكتابة قائلا « لعل السادة الاغنياء
والنواب المحترمين يفهمون - قبل فوات الوقت - ان الترويج للمبادئ البلشفية
وتحبيبها للقلوب لا يكون بالمطالبة بهذه الاصلاحات الطبقية التى اذا نحن
رضينا بها فليس ذلك على انها اصلاحات حقيقية ، بل على انها دلالة على
التفكير نحو الاصلاح ليس الا . . .

وان ما يتركه هذا الترويج يافهم الفاشيين الذين يحبسون مسييس الحاجة
الى الاصلاح ان الاصلاح قرين البلشفية ، وان فرض ضريبة الابلولة على تركات
الاغنياء . . . بلشفية ، وأن نشر التعليم الاكاديمى . . . بلشفية ، وأن تعليم البنات . . .
بلشفية ، وأن محاربة التبذخ والتبذير . . . بلشفية . . . وأن المطالبة بتزقية احوال
العمال والفلّاحين والجنود . . . بلشفية . . . وعلى ذلك فان حضرات النواب
المحترمين لا يخشون أنفسهم ولا طبقتهم حين يكتفون من تزييد الاتهام
بالبلشفية » (٢)

. . . وهذا مرة اخرى تثبت للرجعية المصرية افتقارها الى الذكاء والارونة
الكافية لاستيعاب الاتجاهات الاصلاحية والاستفادة منها .

وكانت النتيجة المنطقية كما قلنا هى اتجاه كثير من القوى التى ترفض
الوضاع القائمة آنذاك . . . الى اليسار . . .

١ - راجع - عابدة ابراهيم نصير - الكتب العربية التى صدرت فى مصر
بين عامى ٢٦-١٩٤٠ - رسالة ماجستير - غير منشورة . . .
٢ - التطور - مايو ١٩٤٠ . . .

بمستطوعه في ايطاليا من عجز الحكومة عن قمع الحركات الشيوعية في البلاد

والتي كانت اولى من تركه التي الحكومة التي كانت عفايا فوق ما هي ضعيفة ولا ريب في ان الفاشيزم لو لم تكن مؤنفة من رجال شحيدى الياس والعزيمة لكانت تتال هذا الفوز الباهر في وقت قليل (١)

الفاشست ينشطون

والفاشيزم مدينة بنجاحها الى مساعدة الظروف والاحوال ، اذ فرغ المتمولون في ايطاليا من عجز الحكومة عن قمع الحركات الشيوعية في البلاد وانتصروا حول الفاشست. حيث رأوا ان تحميل عبء مطاردة الشيوعية على عاتق الفاشست اولى من تركه التي الحكومة التي كانت عفايا فوق ما هي ضعيفة ولا ريب في ان الفاشيزم لو لم تكن مؤنفة من رجال شحيدى الياس والعزيمة لكانت تتال هذا الفوز الباهر في وقت قليل (١)

وهكذا تنحدر الزخمية المصرية في حزبها العنيفة ضد اليسار لتلجا الى الدعائية الفاشستية في محاولة لالايها من الفاشستية هي السبيل لصد تيار اليسار ولقد كان هذا التصور سبيلا لسلسلة من المقالات والكتابات التي سبعت الي تمجيد الفاشستية و اصبح موسولينى حديث أوروبا ياسرها بل العالم اجمع . وعوفي الحقيقة من أعظم رجال هذا العصر ان لم يكن أعظمهم طرا وقد اتى منذ توليه زمام الامور في ايطاليا اعمالا مجيدة وجعل الشعب الايطالى يفتخ عن كثير من العادات القيمة التي كادت تزدى بايطاليا الى الشورة والخراب (٢)

وهكذا اصبح موسولينى ملهما لكل اعداء اليسار ونموذجا يتمين السمي لخلق مثيل له ليجتج جهاج الشيوعيين في أوروبا فتلبهت التي ما تقدم . وكان لها من قيام الفاشستية في ايطاليا ونهوضهم بهذه البلاد التي كادت تهوى الى هوانية الذرية ويتقوض عمرانها عبرة اتخذها الاوروبيون مثلا يحتفون ، خصوصا بعد الذي شاعده من صنيعها واستتباب الامن واطلاق الحرية الشخصية حتى شخصت الى هذه الحركة الابصار ودارت عليها المباحث فاستنجدوا من نجاحها ما يجب الاقتداء به . وعليه قامت طوائف من الاوروبيين في مختلف البلدان الى

١ - كل شيء - ١٧ - مايو - ١٩٢٦ .
٢ - اللطائف المصورة - ٢٨ - فبراير - ١٩٢٧ .

تأليف الجمعيات الفاشستية وصارت عندكم رمزاً الى حب العمل والأخلاق الى النظام . . . وهذا انتصار اجتماعي نالت به ايطاليا فوزا كبيرا اكسبها ميل ان شعوب الاوروبية واحلها محل الاحترام عندهم . وقد سمعت كثيرين يعربون من الاسف على أن لا يكون عندهم موسوليني من أهل بلادهم ليسير دفة البلاد الى العمل والنجاح (١) .

وليس الامر بحاجة الى تعليق ، فان الكاتب يدعو ويلج ويتوسل باحثا عن « موسوليني مصرى » يخلص البلاد من مخاطر الثورة . . .

ولقد كان كل مجد موسوليني عند الرجعية المصرية يتلخص في أنه « أسكت معارضة في البرلمان الايطالى . وصان بذلك حياة الملكة التي كانت جرائدها ولسان معارضتها تقودها بخطوات سريعة نحو البلشفية » (٢) .

كذلك تنشر جريدة المحاكم المختلطة مقالاً جاء فيه « بينما مصر تتسلح بما لديها من قوانين مكتوبة وغير مكتوبة للدفاع عن كيانها ازاء الدساتير الشيوعية قد يكون مفيدا التقاء نظرة الى الحرب العوان التي اعنتها الفاشست في ايطاليا على العدو المشترك » (٣) .

ومن الطبيعي أن يتطور مدح الفاشية الى الهجوم على الديمقراطية ذاتها . . .

« فهذا التيار الجارف الذى بدأ في ايطاليا أخذ بالانتشار شرقا وغربا ودفع الديمقراطية التي لم تعد تصلح لحكم الشعوب » (٤) .

وهكذا ان تمجيد الفاشست هجوما على اليسار المصرى قد تطور ليصبح هجوما على كل القوى الديمقراطية .

ويبدو أن مثل هذا الهجوم قد تردد من فوق منبر البرلمان المصرى الامر الذى دفع محمد حنا ورمضان الى أن يصيح من فوق نفس المنبر قائلاً « نحن لا نريد أن نعيش كما تعيش بلاد أخرى منها وصلت مدنياتها - تحت نظام دكتاتوري كنظام ايطاليا ونحن ديمقراطيون ولنا مجلس نيابى . . . »

- ١ - ملحق مجلة الفلاح الاقتصادى . سبتمبر و اكتوبر ١٩٢٨ -
- ٢ - قسطنكى الياس عطارة - تاريخ تكوين الصحف المصرية - مطبعة التقدم - عام ١٩٢٨ ص ١٩٧ .
- ٣ - نقلا عن : الامرام ٨-٩-١٩٧٤ .
- ٤ - قسطنكى عطارة - المرجع السابق - ص ٢٤٧ .

رأت في ذكره المكتاتورية من فوق هذا المنبر والاستفادة التي أعمالها في البلاد
 الأخرى ليس من الحكمة السياسية ولا من التربية البرلمانية التي نريد أن
 نعلمها ونسير عليها. ^{١٩٢١}
 والغريب في الأمر أن الرجعية المصرية قد تساهلت إلى حد السماح
 للفاشست الإيطاليين بتكوين تنظيمات لهم وسط الجالية الإيطالية في مصر
 ولقد تابعنا في الجزء الأول من هذه الدراسة النشاط الواسع الذي لعبه
 الاشتراكيون الإيطاليون وسط هذه الجالية الكثيرة العدد في مصر وكيف أثر
 أيضا في نشاط اليسار المصري في مطلع القرن العشرين وكيف أسهموا في تأسيس
 الحزب الاشتراكي عام ١٩٢١. ^{١٩٢١}
 ولقد كان الاشتراكيون الإيطاليون مصدر قلق بالغ للرجعية المصرية
 فأنظفت ضدهم التنظيمات الفاشية

من جهة اشتراك في صحت هذه الفترة إلى وجود هذه التنظيمات الفاشية من
 بينها حتى أوردته للطائف المصورة يقول: «صورة الطائرة الإيطالية التجارية
 التي وصلت إلى مصر يوم الجمعة الماضي في طريقها إلى موضوع. وقد حطت
 رجالها على ضفة النيل المبارك وأقبل شبان الفاشست الإيطاليين في القاهرة
 للتحذال بطايرها» (١)

والحقيقة أن موسوليني قد بذل جهده للاستفادة من هذه الفرصة المتاحة
 أعياه في مصر فتنشط في تأسيس المدارس الإيطالية في عهد من العز المصرية ليقتن
 فيها أنطلاب من ايطاليين، ومصريين أمجاد الفاشست، وهكذا حلت هذه المدارس
 محل الجامعة الشعبية التي أنشأتها قوى اليسار الإيطالي في الاسكندرية في
 مطلع القرن العشرين لتكون منارة للتكر الاشتراكي. ^{١٩٢١}
 وكما وجد موسوليني من يدعو له وجد هنتر هو الآخر دعاة نشيطين
 غابيت ثابت المصدر ملحقا بخاصا من مجلته الفلاح الإقتصادي بعنوان «الميانيا
 اليوم» وأودلف هنتر، زعيم راديكالي في مصر، في ١٩٢١. ^{١٩٢١}
 وبطبيعة الحال فقد كانت أهم أمجاد هنتر من ضرباته ضد
 البلاشفة.

وأخذ المستباز هنتر بالعمل في غير توان في التعمير والتهديب وتدعيم
 قوة الرايخ والدفاع عنه من أخطار الشيوعية والاشيونيون يقيمون العشرات
 في سدبل الحكومة بأعمالهم الارهابية والدعاية المزيفة. ثم جاء حادث البرلمان

١ - اللطائف المصورة - ٧ - مارس ١٩٢٧

وكان الرئيس ستانغ الأخير غيمنا يدبثره البلشفيون ، ولم يكن الا واحد فرأى هتلر
حل الرئيس ستانغ . وفى ٢١ مارس ١٩٣٣ انعقد البرلمان الجديد ، وذهب هيندنبرج
الى كنيسة بوتسدام ، وهناك عند ضريح فريديريك الكبير قال قوله المشهور
« استيقظت ألمانيا ، لتعود الى تقاليدنا الشريفة القديمة » (١) .

ان نظرة على سبل الكتب التى صدرت خصيصا لتمجيد النازية والفاشية
والدعوة لها لتوضح لنا مدى عمق هذه الحملة واتساعها ولنورد بعض
الأمثلة :

* أحمد محمد السادات - أدولف هتلر زعيم الاشتراكية الوطنية مع بيان
المسألة اليهودية - عام ١٩٣٤ .

* محمد لطفي جمعة - بين الاسد الافريقي والنمر الايطالى - عام ١٩٣٥

* رياض جيد - الامبراطورية الايطالية - عام ١٩٣٧ .

* فتحي رضوان - موسوليني - عام ١٩٣٧ .

* محمد صبيح عبد القادر - هتلر - عام ١٩٣٧ .

* ثابت ثابت - ألمانيا اليوم - عام ١٩٣٨ (٢) .

وكان لا يد ليخذه البوجه من الدعاية التى شجعتها الرجعية المصرية عن عمد أن
تجد لها أثرا في أوساط عديدة

فعباس حليم يعمل « على تشكيل فرق خاصة من الشباب يطلق عليها
اسم « جيش الخلاص » تثبت تدريبا عسكريا شديدا بنظام الكشافة والحق
ايها الشباب من طلبة المدارس وفرض على الاعضاء بحية خاصة برفع اليد (٣)

كذلك نمت هذه الاتجاهات في عدد من التنظيمات الحزبية الصغيرة مثل
مضر الفتاة والحزب الوطنى . بل إن حزب الوفد قد انجرف هو أيضا في
هذا التيار الخطر . وثمة وثيقة هامة من وثائق وزارة الخارجية البريطانية *
تتحدث عن هذه الاتجاهات .

١ - ملحق مجلة الفلاح الاقتصادى - العدد الثانى عشر - السنة الخامسة
ص ٢١٩ .

٢ - غايدة ابراهيم نصير - (المرجع السابق) .

٣ - رؤوف عباس - المرجع السابق ص ٢١٤ .

* هذه الوثيقة موجودة الآن في المتحف البريطانى ومكتوب على صفحاتها الاولى
(هذه الوثيقة مملوكة لحكومة صاحب الجلالة الملك . طبعتم كى تستخدم فقط
فى وزارة الخارجية . ملف رقم ٣٧١ - ٢٠٩١٩ - سرى - ١٥٢١٧ - أرسيف
رقم ٨ - مصر . التقرير السنوى عن عام ١٩٣٦ (ريل ٢٥٢٢ - ٢٥٢٣ - ١٦)
من السير مايلز لامبسون الى مستر ايدين . استلم فى ١٩ اغسطس تحت رقم ٩٠٦

يتحدث عن محاولة الوفد هذه فتقول - بفقرة ٢٠٦ : اتخذ مؤتمر المنسبات
الوندى قرارا في ٩ يناير بتأسيس منظمة للشعبية على النهج الفاشستي وقد
أيد الوفد هذا الاتجاه بعد أن وجد أن أحزاب الاقلية قد بدأت في تجنيد
عديد من الطلاب في تنظيمات فاشستية بهدف حشدهم في حركة مناضلة
للوفد

فقرة ٢٠٨ - تأسست لجنة من حزب الوفد لتنظيم واعداد القمصان الزرق
الذين وصلتنا تقارير تفيد أن عددهم قد بلغ في يوليو ١٠٠٠٠ شخص
والذين تقوم نسبة ضئيلة منهم بنشاط جدي وقد تكونت لجنة من ثلاثة
من الضباط السابقين للإشراف على التدريب العسكري واختير النجاشي باشا
رئيسا للحركة

فقرة ٢٠٩ - وفي يوليو قام نظام القائد العام بتحذير مكرم عبيد من
السماح لهذه الحركة بالنمو دون رقابة . ورد الاخير بأن تعليمات قد صدرت
لقادة القمصان الزرق بأن يوجهوا نشاطها نحو المسالك القانونية فقط مثل
الرياضة وأعمال الكشافة

وأشار مكرم عبيد الى أن الحزب حريص على ألا يتولى أحد السياسيين
أي منصب قيادي في القمصان الزرق

لكن هذه التأكيدات لم تنجح في أن تمحو أو حتى أن تقلل من خوف
المسؤولين المصريين من تطور هذه الحركة .
ومكذبا فان البعبع الذي صنعتها الرجعية المصرية واطلقته ليرهب حركة
اليسار قد انقلب ليخيفها هي

والحقيقة أن الفاشست قد جعلوا من القاهرة واحدا من أهم المراكز
لتجسسهم ونشر نفوذهم في المنطقة وثمة معلومات بالغة الأهمية في هذا الصدد
توردها مجلة : The Communist International في مقالة هامة عن
الدعاية الفاشستية في الشرق الأدنى . وقد جاء فيها أن القاهرة هي أحد
المراكز الرئيسية للتجسس لحساب الفاشست الإيطاليين والالمان وفي اجتماع
عقده العملاء الفاشست في القاهرة وضعت خطة عامة لنشر الدعاية الفاشستية
في الشرق الأدنى . وقد رصدت وزارة الدعاية الألمانية مبلغ ٣٠٠٠ جنيه
أسترليني شهريا للدعاية الفاشستية بالقاهرة . ان القطن المصري وأرض وادي
النيل الخصبة تداعب جفون وأحلام كلا من هتلر وموسيليني . ان الدعاة
الفاشست يرددون للجماهير المسئمة دعائيات تقول ان الكثيرين من الإنان
والإيطاليين قد اعتنقوا رسالة محمد . . . وهم يوزعون كتاب « كفاحي »
باعتبارها - قرآنا جديدا ،

ويعمى المقال متحدثا عن آلاف الجواسيس الالمان الذين يعيشون في
«نقطة الشرق الاوسط ثم يقول « ووفقا لما أوردته الصحف التركية فان في
مصر وحدها ما يزيد على ٣٠٠ جاسوس « كما ان الدعاية الفاشستية تساند
ايضا فكرة معاداة السامية » (١) .

وثمة وثائق عديدة اوردتها الخارجية البريطانية بالمتحف البريطاني (لندن)
تشير الى علاقات وثيقة بين المانيا النازية وكل من القصر الملكي (البندارى
باشا ، على ماهر باشا وصهر الملك فاروق) وجماعة الاخوان المسلمين ، بل ان
الاستيلاء على وثائق بنك (درسنر بنك) الالمانى بعد الحرب العالمية الثانية
قد كشف وجود علاقات مالية ايضا كان على ماهر وعزام باشا والاخوان
المسلمون طرفا فيها .

والحقيقة ان هذا النشاط الفاشى كان في ذاته حائزا لنشاط ديمقراطى
مضاد . وتجمع آلاف من العناصر المناهضة للفاشية وللعداء للسامية والناصرية
للديمقراطية والتحرر وتحذر من خطرا . ومن هذا الخضم الجديد نبتت تجمعات
يسارية كانت ارماسا لموجه التنظيمات الجديدة .

كذلك فان انغماس يسار الثلاثينيات في النضال ضد الفاشية قد دفع
دوائر الاحتلال الى ان تغض عينها عنه لبعض الوقت مستفيدة من حركته
ضد الفاشية .

بل ان الانجليز وجماعتهم « اخوان الحرية » قد اتصوا بكورييل والنادى
لديمقراطى يطالبون « تعاوننا » في النضال ضد الفاشية واذا كان كورييل قد
رفض مثل هذا التعاون (٢) فان الذى لا شك فيه ان معركة النضال ضد الفاشية
كانت فرصة لطلائع اليسار الجديد نتاحت لهم امكانية العمل العلنى الواسع
النطاق والتمتع بتغاضى الحكام الى حد ما لفترة كافية من الوقت مكنتهم
بالفعل من ان يجدوا اغراضا الكافية للانطلاق نحو تأسيس منظمات
ماركسية ...

ومرة اخرى . فان حسابات الرجعية تنقلب رأسا على عقب ، فاذا كان
« البعبع الفاشى » قد اطلق ليخيف اليسار ، فان الانغماس في محاربه قد
مكن اليسار من ان يقيم لنفسه قواعد راسخة ساعدته على ان يبدأ من جديد
موجة من النشاط المنظم .

(١) The Communist International , Vol : XVII-No6 - 1939 - PP. 476 By -
D. Davos .

٢ - راجع محاضر النقاش معه بالملاحق .

منه و...
...
...

...
...
...

...
...
...

...
...
...

...
...
...
...
...
...
...

...
...
...
...



...
...

...
...

اليسار

- * موجبات من الدعاية الاشتراكية .
- * مسرحية سكلاتمالا .
- * عيد الرحمن فضل . . . يعدل قانون الجنسية .
- * تهادنت قيادة الوفد فتحالف المستضعفون .

موجات من الدعاية الاشتراكية

بقدر ما انهمك الرجعيون في نسج شبك الدعاية المعادية للاشتراكية ، كانت القوى الاشتراكية والديمقراطية والتقدمية في مصر منهكة هي أيضا في البحث عن مختلف الشخرات لنشر دعوتها للاشتراكية .

وإذا كان سيف قانون العقوبات قد سلط على محاولة « التنظيم والدعوة لتب نظام الحكم بالقوة والعنف » فان القانون لم يكن من الممكن ان يمنع دراسة النظرية الاشتراكية ولا حتى « تحييدها » . طالما أن هذا « التحييد » لا يتضمن دعوة لتب نظام الحكم بالقوة .

وهكذا أمكن للاعكار والنظريات الاشتراكية أن تجدد لنفسها - بشكل أو بآخر - سبيلا لمجاهاة هذا السيل الجارث من حملات الكراهية والعداء .

والحقيقة أن قوى التقدم كانت من المثابرة والذكاء والتفكير بحيث استطاعت أن تعرض أفكارها في كثير من المجالات وإن يتحين الفرص ، بل وأن تخلق هذه الفرص سعيًا وراء هدفها .
وعلى صفحات الجرائد كان الصحفيون اليساريون والتقدميون يحاولون - كما قلت - خلق الفرص لنشر آرائهم وكان من بين الوسائل التي استخدموها بنجاح باب « بريد القراء » .

ولعله من حق « سلامة موسى » علينا أن نذكر له انه كان صاحب هذه الفكرة الذكية فما من موضوع أراد الكتابة فيه أو ابداء الرأي حوله الا واستطاع أن يجد لنفسه عنفذا من خلال رسالة يقال أنها واردة من قارى ، لا يذكر اسمه بطبيعة الحال . . . وإجابة على هذه الرسالة المصطنعة يقسول فيها سلامة موسى كل ما يريد . . .

ولنتامل هذا المثال الذي أورده سلامة موسى في باب أسئلة القراء تحت عنوان « الفاظ سياسية » .

« الاسكندرية - مصر - ع . م . ما الفرق بين هذه الألفاظ : الاشتراكية - الفاشية - البولشفية - الشيوعية ؟

المجلة الجديدة : الاشتراكية هي التدرج بالطرق البرلمانية القانونية
التي تجعل العقارات المغلة التي تحتاج لاستغلالها التي استخدام عمال كالارض
والمصانع والمناجم ملكا للامة
أما الشيوعية والبولشفية فكلتاها مسمي لشيء واحد وهي تشيئة
الاشتراكية في النتيجة ولكنها تختلف في الوسيلة لانها تعمد الى الثورة
والانتفاض كما حدث في روسيا (١)

لكن الامر لم يقتصر على مجالات سلامة موسى فقد استخدمت الصحف
الأخرى نفس الاسلوب هي أيضا فيمة قارى، يسال ما معنى لفظ بلشفيك ؟
والجواب : ان لفظ بلشفيك مشتقة من لفظ روسية معناها الاغلبية (٢)
وفي باب « بين الهلال وقرانه » ترد الرسالة التالية :

١ - أرونوس - البرازيل - توفيق أبو جمره
ما هي حقيقة البولشفية - وهل البلشفيك منتشرون في أنحاء المسكونة ؟
وهل أمادوا الشرق بشيء ؟

الهلال : البولشفية مذهب من مذاهب الاشتراكية المتطرفة ظهرت في
الزمن الاخير من القرن الضائب وانتشرت بين الروس بسرعة لان طبقة العمال
الروس في عهد الحكم التيصري كانت تعاني حيفا كبيرا وكان انصار هذا
المذهب (ويعرفون أيضا بالثيوعيين واتباع ماركس) يتحسبون الفرص
الملائمة لاعلان مبعثهم والاستئثار بالسلطة السياسية لتحويل روسيا كلها الى
بلاد اشتراكية وقد أتاحت لهم هذه الفرصة في اواخر الحرب العظمي
الماضية فقلبوا نظام الحكم الروسي وأنشأوا على انقاضه النظام البولشفي

وهذا النظام هو الد أعداء المملكين وأصحاب رؤوس الاموال . ولذلك
الغى نظام الملكية أو الاحتياز ونشر موضعه نظاما اشتراكيا متطرفا
جميع موارد الدولة في يد الحكومة من مناجم وبواخر وسكك حديدية وتلفرافات
ومدارس ومعاهد على أن تستعملها الحكومة لمصلحة الأمة (٢)

لكن الامر لم يقتصر بطبيعة الحال على رسائل مصطنعة ورددود مختصرة
وحدرة ، فقد كانت هناك محاولات عديدة لا يناس بها لتقسيم الافكيان
الماركسية للقسارى المصرى

١ - المجلة الجديدة - العدد العاشر - المجلد الاول - أغسطس ١٩٣٠ -
ص ١٢٨٧
٢ - كل شي والدينيا - ٢٣ : مايو ١٩٣١ :
٣ - الهلال - مارس ١٩٣١

وتسوف تنرى في فصل قادم كيف أسهمت التنظيمات والتجمعات الحزبية والعناصر الماركسية في إصدار مجلات وكتب ودراسات تدعو فيها للفكرة الماركسية فهناك مثلا مجلة « الحساب » التي كانت منبرا غنيا للحزب والتي تناولت أعدادها كما سنرى فيما بعد - كثيرا من الأفكار الماركسية بالشرح والتحليل - وهناك أيضا مجلة « روح العصر » التي أصدرها عصام الدين ناصف وعبد الفتاح القاضي وجسنى العرابي كمثير تتجمع حوله بعض قوى الماركسيين المصريين في وجه طغيان صدقي عام ١٩٣٠ - وهناك أيضا خصائم الدين حنفى ناصف وكتبه العديدة التي تقدم فيها شروحا واقعية وغلمية للنظرية الماركسية وتصوراته لتطبيقها على الواقع المصرى - وهى كتابات أغاية في الثورية والجزاة تعرض لتسيبها للسجن أكثر من مرة ولعبت نورا هاما في التكوين الثقافي المصرى بشكل عام (١).

كذلك هناك مفكرون أمثال « نقولا حداد » الذى واصل لفترة طويلة الكتابة شارحا أفكاره الماركسية من خلال ما أسماه هو « حركات الثقافة » تمكن من خلالها التحدث عن الفكر الماركسى وعن منطلقاته الفلسفية والسياسية الاجتماعية من خلال دراسات متقنة حول علم الاجتماع وولوج مشكلات الزواج والأسرة والحب - واثقا - كما أكد هو أكثر من مرة أن « الشعب ذكى يفهم » (٢).

لكن الأمر لم يقتصر على التأثير الماركسية فقد تمكن الفكر الماركسى من أن يخذ لنفسه سبيلا حتى على صفحات مجلات مثل القنطف والهلال وغيرها

فعلى صفحات القنطف نجد مقالا - بغير توقيع - بعنوان « ماركس ومذهبه - على ذكر انقضاء خمسين سنة على وفاته » ويتضمن المقال دراسة جيدة بتاريخ حياة ماركس وأفكاره ، ومكانته العالمية - ثم تمضى للدراسة قائلة « ولا ريب في أن كارل ماركس كان متفوقا من الناحية الذهنية بين الذين اشتروا في تأييد الدعاية الاشتراكية والترويج لها » وكتابة رأس المال بمثابة كتاب منزل في نظر الشيوعيين والعمال الاشتراكيين بوجه عام - قال الاستاذ هارولد لاسكى فيه (في خلال خمسين سنة انقضت على وفاة ماركس اتسع نطاق نفوذه اتساعا كان من المتعذر توقعه - ان مذهبا لم يكن - من نحو جيل أو أكثر قليلا - الا تصورا كماليا يخالطه الجنون ، أبدعه مفنى

- ١ - د - رفعت السعيد - عصام الدين حنفى ناصف - (المرجع السابق) -
- ٢ - د - رفعت السعيد - نقولا الحداد - سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي - دار الثقافة الجديدة - عام ١٩٧١ -

ثورى ، قد أصبح من المذاهب المنجبة في العالم الحديث . فهو الآن متمسح
بوشاح الدولة المسلحة في روسيا ، واسم صاحبه يوقظ في صدور الملايين معاني
الايمان والاجلال على ما لم يمهده من قتل الا في الرسل والانبياء لا في
اصحاب المذاهب الفلسفية . ان كلماته تورد تاييدا واحاضا في المناقشات
التي تدور حول السياسة الاجتماعية ، وفيها القول الفصل الذي كان يعلق
باقوال الثورة والانجيل عند المدرسين في القرون الوسطى) .

(ولا ريب في انه ليس ثمة اشتراكية يصح ان يعنى بها رجال الدول
الاشتراكية ماركس) . ثم بين لاسكى في فقرة تالية (ان فلسفة ماركس كانت
اولا عقيدة تدعى بها شرفمة قليلة من الجمعيات الثورية التي تعمل في الخفاء
فاصبحت ايمانا يواجه الناس في سبيله السجن والموت كما فعلت الديانات
الكبرى في العصور الماضية) .

ثم يمضى كاتب المقال بعد ذلك قائلا : والى المقارى ، ملخصا عن فلسفة
ماركس الاقتصادية الاجتماعية .

ويمضى الكاتب في عرض افكار ماركس عن القيمة وفائض القيمة ،
ويشرح نظرية المادة التاريخية ثم يستعرض المبادئ الاساسية الواردة في
البيان الشيوعى . وبعد ذلك يشرح فكرة ماركس عن دولة دكتاتورية
البروليتاريا كمرحلة ضرورية تسبق المجتمع اللا طبقى ، ثم تلخيص لكتاب
« القيمة والتمن والربح » (١) .

وإذا كان هذا الكتاب قد اغفل ذكر اسمه فثمة كتاب آخرون وجدوا
المنجاعة الكافية لاعلان اسمائهم . فعلى صفحات المقتطف ايضا وعلى مدى
خمسة اعداد متتالية ينشر الدكتور عبد الرحمن شهبندر دراسة قيمة بعنوان
« معرض المذاهب السياسية من جمهورية اسلاطون الى شيوعية روسيا » (٢) .

والقد كانت الدراسة التي قدمها الدكتور شهبندر دراسة قيمة بالفعل .
وهو في دراسته هذه يهاجم الاسس الفكرية للنظام الرأسمالى الذى يقوم
على اساس « ان المصلحة الفردية فوق سائر المصالح » ويؤكد ضرورة ان
تتدخل الدولة في مختلف الشؤون الاقتصادية « حرصا على المصلحة العامة
ومنعا من سوء الاستعمال » ويسوق مختلف الأدلة على وجوب تدخل الدولة
قائلا : « ولعل اتمن تحفة أدبية خلقتها لنا نصوص الشترعين في وجوب

١ - المقتطف - الجزء الخامس - المجلد الثامن والثمانين - مايو ١٩٢٢ -

٢ - المقتطف - اعداد يناير - فبراير - مارس - أبريل - مايو ١٩٢٣ .

التدخل ما جاء في حديث عبد الله بن المبارك (إن قوماً ركبوا سفينة في البحر فانتسموا فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم بفأس فقبالوا ما تصنع ؟ فقال هو مكاني اصنع به ما شئت ، فان اخذوا على يديه حجاً ونحوها وان تركوه هلكوا)

ويفضى الدكتور شهيدنر قائلا : ولشأننا بخاتمة التي القول ان هناك ميلا مضطربا في الحكومات الحاضرة التي الاضطلاح بالوظائف المتزايدة واستتجاعات القوى المسيئة مما جعل الكثيرين من أهل البحث على القول بان هذا الميل سيستد الى ان تخضع الدولة على الاملاك والصنائع والرافق والاعمال فتتألف حينئذ الدولة الاشتراكية باختيار الامة ونزولا على ارادة الرأي العام فيها (١)

ويواصل الدكتور شهيدنر تقديم دراسته حتى يصل بها الى النظرية الماركسية فيقول عن ماركس انه رسول الاشتراكية وانه لم يعتد بالفكرة امتدادا هيجل ولا حتى منها افضل الاشياء بل قال ان التعامل المؤثر في النشوء الاجتماعي هو القوى المادية المنتجة التي تتجهز بها الجميعة البشرية يعني ان ينابيع الثروة التي يستخدمها الانسان من اراض وآلات واجهزة ... كل ذلك يكسب الناس شكل الحياة الاجتماعية التي يتضمنون بها فتكون الافكار المنتشرة بينهم نتيجة ما هم عليه من الظرائق الانتاجية التي توصلوا اليها

ثم يحاول ان يقدم تلخيصا لفكره ماركس هذه قائلا : والخلاصة ان ماركس يقول ان وسائل الانتاج في المجتمع وما يبنى عليها من العلاقات بين الناس تولد النظام الاقتصادي والهيئة الاجتماعية وهذا النظام هو العامل الاساسي في تكوين النشوء العقلي والسموي

الفلسفة (التعليل المادي للتاريخ) وقد ابان فيه الاطوار التي يمر عليها المجتمع منذ ان استولى على شؤونه اصحاب الاراضي الواسعة الى ان عبت الثورة الصناعية والتجارية : لكن عمل الرأسمالية الصناعية انتاج العمال من القوة والفرصة ما ينظرون به انفسهم في وجه اسيادهم الذين يستخدمونهم

وهكذا فان الرأسمالية تحفر قبرها بيديها : وقورة العمال مسالة حقيقية لا بد منها : والخلاصة فان اضطراب الرأسمالية الى انقياط مجيودها للحصول على اعظم الارباح ادى الى نهضة العمال وانتشار مذهبهم الاشتراكي

١ - المقتطف ابريل ١٩٢٢

شوية واحدة وتستولني على هذه المصانع وتجعلها ملكا لامة بوليا من أن تكون
ملكيا للأفراد . وهذه هي الاشتراكية
والاشتراكية لم تتحقق بعد
جند مافى روسيا ولكن التطور الذي رأى كارل ماركس لا يزال يسير يقدم ثابتة
في الطريق الذي رسمه (١) .

ولم يكن الحديث عن النظرية والافكار الفلسفية وحدها ، فليقد اهتمام
المثقف المصري اهتماما بالغا ، بالأديب الزويبي ، وجيلت صحف ومجلات هذه
الفترة بدراسات وكتابات عديدة عن الأديب الروسي الذي وصفه أحد المثقفين
يوما على صفحات الهلال بأنه « خير الآداب التي أنتجها لعقل البشرى » (٢) .

والتحقيقة ان اهتمامات المثقفين المصريين بدراسة الأدب الروسي وبالادباء
الروس ومدى تأثير الفكر المصري بهذه الدراسة مسألة تستحق التأمل والبحث
والذي لا شك فيه ان كثيرين من المثقفين الاشتراكيين المصريين قد وصلوا
الى الاشتراكية عبر ميدان الأدب ، والأديب الروسي علي وجه التحديد .

يقول د . عبد الفتاح الناضى : « وكفى لتيجهت الى الادب وعن طريق
القصص الاشتراكية بدأت افنتج بالاشتراكية بعد ذلك بدأت الاطلاع
على النظرية الاشتراكية » (٣) .

ومن الأدياء الروس الذين تركوا آثارا هامة في افكار المثقفين المصريين وفي الثقافة
المصرية علي وجه العموم « تولستوي » . ومن الحقائق المتداولة في التاريخ
المصري الحديث تأثير عديد من كبار المفكرين المصريين أمثال لطفى السيد
به ومحاولتهم تقليده في العودة الى « الريف » ، كذلك من الغريب ان يقوم أحمد
شوقي برفاء ، تولستوي عبقريا يموت وهناك أيضا مراسلات الشيخ محمد
عبدو والحوار الثمر الذي قام بينهما (٤) .

وقد تقدم د . عبد الفتاح الناضى دراسة غايية في العمق عن تولستوي وعن
منهجه الاجتماعي وموقفه الفكري ، وعرضا لأهم كتاباته وخاصة رواية « النور
يضى » في الظلام (٥) .

١ - الهلال في يناير ١٩٢٨ - ص ٢٩٦ .
٢ - الهلال - مقال بقلم محمد علي ثروت - ديسمبر ١٩٢٨ .
٣ - د . رفعت السيد - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - المرجع السابق -
ص ٢٧٢ - (مخصر نقلي) .
٤ - الإذاعة والتلفزيون - مقال للدكتور عثمان أمين - ٧ - ١٩٧٨ .
٥ - نشرت هذه الدراسة في خمس حلقات في كوكب الشرق - ابتداء من
٢٥ - ٢ - ١٩٦٦ .

كل هذا في الوقت الذي كان المثقف المصري يعتبر فيه أن تولستوى قريباً من الفكر البلشفي . . . وثمة دراسة نشرتها « السياسة الأسبوعية » بعنوان « تولستوى والثورة البلشفية » جاء فيها « وهناك ظاهرتان لا يمكننا أن لا نتخذهما ، الأولى أن البلشفيين أنفسهم يعدون تولستوى قديسهم العظيم ، كما عد رجال الثورة الفرنسية روسو . . . والحكومة للسوفييتية لا تألو جهداً في اظهار اجلالها العظيم لذكرى تولستوى المقصبة اذا كانت الكلمات مثل (اجلال) والمقصبة) توجد في قاموس البلشفي . وقد فتح ولاية الامور متحفين لتولستوى في موسكو . . .

والظاهرة الثانية هي ان المحافظين الروس ينظرون الى التولستوية والى البولشفية بمنظار واحد ، (١) .

ولم يكن تولستوى وحده محط اهتمام المثقفين المصريين، بل كانت هناك أيضاً العديد من الكتابات والدراسات عن جوركي الذي سمي « اديب الصعاليك » وثمة دراسة هامة نشرتها الهلال تحت عنوان « ثلاثة من الادياء الروس . دستوفسكي ، وتولستوى ، وجوركي » (٢) .

ولم يقتصر الامر على تقديم الدراسات النهجية التي تتناول بالنقد والتليل كتابات الادياء الاشتراكيين الروس وانما خُرت هذه الفترة بترجمات لفيض غامر من الاعمال الادبية لهؤلاء للكتاب . . . ولناخذ نمونجا واحداً هو مجلة السياسة الاسبوعية ، وهي - كما هو معروف - مجلة حزب الاحرار الدستوريين . . . فقد نشرت في فترة وجيزة مجموعة كبيرة من الاعمال الادبية للكتاب الاشتراكيين والتقدميين الروس من بينها . . .

• الرهان - تشيكوف - ٢٠ أغسطس ١٩٢٧ .

• القدر - ايفان تورجنيف - ١٠ سبتمبر ١٩٢٧ .

• الطبيب - ايفان تورجنيف - ٢٧ أغسطس ١٩٢٧ .

• خادم الكنيسة - ايفان تورجنيف - ٢٤ سبتمبر ١٩٢٧ (٤) .

• كيمي - ايفان تورجنيف - ١ أكتوبر ١٩٢٧ (٥) .

• المال - مكسيم جوركي - ١٦ يونيو ١٩٢٨ .

• للشحاذ - ايفان تورجنيف - ٢٠ يونيو ١٩٢٨ .

١ - السياسة عددى ٣ ، ١٢ - ٢ - ١٩٢٧ مقال محمد مصطفى ابو رحاب

٢ - البتلة الجديدة - يوليو ١٩٣٠ .

٣ - الهلال - أغسطس ١٩٢٨ .

٤ - ترجم هذه القصص جميعها محمد كامل البهنساوى .

٥ - ترجمها ابراهيم زكى وكيل النائب للسام . . .

على أن الأمر يقتصر على النظر إلى الجانب الإيجابي والرائع من التجربة
النيوفيتية في فقيدها أهمية الصحف المصرية اهتماما كبيرا ينتج تحزب
البناء التي يقوم بها البلاشفة ، وكما تتالت مقالات الجند والهجوم
تأجيب في مقابلها ، وربما بصوت أعلى . في بعض الأحيان مقالات التأييد
والثبات ، وفي بعض الأحيان مقالات الهجوم والتهكم .
ولقد كان تفكيركم التجزئة الاشتراكية الأولى في صورة مقبولة - يمثل
في ذاتها دعابة كثيرة الأثر للمفكرة الاشتراكية التي كان الرجعيون يطعمون
باحتلالها وضماها موضع التطبيق الصحيح محاولين أن ينسجوا حول التجزئة
النيوفيتية أكاذيب تراعى بقيل الاشتراكية عندهما توضع موضع التطبيق

ولقد كان أكثر ما اعتم به اليسار المصري في ذلك الحين هو إبراز الانجازات
الاجتماعية والاقتصادية التي استطاعت الثورة البلشفية أن تحققها .
وتقد كان القاري المصري يحتاج تنافس مبهورة هذه الانجازات الرائعة
ويقارن ما يعيش فيه من تخلف وتدهور بهذا التقدم الرائع ثم يسهر
بالمفارقة بين النموذج الرأسمالي والنموذج الاشتراكي .

والحقيقة أن متابعة الانجازات الاقتصادية والاجتماعية للبلاشفة قد
شغلت معظم الصحف المصرية وليس فقط الصحافة اليسارية (فالسياسة
(جريدة الأحرار الدستوريين) تنشر مقالا تحت عنوان روسيا والعالم كله
تتول منه في الخامس من أكتوبر وفي مدينة ليننجراد عقدت اللجنة التنفيذية
المركزية اجتماعها الثاني بمناسبة ما سيجري قريبا من الاحتفال بالذكرى
العاشرة للثورة البلشفية وقد بلغ عدد الحاضرين ٦٢٢ مندوبا من اتحاد
روسيا .

وقررت اللجنة فيما قررت لجانة هذه الذكرى انقاص ساعات العمل
الى سبع ساعات بدل ثمانية في ايام دون تخصيص الاجور التي تعطي الان
وزيادة المخصص في ميزانية الدولة لبناء منازل العمال بتلخيص خمسين مليون
روبل زيادة على اعتمادها الحالي وتخفيض الضرائب التي تحبى من الفلاحين
والعمال وتخصيص معاشات لذوى الحاجة من الفلاحين الشيوخ (١)
وفي الذكرى العاشرة للثورة البلشفية تكثف السياسة تحت عنوان
البلشفية في عامها العشرين : ان ميادى البلشفية وغاياتها تتلخص في
عبارة واحدة هي الثورة العالمية وسيما الكتلة العمالية وهي لا تقف عند اية
من الأمم أو مجتمعات ولا تقيد بحدود جنسية أو قومية أو تحجب

١ - السياسة - ٢٢ أكتوبر ١٩٢٧ لسنة ١٩٢٧
٢ - السياسة - ٢٢ أكتوبر ١٩٢٧ لسنة ١٩٢٧

حسابيا للفيزوق والأقذار الاجتماعية بل هي تهدف إلى تحطيم النظام
الراسمائية ، الحاضرة وأن تمنح نظم الديمقراطية والبرجوازية وأن تكون
كلمة الكتلة العاملة هي العليا (١)

وفي المناسبة ذاتها تنشر « الهلال » ما أسمته « حقائق ومعلومات منزهة
عن الدعاية والافراض » في مقال بعنوان « بعد عشر سنوات : ماذا تم في
روسيا الشيوعية » جاء فيه « كان الانحلال العام في الامة الروسية (قبل
الثورة) أكبر مما قهر له . وكان الشيوعيون هم القوة الوحيدة في وسط
امة تموج بالفوضى كالبصر الهائج وأعلنت الشيوعية في روسيا ، وكان أول
ما ضمن النصر للشيوعيين أنهم استصفوا الاملاك وسلطوها للفلاحين والجنود
الذين كان أغلبهم من الفلاحين . وبهذا العمل انضمت كتلة الامة إلى الشيوعية
ثم استولوا على المصانع واسلموا مجالس العمال لإدارة البلاد وعمموا التعليم
وأسسوا البولية الثالثة

... وسار لينين في نظام الشيوعية دائما فجعل الحكومة تتعلق الأرض
والمنازل والمصانع ... أما الأرض فقد امتلكها الفلاحون وعم روسيا كلها
الفرح العظيم لهذا الانقلاب ،

ثم يفضي كاتب المقال مقتضابا

« والآن ما هي الحال في روسيا ؟ الفلاح يملك أرضه كما يملك الفلاح
المصري أرضه في مصر . ولكن ليس في روسيا رجل يملك أرضه ولا يشتغل
فيها . فالأرض يملكها من يشتغل فيها فقط . أما المالك القديم الذي
كان يؤجر أرضه للفلاح أو يزرع ضيعته وهو بعيد عنها مزراع البقال
في إحدى المدن . يتعم بالدخل الضخم كل سنة فيقدر زال من روسيا»

ويحكم اقاليم روسيا الآن (السوفييت) أي مجلس العمال . والانتخاب
عام يستوى فيه الرجل والمرأة لهذه المجالس . ومن اتحاد هذه المجالس
تتألف دولة روسيا .

... ويشغل العامل في روسيا الآن ٨ ساعات فقط . أما الموظف
فعمله لا يزيد عن ٦ ساعات وللعامل ١٥ يوما تمنح له اجازة بكل سنة
ويتقاضى فيها أجرته . ويمتاز العامل أيضا بأنه يعالج مجاناً ويرسل إلى
المصحات مجاناً .

والمرأة تستوى تماما بالرجل في روسيا فهي مثله في الحقوق والواجبات

الذخيرة . . . وفي وقت الحمل تأخذ أجازة قبل الولادة - بنحو ٧ أسابيع وبعد الولادة - أيضا وتعطى ائانة مالية . (١)

ومن حقنا أن نتساءل ما هو تأثير مثل هذه المعلومات على المواطن المصري ؟

الأمر الذي لا شك فيه أنها قد تركت أثرا دائما . . . ولا بد أن مثل هذه الحقائق قد لعبت دورا هاما في نصف كل الدعايات المغرضة التي حيكت ضد الاشتراكية وضد تجربتها الأولى على أيدي البلاشفة .

وفي العام التالي . . . أي في الذكرى الحادية عشرة للشورة تستخدم «السياسة» صورة البلشفية في عامها الحادى عشر ، فنقول : « مضت إحدى عشرة عاما كاملا والبلشفية تقيض على مصائر روسيا والشعب الروسى ونظمتها ومبادئها تصوغ من الشعب الروسى مجتمعا جديدا يبنى على كل العصور أعذب صورة يقدمها اليها تطور الجماعات البشرية » (٢) .
وفي نفس المناسبة تنشر « السياسة » ترجمة للحديث صحفى أدلى به برناردشو جاء فيه :

« س : لقد سمعت أنك ممن يعتقدون أن البلشفية ستعيش في روسيا ، فهل لك أن تحددنى بتعليل هذا ؟

ج : التعليل بسيط ، وهو أن البلاشفة يعلمون أبناء روسيا الأمانة العمامة بعكس الدول الرأسمالية كأنها تعلم أبناءها أن غاية الغايات هي أن يكونوا أغنياء عاطلين » (٣)

ويبدو أن اللجوء إلى الأراء الإيجابية التي تعبر عنها شخصيات ذات شهرة عالية واسعة كان أسلوبا ناجحا في الدعاية للاشتراكية . . .

وعلى لسان برناردشو أيضا . . . تنشر « السياسة » حديثا بعنوان « في البلشفية » جاء فيه : « كنت دائما أشارك السوفييت شعورهم وأنا أقول لزعماء العمال عندها أن البلشفية ما هي الا الدفاع عن طبقات العمال » . . .

ويمضى برناردشو قائلا « أتى أكرر أنني لم أخف يوما شعورى نحو السوفييت وفي سنة ١٩١٧ أو ما يقرب منها لنا كان ليثنى بعد هبة

١ - الهلال - يناير ١٩٢٨ - ص ٣٢٩ .

٢ - السياسة - ٢٢ أكتوبر ١٩٢٧ .

٣ - السياسة - المرجع السابق .

أكبر نحو الخلود. لانجلترا قدمت اليه نسخة من آخر رواية القتها في ذلك
المعهد منقوشا عليها عبارة اخلاص قلبي . وارسلتها اليه بواسطة السفارة
الروسية .

س : لقد سمعت أن قوة السوفييت في تدهور ، فخطاباتهم هذه ما هي
الا الكبرياء التي تسيق السقوط .

برناردشو : وعلى كل . حتى اذا ما سقطت حكومة السوفييت فان
الفكرة سوف تعيش . ان الراء لها طريقها الى الخلود . وليس بإمكان
اي فرد أن يقتلع تلك العقيدة من نفوس السوفييت . كما أنه ليس بإمكان
أي سياسي أن يمحو من ذاكرة العالم عقيدة حكم الامم نفسها بنفسها .

وكيفما يحكم القدر في مصير الروسيين فان نفوذهم على أفكارنا لن
يكون بأقل تأثيرا من التغيير الذي أحدثته الثورة الفرنسية ، أو عندما
اعلنت المستعمرات الأمريكية استقلالها (١) .

وثمة حديث آخر من العلامة لينشتين ، تنشره « المجلة الجديدة » جاء

فيه :

س : اليست آسيا هي أم الأديان جميعا ؟

ج : يبدو أنها الكنز العظيم للأفكار ، بل لقد عرفت ان الشيوعية
نفسها قد جربت في آسيا قبل آلاف السنين .

س : هل تظن أن العالم الغربي سيمر في طور شيوعي ؟

ج : اذا حدث هذا فاني لن أدهش .

س : وكيف تكون حياتك في مثل هذا النظام ؟

ج : تكون لا بأس بها .

س : هل توافق لينين على أن الحرية الاقتصادية من أوامم الاغنياء
ولاطبقات المتوسطة ؟

ج : ربما كان لينين صادقا ، فالحرية الكاملة لا تتفق والحضارة . فاذا
كدت لا أحب ان أحدا يدوسني فاني اضطر الى الخضوع لانظمة تحد من
حريتي ، وكلما زاد رقي الامة زادت تضحيات الترد وهذه التضحيات هي ثمن
الحضارة (٢) .

١ - السياسة - ١١ أغسطس ١٩٢٨ ، حديث مع برناردشو بقلم سلفتر
فيريك ترجمة أحمد محمود بيومي .

٢ - المجلة الجديدة - السنة الأولى للمعد السادس . أبريل ١٩٣٠ ترجمة
لحديث أجراه فيريك ص ٧٤٦ .

بأنه ولو أننا إن تطمئننا بالاثرون البالغ الذي تركته آراء كهذه عندهم، نتصل إلى
الهدف المصري، منسوبة إلى اثنين من أشهر الشخصيات العالمية، فيرنارد شو
واينشتين . . .

له ولقد كان اللجوء إلى هذا الأسلوب الذي تكرر كثيراً والذي لم يكن
ما أوردناه عنه سوى نماذج قليلة تعبر عن ذكاء ومقننة تلك العناصر التنويرية
والتعليمية التي كانت تتحين الفرصة للانقراط أي يخطط يمكن أن يصل
بوعايتها إلى قلوب الجماهير، والتي - وهذا هو المهم - إمكانية النشر
لكنني أعتقد إن أهم ما حققته التجربة السوفيتية من آثار في نفوس
المصريين كان نابعاً من نجاحها الحاسم في بناء الاقتصاد السوفيتي،
وأعتقد أيضاً كيف أخذت الصحف والمجلات المصرية بالخرزات السوفيتية
المتنوعة، وأبرزتها في كثير من كتاباتها . . . لكن أهم ما شمل انتباه المثقف
المصري كانت برامج السنوات الخمس . . .

وفي حديث عن برنامج السنوات الخمس والاهداف التي يرمع تحقيقها
يقول الهلال : . . . ويشرف على تنفيذ هذا البرنامج العظيم لجنة
تسمى "جوسبلان"، وهم أعظم لجنة اقتصادية في الجوله ولها سلطة لا حدود
لها في الشؤون المالية والاقتصادية . . . وقد أنشئت هذه اللجنة منذ
سبع سنوات واليهما يرجع برنامج السنوات الخمس الذي نحن بصدده . . .

- واليك بعض ما تحدرته هذه اللجنة . . .
- ١ - أن يزيد مجموع القوى الكهربائية بنسبة ٧٧% بالية .
 - ٢ - أن يزيد مجموع إنتاج الفحم والزيت بنسبة ٨٢,٣% بالية .
 - ٣ - أن يزيد إنتاج البلاد الزراعي إلى أكثر من ضعفه .
 - ٤ - أن يزيد إنتاج معامل النسيج والالات على اختلاف أنواعها بحيث
تتسارع في آخر السنوات الخمس على حاجة البلاد، ويكون في الامكان
تصنيعه . . .
 - ٥ - أن يتقدم في البلاد العامل الكيماوية، التي تفي بالحاجة . . .
 - ٦ - أن ينفذ البرنامج كله على احث الاساليب الاشتراكية بحيث

تعتبر جميع المعامل والمصانع والموارد والمنتجات ملكاً
للشعب (١)

شعبنا ٧٢١ - ربيعنا . . .

١ - الهلال - مارس ١٩٣١ - ص ٧١٠

لكننا سنكتفى ببعض هذه الكتابات كنماذج للاجتهد المبررى في مجال الفكر الاشتراكي

ولنبدا بمقال بعنوان : احتضار معتقدات وتولد معتقدات . . . كاتبه هو نجيب محفوظ . . . فلما أخذت الاعتقادات القديمة في القضاء وأخذ العقل يسلط نوره عليها فيظهر من عيوبها ويكشف عن سوءاتها التي عاشت ورسخت في النفوس أخيراً كحقائق لا مراء فيها ولا جدال ، ولما حل الشك محل الإيمان ، تأثر الأبناء بذلك ، التطور الذين هم من أكبر دعائه ومؤيديه بما يؤمنون من كتب تحمل على القبحيم ، تحاول أن تأتي عليه وتخلصنا من استعباده ورقه

وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت بين أيدينا مجموعة وافية من الكتب والتخصص تبعث قراءتها على الشك في الماضي بآرائه ومعتقداته أو تدعو لذهب جديد كالاشتراكية والعالية وغيرها

والذي يجدر بنا أن نلاحظه هو أن جميع الأديان الجديدة ترمي إلى إبعاد العالم وإزالة الفروق الوطنية ، وهي تتفق في ذلك مع الأديان القديمة مثل المسيحية والإسلام ، ولكنها تزيد على ذلك فيدعو بعضها إلى إزالة فوارق الطبقات المادية

ولو أننا أردنا أن نختار بالذهب الذي سوف يكون له الفوز من بين المذاهب لقلنا - أو لأحبينا أن نقول - بأنه مذهب الاشتراكية ويورد نجيب محفوظ سلسلة من الأسباب يستند إليها في تنبؤة بانتصار الاشتراكية ثم يقول : وهناك أسباب كثيرة أخرى تجعلنا نكاد نؤمن بأن المستقبل للاشتراكية

كذلك فإن الاشتراكية - عند نجيب محفوظ - ليست نهاية المطاف بل هي مقدمة لمجتمع أفضل ، فإنه وإن كانت الاشتراكية أن توصلنا لحالة من النعيم لا مطلب خلفها إلا أنها تستطيع أن تتخلصنا من حالتنا هذه إلى خير منها ، وليست الاشتراكية نهاية ما يمكن أن يتطور إليه النظام الاجتماعي وعليه فالتطلع للأحسن سيدفعنا دائماً للتشبيب عما فيه سعادتنا ورفاهيتنا

وإذا كان البعض يوجه انتقادات إلى التجربة السوقية - وإذا كانت هذه التجربة قد تعرضت في البداية لبعض المصاعب فإن نجيب محفوظ يعلق على ذلك قائلاً : وجملة ما أريد أن أقوله عن هذا الأمر أنه لو خاب إيماننا في الاشتراكية بعض الخيبة فليس معنى ذلك أننا نرغب في الرجوع إلى

«إننا السيئة - الحالة الحاضرة - إنما يجعلنا ذلك يزيد إيماننا بالتطور الذي هو الخالق الوحيد للاشتراكية وغيرها من الآراء والمعتقدات» (١) .

روثمة كتاب وأدباء كثيرون أيدوا الاشتراكية أو تنبأوا بانتصارها على أرض مصر وعنيما يحاول إبراهيم عبد القادر المازني أن يتصور «مصر بعد مائة عام» فإنه يؤكد « أن الاشتراكية لا مفر منها بطبيعة الحال - ودولو بقوة البدوى من الغرب » (٢)

أما اسماعيل مظهر فإنه يركز هجومه على النظام الرأسمالي في مقال بعنوان « الأزمة الاقتصادية ، بواعثها واحتمالاتها الأخيرة » ، ويركز هجومه في سلسلة من الأحكام القاطعة الحاسمة « سوف ينتهي النظام الرأسمالي من حيث بدأ » بدأ بالانتاج الصناعي وسيحطه الانتاج الصناعي . بدأ باختراع الآلات وسوف تقضى عليه الآلات . وبدأ باستجماع رؤوس الأموال . وسوف تقتله رؤوس الأموال » (٣)

لكن الهجوم لم يكن هجوما مجردا على الرأسمالية بشكل عام وإنما تناول أهم قضايا المجتمع المصري . . . في الزراعة والصناعة على السواء . . . « من يملك مصر » هذا هو السؤال الذي قذفت به « المجلة الجديدة » في روجه النظام القائم واجابت على تساؤلها هذا قائلة « المصريون لا يملكون مصر وإنما يملكونها من يملك الأرض الزراعية فيها وهم ١٢٢ر٩٧ر٢٢ مالكا . وسائر الامة الذي يبلغ ١٣ مليوناً لا يملك شيئا من هذه الأرض . وأغرب من هذا أن يملك نصف الثروة الزراعية في مصر أقل من ١٣ر٠٠٠ نفوس » (٤)

ويضيف كاتب آخر هو عبد الحميد عبد الغنى الى هذه الحقائق حقيقتة أخرى أشد مرارة « فأكثر من ١٥٪ من كبار الملاك هم من الاجانب . وأكثرهم سلب أملاكه بطريق الربا الفاحش » .

لكن هذا الكاتب لا يكتفى بانتقاد الشكل القائم لتوزيع الملكية الزراعية وإنما يتحدث عن « نظام الملكية المشاعة » . . الذي حققته روسيا الشيوعية في جزء كبير من أرضها » .

ويعضى الكاتب قائلا « ومن الناحية التاريخية نجد أن الملكية المشاعة

١ - المجلة الجديدة - أكتوبر ١٩٣٠ - ص ١٤٦٨ .

٢ - الهلال - فبراير ١٩٢٩ .

٣ - المجلة الجديدة - سبتمبر ١٩٣٠ .

٤ - المجلة الجديدة - سبتمبر ١٩٣٠ .

سبقت الملكية الشخصية فالارض في العصور التاريخية الاولى كانت ملكا
مشاءا لجميع الناس يستثمرها من يشاء

لكنه اذا كان من المستحيل ان يطبق في بلد كقصر نظام الملكية
الزراعية المشاعة فان الكاتب يقدم تصورا آخر لفكرة الملكية فيقول
« ان لو وجدت قرية مساحتها ٥٠٠ فدان موزعة على خمسين شخصا
تختلف ملكية الفرد منهم بين ٥ ، ٢٠ فداناً لوجد بذلك نظام الملكية
الصغيرة . وفي الوقت ذاته يستطيع هؤلاء الملاك الصغار ان يكونوا مزرعة
واجيدة تتبع نظام الانتاج الكبير ، وذلك بتكوين جمعية تعاونية ذات
٥٠٠ سهم كل سهم ينوب عن فدان فتحصل هذه الجمعية محل المالك
الكبير »

ووفق ذلك يعرض الكاتب لآراء هنري جورج الواردة في كتابه الشهير
« الفقير والتقدم » فيقول « يرى هنري جورج انه كلما ازدادت الثروة العامة
ازداد الفقير انتشارا - ففي افريقيا الوسطى لا نجد من يستحق ان يسمى
ثنياً . ولكننا لا نجد هؤلاء الذين لا يجدون الثروت الضروري الا في
الاعطاش الغنية وهذا لا يرجع الى عجز الطبيعة عن كفاية الناس بل
الى الامتلاك الفردي للأرض ، والعلاج الوحيد هو جعل الارض ملكا
مشاعاً . فالامتلاك الفردي منافي للطبيعة . فكما ان لجميع الناس
حقوقاً متساوية في الهواء والضوء ، كذلك يجب ان يكون لهم حقوق متساوية
في الأرض . (١) »

وحول الاستغلال الرأسمالي في مجال الصناعة شن الكتاب التقدميون
والاستراكيون هجوماً عنيفاً وعندما لاحت بوادر الازمة الاقتصادية في
مصر ، أكد هؤلاء « ان معظم ما يصيبنا من كساد في مصر ناشئ من ان
طائفة العمال لا تستغل شئنا عظيماً لا في اللباس ولا في الطعام ولا في
المسكن ولا في أي شئ آخر وليس ذلك الا لانهم يعانون من قلة الأجور بحيث
لا يستطيعون التأثير في الاسواق الداخلية بما يشترونه حتى تروج الاعمال
فاذا استعملنا الشح مع العمال انعكس علينا عملنا بالكساد » (٢) .

ثم هم يهاجمون محاولات الرأسماليين لعقد اتفاقات احتكارية فيما
بينهم فيقولون : « هناك احتكار جديد نشأ بالاتفاق بين الشركات التي
كان الوضع التجاري الاصلى يقول أو يروم بتراحمها . مثلاً في الشركات التي

- ١ - المجلة الجديدة - أبريل ١٩٣٤ - مقال امتلاك الاراضي الزراعية -
بقلم عبد الحميد عبد الغنى ص ٤٣
- ٢ - كل شئ - ٢٥ أكتوبر ١٩٢٦

تبيع البترول والبنزين فأنها رأت انها تخسر بالمزاحمة ، وقد أصبحنا
بأقناعتها هذا تشتري البترول والبنزين بأعلى الاثمان ، .

وفرضة كهذه لا يمكن أن تمر بغير اثاره قضية اخرى باللغة الأهمية هي
العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفييتي ، ومما زاد هذه الشركات طغيانا
ثقتها بأن الحكومة المصرية تقاطع روسيا وتكره الاتجار معها فليس هناك
أذن ما نخشاه من استيراد البترول منها وبيعه بثمن منخفض لقاء تصدير
القطن اليها مثلا ، (١) .

بل لقد نجح الكتاب الاشتراكيون أيضا في ربط قضية الاشتراكية
بقضايا النضال ضد الاستعمار ، . ومرة اخرى فاننا نشهد للجوء الى
أسلوب بريد القراء ، .
• بيروت • سائل

هل تنيد الاشتراكية البلاد الشرقية ونعينها في نيل استقلالها ؟

الهلال : يقوم الاستعمار على استغلال عمال البلاد المستعمرة . فلو
كانت أجرة العامل الهندي لا تقل عن أجرة العامل الإنجليزي لما وجد
أثنياء إنجلترا فائدة من استقلال الهند ولاكتفوا باستثمار أموالهم في
بلادهم . والاشتراكية تريد أن تنصر العمال وتمنع استغلالهم فهي من
هذه الوجهة تكافح الاستعمار ، (٢) .

ولسنا نستطيع أن ننتقل الى موضوع آخر بغير أن نؤكد أن كل
ما أورثناه من محاولات للدفاع عن الاشتراكية أو الحديث عنها لم يكن
الا مجرد نماذج قليلة من موجات لا تنتهي من الإبداعات الفكرية . كتب
بمقالات ومنشورات وأزجال وقصائد وقصص . موجات بغير حدود من
الإبداع الفكري المصري دفاعا عن الاشتراكية . .

وفي الثلاثينيات حيث كانت سطوة حكم كبار الملاك والرأسماليين في
أوج عنفوانها ، وحيث حاولوا مرارا أن يجربوا الوسائل الديكتاتورية بحثا
عن « . موسيليني مصري » وحيث كانت مصر كلها تقفش لنفسها عن طريق
جديد . .

كانت هذه الكتابيات ذات قيمة غير محدودة . .

فقد عبرت عن أصرار أجيال متعاقبة من الماركسيين المصريين على
أن يتقنوا كلمتهم وعن أصرارهم على مواصلة تحدى الرأسمالية وحكامها . .

١ - المجلة الجديدة - أبريل ١٩٣٤ - ص ١١١ .

٢ - الهلال - أبريل ١٩٣٦ ص ٧٧٦ .

وقد عبرت أيضا عن خصوبة الابداع الفكرى الاشتراكي في مصر
وتنوعه وشموله لجوانب هامة من جوانب الحياة الاساسية للمجتمع . . .

كذلك فان دراسة هذه المواد تبدو مسألة ضرورية لتفهم كثير من الاتجاهات
والاآراء والواقف التي يمتد في قلب الحركة الوطنية المصرية . . .

فان سنوات الثلاثينات كانت سنوات الاحتضان ، و « العطاء »
والخلق ، بالنسبة لجيل ما بعد الحرب العالمية الثانية ذلك الجيل الذي
لعب في تاريخ مصر كله وفي مستقبلها كله اثارا بغير حدود . . .

ويغير ان نكون بخاجة الى ان نسبق الأحداث ، نستطيع ان نقرر ان
هذه الكتابات كانت دليلا كافيا على ان فكرة الاشتراكية قد ظلت حية
راسخة في وجدان مصر . . .

وان كان البعض قد توهم في الثلاثينات ان الاشتراكية قد صفت وضربت
في مصر فقد كان مخطئا كل الخطأ . . .

فلقد احتضنت مصر هذه الانتكاسات وفتحها فقا وخصوبة مكانها من ان
تحتزم وتنبت وتنجب لصر جيلاً جديداً من الماركسيين . . . ظل يواكب ويسهم
في عملية الاختمار هذه وينمو معها وبها حتى ظهر . . . ورينما بشكل بدا وكأنه
مفاجيء في نهاية الثلاثينات في صورة كتائب كاملة من الشيوخين المصريين . . .

وهكذا فان الصفحات السابعة كانت محاولة لتصور المناخ الفكرى
والسياسى الذى عاشت وابدعت فيه وعانت منه طلائع الجيل الجديد من
الشيوخين . . .

••• مسرحية سكلّا تقلالاً

وسكلّا تقلالاً كان النائب الشيوعي الوحيد في البرلمان الانجليزي ، وكان عضواً في اللجنة التنفيذية « للعصبة النامضة للامبريالية » وهي تنظيم عالمي يضم ممثلين عديدين لحركات التحرر الوطني في مختلف انحاء العالم .

ولقد كانت الرجعية المصرية شديدة الخفر من ان يمد الحزب الشيوعي الانجليزي نطاق اهتماماته الى مصر . فان ذلك سوف يخلق لها صعوبات جمة ، وان كان الامر قد حسم تماماً مع سلطات الاحتلال بحيث لا يستثنى من حملة الاضطهاد أي يساري مهما كانت جنسيته .

ويبدو ان الحزب الشيوعي الانجليزي قد حاول ايجاد علاقة ما بالشيوعيين المصريين ، وفزعته الاهرام تحت عنوان « مساعي البلاشفة في مصر » ابدي للشيوعيين الانجليز فيها « ثقالت » لندن في ٢ يونيو - خطاب للمستر كل في المؤتمر الشيوعي بمدينة جلايغو فقال انهم قطعوا خطوات جدية جداً في سبيل ايجاد روابط بينهم وبين الاحزاب الثورية في مختلف انحاء الامبراطورية وهم الآن على اتصال مع احزاب اخرى في فلسطين وسوريا ومصر ••• (١)

لكن الخطر لاكبر كان يأتي في نظر الرجعية المصرية وسلطات الاحتلال من « عصبة التضال ضد الامبريالية » .

وقد ركزت اجهزة عديدة للمخابرات جهودها لتقصي نشاط هذه المنظمة الدوابة وعلاقتها بالقوى الوطنية المختلفة .

وثمة وثيقة حصلت عليها المخابرات البريطانية من المخابرات الهولندية حول نشاط هذه العصبة وتقول هذه الوثيقة (٢) « في فبراير ١٩٢٨ تلقت المخابرات الهولندية المعلومات التالية عن منظمة عصبة التضال ضد الامبريالية : والعصبة تضم الشيوعي الانجليزي سكلّا تقلالاً والهندي الثوري

١ - الاهرام - ٣ يونيو ١٩٢٥ .

(٢) - F. 371/13417-File : 152/792 - W : 5302/157/29

وهي محفوظة بالمتحف البريطاني ومؤرخة في ٤ مايو ١٩٢٨ ومثبتت على صحتها الاولى انها ترجمة لتقرير سري باللجنة الانسانية .

جواهر لال نهرو (الذي يتردد كثيراً على برلين) والصيني لوشان سن وعندوب جنوب افريقيا كولركين . . .

وقد حضر نهرو المؤتمر الاول للعصبة الذي عقد في بروكسل في فبراير ١٩٢٧ كممثل لحزب المؤتمر الهندي واصبح عضواً في اللجنة التنفيذية للعصبة . وهو ابن بانديت لوتى لال نهرو الذي حضر المؤتمر الثاني للعصبة في برلين في ديسمبر ١٩٢٧ ولكن نهرو الاب يبدو اكثر اعتدالاً من ابنه .

ومن المفيد ان نشير الى ان هذا السياسي المعجوز والذي يبدو انه قد زار موسكو مؤخراً قد قام ايضاً بزيارة القاهرة . وخلال زيارته هذه اتصل عدة مرات بجمعية الشباب المحمدي التي تأسست في مطلع هذا العام . وهي جمعية دينية ذات اهداف سياسية ويزانها الدكتور عبد الحميد بك (عبد الحميد سعيد) عضو البرلمان وهو احد القادة المتطرفين للحزب الوطني وقد وعده نهرو بنشر الدعوى لتاسيس فروع لهذه الجمعية في الهند .

ولسوف تشهد صفحات قادمة مدى الضرر الذي اصاب الدوائر الامبريالية والرجعية المحلية من مثل هذه العلاقات . . .

لقد احسوا بالحركة الوطنية المصرية وهي توشك تتفتح على حركة اليسار العالمي فكان لابد من ضربة سريعة وحاسمة . . .

ذلك ان العناصر اليمينية في الحركة الوطنية المصرية كانت تكزّه اليسار الى حد انها كانت ترفض ما يأتى عن طريقه حتى ولو كان تاييداً للاماني 'الوطنية المصرية وللنضال الوطني المصرى ضد الاستعمار . . .

وهكذا بدأت مسرحية سكلاتفالا . . . بهدف ادانة أى اتصال باليسار العالمي حتى ولو كان هذا الاتصال في اطار النضال العام ضد الاستعمار . . .

وسكلاتفالا نائب شيوعى في مجلس العموم البريطاني . وهو عضو في اللجنة التنفيذية لعصبة النضال ضد الامبريالية ، وتكتسب عضويته هذه وضعاً خاصاً نظراً لكونه من اصل هندي وقد طلب سكلاتفالا تأشيرة دخول مصر من المفوضية الملكية المصرية لندن لكنها ابلغته ان وزارة الداخلية ترفض ذلك . . .

واقام سكلاتفالا الدنيا واقعدما . فلعلها المرة الاولى التي ترفض فيها حكومة بلد شجبه مستعمر منح تأشيرة دخول لعضو في برلمان الدولة الاستعمارية . . .

ووجه سكلاتفالا نداء الى الراى العام المصرى . . . ورسالة الى عدلى يكن رئيس وزراء مصر يحثج فيها على منعه من الدخول الى مصر . وعن طريق

الذرع المصروف لعصبة النضال ضد الأمبريالية وصلت نسخ عديدة من هذه الرسائل إلى كثير من الشخصيات الوطنية المصرية وأعضاء البرلمان الذين اثارهم ان ترفض الحكومة المصرية منح تأشيرة الدخول للنائب الوحيد في البرلمان البريطاني الذي يدافع عن حق مصر والذي وقف في البرلمان - وحيدا - معترضا على طرد القوات المصرية من السودان وغرامة النصف مليون جنيه في اعقاب مقتل السردار .

ولقد كانت خطابات سكلا تقالا الى اصدقائه المصريين وإلى الرأي العام المصري عنيفة غاية العنف وكان يصيح قائلا : تكلموا ، تكلموا يا ابنساء مصر ، تكلموا ، تكلموا بأعلى صوتكم ، وبأصرح وبأسرع ما يمكن ، حتى تستطيع ان استمع الى صوتكم وإلى ارادتكم من هنا من بعيد .

وكان يوجه في رسالته اسئلة مزيرة ، اجاباتها اكثر برارة . هل صحيح انكم تمنعون رجلا فقيرا مثلي من دخول بلادكم لجرد اننى اناضل من أجل الحرية الكاملة لشعب بلادكم ومن أجل تخلصه من أى تحكم أو استغلال أجنبي ايا كانت جنسية القائمين به ؟ وهل من حق اصدقائى الهنود ان يفترضوا ان انصريين يضطهدوننى وأنا العضو الشرقى الوحيد في البرلمان البريطانى بينما لا يمنعون أى عضو آخر في البرلمان ، هؤلاء الاعضاء الذين ايدوا فرض غرامة النصف مليون جنيه استرليني على مصر والذين طردوكم من اراضى اتليمكم السودان ؟ ام ماذا يا شعب مصر ؟ هل برلمانكم مجرد العوبة ؟ وهل كان وزراؤكم مجرد منفذين مطيعين لتعليمات بريطانية بمعنى من دخول مصر ؟ ام ان استقلالكم وبرلمانكم محدودا الاثر . (١)

واحدثت هذه الاسئلة المزيرة لثما وانتقلت القضية الى الصحف ومنها نلى البرلمان . .

وفي البرلمان جرى نقاش حاد اثاره سؤال موجه الى وزير الخارجية من الدكتور حامد محمود . ثم استجواب موجه الى رئيس الوزراء من النائب حسن سيد احمد نافع (٢) .

١ - راجع النص الكامل للنداء في الملاحق . وهى احدى الوثائق المحفوظة بالمتحف البريطانى وتتضمن صفحاتها الاولى البيانات التالية (وثائق وزارة الخارجية البريطانية - مكتب السجلات العامة - ملف رقم ١٢٢٥٤/٢٧١ - رقم الوثيقة ١٨٨٠ لا يجوز تداولها ولا تصويرها الا باذن خاص) .
٢ - احمد شفيق باشا . حوليات مصر السياسية . الحولية الرابعة عام ١٩٢٧ - الطبعة الاولى ١٩٢٨ مطبعة حوليات مصر السياسية . ص ١١

والحقيقت ان النصوص الكاملة لمصيبيتي مجلس النواب حول مناقشة
موضوع سكرات تفرقا تقديمان ليا صورة مسرحية بالغة الدلالة
فلقد حاول النواب الرجعيون ان يقلبوا المسألة على شكل تفرقا
فمفردا عبارة وردت في خطاباته التي اصدقاها المصريين جاء فيها ان البرلمان
البريطاني لا يتنا يدعى نظاما واقتدارا حتى الرقابة العليا على المواقف
المصرية ويحتفظ بممثلين عسكريين وعلكيين في الأراضي المصرية والسودانية
فمصفتي عضوا في هذا البرلمان احد من واحبي اراء الشيعيين البريطانيين
والثوري ان آتي التي مضر لدرست مسائل معينة في مواقفها
ويقف محمود صالح جريب منسرا هذه العبارة على هوامحها
سكرات تفرقا بانه يعتبر مصر جزءا من الامبراطورية البريطانية ويصبح باعلى
صوته و ان هذا التصريح قد افقد المستر سكرات تفرقا كل عطف في هذه البلاد
لاي مصر لم تكن يوما ما ولن تكون تابعة للامبراطورية البريطانية ويعلو
صوته اكثر فاكثرا ان القلوب التي امتلات بحب الحرية لا تزال في صدورنا
كما ان اشتياح النفوس التي سالت تماؤها على حد السيوف واسنة الرياح
في ابيد الحضور على استقلال البلاد لا تزال ماثلة امامنا (تصديق)

اننا يا حضرات النواب الكرام نغار على استقلالنا ان يمس حتى
ولو بالكلام ولهذا نحن لا يمكننا مطلقا ان نغفل في صياقتنا رجلا يريد ان
يهين ارضا باعتبار انها جزء من الامبراطورية البريطانية (١)
ويتصدى محمود حافظ رمضان باليد كاشفا الحقيقة قاربا على النواب
فقرات من الخطاب الشخصي الذي وصله من سكرات تفرقا مؤكدا ان منعه من
دخول مصر هو اساس بالاستقلال وليس دفاعا عنه

ثم يكشف محافظ رمضان كل اوراق اللعبة موضحا الاسباب الحقيقية
لمنع سكرات تفرقا من دخول مصر فيقول في الواقع يا حضرات الزملاء ان هذا
النائب لم يك فائدا بريطانيا فقط بل الحقيقة انه عضو في جمعية انشئت في
العالم العربي وبيوتهم في يوم ١٠ فبراير للقيام وهي تضد كل استثمار
غربي وجمعية اعضاؤها في جميع البلدان الحائدة كالسويد والنرويج
والدانمرك وغيرها ونظريتها ان جمعية الامم الحاضرة انما هي جمعية حكومات
تريد ان تقسم بلاد الضعفاء واذ اريد ان تتوجد جمعية امم حقيقية وجب
ان يكون فيها نواب من الامم انفسهم لا من حكوماتها فقط وعلى هذه القاعدة

١ - مصيطة الجريدة الثانية والعشرين للخبير النواب يوم ٢٥ يناير
١٩٢٧ - النص الرسمي - ص ٢٨٦ وما بعدها - راجع النص الكامل
بالتالي

يريدون ان تكون اعمال جمعية الامم وتصريحاتها موجهة ضد كل استعمار
وتلاخذ بناصر الامم المستضعفة .

ليقتل ان يحضر التي مصر رجل هذا شأنه ليدافع عن الاستعمار البريطاني
مع انه حوكم في بلاده من اجل آرائه ضد الاستعمار (١) .

وهكذا تنكشف اللعبة ويتضح السبب الحقيقي لمنع سكلنا تقالا . .
فالرجميون المصريون لا يريدون أى علاقة بعصبة اللضال ضد الامبريالية . .
وهم لا يريدون أية تمس مع اليسار حتى ولو تضمن تأييدا من هذا اليسار
لحقوق مصر القومية . .

ويمضى النقاش عنيفا ثم يوجه عبد الرحمن عزام سؤالا يقول « أريد ان
استلم اولاً من دولة رئيس مجلس الوزراء هل حصل احتجاج من الحكومة
البريطانية أو من احد ممثليها على منع هذا النائب ؟ » ويبتلع رئيس الوزراء
الخطم ويجيب « لم يحصل احتجاج » .

وهنا يعلق عبد الرحمن عزام قائلاً « أردت بهذا السؤال ان الفت نظر
حضراتكم إلى ان الحملة التي اشهرت على المستر سكلنا تقالا بأنه رجل يؤيد
الاستعمار البريطاني ويدعو إليه في مصر وانما هي حملة غير حقيقية اصيلا
ولا تستند الى شيء من الصواب - والدليل على ذلك انه لو منع نائب آخر
لا يمتنع مبادئ المستر سكلنا تقالا المتطرفة لاحتجت الحكومة الانجليزية على
هذا التصرف . واني ارى هذا كافيا في ان يزيل من اذهان حضراتكم آثار
الحملة التي اريد بها ان تنزع من قلوبكم العطف على ذلك النائب المحترم . »
وهنا يكشف النواب الرجعيون النقاب عن وجوههم ليتحدثوا بصراحة .

« عبد السلام عبد الغفار بك : اننى اؤيد الحكومة بكل قوة في الاجراءات
التي اتخذتها ضد المستر سكلنا تقالا . . . وعلى كل حال الشيوعية مكروهة
وانا احبذ تصرف الحكومة في هذا الحادث وارجو ان تؤيدها وان تطلبوا منها
الاستمرار على اتباع هذه الخطة » .

« ويتولى الدكتور محجوب ثابت « ارى ونحن في وقت يراد فيه الصيد
في الماء للعكر بكل الوسائل ان من واجبا ان لا نمكن شيوعيا كائنا من كان
عن الحضور الى هذه البلاد » .

واخيرا يعلن رئيس المجلس قفل باب المناقشة ويقرا اقتراحين « احدهما
من حضرة عبد الرحمن عزام الهندي وحفى محمود بك ونصه « نقترح ان تعيد

للحكومة النظر في مسألة النشر سكتا تقالا وان تسمح له بالدخول في القطر
المصري اذا تعهد بالا يتكلم وبالا ينشر الدعوة الشيوعية في مصر ، . ويمضى
رئيس المجلس معطيا لنفسه وحده حق رفض هذا الاقتراح فيقول « يخيل الى
ان هذا الاقتراح غير مناسب في صيغته لطبيعة الاستجاب . . . واظن ان الاقرب
الى ذلك هو الاقتراح الثاني المقدم من حضرة محمد صبرى ابو علم افندى
وهذا نصه :

« المجلس بعد سماع بيانات حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء
يكتفى باثباتها وينتقل الى جدول الاعمال ، . . . »

وهكذا اسدل الستار على موضوع سكتا تقالا . . .

لكنه يبقى امامنا ان نعرف ان البرلمان الذي ناقش هذا الموضوع كانت
الغلبية لحزب الوفد . . . وان رئيس الجلسة كان سعد زغلول ثم مصطفى
النجاشي . . .

ولعل هذا يلقي ضوءا على علاقة الوفد باليسار في هذه الايام ، فقد
اخطت قيادة الوفد في ذلك الحين لنفسها خطأ يمينيا يبتعد بها عن اى تلامس
مع اليسار حتى ولو كان الهدف منه . . . نضال مشترك ضد الاستعمار .

ومكذا ولد تحالف اليسار مع القوى الوطنية الاخرى ضعيفا غاية الضعف
بعد ان فقد مباركة قيادة الوفد وتأييدها . . .

عبد الرحمن فضل .. يعدل قانون الجنسية

لعلها قصة أشبه ما تكون باللحمة الدرامية منها بالحديث السياسي ..
قصة ذلك النجار الذي خاض معارك الحزب الاشتراكي المصري منذ
بدايتها الاولى .. ثم سافر الى فلسطين فتركيا في طريقه الى حلم يريد ان
يحققه .. ان يدرس النظرية الماركسية في الاتحاد السوفييتي .

ومن تركيا يتسلسل الى مركب تحمله الى الاتحاد السوفييتي ، وينضم
عبد الرحمن فضل بتوصية من الحزب الى « جامعة ستالين لكادحي الشرق »
وتتعدد اقامته في الاتحاد السوفييتي قرابة العشر سنوات .. يدرس ويعمل
ويبتزج فتاة روسية .. لكة يقرر ان يعود الى وطنه مصر .

كان بإمكانه ان يبقى هناك ، لكن الرجل المعجوز ترتعش يده وهو
: « ول جاهد ان يهزها في حماس قائلا : « كان لازم ارجع . مش المهم اني
!درس ولتسلم ، المهم اني ارجع بلدى عشان اتاضل فيها من اجل الاشتراكية » .
وقرر عبد الرحمن فضل ان يعود ..

وكان يعلم ان ثمة مشكلة خطيرة تفتنظره فقد اسقط الرجعيون عنه
جنسيته .

فصدقى باشا بعد ان اعلى دستور ١٩٢٢ ، استصدر في يونيو ١٩٢١
مرسومين بقانونيين استهدف بهما توجيه ضربة عنيفة لكل القوى التقدمية
والديمقراطية في مصر ..

المرسوم الاول عدل به قانون المطبوعات ومواد قانون العقوبات المتصلة
بالتصحافة .

والمرسوم الثاني عدل به قانون الجنسية .

ووفقا لهذا المرسوم الذي صدر في يونيو ١٩٢١ صار تعديل المادة ١٣
من قانون الجنسية بحيث يصبح نصها كما يلي :

« مادة ١٣ : يجوز اسقاط الجنسية المصرية بمرسوم عن يقبل
دخول الخدمة العسكرية لدى احدى الدول الاجنبية بدون ترخيص من الحكومة
المصرية وكذلك عن يقبل خارجا عن التطر المصري وظيفة لدى حكومة اجنبية
ويبقى فيها بالرغم من الامر الذي صدر له من الحكومة المصرية بتركها .

وكذلك يجوز إسقاط الجنسية المصرية بهرسوم عن كل شخص يقيم خارجا عن القطر المصري ويكون منضمًا إلى هيئة غرضها نشر دعاية ثورية ضد النظام الاجتماعي أو الاقتصادي للدولة أو ضد النظم الأساسية للمجتمع أو ترمي إلى الوصول إلى مذنب الغرض بآية وسيلة أخرى أو يكون منضمًا إلى مركز أو فرع أو معهد دراسي أو غير دراسي أو إلى مكتب أو جماعة تابعة لمثل تلك الهيئة أو متصلة بها أيا كان وجه التبعية أو الاتصال وسواء كانت تلك الهيئة أو احد ملحقاتها موجودة في القطر المصري أم في الخارج ، وكذلك يجوز إسقاط الجنسية عن كل شخص ينتمي في مثل هذه الشروط المتقدمة تعاليم مثل تلك الهيئات والمتاليفها سواء كان ذلك بحضور ذرويس أم بآية طريقة أخرى . (١)

وكذا تسقط الجنسية مسؤولة وببشر ويحكم ما أسماه صدق قانوننا عن كل مواطن يتصل أي نوع من الاتصال بهيئة تتصل بأي نوع من أنواع الاتصال بالاتحاد السوفيتي أو يتلقى ذرويسًا في معهد دراسي أو غير دراسي عن النظرية الماركسية وسواء كانت تلك الهيئة أو احد ملحقاتها موجودة في القطر المصري أم في الخارج .

وكان واضحًا تمامًا ان الهدف من استصدار هذا المرسوم هو اعتبار ان مجرد اتهام المصريين انهما اداريا بالشيوعية يقتضى باسقاط الجنسية عنهم . كذلك فهم ان استصدار المرسوم بقانون الخاص بهذا التعديل في قانون الجنسية قبل ان ينفذ البرلمان يومين اثنين معناه قيام هذا الحكم الجديد من يوم اصياداره وعدم اعطاء الفرصة لمناقشته في البرلمان او تعديله . (٢)

وكانت الرجعية المصرية تنتظر هذه الفرصة طويلا . فلطالما صرح الاعزام عطانيا باعادة هؤلاء الشبان الذين يدرسون في موسكو . أو يمنعهم من الدخول حتى لا يعود كل منهم وهو لينين صغير . (٣)

وهكذا ما ان عقد البرلمان حتى تقدم النائب عبد الله اللوم ليشنال الحكومة متى تعتمزم الحكومة تطبيق احكام قانون الجنسية الجديد تسقط الجنسية المصرية عن اولئك المصريين المقيمين بالخارج والمتصلين بجماعات تدعو بالباديء الشيوعية .

١ - مرسوم بقانون بتعديل قانون الجنسية .
٢ - محمود عزمي - خبايا سياسية - كتب للنخبة - مطابع جريدة المصري - فبراير ١٩٥٠ ص ٧٨ .
٣ - الاجرام ج ٣ - ٦ - ١٩٢٤ .

ولم تتوان الحكومة عن تنفيذ هذا المطلب وبالفعل اصدرت في اغسطس مرسوما بجرمان ثمانية من المصريين المتدين بالخارج من جنسيتهم بحجة اتصالهم بانظمة شيوعية . . (١)

وكان عبد الرحمن فضل واحدا من هؤلاء الثمانية .
لكنه كان يعرف انه اكثر مصرية من هؤلاء الياسموات الرجعيين ، وانه ما من قوة في الارض تستطيع ان تنتزع منه مصريته .
وقرر ان يعود .

وفي موسكو ودعه احد اساتذته وهو يشد على يديه قائلا « عبد الرحمن لنفذت عملك كثيرا ، لكن لا تحاول ان تتنلسف على ابناء وطنك . نحن لا نريد فلاسفة وانما نريد اناسا يوقظون الشعب . »

ومن موسكو الى باريس ثم الى بيرييه حيث استقل السفينة « ايونيا » في طريقه الى الوطن وفي ميناء الاسكندرية قبض عليه البوليس ومنع من مغادرة المركب ونبه على القبطان بأنه مسؤول عن بقاءه على ظهرها حتى تغادر المياه الاتليمية . . . وعادت به السفينة الى ميناء بيرية حيث رفض هو النزول ، ثم عادت به السفينة الى الاسكندرية ورفضوا مرة اخرى السماح له بمغادرتها . . .

ورفض عبد الرحمن فضل التراجع عن موقفه ، مصمما على حقه في العودة الى وطنه ، رافضا اي تنازل عن هذا الحق . . .
وعكذا وضع الحكومة المصرية في مأزق . . .

اما الشركة صاحبة السفينة فقد وجدت نفسها في مأزق هي ايضا وحاولت التخلص منه دون جدوى حتى انها فكرت في بيع السفينة تخلصا من هذا الضيف الدائم . . .

« وتكرر ذهابي وايابي من ميناء بيرييه اليوناني الى الاسكندرية والعكس عدة مرات وفي كل مرة اصل فيها الى ميناء الاسكندرية . كنت اجد عشرات من مندوبي الصحف المحلية والعالمية في انتظارى » (٢) . . .

وعكذا ومن خلال الاصرار العنيد نجح عبد الرحمن فضل من جديد في تمجيد هـشكلة الشيوعيين الذين استقطت عنهم جنسيتهم . . . وبدأت بالصحف تنشر القضية من زوايا مختلفة وطنية وانسانية وقانونية . . .

١ - محمود عزمي - المرجع السابق - ص ٨٠ - راجع النص الكامل للمرسوم باللاحق .

٢ - صبرى ابو المجد - المصور - ١١٠ - ٣٦٦٦٦٦ - مقال . هذا النجار المصري المجوز تدرس قضيته في كلية الحقوق . . .

وقد بدأ مراسل الاهرام بالاسكندرية الحملة . . .

ووصل امس بعد الظهر على السفينة ايونيا الشاب المصرى محمد فضل الذى نزعته عنه جنسيته المصرية ومنع من الدخول الى هذا القطر اربع مرات قبل هذا المرة . وكان قد وصل الى هذا القطر في المرة الاخيرة من نحو ثلاثة اسابيع . ثم أعيد الى السفينة التى جاء عليها . وعند وصول هذه السفينة امس الى الميناء ذهب رباتها الى قنصلية اليونان في الاسكندرية وقابل انطونوبلو القائم باعمال القنصلية وقدم له مذكرة يشكو فيها مما اصابه من وجود هذا الرجل على ظهر سفينته لان الحكومة اليونانية لم تسمح له بالنزول في بلادها عندما أعيد إليها وكذلك الحكومة المصرية . لا تعترف به من رعاياها ولا تسمح له بالنزول في هذا القطر . وان البوليس قد اتخذ الاحتياطات اللازمة حين وصول السفينة لعدم تمكن محمد فضل المذكور من النزول والتسرب الى داخل البلاد .

وقال الربان انه بات حائرا لا يدري كيف العمل للتخلص من هذه الورطة . . . وقد وعد القنصل بعرض المسألة على ولاة الامور في مصر للنظر فيما يمكن عمله . . . وقد علمنا ان البوليس قرر اعادة محمد فضل غدا على الباخرة ايونيا (١)

ويذهب عبد الرحمن فضل ليعود مع السفينة مرة اخرى وتكتب الاهرام مرة اخرى . عادت الباخرة اليونانية ايونيا الى الاسكندرية اليوم من بيريه فعاد عليها محمد فضل المجرى من الجنسية المصرية بسبب ما اتهم به من انتحار المبادئ الشيوعية . وعودته هذه هي السادسة فهو يذهب فلا يباح له النزول هناك ويأتى فلا يؤذن له بالنزول هنا . واذا نزل فانه يعقل ويعاد الى السفينة ويسترجع هذه الباخرة في الساعة السادسة مساء فيرجع محمد فضل عليها . والمفهوم ان ادارة الامن العام لا تعده مصرية بسبب تجرده من الجنسية وهي لذلك لا تتبالي بأمره . وكان ينبغي اتخاذ بعض التدابير لحل مشكلته من الوجهة الانسانية لانه ليس من الطبيعى ان يظل ذاهبا آتيا بين مصر والبرقان (٢)

وفي المرة السابعة تكون المسألة قد نضجت ويكون الراى العام قد تهيأ فيوجه عبد الرحمن فضل نداء الى الراى العام تنشره الاهرام تحت عنوان « من المصرى القائه الى حضرة المحترم وكيل الاهرام السكندري » وتعلق الاهرام على هذا النداء قائلة : « لقد طلبنا الى قوى الشان الاهتمام بحل

١ - الاهرام - ٢١-٨-١٩٣٦ . . .

٢ - الاهرام ٢٧-٨-١٩٣٦ . . .

مشكلة هذا الشاب من الجهة الانسانية بحيث يتسنى له ان يصل الى بر
ولا يظل مسافرا على الباخرة ذاهبا آتيا لا يقبله بلد (١) .

والآن لم يعد عبد الرحمن فضل وحده . . . فهناك مشكلة شعبان حافظ
الذى كان قد عاد الى البلاد خلسة ومارس نشاطا حزبيا انتهى به الى السجن
ويوشك ان يفرج عنه لكنه ايضا مجرد من جنسيته . . . وهناك ايضا مشكلة
حسنى العرابى وكان فى برلين . . . وهو منذ زمن طويل يطرق كل باب يؤذن
له للعودة الى وطنه (٢) .

وتحاول ادارة الامن العام ان تجد مخرجا من هذه الازمة فتقدم مذكرة
الى وزارة الداخلية تقترح فيها النظر بعين الرفق فى حالة هؤلاء الاشخاص
. اذا قامت الادلة على كنههم عن الشيوعية (٣) .

ويبدو انه كان مطلوبا من عبد الرحمن فضل نوعا من الاقرار بتخليه عن
الشيوعية لكنه رفض وواصل رحلته جيئة وذهابا على ظهر الباخرة ايونيا . .

وتبدأ الاهرام حملة جديدة تطالب فيها اعضاء مجلس النواب بالتدخل
فتقول : د عسى ان يهتم بعض نوابنا الكرام بهذا الحادث الغريب ويطلب من
الحكومة اخراج هذا الشاب من هذه الورطة الشنيعة والنظر فى مسأله بعين
الذوق والعقل فى حدود القانون (٤) .

ونتعتقد المشكلة اكثر عندما يقرر القبطان ان د يمتنع عن تقديم الطعام
لهذا الشاب على حساب الباخرة منذ امس وقد حاول احد اقاربه اليوم ان
يقدم له بعض الطعام قبل سفر السفينة فرفض . . . فسمته الحادية عشر
هذه اتى اليونان ستكون سفرة سيئة ولا ندري ماذا يليها .

وذبح لا نظن ان ريان السفينة تصد بما فعل اقتصاد قيمة غذاء
عبد الرحمن فضل . . . وانما قصد لفت نظر السلطات المصرية الى حالة هذا
الشاب المصرى الذى يقامى العذاب فى سبيل العودة الى وطنه ولا يوجد من
يهتم بأمره (٥) .

ويبدو ان الحكومة المصرية قد ضغطت على الشركة صاحبة السفينة فعاد
القبطان من جديد الى تقديم الطعام له .

١ - الاهرام ٢٠-٨-١٩٣٦ .

٢ - الاهرام ٢٣-١٠-١٩٣٦ .

٣ - الاهرام - المرجع السابق .

٤ - الاهرام ١٢ - ٩ - ١٩٣٦ .

٥ - الاهرام ٢١ - ٩ - ١٩٣٦ .

ولم يكن عبد الرحمن فضل يكتفى بهذا الموقف السلبي ذاهبا آتيا بل كان هو وزملاؤه في داخل البلاد يثيرون حملة واسعة للمطالبة بتعديل قانون الجنسية والناء الفقرة التي تسمح بإسقاط الجنسية المصرية عن الشيوعيين المقيمين بالخارج

فهو يقول في نقاش معه « أنا كنت استفيد من ذلك كله في اثاره القضية ككل وفي احدث أكبر ضجة ممكنة .. حتى أصيحت معظم الصحف تتحدث عن القضية .. واستطعت أن أثير عطف الناس على القضية وكانت المركب تسير في خط منتظم الإسكندرية - دبريه وكان يسانر عليهما كثير من المصريين وكنت اتصل بهم جهيبا وأثير معهم قضيتي وأذكر أنني اتصلت في إحدى المرات بالدكتور قناوى رئيس المجلس البلدى بالإسكندرية وكان مسانرا تلى المركب هو وزوجته .. وقد بكت زوجته عندما سمعت قضيتي ووعدى الدكتور قناوى بمساعدتى ، وعندما عاد اتصل بأحد أصدقائه هو عبد الوهاب الوكيل مرسل المقطم بالإسكندرية وطلب اليه اثاره قضيتي » (١) وبدأ المقطم يشارك في الحملة وأطلق على عبد الرحمن فضل اسم « ذارع البحار » (٢)

سويدات الحكومة تتشعر بالخروج ، وتحس أنها محاصرة ولا بد من أن تتخذ موقفا يحل هذه المشكلة ، لكنها حاولت أن تسوف الى أطول مدة ممكن عسى أن يتراجع « ذارع البحار » عن موقفه ..

ونشر الأهرام ، ما زال عبد الرحمن أفندى فضل يذرع البحر ذاهبا وآتيا ، فماذا كان الجيهور يتناساه بين الأسبوع والأسبوع ، فان البوليس لا يتناسى اللوقوف له بالمرياد .. وكنا قد ذكرنا قبل الان أن بعض فوى الشان باتوا يميلون الى اصلاح خالة أولئك الاسيخاين الذين جردوا من جنسيتهم من أجل ما كان ينسب اليهم من إتباع الحركة الشيوعية .. وان مسائله مذكرة وضعت لهذا الغرض ، والفهوم أن هذه المذكرة ما زالت في وزارة الداخلية تحول دون اليحك فيها كثرة الاعمال .. وربما كان من سوء حظ هؤلاء الاشخاص ولا سيما عبد الرحمن فضل أن تفهمك الحكومة وبنهمك البرلمان وجميع الدوائر العاملة في البلد في مسألة المعاهدة في هذه الأيام .. فان هذا يزعج كثيرا من المسائل الاخرى ومنايا مسائلهم الخاصة ولكن ما دامت النية منصرة الى انصافهم فليهم ان ينظروا النتيجة باطمئنان » (٣)

- ١ - راجع النص الكامل لحضر النقاش مع عبد الرحمن فضل في كتابنا تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - المرجع السابق - ص ٢٨٣ .
- ٢ - المقطم ٤ - ٩ - ١٩٣٦ .
- ٣ - الأهرام ١٦ - ١١ - ١٩٣٦ .

كذلك تنشر البلاغ خيرا يقول ويعرض حضرة صاحب العزة احمد حمدي
 محجوب بك بدار الامن العام على تولى وزير الداخلية هذا المساء او بعد
 ظهر السبت القادم مسألة عيد الرحمن فضل للفصل فيها . ويقول مندوبنا
 ان التهمة متجهة الى اباحة دخوله القطر بقيود ثقيلة (١)
 وهكذا تؤكد المعركة ان تنضج ، ان الحكومة تستعد للتراجع لكنها
 تماطل فل هذا الشاب العنيد يستحب من المعركة ويريد من تعديل قانون
 لاجنسية .

ويشعر عيد الرحمن فضل انه قد ان الاوان لشن هجوم جدي فيعلن
 اضرابه عن الطعام

وتقول الاهرام « عانت الباخرة ايونيا من اليونان وعاد عليها عيد
 الرحمن فضل . . . لكن موقف الثاني في هذه المرة يختلف عنه في المرات السابقة
 فانه اضراب عن الطعام فعلا منذ ستة ايام ولا يزال مضربا وستعيد
 لسفينة اليرم بعد انظر الى يريه وهو بهذه الحالة . وقد علمنا انها
 ستعود الى الاسكندرية يوم السبت القادم جريا على عادتها ثم تبحر الى
 ثيونان وقد تنقطع عن السفر بعد ذلك مدة لان الشركة ستدخلها الى
 الحوض الجاف هناك لاصلاحها فيه وترميمها . فماذا يحل بفضل في
 هذه المرة اذا لم يسعف ويؤذن له بالنزول الى الير . . .

ولقد أصبح موقفه دقيقا ومحفوفا بالخطر . . . وسألنا عما جرى بمشروع
 اعادة النظر في مسألة الشبان المصريين المجردين من جنسيتهم بسبب تهمة
 الشيوعية . . . فقبل ان مذكرة قدمت الى صاحب الدولة رئيس الوزراء ووزير
 الداخلية بهذا الشأن ولكن الفصل في هذه الحالة نهائيا يتطلب بعض
 الوقت (٢)

. . . وطوال هذه الشهور الخمس لم يكن عيد الرحمن فضل يغير اتصالات
 برفاقه داخل مصر وخارجها . . . وكان يستطيع ان يهرب من المركب الى مصر
 لكن الوقت لم يكن قد حان بعد ، وكان لا بد لصموده على المركب ان
 يستمر الى اطول مدة ممكنة حتى يهيئ الرأي العام في مصر ضد قانون
 لاجنسية الظالم وحتى يجبر الحكومة على التراجع . . .
 . . . لكن المركب سوف يدخل الى الحوض الجاف . . . كذلك فان المعركة قد
 نضجت تماما ، كانت المسألة قد « استوت » وكانت اخباري في الصحف

١ - البلاغ ٢٢ - ١١ - ١٩٢٦
 ٢ - الاهرام ٢٢ - ١١ - ١٩٢٦ . . . ٢١ - ٢٢ - ١٩٢٦

وتحت مظلّم مكاننا ثابتا في كل يوم . وكانت قضيتي قد انتقلت الى البرلمان
عن طريق الاستاذين فكرى اباظه وعبد الحميد عبد الحق (١) .

وهكذا قرر عبد الرحمن فضل ان يبدأ الجولة الأخيرة من مرركته . . ان
يهرب من المركب الى أرض مصر . . .

وكانت الترتيبات قد أعدت باحكام ، فقد تدخل الحزب الشيوعي
اليوناني ، ونجح في استبدال قبطان السفينة بأحد الرثاق اليونانيين . .

كذلك نجح رفاق عبد الرحمن فضل من أعضاء الحزب القدامى في اعداد
وسائل الهرب له . . وأعد كل شيء ، وحين يوم التنفيذ . . .

عندما تتحرك المركب فاركة ميناء الاسكندرية سيقف القبطان بنفسه
لرأب الحالة ثم يشعل سيجارة فيلقى عبد الرحمن فضل بنفسه الى الماء
حينئذ تتنقله مركب مصرية ستكون في انتظاره . . .

لست وأحسن أحد جنود البوليس المصريين الذين كانوا يلزمونه على المركب
طوال بقائها بالاسكندرية بشيء غير عادى . . فسأله : هل تنوى أن تفعلها
لليلة . . وأجاب عبد الرحمن : نعم . فقال الجندى : حسنا لا تذهب من
الجهة الشرقية فهناك كمين معد لبعض مهربي المخدرات (٢) .

. . وهكذا كانت خطة ايقاظ الراى العام قد نجحت الى حد كسب
جنود البوليس الى صفه . . .

وأخيرا . . . وبعد حوالي خمسة أشهر غادر عبد الرحمن فضل المركب
الى أرض الوطن ولم تعد هناك قوة فى الأرض تستطيع اقتلاعه منها . . .

وتنشر الاحرام : بلغنا اليوم أن عبد الرحمن أفندى فضل : . . قد غادر
السفينة يوم السبت الماضى عند مغادرتها ميناء الاسكندرية . . فهو لم
يتخذ قتيلا ولا يعرف أين هو . . وقد سألنا ادارة الضبط والربط فى المحافظة
عن نصيب هذا الخبر من الصحة فاكّد لنا جناب مأمور الضبط ان
عبد الرحمن فضل ابخر على أيونيا ولم يغادرها (٣) .

لكن عبد الرحمن فضل كان فى الاسكندرية . . فى أحضان رفاقه القدامى .
بل لقد اتصل تليفونيا جراسل الاحرام . . وينشر الاحرام مؤكدا الخبر
ومسألة عبد الرحمن فضل - ثبوت نزوله الى البر - مسألة دستورية هامة ،
يقصدها المستشرقون واليهود والفرنسيون . . .

- ١ - الصور - المرجع السابق .
- ٢ - الصور - المرجع السابق .
- ٣ - الاحرام - ٢٣ - ١٢ - ١٩٣٦ .

ويقول الأهرام « إن البوليس ابرق الى بيته يسأل عن فضل وهل هو باق على ظهر الباخرة أم خرج منها فكان الجواب أنه افتقد عند الساعة العاشرة من مساء يوم السبت ولم يوجد بين ركابها . . . »

ويمضى الإهرام مدافعا عن فضل « ليس جرما ما فعله فضل وزملاؤه في الأصل وليس عدلا تجريدهم من جنسيتهم بسببه ، فكيف يكون من العدل الآن حرمانهم من العودة الى أهلهم وبلادهم . . . أن القضاء قادر على الفصل في كل حوادث من حوادث الإخلال بالقانون والامن العام فيجب أن تكون له السلطة العليا في حل مشكلة هؤلاء الشبان لا إدارة الامن العام التي كثيرا ما تنظر الى الامور بنظارة سوداء . ثم انه بات صعبا على هذه الإدارة أن تذفى فضلا وشعبان من مصر من الوجهة العملية لعدم وجود بلاد تقبل ذهابهم اليها مطرودين من وطنهم ولا جنسية لهم . . . وكيف يتيسر تجريدهم فضل وزملاؤه من الجنسية المصرية وهم مصريون بحق الولادة . . . لا شك في أن المسألة مسألة دستورية هامة يرجى حلها حلا دستوريا عادلا » (١) .

وحاول البوليس أن ينفي وجود عبد الرحمن فضل في الاسكندرية وقال انه هرب بعيدا الى قلب الصحراء . . . لكن بعض أعضاء مجلس النواب أعلنوا انهم قابلوا عبد الرحمن فضل في الاسكندرية وتناولوا معه طعام الغداء (٢) كذلك تنشر البلاغ انه قد اتصل بها (٣) .

ووجه عبد الرحمن نضل - وهو مختف عن الانظار - خطابا مفتوحا الى مصطفى النحاس رئيس الوزراء جاء فيه « اننا الان في ظرف جديد نتمنى أن نصل مصر فيه الى ما تصبو اليه وتأخذ مكانتها بين الامم . ان القانون الحائل بيني وبين منحي الحرية الفردية التي كفلها الدستور هو قانون جائر . . . وها قد انتقلت الامة الى حياة جديدة وألغت جميع القوانين التي صدرت رغم ارادتها كما صرحتم بذلك . . . فهل مثل هذا القانون يتفق مع الدستور وهل من السهل على المرء أن يكون محروما من جنسيته ووطنه وأهله وجميع حقوقه الطبيعية ؟ اننى على ثقة من أن حكومتنا المصرية ستدفعى بالغاء هذا القانون ، كما اننى واثق جدا من انها لن تضطرني لنى الاعتقاد بان مصرى سيكون كمصير الفيلسوف اليونانى حينما راح يفتش بفانوسه في رائحة النجا قائلا أنه يبحث عن العدالة وانصارها .

١ - الأهرام ٢٥ - ١٢ - ١٩٣٦ .

٢ - المصور - المرجع السابق .

٣ - البلاغ ٢٨ - ١٢ - ١٩٣٦ .

التي قبل ما اعتمد عليه في حل مشكلتي. هو عطف الامة وبراحة الدستور
وإدانة القضاء وشهامة الصحافة الحرة في تأدية مهمتها . . . وينشر: الأهرام
هذا الخطاب المفتوح وان كان يعيب على عبد الرحمن بفضل بعض ما فيه
من حجة قائلا ان العرائض التي تقدمها الى دولة رئيس الوزراء يجب ان
تكون خالية من الملاحظات الفلسفية (١)

و غوتجت ضغط الرأي العام. أعلن البوليس أن حل المشكلة يتطلب إلغاء
الرسوم الصادرة في ١٩٣١ بشأن تجريد بعض المصريين من الجنسية المصرية .
وأنت حتى نلغى هذا الرسوم فإن البوليس سيكتفى . . . بمعرفه مقره الى أن
تجلى مصلحته جلا رفاقه نيا (٢)

وفي نفس الوقت وكان الدكتور سيد صبرى أستاذ القانون الدستوري
والأستاذ زكى عريبي المحامي قد رفعوا دعوى باسمى أمام القضاء ضد
وزار الداخلية . . .

وقد التى الدكتور سيد صبرى أكثر من ثمانى محاضرات عن مسألتى
من الناحية الدستورية . . . ونشر بعض هذه المحاضرات في كتب القانون
بأخذها موضوعا من الموضوعات التي يدرسها لطلاب الحقوق . . . (٣)

وأخيرا . . . وبعد ان تأكد عبد الرحمن فضيل أن أعداءه أعجز من أن
يعدوه مرة أخرى عن مصر . . . وان قوى واسعة قيد التفت حوله لتيساره
وتحميه أعلن أنه سيسلم نفسه ولكن ليس للبوليس . . . وانما لرئيس مجلس
النواب . . . باعتبار أن مسأله مثالة دستورية ولا علاقة لها بالقانون
الجنائى . . .

وكان عبد الرحمن فضيل قيد الاتصال بالأستاذ فريد جرجس عضو مجلس
النواب عن دائرة العطارين حيث كان يقيم وبجث معه بهذا الأمر . . .

ووزع عبد الرحمن فضل من كمنه على الصحف كتابا مفتوحا إلى
رئيس مجلس النواب جاء فيه . . . انى التجيء اليوم الى مجلس النواب
بسمتها اكبر هيئة تشريعية في مصر وإعضاؤه هم ممثلوا الامة وانى اعتقد
بأهمية النواب الكرام الذين أخذوا على عاتقهم الدفاع عن مصالح الامة والحرية
الجزدية وهم القاديرون على حل مشكلتي . . . وانى أعلن اليوم على صفحات
الجرائد العربية والافرنجية انى فى حماية البرلمان ونوابه . . . وكل ما اعتقد

- ١ - الأهرام ٤ - ١ - ١٩٣٧ .
- ٢ - الأهرام ٢٠ - ١ - ١٩٣٧ .
- ٣ - المصور - المرجع السابق .

فيه وأتمد عليه في حل مشكلتي مؤسسة البرلمان وشهامة نوابه وحرارة دستور البلاد الذي لا يتفق مع وجود بعض بنصوص قانون الجنسية الشاذة الذي يعرجه تسلب حقوق الإنسان الطبيعية (١) .

كذلك وجه عبد الرحمن فضل ندائه التي الزاى الحكام فقال فيه لا يمكننى أن أمدح لكم خدماتكم في الدفاع عن الحق وخدمة الإنسانية في مشكلتي الشاذة . ان السلطة التنفيذية عاجزة عن حل هذه المعضلة لانها معضلة قانونية ودستورية فلذلك التجئ الى البرلمان في هذا الظرف العصيب بصفتي أكبر هيئة تشريعية في البلاد أى الهيئة القادرة على أن تفسر القوانين التي تتفق مع روح العصر .

٠٠ كما انى على ثقة من أن البرلمان الذى يمثل الأمة المصرية ونوابه الذين أخذوا على عاتقهم حماية الدستور وحرية الأفراد قادرين على حماية كل فرد من أفراد الأمة ينتجى الى البرلمان والى شهامة نوابه . ولقد عزمت بعد كتابة هذه المخطوط أن أقدم نفسى لمجلس النواب معتمدا على عدالته وللعادلة أن تفعل بى ما تشاء (٢) .

ورضخ الرجعيون . . . واستقبلوه امام اصرار عبد الرحمن فضل وأمام غضبة الرأى العام وبمحاولة بالاقامة في مصر . لكن هذا لم يكن الانتصار الوحيد له ولرفاقه ، فان المشككلة التي فجروها والتي استطاعوا أن يحشدوا حولها أوساط واسعة من رجال القانون والنواب والصحفيين وجبهة الرأى العام كان لا بد لها من تحقيق نتيجة ايجابية . وكان لا بد لقانون الجنسية أن يسقط وينقطع فعلا . . . فلم يمش سوى أقل من شهر حتى نشرت جريدة المصرى «تظمتنا نحن ولاة الأمور» بوزارة الداخلية أنهموا بتعديل قانون الجنسية لا سيما المادة ١٣ منه الخاصة باسقاط الجنسية وسيرفع القانون بعد تعديله الى صاحب المتام الرفيع وزير الداخلية للاطلاع عليه قبل إحالته الى اللجنة التشريعية لمراجعته من جهة الصيغة القانونية ليتمكن عرضه على البرلمان في دورته الحالية (٣) .

وبعد يومين ينشر المصرى المبادئ الأساسية لتعديل المادة ١٣ فيقول «أريد بالتعديل الجديد في هذه المادة العمل على توسيع نطاق المادة

١ - الأهرام ٢٥ - ١ - ١٩٢٧ .

٢ - النبلاغ - ٢٥ - ١ - ١٩٢٧ .

٣ - مصرى ٢٣ - ١٢ - ١٩٢٧ .

١٥٠ من قانون العقوبات حتى تشمل معاقبة الأشخاص الذين يشتغلون في الخارج بالشيوعية والدعوة إلى نظم تغاير النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية عند عودتهم إلى مصر .

ونص على أن اشتغال المصريين بهذه الاعمال في الخارج يعرضهم للعقوبة المقررة ولو لم تكن قوانين البلاد التي قاموا فيها بهذه الاعمال تعاقب عليها . . .

ونمضى جريدة المصرى قائله « . . . والنتيجة البارزة لهذا التعديل هي جعل جريمة الاشتغال بالشيوعية في مستوى الجرائم الاخرى من حيث تعرض مرتكبها للعقوبة المقررة من غير حرمان من جنسيتهم وبذلك لا تتكرر حادثة تشابه حادثة عبد الرحمن فضل مرة أخرى » (١) .

ولا شك أنه من حق عبد الرحمن فضل ورفاقه أن يعتبروا أنفسهم أصحاب هذا الانتصار . . .

لكنه ليس من حقنا أن ننتقل إلى حديث آخر دون أن نشير إلى دلالة كل ما سردناه من أحداث . . .

ذلك أن تنظيم هذه الحملة الفكرية على صفحات كل الجرائد المصرية . . . وكن هذه الاتصالات برجال القانون وبالمحامين ، والصحفيين وأعضاء البرلمان الخ . . .

كما أن ترتيب عملية الهرب والتسلل إلى داخل البلاد . . . ثم تهيئة مخبأ أمين لعبد الرحمن فضل يظل فيه لفترة طويلة بعيدا عن متناول يد البوابيس وإن كان قد ظل طوال هذه الفترة على علاقة وثيقة بالجمامير وبالرأي العام يوجه إليه نداءاته . . . ويقابل عبيدا من الشخصيات . . .

كان ذلك يوحى بوجود قوى منظمة بل ودقيقة التنظيم وذات قهرة عالية على الحركة خلف هذا الانتصار العظيم . . .

انها قوى هؤلاء الرجال الذين وصلوا في دأب واصرار غريبيين نفس المسيرة للشجاعة . . . منذ العشرينيات حتى مطلع الاربعينيات . . .

منذ اليوم الأول لقيامه لايجاد نوع من التحالف بينه وبين حزب الوفد
على أساس وحدة النضال المشترك ضد الاستعمار

تهدأت قيادة الوفد .. فتحالفوا المتضامنون

عندما تأسس الحزب الاشتراكي المصري في أغسطس ١٩٢١ نشطت
منذ اليوم الأول لقيامه لايجاد نوع من التحالف بينه وبين حزب الوفد
على أساس وحدة النضال المشترك ضد الاستعمار

بل وربما بالغ الحزب في تقديره للدور الوطني لقيادة الوفد ففي
١٤ ديسمبر ١٩٢١ أصدر الحزب « بياناً الى الأمة » أعلن فيه اغتباطه بانقطاع
النفوذات و وحدد الحزب في هذا البيان برنامجاً من ثلاث نقاط لتوحيد
النضال الوطني ضد الاستعمار

١ - تضامن الصحافة على ترك مسائل الشتماء ، والانتقاص على ما فيه
خير البلاد

٢ - توحيد السياسة الوطنية بأن لا يقبل مصرى تأليف وزارة تعمل
بشيء شكل تحت هيمنة مشروع كيرزن

٣ - الاتفاق على تعيين خطة الجهاد الوطني المشروع تحت لواء
وكيل الأمة وزعيمها المخلص الأمين سعد باشا زغلول (١)

ولقد كان هذا الموقف المتسامح محل انتقاد من جانب الحركة
الشيوعية العالمية التي حددت موقفها من خلال مقال هام نشره م. ن.
روى في الفثرة الرسمية للكونفرن بعنوان « الانقلاب السياسى فى مصر »
جاء فيه :

« .. وهنا جاء دور سعد زغلول ليظهر على مسرح السياسة فأراد
أن يستخدم الوضع الثورى الحاد فى البلاد ليفرض على انجلترا يطالب
النفذات التقدمية من ملاك الارض والزراع والبرجوازية الكبيرة ، ووهن
النفذات ، التى كان يمثلها والتى كانت مطالبها تفوق مطالب الاقطاعيين .

١ - الأهرام - ١٤ ديسمبر ١٩٢١

م. ن. روى - أحد مؤسسى الحزب الشيوعى الهنذى ، وأحد العناصر
التي لعبت دوراً هاماً فى الكونفرن ولقد كانت مناقشات روى مع لينين حول
دور الحركة الوطنية فى المستعمرات ذات أهمية خاصة فى الأدبيات الماركسية

الرجعيين أتقالتهم مع الملكية الفاسدة . لقد تكون الوفد المصري بتأخذ
 المساومة مع الاستعمار البريطاني على استقلال مصر ، ولكي يضمن مساندة
 الشعب الثائر كان على الوفد أن يتبنى المطالب التي تمثل ثورة الشعب .
 لكن الاتفاق الذي تم بين الوفد المصري بقيادة سعد زغلول وبين اللورد
 ملنر - وهو لا يختلف الا قليلا عن التبعية التي قبلها ائتلاف (عدلي - ثروت)
 بحيث ان الوفد المصري لم يكن جادا في طرح تلك الشعارات . فقد طرح هذه
 الشعارات فقط ضمانا للتأييد الشعبي .
 ولكن الحكومة البريطانية اذاعتها هبة الجماهير الثورية لخرجة انهاء
 لم تحرك ان الصلة التي تربط بين قيادة الوفد والحركة الشعبية صلة مفتعلة .
 ولهذا اتخذت بعض الخطوات التي قوت تلك الصلة . فرفضت السماح للوفد
 بالسفر الى الخارج ، وهكذا صانع الغباء الاستعمار من سعد زغلول بظلاء
 شعبتنا ، بينما هو لم يكن يهدفنا الا الى الوصول . ومن خلال المفاوضات
 الى تسوية جزئية .

ويمضي روى محددا مؤقفا قاطعا من قيادة الوفد فيقول : وتبين الاحداث
 السياسية الاخيرة ، سقوط التجمع الانتهازي ، وتؤكد ان التاريخ قد جرد
 برجوازيي المستعمرات من أي دور ثوري حق ، والحقيقة ان عدم استعداد سعد
 زغلول لقيادة الكفاح الثوري عند عودته من لندن في سبتمبر عام ١٩٢٠ يدين
 على ان حزب سعد زغلول قد استنفذ دوره الثوري . ولم يمض وقت طويل
 حتى كانت القوى الاجتماعية الثورية ترفض قيادته . فقد رفض عميان
 السكك الحديدية القيام باضراب عام دعا اليه سعد زغلول في ديسمبر ١٩٢٠ .
 وكان هذا الرفض اول دليل على التباعد بين القوى البرجوازية وبين قوى
 الثورة الجماهيرية وهكذا وفي النهاية سقطت القوى البرجوازية في احضان
 الاستعمار بعد ان حققت لنفسها طوال شهور حائلة نجاحا مشرا . وقد كان
 الكفاح الثوري التلقائي خلالها هو الذي يمنعها من ان تسقط هذا السقوط (١) .

وكان لابد المثل هذه الافكار ان تؤثر في صفوف الحزب ، الذي كان في
 ذلك الحين يسعي للانضمام الى الكومنترون ، وكان ايضا قد طرد صفوفه من
 كثير من العياصر والمعتدلين ، واليمينية . فاما ان تولي سعد زغلول رئاسة
 الوزارة في ٢٨ يناير ١٩٢٤ وحتى وجه له الحزب خطابا مقبوحا ، يتضمن
 ما يسمى في الادبيات السياسية بالتأييد المشروط ، فبعدا من المطالبة
 بتعيين خطة الجهاد الوطني المشروع تحت اللواء وكيل الامة وزعيمها المخلص
 الامين سعد باشا زغلول ، كمل نصيب بيان الحزب الى الامتداد في ديسمبر ١٩٢١ .

International Press Correspondence 21/1/1923 (١)

نجد أن الحزب يطالب بالإكزومة ، بالاعتراف بتدابير العمال والفلاحين
وبحقتها في الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين الاقتصادية والاجتماعية
والسياسية ، كذلك طالب الحكومة ، بحل مشاكل العمال العاطلين .
وبالاعتراف بحكومة السوفييت اسوة بالامم المتعدية . (١)

وعلى اية حال فان سعدا لم يعط فرصة لالتخالف المشروط ولا غير
المشروط فقد استخدم كل قبضته ونفوذه في توجيه ضربة الى الحزب . وكان
النجاح الاكبر للاحتلال وللرجعية المصرية هو استخدام سعد لاداء هذه المهمة
غير النظيفة .

ولم يقتصر الامر على قرار بالحل . . او دفع كوادر الحزب الى السجن ،
ولا على تمرد سعد لان يشارك قواعد حزبه في المعركة ضد الحزب وان يبذل جهده
طاقته في هذا الصدد . .

فان ذلك لم يكن كل الخطا الذي ارتكبه سعد زغلول ، ذلك انه نهج بالنفل
نهجا معتدلا بل ومتهادنا في اغلب الاحيان تجاه القضية الوطنية نفسها . .

وتماما كما تنبأ روى في مقاله عام ١٩٢٣ نشر سعد زغلول في طريق
الانفصال عن الجماهير الشعبية، والتهادن مع الاحتلال . .

وحتى عندما تجاوز زيور كل حد وتجاهل الدستور وحل البرلمان وارض
قانونا جديدا للانتخاب فقد اتخذ سعد موقفا الاعتدال الشديد في مهاجمته
وتحالف مع عدلى والدستوريين في محاولة لتسوية الخلاف عن طريق « حسن
التفاهم » مع المندوب البريطانى . .

وتعلق جريدة الاخبار (الحزب الوطنى) على هذا الموقف قائلة : « ويجب
ان لا ننسى في هذه الحالة ان رجال الاحزاب وان اظهروا تمسكهم بشريعة
البرلمان المنحل الا انهم كانوا متمسكين ايضا باهداب النزوى والاعتدال
طوال الحادثات المظلمة (الحادثات بين المندوب السامى وعدلى) املا منهم
بان الخلاف يسوى بينهم وبين المندوب البريطانى بالتي هي احسن . حتى
اذا وجدوا ميلا جديدا منه للتسوية شرعوا في وضع اسسها متهاونين معه يتقدر
الاستطاعة » (٢) .

كذلك دعى فتح الله بركات بصخته رئيس النادى السعودى اعضاء مجلس
الشيوخ الى حفل شاي بالنادى يوم ٨ يناير ١٩٢٦ وصدر عن الاجتماع
(٧٢ شيخا وايدهم ٣ بالتلفراف) بيان ضعيف يلوم الحكومة على تصرفاتها

-
- ١ - الاحرام ١٩-٢-١٩٢٤ . حيثيات الحكم الصادر عن محكمة
جنائيات الاسكندرية في قضية السيوعية
 - ٢ - الاخبار - ٧ يناير ١٩٢٦

• • • وبدلاً من ذلك، يخاطبون المندوب السامي وهم يخفون نياتهم. قائلين
• • • وتغادياً من اشتداد الازمة وتفاقم الخطر رأينا أن نبادر بتقديم هذا
النصح الخاص « (١) »

وتهاجم جريدة الحزب الوطني (الاخبار) هذا الموقف قائلة « انهم
يحملون راية التراجع والهزيمة » (٢)

وحتى عندما فاز حزب الوفد بالأغلبية الساحقة في الانتخابات ، وضغط
الانجليز لمنع زعيمه من تولي الوزارة رضخ سعد دون مقاومة تذكر واكتفى
بتولي رئاسة مجلس النواب .

• • • وفي هذه الاثناء وجهت الدعوة لسعد ليقابل المندوب السامي البريطاني
وتتمت المقابلة في ٣٠ مايو . وتروى « الكشكول » بعضاً من الحديث الذي
ذوقل انه قد جرى بينهما .

- « سعد : كنت اتوقع أنك تخافني ، ولكن ما انت مشي خايف .
- لويد : ولماذا اخاف منك ؟
- سعد : ألمت قاتلا ؟ ألم تتهموني بانى قاتل ؟ ولكن قد برأتنى
والحمد لله المحكمه وبرأت رجالى .

- لويد : كثيرا ما برأت المحاكم مجرمين ••• (ثم قال لويد) ماذا
تريد ان تكون نحو انجلترا ونحو الاجانب ؟

- سعد : فى نيتى ان اخطب خطبة طويلة احث فيها الى مصادقة
الاجانب « حتى ، الانجليز .

- لويد : اظن أنك تريد أن تقول و « على الاخص ، الانجليز ؟
- سعد : بل قصدت « حتى ، الانجليز » (٣) .

وهكذا كان الفارق بين « على الاخص الانجليز » و « حتى الانجليز »
هو بالضبط الفارق بين زيور وسعد زغول .

لكن اليسار العالمى والمحلى لم يكن بحاجة لانتظار كل هذه الخطوات
للتهاذنه من سعد زغول وقيادة حزب الوفد ، فتمه أحداث اخرى جذبت

١ - احمد شفيق باشا . حوليات مصر السياسية ج ٣ . طبعة
سبتمبر ١٩٢٩ ص ٥٣ .

٢ - الاخبار - ٩ فبراير ١٩٢٦ .

٣ - الكشكول - ١١ يونيو ١٩٢٦ .

الكومنترن واليسار العالمي ككل الى محور العداء لبرجوازية المستعمرات وأشباه المستعمرات واتهامها بالارتقاء في احضان الاستعمار ، ولم تكن مراقف سعد زغلول سوى ادلة فرعية تؤكد صحة التحليل العام . .

فكان ستالين قد اكد « انه في بلدان مثل مصر والصين حيث البرجوازية المحلية قد انقسمت فعلا الى حزب ثوري وحزب متهاون وحيث دعم الحزب المتهاون علاقته الوثيقة بالامبريالية . فان الشيوعيين في بلدان كهذه لا يمكنهم ان يرفعوا شعار الجبهة المتحدة ضد الامبريالية . بل تبين عليهم ان يعبروا مرحلة الجبهة الوطنية المتحدة الى مرحلة انتهاج سياسة الكتلة الثورية بين العمال والبرجوازية الصغيرة (الفلاحين) . (١) »

ثم جاء المؤتمر السادس للكومنترن ليكسر هذه السياسة ويجعل منها نهجا عاما للحركة الشيوعية العالمية . .

والحقيقة ان هذا الموقف كان يمثل في الاساس رد فعل لخيانة شان كاي شيك لقضية الجبهة الوطنية في الصين ، ولقد اثرت خيانة كاي شيك للقضية الوطنية على تفكير الدولية الثالثة ككل .

وقد عقد المؤتمر السادس للكومنترن في اطار التأثير بهذه التجربة . وعقد المؤتمر ١٢ جلسة هامة لمناقشة قضية المستعمرات والموقف في الصين . وخيانة شان كاي شيك . . . ثم صدرت احكام معممة على كل الاحزاب وعوجمت البرجوازيات المحلية عموما . وانعكس ذلك على مصر واندونيسيا واعتبر الوفد قوة معادية للثورة وكان هذا خطأ فادحا . وكان الخطأ الآخر انه تحدث شعار الهجوم على البرجوازية لامتد الهجوم الى اجزاء من البرجوازية الصغيرة . (٢) .

ويقول والتر لاكور ان فازليف قد تحدث في المؤتمر السادس للكومنترن

- ١ - والتر لاكور . الاتحاد السوفييتي والشرق الاوسط - ترجمة المكتب التجاري ببيروت . طبعة اغسطس ١٩٥٩ ص ٢٨ نقلا عن ستالين . مجموعة الاعمال . الجزء السابع - الواجبات السياسية لجامعة شعوب الشرق .
- ٢ - هانز بياشر - تقرير بالامانية حول الدور التاريخي للكومنترن - قدم للاندوة العالمية التي عقدت في موسكو بمناسبة الذكرى الخمسين لتاسيس الكومنترن .

فمثلا: انه ان حزب الوفد محيى أعداء العمال والفلاحين ، والشبيوعيون مدفقون لأن يوجهوا اليه حربا مذبذبة (١) .

وعلى اية حال فان دراسة القرارات والوثائق الخاصة بالمؤتمر السادس لكوهيترن توجيى بان هذا الاتجاه المناهض تماما للبرجوازية كان سيناثدا بالفعل : وفيما يتعلق بواجبات الحزب الشيوعى المصرى ، تنص قرارات المؤتمر على ما يلى : ان الحزب الشيوعى المصرى يلعب دورا هاما فى حركة التحرر الوطنى ويعتمد فى تنظيمه على البروليتاريا . والنقابات التى تضم العمال المصريين هى مصدر الطلائع والقيادات . ان الحزب الشيوعى المصرى يرى ان واجبه الرئيسى دعم النقابات لكن هناك خطر خضوع النقابات للبرجوازية ويتعين على الحزب ايجاد علاقات وثيقة بالعمال الزراعيين ومحاوله تنظيمهم . وعلى اساس النواقص فى هذين الميدانين بالذات كان الضعف الذى يعانى منه الحزب الشيوعى المصرى (٢) .

ان تحديد مثل هذه الواجبات الفاطمة فى بلد شبيه مستعمر ك مصر دون ذكر ولو باشارة عابرة - الى ضرورة التمسك بجمعية وطنية مناعضة للامتياز يمكنه - ان يوضح طبيعة هذا الخط المنزلق .

فمننا لا يمكننا ان نسوق اللوم كله الى قرارات المؤتمر السادس فان قيادة الوفد كانت قد اتخذت بالفعل موقفا متعادلا مع المستعمر ، وقد استخدمت كل ذقونها - عندما كانت فى السلطة - ضد الحزب ، واشتمرت فى احطاء العداء ضده حتى وهى خارج الحكم .

زمن هنا كان موقف الحزب الشيوعى المصرى الذى سمى فى البداية التكرين ، تحية من العمال والفلاحين ، متعادلا البرجوازية الوطنية سواء تلك المتواجدة فى صفوف الوفد ، او فى التجمعات الحزبية الأخرى .

وفى الانتخابات التى اجراها زيور باشا أسس الشيوعيون لجنة الدفاع عن حقوق العمال الفلاحين ، وقد ضمنه اللجنة بيانها الاول برنامجا يتضمن واحدا وعشرين مطلباً ودعت مرشحي العمال - وكان عددهم ١٢ مرشحا -

١- والتر لاكوز - الاتحاد السوفييتى والشرق الاوسط - المرجع السابق ص ١٠٢٠ - (٢) وفد اورد الفياض مرقص - تاريخ الأحزاب الشيوعية فى الوطن العربى - القسم الاول - الطبعة الاولى - ١٩٦٤ - نفس هذا النص فى ص ١٠٢٠ دون ان يشير الى مصدره والمزجج انه نقله عن لاكوز - ٢ - ٢٠٢ - بروكوكول المؤتمر السادس للكونغرس - الطبعة الألمانية الجزء الرابع ص ١٩٥ .

البريتيني. هذا البرنامج وناشدة العمال والفلاحين. إلا يعطوا أصواتهم لأي شخصين لا يقبل هذا البرنامج» (١)

كذلك حاجت مجلة الحساب قيادة الحزب الوفيد واتهمت بالتهتان مع الاستعمار وقد جاء في إحدى مقالاتها أن زعماء الحركة الوطنية انفسهم لم يحسنوا التصرف عندما حبت هذه الامة النشيطة مطالبة بحقوقها مدانة عن استقلالها وحريتها. فهم اغتصموا فرصة نهوضها ليضعوا انفسهم في مقدمة الصنوف وعلى رأس القيادة ولكن اين الخطط التي وضعوها لاستمرار الجهاد. وانتقدت شيئا شبيها في سبيل الغاية القصوى وهي الاستقلال التام؟ واين هي المطالب المحددة تحديدا دقيقا والتي دعوا الشعب الي التمسك بها وجعلها ميثاقا وطنيا. وعهدا مقدسا؟ بل أين ما وعدوا به الفلاح الذي حمل عبء الاديعة الحربية على كتفيه القويتين وأين وعودهم للعامل الذي قذف بنفسه في اثن ثورة ١٩١٩ فالتهمته نيرانها؟ لم يفعلوا شيئا من ذلك.

ثم تمضى مجلة الحساب قائلة «ولولا جبن الوفد المصري وخوفه، ولولا معرفة الانجليز بجبنه وخوفه لما تجاسروا قط بل لما فكروا قط بامتهان حقوق مصر بعدما وجفوا من عملها المدمر عام ١٩١٩. ولما اقدموا على ما اقدموا عليه من الاستهتار بالامة هذا الاستهتار الذي نعاني مرارته حتى الآن» (٢)

على ان الحزب - برغم ذلك كله - لم يمتط الوفد من حسابه تماما. بل حاول ان يقيم نوعا من العلاقة مع التواعد الثورية لحزب الوفد.

ولقد كان الحزب يمتلك غرضا عديدة لذلك.

فهناك في صفوف قاداته ولجنته المركزية على وجه التحديد عناصر مثل رشق جهور المحرر في جريدة النظام الوفدية والذي ظل لفترة طويلة معدودا - في نظر الكثيرين - كواحد من الرفديين المرموقين.

كذلك فان الشيوعيين الذين ارسلهم سعد زغلول الي السجن سرعان ما التقوا داخله بالشباب الوفدي الذي سائقه حكومة زيور الي هناك بتهم شتى أخطرها المشاركة في حملة الاغتيالات السياسية. وثمة روايات حول علاقات عديد من سجناء الوفد في هذه الفترة بزملائهم في السجن من الشيوعيين، وقد ركزت الروايات حول شخصيات هامة مثل النقراشي وأحمد ماهر.

- ١ - راجع النص الكامل للبرنامج في الملاحق.
- ٢ - مجلة الحساب - ٨ مايو ١٩٢٥ مقال وتأسيس حزب للطبقة العاملة من عمال وفلاحين. (وقد نشرت بعض هذه المقالات في - عبد المنعم الغزالي - المرجع السابق ص ٩٧ وما بعدها)

وعلى اية حال فان هذه المحاولة المتواضعة قد لقيت تحنزا وهجوما عنينا من سلطات الاحتلال ومن الرجعية المصرية . فنشرت المورنج بونت الانجليزية مقالا لمراسلها في القاهرة يقول « والظاهرة انه توجد روابط بين سماعي البلاشفة وحملة القتل الموجبة ضد البريطانيين : وبين المقبوض عليهم اثنان من محرري الصحف الوندية » (١) .

وقالت الديلى تلغراف « وأعظم ما يلفت الانتظار فيما اكتشفه البوليس ، هو ما يدل على العلاقة الوثيقة بين دسائس البلاشفة وحملة القتل ، وعلاقتهم أيضا بالوفد لانه يوجد بين المقبوض عليهم طاهر أفندى العربى المحرر بجريدة كوكب الشرق وريتى أفندى جبور المحرر بجريدة النظام وهى من الصحف الوندية أيضا . والمعروف بلوق ما تقدم أن شقيق اولاد عنيات الذى لا يزال فى برلين طالبا على اتصال دائم بمندوب السوفييت هناك » (٢) .

والحقيقة ان قصة شقيق اولاد عنيات هذه قد استخدمت فى محاولة واضحة للتخريف ضد الشيوعيين ومحاولة الايهام بملوعهم فى عمليات الارهاب .

« فقد جاء فى مراعاة النيابة ضد عبدالفتاح وعبد الحميد عنيات فى قضية السردار ان اخا لهما هو عبد الخالق عنيات قد سافر الى اوربا فى عام ١٩٢٣ بحجة تلقى دراسة الطب . وقد وصل الى النائب العام من ادارة الامن العام لتتريرا وصل الى هذه الادارة من برلين مذكور فيه « عاد عبد الخالق عنيات فى اواخر شهر يناير ١٩٢٥ ومنذ عودته اليها زار عدة مدن ألمانية من غير ان يكون عليه اية رقابة ، وهو الآن متغيب عن برلين ولو انه من المنتظر عودته اليها قريباً . وفى عزمه التوجه الى استكهولم لحضور مؤتمر الطلبة الشرقيين ، وكذلك التوجه الى موسكو اما فى شهر مايو او يونيو . وهو على اتصال بنصريين فى الحزب الوطنى المتطرف . وهو كثير الزيارة لسفارة حكومة السوفييت ويصله بواسطتها نقود ، وقيل ان جماعة الشيوعية الدولية تنظر اليه بعين الريبة كوطنى وكأحد دعاة الجامعة الاسلامية شديدى التحمس ، وهو على اتم وفاق مع جرونشتين ولينتسكى وهو متعلم تعليما حسنا الا انه شديد الكراهية للبريطانيين والاوربيين » (٣) .

بل ان سعد زغلول نفسه ما لبث ان اتهم بتحريض الشيوعية ، الامر

١ - الاحرام ٣-٦-١٩٢٥ .

٢ - الاحرام ١-٨-١٩٢٥ .

٣ - د . محمود متولى - مصر وقضايا الاغتيالات السياسية - كتاب الحرية - نوفمبر ١٩٨٥ (القاهرة) - ص ١٤١ .

الذي دافع زغلول الى ان يذكر متهميه ، بان وزارة الشعب كانت عنيفة على الشيوعيين ، وانها أرسلت الكثيرين منهم الى القضاء « (١) » .

كذلك فان الشباب المتحمس في حزب الوفد ، وخاصة امثال النقراشي واحمد ماهر ما لبثوا هم ايضا ان اتجزفوا بعيدا في السياسة البرجوازية باحثين لانفسهم عن طريق خاص قادهم الى اعلى مناصب السلطة .

وبرغم الاقاصيص التي حيكت حول علاقة الوفد بالحزب الشيوعي في ذلك الحين ، وكلها مرتبطة باسمين محددين احدهما رفيق جبور والآخر طاهر العربي . فان الحقيقة هي ان كلا الشخصين لم يكن وفديا غريبين جبور كان يساريا قديما وأحد قادة التجمعات اللبنانية في مصر ، جمعية لبنان الفتى ، وكان عضوا بالحزب الشيوعي منذ فترة طويلة رغم انه عمل محررا في مجلة الانظام ذات الميول الوفدية . ورغم انه كان على علاقة وثيقة بالوفد :

أما طاهر العربي (٢) فلم يكن وفديا على الاطلاق فقد قبض عليه في عام ١٩١٢ بتهمة تدبير محاولة لاغتيال كاتشفر حيث بقي اثني عشر عاما بالسجن . وكان عند القبض عليه عضوا في الحزب الوطني وكان تدبير محاولة الاغتيال يجري باشراف ودعم من بعض قادة الحزب الوطني .

وبعد ان افرج عنه وحصل على مبلغ ٢٢٣ قرشا اجرا لعمله في السجن طوال الفترة التي قضاها فيها قرر ان يتبرع بها للحزب الوطني فوجه رسالة الى جريدة اللواء يقول فيها :

« .. وحيث ان هذا المبلغ على ضالته له في ذنبي من القداسة والتكريم ما يجعلني أضن به ان يصرف في غير وجه الوطن والجهاد في سبيل تحريره .
رحيت اني لا اعترف ولا اعرف - الى هذا الوقت على الاقل - غير الحزب الوطني عينة حملتواء الجهاد من فجر النهضة الوطنية الى اليوم .

لهذا كتبت الى المحاظنة لارجو ارسال هذا المبلغ تحويلا الى خزينة الحزب الوطني واكتب عذا الى عزتكم راجيا ان تتفضلوا بقبوله هدية من مجاهد فديم الى حزب المجاهدين الاوفياء « (٢) » .

١ - الاخبار ٢٩-٨-١٩٣٦ نقلا عن مذكرات سعد زغلول عن يوم ١٩٢٥-١٩٢٥ .

٢ - لورد عبد العظيم محمد رمضان - تطور الحركة الوطنية في مصر - اسما اكثر من مرة على انه طاهر العرابي ص ٥٥٢ والاسم الصحيح محمود طاهر العربي .

٣ - اللواء ١٤-١٠-١٩٢٣ .

وقد عمل للعربي بعد ذلك لفترة محرراً بجريدة اللواء . . .

وئمة واقعة اخرى برويتها العربي تفمته تؤكد انه لم يكن ودياً وان الوند لم يكن يعتبره ودياً . . . فشفيق منصور بوجه دعوة الى المسيحيين السياسيين لمقابلة بعد زغول عندما كان رئيساً للوزراء لينتج حالتهم وتغيير اعمالهم . . . ويندب طاهر العربي مع الذاهيين لكن زغول يشطب اسمه بالعلم الاحمر، قائلاً لشفيق منصور « ده مش بتاعنا . لما نشوف بتوعنا نبقى نتحدث عن غيرهم » (١) . . . وليس ممكناً بعد ذلك ان تصور ان العربي كان واقعياً . . . ولكنه عمل ضمن تقاليد العديدة من عمل التي آخر محرراً في كواب الشرق الوفدية . . . وقد قبض عليه عام ١٩٢٥ مؤتمراً بالشيوعية وهو يعمل بها . . .

قبل ان طاهر العربي نفسه ما لبث تحدث وظاة الحاجة لتلقي السيطرة ان اعترف كتاباً بأنه في علاقته مع الحزب الشيوعي في ذلك الحين كان مجرد جاسوس لاجهاز الامن . . . فقد وجه رسالة التي على ما امر بانثاء رئيس الديوان الملكي في ٣١ مايو ١٩٣٩ اعترف فيها بما يلي . . .

« في مايو ١٩٢٥ صادقت رجلاً شيوعياً خطراً جداً يدعى قسطنطين فايس عو رئيس الدولة الثالثة في الشرق وكان محكوماً عليه بالاعدام في ايطاليا باسم فيجندوز . . . وكان البحث جار عنه في انحاء مصر حيث دخل فيها بجواز مزور . . . قابلته ولم اكن اعلم شيئاً عن حقيقة امره . . . بل قادني اليه زميل صحنى اسمه رفيق جبور وعرفني بأنه صحنى انجليزي يدرس شؤون العمال في مصر . . . وكان الرجل بعيد عدة لغات وسرعان ما توقفت بيننا عرى الصداقة . . . وتبادلنا يفتي الاحاديث . . . وشيئت راحة كريمة لم انهما من قبل اذا لم اكن سمعت او قرأت شيئاً عن الشيوعية قبل ذلك وكنت حديث العهد بتجارة السجن . . . سمعته يتحدث بكل سوء عن الكلية والزاسمالية . . . وقابلت صديقاً ضابطاً بوزارة الداخلية هو كمال اندي حسيش . . . وتحدثت عن هذا الاجنبي الصحنى الذي يدرس شؤون العمال . . . ولم اكن عرفت عنه شيئاً من الناحية الشيوعية . . . وكانت ضرورته معي اهداها الي فاظلمت الضابط عليها . . . وما كدت افعل حتى انتفض كمن منته الكهربياء . . . وقبلني في وجنتي وكاد يرقس من شدة الفرح وفي اليوم التالي زارني في منزلي . . . واستدعاني لمقابلة مساعد القوي باشاء مدير الامن العام وكان معه كامل بك الرحمانى . . . فاخذا يفتعنني بالعمل معهما في مكافحة الشيوعية . . . ولم تمض بضعة شغور حتى كتبت ووضع سر هذا الزعيم الشيوعي . . . وعرفت كل شيء عن هذه العصابة . . .

١ - محمود طاهر العربي - هذا المجتمع الظالم - الطبعة الاولى - مطبعة دار المستقبل ص ١٧٩ . . .

الخضيرة الكبيرة للدولية، وفي ساعة مبكرة من الصباح قبض البوليس في اثناء
مصر على اكثر من ثلاثين شيوعي مضربين واجانب، وقبض على ايضا بينهم،
وخذت السجن وبقيت فيه شهرين كاملين، ثم مثلت امام المحكمة وشهدت
عليهم، ولم ازل اى جزء مادي ولا اجسدي (١)

وعلى اية حال فان من الواضح ان قضية علاقة الوفد بالحزب الشيوعي
في ذلك الحين كانت قصة ملفقة لفتها المستعمرون والحزاب الرجعية كسبيل
ليضرب حزب الوفد نفسه

وهكذا فان جنوح قيادة حزب الوفد نحو التهتان مع الاستعمار،
ورفضه اى منهج ثورى او حتى وطنى حق في مواجهة الانجليز قد اجبر الحزب
الشيوعي على السير في الطريق الوعر طريق معاداة الوفد، معرضا نفسه
لمزلة شديدة، كذلك لم يدع امامه اية فرصة للخيار في التحالف فلم يبق
امامه سوى « الحزب الوطنى » فكان تحالف المستضعفين

وكان م بن روى قد وصف في مقالته « الانقلاب السياسى في مصر » (٢)
اعضاء الحزب الوطنى بانهم « متطرفى البرجوازية الصغيرة الثوراتيين »
وقال عنه ايضا « ان تكوينه الاجتماعى - بعد اعادة تنظيمه واستعاثته
شبابه قد اتجه ناحية التجار الصغار والمثقفين الطحونين والحرفيين المستغلين
رفقراء السلاحين والبروليتاريا، لكنه لم يكن يضم من هؤلاء اولئك الا النذر
اليسير »

ولقد رأينا كيف استخدم الحزب الوطنى كل قوته في التجهنم على
سياسة الاعتدال والتهادن لكنه قد عجز بالفعل عن ان يرفع شعارات متخذة
ذات قدرة فعلية على تعبئة الجماهير، يظل اسيرا لممارسة جوفاء، لم تستطع
ان تتمر شيئا جادا

ولقد كان حجم الحزب الوطنى اقل بكثير من شعاراته الطنانة الامر الذى
جعل من هذه الشعارات - التى كانت مجرد تشدد لفظى - لا يصابه اى موقف
بضالى - ماثارا لتسخيرية الكثيرين وخاصة الصحف الوفدية

وفي مقال افتتاحى نشرته روزا اليوسف يمكننا ان نطالع نماذج من
التسخيرية مثل « للحزب الوطنى ان يطيل النظر لما شاء في مرآته المسحورة
وان يرى هناك جسمه (القوزعة) عملاقا طويلا يقف على باب البلد موقف

١ - دار الوثائق المصرية - محفظه ٤ داخلية - عربى - ملف ٣ - وثيقة
اصلية بخط محمود ظاهر العربى عبارة عن خطاب موجه الى على ماهر باشا
رتيس الديوان الملكى

(2) International Press Correspondance ..

كان كل من محمد محمود والنحاس باشا يحاول أن يفتح الخندق الساسي بأن حكم مصر ممكن فقط بواسطة شخصيا (١)

واكتشفوا أيضا أن الوفد في صراعه ضد الحكومة الضالعية يرفع شعارا سياسيا محمدا هو عودة الدستور، لكن الوفد لم يكن يضح في اعتباره قوى الجماهير المصرية ونضالها ضد الدكتاتورية الضالعية وإنما كان يملق كل آماله على انتصار حزب العمال الإنجليزي.

بل أن الوفد قد حاول أيضا أن يلعب على الخلافات في وجهات النظر داخل الوزارة البريطانية ذاتها، وعقب انقلاب ١٩ يوليو افتتح الوفد في لندن مكتبا سياسيا خاصا (حتى ديسمبر ١٩٢٨) برئاسة وليم مكرم عبيد ولنفس الغرض أيضا أصدر الوفيدا جريدة في لندن باللغة الإنجليزية تيسمى

كذلك فان سياسي حزب الوفد عندما كانوا يهتمون بالجماهير فأنما كانوا يفعلون ذلك لمجرد تحقيق أهداف الحزب، وبشرط أساسي هو الاقتمكن الجماهير من تحقيق أي دور ايجاسي في التأثير على أعمال الوفد أو دوره

ان رئيس حزب الوفد النحاس باشا قد ركز في خطابه الذي القاه في القاهرة بمناسبة مرور عشرة أعوام على تأسيس حزب الوفد على اصرار الحزب على عدم فتح الباب أمام الصراع الطبقي الذي وصفه بأنه يقود الشعب إلى الهاوية والهلاك (٢)

وهكذا فان تطورات الأحداث والمواقف المتعاقبة التي اتخذها حزب الوفد تجاه الجماهير قد اقتادت الحزب الشيوعي إلى موقف بعيد تماما عن فكرة التحالف معه ومرة أخرى تتساقط فكرة إقامة تحالف وطني يضم القوى المتألية بالدستور واحترام القانون وحرية الشعب

أما الحزب الوطني فقد كشف هو أيضا عن ضعف وتخاذل شديدين، وما لبث الحزب الشيوعي أن أخضع هو أيضا لمحاولات تحليل صارمة استندت في كثير من الاحيان إلى التصرفات الفعلية التي صدرت عن قادة هذا الحزب:

وكما اهتمت الصحافة الوضعية الحزب الوطني بأنه حزب ذو شرار، فان

١ - ريفولوسيوني فوستوك (الشرق الثوري) - مقال بعنوان

« بلا مخرج » - رسالة من مصر - بقلم أ. الجبالي - مؤرخة في نوفمبر ١٩٢٧

والجدا ٢٤ - عام ١٩٣٢ الطبيعة الروسية (راجع النص الكامل بالملاحق)

٢ - ريفولوسيوني فوستوك مقال «مصر بعيد الانقلاب» بقلم

١ - سامي - المرجع السابق ص ٢٨٤

بعدة سنوات، من التحالف بالافتراض. معه قد كشفت للحزب الشيوعي الحق
هذا الوصف (١) بيضاء في جملته، كما أن هذا الوصف هو الذي

فيها «وقال ليك الشيوعيون - أن، وصيروه في مقالاتهم بأنه، الحزب، الذي يشرى
كثيرة، قبل - وضفوا لقبوله، للتخالف معهم، بأنه، مجرد استعراض، مظهرى، أوقالوا
رأى، لتسيان، قيادة، الحزب، الوطنى، تحت، ضغط، العناصر، الراديكالية، في، البرجوازية
الصغيرة، باستعراضات، ثورية، في مظهرها، فشاركوا، في تكوين، فرع، وعضية، للنضال
تحت، الإمبريالية، و لكن، مثل، هذه، الاستعراضات، النظرية، لم تغير، ولو، لادنى، درجة
الخصم، السياسى، للحزب، (١) ووجه، بعض، من، هذه، التغييرات، على، ما، كان، من، قبل، من
من، والآن، فإنه، لم، يتعد، أمام، الحزب، الشيوعى، إلا، أن، يحاول، استخلاص، بعض،
الدروس، من، المواقف، التى، اتخفتها، أحزاب، البرجوازية، المصرية، المختلفة، من،

ويمضى أ الجبالي محاولا أن يستخلص هذه الدروس فيقول

ولقد مثل قادة الحزب الوطنى لعدة سنوات دور حماة الجماهير الكاحية
وحازت البرجوازية الصغيرة الراديكالية أن تقبح الجماهير بأنها لم تنبذ
عن حشبة المسرح، لكن الصراع الدائر وسط صفوف أعضاء الحزب الوطنى
لم يكشف فقط عن مدى الضعف السياسى لقادة الحزب، وإنما كشفت أيضا عن
ضرورة البحث عن مسارات جديدة للحركة التحررية الوطنى، و
فما هي هذه المسارات الجديدة، التى يدعو إليها الحزب في مستقبل
والتحالف الوطنى، يقول الجبالي، وكلما تم الإسراع، بتفجير، الحزب
الوطنى من الداخل كلما وجدت العناصر الشريفة داخل هذا الحزب - بسرعة
أكبر - طريقا لىسعى نحو تأسيس، و الجبهة الثورية الوطنيه الموحدة، تحت
قيادة حزب الطبقة العاملة، (٢) فى حين أن هذا، و قد تم، في

ويعتقد هكذا، فإن، لجزء، الوفند، والحزب، الوطنى، نحو، سياسة، و التقاعد، و التمام
والتقوم، وقد، وضع، الشيوعيين، المصريين، في، مازق، حقيقى، وشدا، السبيل، أمام، أى،
تحالف، وطنى، جاد، و

ووقع الحزب، الذى، رفع، شعار، انزال، الذى، يدعو، الذى، و تفجير، هذه، الاحزاب
من، الداخل، وتأسيس، جبهة، ثورية، وطنية، موحدة، و

١٦٦٧، فى، ريفولوشيونى، مؤنتوك، مقال، بعنوان، وخطاب، من، مصر، الحزب
الذى، يشرى، كثيرا، ن، بقلم، الجبالي، مؤرخ، فى، مايو، ١٩٢٩، ص، ٢٨٨ - من، المرجع
والتفانى، (٢) راجع، النص، الكامل، بالملاحق، و

٢ - المرجع السابق، ص، ٢٩٠ - و

ولمستغربا جدا ان تلقى اللوم كله على الاطراف المصرية لمركبة التخالف
عنه ذلك انه من المتعين علينا ان نذكر ان الكومنترون قد تنهج بالفعل في
هذه الفترة منهجا مماثلا .

ولسنا نشك مطلقا في حتمية تأثر الحزب بموقف الكومنترون هذا ، لكن
الذي لا شك فيه أيضا ان الاحداث التي كانت تجرى على مسرح السياسة المصرية
كانت في ذاتها - كافية لان تشكل وبصورة موضوعية تماما مثل هذا الموقف
وعلى أية حال فلقد كان على الحزب ان يعاني من وطأة الحصار الذي
فرضته عليه الاحزاب الوطنية الاخرى نتيجة لسياستها المتخاذلة والتهابنة .

ويروى لأكور ان أفيجيور قد تحدث في اجتماع اللجنة التنفيذية للكومنترون
عام ١٩٢٤ عن أسباب ضعف الحزب الشيوعي المصري فقال - ان الشيوعيين
المصريين قد أخفقوا لان الجماهير كانت تؤمن بالوند (١) .

وهذا صحيح الى حد كبير ، فلقد ظل الوند - برغم كل شيء - المنبر
الاساسي للتحرك الوطني المصري وكان - برغم كل شيء - مصفا للهجمات الرجعية
والاستعمار على السواء .

وهكذا كان على الحزب ان يهاجم الوند ويدين تهاده وضعفه في الوقت
الذي كان غلاة الرجعيين والسراي وعملائها ومن خلفهم سلطات الاحتلال يشنون
هم أيضا هجماتهم على الوند .
ولقد عانى الحزب كثيرا من مثل هذا الموقف .

ولسنا نريد ان ننقد هذا الموقف ، فلقد كانت قيادة الوند تنهج
بالفعل موقفا متخاذلا وبعيدا عن الاعتماد على حركة الجماهير الشعبية ، لكننا
نعتقد ان الامر كان بحاجة الى بعض المرونة - في مصر بالذات - ودونما ربط
الامور فيها ربطا ميكانيكيا بخيانة شان كاي شيك او حتى بتهادن سعد
نظول نفسه .

وعلى أية حال فان صفحات هذا الفصل ليست بأية حال محاولة لتقييم
دور حزب الوند ، ولا تستهدف بأية حال التقليل من دوره في الحركة الوطنية ،
وهي أيضا ليست محاولة لتقييم دور الحزب الوطني وانما هي في الاساس
محاولة لالقاء نظرة على خطة التحالف التي نهجها اليسار المصري والعوامل
الموضوعية التي أجبرته على اقامة تحالف بين المستضعفين انتهى بطبيعة
الحال الى لا شيء .

١- والتر لأكور - الاتحاد السوفييتي والشرق الاوسط - المرجع السابق

لكن الثلاثينيات قد شهدت محاولات اخرى لاقامة تحالفات اكثر فعالية
من بينها التحالف مع القوى القومية القبايلية الموالية لنباسي رخليم من اجل انشاء
حزب عمالي

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يقلل من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

ومؤامراته الخفية لم تكن ذلك الخطأ من اليسار وحده بل كان اردامل طيطير
لاصرار قادة الوفد على انتهاز سياسة الاعتدال والتهامن مع الاستعمار
وتشبيهم المزري بسياسة المداء لليسار ورفض أي تحالف معه

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يقلل من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يقلل من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يقلل من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يقلل من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يقلل من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يقلل من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

والتحالف مع القوى المناهضة للفاشية ووسط التجمعات الأجنبية
لكن ذلك كله - وبالرغم من أهميته - كان يجري على هامش الأحداث
وكان يقلل من فعاليته الى حد كبير انه كان يجري بمعزل عن حزب الوفد
ومؤامراته الخفية

در این مقاله، به بررسی نقش و اهمیت ...
در زمینه ...
و ...
در ...
و ...
و ...

القسم الثاني

- * وبرغم المطاردة المخوفة • واصلوا المسيرة •
- * العرابي - ناصف - القاضي • جماعة التمسك بالقانونية •
- * بعض القضايا الايديولوجية •
- * كلمة اخيرة •

در این بخش، به بررسی ...
و ...
و ...
و ...
و ...
و ...

در ادامه ...
و ...

••• وبرغم المطاردة الجفونة واصلوا المسيرة

ان تاريخ مضر الحديثة يشهد لبرجوازياتها وكبار ملاكها ، بالوعى الكامل والحرص الشديد تجاه النشاط الاشتراكي .

ومنذ البدايات الاولى ، وحتى قبل ان تصل قوى الطبقات الغنية الى مركز السلطة سواء السلطة الحقيقية او المفترضة ، كانت القوى الرجعية تدبر امورها بحيث تجعل من ارض مصر مكانا محرما. للفكر الاشتراكي وللتيارات الاشتراكية .

وثمة وقت كانت فيه الطبقات المالكة المصرية لا تزال تجاهد من اجل مكان لها بالقرب من مواطىء السلطة ، لكنها كانت وفي نفس الوقت - تسعى بنفس القدر من المثابرة - وربما أكثر - لتقاوم الخطر الاشتراكي المفترض .

وإذا كانت الطبقات المالكة قد كرست كثيرا من الجهد في اعداد دستور ١٩٢٣ كسبيل لدعم سلطاتها ، وبذلت كل ما استطاعت من جهد كى تنتزع لنفسها حقوقا وضمائنات ، فقد بذلت كل جهدها كى لا تستخدم الطبقات الكاسحة من هذه الضمائنات .

وفي مذكرة أحمد ذو الفقار وزير الدتانية حول الظروف الجديدة التي يخلقها اعلان دستور ١٩٢٣ تحدث طويلا عن الضمائنات التي كفلها الدستور لحرية الصحافة ، لكنه ما لبث ان استترك قائلا ، ولكن يبقى هناك استثناء واحد لانذار الصحف او تعطيلها او الغائها بالطرق الادارية ، فان بعضا من الحرية الدستورية لا يمكن تطبيقه على حملات تحمل على أساس الهيئة الاجتماعية ، كخطر الدعوى البلشفية الموجودة الان . فانه يضطر جميع الحكومات الى اتخاذ تدابير قد تكون مناقضة للمبادئ المقررة في الدستور لاجل ضمان حرية اهل البلاد المسالمين والموالين للقانون . فلكى يمكن انشاء تشريع لمكافحة امثال هذه الدعوة الضارة نص في المادة ١٥ على ان انذار الصحف وتعطيلها والغائها بالطرق الادارية قد يجوز في حالة ما تقتضى الضرورة بالاتجاه اليه لحماية النظام الاجتماعى . واضيف تحفظ مماثل لهذا الى نص المادة ٢٠ التي تكفل للمصريين حق الاجتماع بسكينة ومن دون سلاح ، والمادة ١٥١ التي تحظر النفى لجرائم سياسية (١) .

١ - الدستور . تعليقات على مواد بالاعمال التحضيرية والناقشات البرلمانية - الجزء الاول - مطبعة مصر - ١٩٤٠ - ص ١٤ .

وقد عطلت اللجنة الاستشارية التشريعية على المادة ١٥. وهي المادة الخاصة بحرية الصحافة قائلة: « هناك بعض حريات دستورية لا يمكن السماح بها في حالة الاعتداء على الاسس الجهورية للهيئة الاجتماعية . فخطر الدعاية الشيوعية القائمة في الوقت الحاضر يجعل من واجب الحكومات ان تهتم على حماية الدولة ولو استلزم ذلك الرجوع الى تدابير قد تكون مخالفة للمبادئ المقررة في الدستور لصيانة حرية السكان الهادئين والمخلصين للبلاد . فيكون من الحكمة للتفكير من وضع التشريع المناسب لمناهضة مثل هذه الدعاية الهدامة » (١)

وهكذا ومنذ البداية الاولى . وحتى قبل ان تصل البرجوازية الى السلطة المفترضة ، كانت حريصة كل الحرص على مقاومة الحزب الذي كان قد وجد . . .

وفي الجزء الاول من هذه الدراسة استغرقت رواية المطاردة الشرسة التي خاضتها سلطات الاحتلال وحكومة سعد زغلول ضد الحزب صفحات طويلة . . .

ثم ذهب سعد وجاء زيور ، وان كانت الخلافات بين الاثنين كبيرة وكثيرة في مجال القضية الوطنية . فقد اتفقا في موقف واتخذوا مواصلة الهجوم على الحزب واستمرار عملية المطاردة التي بدأها وباركها سعد زغلول . . .

وكانت حكومة زيور بكل ما اوتيت من عنف وضيق اذق تصدر القرار تلو القرار في اضطحية واضحة . . .

فصدرت قرارا بمنع السفن الروسية من دخول الموانئ المصرية وتفتش الأهرام قبضة وصول السفينة البلشيفية ، تشيشيرين فتقول ، وصلت الى الانكندرية ، أمس باخرة روسية بلشيفية تدعى تشيشيرين تنقل بضاعة الى هذا الاقطر ، وربما كان عليها بعض الركاب أيضا . فلم تكمد تصل الى الميناء الخارجي . حتى اصدرت السلطة المحلية أمرا الى البوليس بمراقبتها وحراستها ومنعها من الدخول الى المرما . فاقفقت في الخارج ولا تزال حتى الآن تحت حراسة الشرطة . والمفهوم ان الحكومة ستأذن لها بتفريغ مشحونها حيث هي راسية تم تآمرها بالانصراف فتصرف غدا . . .

ويظهر ان الباخرة « تشيشيرين » هذه لا تحدى ما نحن فيه من الانهماك في قضية الشيوعية البلشيفية في هذه الايام » (٢)

١ - المرجع السابق ص ٩٧ .

٢ - الأهرام ١٩ - ٦ - ١٩٢٥ .

من أصل زوني فقد أصبحوا مصدرا لكوادر شيوعية عديدة التي الدرجة دفعت الحكومة المصرية التي اتخذت إجراءات خاصة لتحييد من حجم تأثيرات دخول التي مصر مؤيدون. هذه الإجراءات كانت قائمة على الدرجة التي دفعت الحكومة البريطانية التي التدخل رسميا في هذا الأمر. هذا الأمر الذي كان له أثر كبير في مصر. وقد ورد في السفارة البريطانية في القريّة موجهة إلى المصاحبة الفخامة السيد أوستن تشمبرلين - مؤرخة في ٣ مايو ١٩٢٩ - تقول فيها: الأولى المشرقة أن إشير إلى بركة فحامتكم رقم ٢١٩ (رت - ٣٢٧٦ / ٢١٨ / ٣٧٨) في المؤرخة في ١١ أبريل والتعليق بموضوع فرض قيود مشددة على منح تأشيرات دخول لحائزي جوازات السفر الفلسطينية

رغم ذلك توضح السفارة البريطانية أن هذه القيود مفروضة فقط على الذين هم من أصل زوني . . . ويتقول إن وزارة الداخلية المصرية تضر على قرص أكثر القيود شدة في هذا الصدد . . . ذلك أنه بعد البحث ثبت أنه من بين ٨١ أجنبي لوحظ اشتغالهم بالدعاية الشيوعية في مصر منذ عام ١٩٢٣ وحتى الآن كان من بينهم ٢٥ على الأقل من الذين هم من أصل روسي. (١) . . .

بل إن الحكومة قد لجأت إلى تشكيل مكاتب خاصة في القاهرة والاسكندرية وبورسعيد يشرف عليها عهد من الروس المعادين للشيوعية وشبه مذكرة موقعة من محمد محمود باشا ومؤرخة في ٧ - ١١ - ١٩٢٧ تقرير تعيين المستشار نيولا فينوجرافوف والمدفوزيل نينا تشارولسكي والمنسبو الكيندر نيتروف والمدفوزيل فالنتين سيمنوف والمنسبو قونسطنطين كراشيف مديرين وكتابة المكاتب في القاهره والاسكندرية وبورسعيد (٢)

ثم قامت الحكومة باعقبال كل الروسيين المشتبه في شيوعيتهم من الاسكندرية والقاهرة وبورسعيد وعددهم ٥٢ شخصا ثم أبعدهم من مصر في يوليو ١٩٢٥ حيث تسلمتهم بإخرة روسية أمرت بأن ترسو بميناء خارج الميناء (٣) . وقد وجه قومسيير الشعب للخارجية بالحكومة الشيوعية

(١) (371/777) No. 391 = 13. MAY. 1929 = 5503 - 372/2564 F.O. (1) .
 مودعة بالارشيف العام بالمتحف البريطاني بلندن
 ٢ - دار الوثائق المصرية - مخظة مجلس الوزراء ديسمبر ١٩٢٧ - مذكرة موقعة من محمد محمود باشا ، مؤرخة ٧ - ١١ - ١٩٢٧
 ٣ - الامرام ١ - ٨ - ١٩٢٥ ٢٢٤١ - ١ - ٢٠٠٠

احتجاجاً، على هذا استوردت الحكومة المصرية قمرزث تجاها هذا الاحتجاج
وعبد الرد عليه (١) يوم ١٠/١٠/١٩٢٥

كذلك اضطرت حكومة زيور قراراً بمنع الشماح ببيع أو تداول الكتب
الشيوعية والإشتراكية أو جلبها من الخارج

كما أصدرت قراراً بمنع دخول جريدة « الأوفانينه » الفرنسية وجريدة
« الإنسانيه » التي تصدر في بيروت أو أية جرائد أو مجلات شيوعية أو
إشتراكية . ويعلق الأهرام على ذلك قائلاً « عرمت السلطة عزماً ثابتاً على مكافحة
الشيوعية ومبادئها ودعاتها في هذا القطر وغداً هذا العزم يتضح من إتباع
نطاق الإساعي المذبذبة لاستئصال شائفة ذلك الداء الاجتماعي الخطير »

ثم تقول الأهرام « ان البوليس صادر مؤخراً بعض كتب إشتراكية وجدت
عبد شهاب يوناني يقول أصحابه أنه لا علاقة له بالحركة الشيوعية مطلقاً
وقد أرسل هذا الشخص إلى القبايرة للبحث في أمره »

ويختتم الأهرام الخبر قائلاً « ولا شك بأن هذا الكتيخ سيشند بعد الآن
ولا يبيها بعد أن علم أن الحكومة البريطانية شديدة الإهتمام بمكافحة هذه
الحشرة الممقوتة التي تتخر قلب السينديانة كما ورد في التلغرافات الأخيرة نقلًا
عن كلام وزير الداخلية » (٢)

وقد ظل قرار حكومة زيور بمنع السفن الروسية والرعايا الروس من
الدخول إلى مصر سارياً لفترة طويلة . وحتى عندما استتبت أزمة القطن وزاد
المعروض في السوق العالمي وتدهورت أسعار القطن المصري نتيجة لقلة الطلب
العالمي عليه ، وارتفعت أصوات عديدة تطالب ببيع القطن للروس ، تخرجت
الحكومة صويلاً . وتردعت وأخيراً وبعد الحاح شديد وتحت ضغط الحاجة
الاشتهائية الملحة اضطرت للسماح لاثنتين من الروس بدخول مصر وتنتشر
الصحف الخبر قائلة « وافقت وزارة الداخلية يوم ٢٥ يوليو على الترخيص لاثنتين
من خبراء الروس يتوبان عن نقابة اتحاد النسيج الروسية بدخول مصر
ومعاينة أقطان الحكومة وشرايتها كلها أو بعضها وشراء ما يروق لهما من
الأقطان المقروضة في السوق »

لكن الصحف لم تقم أن تؤكد أن الوزارة قد تحققت من أنهما في
الواقع خبراء في الأقطان ولا شأن لهما بالدعاية البلشفية ، وأنهما يمثلان
نقابة تدغب في شراء القطن المصري رغبة جدية . ولا ريب أن هذا التعامل

١ - دار الوثائق القومية - محافظة مجلس الوزراء نوفمبر ١٩٢٥ (بدون رقم)

٢ - مذكرة يحيى باشا إبراهيم إلى مجلس الوزراء بتاريخ ٧ سبتمبر ١٩٢٥

٣ - الأهرام ١٦ - ٦ - ١٩٢٥

الجديد الذي يدخل منذ إن سوق القطن سيكون له أثره النافع وهو ما يمسه
الفضل فيه الى معالي وزير الداخلية بالنمابة الذي جمع بين الحرص على وقاية
البلاد من البلشيفية وبين اتصال الشركات الروسية بالإقطن المصرية (١)

وقد اشترى هذا الخويبان ثلاثة صفتة ضخمة من القطن المصري بلغت
١٤٠٠٠٠٠٠ بالة من القطن الجود (٢)

كما ان الحكومة زيور قد أصدرت قانونا جديدا هو قانون الجمعيات
السياسية حاولت فيه تحت ستار محاربة البلشيفية ان تثبت هجومها على
كل الأحزاب السياسية المعارضة وقد تحثت مخلة الأمل (الوطنية المول)
عن هذا القانون قائله أصدرت الوزارة قانونا غريبيا أسمته الصحف اليومية
والقانون الجمعيات السياسية، وعندى ان من المجازفة ان يسمى هذا الذي
أصدرته الوزارة قانونا، فالقانون المزعوم ليس اذن الا اجراء استبداديا أرادت
الوزارة ان تتحكم به في وجود الأحزاب السياسية ولكن يظهر لي ان هذا القانون
أو يناجرى هذا السلاح ذو حدين

ثم تضمن مجلة الأمل قائله لقد ذهبت شركة روتتر التي تجد القبول بان
هذا القانون يهدد للثورة ونشوء الجمعيات السرية (٣)

وفي ٢٥ مايو ١٩٢٦ أصدرت وزارة زيور قرارا بقانون، يطلق يدما في
تعقب الشيوعيين وتعد بحس على معاقبة كل من يزاول نشاطا من نشاطه
الاضرابي بامن البلاد الداخلي أو الخارجي أو النظام الاجتماعي (٤)

وإذا كانت القوانين التي سنتها الحكومة الرجعية بوجه مقاومة البلشيفية
قد استخدمت بهدف كبت القوى الوطنية الأخرى فان هذه القوى الوطنية
نفسها قد واصلت - هي أيضا - استخدام سلاح القانون ضد اليسار
وعندما نشبت معركة بين السراي واللورد لويد من جانب والنحاس باشا
من جانب آخر عام ١٩٢٨ حول مشروع قانون الاجتماعات حاول النحاس
ان يهرق القانون من فوق جسر العذاء للييسار فتعال في خطاب له في
احتفال أقامه المحامون لتكريمه في ٢٧ ابريل سنة ١٩٢٨ ان تنظيم
الظاهرات المنصوص عليها في هذا المشروع قاصر على المظاهرات السياسية
وأما غيرها كالمظاهرات الشيوعية وغيرها فخارجة عن أحكام هذا المشروع

١ - السياسة الاسبوعية ٣٠ - ١٩٢٧
٢ - السياسية الاسبوعية ٢٦ - ١٩٢٧
٣ - بالأمل - ١٧ - ١٩٢٥
٤ - رؤوف عباس - المرجع السابق ص ٢٦٢

وخاصة للثلاثون العام ١٩٠٠. وللبوليس أن يمنع من غير قيد ولا شرط أية مظاهرة شيوعية. أو الاجتماع شيوعي وقاية للنظام العام (١).
واستمرت حملة المطاردة في التصاعد وتطلب الامر اعتمادات اضافية وتورد في مضابط مجلس النواب الفقرة التالية « الرئيس : وردت مكاتبة من وزارة المالية بشأن فتح اعتماد اضافي بمبلغ ٣٠٠٠ جنيه تحت بند المصاريف السرية بديوانية وزارة الداخلية لانشاء مكاتب لتسجيل الرعايا الروسين ومخضارية الشبوعية فهل توافقون حضراتكم على احوالها الى لجنة المالية ؟

(موافقة عامة) (٢)

ويبدو أن النواب في لجنة المالية كانوا يتوون مناقشة الامر بصورة جدية والسؤال عن جهات الصرف واسباب الزيادة وغير ذلك مما قد يؤثر في المناقشات البرلمانية. وان وزارة الداخلية خشيت من مثل هذه المناقشة فعادت وسحبت طلبها ..

وأبلغ رئيس المجلس الاعضاء في جلسة تالية ان هناك مكاتبة من لجنة المالية بتعيين « ان سعادة وكيل المالية قرر امام اللجنة ان الوزارة رأت سحب طلب الاعتماد لوجود وفورات بالبنود الاخرى أمكن بها سد عجز المصاريف السرية » (٢)

لكن الامر لم يقتصر على ذلك كله ، بل تجاوزه الى حد تلفيق القضايا واتهم وثمة أمثلة عديدة نكتفي بايراد مثل صارخ منها ١٠ وهو مثال تناولته صدف هذه الفترة تحت عنوان « المؤامرة الموهومة »

« ففي ٣ اكتوبر ١٩٢٧ طلعت الصحف على الناس بخبر مؤامرة لاغتيال جلالة الملك وتقلب نظام العرش في مصر . وظهر بعد التحقيق الدقيق أنها مؤامرة وهمية . . . وتحرير الخبر أن شخصا يدعى على أفندي محمد شحاتة مستخدم بمصلحة التلغرافات ، قدم في ٢١ يونيو ١٩٢٧ بلاغا إلى إدارة الامن العام يدعى فيه بوجود مؤامرة لاغتيال جلالة الملك أثناء رحلته في أوروبا وتقلب نظام الحكومة التي جمهورية واتهم في هذه المؤامرة بعض أعضاء الحزب الشيوعي القديم ومحمد بك حافظ رمضان رئيس الحزب الوطني الذي قال عنه

-
- ١ - أحمد شفيق باشا - حوليات مصر السياسية - الحولية الخامسة من ١٩٢٧
 - ٢ - مجلس النواب - مضبطة الجلسة الثامنة عشر برئاسة سعد زغلول باشا جلسة ١١ يناير ١٩٢٧ ص ٢٤٥ من المضبطة الرسمية . - ٧
 - ٣ - المرجع السابق - جلسة ٢٥ يناير ١٩٢٧ ص ٢٨٩ - ٧

وانه سبأفر الى أوروبا ليقوم باليدابير الخاصة بها هناك. وقال ان البولشفيك
 الروس يموتون المتأمرين بالنان فيه. وبعبء التحريات. الحقيقة التي استغرقت
 نحو شهرين ظهرت الحقيقة وهي أن البلاغ كاذب تماماً ادعاء (١)
 ويلاحظ أن المؤامرة لم تمتد فقط لبعض أعضاء الحزب وإنما شملت أيضاً
 محافظاً رومانياً ولم يكن اختياره حافظاً رومانياً بالتحديد من ضمن مصادفة وإنما
 بسبب علاقاته بالعصبة العالمية للنضال ضد الامبريالية في رومانيا أيضاً
 وبرغم ثبوت كذب البلاغ الذي قدمه محمد علي شحاتة التي أكدت صحف
 هذه الفترة انه كان لفترة طويلة عميلاً للبولشفي وأنه حصل من قواثر الامن
 على مبلغ كبيرة من المال في رومانيا لسبق أن أبلغ عن مؤامرة سابقة وحصل
 على ألف جنيه من البولشفي (٢) من تمثيله في رومانيا. وهو الذي كان
 وبرغم أن بقية الذين تناولهم هذا البلاغ الكاذب وهم روتشال وأنتس
 شارلوت قد اتقما دعوى البلاغ الكاذب ضد البلاغ

فإن الصحف الرجعية لم تنعم وسيلة للتشهير بالحزب فعادت لتتهم البلاغ
 نفسه بأنه شيوعي ووضفته بأنه دجرائي وعصبي المزاج وسريع الغضب
 بسبب آرائه والمبادئ الشيوعية التي اعتنقها ويدين بها ويدافع عنها أو يروجها
 في كل مكان (٣)

فإن البولشفي الدائم والمستمر كان التثبيته والتثبيته المستمر
 بالحزب وأعضائه وتنظيم عملية المطاردة والهجوم بحيث تظل ساخنة على
 الدوام

لكن الأمر لم يقتصر على ذلك كله بل تعداه الى مطاردة الأشخاص الذين
 كانوا في يوم من الأيام على علاقة بالحزب وحتى ولو قطعوا علاقاتهم به بعيد
 ذلك

وقد تركز الضغط البولشفي في ذلك الحين على الأعضاء القدامى كمن
 يستنكروا مبادئ الحزب لكن زيادة الاستنكار الذي كان يفتزع تحت
 خطوط وتهديدات عديدة لم يكن سوى مقبلة لبداية الاضطهاد الحقيقي فبعد
 تجريد العضو من ارتباطه بالحزب عن طريق الاستنكار كان من المتعين مطاردته
 واضطهاده اضطهاداً مستمراً حتى يكون باستمرار عبء لغيره

- ١ - أحمد شفيق باشا - حوليات مصر السياسية - حولية السنة
 والرابعة - ص ٥٩١
- ٢ - الأهرام من ٣-١١-١٩٢٧ ص ٦٠٦ و ٧١٤١
- ٣ - المرجع السابق

في ريزوي وحافظ سني، أحد مؤيدي شعبة الحزب بالمنصورة قصته قائلا :
« الحقيفة انتم مارسوا ضدّي ضغطا شديدا جدا ، وأنا كنت اعمل في
مجلس المديرية وهددوني بالفضل وتشريد اولادي واخيرا خضعت للضغط
وكتبت استقالة من الحزب لازلت اذكرها بالنص وهي :

« ربما ان العمال في مصر بين فوات ثلاث ، الاستعمار الظالم والحكومة
التي تربت في احسانه ، والقابضون على زمام الاموال ، فان على العمال ان يكتفوا
بحزب عمالي وان يبتعدوا عن الشيوعية والاباحية . وطبعا هذه الضيغة لم
تعجب مدير الدقهلية لكنني رفضت تعديلها »

واواصل سؤال الرجل :
« هل فعل آخرون مثلك ؟ »
« نعم ، ضعف البعض مثلي والبعض رفض ، والحقيفة ان الذين ضعفوا
كانوا جميعا موظفين بالحكومة لان سلاح الفصل من الوظيفة كان سلاحا
مخيفنا جدا . »
« وهل اكتفت السلطات بهذه الاستقالة ؟ »

« نعم ، اُكتفت بها في البداية ، لكنها عادت بعيد ذلك الى تشريدنا جميعا
فانا وكثيرين فصلنا من العمل ، ومحمد عبد الجليل فصل ثم أعيد للعمل
بشرط نقله الى سوهاج وعلى العموم ظلت جملة التكييل والاضطهاد
والترقيش تلاحقنا بشكل مستمر حتى ما بعد ١٩٢٠ . »

« بل ان البوليس كان يستدعي أي شخص يتصل بنا لأي سبب من
الأسباب حتى ولو كان مجرد قريب أو صديق شخصي ويجذره من الاتصال
بنا » (١)

وتحمل لنا الذكريات الشخصية لهؤلاء الرجال نماذج غريبة من
الاضطهاد ، قال الشيخ صفوان تطارد زوجته وهو بالسجن ويضغط عليها
البوليس كي تنفصل عنه لكنها ترفض ، (٢)

والشحات ابراهيم ظلت زوجته وأطفاله الجياع نمونجا يتردد في
الصحافة لردع أي عامل فقير عن التفكير في النضال السياسي ، لقد تحدث
الكثيرون من الصحفيين ومنهم أحمد الصاوي محمد في كتاباتهم عن السيدة

١ - راجع محضر النقاش معه في د . رفعت السعيد - تاريخ الحركة
الاشتراكية في مصر - المرجع السابق - ص ٢٦٧ .
٢ - راجع محضر النقاش مع عبد الرحمن فضل ز في المرجع السابق :

الخطيئة ، زوجة الشحات ، وأولادها ووصفوا كيف يعانون من الجوع والتشرد وأبوم في السجن . ولم يقدم لهم أى إنسان أية مساعدة وإنما تركوهم هكذا نمودجا رادعا للعمال المصريين . (١)

ويحكى مصطفى حسنين المنصوري أحد رواد الفكر الاشتراكي مصر مآساته ، والاضطهاد الذى تعرض له عام ١٩٣٠ . ورغم أنه قيد قطع علاقاته نهائيا بإى عمل سياسى منظم منذ الأشهر الأولى للنشأة الحزب الاشتراكي فى عام ١٩٢٩ . يحكى المنصوري فيقول :

كنت مديرا للتعليم فى مجلس مدينة الفيوم ، وكان المدير هو فى نفس الوقت رئيس مجلس المديرية . وحدث خلاف بينى وبينه تطور إلى حد التشاتم ، فجمع شهودا من بعض المعلمين واستكثلم اتهامات ضدى تشمل جميع الجرائم التى يعرفها البشر من رشوه الى سوء الأخلاق مع المعلمات وما الى ذلك . وتقدمت بشكوى الى وزارة الداخلية بأن المدير يرتكب ضدى هذه الاتهامات فى السر ، ورجوت ارسال محقق من قبل الوزارة ، وأرسلت الى وزارة المعارف التمس منها أن ترسل مفتشا للتحقيق ، لم أجب إلى طلبى . ولجات إلى نيابة الفيوم طالبا التحقيق ، فقا كان من المدير إلا أن استصدر أمرا بإيقافى . ثم جمع مجلس المديرية وقرر فصلى من الوظيفة وصرفت ٣٠٠ جنيه مكافأة . ولم يكف حمد الباسل باشا بذلك ، فسعى لدى رئيس الوزراء النحاس باشا لالقاء المكافأة بحجة أننى ضد الوفد ، لقد بلغت التهم التى كالوها لى نحو ١٢٠ تهمة ، صحيح أن الفكر الاشتراكي لم يكن ضمن هذه التهم ، ولكننى اتهمت بالكفر ، وبأننى غير مؤمن بالدين الاسلامى ، وادعوا أن كتابى يشهد على ذلك .

ويقول المنصوري فى مرارة لن اننى ما حينئذ ذلك اليوم الذى وصلىنى فيه خطاب الاستغناء لقد كان يوم ٢ أبريل ١٩٣٠ . ولم يكن معى سوى ١٥٠ قرشا . (٢)

والحقيقة بأن الرجعية المصرية عند أعدت نفسها لحرب طويلة الأمد مع كوادل الحزب . وعندما نوقشت فكرة انشاء معتقل سياسى خاص بمجرمى

١ - الأهرام ١ - ٥ - ١٩٢٥ - مقال أحمد الصاوى محمد - على اطلال

الذئب الشيوعى .
٢ - أمين عز الدين - المنصوري ، سيرة مثقبي ثورة - دار الغد العربى - القاهرة - (١٩٨٤) - ص ٥٥

الرأى ، تحبذت الصحف هذه الفكرة ولأنه بات مننتظرا أن يكون ضيوعه
كثيرين وبصينة دائمة ، (١) .

ويختالول أحمد الصاوي محمد أن يصف هذه الحملة المسعورة فيقول
في مقال له بعنوان « في الشيوعية وفي التربية » ،
« ان الإنسان ليدهش إذ يرى حكومتنا قد جردت خيلها ورجلها
للضرب على أيدي الشيوعيين حتى أصبح شبح « روزنتال » ، ماثلا لها في
كل مكان وفي كل إنسان » (٢) .

وبعد كل هذا الارهاب المستمر كان من حق الرجعية أن تتباهى في
زعم معلنة ، ان زعماء الحركة الشيوعية يشكون من الفشل في نشر الدعوة
البولشفية في مصر ، ويقولون انها تربة غير صالحة لها ، لسبب الشدة التي
تتخذها ادارة الامن العام في مطاردة الرفقاء ومراقبتهم والقبض عليهم
وابعادهم ، (٣) .

فهل كان الاحرام محقا في تباهيه هذا ؟
وهل أمكن للاضطهاد المستمر والمطاردة العنيفة أن تجعل أرض مضر
تربة غير صالحة للنشاط الشيوعي ؟

هذا ما تستهدف الصفحات القادمة أن تجيب عليه بالنفي .
لكن الذي لا شك فيه أن هذا الاضطهاد الوحشي الذي لم يسبق له
مثيل قد أعاق الى حد كبير النشاط الشيوعي ، ودفع به الى اخفاقات
ومسالك وعرة ، وصعوبات بالغة وتضحيات جسيمة ، غير انه لم ينجح
مطلقا في أن يغلق باب مصر في وجهه ، ولم ينجح مطلقا في أن يوقف
المسيرة .

ففي ٦ أكتوبر ١٩٢٤ - وهو نفس اليوم الذي صدر فيه حكم محكمة
جنابات الاسكندرية بالسجن على أعضاء اللجنة المركزية للحزب - تشكلت
اللجنة المركزية الجديدة .

وكانما كان اختيار هذا اليوم بالذات تحديا للارهاب الحكومي واعلانا
لتصميم كوادر الحزب على مواصلة النضال ، وقد تكونت اللجنة سرا ،
ومارست نشاطها سرا .

- ١ - أحمد شفيق باشا - الحولية الرابعة - المرجع السابق ص ٩١ .
- ٢ - السياسة الاسيوعية - ١٧ - ٩ - ١٩٢٧ .
- ٣ - الاحرام - ١٠ - ٤ - ١٩٢٧ .

وهكذا تلقى الحزب الدرس من الضربة التي وجهت إليه في مارس ١٩٢٤
وكان قرار العمل السرى ، مثارا لجهد شديد داخل صفوف الحزب
غاز البعض من بقايا التيارات اليمينية التي مارست نفوذا واسعا عندما
تأسس الحزب في ١٩٢١ كانوا يرون أن السرية هي السبب في كل الكوارث ،
وانه إذا كان القانون والدستور لا يسمحان بالشيوعية ولا بالاشتراكية
غلابا من البحث عن مخرج بالعمل على تأسيس حزب للعمال ٠٠ أو
ما سابه ذلك ، بحيث لا يضطر الحزب مطلقا الى العمل خارج حدود
القانون .

وكانت شعبية المنصورة ، أحد المراكز التي سيطر عليها هذا التفكير
« القباوني » ولم يكن هذا غريبا فقد رأينا في الجزء الاول - كيف أن
أحد مؤسسيها كان عبد الحميد الطوبجي (وهو واحد من أبناء الأشر
الغنية بالمدينة وكان متأثرا الى حد كبير بانكار حزب العمال الانجليزي
حيث درس في انجلترا لفترة طويلة من الزمن) ٠٠ وقد استنطاق عبد الحميد
الطوبجي ، مستندا الى حجة قوية هي سيف الارهاب البشع الذي تسلط
على أعضاء الحزب بالمدينة والمطاردات المستمرة أن يقنع بعض أعضاء
الشعبية بالعمل معه على تأسيس حزب تجنيد باسم حزب العمال .

واسرع الطوبجي بالعمل بالرغم من معارضة قيادة الحزب لهذا
الاتجاه الاستسلامي واليميني ونجح بالفعل في تجميع مندوبين يمثلون
مختلف المهن بالمنصورة وعقدت جمعية عمومية انتخبت مجلس إدارة لحزب
العمال بالمنصورة وتولى رئاسته كامل يوسف صالح رئيس لجنة الوند
بالذقيلية وكان الوكيل عبد الحميد الطوبجي ٠٠ وقد ضمت اللجنة الإدارية
للحزب الجديد عددا من الشيوعيين القدامى أمثال رضوان الألفي (ممثلا
للأسطرجية) والسعيد الصبري (ممثلا للجزمجة) (١)

لكن هذا التجمع لم يعمر طويلا وما لبث أن تفرق عندما أبعد الوند
عن الحكم وجاء زيور بارهابه

وثمة دلائل - غير مكتملة - تشير الى أن بعض شعب الحزب الاخرى
تبدت سارت في اتجاه مماثل ، مثل شعبة العطف ٠٠ لكن الاتجاه العام
في الحزب رفض هذه الفكرة وصمم على مواصلة النضال سرا .
لكن ذلك لا يعني أن الحزب - الذي لجأ الى العمل سرا - لم يستفد من
المنابر العلنية بمختلف اشكالها ، بل على العكس من ذلك فان اللجنة المركزية

الجديدة قيد سارعت الى تأسيس مجلة « الحساب » كمخبر على الحزب
بالاضافة الى مجلة سرية « (١) »

وقد استطاع الحزب ان يتولى الاشراف على اصدار مجلة الحساب بعد
ان صدرت كمجلة عادية لفترة من الوقت وابتداء من العدد الحادى عشر الصادر
في ٦ مارس ١٩٢٥ أعلنت « الحساب » عن نفسها كجريدة « الطبقة العاملة
المصرية »

وفي مقال الانتحاحى لهذا العدد حددت مجلة الحساب اهدافها فقالت :

لأجل الطبقة العاملة من فلاحين وعمال أنشأنا هذه الصحيفة ، لأجل
اسماع السلطات الحاكمة وباقي الطبقات في مصر صوت هذه الطبقة البائسة
المظلومة أقدمنا على هذا العمل الشاق الذى طالما عجلت النفس الى خوض
أمواجه المتلاطمة فصدمتها العقبات والموانع فأقدمت تارة بضع خطوات الى
الامام - وتراجعت طورا الى الوراء بضع خطوات . ان الطبقة العاملة في مصر
هى أكثر الطبقات عددا وبؤسا ، وأقلها نصيبا من اعتناء الحكومة والعمل
على رفع مستواها وازالة المظالم عنها . . . »

ونمضى مجلة الحساب قائلة وهكذا نرى ان الفرق بين طبقات الشعب
المصرى كبير جدا وبين وظاهر واضح . فمن فلاح مسكين يملك من الأرض لا شيء
ويعمل في أرض سواه بما لا يسد له زمقا ولا يقيه من جوع أو برد من برد ،
الى مالك غنى يحوز ألف فدان أو أكثر . من فلاح فقير يملك بعض الفدان أو
فدانا أو اثنين أو ثلاثة على الأكثر ، الى ثرى من كبار المالكين قد تتجاوز
الفدادين التى يملكها العشرة آلاف أو تزيد . ومن ابن فلاح يعمل طول اليوم
في الحقل لقاء قرشين أو قرش ونصف القرش في الايام العادية . الى موسر
غنى يصرف بلا حساب ويرمى الجنيهات كيفما اتفق . . . ومن عامل اما يشتغل
لحسابه فيعمل يوما ويعيش بلا عمل لعدة أيام مكرها فلا يزيد أجره اليومي
عن سبعة قروش أو أربعة قروش . . . أو يشتغل في شركة من الشركات الأجنبية
بريال كل يوم يخصم نصفه أو أكثر من نصفه ما بين جزاءات وغرامات
واجازات اجبارية وغلطات حسابية وألف ضريبة أخرى ، من عامل هذا شأنه
الى صاحب عمل لو طحن الذهب وعجنه بدل الدقيق وأكله خبزا ابريزا لما تمكن
ان ياكل هو وآله وأقاربه وخدمه وحشمه ورعايقاته وسراريه عشر دخله
اليومي . . . »

منه سولا تخفى مجلة الحساب نفسها فهي تلمح في نفس التمثال الى انها امداد
 لتضال تديم ، كنا ممن اندمج في حركة العمال منذ تجدد نهضتهم الى الآن
 وجاهدا معها وتمشينا وايامهم درجة درجة فاختبرناهم واختبرونا ، فقد
 عزمت على اصدار هذه الصحيفة كل اسبوع - مؤقتا -
 ثم تأكيد آخر و منحصر جريدتنا هذه مجرد خدمة العمال لتكون
 و صوت العمال ، فلا يسمع من على صفحاتها صوت آخر ، ولا تختم هيئة
 غير هيئاتهم ، ولا شخصا غير اشخاصهم واشخاص الذين يعطون عليهم ويسعون
 في منافعهم وفي سبيل وصولهم الى حقوقهم

وقد اهتمت مجلة الحساب بالحركة النقابية اهتماما كبيرا فقدمت
 سلسلة من المقالات ابتداء من العدد ١١ حتى العدد ١٧ الصادر في ١٨ مايو
 ١٩٢٥ حول كيفية تأسيس النقابات. كما نرى نقابية لحركة الطبقة العاملة
 وكيفية ممارسة العمل النقابي على اساس ديمقراطية وقدمت بشكل تفصيلي
 وجهة نظر الحزب في مختلف القضايا النقابية
 - اسؤوت ناقشت ، الحساب ، سلسلة من القضايا الهامة واعطت سياسة
 الحزب في كثير من المواقف ، وتناقشت قضية تأسيس حزب العمال والفلاحين

لكن والحساب ، لم تكن الوسيلة الاعلامية الوحيدة للحزب ، فقد كانت
 هناك مجلة الحرية والكتيب الماركسية التي ترجمها الحزب واصدرها باسماء
 مستعاره ، ان احدهم ترجم كتابا في الشيوعية باسم محمد عنتر المصري وظهر
 ان المترجم لهذا الكتاب هو رفيق جبور أفندي (١)
 وكانت منشورات الحزب توزع بكثرة وتسير الاحرام الى منشور سري
 ظهرو مؤجرا واستخلص منه ان الحركة الشيوعية لا تزال قائمة في البلاد (٢)
 وتقول الاحرام أيضا ، ثبت من التحقيق في قضية الشيوعية ان المعتقلين
 كانوا يذيعون بين حين وآخر منشورات لاستمالة الجمهور الى الشيوعية كلما
 حدث حادث مهم في مصر وقد ضبط كثير من امثال هذه المنشورات التي كانت
 توزع خاصة بين الفلاحين (٣)

وخلال انتخابات زيوزة الحزب الى تاسيس منبر علني يخوض به
 معركة الانتخابات داعيا العمال التي ترشيح أنفسهم ، والى انتخاب مرشحين

- ١ - الاحرام ١٧ - ٦ - ١٩٢٥ - في تطبيقه على نتائج التحقيق مع بعض
 المقبوض عليهم
- ٢ - الاحرام ١ - ٦ - ١٩٢٥
- ٣ - الاحرام ١٩ - ٦ - ١٩٢٥

عمالين ملتزمين ببرنامج أعدته الحزب . . . وسمى هذا المنبر الجديد « اللجنة الدفاعية عن حقوق العمال والعمال » . وقالت مجلة الحساب أنها « كانت أول مرة من بعض الأشخاص الغيورين الذين يهتمون بشأن الطبقة العاملة » (١) .

وأصدرت اللجنة منشورا يتضمن برنامجا انتخابيا لكن البوليفيش صادرة من المطبعة فأعدت مجلة الحساب نشره (٢) . . . وأكدت المجلة « أن أعضاء اللجنة لا يزالون متمسكين بهباتهم وعند حسن ظن الطبقة العاملة بهم ، ولكن الظروف الجانبة التي استتعدت لهم للمودة التي الأجهاد » .

كذلك استمرت « لجنة المعونة الحمراء » في الوجود وهي لجنة تقوم بجمع تبرعات لتقديم معونات مادية للعمال المضربين وقد استمر نشاطهم حتى عام ١٩٣١ . عندما قدمت مساعدات لعمال مرفق مياه أسبوت في اضرابهم (٣) .

كذلك فإن الحزب لم ينس في فترة المصاعب التي واجهها الاحتمال بعيد « أول مايو » . فقد أصدر بياننا موقعا من « رفيق جبر » ، نشرته مجلة الحساب جاء فيه :

« ان أول مايو هو رمز التضامن المشترك بين عمال العالم الذين يجاهدون في سبيل تحرير طبقتهم وتحسين أحوالهم » .

ويبدو أن الحزب قد قرر أن ينتهز هذه الفرصة ليعلن عن برنامج مرحلي يناضل العمال من أجله فالبيان يتساءل « ما هو المطالب التي يجدر بالطبقة العاملة المصرية أن تطالب بها في مثل هذا اليوم ؟ » ثم يجيب « علينا أن تطالب بجلاء الجيش الانجليزي عن التظر المصري . وباستقلال مصر الكامل ، بإلغاء الامتيازات الاجنبية التي تقضى على حياة البلاد الاقتصادية والسياسية . ويجعل ساعات العمل ثمانى ساعات في اليوم ، ويتحدد حد أدنى لاجور كل طائفة من طوائف العمال ، وأن تقاوم الحكومة غلاء الحاجات المعيشية الاولية ومعاقبة المضاربين فيها ، على الطبقة العاملة ان تطالب بالبيوت الضخمة ، وبالعلاج المجانى ، وبمقاومة البطالة بإنشاء مشروعات عامة في البنسدان لتشغيل العمال العاطلين » . ويتوزع بعض اراضي الحكومة على فقراء التلاحين لاصلاحها واستغلالها مع تسهيلها عليهم هذا العمل ، وبزيادة الضرائب على نسبة كبر الثروة والتعليم الاجبارى المجانى لطبقة الشعب » .

ثم يهضى البيان مخاطبا جماهير الشعب المصرى كلها قائلا « هذه هي المطالب والحقوق الاولية التي يجب على الشعب المطالبة بها » . وعلى الشعب

١ - الغزالي - المرجع السابق - ص ١٣٣ .

٢ - راجع الملاحق .

٣ - لاکور - المرجع السابق - حاشية ص ٣٧ .

أن يكون شعاره : نريد أن نعيش في بلاد خرة كمواطنين أحرار ، ولكن يضل
الطبقة العاملة الى هذه المطالب يجب ان تنظم صفوفها في هيئات ونقابات
للخاصة والا فانها لن تحصل على شيء .

وهكذا يحدد الحزب هدفه الأساسي و تنظيم العمال في هيئات ونقابات
خاصة بهم .

ثم يحدد ما يسمى في الأدبيات الماركسية - بتجاه الضربة الرئيسية -
وهي عزل العناصر البرجوازية والرجعية عن هذه التنظيمات . فيمضي البيان
قائلا : على كل عامل مصري حقيقي أن يقول لنفسه . في يوم أول ما
أن واجبي أن أسعى لتقوية نقابتي ، لأتمكن مع رفاقي من وضع مطالبنا والسعي
للحصول عليها ، يجب أن أعلم إن هيئة الطبقات العاملة المنظمة هي وحدها
التي تدافع عن حقوقى فيجب أن أسعى لطرد كل طفيلى غريب من العمال يندس
بينهم لمصلحته الخاصة . على أن أفعل ذلك لأخبر نفسى وزملائى من الانحطاط
الذلتى والهنوى ولأحصل على حالة معيشية لعائلتى أحسن من حالتها الحاضرة
ولأهوى مستقبلنا حسنا ان لم يكن لى ثلاثى (١)

ولم يكتب الحزب بأصدار بيان بهذه المناسبة ، لكنه حاول قدر طاقته
وبقدر ما سمحت به ظروف مصر في ذلك الحين أن يحتفل بهذا اليوم احتفالا
جدا مبريا سجل نتائجه بصورة موضوعية خالية تماما من المبالغة ولا يزال عمل
للقطر المصرى يجهلون حقيقة أهمية عيد أول مايو والغزى الذى فيه من تضامن
عمال العالم بقصد اتحادهم على المطالبة بحقوقهم وإظهار حقيقة قوتهم
العنوية ويقتظهم ونهوضهم ولذلك فقد مر هذا العيد في جميع أنحاء البلاد دون
أن يشعر به أحد اللهم الا في أماكن قليلة .

ثم يمضى المقال أو بيالدة التقرير الذى نشره مجلة الحساب عن نتائج
الاحتفالات بتعداد الأماكن التى اجتمعت فيها العمال بهذا العيد . نفس
العاصمة اجتمع عدد من عمال نقابية ترام القاهرة في دار نقاباتهم بحيث تكلم
أحد الدعويين عن أصل هذا العيد ومعناه ومراهيه وعن تأثيره وفوائده وما جفاة
العمال في اتحاد كلمتهم على جعله عيدا عاما لهم .

لكن الاحتفال في بورسعيد التى كانت منذ البداية واحدة من قلاع الحزب
قد اتخذ صورة أشمل ، أما في بورسعيد فقد احتفل جميع العمال بين العمل
واحتفلوا بعيد أول مايو احتفالا شائقا إذ أقاموا في حي الأفرنج سرايحا واسعة
جدا اجتمعت فيه جماهيرهم لسماع الخطب القيمة . وقيل الظهر بساعة
خرج المجتمعون في مواكب ضخمة متلاحقة تتقدمهم الموسيقى وفرقة راكبي

التدريجات والمؤتمرات . وكانت كل فئة من العمال تحفل علمها الخاص بها وتندسارت هذه المظاهرة الهادئة المفرحة في وسط شوارع المدينة حيث كانت تقابل في كل مكان مرت به بالابتهاج للعمال وبالتصنيق الحاد . ولم يتعرض أحد من رجال الإدارة للمتظاهرين فلم تقع أية حادثة ولو طفيفة وبسيطة وهذا كبر دليل وبرهان على أن الحوادث التي تقع إبان اجتماعات الجماهير إنما يسببها تعرض قوات الإدارة ومحاولة منعها بالقوة . . .

وبعد أن طافت الجماهير العاملة معظم أحياء المدينة انهمت حسب البرنامج الموضوع لها من قبل عادت إلى المكان الذي بدأت منه . وأخذ أفرادها يهتفون بعضهم بعضاً بهذا العيد مبرزين عن أمثلهم بأن يروه ثانية ومصر ممتعة باستقلالها ، حائزة على حقوقها من غاصبها والطبقة العاملة على أحسن ما يرجى لها من الاتحاد والوثام (١) .

ويبدو أيضاً أن الحزب كان يمارس نشاطاً جماهيرياً وسط البحارة إلى درجة أن أحد التقارير السرية المرفوعة من وزارة الخارجية المصرية إلى السفارة الانجليزية في ٨-١-١٩٢٥ يتحدث عما يسميه عملاء الكومنترن بمصر ذينكر شخصاً اسمه مراد حافظ ثم ينكره نادي البحارة بالإسكندرية (٢) .

والقصة التي يرويها طاهر العربي عن علاقته بالحزب توضح أن الحزب كان جم النشاط في هذه الفترة . فقد تعرف إلى كونستانتين فايس « أنيجور » عن طريق رفيق جبور الذي قدمه له على أنه « مكاتب لجريدة عمالية دولية خضر نصر لدراسة حالة العمال والفلاحين » وحدثه فايس طويلاً بالانجليزية . وأخذ يندد بالاستعمار والرأسمالية وسوء حالة العمال والفلاحين المصريين وأنهم أسوأ عمال وفلاحى العالم . . .

ويمضى العربي قائلاً « واستمرت الصلة بيننا وعرفنى بكثيرين من أصدقائه ومنهم الانجليزى واليونانى والفرنسى والسورى والمصرى وأكثرهم من رجال العلم والأدب والثقافة » .

وقال العربي أيضاً أن فايس قد أمده بعدد من المنشورات العمالية (٣) .

ولعل إشارة سريعة وردت في خطاب نشر باسم محمد صديق عنتر في

١ - الحساب ٨ - ٥ - ١٩٢٥ .

٢ - مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية . محفوظة بالتحف البريطانى والوثيقة تحت رقم

F.O - 371 . Egypt And Sudan — Piece No. 11010 .

٣ - محمد طاهر العربي - المرجع السابق - ص ١٨٧ .

محنة ، الحجاب ، توضح لنا موقف الحزب في هذه الفترة الصعبة وفي مواجهة حملة الإرهاب العنيفة فالخطاب يسأل أو بالدقة يتظاهر بأنه يسأل كي يجد الفرصة لنشر الإجابة ولماذا لا تبدلين جهودكم في سبيل إنشاء حزب للطبقة العاملة مع أن جميع الوسائل متوفرة لديكم من وجود جريدة تحت تصرفكم وجموع كبيرة من العمال تنق بكم ثقة لا حد لها (١) .

ولم يكن بإمكان الحزب أن يرد غلظاً على صفحات «الحجاب» مؤكداً أن شية حزب العمال موجود بالفعل ولكنه يعمل بسرراً ، واكتفى الحزب بأن نشر عدداً من المقالات ومنها بعض أعضائه مثل «رفيق جبور» والشاعر «محمد رمزي نظيم» يؤكد ضرورة قيام الحزب كإصلاح طبيعي فعمال في يد العمال والفلاحين (٢) .

لكن اسم محمد صديق عنتر يستوقفنا فهو كما تؤكد تحريات البوليس في ذلك الحين الاسم السري لرفيق جبور . وغير هذا الاسم قدم رفيق جبور أكثر من جديد نظري وإعلامي . صدر كتاب مترجم عن الفرنسية بعنوان «النيادي» الاشتراكية ، تأليف كارل لوس رايبرورت وترجمة محمد صديق عنتر المصري .

وفي الصفحة الثانية برواز ، نشر هذا الكتاب لأول مرة في جريدة الامانتية سنة ١٩٢١ وترجم إلى عشر لغات في ذات السنة ، ثم منحة بقلم المترجم تقول في تحدير وتسدد ، إلى القاري . ليس هذا الكتاب رواية قطالعه على عجل ، ولا صحيفة أخبارية تلقى عليه نظرة سطحية ، ثم نشبه من يكت في زوايا النسيان ، أن هو الإمبادي ، قيد سادت بلاداً كثيرة شاسعة الأطراف ، وبذبح أن قسود العالم يوماً ، فاقراء ، وهذه الفكرة أمام عينيك ، ثم أرجح إليه كلما قرأت في الصحف نبا من أبناء انتصار هذه النادي ، في العالم ، وهي أنباء ستؤول إلى بكثرة كما سيريك المستقبل .

لقد كنت مثلكم حائراً في معرفة نهاية الطريق الذي يجمعنا إليه الهيئة الاجتماعية الحاضرة ، وقد عرفت هذه النهاية الآن وهي أنا وأصلون يوماً لا محالة ، إلى سيادة النادي ، التي تعرضتها عليكم في كتابي هذا ، فترتاح الانسانية من تنازع الطبقات وظلم الإنساني لإخيه الإنساني فاقراء هذه النادي ، وأدرسوها ، واجنظوها فهي ستسود بلا ريب (٣) .

١ - الحجاب - ١ - ٥ - ١٩٢٥
٢ - الحجاب - ٨ - ٥ - ١٩٢٥
٣ - محمد صديق عنتر المصري ، (مترجم) ، النادي الاشتراكية - (٢٠ أبريل ١٩٢٥) - المطبعة العربية بمصر - شارع المزين الموسكى - ص ٥

وفي نهاية الكتاب المترجم نقرأ خاتمة بقلم « طالب معونتك - محمد صديق
عتر » ، يقول فيها « .. وأذا ظننت - كما كنت أظن أنا نفسى في زمن
مضى - ان هذه المبادئ ليست سوى مجرد نظريات خيالية قد لا يمكن تحقيقها
فأرجح ان تعيد قراءتها ، وتأخذ كل فكرة منها على حدة وتتأمل بين
حائل البيئة الاجتماعية في الماضى وبين حالتها اليوم ، فترى بوضوح وجلال
كيف تفسر الانسانية بخطوات واسعة نحو تحقيق هذه الافكار والمبادئ ،
وكيف ، ان ما كان في الماضى مستحيلا قد حقق فيما بعد مع توالى الأيام » (١)

ثم وعد من الحزب « .. وسأتبع كتابى هذا بكتب اخرى فكلما رايت
اسم رفيقك « محمد صديق » على كتاب اعرف انه تقديمه منى اليك ، وقد
سميت نفسى رفيقك وأنا متأكد انك حائسا تقفزع بهذه المبادئ نصيح « رفاقا ،
وان كنا لم نتعارف بعد » .

ويضيف « اما انت ايها العامل المضرى المظلوم ، فلاجلك خصيصا قد
ترجمت هذا الكتاب ، ومن أجلك سانشركتبا اخرى في هذا الموضوع « فانسع
الى نشرها بين زملائك وأولادك وذوى قرباك ، وجاهد في سبيل سيادتها » .

وكلما ساور الياس نفسك من ظلم نخيك الانسان لك ، فاذاكر مبادئ
عذه وتذكر ان لا خلاص لك الا بنشرها وجدد همك ونشاطك في سبيل رواجها
ليقرب يوم الخلاص .

ان كاتب هذه الاسطر رفيق من رفاقك ، وعامل من العمال معك ، وهو
يبذل جهوده في سبيل سعادة الطبقة العاملة في المستقبل ، فهلا شاركته في
هذا العمل ؟ (٢) .

وبرغم ضلالة المعلومات التى يمكن ان تبقى عن نشاط سرى لحزب مثل
هذا الحزب في ظل ذلك الازهاب الشديد للثورة فان الطبيعة الراسمة لهذا
النشاط يمكن ان تتضح من الصورة التى حاولت الصحف البريطانية ان ترسمها
له مع بعض المبالغة .

فالاهرام تنقل عن الديلى ميل تلغرافا مراسلها بالقاهرة يقول فيه
« حدثت ضجة عظيمة من جراء عصابة شيوعية كبيرة في مصر » .

وينقل ايضا عن الديلى كرونيكل تلغرافا مراسلها بالشامرة قال فيه
« قامت الدلائل على وجود مؤامرة بلشوية واسعة النطاق لتدبير ثورة شيوعية

١ - المرجع السابق - ص ٦٣ .

٢ - المرجع السابق ص ٦٢ .

في مصر تكون جزءا من مشروع يرمى الى اثاره أفريقيا كلها في وجه الدول
الاستعمارية (١)

وكان الإهرام قد نشر في اليوم السابق مقالا بعنوان تجديد الحركة
الشيوعية في مصر وفلسطين أورد فيه تلغرافا لمراسله في لندن يقول نشرت
جريدة الديلي اكسبريس تلغرافا لمراسلها في القديس قال فيه « تبذل الشيوعية
الدولية والجمعية التجارية الحمراء الدولية مجهودات عظيمة لتقويض أركان
الحياة الاقتصادية والاجتماعية في فلسطين وهم على اتصال وثيق بمصر
بواسطة وكيل مقنن ينتقل باستمرار بين فلسطين ومصر »

ويبقى الأهرام قائلا وقد وصلت الى الحكومة المصرية في اليومين
الماضيين اخبار هذه المجهودات التي تبذلها الشيوعية والجمعية التجارية
الحمراء الدولية في فلسطين واخبار المساعي التي تبذلها لبث الدعوة الشيوعية
في مصر فبكر بوليس القاهرة والاسكندرية امس حوالى الفجر بأمر النيابة
العمومية مفتش في المدينتين في احيائها المختلفة مساكن طائفة كثيرة من
الاشيخاوس الوطنيين والاجانب المشتهين في انتمائهم الى الشيوعية ، وبعضهم
من سبق التحقيق معهم واعتقالهم في غضون السنة الماضية في قضية الشيوعية
الكبرى انمروفة ثم اخلى سبيلهم وارتقل منهم نحو ١٥ شخصا في سجن
الاستنباط في القاهرة ونحو هذا العدد في سجن الحضرة في الاسكندرية (٢)

والواضح ان هذه الحملة كلها من تدبير سلطات الاحتلال التي اطلقت
مجانقا لتثير النزاع في قلوب الحكام الرجعيين المصريين من مؤامرة بلشفية
في مصر وتطوع الإهرام هو ايضا بايعاز من سلطات الاحتلال بالمشاركة
في حملة اثاره النزاع هذه

فكتب في اليوم التالي لحملة القبض على الشيوعيين يقول « وقد سبق
للحكومة في العام الماضي ان عطبت مثل عملها الحالي ايضا ولكن ذلك لم يجز
دون العودة البلاشفة الى استنفاف الكرة هذا العام ، وقد بيننا انهم
في المستقبل مرة اخرى فيجب ان يروا امامهم سدا منيعا لا يستطيعون ان
ينفذوا منه »

١ - الأهرام - ٦-١-١٩٢٥
كلمة الجمعية التجارية التجارية الحمراء ترأخية للمباراة الانجليزية
Red Trade Union ، وصحة الترجمة ، الحركة النقابية العمالية الحمراء ،
وقد اخطأ الأهرام في الترجمة ونقل عنه هذا الخطا ايضا محمد عبد العظيم
رمضان - المرجع السابق - ص ٥٥١
٢ - الأهرام - ٦-٣-١٩٢٥

ان مصر محاطة بالدعاية الشيوعية من معظم اطرافها ففى فلسطين يجذب شيوعى : وفي تونس تستغل الحركة الشيوعية ويعظم بها الخطب : وفي جدة تقبض بشفى مسلم بهذا السور البلشفي الذي يحيط بمصر من معظم جهاتها جذير بان يوضع موضع الاعتبار في كل تدبير لمكافحة الشيوعية

وكان الاهرام لم يكتف بكل تدابير الارهاب التي اتخذتها حكومة زكيور فانها تواصل الحملة قاتلة ، ومازال التشريع المصرى ناقصا من هذه الوجهة فجدير بالذين يتحملون المسؤولية عن التشريع ان ينظروا في جميع الاساليب التي يتخذها دعاة البلاشفة لنشر دعايتهم في مصر ويقومون امامها من التشريع سدا منيعا . فيحرم على كل من يشبهه به باعتراف الشيوعيين دخول القطر المصرى وتصدر تعليمات صريحة دقيقة الي القناصل المصريين في هذا الصدد ويعاقب من يثبت احتياله على مقتضيات هذه التعليمات عقابا شديدا . ويجعل للمنظمات الشيوعية درجة معينة من الجرائم التي ترتكب ضد النظام ويشمل هذا التحديد اجتماعاتها وكل عمل يعمل فيها ، (١)

ومن الثابت ان سلطات الاحتلال كانت مهتمة اهتماما بالغا بمكافحة الشيوعية ، وقد تجاوزت معها الحكومات المصرية تجاوبا دئع وزارة الخارجية المصرية الى رفع تقارير بصفة مستمرة الى السفارة البريطانية في القاهرة عن نشاط الشيوعيين والاجراءات المتبعة في مكافحة هذا النشاط . وتتضمن مجموعة وثائق وزارة الخارجية البريطانية الموجودة في المتحف البريطاني الان عددا من هذه التقارير .

وعنى اية حال فقد نجح البوليس في القبض على ثلاثين شخصا في آخر مايو . ثم ما لبث ان القى القبض على آخرين في منتصف يونيو . وينشر الاهرام كثيرا من مراسله بالاسكندرية ، اعتقل البوليس في الاسكندرية اليوم (١٧ يونيو) اربعة من الوطنيين متهمين بالاشتراك في الحركة الشيوعية وارسلهم الى القاهرة بطار الساعة الثالثة بعد الظهر ، (٢)

ولا يحفظ لنا قرار الاتهام الذي اذاعته النيابة في ٨٠ سبتمبر ١٩٢٥ الاثلاثة عشر اسما فقط اما الباقيون فقد اخرج عنهم لعدم توافر الادلة : (٣)

والاسماء الثلاثة عشر هي كونستنتين فايس (اغيدور) ، شالوم بولاك ، ليون الكونين ، ريدل هرشليك ، محمد عبد السميح الغنيمي ، رفيق

- ١ - الاهرام ١٩٢٥-٦-٢
- ٢ - الاهرام ١٩٢٥-٦-١٨
- ٣ - راجع نص قرار الاتهام في الجناية رقم ٨٢٧، شبيرا سنة ١٩٢٥ بالملاحق .

جور ، شاكير عبد العظيم ، شعيبان حافظ ، شارلوت روزنتال ، الهامى امين ،
بيومى مرسى الباسوس ، سكلار ايس ياناكاكين ، هارون واينبرج ،
وثمة اسما اخرى من بين المقبوض عليهم في هذه الحملة يمكن التقاطها
من صحف هذه الفترة فقد اهتم المصور ، بنشر صور عدد من المقبوض عليهم
معنا سبقه للصحفي والصحويات التي احاطت بالتقاط هذه الصور مؤكدا انها
ولم تنشر قبلا .

وتحت عناوين مثل ، خطر الشيوعية في مصر ، ، الفلسفية خطر يهدد
العالم ، ، ان تنجح الشيوعية في مصر ، (١) بنشر الصور ، مجموعة من
الصور التاريخية للمقبوض عليهم وبين الاتهام نخذ بالإضافة الى الاسماء
التي وردت في قرار الاتهام اسما محمد طاهر العربي ، محمود ابراهيم
الدمكري ، حسن قطب ، حسن عبده ، تيودوس كاليدس .

وهكذا يمكننا تجميع ١٨ اسما فقط بينما تشير الدلائل الى ان عتيد
المقبوض عليهم حوالي ٢٤ شخصا . فاحرام ١٩٢٥-٦-١ يقول ، واعتقل
منهم ثمانية ١٥ شخصا في سجن الاستئناف في القاهرة ونحو هذا العدد في
سجن الخضرة .

ثم يذكر في ١٨-٦-١٩٢٥ انه قد قبض بالانبيكندرية على اربعة من
اليطانيين بل ان احد تقارير وزارة الخارجية المصرية الى السفارة البريطانية
يشير الى ان عدد المسجونين الشيوعيين في القاهرة والاسكندرية قد بلغ حوالي
خمسين شخصا في فبراير (٢) بها يوحى ان حملات القبض قد استمرت
واتسعت الى حد كبير .

وقد جرت المحاكمة سرية كما يشير الاحرام (٣) الا ان بعض لمحات
نشرتها الصحف تشير الى مواقف شجاعة اتخذها المقبوض عليهم .
فيشير الاحرام اثناء تحقيقات النيابة الى ان بعض المقبوض عليهم
قد سئلوا عن علاقاتهم بالآخرين فاجابوا بانهم لا يتكلمون الا عن انفسهم
وانه لا يجوز لهم الكلام عن غيرهم الا اذا اذنوا لهم بذلك ، (٤)

واشارت ايضا الى ان احد المعتقلين قال اثناء التحقيق ، انه لو كان

١ - المصور اعداد ٢٦-٦ ، ٢-٧ ، ١٧-٧-١٩٢٥ .
E.O. 371 - Egypt And Sudan - Piece No. 11010 (2)

محافظة بمتحف البريطاني

٣ - الاحرام ١١-١-١٩٢٦ .
٤ - الاحرام ١٧-٦-١٩٢٥ .

العالم بيدار. بإيدي حكومات من العمال. وكانت الحالة أفضل مما هي الآن كثيرا. (١)

وقد أخرج المقبوض عليهم ومحاموهم على سرية الجلسات. وقد تنبأ الإهرام بذلك قبل أن تبدأ الجلسات مستندا إلى تجربة القضية السابقة الذي طالب فيها المتهمون بأن يسمع الشعب صوتهم وهم في قفص الاتهام. وقال الإهرام والمفهوم أنه ستقوم مناقشة حادة بين النيابة والدفاع في سرية وعلنية محاكمة الشيوعيين قبل البدء في نظر القضية. (٢)

وفي الساعة التاسعة من صباح ١٠ يناير ١٩٢٦ بدأت المحاكمة. وقد حضر للإدعاء عن المتهمين حضرات توفيق دوس باشا عن شارلوت روزنتال، وهيب دوس بك عن ياناكاكيس، صالح جودت بك عن رفيق جبور، حسين عامر عن محمد عبد السميع النعيمي، توفيق حداد عن الهامي أمين، زهير صبري عن الآخرين. (٣)

ولمقت النظر هنا وضع زهير صبري الذي حضر للدفاع عن ثمانية من المتهمين دفعة واحدة ويبدو أن زهير صبري - وهو محام وفدى - كان على علاقة ما بالحزب فقد ظل اسمه يتردد يوما تكمام في كل قضايا الشيوعية بعد ذلك. ثم وردت اشارات في تقارير لاحقة تشير إلى علاقاته بالتنظيم السري للحزب في عام ١٩٢٧.

وقد واجه المتهمون سلسلة من الاتهامات غير تلك التي تضمنتها قرار الاتهام فقد ادعت النيابة أن بين الاوراق المضبوطة ما يفيد، علاوة بعض المتهمين بالجمعية الشيوعية الحولية الثالثة بموسكو. وأن الجمعية كانت تنفق على المتهمين في قضية الشيوعية الاولى، كما كانت تنفق على عائلاتهم. (٤)

كذلك واجه المتهمون ثمانية وعشرين شاهدا منهم ستة فقط من رجال البوليس أما الباقيون فكان معظمهم من بين قادة الاتجاه اليميني الذي انسلخ عن الحزب عام ١٩٢٢، والذين لم يتورعوا عن الحضور للشهادة ضد زملائهم

- ١ - الإهزام ١٩-٦-١٩٢٥.
 - ٢ - الإهزام ٨-١-١٩٢٦.
 - ٣ - الإهزام ١١-١-١٩٢٦.
- * تقرير سيانو أحد قادة الحزب الإيطالي وسوف نشره إليه تفصيلا فيما بعد.
- ٤ - الإهزام ١٧-٦-١٩٢٥.

الإقدامي وهم في أفضل المحاكمة - بنو وبنو هؤلاء الشهود - محمد عبد الله عنان
والدكتور علي العناني وسلامة موسى .

كذلك حضر للشهادة ضد المتهمين - محمد فؤاد سيكرتير اتحاد النقابات
(الوفدي) . (١) .

وقد استغرقت المحاكمة أسبوعاً كاملاً وكانت الجلسة برئاسة حضرة
صاحب العزة على بك سالم وعضوية حضرات كامل بك إبراهيم وعبد العزيز
بك محمد وقد صدر الحكم في الساعة التاسعة من صباح الثلاثاء ١٩ يناير
وهو يقضى بسجن كوستنتين فائس وسالوم بولاك وليون الكونين ثلاث
سنوات . وسيمان حافظ سنة مع الشغل ورفيق جبور والشيخ شياكر
عبد الحليم والهامي أمين سنة مع الشغل (وهؤلاء يخرجون بعد الحكم
لاحتساب مدة سجنهم احتياطياً) وبراءة كل من ريدل هارستيلك ومحمد
عبد السميع الغدومي وسارليت روزنتال وبيومي الياسيني وابكالاريوس
وياناكاس وهارون واينبرج . (٢) .

وبرغم أن هذه التضيقة لم تكن تمثل في ذاتها - شيئاً خطيراً
لأن النسبة لعدد المتهمين فيها ولا بالنسبة للأحكام التي صدرت عليهم ، فقد
أثارت محورا لعدد من المؤامرات والمآورات السياسية المختلفة .

* فالانجليز استخدموا كسبيل للضغط على مصر مطالبين بمزيد من
الحزم أو بالدقة بمزيد من الإرعاب .

* واستخدمها الانجليز أيضا كحجة لتوجيه ضربة لحزب الوفد ، وقد
ساعدنا في فصل بناتي ، كيف حاولت الصحف الانجليزية ان تثير شكوكا غير
عابحة حول علاقة الوفد بهذه القضية . وحول قيام تحالف بين الوفد والبلاشفة .
وقد ادعت الديلي كرونكل ان هناك علاقة بين محرضي البلاشفة في القاهرة
وحملة القتل (التي انهم فيها عدد من الوفديين) وبين المقبوض عليهم رجل
حكم عليه في ١٩١٢ لاستبراكه في مؤامرة دبرت لاغتيال اللورد كاتشستر . ولكن
افرن عنه في العام الماضي بأمر احد وزراء حكومة زغلول باشا وينتظر ان تظهر
اسرار خطيرة . (٣) .

وسذا الشخص هو محمد طاهر العربي وقد تفتينا من قبل علاقته بلحزب الوفد
بل ولثقتنا انه كان مجرد عميل للامن اما واقعة الافراج عنه بأمر احد الوزراء

- ١ - الاحرام ١١ - ١ - ١٩٢٦ .
- ٢ - الامل ٢٣ - ١ - ١٩٢٦ .
- ٣ - الاحرام ٦٣ - ٦ - ١٩٢٥ .

الوفديين نهي غير صحيحة على الاطلاق فقد افرج عنه في ٢١ يوليو ١٩٢٣ بعد ان اوفى مدة العقوبة» (١)

كذلك انتهزت « المورنج بوست » الفرصة لتهاجم الوفد ولتدين « انوسائل» التي تستخدمها بلا ضمير للحصول على المساعدة الاجنبية لتأييد وسائله ضد البريطانيين» (٢)

كذلك استخدمت حكومة زيور هذه القضية لتبرير افعالها العنيفة ضد كل القوى الوطنية والديمقراطية ولتبرير كل قراراتها الطائشة والمضحكة في هذا الصدد بحجة مقاومة الخطر البلشفي

كذلك فان هذه القضية قد استخدمت في محاولة للضغط على العول الاجنبية حتى تتنازل - الى حد ما - عن بعض الامتيازات الاجنبية الممنوحة للمقيمين الاجانب . وتقول الاهرام ان «علاقات مصر بالدول الموالية لها شأن مهم في ما تنضى الحاجة بوضعه من التدابير ، فاستئصال الشيوعية في مصر خطر على نظام مصر وعلى المصالح الاجنبية الكبيرة في مصر في وقت واحد . فجدير باندول التوالي لمصر ان تكون عوناً لها على مكافحة هذا الداء لا سيما وان الذين يحملونه بينا اشخاص عن الاجانب» (٣)

بل ان « الاهرام » قد استخدم هذه القضية كخذيير لتهديد الانجليز انفسهم . وهكذا وكما حاولت سلطات الاحتلال ان تجعل من الشيوعية سبباً تخيف به المصريين فان بعض الدوائر التي يتحدث الاهرام باسمها حاولت ان تستخدم نفس « الشبح » لتخيف به سلطات الاحتلال ففي افتتاحية الاهرام تحذير واضح للانجليز . . . فعسى ان يكون الحكم الذي صدر امس على دعاء شيوعية خير نذير ايضا للسياسة البريطانية لكي تسلك مسيل الولاء نحو الامة المصرية وتتنظر نظرة انصاف الى حقوقها المضمومة استبقاء لولاهاها ورضاهها . . . فليس من المستحيل ان تكون السياسة البريطانية سبباً من اسباب الجرائم الشيوعية فنرى نفرا من القبوليين يعتقد ان الشيوعية وسيلة لتحقيق مطالب الامة» (٤)

وفوق ذلك فان عددا من الكتاب قد استخدم هذه القضية كسبيل للضغط على الحكومة لبذل مزيد من الجهود لحل المشكلات الاجتماعية المعقدة ملوحاً بان تفاقم هذه المشاكل سوف يزيد من خطر انتشار الشيوعية . وعلن

- ١ - محمود طاهر العربي : المرجع السابق ص ١٥٤
- ٢ - الاهرام ٣-٦-١٩٢٥
- ٣ - الاهرام ٢-٦-١٩٢٥
- ٤ - الاهرام ٢٠-١-١٩٢٦

بصفحات و الصور ، وجنباً التي جفت مع اختبار القبض على المتهمين ومع الصور التي تباهى و المصور ، بانفراده بنشرها يكتب تكرر اباطة تحت عنوان و الفلسفية في مصر ، و هل مرت على القهوات العامة عقب نتائج الامتحانات ؟ كرز هذا البرور شهراً او شهرين او ثلاثة شهور ، و خذ بالك ، من خمريات المتخرجين تجد ، الفلسفية ، في عيونهم و حركاتهم و بديراتهم و اعتقاد ان و الفلسفية ، في مصر لن تنبت من اكوخ الفلاحين او مساكن العمال ، وانما ستنبت و تنزع بين اوساط المتعلمين ، الذين افنوا زهرة العمر في عناء الدرس حتى اذا تخرجوا و جسدوا ابواب العمل في وجوههم مقلقة و جرد مستقبل مذكها يندثر بالاعاصير ،

ثم يختتم فكرى اباطة مقاله بتهديد قاطع ، و لكن لم تكن الحكومة بهذه الجالة فلتتأكد ان الفلسفية ينتشر في الخين اولاً بين طبقات المتعلمين ثم يسرى الى الارياف و بين الفلاحين (١)

* كذلك فان وجود كونستنتين فايسي (افيجدور) (٢) بين المتهمين قد

١ - المصور ٩-٧-١٩٢٥

٢ - يوزد و التز لاکور = الاتحاد السوفيتي و الشرق الاوسط . المرجع السابق المعلومات التالية عن افيجدور في ص ١٥٥ :
افيجدور : (بنيل كوتسي) ولد في اوكرانيا عام ١٨٩٢ و التحق بالحركة الثورية في وقت مبكر و هاجر الى الولايات المتحدة قبيل الحرب العالمية الاولى . التحق في امريكا بالفرق اليهودي Jewish Legion الذي كان قيد التسليح وقتئذ . ثم ذهب الى فلسطين لوقت قصير عام ١٩١٨ . و اقام في مصر عاماً و نصف ثم عاد الى روسيا . ارسل الى مصر مرتين عام ١٩٢٢ . و عام ١٩٢٤ لينظم او يسارة اذق ليلسيف الحزب الشيوعي المحلي . و لقد قبض عليه في المرة الثانية في القاهرة . و حكم عليه بالسجن لمدة طويلة . ولم يرجع الى موسكو الا في اواخر العقد الثاني . و قد صار معروفاً ككتفة في شؤون مصر . ثم ارسل عام ١٩٢٢ ليتجول في الشرق الاوسط و يفتش على الاحزاب المحلية . و قبض عليه عام ١٩٢٦ في موسكو بتهمة الاشتراك في مؤامرة تروتسكي و حكم عليه بالسجن لمدة اعوام و مات في احد المسكرات عام ١٩٣٨ . و اعيد اليه اعتباره عام ١٩٥٥ .

و قد تزوج افيجدور من ابنة جوزيف روزنثال مؤسس الحزب الشيوعي - الاشتراكي في مصر . و لاذي طرد من الحزب بتهمة انحرافاته الفوضوية . اما زوجة افيجدور فقد اعتقلت في موسكو بعد اعتقال زوجها و ادمت ١١٨ عاماً في مسكرات الاعتقال الى ان افرج عنها عام ١٩٥٦ .

أثار موجة عنيفة من الاتهامات بان الكومنترون أصبح في نشاط الحرب، وأن الكومنترون وممثليه هم الموجهون لنشاطه.

ويشير لأكور، أيضا، الى شخص أمريكي يدعى Ignaz Semenyuk قام بتأسيس شركة تركية، روسيية في القياصرة في عام ١٩٢٥، والتي Textil Import الذي تأسس في ١٩٢٧ بتأسيس وكالة تجارية باسم Textil Import وتقال بان الاثنين قد بذلا جهودهما في تنشيط عمل الحزب الى ان طرد الأول في عام ١٩٢٨ والثاني في عام ١٩٢٩ (١). وتشير مصادر الحزب الألماني الى ان شيوعيا المانيا اسمه هوجو رودولف Huga Rudolf قد وصل الى مصر عام ١٩٢٥ ليديرس اوضاع الشيوعيين المصريين وظروف عملهم وانه افتتح مصنعا للنسيج بالاسكندرية وظل مقبلا بها حتى عام ١٩٢٩ ثم غادر مصر الى موسكو حيث عمل كمندوب بالتحولية الثالثة.

والذي لا شك فيه ان الكومنترون كان يقدم نوعا من العون السياسي والتمويلي للحزب الحديثة، القابضين، وانه كان يمدجا في بعض الاحيان بعدد من الكوادر الحزبية.

كذلك تشير الدلائل الى ان الكومنترون وقد كان بمثابة هيئة مركزية بالتنسيق لكل الاحزاب المنتسبة اليه كان يرسل ممثلين سريين له في عدد من البلدان التي تعاني الاحزاب فيها مناعاب ما وكان هؤلاء المندوبون والشريون حتى على الحزب نفسه يعنون تقارير حول مشاكل معينة.

وفي وثائق المؤتمر الخامس للكومنترون ما يشير الى شكوى بعض الاحزاب من ان اللجنة التنفيذية للكومنترون تتلقى معلومات غير دقيقة بطرق غير سليمة من الفاحية التنظيمية.

وربما كان ذلك كله ضروريا في البداية حيث كانت الاحزاب وخاصة تلك التي نشأت في المستعمرات تفتقر الى الخبرة والى الكادر الحزبي لكن تولد هذه العناصر الاجنبية في صفوف حزب يعمل في بلد يفاضل اساسا ضد الاستعمار، ويعاني سكانه في الاساس من التسلط الاجنبي ومن الامتيازات التي يعانى منها الاجانب كان سعيها في كثير من المناعب.

سولمتنا هنا يصعد تقييم الثورة الذي لعبه اشخاص مثل اينيخودر، وهن

كانت نتائجه سلبية اذ لم ايجابية بل كثر الشيء المؤكد ان تواجدهم قد اثار
بعض الاضطراب في صفوف الحزب الشيوعي في اسرائيل.

وما ان اذبح عن حيشني الغرابي السكرتير العام للحزب وكان قد قبض
عليه في حملة عام ١٩٢٤ حتى ارفع شعار الالتماد عن الكومنترون

وكان التصور العام الذي يتبادى به العرابي هو ان الحزب ظل غنيا
وتشيطا بطوال الفترة التي كان يسمى نفسه فيها بالحزب الاشتراكي وان

الانتماء للكومنترون واضرار الكومنترون على تغيير اسم الحزب الى الحزب
الشيوعي قد وضع الحزب في مواجهة مباشرة وجنمية ضد الدستور والقوانين

التي تنص صراحة على تحريم الشيوعية وتحريم اقامة اية تنظيمات
تدعو لهذا. وان على الحزب ان يمتنع ان يرفع من الشعارات ما يسمح له بالعلنية
ذلك انه لا اهل في اقامة تنظيم سرى

وعندما كان الحزب في اوج نشاطه في اسرائيل في ايامنا الاولى
في اسرائيل مارسييل ايرائيل هو وعندما يخرج محمود احسن العرابي من
السجن اقترح ان يضم الحزب من الدولية وطلب باتخاذ مواقف ذات

مضمون انتهازى (١) في حين ان الحزب في ايامنا الاولى
لكن مجموع كادر الحزب قاوم هذه الفكرة ورفضها فالرجعية الصرية
ليست فقط ضد هذه الكلمة او تلك لكنها ضد كل تجمع طبقي يمثل خصامه

العمال والفلاحين
وحيث ان الحزب لم يخرج معه الا الهامى امين (الجزنجى) بالبيسكة
الحدود والذو قبض عليه في حملة ١٩٢٥ ثم اخرج عنه لاستيفاء مدة

المقومة (٢)
وقد ظل الهامى امين على ولاء تام للعرابي فاضطر في ١٩٢٧ كخليفة
يعتوان مقالات العرابي قال في مقدمته واعتقد عن يقين ان من ابلغ واتوى

وامتن ما كتب بالعربية في تقويض الرجعية ونشر الثقافة الجديدة ورفع لواء
التجدد بنوا. اكان ذلك في الاذنب بالام الاجتماع ام القاريخ الم الاقتصادي

وبالاسد مارسييل ايرائيل (تشييريزي) ان تقريره راجع للنص الكامل
بإسلاحي

ما كتبه، صديقي الاستاذ محمود حسنى العرابى، ولا اكون مغربا اذا قلت ان غير محمود حسنى العرابى في مصر لا يقوى، على صرخته الجريئة، (١)

وعنى اية حال، لقد ابتعد العرابى عن الحزب، محاولا ان يشق لنفسه طريقا جديدا هو طريق «العلمية»، ولمسوف نجاول تتبع هذا الطريق للجديد في صفحات قادمة فلنركز الان انتباهنا على المسيرة الايسابية، ولنتابع خطى الحزب بعد حملة القبض التى تمت في ١٩٢٥

وكما يحدث في كل مرة فان الرجعية قد تصورت ان القبض على هذه المجموعة الكبيرة من الكادر قد اوقفت نبض الحزب، لكن التقارير الشهرية المرفوعة من وزارة الخارجية المصرية الى السفارة الانجليزية تكشف عكس ذلك

فبعد التليل لعمليات القبض وبعد التباهى الذى ظهر في هذه التقارير بان النسجون تضم اكثر من خمسين من اعضاء الحزب فاننا لا نلبث ان نجد احد هذه التقارير يشكو من «ان الشيوعية تنتشر بكثرة في القاهرة وهناك شيوعيين كثيرين وسط النعمان» ان هناك مطبوعات شيوعية نزيهة تصدر بكثرة، (٢) فلنحاول ان نبحث عن مصدر هذه الشكوى الجديده

والحقيقة ان النشاط الحزبى قد انطلق سريعا بالرغم من حملات القبض التى استمرت من اواخر مايو حتى اواخر يونيو ١٩٢٥

وبالرغم من النشاط العنيف الذى قامت به قوات البوليس المصرى تحت القيادة الاجنبية وبرغم الخبراء الذين سافروا الى لندن عدة مرات لدراسة مكافحة «المبادئ الهدامة» فقد استطاع الحزب ان يواصل نشاطه في مواجهة هذه الصعوبات البالغة

وكانت الخطة التى انتهجها الحزب بعد حملات الدعاية المضادة التى شنت عقب القبض على أفيجدور هي الاستغناء عن الكوادر الاجنبية والاعتماد قدر الامكان على ايفاد كوادر مصرية وعملية على الاخص للدراسة والتدريب في جامعة كادحي الشرق بموسكو حتى يعودوا الى مصر ليقودوا نضال الحزب

وفي هذه الفترة نجح الحزب في ايفاد عدد من كوادره العمالية للدراسة في

١ - محمود حسنى العرابى، مقالات العرابى، عنى بجمعها وترتيبها ونشرها الهامى امين - الطبعة الاولى، المطبعة الاهلية الكبرى، ص ٢
٢ - مؤرخ في ١٩٣٠-١٩٢٥ ومدرج في مجموعة الوثائق النصرية تحت رقم

F.O. 371. Egypt And Sudan, File 29 - Piece No 10888.

- مودع في المتحف البريطانى

وتقارير البوليس السرية المتفرعة لوزارة الخارجية البريطانية وتشتمل
بإستمرار الى اشخاص موضوعين تحت المراقبة المتطارا لصيد أكبر عدد من
الكوادر . . .

منذ ١٦ - ٤ - ١٩٢٤ والمدع اندرييف تحت مراقبة البوليس (١)

منذ عام ١٩٢٦ كان ٤ شخصا تحت مراقبة البوليس وكانوا يقومون
بتأسيس خلايا (٢)

وبرغم كل ذلك فقد استطاع الحزب ان يواصل المسيرة . . .

ولنحاول ان نستخلص بعض المعلومات عن اسلوب النشاط الحزبي من
حوار مع محمود دويدار (٢) وهو واحد من ضمنهم الحزب في هذه الفترة . . .
س : كيف انضمت الى الحزب ؟

ج : في سنة ١٩٢٧ كنت اعمل في طنطا وكان لي زميل اسمه انحنند
عبد العزيز كان هو أيضا عطشجي بالسكة الحديد . وفي احد زيارتي له
اطلعت على خطابات وصلتته من اخيه محمد عبد العزيز الذي كان في موسكو
في ذلك الحين وديرتني وصفه للحياة في الاتحاد السوفيتي وقد دفعني هذا
الى توطيد علاقاتي بأحمد عبد العزيز حتى اطلع على المزيد من المعلومات عن
الاتحاد السوفيتي .

س : ثم عاد محمد عبد العزيز من موسكو وسعيت الى التعرف عليه . وفي اول
مناقشته سألني عن انتمائي الحزبي فقلت له اني اميل الى الحزب الوطني
لانه يهتم بشؤون العمال لكنني لا اعمل معهم . وبعد عدة مناقشات ضمنيا
محمد عبد العزيز الى احد خلايا الحزب في طنطا .

س : هل يمكن ان تشرح لي اسلوب عملكم الحزبي في عام ١٩٢٧ ؟

ج : كان التنظيم سري ، لكنني كنت اعرف ان هناك خلايا في القاهرة
والاسكندرية وطنطا وفي اماكن اخرى . وكان شعبان حافظ يتصل بنا في
طنطا احيانا . وفي احيان اخرى كنت اسألنا الى القاهرة لاقابل محمد
عبد العزيز . اتسع نشاطنا في طنطا فانا مثلا جئنا عددا من العمال بينهم

(1) - No. 1380 - Egypt And Sudan - File 2073/2730 - E.O. 371 - (1)

(2) - No. 10888 - Egypt And Sudan - File 29 - Piece No. 1457 - E.O. 371 - (2)

٣ - محمد دويدار عطشجي بالسكة الحديد - جند في صفوف الحزب عام
١٩٢٧ - راجع محضر النقاش مع الملاحق . . .

إثنان. سافرا الى جامعة كادجي الشرق بموسكو هما عبد العزيز مبرغني (براد
في الشبكة الحديدية) والثاني اسمه عبد المجيد. (لا أنكر بقية اسمه) وكان
أيضا عاملا في السكة الحديد

وكانت الخليا تدرس الماركسية وتحوّز مناقشات عديدة حول الاوضاع
في الاتحاد السوفيتي (١)
وفي مناقشة اخرى قال محمد دويدار ، بالاضافة الى المعلومات التي اديت
بها في الجلسة السابقة اذكر انني جنديت في طنطا وكنت عضوا في خلية
عدد اعضائها خمسة ، ولم اكن اعرفهم فقد كانت السرية مطلقة ، وكنا نستخدم
اسماء حركية . واحيانا كنت استدعي لحضور اجتماعات القاهرة واذكر انني
دعيت الى اجتماع في منزل يسار كوت بك حضره محمد عبد العزيز وثلاثة
من عمال العنابر لمناقشة بعض المشاكل العمالية . وكانت معظم الموضوعات
الدراسية تتركز حول حالة العمال واستغلال الرأسماليين لهم ، وكذا باستمرار
نربط بين الرأسمالية والاستعمار (٢)

وقد نشط الحزب في ذلك الحين لتأسيس فرع مصري لعصبة النضال ضد
الامبريالية . ويبدو انه قد نجح فعلا في تأسيس فرع يضم عددا من الموظفين
والعناصر اليسارية والتقدمية ويسار حزب التومد وعناصر الحزب الوطني

وقد وجهت الدعوة لحافظ رمضان لحضور مؤتمر العصبة في بروكسل
وقد اعتذر عن الحضور لكن وجه رسالة تحية للمؤتمر بشرتها مجلة العصبة
وبناء على هذه الرسالة قرر المؤتمر الاول للعصبة ضم حافظ رمضان الي اللجنة
التنفيذية للعصبة
وتشير الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية الي اتصالات واسعة
قامت بها عصبة النضال ضد الامبريالية مع اوساط واسعة وشخصيات عامة
في مصر . وقد ظاهريا في نصيب بايتي بعض ما جاء في وثيقة حصلت عليها
المخابرات البريطانية عن المخابرات الهولندية حول نشاط هذه العصبة (٣)
ولنواصل الان ومتابعة ما جاء في هذه الوثيقة الهامة من المعلومات

١ - محضر نقاش معه بتاريخ ٢٢ - ١ - ١٩٧٠ - بالملاحق
٢ - محضر نقاش بتاريخ ١٧ - ٣ - ١٩٧٠ - راجع النص الكامل بالملاحق
٣ - 157/29 : 5302 W - File 156/792 - F. 371/13417 (3)

من وثائق وزارة الخارجية البريطانية - ومشار في صفحاتها الاولى الي انها
مترجمة عن تقرير سرى مكتوب باللغة الالمانية - مودعة بالمتحف البريطاني

وَمِنْهَا فِي الْقَاهِرَةِ أَيْضًا الْيَاسَ يَعْتُوبُ مَحْرَرٌ جَرِيدَةً Piliwan Imoer
الَّتِي تُصَدَّرُ فِي الْقَاهِرَةِ وَانْتَى صَدْرُ عِدَدِهَا الْأَوَّلِ فِي أَكْتُوبَرِ ١٩٢٧ وَهِيَ تَعْمَلُ
أَيْضًا كِمِرَاسِلٍ لِجَرِيدَةِ تَصَدَّرُ فِي جَاوَا بِاسْمِ Pembrita Kemadjoean
جَرِيدَةٍ شَبِيعِيَّةٍ كَانَتْ تُقْسَمُ مِنْ قَبْلِ بِاسْمِ Sinar Indonesia.

وَمَنْ الْمَعْرُوفُ أَنَّ الْيَاسَ يَعْتُوبُ هَذَا قَدْ قَامَ بِعِدَّةِ زِيَارَاتٍ لِرَأْسِ جَمْعِيَّةِ
الشَّبَابِ الْمُحَمَدِيِّ (عَبْدِ الْحَمِيدِ بَكِ سَعِيدٍ) بِصَحْبِهِ الشَّيْخَ مُحَمَّدٍ أَبُو الْعَيُونِ
مِفْتَشِي الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَعَضُو الْحَزْبِ الْوَطْنِيِّ الْمُتَطَرِّفِ.

وَذَمِي الْوَثِيقَةَ قَائِلَةً «وَعِنَّا يَشُورُ تَسَاوُلُ هَامِ هُوَ : هَلْ قَامَتْ مُوسِكُو
عَنْ طَرِيقِ الْعَصْبَةِ الْمُنَاضِيَّةِ لِلْإِمْبِرِيَالِيَّةِ فِي بَرَلِينَ بِدَوْرٍ أُسَاسِيٍّ فِي تَأْسِيسِ جَمْعِيَّةِ
الشَّبَابِ الْمُحَمَدِيِّ بِبَدَفِ التَّأَثِيرِ فِي الطُّلَّابِ الْبُنُودِ وَالْإِنْدُونِيسِيِّينَ الَّذِينَ يَدْرُسُونَ
فِي الْأَزْهَرِ . وَمَنْ ثُمَّ يُمْكِنُ أَنْ تَنْتَحِلَ هَذِهِ الْجَمْعِيَّةُ الَّتِي مَقَرُّهَا الْقَاهِرَةُ إِلَى
مَرْكَزِ الدَّعَايَةِ الْمَوَالِيَّةِ لِمُوسِكُو وَالْمُنَاضِيَّةِ لِبَرِيطَانِيَا وَهَوْلَنْدَا ؟ وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ
هَذَاكَ ذِمَّةَ عَوَالِمٍ تَرْجَحُ أَنْ رَدَّ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ هُوَ بِالْإِجَابِ .»

وَيَبْدُو الذَّعْرُ وَاضِحًا فِي هَذِهِ الْوَثِيقَةِ مِنْ تِلْكَ الْعَلَاقَةِ الَّتِي نَجَحَتْ فِيهَا الْعَصْبَةُ
مِنْ خِلَالِ الْحَزْبِ فِي لِقَائَتِهَا مَعَ بَعْضِ عُنَاصِرِ الْحَزْبِ الْوَطْنِيِّ الْمَصْرِيِّ وَمَعَ بَعْضِ
رِجَالِ الدِّينِ وَالْجَمْعِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ . وَمَعَ بَعْضِ الْقُوَى الْوَطْنِيَّةِ وَسَطِ طُلَّابِ
العَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ .

وَفِي الْمُرْتَبِعِ الثَّانِي لِلْعَصْبَةِ الَّتِي عَقِدَتْ فِي فَرَانِكْفُورْتِ فِي ١٩٢٩ مِثْلَ مِصْرٍ
عَضْوَانِ هَمَّا عَبْدُ الْحَمِيدِ سَعِيدٍ وَعَبْدُ الْفَتَّاحِ الْعَزِيزِيُّ .

وَفِي الْمَجَلَّةِ الَّتِي تُصَدَّرُ بِاسْمِ (Anti Imperialism Review) .

كَانَ يَعْمَلُ مِصْرِيَّانِ عَمَّا إِبْرَاهِيمَ يُوْبُفَ وَعَبْدَ الرَّؤُوفِ مَالِكٍ .

كَذَلِكَ نَجَحَتْ هَذِهِ الْعَصْبَةُ فِي إِقَامَةِ عِلَاقَاتٍ وَاسِعَةٍ مَعَ الْمُنْتَظَمَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ
فِي مَخْتَلَفِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَتَشِيرُ مَجَلَّةُ الْمَسِيحِيَّةِ الْإِسْبُوعِيَّةِ الَّتِي هَذِهِ
العِلَاقَةُ فِي مَقَالِ بَعْنَوَانِ : «الاضْطْرَابَاتُ فِي الْهِنْدِ الشَّرْقِيَّةِ وَنَشَاطُ الدَّعَاةِ
الْبِلَاتِيغَةِ» قَالَتْ فِيهِ أَنَّ الدَّعَاةَ الْبِلَاتِيغَةَ قَبْدَ التَّفْوَاهِ حَوْلَ جَمْعِيَّةِ (رَابِطَةُ
الْإِسْلَامِ) حَتَّى غَلَبَتْ فِيهَا الْعُنَاصِرُ الْمُتَطَرِّفَةُ . وَيَبْدُلُ الدَّعَاةَ قِصَارَى جِهْدِهِمْ
لِكَيْ يَجْعَلُوا مِنْ هَذِهِ الْهَيْئَةِ الْقَائِمَةِ الْقُرْبَى أَلَّةَ لِدَعْوَتِهِمْ نَاتَجَزُوا شِبَعَارِهِمْ
تَحْقِيقًا لِهَذِهِ الْغَايَةِ «أَرْضُ الْإِسْلَامِ لِلْمُسْلِمِينَ» . وَأَلْفَى الدَّعَاةَ مَعْضِلَ أَوْيَاتٍ
لِتَحْرِيلِ التِّيَارِ الدِّينِيِّ الَّتِي تِيَارٌ سِيَاسِيٌّ فِي كَوْنِ أَصْحَابِ الْأَعْمَالِ يَضُنُّونَ
بِالْعَمَلِ عَلَى الْعَمَالِ الَّذِينَ يَلْتَحِتُونَ بِالرَّابِطَةِ وَبِذَلِكَ يَظْهَرُونَ أَنَّهُمْ أَعْدَاءُ الدِّينِ
الْإِسْلَامِيِّ (١) .

١ - الْمَسِيحِيَّةُ - ٢٦ مَآيُو ١٩٢٨ .

كذلك نجحت العصبة في إقامة علاقات وثيقة مع حركات التحرر الوطني في مختلف البلدان العربية وقد حضر المؤتمر الثاني للعصبة بالإضافة إلى مندوبي مصر، حمدي الحسيني، والعيني، (الثمام)، شبل، بن مصيطري، (توتون)، الجبزي، (الجزائر)

وتمتة وثيقة في المحف البيطاني عبارة عن ملخص للترجمة مقال منشور في جريدة

Bandra Islam - الصادرة في 4 يوليو 1927 (1) تتبل وتحت

المقال عن العصبة ونشاطها وعن تقرير السكرتارية العالية حول النشاط الذي قامت به خلال الفترة بين شهري فبراير ومايو 1927

ويفضون المقال معلوميات تفيد أن السيد مظهر البكري قد اقترح

تكوين فرع لهذه العصبة في كل البلدان العربية وعلى أن تبذل جهود لتوحيد

هذه الفروع وتكوين قيادة مركزية عربية يمكن أن تسمى عصبة تحرير

البلدان العربية من

بالتحديد هذا المقترح عتقد المؤتمر كونه من النشاط ضد الامبريالية

بالتأخرة وذلك بهدف تعزيز النضال العربي ضد الاستعمار

وقال انه قد تم الاتصال بالفعل بعدد من الشخصيات العربية لبحث

مسألة عقد هذا المؤتمر معاً ونحن نرى هذه الشخصيات عضواً في البرلمان

المصري

وسوف يدعى الي هذا المؤتمر أيضا مندوبون من الصين واندونيسيا

وانجلترا والهند

وتمتة مقال مثير للاهتمام والدقيقة فيما يتعلق بفترة منة تقول

سأفهم ان مضير مستقبل الان على بحر متلاطم الأنواع انما انما تحتاج الان الى

حزب قومي قادر ووعيم قومي ذوا ايد وواسع وكثريا يرفع شعار كل الشكليات

الجمهوريات العربية الذبحر البنية في الشرق الأدنى

باشيا ان يلب هذا الجوز بوزم ذلك وان كنا نضك كثير في امكانية ذلك

والفترة التي مضرها بفترة اكثر من تساول

حؤل متائل وردت

راجع النص الكامل للوثيقة بالملاح

بيرنينا دون ايضاح بل ولم تتكرر كثيرا فيها يعني - غير اننا نعلم - اميرالين مثل
حزب قومي ، ، زعيم قومي ، ، كل السلطة للجمهوريات العربية والتبديلية
في الشرق الأدنى ،

وقد نتج الحزب في ان ينشر موضوعا مصورا. عن المؤتمر الاول للعصبة
في مجلة اللطائف المصورة وقد تضمن الموضوع صورة لظهر البكري كتب تحتها
مظهر بك البكري مندوب سوريا في مؤتمر الشعوب المظلمة وهو شقيق
نسيب بك البكري الزعيم السوري المعروف ،

وقد تضمن الموضوع بيانات هامة عن المؤتمر جاء فيها « عقد في بروكسل
عاصمة البلجيك في شهر فبراير الماضي مؤتمر الشعوب المظلمة وقد تألف من
170 عضوا يمثلون جميع الشعوب المستعبدة ومعظم الأحزاب الاشتراكية
والشيوعية وممثلي الأحزاب الاستقلالية في تونس والجزائر وافريقية الجنوبية
والهند والصين وقد استمرت جلسات المؤتمر خمسة ايام التي فيها الخطب
وتكلم مندوبو الشعوب عن استعمار الدول في مختلف البلدان وكان اشهر
الاعضاء تحمسا مندوب الصين ، وقد قال احدكم في إحدى خطبه « نحن نعلم
كيف يجب علينا ان نموت في سبيل الثورة ، ، وكانت جذرا ناعة المؤتمر
مزيعة بصور كبيرة للثورة الصينية وبطاشة من الصور الاخرى ، وكان بين
مندوبي تلك الشعوب كثير من الزنوج والعبيد ، (1) ،

وتشير إحدى وثائق وزارة الخارجية البريطانية عن هذه الفترة الى ان
الحزب قد اتصل بالعناصر البيمارية في حزب الوفد ، وتقول نفس الوثيقة
« وقد تكون مصر فرع لعصبة النضال ضد الامبريالية ، (2) ،
كذلك فان احد التقارير البرية المرفوعة عن السفارة الانجليزية بالقاهرة
الى وزارة الخارجية تشير ان الحزب ، جاول الاتصال بالشيخ عبد العزيز
جاويش (مات عام 1929) لكنه فشل في ذلك ، (3) ،

وعندما منعت الحكومة المصرية النائب البريطاني الشيوعي سكلا تقالاً
من دخول البلاد ، كشفت المناقشات التي جرت في البرلمان حول هذا
الموضوع عن اتصال بعض نواب الوفد والحزب الوطني بفرع العصبة في مصر

- ١ - اللطائف المصورة (٢١ - ٢٧ - ١٩٢٧)
- ١380 : Piece No - File - 2073/2730 - Egypt And Sudan - 371 K.O (2)
- مودعة بالمتحف البريطاني
- ٣ - التقرير السنوي للسفارة الانجليزية المرفوعة لوزارة الخارجية عن
عام 1921 ، ومودع بالمتحف البريطاني تحت رقم
File 2862/38746 Piece No : 14652

خطبات
أشقى يبقو أنه نشط في توزيع صور من كتبه سكرًا تفلاً على عدد من
السنوات . . .
وقد قال النائب حسن سيد أحمد نافع ، أنه قد ورد لأكثر من واحد
من المصريين كتب شخصية من المستر نيكل-تفلاً . . . واستحووا لي إن أتوا
على حضراتكم ترجمة إحدى المقربات من بعض خطباته . . .
ويقول محمد حافظ رمضان في نفس الجلسة أنه قد تلقى واحداً من هذه
الخطابات . . . (١)

وتلعل مسرحية سكرًا تفلاً بكل ما كشفت عنه من صراعات كانت النضال
الأول من الحملة الجديدة ضد الحزب الذي استطاع أن يقم إلى حد ما نوعاً من
التجمع الوطني المناهض للاستعمار . . . والذي نجح إلى حد ما في تحقيق
الهدوء الأكثر خطراً من وجهة نظر الترجمة الحزبية والأختلال البريطاني وهو
أيجاد علاقات بين الحركة الوطنية المصرية وبين حركة اليسار العالمي المناهض
للاستعمار والإمبريالية والسعي لأيجاد تجمع عربي مناهض للإمبريالية
وكانت قضية المؤامرة الوهمية التي جاول فيها أحد عملاء البوليس اتهام
الشيوعيين وحافظ رمضان بالاشتراك في مؤامرة لاغتيال الملك فؤاد خلال زيارته
لاوروبا (٢) . . . في الفصل الثاني من الحملة التي صارت توجيهها ضد اليسار
وقصد القوى الوطنية التي تحالفت معه . . .

ثم بدأ النضال الثالث بحملات التشهير والقبض ضد الزعماء العرب الذين
شاركوا في نشاط العصبة . . . وإذا كان مظهر البكري وأحد من أبرز القادة
العرب الذين أسهموا في نشاط العصبة ، وصاحب الاقتراح الخاص بتأسيس
عصبة عربية مناهضة للإمبريالية وبعد مؤتمر عربي للنضال ضد الاستعمار
بالمهارة . . . فإن الضربة الأولى يجب أن توجه إليه . . . ويجب أن تتخذ ضد
لها على صفحات الجرائد المصرية لمحاولة تكون تحديراً للوطنيين المصريين وإرادعا
لهم . . .
وتنشر الصحف المصرية الخبر التالي في تحري البوليس في يناير دار السيد
نسيب البكري للتحقيق عن أوراق عامة يقال أن لها صلة بعلاقة السيد نسيب
وأخيه مظهر بقبض مبالغ من اللجنة الشيوعية باسم بعض الحملات . . . وقد
شاغ قبل شهرين أن الحكومة عذرت على أوراق تشير إلى ذلك في دار اللجنة

١ - مضطحة الجلسة الثانية والثلاثين من المجلس السنوي يوم
١٩٢٧-١-٢٥ راجع النص الكامل بالملاحق . . .
٢ - اللبنيان ٢٢-١١-١٩٢٧

الشيوعية، بياثما . ويقال أيضا ان السيد مظهر البكري سائر بأموال الشيوعيين
الى مؤتمر بروكسل (١) .

والآن فان المسرح يبدو معدا لتوجيه ضربة جديدة للحزب في مصر . ذلك
ان كل نجاح جديد يحققه في أى مجال من المجالات كان يستتبع بالضرورة
حملة بوليسية عنيفة تستهدف اجهاض هذا النجاح . . .

وكذلك فان توجيه الضربة للحزب كان يعنى بالضرورة احباط المحاولات
الجادة التى بذلها بوعى وكفاءة لخلق جبهة مصرية مناهضة للاستعمار ولخلق
جبهة عربية ضد الاستعمار ايضا . . .

وكان ضروريا ان تثن حملات دعاية تكون بمثابة الموسيقى المصاحبة
لحملات الاعتقال وتركزت الحملات في هذه المرة ايضا على العلاقات بالكونغرس
وعن العناصر الاجنبية ، واخيرا - وهذا هو المهم - حول دور بنود فلسطين في
الحركة . . .

وهكذا ومع اول علاقة ثورية ينظمها الحزب او يدعو لتنظيمها مع القوى
الثورية العربية تثن الحملة ضده من جانب ذكى يحاول تثن التحالف العربي
من حوله . . .

فيستخدم النشاط الشيوعى وسط يهود فلسطين وعلاقته بنشاط الحزب
في مصر . . .
وكالمادة . . . فقد بدأ احد الراسلين الاجانب الحملة . . .

ففى أوائل مايو ١٩٢٨ كتب مراسل للتايمز بالقاهرة مقالا حيزر فيه
من ان « الدعوة الشيوعية عادت تسمى في مصر مسمى سريعا ، وانها ستغلب
دورا خطيرا في المستقبل القريب ان لم تتخذ احتياطات حازمة لقمعها . . . »
وقال ان النشاط قد بدأ يذب في اوساط الشيوعيين من جديد . . . وقد عاد من
موسكو اخيرا شبان مصريون بعثوا اليها على نفقة السوفييت حيث تلقوا
هناك المبادئ في موسكو ، وهؤلاء دعاة قادرون وسيينظمون بزواجدة
ناجحة . ومن المحتمل ان تستمر هذه البعثات في السنوات القليلة القادمة .
ومن الضروري ان تنشط السلطات المصرية لمراقبة حركات هؤلاء الطلبة التى
ينظمها السوفييت في اوديسا وغيرها من الموانئ الشرقية ، ثم يصل الى بيت
القصيد فيقول « وما يزيد من مهمة السلطات المصرية صعوبة ومشقة ان
فلسطين مركز قوى للشيوعية فهى بمثابة حلقة اتصال بين موسكو والقاهرة (٢)

١ - السياسة - ٢٠-٨-١٩٢٧ . . .

٢ - عبد العظيم رمضان - المرجع السابق . ص ٥٥٦ .

منه، ولما كانت الاجراءات والقرتبيات، بسرية غاية في الكتمان، لم يستطع
اي ضابط من الضباط الوقوف على الامر الذي دعى من اجله.

وعند الساعة الخامسة والثلاث من صباح امس كان كل الضباط مجتمعين
في فناء الحكمادارية وهناك سلم بيكر بك الي كل منهم امرا مكتوبا باعتقال
شخص معروف بمبينة اوصافه ومميزاته واقامته وتفتيش منزله واحضاره
هو وكل ما يعثر عليه في منزله من صور فردية او عائلية وضخف اجنبية
وخطابات وبطاقات زيارة واوراق خاصة (١) بها رموز من مساهم

وهكذا عاجم البوليس في وقت واحد ١٨ منزلا في شوارع محمد علي
وكلوت بك وحارة المسقاين وشوارع اخرى في شبرا وعابدين والازبكية

والى هنا فان الامر يبدو بالنسبة لكثير من المؤرخين وكأنه جاذبة
الطبيب

نقد اكتفى هؤلاء المؤرخون بالبحث عند هذا الحد معلنين ان ما بعد ذلك
مجرد ولا شيء.

وهكذا اعلن رؤوف غباش ان النشاط الشيوعي في مصر طان خلال
الثلاثينات هزينا فرديا يعتمد على جهود العناصر الاجنبية (٢)

اما عبد العظيم رمضان فقد اعلن - بصورة قاطعة - عزيمته على السلوب
البحث العلمي - ومنذ ذلك الحين لم تقم محاولة تذكر لاعادة تاسيس الحزب
الشيوعي المصري (٣)

بل ان عبد العظيم رمضان قد حاول استتخارج ما يمكن تسميته
بشهادة الوفاة لهذا الحزب فأفرد فصلا تحدث فيه عن اسباب فشل

الحركة الشيوعية والاشتراكية في تثبيت اقدامها في التربة المصرية

وعلى اية حال - ويرون ان يكلف انفسنا عناء اثبات خطأ هذا رأي -
فاننا سنواصل البحث عن معلومات حول نشاط الحزب

والذي لا شك فيه ان الحزب كان يعاني معاناة لا يحكود لها، ليس فقط
من المطاردات المستمرة والعضبة من جانب البوليس، ولا من حملات الذعاية
والتشويش التي نجسحتها صحافة وكتب هذه الفترة، وانما - وهذا هو الاكثر
خطرا - من تسلل احد عملاء البوليس ليصل جثتي، متصب السكرتير العام

١ - الميمنة ٥٤١٢ - ١٩٢٨ - ص ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧ - ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧ - ١٤٠٨ - ١٤٠٩ - ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢ - ١٤١٣ - ١٤١٤ - ١٤١٥ - ١٤١٦ - ١٤١٧ - ١٤١٨ - ١٤١٩ - ١٤٢٠ - ١٤٢١ - ١٤٢٢ - ١٤٢٣ - ١٤٢٤ - ١٤٢٥ - ١٤٢٦ - ١٤٢٧ - ١٤٢٨ - ١٤٢٩ - ١٤٣٠ - ١٤٣١ - ١٤٣٢ - ١٤٣٣ - ١٤٣٤ - ١٤٣٥ - ١٤٣٦ - ١٤٣٧ - ١٤٣٨ - ١٤٣٩ - ١٤٤٠ - ١٤٤١ - ١٤٤٢ - ١٤٤٣ - ١٤٤٤ - ١٤٤٥ - ١٤٤٦ - ١٤٤٧ - ١٤٤٨ - ١٤٤٩ - ١٤٥٠ - ١٤٥١ - ١٤٥٢ - ١٤٥٣ - ١٤٥٤ - ١٤٥٥ - ١٤٥٦ - ١٤٥٧ - ١٤٥٨ - ١٤٥٩ - ١٤٦٠ - ١٤٦١ - ١٤٦٢ - ١٤٦٣ - ١٤٦٤ - ١٤٦٥ - ١٤٦٦ - ١٤٦٧ - ١٤٦٨ - ١٤٦٩ - ١٤٧٠ - ١٤٧١ - ١٤٧٢ - ١٤٧٣ - ١٤٧٤ - ١٤٧٥ - ١٤٧٦ - ١٤٧٧ - ١٤٧٨ - ١٤٧٩ - ١٤٨٠ - ١٤٨١ - ١٤٨٢ - ١٤٨٣ - ١٤٨٤ - ١٤٨٥ - ١٤٨٦ - ١٤٨٧ - ١٤٨٨ - ١٤٨٩ - ١٤٩٠ - ١٤٩١ - ١٤٩٢ - ١٤٩٣ - ١٤٩٤ - ١٤٩٥ - ١٤٩٦ - ١٤٩٧ - ١٤٩٨ - ١٤٩٩ - ١٥٠٠ - ١٥٠١ - ١٥٠٢ - ١٥

الامر الذي يمكنه من توجيه ضربات عنيفة للحزب وتآكثركوا دره وقيادته
إخلاصا كانوا يقبض عليهم أو يختننون بطريقة غامضة، بل يبدو ان احد
مبعوثي الدولة الشيوعية قد اختفى هو ايضا لدى مروره بمصر، والبعض
الاخر قبض عليه أو طرد من البلاد (١)

ويرغم ذلك كله فإن ثمة دلائل تشير الى ان الحزب قد واصل - الى
حدي ما - تقييده

ولنعد مرة اخرى الى وثائق وزارة الخارجية البريطانية والى صحيف
هذه الفترة لنحاول ان نستجمع منها بعض اشارات أو لمحات حول نشاط كان
يجرى في سرية تامة

وفي التقرير السنوي للسفارة الانجليزية بالقاهرة المرفوع لوزارة الخارجية
البريطانية عن عام ١٩٢٩ - (٢) نقرة بعنوان: الشيوعية خاء فيها، ويواصل
البوليس مراقبته الحذرة ضد الشيوعيين، ويحاول جهد الطاقة منع أي عميل
شيوعي من التسلل الى مصر

وخلال عام ١٩٢٩ حاول ١٣ عميلا التسلل الى مصر وقبض عليهم لكن
القوميون لم يكف عن نشاطه ومحاولاته لتحويل مصر الى مركز للنشاط
الشيوعي في العالم العربي

ويستحيم الكومنترون السفن السوفيتية في عمليات التهريب كذلك يستند
الى النفوذ الشيوعي في اوروبا (ايطاليا واليونان)

وقد قام الكومنترون بتوجيه الدعوة الى عدد من المصريين للدراسة في
جامعة كادحي الشرق، وقد عاد ٦ من المصريين بعد ان اتموا دراساتهم وبقى في
موسكو آخرون

والحقيقة ان الجور الاساسي لتربية الكادر واعياده كان يتركز حول ايفاد
عدد جديد من اعضاء الحزب من الشباب للدراسة في جامعة كادحي الشرق
وتشير الدلائل الى ان الحزب قد استمر تنجاح في عملية ايفاد الكادر للدراسة
ثم اعانتهم الى مصر

وهكذا فان الامر قد اصبح وكأنه نوع من البيئات الذي يفوز في حلقة
مفرغة الحزب يفوز على الجوام كوادر جديدة ومطلبة ويستقدم باستمرار
عناصره التي تربت في جامعة كادحي الشرق لكن كل ذلك يذهب الى هضام
البوليس التي فشلتها السكرتير العام محمد عبد العزيز

١ - مارسيل اسرائيل تشيريزي - المزج السابق
Egypt And Sudan File: 2862/3874 - Piece No : 371 - F.O. (2)
14652

مرة أخرى تتخذت وثائق وزارة الخارجية البريطانية عن عمليات قبض جديدة .
 مذمة وثيقة بعنوان « التقرير السنوي لبوليس القاهرة عن ١٩٣٠ »
 جاء فيها (١) : « ... »
 « ألقى القبض على مجموعتين للشيوعيين الأولى مكونة من الأرمن وقد سجن أعضاؤها أو ذنوا والآخرى من المصريين وقد سجنوا ... »
 وتمضى الوثيقة لتورد عبارة ذات دلالة عامة « ويقول رئيس بوليس القاهرة ان رؤساء هذه المجموعة كانوا من الفعالية بحيث ان نشاطهم كان مؤثرا في اوساط واسعة ... »
 والحقيقة ان النشاط الحزبي قد استمر برغم كل هذه الصعوبات . ففي اول مايو ١٩٣٠ وزع الحزب على نطاق واسع منشورا دعا العمال الى الاحتفال بعيد اول مايو . وقدم كعادته برنامج عمل للطبقة العاملة بهذه المناسبة .
 وقد قبض البوليس على اثر توزيع هذا المنشور على عدد من العمال من بينهم شعبان حافظ لكن شعبان حافظ افرج عنه بضمان وتمكن من السفر سرا الى الاتحاد السوفييتي وعاد سرا في عام ١٩٣٤ حيث اقام بالزقازيق وكون خلية حزبية هناك (٢) .

وقد استطاع الحزب مرة اخرى ايفاد عدد من كوادره الى الاتحاد السوفييتي وفي عام ١٩٣٠ يسافر عدد من اعضاءه العمال من بينهم يوسف حسن خضر (٣) .

ويبدو ان حملات القبض على الشيوعيين قد اتسعت مرة اخرى خلال عامي ٣٠ - ١٩٣١ بحيث بدأت الصحابة العربية في الشام تطالب بالافراج عن العمال المصريين الذين يعانون في السجون بتهمة الشيوعية (٤) .
 كذلك فان وثائق المؤتمر السادس للكونغرس (١٩٢٨) تشير الى ان الحزب الشيوعي المصري يلعب دورا هاما في حركة التحرر الوطني . ويعتمد في تنظيمه على البروليتاريا . والنقابات التي تضم العمال المصريين هي مصدر الطلائع والقيادات بالنسبة له (٥) .

Egypt And Sudan - File 3759/3789 - E.O. 12812 (٥)

٢ - الاهرام ١٩-٦-١٩٣٥

٣ - المصري - ٣٠-١٠-١٩٣٦ . وردت هذه الاشارة عرضاً في موضوع

خاص بمحمد عبد العزيز .

٤ - الف - باء - تشرين ثاني - نوفمبر ١٩٣١

٥ - بروتوكول المؤتمر السادس للكونغرس - الجزء الرابع ص ١٩٥

من الطبعة الالمانية .

مخبره لكن الفتحاح الاكثري الذي تحتفظه الحزب في ذلك الوقت وهو اكتشف
 خيانة محمد عبد العزيز وطرده من صفوف الحزب
 فمن هو محمد عبد العزيز وهذا ان جريدة المصري تروي قصته تقول
 ابان الثورة سنة ١٩١٩ فصل محمد عبد العزيز الموظف بالسكة الحديدية عقب
 الاضراب العام من بعد تزوجه الختمه بنامن اتصل به بعض الاشخاص ممن
 كانوا يروجون للمبادئ الشيوعيه فعرضوا عليه السفر الى روسيا
 ووافق وما وافق يعلم ١٩٢٢ حتى كان في طريقه الى روسيا مع صديق له
 من المصريين والحقا بالمدرسه الشرقيه الشيوعيه وظلا يتلقيان العلوم الخاصيه
 بالمبادئ الشيوعيه وما يتبعها من علوم اخرى وفنون متنوعه وفي سنة ١٩٢٥
 اتما علومهما وعادوا الى ميدان العمل في مصر فاشتموا في
 مصر وعين محمد عبد العزيز على اثر تخرجه من المدرسه قاضيا بالحكمه
 الثوريه في موسكو وتولى يقوم بجمع مائه كعضو في هذه البيئه حتى نهاية ١٩٢٧
 ثم ما وتقول جريدة المصري في روايتها ان محمد عبد العزيز له وضع قدمه
 في مصر راجح انتشار دعوات ضد المبادئ الشيوعيه لخصيصا وانها تخالف
 الدين الحقيقي (١) المصير (٢) جلد ١ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩
 ولذا كان مارسيل اسراييل (تشريرى) يلقي اللوم على يانكاكس في
 اختيار محمد عبد العزيز منكراتيه للحزب فان ذلك عبد الفتحاح القاضى يلقي
 اللوم على حسن البراقى في اختياره اعتلا للسفر الى موسكو في سنة ١٩٢٥
 ولكن حسن البراقى كان ظنه طيبا ويخدع بسهولة وكان لا يخمن
 لاختيار الاشخاص وعاشته الذين ارسلهم الى موسكو للدراسة فقد ارسل
 مثلا محمد عبد العزيز وهو الذي اختاره البراقى في سنة ١٩٢٥
 ووفقا لرؤية محمد الفتحاح القاضى انه يؤكد ان محمد عبد العزيز
 كان جاسوسا منذ التزم الاول وهو يؤكد ذلك مستندا الى مصدر مهم هو
 اعترافات محمد عبد العزيز نفسه وانا قرأت مذكرات محمد عبد العزيز وكان قد
 اودعها عند المحامين وكل المذكرات خيانة وحتى وهو في الاتحاد السوفيتى
 كان يحون وهو يذكر ذلك صراحة في مذكراته وكانت مكتوبه بخط اليد في
 حوالى خمسة كراسات وعندما كان في روسيا ارسل مثلا الى مستلمي الاتحاد
 السوفيتى لاتقاعهم بالاشتراكية فكان يجرضهم في سبب النظام الاشتراكي
 وورد في مذكراته ايضا سلسلة خياناته وتبليغه لكل المنحويين الذين اتوا
 الى مصر (١) المصير (٢) جلد ١ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩

١ - المصير - ٣ - ١ - ١٩٢٦
 ٢ - راجع النص الكامل لتاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - المصير
 السابق - ص ٢٧٠

ويقول عصام الدين حنفي ناصف في مناقشة معه « الكومنترن ارسل شخص نمساوي اسمه فاييس في عام ١٩٢٧ على ما اظن وعندما وصل قابله محمد عبد العزيز واستولى على نقوده وسلمه للمباحث » (١) .

وقد جرت عدة محاولات لاغتيال محمد عبد العزيز قال البوليس ان الشيوعيين هم الذين قاموا بها ، وقال الشيوعيون ان البوليس هو الذي يريد التخلص من عميل اكتشف واصبح مجرد عبء .

وعلى اية حال فان المصادر جميعا تجمع على توالي محاولات الاغتيال .
• وعلى ان محمد عبد العزيز قد مات بانسا وفي حالة تزيينة من الجنون .

واذا كان اكتشاف محمد عبد العزيز يمثل خطوة هامة في تاريخ الحزب بحيث مكنته بعد ذلك من أن يحاول من جديد بناء كوادره ومجموعاته بعيدا عن المراقبة المباشرة لعيون البوليس فان استمرار عميل للبوليس في موقع السكرتير العام للحزب طوال اربعة سنوات كان كفيلا بتوجيه ضربات بالغة العنف لحزب سرى .

ان الكوادر كانت تكتشف على الفور ، والذاهبون الى موسكو والعائدون منها يجدون انفسهم بعد فترة أو اخرى في قبضة البوليس .

وكان طبيعيا أن يصاب الحزب بضربات عنيفة وبضعف شديد ، وأن يعاني كوادره من فقدان الثقة في بعضهم البعض وثمة محاولة موجزة لتصوير حالة الحزب في كتاب « الدولية الشيوعية قبل المؤتمر العالمي السابع » تقول « لقد سيطر للبوليس على بعض المجموعات غير المبدئية في الحزب الشيوعي المصري ، وهو يعمل من خلالها لتقسيم الحزب » . ولهذا فانه يمكن وصف حالة الحزب المصري بأنه غير نشيط » (٢) .

والحقيقة ان قصة ترشيح ياناكاكس لحمد عبد العزيز تتكرر من اكثر من مصدر . . . ونيقولا بباريدوتي * يقول « ياناكاكس قابل محمد عبد العزيز

٣ - راجع النص الكامل في المرجع السابق - ص ٢٧٧ .
١ - الدولية الشيوعية قبل المؤتمر العالمي السابع - الطبعة الالمانية
ص ٩٠

* نيقولا بباريدوتي شيوعي يوناني قديم . انضم للمجموعة الشيوعية اليونانية بالقاهرة سنة ١٩٢٥ وكان صديقا شخصيا لياناكاكس ويروى عنه تكريات هامة تدل على تعلقه الشديد به وعلى قوة ذاكرته .

ولا يزال يقيم بالشاهرة حتى الآن (توفي عام ١٩٨٤) . وقد قام بباريدوتي بكتابة مذكراته باللغة الفرنسية وادعها ليدى المؤلف .

في السجن وأعجب به . . . ويقول « كنت أنا وعدد من الرفاق اليونانيين منهم جورج بيريدس ونيكوس نيقولايبديس نجتمع كل يوم بعد الظهر في محل ياناكاكس واذكر انه في عام ١٩٢٨ أو حوالي ذلك مر شخص من امام المحل فقال ياناكاكس هذا هو محمد عبد العزيز . . . كان معنا ثم عمل مع البوليس . . . »

وإذا كان الاستناد الى تحديد تواريخ دقيقة من ذكريات قديمة لاشخاص ، يمثل مجازفة بالنسبة للمؤرخ الا ان بياريوتى يؤكد ان هذه الواقعة قد حدثت حوالي ١٩٢٨ ويقطع بانها كانت قبل ١٩٣٠ . . .

وإذا كان الامر كذلك فان معركة طرد محمد عبد العزيز من الحزب قد استغرقت وقتا طويلا وصراعا داخليا عنيفا . . . وهو امر يسبب لأي حزب ازيمات ومضاعب حمة . . .

ولقد رأينا كيف حاول مارسيل إسرائيل (تشيريزى) ان يلقي اللوم على ياناكاكس . . . لانه هو الذي رشح محمد عبد العزيز كسكرتير عام للحزب عام ١٩٢٧ . . .

وكيف ان عبد الفتاح القاضى حاول ان يلقي اللوم بدائه على محمود حسنى العرابى لانه هو الذى رشح عبد العزيز أصلا للسفر إلى موسكو عام ١٩٢٢ . . .

لكننا نعتقد ان الجزء الاكبر من اللوم يجب ان ينصب - أساسا - على أسلوب الكومنترن في تعيين سكرتير عام للحزب ، بقرار علوى يصدر بعيدا عن كادر الحزب وعن أعضائه . . .

وعلى أية حال فان قرارا كهذا قد أصاب الحزب المصرى والعمل الثورى المصرى ككل بضربات عنيفة ، واجهها أعضاء الحزب في بطولة نادرة ، محتملين في شجاعة وصبر نتائج خطأ لم يرتكبوه . . .

وبعد طرد محمد عبد العزيز قرر الكومنترن ان يحدد علاقته بالحزب المصرى . . .

وقد ترددت شائعات كثيرة عن صدور قرار من الكومنترن بحل الحزب ، لكن البحث في وثائق الكومنترن ومجلاته لم يسفر عن وجود مثل هذا القرار الذى نشك كثيرا في صحوره . . .

وعلى أية حال فان كثيرا من الشواهد وخاصة تلك المتعلقة باستمرار ذهاب الكوادر للدراسة في موسكو والعودة منها . . . تدل على ان الكومنترن وان كان قد « حذ » الى درجة كبيرة من علاقته بالحزب إلا انه لم يقطعها تماما . . .

ذلك أن عددا من كوادر الحزب مثل محمد دويدار ، وتשמبان حافظ ، وعبد الرحمن
نضيل ، كانوا لا يزالون وحتى عام ١٩٣٧ يجنون العون من « الأحزاب الشقيفة »
في تسهيل مهمتهم في العودة الى أرض الوطن تحديدا لقرار اسقاط الجنسية
عنهم .

وعلى أية حال فإن الكومنترن وان كان لم يصدر قرارا بحل الحزب ،
فإنه ابتداء من عام ١٩٣٥ لم يُعَد يعترف بوجوده كعضو في الكومنترن .

ذلك أن طبعة عام ١٩٣٥ من دائرة المعارف السوفيتية قد استقطت
اسم الحزب المصري من قائمة الاحزاب الشيوعية في العالم .

* * *

وبرغم ذلك كله فقد واصلت كوادر الحزب نشاطها ، بل ان الحزب قد
تمرتته موجة من النشاط بعد أن تخلص من هيمنة محمد عبد العزيز .

يقول لاکور « لقد نسب الى محمد عبد العزيز أنه نصح الشيوعيين بالآ
يشتروا في مظاهرات مايو ١٩٣٦ العظمى .

وبعد أن كشف أمره كجاسوس للسلطات بدأ الحزب وكأنه يدنو من
النجاح وقد تبني برنامجا سلبيا (١) .

وإذا عدنا مرة أخرى الى الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية
فإننا نجد اشارات هامة توحى بتجدد نشاط الحزب وبتمركز هذا النشاط
وسط التجمعات العمالية الهامة . .

ففي « التقرير السنوي المتنوع من السفارة البريطانية الى وزارة الخارجية
للبريطانية عن عام ١٩٣٣ » نجد فقرة بعفزان « تقرير عن الشيوعية في مصر
عام ١٩٣٣ » وقد تضمنت هذه الفقرة معلومات هامة من بينها « يحاول
الحكومنترن معاودة تأسيس النشاط الشيوعي ، ففي ورش الترسانة بالقاهرة
بدأ النشاط الشيوعي هناك عن طريق عميل أساسي هو سالم يوسف واسمه
الحقيقي وعيب المالك . وفي عنابر السكة الحديد هناك شخص آخر اسمه
حسين الخراط واسمه الآخر على حسين . والاثنين كانا يدرسان في مونسكو
ثم عادا سرا .

١ - لاکور . الاتحاد السوفيتي والشرق الاوسط . المرجع السابق ص ١٢٢ .

وقد حاول الخراط تاسيس خلية شيوعية وسط عمال العنابر وكان يعطى للعمال محاضرات عن النظرية الماركسية .

وفي يونيو ١٩٣٤ قبض على ٢٢ من العمال بعد أن وزعوا منشورات شيوعية في عدد من المصانع ، (١) .

وعلى أية حال فإن صحف هذه الفترة ظلت على الدوام تحمل أنباء القبض على خلايا الحزب أو محاكمة أعضائه . وفي كل مرة كانت الصحف تؤكد أن الخلية التي تم القبض على أعضائها كانت « آخر خلية » .

ولعل تتبع مثل هذه الانباء يقدم لنا بعض المعلومات عن نشاط المجموعات الحزبية التي ظلت تعمل طوال السنوات التالية . وحتى نشأة التنظيمات الشيوعية الجديدة والتي ركزت جهودها أساسا وسط تجمعات العمال .

ففي ٢٠ مايو ١٩٣٥ خبر عن محاكمة مجموعة من العمال الشيوعيين أمام محكمة الجنايات وهم محمد وهيب المالك وعلي حسن حسنين ومحمود السيد علي ومحمد علي ، (٢) .

وبعد شهر واحد قضية أخرى تشير إليها الصحف تحت عنوان قضية المنشورات الشيوعية ، (٣) .

ثم قضية أخرى تشير إلى أن الكوادر العائدة من موسكو قد تمركز بعضها في التجمعات الصناعية بعيدا عن القاهرة بعنوان آخر في الصحف « قضية الشيوعية بالمحلة الكبرى » .

والخبر يقول « نظرت محكمة جنايات طنطا قضية الشيوعية في جلسة سرية وبعد سماع الشهود واستعراض المنشورات المضبوطة تبين أن عزيز عبد الملك نيروز المتهم الاول كان منفيا باحدى الدُول الشيوعية عام ١٩٢٧ وجاء إلى مصر وأقام بالمحلة الكبرى . وإن المتهم اثنى محمد عبد الوهاب والمتهم الثالث مصطفى اسماعيل حافظ والمتهم الرابع مصطفى الحراج » (٤) .

لكن أخبار القبض والاعتقال ورغم أنها دليل لا يدحض على استمرار

(١) F.O. - 371 - Egypt And Sudān - File 421/493 - Piece No.

19089

مودعة بالمتحف البريطاني

٢ - الأهرام ٢٤ - ٥ - ١٩٢٥

٣ - الأهرام ١٩ - ٦ - ١٩٣٥

٤ - الأهرام ١٨ - ٤ - ١٩٢٧

النشاط الحزبي فإنها دليل سلبي : بمعنى أنها تمثل أيضاً وفي نفس الوقت قدرة البوليس على ضرب التنظيم الحزبي وزبما كانت - في ذاتها دليلاً - على ضعف هذا التنظيم وعدم كفاءته .

ومن هنا كان البحث المصنئ عن أدلة أخرى أو دلائل أخرى على هذا النشاط الذي لا تعكس لنا صحف هذه الفترة عنه الا أخباراً متقطعة عن الاعتقالات والمحاكمات . .

ومن حسن الحظ أمكن العثور على بعض ملاحظات دونها الرفيق « سبانو » وهو أحد قادة الحزب الشيوعي الإيطالي وقد حضر لمحضر حوالي عام ١٩٣٥ حيث أقام لبعض الوقت هرباً من ملاحقات الحكم الفاشي (١) . ويضم أرشيف اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإيطالي عدة تقارير تتضمن ملاحظات مختصرة ورموزاً وإشارات حول نشاط الشيوعيين المصريين في هذه الفترة وسوف نثبت فيما يلي بعضاً من هذه الإشارات المختصرة ، فهي على اختصارها تقدم دليلاً تاماً على استمرار النشاط الحزبي وعلى قيام تنظيم متماسك ذي قيادة مركزية وفروع مختلفة وقبيرة . على التأثير وسط الحركة العمالية والحركة النقابية وسط التيار اليساري في حزب الوفد . .

ان هذه الملاحظات المختصرة التي أوردها « سبانو » والتي أعين في اختصارها ربما حفاظاً على أمن وسرية العمل ذات دلالة هامة بالرغم من اختصارها .

« سالمون سوربانو » . منتدب في الاسماعيلية كموظف في شركة القنال . نشاطه محدود في الوقت الحاضر وقد « جند » مهندساً فرنسياً في الشركة اسمه كوزناكوفسكى . ثمة بعض اتجاهات طفيفة في آرائه تميل الى القروتسكية .

وهو في سبيله لأثناء مدرسة للاسبرانتو .

شقيقته اوارد احتفظ دائماً باتصالات في بورسعيد . ولكنه حالياً مستقر في القاهرة حيث يدير I.S.C.A (لجنة مكافحة معاداة السامية) التي تضم ١٢٠٠ عضو .

✽ ومن أحسن الرزاق موبز أصغر عائلة ماصاري عمره ١٩ سنة . يتكلم

١ - يقول لاکور - الاتحاد السوفييتي والشرق الاوسط . « أقام سبانو في مصر كلاجئ سياتي منذ قيام الفاشستية » وعاد الى ايطاليا بعد الحرب . المرجع السابق . جاشية ص ٢٢١ .

ويكتب العربية والفرنسية والانجليزية والاسبرائثو . نشيط وشجاع وجريء
له تأثير كبير بين موظفي البلدة .

* أما ادولرد سوريانو فيتميز بنفس الصفات لكنه متقف أكثر من
اللازم . ولا يعرف العربية النصحى .

* أما العشرون رقيقا الاخرون فهم مصريون وموزعون بين الزقازيق
والسويس والتماهرة والاسكندرية .

* من بين هؤلاء الرفاق يوجد : العجوز ، وابناؤه .

* وشيخ من الزقازيق يعمل سكرتيرا للجنة السلام بالمدينة .

* وشيخ آخر هو سكرتير نقابة عمال السكة الحديد بالزقازيق .

* ومدير الشركة التعاونية للاوتوبيس .

* وآخر من اللجنة المركزية للنقابات عباس حليم .

* للحزب لجنة مركزية - من الذي انتخبها ؟ - من ٧ أعضاء من بينهم
« العجوز ابراهيم » من الزقازيق سكرتيرا .

و « الجزائر » الذي اعتبر عضوا لكنه لم يدع أبدا للاجتماعات . واثنان
من المخامين من القاهرة أحدهما يدعى زهير صبري وكلاهما عضو في الوفد
والنقابات الوحدية . ومدير الشركة التعاونية للاوتوبيس واثنين آخرين .

* طرح اقتراح بتوزيع منشورين في المظاهرات الكبرى التي نظمتها
الوفد ولكن « العجوز » رفض .

* وكان هناك استياء كبير في صفوف عمال النقابات الوحدية -
فالاجتماعات قليلة والعمال ليس لهم حق الكلام فيها . ومن ثم وزع
ابراهيم من القاهرة (واضح أنه غير « العجوز ابراهيم » السكرتير وهو من
الزقازيق) منشورا بين الجماهير عن طريق العلاقات الشخصية ، وقد أعيد
نشر هذا المنشور بواسطة النقابات المستقلة للاوتوبيس وكان شعاره الأساسي
حرية الكلام والمبادرة العمالية داخل النقابات ، والانتخابات الديمقراطية
لقيادات النقابات بواسطة مجالس النقابات .

* وقد تلقى ٤ عمال من قيادة الحركة العمالية هذه الشعارات
ثم طلبوا انعقاد اللجنة العليا (يقصد اللجنة الاستشارية العليا للنقابات
التي أسسها الوفد) ولكن « العجوز » اعتبر هذه السياسة متناقضة مع
القيادة .

✳️ وأبراهيم العجوز من الزقازيق رفيق طيب ونشط جدا ولكنه متأثر جدا بحلقة الرفاق السوريين وكذلك بالمحامين الوفديين الذين في القيادة المركزية وجمدوا الحركة .

✳️ مراكز اثل « الجزائر » في بورسعيد . ابراهيم يوسف في القاهرة .
✳️ ابراهيم من القاهرة (الصديق العربي الالماني الذي كان على صلة بعصبة النضال ضد الامبريالية) وقد أحضره الحاج (١) .

✳️ هناك تجمع من الاستقزازيين والعناصر الشيوعية (عزيز ويحيى) يقال انهم كانوا في موسكو . وقد حاولوا الاتصال بلجنة التسليم في الاسكندرية ، ولجنة مكافحة معاداة السامية ، .

والآن فان هذه الملاحظات المختصرة تفتح الباب امامنا لنبحث عن تفاصيل نشاط هذا «الحزب» كما أسماه « سبانو » وعن أعضاء لجنته المركزية السبعة . . وعن « العجوز » السكرتير العام .

وإذا كان من حق المؤرخ أن يطرح بعض الافتراضات فاننا نفترض أن « العجوز » من الزقازيق هو شعبان حافظ فهو الكادر المهم الذي استقر في هذه الفترة بالزقازيق وقد قبض عليه البوليس فعلا في عام ١٩٣٥ بالزقازيق (١) .

لكن الشيء الواضح هو أن هذا « الحزب » كان كيانا ذا قيمة ، فله علاقات هامة بالنقابات والتجمعات العمالية . وكانت له علاقات أيضا بالتجمعات الاجنبية « سوريانو » ولجنة مكافحة معاداة السامية (١٢٠٠ عضو بالقاهرة) وكانت له علاقات أيضا بيسار حزب الوفد والتجمعات الوفدية النيابية والعمالية . .

وإذا كان هذا « الحزب » قد عانى من بعض الذرود والحلقة وعدم الانتعاش على الجماهير فان ذلك طبيعي تماما كرد فعل لكل هذه الضربات البوليسية التي وجهت اليه . .

وكان لهذا الحزب تجمع هام في الاسكندرية لعب دورا عاما في ادارة ملحمة عبد الرحمن فضل والانتصار فيها . وقد أشار اليه محمد دويدار في مناقشة معه .

١ - أشرنا من قبل الى اسم ابراهيم يوسف كأحد اثنين من المصريين كانا يعملان في مجلة العصبة .
١ - الأرقام ١٩ - ٦ - ١٩٣٥ .

د س : ماذا فعلت بعد وصولك الى مصر ؟

د ج : اتصلت بالدكتور حسونة (١) بالاسكندرية الذي ابلغني ان هنا خلايا حزبية وان خلية الاسكندرية قررت استضافتي لمدة اشهر للاستجمام والراحة بعد هذه الفترة الصعبة. وفعلا اتممت في بيت بجليم يملكه الرئيس محمد عمر « عمروف » .

وانضمت الى مجموعة الاسكندرية وكانت تضم د: حسونة - عبد الرحمن فضل - محمد عمر - الشيخ صفوان ابو الفتوح

وبعد ذلك انتقل عبد الرحمن فضل الى القاهرة وقررت أنا أيضا ان اذهب للقاهرة لأبحث عن عمل ، وفي القاهرة انضمت الى المجموعة الحزبية فيها وكانت تضم شعبان حافظ د: عبد الفتاح القاضي - وعبد الرحمن فضل وآخرين .

وبعد ذلك اتصلنا جميعا بهنري كورييل وانضمنا الى تنظيمه « (٢) » .

وبروي د: عبد الفتاح القاضي قصة التقائه هو ومجموعته مع كورييل فيقول :

« ذات يوم عند عودتي لمنزلي اذا باحمد اسماعيل جالس في مطعم زينون ومعه عسكري انجليزي ، وباداني وقدمه لي وكان اسمه سام باردل وكان متزوجا من فتاة اسمها جورجيت على ما اذكر كانت تعمل في مكتبة الميدان التي يمتلكها كورييل (اسمها الصحيح هنريت آربيه) وقد قدم أحمد اسماعيل سام باردل لي على انه عضو في الحزب الانجليزي ، وبعد حديث طويل سألني سام لماذا تعملون متفرقين وأبلغني ان هناك مجموعة أخرى . وتعرفت بكورييل وابتدأنا العمل معه في تنظيم ح م « (٣) » .

١ - اسمه الكامل حسونة حسين اسماعيل وقد تعلم طب الاسنان بالاتحاد السوفيتي . وقد ألف كتابا عن النقابات العمالية في مصر ، - الأخبار - ٧ - ١٩٧٠ .

٢ - راجع محضر النقاش معه بالملاحق .

٣ - راجع النص الكامل - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - المرجع السابق - ص ٢٧٠ .

وهكذا .. وأخيرا وبعد توضيحات - تفوق الوصف - وصعاب ومخاطر
ومطاردات هي من أعنف ما شهدهته مصر ، استطاع هؤلاء الرجال الشجعان ،
أن يسلطوا رأيهم التي حملوها منذ عام ١٩٢٤ إلى الطلائع الجديدة للحركة
الماركسية المصرية في الأربعينيات .

والحقيقة أن كل هذه التوضيحات الغالية وكل هذا التحمل الجاسل
للمشاق والصعاب ليتضاءل أمام روح التواضع وانكار الذات التي دفعت
رجالا كهؤلاء كي يقبلوا عن طيب خاطر تسليم زمام القيادة لآخرين غيرهم .
بينما قنعوا هم بمكان - في القاعة - يواصلون من خلاله النقضال من
أجل بناء مصر الاشتراكية .

العرايبي ناصف - القاضى - جماعة التمسك بالقانونية

قلنا في فصل سابق أن محمود حسنى العرايبي قد نادى عقب خروجه من السجن بالاتجاه الإصلاحى القانونى الذى يطالب بالانسحاب من الكومنترن - عدم اعلان شيوعية الحزب - الاكتفاء بطرح برامج وشيعارات تتماشى مع القانون والدستور بحيث يحافظ الحزب على عليته ذلك من العلنية فى السبيل الوحيد لتحقيق أية دعوة ناجحة . وقد قاوم الحزب هذا الاتجاه ورفضه بشدة وأدى الأمر إلى انسحاب وحيدا .

ذلك أن كسابة المصادر توضح أن أحدا من كوادر الحزب لم يخرج مع العرايبي باستثناء الهامى أمين .

وخير دليل على ذلك أن حسنى العرايبي سميا وراء تنفيذ فكرته لم يجد من يعاونه سوى اثنين من المثقفين اليساريين هما عصام الدين حسنى ناصف والدكتور عبد الفتاح القاضى وكانا بعيدين حتى ذلك الحين عن صفوف الحزب .

والحقيقة أن كلاما كثيرا قد قيل عن حسنى العرايبي . . أول سكرتير عام لأول حزب شيوعى مضرى . وسكرتير عام اتحاد النقابات وأول ممثل للحزب لدى الكومنترن ، والرجل الذى تم على يديه انضمام الحزب للكومنترن .

فلما اختلف مع الحزب وابتعد عن صفوفه حاول أن ينفذ فكرته عن العمل العلنى ، بأن يتحول الى كاتب ينشر أفكاره عن طريق الكتابة فى الصحف وفتح له بعض الصحف أبوابها وبدأت مقالاته تتوالى فى الظهور ابتداء من يناير ١٩٢٧ على صفحات الهلال - المقتطف - الرقيب - الحياة الجديدة . . الخ .

وربما كان انساح المجال بهذه الصورة للعرايبي كي يكتب فى كل هذه المجالات دفعة واحدة نوعا من المؤامرة المحبوكة التى استهدفت اصطياد العرايبي بعيدا عن الحزب وتشجيعه على سياسته الانفصالية ومحاولة إيهامه بأن تحقيق فكرته أمر ممكن . .

ثم بعد ذلك وبعد أن تحقق هدف المؤامرة أوصدت كل الصحف أبوابها فى وجه الرجل . .

لكن الرجل لم يكن يريد بالفعل أن يتخطى تماما عن القضية التي آمن بها .

وربما كان يتصور أن انفصاله عن الحزب لا يعنى انفصاله عن القضايا وهكذا حاول أن يخوض المعركة القانونية من أوسع أبوابها ، باب إصدار الصحف .

واتفق مع عصام الدين ناصف ومع الدكتور عبد الفتاح القاضي إصدار مجلة « روح العصر » .

ويبدو أن تجمع العرابي - ناصف - القاضي لم يكن وليد المصادفة ولم يكن موقوتا بإصدار روح العصر . بل كان سابقا عليها .
فمصام الدين ناصف يقول في محضر تحقيق أمام النيابة أجرى في أبريل ١٩٣١ ما يلي :

« س : هل تعرف محمود حسنى العرابي ؟

ج : نعم أعرفه وهو صاحبي .

س : من أى وقت تصادفه ؟

ج : من بضع سنوات ، (١) .

ومجلة روح العصر صدر عددا الأول في فبراير ١٩٣٠

وثمة شيء آخر يلفت النظر ، ففي نفس الوقت الذي انسحب فيه العرابي من الحزب وهو أواخر عام ١٩٢٦ أو أوائل ١٩٢٧ تصدر اسم عصام ناصف بيانا صادرا من اللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكي المصري .

تقد نشرت كوكب الشرق برقية واردة إليها من هذه اللجنة تقول « اللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكي المصري تحتج بشدة على منسح النائب الشبيوعي البريطاني سكلا تقالا من دخول مصر ، وتعلن أن إضطهاد الحرية الفكرية لا يمكن أن يدل على شجاعة الحكام الذين يخافون من ذبوع الحقائق .
السكرتير - عصام الدين ناصف . »

وتتهمكم « كوكب الشرق » على هذا الحزب الذي « لم يسمع به أحد والذى نعت نعتا شيطانيا » (٢) .

١ - ملف القضية ٢٤٤ كلى ١٩٣١ جنايات الاسكندرية - ص ٢٤ .

٢ - كوكب الشرق - ٨ - ١ - ١٩٢٧ .

لكن المؤكد ان الرجعية المصرية قد كتمت أناس هذه المحاولة بالرغم من تصكها بأهداب العننية ومراعاتها لنصوص التمانون ، وهكذا تغر على العرابي أن ينفذ مشروعه بتأسيس حزب علني فلا بأس من أن يتواضع وأن يكتفي باستخدام الإمكانيات « القانونية » المتاحة . وهي الكتابة في الصحف ولا بأس من التجزؤ فيما بعد واصذار « جريدة »

واعتقد أنه من الضروري أن نستعرض بعضاً من هذه الافكار التي روجها العرابي ومجموعته واعتبروها بديلاً كافياً عن العمل الحزبي السري

وأما في البداية مجموعة مقالات العرابي التي كتبتها فور انسحابه من الحزب . . وهي في مجموعها مقالات أدبية واجتماعية وتاريخية . . تمثل الى حد كبير محاكاة متطورة وذكية لكتابات سلامة موسى التي تستهدف « التنوير » بشكل عام ولتت انظار جمهور القراء الى عديد من الحقائق الاجتماعية والاقتصادية بأسلوب يتمشى مع المذهب العلمي والجدلي

ولنحاول أن نستعرض بسرعة بعض هذه الافكار التي حاول العرابي أن يقدمها لقرائه . وثمة مقال بعنوان « الاكتشاف طليئة الاستعمار » (١) يعرض فيه كتاب السير صموئيل بيكر عن رحلته الى منابع النيل . . وهو ينتهز فرصة عرض الكتاب ليدين الاستعمار ويكشف عن جذوره ويعبئ المشاعر ضده فهو يقدم مؤلف الكتاب قائلاً . . فالسير صموئيل أرسدمقراطي بحكم نشأته ، مستعمر بحكم بيئته ، مسيحي متعصب ناظم على الشرق والشرقيين والاسلام والمسلمين يراه القارئ في كتاباته ينمى على الديمقراطية، ويهزأ بصوت الشعب ويضحك من المساواة ويبرر الاستعمار ويستحسنه . . ويحمل على المصريين والأتراك حملات شعواء بدون مبالاة لفتنا لانظار شعبية الى استغلال وادي النيل . .

لكن العرابي لم يكتف بالهجوم على الاستعمار والمستعمرين فهو يدافع عن حقوق العمال مطالباً لهم بأجور أعلى قائلاً « ان في بلادنا عمالا يجب البحث في شؤونهم والتفكير في سياستهم ولو من الوجهة العلمية البحتة ان لم يكن كذلك من الوجهة الاجتماعية » وانه عن قريب سيظهر لهم أثر في شؤون الدولة وستكون لهم دوائر تنطق عن لسانهم كما حدث في الصين مثلاً ، وان دلائل الامور تدلنا على صحة ماذعنا اليه بالمشاكل التي نسمع

عنها ونقرأها كل يوم بين العمال وأصحاب رؤوس المال في مصر تبذّر
بقرب هذا اليوم .

لكن الرجل لا يريد لكلماته أن تنتهم على أنها دعائية أو تحريص ،
وهو حريص كل الحرص على ذلك فهو يؤكد في مقاله « والذي نريد أن نبخّثه
اليوم في مقالنا ليس مذهباً سياسياً ولكنه نظرية اقتصادية حديثة تلت
المدرسة الحديثة من الاقتصاديين على ضرورة الأخذ بها لصالح العمال
والعامل أو قل لصالح الصناعة والدولة » .

ويعد هذا الإيضاح - الذي يرى العراقي أنه ضروري - يمضى ليشرح
نظرية اقتصادية تطالب بفتح العمال أجراً يوفّر لهم « ضروريات الكفاية »
وليس مجرد « ضروريات الحياة » ويتحدث طويلاً عن نضال العمال الأوروبيين
والمكاسب التي أحرزوها نتيجة لنضالهم المستمر ثم يعرج على مصر قائلاً
« ما زالت أجور العمال عندنا منحطّة لدرجة تكاد تكون تحت مستوى
(ضروريات الحياة) فأجر العامل غير المدرب عشرة قروش تقريباً بينما عدد
الأففس التي يمولها سنة أنفس كما جاء في أحد تقارير جمعية الصنائع -
وأجور البنات والأولاد التي تعمل نحو ١٥ ساعة في اليوم زهيدة جداً
نلا تزيد عن قرشين ونصف قرش . وساعات العمل على العموم عنفنا أطول
منها في كل البلاد المتقدمة . والثقافة معدومة . والمسائل الصحية وغيرها
لم يأت دور التفكير فيها بعد » .

وبعرة أخرى يشعر الرجل أنه بحاجة إلى « إيضاح » موقفه
والى تبرير دفاعه عن العمال بل وإلى دفع شبهة تحمسه للدفاع عنهم فيقول :

« ونحن لا نطلب للعمال شيئاً غيرهم أحق وأقدر على الطلب منا ولكننا
إذا قصدنا من الكتابة شيئاً إنما نقصد أن نلفت أصحاب الصناعات ورجال
السياسة في مصر إلى الضرر الحقيقي الذي يَحِيثُ بالصناعة المصرية وعلى في
مهدمها من اضعاف الانتاج على توالي الأيام بأعمال تحسّن حال العمال
اكتفاء بالربح القريب المؤقت » (١) .

ويستخدم العراقي في مقالاته كل ما لديه من نكاه ليهاجم الحكومة
القائمة في ذلك الحين وليهاجم الاستبداد والاعتداء على حرية الرأي . . . ،
وتحت عنوان يرى « ذلك » الجريمة أسبابها وعلاجها « يشن هجومه العنيف
قائلاً : البيئة التي تنتقل حرية الرأي وتعتدى على الحرية الشخصية خدمة
لبعض أفرادها ، لا بد وأن تبلى بالجمعيات السرية . والمؤامرات تدبر

لتحطيمها في الظلام وتحت الأرض ، والبيئة التي تعمل على انقراض أفرادها
لا بد وأن يكثر فيها اللصوص وقطاع الطريق . . .

بل أنه يوشك أن يقدم نوعاً من « البرنامج » فيقول :

« فلما تدبرت البيئة في العوامل الاقتصادية المحيطة بها لا يمكنها أن
تشمل سير الاجرام ، فمثلاً لو لاحظت إحدى البيئات الزراعية بعض اصلاحات
كجعل ايجار الفدان لا يزيد عن نسبة مخصوصة من قيمة الضريبة كان
تكون مثلاً أربعة أضعاف ، وعملت على اصلاح الاراضى البور والمستنقعات
وتوزيعها بعد اصلاح على فقراء الملاحين ، وقربت بين الثروات بتخفيف
الضريبة على المالك الصغير ، وسن ضرائب على الشركات الكبيرة ، وعممت
التعليم الى غير ذلك : لكان من الصعب على الجريمة أن تجد مثل تلك البيئة
مجالاً لتفليس والتفريخ . »

ثم أما البيئة التي تغض النظر عن الاعتبارات الاقتصادية ، وتكتفي
باضدار القوانين الاستثنائية من وقت لآخر ، وتشيد كل يوم سجنًا وتطلب
اعتمادات جديدة من هيئاتها الديارية لاعمالها السرية فبشر حكامها وسواسها
بتفشي الجريمة وازديادها على مر الايام . وهذه هي الحال في كل البلاد
المستخارة (١)

بل كان العرابي يقصد فعلاً الحديث عن أسباب الجريمة أم أنه
تقرر تحت عنوان برى ، ليقدم أفكاراً وبرنامجاً محدداً .

وأصح أن الاحتمال الثاني هو المرجح .

كذلك فقد شن العرابي في مقالاته هجمات اجتماعية جريئة غاية الجراءة
تناول فيها موضوعات مثل « الزواج الحاضر » الذي وصفه بأنه « بغشاء
مشروع » ، « ليس الزواج عندنا زفاف مجهولة الى مجهول طمعاً في ثروة
أو اطميناء لشهوة ؟ فإذا تزعزت الثروة لسبب ما تزعزت معها أركان

الزوجية ، وإذا أخذت حرارة الشهوة ففترت غلائق الزوجية » (٢)

بل انه يتحدى مشايخ الازهر مطالباً باصلاح جذرى لشؤون الازهر
وتحويله الى كلية للاهوت ويقول « لقد كان الدين في العصور الاولى صناعة
احتكرتها طائفة من الناس فاطفأوا بها شهوة ، ونالوا من وراثتها جاهاً
وسلطاناً ، فسادوا المتعبد ، وأقاموا القصور وقصموا ظهور الشعوب بما كانوا
يجتمونه من كدهم وعرق جبينهم . . . وقد جرى في الاسلام شيء كثير مما

١ - الرقيب ١٩ - ٢ - ١٩٢٨ .

٢ - الحياة الجديدة ١٥ - ١ - ١٩٢٨ .

جرى في المسيحية في القرون الوسطى نجلد المفكرون الاحرار وأحرقت كتبهم
وسجن الأئمة والمجتهدون .

ثم يوجه الهجوم الى «المشايخ» أنفسهم قائلا أنهم « قطعوا حياتهم
الدراسية يرتزقون باسم الذين بما يفتق عليهم من « الجراية » ويعيشون
بعد أن تخرجوا من الدين . والازمريون جيش كبير لوجه به الى عمل
منتج في أعمال الدولة لخطت البلاد خطوة واسعة الى الامام » (١) .

ثم هو - فوق ذلك - يقدم دراسات في تاريخ تطور المجتمعات ونشأتها.
متبعاً نفس الاسلوب الكلاسيكي الذي نهجه الماركسيون القنذامى في
استعراض ما أسماه « تاريخ البشرية المادى » عارضا فكرة ماركس عن
« المادية التاريخية » (٢) .

وثمة سؤال آخر يطرحه العرابى ليجيب عليه « كيف يكتب التاريخ
اليوم ؟ » وهو ينتقد في اجابته المنهج « البرجوازى » في كتابة التاريخ
شارحا وجهة نظر الاشتراكيين في ضرورة أن ينظر المؤرخ الى « الشعوب
نفسها والى المؤثرات الطبيعية فيها والظائرة عليها ، ويحلل عاداتها وأعمالها
ومذنياتها » (٣) .

بل ان مجلة الرقيب تطلب اليه ان يسجل ذكرياته في السجن فتقدمه الى
قرائها قائلة « الرجل الكبير الذمى كالذهب ، لا تذهب بقيمة الخطوب ،
ولا تفل من عزمه الكروب ، فهو لا تبدله النعمى ولا الباساء ، ولا تخيره الايام
السوداء ، فالذهب في القراب ، هو الذهب في أعناق الحسان وصدورهن . ومن
هؤلاء الاصدقاء الكرام الاستاذ حسنى العرابى الذى حوكم كزعيم للشبيوعيين في
مصر ثم أخرج عنه منذ زمن قصير » .

أما العرابى فتقدم الحلقة الاولى من ذكرياته « في الأسر وبعد الاسر »
بعبارة لجول سيمون تقول « فحرية الاعتقاد التى قتل في سبيلها ذلك العدد
العظيم من الشهداء ليست حرية التأكيد الباطنى وإنما هى حرية اعلان الفكر » .

أما الحلقة الثالثة والاخيرة من ذكرياته هذه فتتصدرها عبارة أخرى لجول
سيمون « فيا للشقاء لقانون مكتوب لا يكون صدى لقانون الاخلاق ، وبيا ضيعة

١ - الحياة الجديدة ٢٩ - ١ - ١٩٢٨ .

٢ - المقتطف - مارس ١٩٢٩ .

٣ - الحياة الجديدة ٨ - ١ - ١٩٢٨ .

مجتمع يكون القانون فيه ممالئا للأحزاب لا للمعدل ويقع السيف فيه على رؤوس الشهداء مكان المجرمين» (١)

ولقد تبعدت أن أورد بعضاً من كتابات الرجل لعلها تكون فرصة لنا لتتعرف على أول مسكرتير عام للحزب الشيوعي المصري وعلى أسلوب تفكيره ومستواه الثقافي والفكري، وعلى أية حال فإن الفرصة لم تتح طويلاً أمام الرجل كي يكتب عما ليثب الصحف أن أغلقت أبوابها في وجهه وكان هو كما أسمى نفسه في ذلك الحين « الأسير الطليق » فقد أفرج عنه لكنه خاضع لحكم « الرقابة » يفرض عليه عدم مغادرة منزله بعيد الغروب وعدم مغادرة المدينة التي يقيم فيها « المحلة الكبرى » إلا بأذن خاص من البوليس .

وتنتهى فترة الرقابة . ويصل الرجل لى القاهرة ليبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة « روح العصر » .

و « روح العصر » تمثل خطوة جديدة في نضال جماعة « الإصلاحيين » فهي تعلن عن نفسها صراحة بأنها « جريدة اشتراكية سياسية » وكان من المبتدئ منح ترخيص بإصدار المجلة لحسنى المرابى أو عصام ناصف . فحصل د . عبد الفتاح القاضي على الترخيص باسمه وتولى رئاسة التحرير وصدر العدد الأول في ١٤ فبراير ١٩٣٠ .

وتتمثل الأهمية الأساسية في مجلة « روح العصر » في أنها تكشف لنا بوضوح عن الذى الذى وصل به هؤلاء الرجال الثلاثة بفكرتهم عن « العلية » ، والى أى حد أصبحت « العلية » والتقيدها سبيلاً لترويج أفكار خاطئة وانتهازية من وجهة النظر الماركسية .

فالأفكار التى أمكن لها أن تتردد « علناً » في ظل الظروف السياسية التى سادت مصر عام ١٩٣٠ كانت مجرد أفكار ليبرالية أو تكرار لفاهيم الدولية الثانية .

صحيح أنها تضمنت مقالات بالغة القيمة تتناول الفكرة الاشتراكية بالشرح والتحليل وتجب على كثير من التساؤلات التى تشور حولها . مثل ذلك المسأل القيم الذى نشره عصام الدين ناصف في أول أعداد « روح العصر » بعنوان « ما هى الاشتراكية ؟ » ، ويجيب على السؤال قائلاً :

« الاشتراكية هى نظام اقتصادى واجتماعى يراد به :

١ - مقالات المرابى - المرجع السابق ص ١٦ .

١ - منع الانسان من استعباد الآخرين أو استغلال مجهوداتهم ، فلا يسمح لرجل أن يمتلك مصنعا يستخدم فيه مئات العمال يتحكم في أرواقهم ، ولكن يسمح له بامتلاك منزل صغير لسكنائه .

٢ - منع الأغرار والشركات الرأسمالية من التحكم في كمية المحاصيل الزراعية والصناعية وفي تصدير ثمنها . . . وذلك لا يتأتى الا بجعل وسائل الانتاج ملكا لامة تديرها الحكومة أو المجالس البلدية أو النقابات التعاونية .

٣ - منع الاستعمار والحروب التي تنشأ من الرغبة في الاستعمار . . .

٤ - منع الحروب التي تنشأ من التنافس لتجارى ، فان الحرب العظمى التي قتل فيها ملايين الشبان ممن لا ذنب لهم والتي صرفت فيها الدول ألوف الملايين من الجنديت ، هذه الحروب ينشأ بسبب التنافس التجارى بين الدول . . .

٥ - تقليل تكاليف الانتاج ، فاذا كانت الاراضى الزراعية التي في مصر تستثمر كلها على الطريقة الاشتراكية فان اوابورات الحرث وماكينات الدراس وغيرها تحل محل الجرثا البلدى والنورج - فنقل تكاليف حرث الفدان في المرة الواحدة من ٧٩ قرشا الى ١٥ أو ٢٠ قرشا فقط .

وينشأ من ذلك انه يمكن للزراعة أن تستغنى عن عدد من عمالها فيستعمل بعضهم في بناء منازل صحية للفلاحين وانشاء طرقا جميلة في القرى ومسارح للتمثيل ومدارس ومستشفيات ودور للكتب . . .

٦ - تقليل عدد ساعات العمل . . . وقد خفضت روسيا ساعات العمل الى ٧ ساعات في اليوم . . . والامول اننا نستطيع في ظل النظام الاشتراكي أن نخفض ساعات العمل الى ٤ ساعات في اليوم على الاكثرج حتى نستطيع العامل أن يجد الوقت اللازم لتثقيف ذهنه بالقراءة والحراسة وتربيض جسمه بالالغاب المختلفة ، والشعور بالهناء العائلى وهو يقيم مع عائلته ويلعب أطفاله . . . (١)

وصحيف أيضا أن « روح العصر » قد تعرضت لكثير من القضايا السياسية المحلية متخذة مواقف صحيحة تقف الى جانب الشعب ومصالحه وتدعئ الرجعية ومؤامراتها على هذه المصالح . . . فتحت عنوان « سائس الرجعيين ضد التعلِيم الاِلزَامى » يهاجم د . عبد الفتاح القاضى الحمينة الرجعية التي ترفض التعلِيم الاِلزَامى وتقاومه بحجة أن « السواد الأعظم . . .

١ - روح العصر ١٤ - ٢ - ١٩٣٠

١ - تشجيع صحافتنا الناطقة بلسان حالنا

٢ - ضم صوتنا لصوت اخواننا الاشتراكيين في بلدان العالم وعلى
الاخص العاطفين علينا منهم في الشرق

٣ - مطالبة الحكومة بسرعة اصدار وطيح تشريع العمال - وضرورة
سن قوانين تحميها من عسف المولدين واصحاب الاعمال خصوصا وغالبهم من
الاجانب

٤ - مطالبة الحكومة بمساعدتنا لدى المولدين المصريين في تشجيع العامل
المصرى

ثم يختمتم سيد قنديل مقاله قائلا « فاذا تمنا بما يجب علينا من ذلك
نكون اشتراكيين (مع التحفظ) فما قصدنا من الاشتراكية الا اصلاح حالنا
نحن العمال جميعا . واني وان قلت جميعا فهذا دليل اشتراكيتنا الخالصة من
ما في ظنون محاربينا الذين لا غاية لهم الا استثمار اموالهم باستغلال مجهودنا
وعرقنا . ولئن كنت اخص احدا بكلمتي هذه - وهذا واجبي - فلاخص بها
اخواني العمال المضربين » (١)

لكن « روح العصر » قد فتحت صفحاتها ايضا امام اتجاهات لا تمت
للاشتراكية بصلة وان ادعت الاشتراكية فثمة مقال بتوقيع « احمد المصري »
بعنوان « اشتراكية الدولة - حكومة مصر تسير على نظام اشتراكي » . يتحدث
فيه عن عيوب النظام الفردي ويدعو الى تدخل الدولة في ادارة المشاريع الانتاجية
ويقول : « وحكومة مصر تكاد تكون سائرة على نظام اشتراكي فهي تدبير
السيكك الحديدية باحسن نظام وما هي تدبير البريد والتلغراف . . . » (٢)
ثم مقال آخر لنفس الكاتب بعنوان « محمد علي باشا - يطبق النظام
الاشتراكي في مصر » (٣)

لكن ذلك كله لم يعف « روح العصر » من هجوم عنيف شنته عليها
جريدة « السياسة » واتهمتها بالشيوعية . ويحاول عبد الفتاح القاضي ان ينفى
عن مجلته وعن الجماعة التي تصدرها هذه « التهمة » فيكتب مقالا عنيفا بعنوان
« اجمل ام تجامل - كشف النقاب عن وجه السياسة » يؤكد فيه ان روح
العصر اشتراكية سياسية لا تختلف في لهجتها ولا في ابحاثها عن الدلي
هيرالد » (٤)

- ١ - روح العصر - ١٦-٥-١٩٣٠
- ٢ - روح العصر - ٢٨-٢-١٩٣٠
- ٣ - روح العصر - ١٤-٣-١٩٣٠
- ٤ - روح العصر - ٢٨-٣-١٩٣٠

لكن ذلك ايضا لم يستطع ان ينفذ المجلة من سيف الارهاب واصبحت
حكومة صديقي قرارا بالغاء رخصتها ومنعها نهائيا من الصدور

وهكذا انهار آخر امل للعمل القانوني عند العراقي وتبخرت نظريته
والتي انفصل بسببها عن الحزب تحت بطش ارباب الرجعية المصرية التي لم تكن
بدلتيسمخ حتى يبايعد منبذ امثل روح القصر

وتفرقت الجماعة

عبد الفتاح القاضي سافر الى المانيا للعلاج وحسنى العراقي يهاجر
وهو ايضا الى المانيا ولكنه يهاجر هربا من الضياع والمحاصرة والقتل وانكار
السياسي له

ويروي العراقي في كلمات جزئية قصة سفره والساعات الأخيرة التي
قضتها منجولا في شوارع الاسكندرية احيى بلاد مصر التي نلتها قضيت زهرة
شبابي فيها درست في العباسية الثانوية فيها ضاربت في البورصة
وجمعت عشرات الالوف من الجنيهات فيها بدأت حياتي السياسية وخطبت
في الوقت المناسب

في شوارعها ساعات اشمال الدور والنازل على اصابها ما اصابني
وكلت عليها الايام كما عدت اعلى فكان جوابها ضريحا لا الشوارع
تنظيفة والعمارات جددت شبابها والشمس مشرقة ضاحكة والناس رائحون
غادرون وعلى وجوههم مظاهر المرح والبهجة - اما انا فاسير وحدي كسير القلب
المبيض الجناح لا ياله لي ماز ولا نمازة كان لم يكن لي فيها دولة اعريب
انا ؟ (1)

وهكذا وجد الرجل نفسه فجأة وحيدا بلا أمل فقرر ان يهاجر
زواياها وكنت هجرة العراقي اشهارا جنيدا لاملاس الفكرة الاصلاحية ولقد
رطالفتني في فضول رغباتي كيف ميّنت الرجعية المصرية بصلفها وتعنتها البات
امام اية دعوة اصلاحية ولقد كان على العراقي ان يدرك منذ البداية ان الذين
رفضوا بل وقاموا الدعوات الاصلاحية لعبد الرحمن فهمي واسماعيل مظهر
كان من الضروري والحتمي ان يرفضوا دعوة صادرة منه بالذات

١ - محمود حسيني العراقي ٧-٨٩٦ شهرها في المنفى - مطبعة التوكل -
القاهرة (١٩٤٨) - ص ٧ - ٧٦١ - ١٠٠ - ١٠٠ - ١٠٠

وعلى أية حال لقد هاجز الرجل وأقام في ألمانيا شهوراً طويلة ثم جرد خلالها من جنسيته بمرسوم ملكي . وفي برلين عانى الرجل كما روي في مذكراته الكثير من التشريد والجوع والحرمان . ثم عاد إلى مصر .

وهنا نشور تساؤلات عديدة حول عودة الرجل ، وحول مدى تورطه في «الإقعة مع النازي» . ويؤكد الدكتور محمد انيس ان العرابي قد انتهى به الامر الى ان اصبح من دعاة الفاشية الألمانية (١) .

لكن انشيء المؤكد ان الرجل قد عاد بواسطة حسن نشأت باشا . والعرابي لا يخفى ذلك فهو يقول « فجددت مسعاى لدى الحكومة المصرية ، وكان وزير مدير المنفوس في برلين في ذلك الوقت الرجل اللمعى » . «حسن باشا نشأت» (٢) .

ويقول عصام الدين ناصف ان حسن نشأت اعاد العرابي من ألمانيا خذمه . لانجيز حتى لا يستخدمه الالمان كيقوق لهم اذا ما قامت الحرب .

وعلى اية حال - لقد عاد حسن العرابي ليبدأ أصدقائه التذلمى في ينبتوا من ايجاد أى سبيل لتنفيذ افكاره الاصلاحية عن العمل العلنى وليجد انهم قد اجاؤا الى العمل السرى .

وعندما هاجر العرابي والقاضى لم يثبت في ميدان « العننية » الا عصام ناصف الذى اصدر عديدا من الكتب واسهم في تحرير عشرات المجلات . وشارك عباس حليم عمله وسط العمال محاولا جهد طاقته ان يكسب هذا العمل طابعا ثوريا .

وقد تصيد عصام ناصف كل نزعة « اصلاحية » يحاول جاهدا ان ينفخ فيها بعض الروح دون جدوى .

وهكذا وبعد ان اصدر العديد من الكتب وبعد ان كتب عشرات بل مئات المقالات في صحف عديدة ابتداء من « الاهرام » و « كوكب الشرق » و « الوادى » و « المقتطف » و « المجلة الجديدة » و « العضور » و « السياسة » الى مجلات

٧ - د . محمد انيس - الحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار الاوروبى . سلسلة محاضرات المعهد العالى للدراسات الاشتراكية - مطبوعة بالرونديو .

٨ - لا زالت شخصية حسن نشأت لغزا يحير الباحثين في تاريخ هيذه الفترة . فقد كان سفيرا لمصر في برلين حتى قبل اعلان الحرب العالمية الثانية . وقد اكد هو اكثر من مرة انه قام بالوساطة بين ألمانيا وانجلترا وانه حمل قبل اشتعال الحرب رسالة من هتلر الى تسمبرلين . وكان نشأت يؤكد في احاديثه الخاصة انه كان صديقا شخصيا لهملر وجورنج وكان يخرج معهما كثيرا للصيد ومن سنارة مصر في برلين الى سفارة مصر في لندن انتقل حسن نشأت ليعمل سفيرا في لندن طوال الحرب الامر الذى يوحى برضاء الانجليز عنه .

ربما لم يسمع عنها أحد مثل « شبرا » (**) و « الشباع » و « المصرية » الخ
 وبعد ان تحالفت مع كل دعوة اصلاحية مع اسماعيل مظهر وعياش حليم
 والتجمعات المناهضة للفاشية والتجمعات المعادية للحرب بعد ذلك كله عاد
 عصام ناصف والقاضي مما ليقينها انه ما من سبيل الا لعمل السري
 ويعود الغرابي الى مصر فيجد ان آخر نرسان و الاصلاحية والعنيفة قد
 نخلت عن تلك الفكرة القديمة التي تزعمها ، وانه قد شرع بالفعل في تكوين
 تنظيم سري ، وشارك حسين العرابي معهم في هذا التنظيم السري ثم ما لبث ان انفض
 عنهم بعيد ان اكتشفوا ميوله النازية ، فمار ان اجتاح جيش هتلر اراضي روسيا
 وبدا البعض ان روسيل قد هزمت حتى يسارع العرابي مطالبا بالتنظيم بتأييد
 المانيا ولما رفضت المجموعة انفصل عنها واخذ في الاستعداد لملاقاة جيش
 روسيل ، بل ويقال انه كون حكومة ظل استعدادا لوصول روسيل (١)

اما بقية المجموعة فقد التفتت من جديد مع مجموعة الحزب بالقاهرة وعملوا
 معا (٢)
 وهكذا وبعد ، رحلة طويلة ، استغرقت سنوات عديدة وجهود ضخمة ،
 كتب ومقالات ومجلات وقضايا وسجون ، ومناورات ومجاورات مع الاصلاحيين
 بعد ذلك كله عاد دعاة الاصلاحية والعمل القانوني من جديد ليمتلوا في نفس
 الصفوف التي ابتغوا عنها منذ ١٩٢٧ ، وربما كانت عودتهم هذه كافية بذاتها لاثبات صحة خط الحزب في تمسكه
 بضرورة العمل السري في مواجهة العنف الرجعي المتشدد وبالتمسك بالنظرية
 الماركسية كاملة في مواجهة دعاوى التحلل والتساهل النظري

مجلة شبرا : اصدرها محمد عبد الحميد عبد الله المحامي لتعبر عن
 مشاكن حتى شبرا ثم وقد صدر عددها الاول في ٢٥ مارس ١٩٢٧ وابتداء من
 العدد الثاني الصادر في اول ابريل ١٩٢٧ بدأ عصام الدين ناصف بالكتابة فيها
 باعتباره من ابناء حى شبرا ، وبالتدريج تحولت المجلة الى منبر للدفاع عن حقوق
 العمال وتوالت مقالات عصام الدين غيرها ومن بينها مقالات الاشتراكية
 والاسلام (١٥-٤-١٩٢٧) ، علامة الاشتراكية بالذات بالاجتماعية
 الاخرى (٢٩-٤-١٩٢٧) وابتداء من ٢٦ اغسطس سنة ١٩٢٧ صدرت مجلة شبرا
 في حجم جديد مغلقة في صفحاتها الاولى انها للشبان العمال على مبادئ الزعيم
 عياش حليم ، راجع محضر النقاش مع عبد الفتاح القاضي ، تاريخ الحركة
 الاشتراكية في مصر = المرجع السابق = ص ٢٧ ، راجع محضر النقاش مع محمد دويدار بالتحقيق في تاريخ الحركة
 الاشتراكية في مصر = المرجع السابق = ص ٢٧ ، راجع محضر النقاش مع محمد دويدار بالتحقيق في تاريخ الحركة

جورج حنين - رمسيس يونان - أنور كامل

هل الفن وحده يكفي ؟

كانت الثلاثينيات تقترب من منتصفها أو تتخطاه بقليل . وكانت جماعات المثقفين المصريين تقترب من حافة التوهم . كانوا يختارون أن يفهموا وأن يتمعنوا الفهم . وأن يحاولوا الاقتراب من قضايا المجتمع وتفهمها والاشتراك في عملية المواجهة الاجتماعية الصاخبة .

وبعض هؤلاء كانت معرفتهم بالثقافة الأجنبية نتيجة لنشأة اجتماعية مدمية أو لفرصة التعلم في مدارس أجنبية. تشدهم نحو المزيد من « التغريب » . والانغماس في النقاش الفكرى لصاحب حول المدارس والاتجاهات الفكرية التي تموج بها أوروبا .

وبعض هؤلاء تلامس أو تواجد مع الأدبية الأجنبية الطابع والمحتوى محتفيا أما بوضعه الاجتماعى الرافى ، أو باتقانه اللغة الفرنسية ، لغة هذه الأدبية .

والبعض استمد من هذا التلامس اقترابا من الوعى الاجتماعى . أقول لتتربا وليس تفهما ولا ادراكا .

سئل واحد من هؤلاء « هو أنور كامل لماذا ارتبط نشاطكم بالفن ؟ » فقال (١) :

« لا يمكن تخيل حركة سياسية بدون ثقافة ، السياسة بدون ثقافة تتحول الى محاولات جافة ، وهذا خطر على العمل الثورى . حركة سياسية بدون ثقافة يمكن أن تؤدى الى فشل أو الى ديكتاتورية . والحقيقة ان العديد من الكوادر اليسارية المصرية لم تكن على قدر كاف من الثقافة . ربما كان البعض يعرف الكثير عن الماركسية : لكن الماركسية وحدها ليست ثقافة . وربما فشلنا كحركة يسارية لاننا لم نوفر لأنفسنا قبرا كافيا من الثقافة قبل أن نحوض غمار تأسيس حركة جماهيرية . »

١ - محضر نقاش أجرته الباحثة الامريكية سيلما بوتمان مع أنور كامل فى ٤ أبريل ١٩٨٠ - المحضر مدون باللغة الكاتبة الانجليزية .

وعندما يسأل عن العلاقة بين السيريلية والسياسة يقول
 السيريلية ترتبط بتزويد وبالإعلام ، والحلم هو الرغبة في تحقيق الاماني
 وكانت امانينا مقبورة ، وعبر الفن السيريلي كنا نعبر عن امانينا المقبورة .
 ومن هذه الزاوية يمكنني ان اعتبر السيريلية حركة ثورية ، ولقد انضم
 الى الحركة السيريلية المصرية يوسف العفيفي وكامل التلخستاني ، ورمسيس
 يونان ، فتحى البكرى ، فؤاد كامل ، ابو خليل لطفي ، وفي معارضنا كنا
 نعد كتالوجات برسوم وقصائد ثورية ، وفي مجال الشعر كان كلا من
 جورج حنين وكائتروفتش يمارسان اداء ثوريا ، فقد كان محيزود يتصير
 الاطيار التقليدي للشعر ، عملا ثوريا . وهذا بذاته سياسية غلبت السياسة
 مجرد معادلة ضيقة الافق ، ولكن عبر يدفة عن مغزى افكارى فائض
 اقرب مثلا ان ١٠٠٠ لا يمكنها ان لا ، وان تكون ارايا ان تكون واحد كبير
 لقد نتت من البداية ماركسى حر ، بلا دوجما ، فإى شئ يتحول الى دوجما
 ينتجها

ولعل القارئ ينتظر تعقبا لمنى ، لكنى اهمته حتى اتابع منه
 بعض افتتاز هذه المجموعة كنت جورج حنين الشارح الاوّل لهذه الجماعة مقالا
 بالفرنسية) في مجلة Un Effort بعنوان قاموس للاستخدام الليرجوازي
 وقد نشر المقال مصحوبا برسوم كاريكاتورية لكامل الديب . مقدم القاموس
 التالي

فوضى = انتصار الروح على اليقين

في الخصلة تنبؤية

كرامة = افتراض جاهز لايام الاستقبال

امرأة شريفة = احتكار جنسى

فكرة = لعبة لا تفكر ، محانية واجيانا فائلة

شريفه = لجام المشعوب

الانا = الشئ الاكثر اهمية في العالم

شريفه = اكبر منزلة معترف بها رسميا

عمل = كل شئ لا ترتع في فعله

وقد اثار هذا القاموس استياء ودهشة دفعت جريدة البورص
 اجيبسيان ، الى ان تعلق عليه قائلا : انه كلام شياطين يمكن بطلب ميت وروح
 جامدة ، فرد حنين على كاتبه القيل قائلا : ناكدي من فضلك ان ندالك

المهتز يمثل هذه الاحتجاجات العنيفة ضد وصالتي ولم يهزنى لقد كان هؤلاء المتوحشون الديمويون بالتصديد في طريق الغرق في الوحل ، عتقتهما وضلت رسالتك لتتقدم من ممارسة مهامهم (١)

••••• وبلا تعليق ، فتوقف أما شبان يتكلمون الفرنسية ويتجادلون بها ••••• غارسهم الانيق يقول ان الأنا د هي الشيء الأكثر أهمية في العالم ، ••••• حواراتهم المعقدة قد تشغل بالهم وحدهم وبال أمثالهم من المتكلمين لكنها على أية لا تصل ولا يمكن أن تفهم من جانب الكثير من المصريين فما بالك بالطبقة العاملة ••••• ؟؟

ولكن أولا وقبل أى تحليل أو استطلاع من هم هؤلاء الناس ؟

* جورج حنين :

ولد في ٢٠ نوفمبر ١٩١٤ لاب دبلوماسي هو صائق حنين باشا ••••• الاب مصري قبطي والام ايطالية تسمى ماري زانلي • كان ارستقراطيا الى الدرجة التي منعته من الذهاب الى المدرسة ، فبعد تولى مربي خاص تعليمه حتى سن الثانية عشرة ••• وفي عام ١٩٢٤ عين والده سفيرا لمصر في هدريد فصحبه جورج والمترس الخاص • وهناك فقط تعلم جورج اللغة العربية •••

وفي عام ١٩٢٦ عين والده سفيرا لمصر في روما فانتقل معه جورج حيث التحق بمدرسة سانتوريان الثانوية ، ثم انتقل مع أمه الى باريس ••• والتحق بعد ذلك بالسوربون حيث حصل على ثلاث شهادات ليسانس ••• واحدة في الحقوق والاخرى في الآداب والثالثة في التاريخ •••

وقد استقر بالقاهرة ابتداء من ١٩٢٩ (٢)

وقبل ذلك التاريخ كان جورج حنين في فترات انتقاله للقاهرة يمارس نشاطا ثقافيا ملحوظا ••• ومنذ عام ١٩٣٣ التحق بجامعة الجاولين وكان سكرتيرها جابرييل بقطر ••• وكانت تصدر مجلة شهرية باللغة الفرنسية اسمها Un Effort وتصف نفسها بأنها « المجلة الوحيدة النزيهة في مصر ، ولها مركز الفكر الحر » (٢)

1 Alexandrian - Georges Henien - Editions Seghers - Paris (1981) P.14

٢ - مزيد من التفاصيل راجع : سفر غريب - السيرالية في مصر - الهيئة المصرية للامامة للكتاب (١٩٨٦) - ص ١٢

٣ - المرجع السابق • ص ١٣

يونان كنبأه مقيم. وقد ثوقت نشاط هذه الجماعة عام ١٩٢٩ بعد أن أقامت معرضين جماعيين في عامي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ وقد شارك رمسيس يونان في المعرض الأخير (١).

* أنور كامل :

• لم يكن من بين أعضاء جماعة المحاولين ، كانت علاقتي بهم ضعيفة جدا ، ولم تتعد سوى زيارتين أو ثلاثة ، لكنني لم أشعر بالتحرة على الاندماج معهم .

ولكن يبرز اسم أنور كامل فجأة في ١٩٢٦ حيث أصدر كتابا اتخذ عنوانا غريبا هو « الكتاب النبوذ » هذا الكتاب الذي لم يطبع منه سوى ٢٥٠ نسخة فقط أثار ضجة كبيرة فقد تحدث عن مسألة الحرية الجنسية ، وتلمس أيضا - كما يقول صاحبه - بعض الجوانب الاجتماعية . لكن الكتاب - وربما لأسباب أخلاقية - صودر بقرار من الحكومة .

ومن خلال الضجة التي أحدثها كتاب تحدث عن الحرية الجنسية وطبع منه ٢٥٠ نسخة فقط صودر معظمها . • توجهت بعض الأنظار من هذا النمط من المثقفين نحو أنور كامل . • ويمضى هو قائلا :

« كان معي أخى عزاد كامل - كامل التلمساني - أحمد رشدي ونعيم جبالا وهو رسام تشكيلي يهوى الموسيقى وأسس جمعية الجراففون . • وكونا معا « جمعية النبوذيين » واتخذنا شقة صغيرة كمقر لجمعيتنا . • حيث كنا نجتمع لنتداول في همومنا ، لكننا على أية حال كنا بغير نفوذ ، ولم يكن لنا أي نشاط سياسي » (٢) .

• لتتوقف قليلا لنجمع أطراف الموضوع . • ولنورد أسماء الجماعات والجمعيات والاتدية التي تتأثرت بكثرة غريبة في أنشطة هؤلاء الثلاثة . • وبرغم اعترافهم جميعا بالعزلة عن الجماهير ، وانها كانت جماعات محدودة في اطار محدود ، هو صفة المثقفين .

المحاولين - جماعة الدعاية الفنية - صالون القاهرة - جمعية محبي الفنون الجميلة - جمعية الجراففون - جمعية النبوذيين . •

• ونواصل متابحة مسار هؤلاء الثلاثة . • نعم لم يكونوا وحدهم ، لكنهم كانوا في عزلة مهما تكاثروا ، تعزلهم مواقفهم المتعالية على مشكلات

١ - المجلة - فبراير ١٩٦٧ - مقال لصبحي الشاروني بعنوان « الثقبانة والتمرد ورمسيس يونان » .

٢ - محضر نقاش أجرته سيلما بوتمان - المرجع السابق . وأيضا محضر نقاش مع المؤلف - بالملاحق .

الجماعير . والتي لا تتلمس مزاج وطن مستعمر ومستعبد وشعب فقير
فقرا بلا حدود وهم مُتغصنون في أحاديث مخدبة مهما كانت برفاعة عن الفن
والآداب ، وبهجة متفلسفة ومتعالية ، وبلغت فرنسية في غالب الأحيان .

وتعزلهم النزعة المترفعة عن الجماعير ومنظلماتها ، وأدواتها التخماهيرية
••••• فتألمات ، اتحادات ، تجمعات عشوية وطبقية . . . والايكيباء داخل
المخاولين وجمعية الجرامفون ، وصالون الشاهزة ، الخ . . .

وتعزلهم وهذا هو الاخطر النزعة التروتسكية الواضحة التي غلفت ايسه
محاولة لتسييس مواقفهم المتباعدة عن الجماعير . بضباب غير مختل
فهم ضد النازية وهم ضد الرأسمالية وهم ضد الاستعمار وهم أيضا ضد الاتحاد
السوفييتي . . . مع من هم ؟ هذا السؤال تردد كثيرا وهو يحيط عزلتهم القاسية
بغموض من الشكوك والتوجسات وكم كان صعبا . . . شرح الذكرة التروتسكية
مضافا اليها كل هذا التفلسف المنهجي والتعميق اللغوي ، والانحرال الفكرى

••••• يقول انور . كابل « الحقيقة اننا لم نتعلم من أية معلومات سابقة
أو مصادر أقدم ، ولم تكن لدينا أية خبرة تنظيمية ، كانت لدينا أفكار
••••• ولكن لا معرفة بالتطبيق ولا خبرة في الممارسة » (١)

وإذا كان انور كابل ينفي عن نفسه الانتماء للتروتسكية فإنه يؤكد أن
جورج حنين ولطف الله نديمان كانا كذلك . . . الحقيقة اننا كنا في بداية
الطريق للدراسة النظرية ، كنا يساريين ، ولكن لم تنتج لنا فرصة قرآنية
أفكار ستالين وأفكار تروتسكي والمفاضلة بينهما . . . لكنني متأكد أن
جورج حنين وقد كان أكثر اطلاعا كان له موقف محدد هو ولطف الله نديمان
وأعتقد أنهما كانا تروتسكيين » (٢)

وثمة تأكيدات على انتماء جورج حنين المبكر للتروتسكية ، فقد حرص
على الاستمرار في مراسلة المجلة التروتسكية الفرنسية Les Humbles التي
كان يحررها التروتسكي الفرنسي - موريش ويلين . . . وفي عدد يونيو ١٩٣٥ من
هذه المجلة نجد مقالا عنينا لجورج حنين بعنوان « أغنيات رجال العنف »
يطلب فيها البروليتاريا بالدورة . . . ويأقضى عنف ضد الرأسمالية (٣)

وفي أعداد لاحقة من ذات المجلة هاجم حنين ستالين بشدة ، وهاجم
رومان زولان متهما لياه بأنه مجرد عميل لستالين . . . وفي مايو ١٩٣٦ نشرت

١ - محضر نقاش أجرته سليما بوتمان - المرجع السابق
٢ - محضر نقاش أجراه المؤلف - بالملاحق - المرجع السابق
3. Les Humbles - Juin 1935

له المجلة نفسها مقالا بعنوان « احياء لذكرى الثابتون على مواقفهم » اهتم فيه رومان رولان بأنه « مدير عام لا وعى اليسار » (١) .
ومن القاهرة أرسل جورج حنين سلسلة من التصانيد الى هذه المجلة يتابع فيها محاكمات موسكو ويهاجم ستالين بشدة . . . وثمة تصانيد بعنوان « عاشت كاتالونيا » - و « لو انهم يشنقوه » و « مشروع اثر دولي » (٢) .
و اذا كانت التروتسكية سمة مشتركة ، فثمة مشترك آخر هو للانتماء ل«مدرسة » السيربيالية .

فى عام ١٩٢٧ ألقى جورج حنين محاضرة في القاهرة حاول ان يشرح فيها للمثقفين المحيطين به « السيربيالية » و«المادة أصبح يتأسس جمعية « الجماعة السيربيالية المصرية » وانضم اليه كالعادة أيضا ذات الاصدقاء المخدودى العدد الذين ينضمون الى أية جمعية من هذا القبيل « الشاعر ادهون جابى ، الصحفي ايميل سيمون ، الرسامين كامل القلمسانى ، وانجلو دى ريز ورمسيس يونان » .

وكان عام ١٩٢٨ عام الانطلاق لهذه المجموعة .
جورج حنين أصدر أول دواوينه بالفرنسية « لا معقولة الوجود » مزينا برسوم كامل القلمسانى . ورمسيس يونان أصدر عن طريق جماعة الدعاية الفنية كتابا تنجز كفضيلة في ميدان الثقافة المصرية عنوانه « غاية لنشام العصرى » .

وفي نهاية العام بدأ أول عمل جماهيرى للمجموعة فاصدرت منشورا باللغتين العربية والفرنسية بعنوان « يخيا الفن المنحط » يهاجم منح هتلر للفن انتشكيلي الحديث بحجة أنه فن منحط . . . وقد وقع البيان ٤٠ من المثقفين منهم جورج حنين - رمسيس يونان - كامل القلمسانى - فؤاد كامل - أنور كامل - سلامة موسى - وعلى ظهر المنشور طبعت صورة « جرنيكسا » لنيكاستو .

و يكون الامر الآن أكثر وضحا يعلمن جورج حنين رسميا تأسيس جماعة « الفن والحرية » في ٩ يناير ١٩٢٩ - ويعلن قانونها الاساسى من مادتين :

١ - « المادة الأولى : تكونت في يوم ٩ يناير ١٩٢٩ جماعة باسم « الفن والحرية » للاغراض الاتية :

1 Les Hambley — Maie 1936 .

٢ - لمزيد من التفاصيل راجع : « شمير » مغرب - المرجع السابق - ص ١٧

١ - الدفاع عن حرية الفن والثقافة
ب - نشر المؤلفات الحديثة ، والقاء محاضرات ، وكتابة خلاصات من
كبار المفكرين في العصر الحديث
ج - ايقاف الشبياب المصري على الحركات الأدبية والفنية والاجتماعية
في العالم

المادة الثانية : تمثل الجماعة لجنة دائمة تنتخب ونقلا للقيادون
الداخلي - مقر الجماعة بشارع المدايح ٢٨ - القاهرة (١)

وأصدرت جماعة الفن والحرية نشرة مطبوعة بالرونيو على
غلافها رسم تشكيلي بتوقيع التلمساني

وفي العدد الثاني، والآخر من هذه النشرة يكتب جورج حنين (بالفرنسية
أيضا) : إن هدفنا ليس تغيير الرغبة ، بل تغيير المجتمع ، وتكديفه مع
رغباتنا ، ولا يمكن للفن أن يكون عاطفيا فقط ، فهو ضد النظام القائم ،
و ضد الطبقة الحاكمة ، و ضد الخنوع ، و ضد الورع البوذي ، فالفن ليس
سوى معمل بارود (٢)

ومع استعمال الحرب العالمية الثانية يستقر جورج حنين نهائيا
في القاهرة ليغادرها نهائيا أيضا بعد الحرب مباشرة

وفي عام ١٩٢٩ يسهم جورج في اصدار مجلة انازت لغضا شديدا فلما
بمدى هي « دون كيشوت » واللفظ مصدره أنه هو وهنري كوربيل أسهما في
اصدارها وفشلا في اقتسامها فجورج أراد أن ينجريها منحى تروتسكي ورفض
كوربيل وتوقفت المجلة . لكن ظلال « دون كيشوت » ظلت تلاحق كوربيل
لفترة من الوقت واستخدمها خصومه وهم كثيرون .

لكن متابعة أعداد دون كيشوت تؤكد ان صراعا مريرا دار بداخلها وأن
هنري كوربيل قد أثار غضب التروتسكيين على جورج حنين فقد كان صوت
كوربيل هو الاعلى بينما صوت التروتسكية يوشك الا يظهر . والا يلتمس ،
وهن تاريس أرسل هنري كاليه (تروتسكي فرنسي) الى جورج حنين يعتمفه
« ان اليسول في هذه المجلة مضطربة جدا ، والصفحات متناقضة ، وانت تخاطر
بضياعك فيها . ربما كان انهزادك بمجلة صغيرة أفضل بالنسبة لك ، ان
ميتالاتك هي وحدها ذات المستوى . انها مجلة مخلية جدا ، وطفولية . »

١ - التطور - العدد الاول - يناير ١٩٤٠

٢ - الفن والحرية - نشرة مطبوعة بالرونيو - العدد الثاني

٠٠ وتوقف المجلة بعد أربعة أشهر لتعذر قراءها انها ستصدر شهرية بعد أن انقرد بها جورج حنين ، لكنه يعجز عن اصدارها ٠٠

لكننا اختتمنا قصة « دون كيشوت » دون أن نبدأها . فكيف بدأت ؟

٠٠ في ديسمبر ١٩٣٩ تجمعت مجموعة من اليساريين المصريين والاجانب (والأغلبية أجنبية) واستأجرت رخصة مجلة تصدر بالفرنسية كانت متخصصة في سباق الخيل اسمها « دون كيشوت » وأعلنت المجلة عن نفسها كما يلي :

« دون كيشوت » « أسبوعية » اخبارية ، يحررها الشباب ، صاحبها امثول ادوارد الشدياق ، رئيس تحريرها هنري كورييل تصدر كل خميس - مقرها ١٦ شارع الجنيبة « ثم « نحن نناضل ضد الفوارق الطبقية ، والمغالطة التاريخية ، والتساهل ، والممارسة التي لا يمارسها الناس بحرية ، نناضل ضد كل التلغيمات وكل الكلمات المستترة » (١) .

وقد شارك في تحرير دون كيشوت كلا من هنري رومانى - مارسيل بياجيني - جوفارنا - اديت جاف - الكسندر باسكال - هنري كاليه - ايزاك هرارى - ادوارد ليفى ٠٠ وكان كامل التلمسانى يشرف على توضييبها ويرسم القصص والقصائد المنشورة بالاضافة الى مقالاته عن الفن المصرى .

وكانت دون كيشوت تصدر في ست أو ثمانى صفحات خصصت للصفحة الأولى للسياسة المطية والعالمية والثانية للموضوعات الادبية والفنية ، والصفحة الثالثة بعنوان « عروض حية » وتنتشر فيها موضوعات متنوعة وكانت الصفحتان الرابعة والخامسة مخصصتان لسباق الخيل ذلك لان رخصة الجريدة كانت صادرة على أنها جريدة لسباق الخيل ٠٠

٠٠ وكان الاتجاه العام للجريدة بيناريا معاديا للنظام الملكى ومدافعا عن العمال والفلاحين ٠٠ وقد نشرت المجلة في أحد أعدادها قصة لتوفيق الحكيم ترجمها ادوارد الشدياق بعنوان « تابع الموت » وصحبها رسم لكامل التلمسانى (٢) .

وسرعان ما تفرقت السبل ٠٠ هنري كورييل رافضا للتروتسكية ، ورافضا وطن المثقفين ، وتلمسا الطريق نحو الفهم والنهمل الماركسى ٠٠

1 Don Quichotte — 15-3-1940

2 Don Quichotte — 11-1-1940

ترك دون كيموت، وأسس التبادي الديمقراطي ثم الحركة المصرية للتحرير
الوطني

أما جورج حنين فقد ظل مؤشبتا بتروستكيتها، منشبتا معها بالاكتماء
بالبين كعطل بارود. فهل كان الفن وحده رودون فضال جماهيري كافيا
وحده ليصبح معملا طبقيًا للبارود. يجيب على هذا واحد من زملاء جورج
حنين هو أنور كامل يقول: «لكن نكرا هكذا، لم يكن من الممكن أن يظهر وأن
يتطور إلا من خلال تنظيم سياسي» ولكن جورج حنين لم يكون تنظيميا
سياسيا، وأريد أن أشير إلى أن ارتباط هذه الموجة اليسارية بالفن والفنانين
بند أعاق تحولها إلى تنظيم، والفنانين عادة يحبون الدردشة، لكنهم لا يقبلون
بسهولة الخضوع لتقويم التنظيم» (1).
وفارق كينز، بل هو شائعة بين الدردشة وبين متطلبات الصراع
الطبقى

المختصين نقاش مع أنور كامل أجراه المؤلف - بالملاحق - (المرجع
السابق)

بعض القضايا الايديولوجية

في بعض الاحيان ، يصبح الموقف الايديولوجي عنصرا حاسما في تكوين الصورة العامة لأي حزب سياسي .

وثمة قضايا فكرية - معرنية - نكتسب أهمية خاصة بحيث يصبح الموقف تجاهها العامل الفعال في تحديد مستقبل الحزب والحكم عليه .

ولقد تنطليء الكثير من البطولات والتضحيات والنجاحات الباهرة امام وهج موقف أيديولوجي خاطئ .

وفي تاريخ - الرفاق المصريين - عدد من المواقف الايديولوجية الفاصلة ، لعلها حددت الى درجة كبيرة مسار انطلاقهم العام ، بل لعلها تركت بصماتها على جميع التقييمات التي قدمت حول دورهم .

ولعله من حقنا ، ومن حق هذه الكواكب ، أن نلقى بعض الضوء على عدد من المواقف الايديولوجية الهامة .

ذلك أن بعضها رغم أهميته القصوى - غير معروف - بل وربما تداول الكتاب اثنائها توحى بنقيضه مثل موقف الحزب من الصهيونية وقضية فلسطين . وبعضها الآخر يتطلب النظر اليه في اطار التاثير بالموقف العام للحركة الصهيونية العالمية التي كانت تمارس في ذلك الحين تأثيرا حاسما وغاطعا على الاحزاب في مختلف بلدان العالم . وفي اطار الفكر الماركسي الامالي الذي سادت فيه الاتجاهات الستالينية بصورة لا تقبل المعارضة ولا الانتقاد . مثل الموقف من البرجوازية الوطنية في المستعمرات والبلدان التابعة .

ولنبدا بموقف حقق فيه - الرفاق المصريون - نجاحا حقيقيا ومهما صحيحا لوضع الامة العربية واستبصارا ذكيا بقضايا مستقبلها وهو الموقف من الحركة الصهيونية .

فالحزب الذي حورب دوما بتهمة أن لليهود نفوذ كبير وسط صفوفه وأن للاجانب اليد الطولى في أعماله ، هذا الحزب كان أول الاحزاب المصرية التي أدركت خطر الصهيونية وأعلنت عليها حربا لا هوادة فيها .

وفي الوقت الذي كانت فيه صحف الأحزاب البرجوازية المصرية تنشر المقالات عن النشاط «الخيري» للحركة الصهيونية وعن أعمالها الجيدة لتعمير فلسطين كانت جريدة «الحساب» تتصدى - وربما على انفراد - لكشف الصهيونية وادانة مظامعها في فلسطين ولفضحها كخليف للاستعمار.

وتحت عنوان «بلفور يزور ضحيته» وفلسطين تقابله بالاضراب العام» كتبت «الحساب» تقول «احتفل الصهيونيون في فلسطين بتأسيس جامعتهم العبرية يوم أول أبريل الجاري فدعوا لحضور احتفالهم ذلك نخبة رجالهم وجميع الذين يعطفون على قضيتهم ويساعدونهم في عملهم الاستعماري وكان في مقدمة الدعويين اللورد بلفور صاحب التصريح المشهور الذي أصدره باسم الحكومة الإنجليزية... والذي بهووجة أعطت انجلترا فلسطين لليهود الصهيونيين رغم ارادة سكانها وضد كل شرع وعرف وقانون»

وقد لبي بلفور الدعوة فتقابلته السكان في كل مكان حل فيه بجميع الوسائل التي تعبر عن سخطهم وغضبهم واشتمزازهم من زيارته التي تشبه زيارة القاتل لآل القتيل، والمعتدى لضحيته»

نقد أعلن أهل فلسطين الاضراب العام بمناسبة وصول بلفور الى بلادهم فاعتلقت المتاجر والمصانع والورش وحوانيت البقالة ووقفت السيارات وعربات الركوب وعربات النقل، وامتنع التلامذة عن حضور دروسهم والذهاب الى مدارسهم... ووضع أهل فلسطين شارات الحداد على ثوبهم ومتاجرهم»

«... ولم يكن سخط الطبقة العاملة من اليهود على بلفور بأقل من سخط الفلسطينيين أنفسهم فقد شاركوا الاهالي بالاضراب وأرسلوا برفقيات الاحتجاج، وأظهروا بكل الوسائل نفورهم من صاحب ذلك الوعد الاستعماري الذي يكرمه كل عامل لا تفرق في الذهب والعنصر والدين»

«... وقد عرف أهل فلسطين الكرام أن ليس كل يهودي صهيونيا، وأن الصهيونية نوع خطر من الاستعمار يكرمه العامل اليهودي مثل ما يكرمه العامل الفلسطيني تماما، لأن العامل هو عامل قتل كل شيء، وهو ضد الاستعمار ولو كان المستعمر أخاه كما قلنا»

«... وأنا نحیی هذه النهضة الجديدة في فلسطين، وتأمل أن يواظب الفلسطينيون الكرام على أمجادهم وجهادهم في سبيل استقلال بلادهم، وهم كمثلهم مرهقين علينا، أن يضعوا أيديهم في أيدي كل طبقة من طبقات

العمال في أى بلد من البلدان فالطبقة العاملة مظلومة في كل مكان ، وكل مظلوم للمظلوم نسيب» (١) .

ولعل المشكلة الأيديولوجية الكبرى التي واجهت الرفاق المصريين في ذلك الحين كانت تحديد الموقف من البرجوازية المتوسطة والصغيرة في بلد كمصر ، وطبيعة العلاقة مع كل منهما .

وبغير ما شك فإن كلمات ستالين كانت تمثل في فترة كهذه بالنسبة لجميع الأحزاب بغير استثناء نقطة الانطلاق الأساسية في أى عمل أيديولوجي

فماذا قال ستالين ؟

في عام ١٩٢٥ تحدث ستالين طويلا عن قضية المستعمرات قائلا انها تنقسم الى ثلاثة أقسام مؤكدا ضرورة معاملة كل قسم منها بأسلوب مختلف ، وفي بلد كمصر والصين (مستعمرات الدرجة الثانية) « فإنه يتعين على الشيوعيين السعي لتأسيس كتلة ثورية (لاحظ الفرق الكبير بين الكتلة الثورية والجهة الوطنية) من العمال والبرجوازية الصغيرة (يقصد بالبرجوازية الصغيرة الفلاحين أساسا) » (٢) .

لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، إذ سرعان ما وقع الصراع الدامي في الصين والذي تميز - الى حد كبير - بطابع الغدر والخيانة من جانب البرجوازية الصينية ممثلة في الكومنتانج .

وهكذا كان الموقف الجديد الذي تبناه مؤتمر الكومنترن السادس (١٩٢٨) والذي يعلن أن البرجوازية الصينية قد انتقلت وبصورة نهائية الى معسكر الثورة المعادية وبصورة تلقائية ارتبط تحليل الموقف في مصر بالموقف في الصين . وعملت البرجوازية المصرية تماما مثل البرجوازية في الهند و٣ ستالين شيرعيتها بأن يركزوا جهودهم لشن حرب لا هوادة فيها ضد البرجوازية (٢) .

١ - الحساب - ١٠ - ٤ - ١٩٢٥ .

2 Joseph Stalin-Marxism and the National and Colonial question - London, 1947 - PP. 216

3 M.S Agwani - Communism in The Arab East Asia Publishing House, Bombay — PP 6.

وَمَكَدًا فَانهُ وَقَفَا لَوَجْهَةً نَظَرَ سِتَالِيْنَ وَالْمُؤْتَمِرَ السَّادِسَ لِلْكَوْمُنِئْتَرِيْنَ
فَقَدَّ كَانِ يَتَحَدَّثُ عَلَى الْحَزْبِ الشُّيُوعِيِّ ، أَنْ يَرْكُزَ جِهოდُهُ لِشَنْ حَزْبِ لَآهُوَادَةَ
فِيهَا « ضَدَّ حَزْبِ الْوَلَدِ »

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْحَزْبِ الشُّيُوعِيِّ الْمَصْرِيَّ قَدَّ رَفِضَ ذَلِكَ وَجَاوَلَ قَدَّرَ مَا تَسْمَعُ بِهِ
طَاقَتَهُ وَمَا يَسْمَعُ بِهِ فَطَلَهُ أَنْ يَتَاوَمَ هَذَا الْإِتِّجَاهَ وَأَعْلَنَ مِنْ عَلَى مَنَصِبِهِ
الْمُؤْتَمِرِ ، عَنِ اعْتِقَادِهِ أَنَّ الْبِرْجُوزِيَّةَ الْوَطْنِيَّةَ فِي مِصْرَ لَمْ تَنْتَقِلْ نَهَائِيًّا
إِلَى الْمَعْيَكِرِ الْمَبَادِي لِثُورَةَ كَمَا يَفْعَلُ الْكُومُنِئَانِجُ (١)

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْحَزْبِ الْمَصْرِيَّ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرْسَلَ مَنَدُوبًا لِحُضُورِهِ
مُؤْتَمِرَ الْكُومُنِئَرِيْنَ السَّادِسَ وَلَمْ يَظْهَرَ فِي وَثَائِقِ الْمُؤْتَمِرِ اسْمُ مَنَدُوبِ مِصْرِيٍّ ،
لَكِنَّهُ يَبْدُو أَنَّ الَّذِي مَثَلَ وَجْهَةً لِلنَّظَرِ الْمِصْرِيَّةِ هُوَ « حَيْدَرُ » مَنَدُوبُ فِلَسْطِينِ
وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الْعِلَاقَاتَ بَيْنَ الْحَزْبِ الْمَصْرِيِّ وَالْحَزْبِ الْفِلَسْطِينِيِّ - السُّورِيَّ
كَانَتْ وَثِيقَةً لِلغَايَةِ فِي هَذِهِ الْإِنْفَرَةِ .

وَتَعْلَى آيَةَ حَالِ خَانَ وَ حَيْدَرُ ، هُوَ الَّذِي تَخَدَّتْ حَوْلَ مِصْرَ ، وَخَوْلَ هَذِهِ
الْقَضِيَّةَ بِالذَّاتِ قَضِيَّةَ الْمَوْقِفِ مِنَ الْبِرْجُوزِيَّةِ الْوَطْنِيَّةِ وَمِنْ حَزْبِ الْوَلَدِ
مَالْتَحَدِيدِ ، فَمَاذَا قَالَ حَيْدَرُ .

لَقَدْ بَدَأَ حَيْدَرُ تَعْلِيْقَهُ حَوْلَ قَضِيَّةِ الْحَرَكَةِ الثُّورِيَّةِ فِي الْمُسْتَعْمَرَاتِ بِتَوْجِيهِ
الِإِتِّجَاهِ أَسَاسِيٍّ فَقَالَ « أَيُّهَا الرِّفَاقُ : إِنَّ الْقَضِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ ، وَالشَّرْقَ الْعَرَبِيَّ
كُلَّهُ غَائِبَانِ تَمَامًا عَنِ عَذَّةِ الْجِلْمَةِ ، نَقَدَّ تَجَاهَلْتُهُمَا الْبِتَّارِيرِ الْمَقْدَمَةِ
حَوْلَ قَضِيَّةِ الْمُسْتَعْمَرَاتِ »

وَمَضَى حَيْدَرُ لِيَتَحَدَّثَ عَنِ أَمْهِمَةِ الْقَضِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَعْطَى لِحُجَّةٍ مِنْ ظُرُوفِ
الْمَقْطَعَةِ لَكِنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يَفْضَلَ الْفِكْرَةَ الَّتِي سَادَتْ الْمُؤْتَمِرَ وَالتَّتِي سَبَقَ أَنْ ذَكَرَهَا
سِتَالِيْنَ . وَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدًا عَلَى مُعَارَضَتِهِ فِيهَا وَهِيَ وَضَعُ مِصْرَ وَالصَّيْنِ فِي
مَرْتَبَةِ وَاحِدَةٍ وَالنَّظَرَ الْبَيْتَمَا بِمَنْظَارِ وَاحِدٍ .

فَقَالَ حَيْدَرُ « إِذَا حَاوَلْنَا الْمَقَارَنَةَ بَيْنَ الْحَرَكَةِ الْعَمَالِيَّةِ فِي كُلِّ مِصْرَ
وَسُورِيَّا وَبَيْنَ الصَّيْنِ لِجَابِهَتِنَا الْحَقَائِقِ الْتَالِيَةِ :

فَعَلَى الصَّيْنِ نَشَطَ الْعَمَالُ وَتَحَرَّكُوا كَطَبَقَةِ مَعَ مَطْلَعِ الْحَرَكَةِ الثُّورِيَّةِ .
(حَمَلَةُ الشَّمَالِ ، هَيْئَةُ شَنْغَهَايَ) وَكَانُوا مَنظَمِيْنَ بِالْفِعْلِ فِي نَقَابَاتِ وَلِهَمِ
حَزْبِ مِتْرَاجِدِ بِالْفِعْلِ فِي قَلْبِ الْإِحْدَاثِ ، بَيْنَمَا نَرَى الْعَكْسَ تَمَامًا فِي بِلْدَانِ

—1 Ibid - PP.7 : Revolutionary Movement in the Colonies
and Semi - Colonies : Thesis Adopted by the Six-th congress of the
communint interuational, 1928 (Bombay,1948) PP. 33-5

الشرق العربي بحيث نجد أن العمال قد دخلوا الميدان متأخرين إلى حد كبير . لقد كان العمال مجرد وقود للمذاهب خلال الانتفاضات الثورية في كل من مصر وسوريا ، بينما اختفى دورهم كطبقة مستقلة ، كقوة منظمة .
وإذا بدأ الحزب الشيوعي المصري نشاطه ، ليس بتكوين جبهة عامة ، كونهتائج ، وليس بمساندة زغول باشا وإنما على العكس من ذلك بالهجوم عليه .

وبعد أن قدم « حيدر » تحليلا تفصيليا لحزب الوفد ودوره وموقف الشيوعيين منه قال : إن الأمبرياليين يريدون الإبقاء على حزب الوفد كقوة معارضة ، كجسام يكبحون به جماح العناصر الاقطاعية . لكنهم من ناحية أخرى يريدون للوفد أن يبقى داخل إطار معين ويرقبون بحذر بالغ « نفوذه الثوري » .

« والآن ما هو الموقف الذي يتعين علينا إتخاذه تجاه الوفد ؟ » هكذا يسأل حيدر ثم يمضى منتقدا موقف الكومنترن قائلا « يتصور بعض الرفاق أن الدور الثوري لحزب الوفد قد انتهى تماما وأنه قد أصبح الآن قوة مناضة للثورة ، وأنه قد ربط نفسه بالقوى المناهضة للثورة ، ولم يعد هناك ثمة مجال للحديث عن التحالف معه .

لكنني أيتها الرفاق أعتقد أننا بمتطاعتنا للوفد سوف نقع في التقيض الآخر وسوف نرتكب خطأ فادحا .

اننى أحدد واجباتنا في مصر على النحو التالي : لا اعلان للتحالف مع حزب الوفد ولا لقامة لاية تنظيمات مشتركة معه ، ولكن من الحتمي الاستمرار في إقامة اتصال دائم مع الوفد ، اتصالات مع قواعد الوفد للقيام بأعمال مشتركة محددة « (1)

لكن الاتجاه السائد في الكومنترن كان هو أن الوفد مثله مثل انكوهنتائج قد خان الثورة الوطنية و « ألقى بأعلام الحزبية في الوخل » كما قال ستالين .

وهكذا وبرغم المعارضة فقد كان الرفاق المصريون مضطرين لمسايرة الاتجاه ، وقد كان استمرار اتخاذ الوفد موقف التخاضل والتهادن خير مشجع لهم على ذلك .

1 International Press correspondence - 'The Discussion on Comrade'

Bukharin's Report- No: 72 - 17/10/1928 - PP7311

ان تتبع المقالات والدراسات التي تناولت دور الوفد في هذه الفترة
توضح لنا ذلك الصراع الذي كان يعتمل بين قرار الكونغرس وبين رؤيه
الرفاق المصريين للواقع المصري . لكن ذلك لا يعنى ان الرفاق المصريين
مقد تتاسوا اخطاء الوفد بل لقد ضاعفوا من هجومهم عليه وانتقادهم
له ، لرفضه الاعتماد على الجماهير .

• ان الوفد في صراعه ضد حكومة محمود كان يرفع شعارا سياسيا
محددا هو عودة الدستور ، لكن الوفد لم يكن يضع في اعتباره قوى الجماهير
المصرية ونضالها ضد الديكتاتورية الحالية وانما كان يعلق كل اماله على
انتصار حزب العمال في انجلترا . بل ان حزب الوفد قد حاول ان يلعب
على الخلافات في وجهات النظر داخل الوزارة البريطانية .

• ان سياسى الوفد عندما يتخبطون عن الجماهير ، فانما
يفعلون ذلك لمجرد تحقيق اهدافهم وبشرط اساسى وحاسم هو الا تتمكن هذه
الجماهير من ممارسة أى دور ايجابى للتاثير على اعمال الوفد .

ان رئيس الوفد النحاس باشا قد ركز في خطابه الذى ألقاه
بمناسبة مرور عشرة اعوام على تأسيس حزب الوفد ، ركز على اصرار الحزب
على عدم فتح الباب امام الصراع الطبقي الذى وصفه بأنه يقود الشعب الى
الهاوية والهلاك (١) .

وتعليقا على الصراع الذى دار بين النحاس ومحمد محمود عقب
الانقلاب الدستوري كتب أحد الرفاق المصريين مقالا بعنوان « بلا مخرج »
جاء فيه : « بين رئيس الوزراء المصرى الحالى محمد محمود ، ورئيس الوزراء
السابق النحاس باشا (زعيم الوفد) توجد أزمة ذات طابع خاص .
محمد محمود يقوم بجولات « مظفرة » في أرجاء البلاد اما النحاس
باشا الذى يصعد محمد محمود على هذا النجاح فقد أخذ يروج ويدعو
لشعبيته الخاصة ولشعبية الوفد بين الجماهير . . . »

ان هذه المسرحية ذات الخصائص الفريدة تجرى من أجل متفرج
واحد هو المندوب السامى البريطانى اللورد لويد . فان كلا من محمد محمود
والنحاس باشا يحاول ان يقنع المندوب السامى البريطانى بان حكم مصر
ممكن بواسطته هو شخصيا .

١ - رينولويسيونى فوستوك - (العدد ١ عام ١٩٢٢) . مقال - اى شامى
بعنوان مصر بعين الانقلاب ص ٢٧٦ (مترجم عن النص الروسى) .

وَيَمْضِي الْمَقَالُ مُؤَكِّدًا «لَقَدْ كَانَتْ أَنْجَلَتْهَا بِأَعْمَالِهَا لِنَدَاءَاتِ الْجَمَاهِيرِ
الْعَرِيضَةِ فِي مَضْرُوعَتِهَا أَسَاسًا عَلَى اعْتِقَادِ رَاسِخٍ مُؤَدَاهُ أَنَّهُ مَا مِنْ جَمَاعَةٍ
مِنَ الْجَمَاعَاتِ السِّيَاسِيَةِ الْمِصْرِيَّةِ تَعَارِضُ مَعَارِضَةً حَقِيقِيَّةً فِي اسْتِمْرَارِ السِّيَاطِرَةِ
الْبَرِيطَانِيَّةِ» (١)

لكن هذا الهجوم ضد حزب الوفد لم يكن هجومًا مطلقًا ، بل على
العكس من ذلك ، فقد كان الرفاق المصريون يشعرون دائما أنهم أقرب إلى
حزب الوفد من حكومة الانقلاب الرجعي ، بل لعظم كانوا يشعرون - في
بعض الأحيان - أنهم أقرب إلى الوفد منهم إلى الحزب الوطني ، رغم
أن الحزب الوطني كان وفقا لتحليلهم الطبقي حزب مثقفي البرجوازية الصغيرة
الراديكاليين .

• أما حزب المثقفين الراديكاليين (الحزب الوطني) فقد تبعثر تماما
بعد الانقلاب وقد تجبض على مجموعة من أعضائه ، لكن الجزء الأكبر من
المجموعة المحدودة التي استمرت في النشاط لجأت إلى حزب الوفد .
• إن هؤلاء المثقفين الراديكاليين لم يستطيعوا اللجوء إلى الجماهير
الشعبية ، ولم يستطيعوا الاتصال بها ، بينما استطاع الوفد أن يتصل
بأجتماعهم وأن يحرك مشاعرهم ونشاطهم السياسي » (٢)

وعندما ثارت قضية الأمير سيف الدين واستخدمت ضد الوفد بهدف
إبعاده عن الحكم ، كان الرفاق المصريون يعارضون حملة الحزب الوطني
على الوفد .

• لقد كان من الممكن بل من الواجب استخدام قضية الأمير سيف
الدين كمادة لفضح الملك فؤاد كعميل للانجليز . إن قيادة الوفد (ومن بينهم
النحاس باشا نفسه) دافعوا عن الأمير سيف الدين وأخفوا على عاقبتهم
هذه المهمة . أما قادة الحزب الوطني فلاسباب مجهولة تماما عارضوا
الوفد في موقفه هذا . وفي البرلمان وقف زعيم الحزب الوطني حادًا
بك رمضان ليخطب قائلاً : إن النحاس والحامين الوفديين يقبضون أموالاً
طائلة ثمنًا لتبنيهم قضية سيف الدين .

وقد أمكن « نبركة » حملة واسعة وسط الرأي العام بواسطة الصحافة

١ - أ. الجبالي . مقال « بلا مخرج » - مجلة رينولوسيوني فوستوك
المرجع السابق - راجع النص كاملاً بالملاحق .
٢ - أ. شامي . المقال السابق الإشارة إليه .

المصرية والانجليزية المأجورة حول هذه القضية . وكانت النتيجة سقوط حكومة الوفد .

وبعد ذلك حل البرلمان ، والذى الدستور ، ووصل الى السلطة عملاء الرجعيين عملاء الندوب السامى البريطانى . أما الزاديكاليون من أعضاء الحزب الوطنى فقد ساعدوا الرجعية فى معركتها ضد الوفد ، وبعد أن تحقق النصر للرجعية ذهبوا جميعا الى أوروبا للراحة !!

وهكذا أصبح الميدان خاليا تماما للرجعية ، ثم أعد مشروع معاهدة عار وذل مع انجلترا (1) .

لكن هذا التعاطف المشوب بالحذر لم يرق أبدا الى مرتبة الدعوة للتخالف أو التقارب أو حتى ما هو أقل من التخالف والتقارب .

فقد كان الرفاق المصريون لا يثقون مطلقا بالوفد ، ولقد كان من حقهم الا يثقوا فيه ، فإن أعنف الضربات التى وجهت لهم ووجهت فى عهد حكومة الوفد .

لكن ثمة موقف يستحق الانتباه ، فلقد اتفق الزفاق الوفد مرات عديدة لانه لم يلجأ للجمهير لكنهم انتقدوه أيضا بل واتهموه عندما حاول - بطريقته الخاصة طبعاً - ان يحرك الجماهير .

• وفى مواجهة التخالف بين حزب الاتحاد (حزب كبار الملاك) وحزب الأحرار الدستوريين ، كان الوفد يصر على تأكيد إخلاصه لاهداف الأمة ، ولعل اكبر مثال على ذلك جملة التوقعيات التى نظمها الوفد والتى انتهالت فيها آلاف التوقعيات من مختلف أنحاء مصر على الملك بمطالبة بعودة الدستور والبرلمان .

وقد شكّل الوفد مجموعة من أعضائه لتنظيم حملة جمع التوقعيات هذه وقد نجحت هذه المجموعة بالفعل فى تنظيم مسيرات ووفود يوم ١٥ مارس التى القصر سنار على رأسها نواب وشيوخ الوفد وكانت المظاهرات الواسعة التى حشدتها الوفد تهتف « يحيى الملك » . غير ان هذا التحالف لم يمنع بوليس الملك من ان يصطدم بهذه المظاهرات .

ان المرء عندما يقرأ عن مظاهرات القاهرة فى ١٥ مارس يتذكر على الفور المظاهرات الروسية التى حدثت فى ٨ يناير ١٩٠٥ . وهنا لابد وأن يذكر كلمات

١ - أ. الجبالي : مقال فى الحزب الذى يثرثر كثيرا - مجلة ريفولوشيونى فوستوك - العدد ٢ - عام ١٩٣٢ - ص ٢٨٨ (مترجم عن النص الروسى) .
راجع النص الكامل للمقال بالملاحق

ماركس « أن التاريخ يعيد نفسه في المرة الأولى كتراجيديا وفي المرة الثانية
فارس » (١) .

ولسنا نعتقد ان هذا التشبيه كان صحيحا . . . فلا قادة الوفد كانوا مثل
« النفس جايون » الذي نظم مظاهرة ٩ يناير ١٩٥٥ . والذي كان عميلا للاوخرانا
(البوليس السرى الفيصري) والذي دبر المظاهرة بايعاز منها كسبيل لتوجيه
ضربة للحركة العمالية واخمادها (٢) ولا مظاهراتهم كانت تدبيرا بوليسيا ضد
مصلحة الجماهير .

لكن هذا التشبيه لم يكن مجرد موقف عابر ولا استعراضا لمعلومات
الكاتب ، فقد تطور فيما بعد في موقف بالغ الخطورة عندما اندجرت الاضرابات
العمالية في هبتين عنيفتين ضد حكومة الديكتاتورية وكتصعيد عمالي وثورى
تذءات الوفد المتسمة بالاعتدال ، فان الرفاق المصريين قد اتخذوا تحسنا
الانتفاضتين العماليتين الثوريتين موقفا سلبيا تماما بل وكما وصفه « أنيجدور »
« موقف مشين للشرف الثورى » . . .

« فاننشور الوحيد الذى إصداره رفاقنا ايام الهبة لم يدع الجماهير
لمواصلة النضال وانما دعاهم الى الاستسلام (دعوا هؤلاء الوغديين يخطبون
ويضطنون ويتصارعون ويموتون فانهم يفعلون ذلك من أجل مصالحهم
الخاصة) ، وهكذا لم يحرك الرفاق المصريون الاهمية الثورية القصوى للانتفاضة
عشرات الالوف من العمال متبنين شعار الوفد الذى يدعى الجماهير للنضال
من أجل الدستور .

ولم يستطع الرفاق المصريون ان يحشوا قواهم (حتى تلك القوى التى
يمتلكونها بالفعل) في مشاركة نشيطة في الانتفاضة ومن أجل قيادة حركة
الطبقة العاملة والفلاحين » (٢) .

وثمة مقال آخر يستحق الاهتمام كتبه ج . ب (جوزيف بيرجر) بعنوان
« الموجه الجديدة من الانتفاضات في مصر » يقول :

« ولكن ومهما كانت « الثورية » التى ينظاها ربهىا الوفد (كتب المقال أثناء
معركة الوفد ضد قيام صدقى بالفناء الدستور) فانه يظل بعيدا عن تمثيل

١ - أ . شامى . المقال السابق .

2 History of the Communist party of the Soviet - Second' revised
edition - Moscow - PP.88

٣ - أنيجدور - مقال الازمة والمد الثورى في مصر - العدد ٢ لعام ١٩٣٢
عن مجلة ريفولوسيوني غوستوك ص ١٠٢ (مترجم عن الاصل الروسى) راجع
الملاحق . . .

مصالح الجماهير ، بل ان صحيفة مصرية قد شبهت مصطفى النحاس باشا بانه « كيرنسكى » . ان الوفد ليس في وضع يؤمله لحل المشكلات الاجتماعية للجماهير العريضة . انهم يستقلون الجماهير ، ثم يدعونها كي تبذل دماءها دفاعا عن الدستور .

•• ولكن ماذا يمكن للوفد ان يقدم للعمال في صراعهم الاجتماعي الزاهن ؟
الاجابة : لا شيء . انها خبيرة ثلاث وزارات وندية سابقة ١٩٢٤ - ١٩٢٨ - ١٩٣٠ .

ان الوفد بقيادة تضم امثال فتح الله بركات باشا وحمد الباسل باشا وهما يعتبران من اغنى اغنياء مصر لا يمكن ان يقدم شيئا للجماهير .•• وفي ظل وضع كهذا يقع دور رئيسي . وبارز على كاهل الشيوعيين المصريين ، الذين يتعرض حزبهم لعداء كإدارة الحكومات المصرية ايا كانت .

انه الحزب الشيوعي وحده الذي يستطيع ان يخلق الجيش الثوري للعمال ، الذي سينهض بالثورة المصرية الى مستوى جديد ، مستوى النضال المباشر دفاعا عن مصالح الجماهير العاملة ، (١) .

ونلاحظ نقط النسيان الكامل لطبيعة المرحلة ، ولل قضية الوطنية .

وهكذا نتمر هذا التصارع والشد والجذب بين موقف الرفاق المصريين وبين موقف الكومنترون ، وذلك التردد المخيب للامال دوما الذي وصم كل تحركات الوفد ، وذلك الحقد الذي كان يعتل دوما في نفوس قادة الوفد ضد حركة الطبقة العاملة .••••• بالاضافة الى تسلط محمد عبد العزيز عميل البوليس على مقدرات الحزب في ذلك الحين .••••• كل ذلك موقفا متحفظا تجاه قضية من اعقد للقضايا ومن اهمها على الاطلاق .

لكن هذا التحبط ، وهذا الخطأ في تفهم طبيعة الانتفاضة العمالية يجب الا ينسيانا تلك اللمحات الذكية التي اتسمت بها بعض مواقف الرفاق المصريين تجاه الوفد والتي اشرنا الي بعضها في الصفحات السابقة .••

وعلى اية حال فان الموقف من البرجوازية المتوسطة ودمغها بانها جزء من معسكر الثورة المضادة قد قاد بالضرورة الى قضية ابيولوجية اخرى هي ما اتسمى في الادبيات الماركسية في هذه الفترة « بالكتلة الثورية » .

فالجبهة والتحالف مع البرجوازيات مرفوضة ، والبديل هو الكتلة الثورية من العمال والفلاحين .••

—1. The Labour Monthly — vol 12- No 12 — December 1930

The New wave of Revolts in Egypt. J.B . (Jerusalem) .

وحتى الحزب الوطني الذي أسماه الرفاق حزب « متفنى البرجوازية الصغيرة » فان التحالف معه لم يستمر الا فترة وجيزة جدا ثم ما لبثوا ان دعوا للـ « تجبيره » من الداخل .

« ان هذا الحزب الراديكالي ظل دوما على اللهايش بالنسبة لكل الاحداث السياسية الهامة ، ولم يحاول ان يدرس اوضاع مصر دراسة جادة ، ولم يقدم لية شعارات سياسية ايجابية ، ولم يكن غريبا بعد ذلك ان يفقد احترامه ، وأن يسقط من حساب الكثيرين كحزب سياسي حقيقي اللهم الا بضعة مئات يشكلون مجموع عضويته » .

« . . . » لقد مثل قادة الحزب الوطني لسنوات طويلة دور حماة الجماهير للأكاذيب والمدافعين عنها . لقد حاولت البرجوازية الصغيرة الراديكالية عبثا ان تقنع الجماهير بأن ممثليها لم يبتعدوا عن خشية المسرح . لكن الصراع فدائر بين صفوف اعضاء الحزب أنفسهم ، لم يكشف فقط عن مدى الضعف لسياسي لقادة الحزب وانما كشف ايضا عن ضرورة البحث عن « مسارات » جديدة لحركة التحرر الوطني .

وكلما تم الاسراع بعملية « تجبير » الحزب الوطني من الداخل ، كلما وجدت العناصر الشريفة داخل هذا الحزب بسرعة اكبر طريقها الصحيح نحو تأسيس الكتلة الوطنية الموحدة تحت قيادة حزب الطبقة العاملة (١) .

والآن يبقى تساؤل هام ، كيف حاول الحزب ان يقيم هذه « الكتلة الثورية من العمال والفلاحين » ؟

الحقيقة ان للرفاق المصريين قد بدأوا هذه المحاولة بداية واقعية تثقن مع حقيقة قواهم ومع امكانياتهم .

فاذا كان من الصعب انتزاع جماهير الفلاحين من نفوذ الوفد للعمل ضمن كتلة ثورية سرية (بطبيعة الحال) فلا بد من ايجاد شكل من اشكال العنيفة .

فائثناء انتخابات زيور. حاول - الرفاق تكوين نوع من التجمع العلني باسم « لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين » .

كانت مؤلدة كما تقول جريدة « الحساب » ، « من بعض الغيورين الذين يبتغون بشأن الطبقة العاملة ، وكانت قد عازمت على خوض المعركة الانتخابية بكل قواها الا انها ما باشرت اصدار منشورها الاول * حتى يابرت

١ - أ. الجبالي . مقال « الحزب الذي يثرثر كثيرا » - المرجع السابق .

* راجع النص الكامل في الملاحق .

الجهات الادارية التي ضبطه ومنع طبعه وانتشاره ، والتحقيق مع المسؤول عن اللجنة مما اضطر أعضاءها الى السكوت حتى تظهر نتيجة التحقيق . وفي أثناء ذلك انتهت الحركة الانتخابية وتم للحكومة ما ارادت من الخيولة دون انتشار حركة عمال كانت بلا ريب مفيدة لهم على ان أعضاء اللجنة لا يزالون متمسكين بديانتهم وعند حسن ظن الطبقة العاملة بهم ، ولكن الظروف الجائهم الى استعداد تام للعودة الى الجهاد ، (١) .

ثم عاود - الرفاق - المحاولة بشروعهم في تأسيس حزب للعمال والفلاحين يكون واجهة علفية لتنظيمهم السرى .

و على صفحات مجلتهم « الحساب » بدأت الدعوة لتكون حزب « العمال والفلاحين » وقد نجح ماركرو الحزب في وضع صيغة مرنة - وطنية وثورية مما - لتكون اساسا فكريا للتجمع الجديد .

فان الهدف الاساسى لتجمع - العمال والفلاحين - هو النضال لتحقيق الامانى الوطنية .

لقد تمهّرت الحركة الوطنية منذ ان خرجت من يد الطبقة العاملة من فلاحين وعمال وتسلّمتها الطبقة الخاصة من الباشوات وارباب الاموال والاراضى فان هؤلاء يد انضموا الى هذه الحركة يدافع من مصلحتهم الخاصة فبعضهم خاف نجاحها وانتقام اربابها منه وبعضهم رأى الإندفاع فيها جرا لمغرم وطعما في منصب ، وبعضهم انساق مع التيار غصبا عنه ، وبعضهم رأى الفرصة مناسبة لتسيويد نفسه وجعله ذاته زعيما فاغتنم الفرصة وطم جرا ،

لقد كان من الضرورى تقديم مبرر - وطنى - لإعلان قيام منبر جديد . فالجمامير التي التفت حول الوفد خلال ثورة ١٩١٩ ظلت لفترة طويلة تنظر بعين الشك تجاه أى منبر جديد وتعتبره تجمعا « انقساميا » . كذلك فان « القضية الوطنية » كانت تمثل - منطقيا - المنطلق الاول لى تجمع وطنى وثورى .

ومن هنا فان « الرفاق » ركزوا هجومهم على الاحزاب القديمة ومطالبتهم بتكوين تجمع جديد ليس على اساس طبقى فقط ، وانما في المقام الاول على اساس وطنى معادين على للأفضل احزاب البرجوازية في نيل الاستقلال الوطنى ، ومن ثم فلا بد من قيام تجمع جديد من اصحاب المصلحة الحقيقية في الاستقلال .

« فأحزاب مصر اليوم ليست سوى جماعات سياسية تعمل بدون غاية ولا مبدأ وتسير حسب الظروف وتقلب الأحوال فتكون تارة متطرفة وتارة معتدلة وتتحد تارة مع العناصر الرجعية وتمسك حيناً عن بعض مطالبها وتغالى أحياناً في الطلب ولا يهم لأفرادها إلا الحصول على الوظيفة والمنصب .

وأخيراً فإن الطبقة العاملة من عمال وفلاحين لا يمكنها الانتظار إلى ما شاء الله حتى يقضى حزب على آخر وينتصر الوطنيون الحقيقيون على الوطنيين المزيين . . . ثم يتنزع الظافرون للذئب في شؤونها واجابة مطالبها « (١) .

غير انه من المتعين ان نلتفت باهتمام بالغ الى المحتوى الطبقي للتجمع الذي سعى - الرفاق - لتكوينه .

فبرغم انه كان من ناحية المظهر التزاماً بخط الكومنترن « الكتلة الثورية من العمال والفلاحين » الا انه في الواقع ، ومع تسليمه الكامل بضرورة قيادة الطبقة العاملة وكسب نقراء الفلاحين . . . قد فتح ابوابه ليستقبل قوى طبقية اخرى غير العمال والفلاحين . . .

وهكذا وفي دراسة ممتعة ودقيقة قدمها « الرفاق » على صفحات مجلة الحساب حول التقسيمات الطبقية في مصر . . . اكدوا ان الحزب المنشود يجب ان يتألف من مختلف طوائف عمال المدن ومن عمال الارياف الذين يشغلون في الزراعة وتوابعها ، على ان تكون عاتق الطبقتين طبقتي عمال المدن وعمال الارياف هما اساس وأركان وجدران الحزب .

وبعد ذلك لايأس من قبول بعض ابناء الطبقات الاخرى الذين لا يتناقى وجردهم مع الغاية التي انشأ الحزب مع أجلها كما سنبين فيما بعد » .

اما الطبقات الاخرى التي يمكن ضم بعض ابنائها فقد اشارت الدراسة الى انها تضم المثقنين ، لانه « معلوم ان في مصر عددا كبيرا من الناشئة الجديدة المتعلمة لا تجد امامها عملا الا وظائف الحكومة لان الصناعة غير متقدمة في مصر . . . ولان المعامل التجارية بيد الاجانب الذين لا يستخدمون الا اجانب مثلهم . . . والحكومة لا يمكنها ان تستخدم كل تلميذ يغادر المدرسة كما لا يخفى . فهذه الناشئة المتعلمة متى كانت من ابناء غير الاغنياء تميل بطبيعتها وبدافع مصلحتها نحو الطبقة العاملة اكثر مما تميل نحو اية طبقة اخرى » .

وهناك أيضا فقراء ومتوسطو الفلاحين الذين يعانون القهر والاستغلال بالرغم من انهم يمتلكون أرضا . . .

« فنكل افراد الفلاحين الفقراء يندمجون طبعاً في حزب العمال وعدد كبير من طبقة الفلاحين المتوسطين . . . مضطر الى الاندماج فيه ايضاً وان لم تكن مصلحته هي مصلحة طبقة العمال الا ان عليه ان يختار بين الانحياز الى كبار المالكين من اصحاب الاطيان وتعصيدهم والاندماج في مسلكتهم حتى يصبح عبدا لهم وقتياً لطبقتهم أو الانحياز الى العمال فيربح هو من تعصيدهم اياه ولا يكون مرووساً منهم على الأقل .

ثم ارباب الصناعات الصغيرة واصحاب المهن الذين يعملون بانفسهم دون استخدام سواهم في أشغالهم . . .

ثم تضى الدراسة ليقول « وهكذا نرى ان لدينا خمس طبقات من طبقات الامة أو الاخرى خمس هيئات كبرى من هيئاتها يجب أن تندمج في حزب العمال وهذه هي حسب قريتها اليه : طبقة العمال في المدن والإرياف ، فطبة الفلاحين الفقراء . . . فطبة الناشئة الجديدة . . . فطبة اصحاب الصناعات الصغيرة فطبة الفلاحين المتوسطي الحال . . .

لكن الدراسة تعود تؤكد مرة أخرى - وفي حرص بالغ « ان العمود الفقري للحزب ودماعه الفكر وقلبه النابض يجب ان يكون من العمال وعلى قانون الحزب الاحتياط الشديد لعدم تمكين بعض افراد الطبقات الاخرى التي تندمج في الحزب الاحتياط الشديد لعدم تمكين بعض افراد الطبقات الاخرى التي تندمج في الحزب من السيطرة عليه والتلاعب بمصالحه بل يجب ان يكون الحزب حزب عمال ، للعمال ومن العمال ، اما من ينضم اليه من ابناء الطبقات القريبة جدا من الطبقة العاملة فيجب ان يبقى دائماً تابعاً للحزب الى حد ما ولكن على كل حال يجب ان تكون وتبقى السيطرة في الحزب للعمال وحدهم « (١)

لكن كل هذا للتشدد - الذي كان لابد لاعلانه من ان يترك بصمة الانعزالية على الحركة لم يعجب البعض الذين راخروا يهاجمون فكرة « الحزب الملني للعمال والفلاحين » .

وفي نفس الوقت الذي كانت الرجعية المصرية تشذل اقصى جهودها لاجهاض المولود الجديد ، والزج بدعائه الى السجن واغلاق صحيفتهم « الحساب » . . . فان الانتقادات كانت تتصاعد من الناحية الاخرى .

ومن فوق منصة المؤتمر السادس للكومنترون وقف « حيدر » لينهاجم هذه المحاولة قائلا :

« حيدر » - لقد تكلم البعض حول تكوين حزب للعمال والفلاحين . وهذا خطأ وخيال محض . نيمس فقط لما يحمله من خطر يهدد بتحويل الحزب الشيوعي نفسه الى حزب للبرجوازية الصغيرة ثمنا لتحالفة مع الفلاحين ، ولكن ايضا لان تكوين مثل هذا الحزب مستحيل .

ذلك انه لا يوجد مثل هذا الحزب الشيوعي ، ولا هؤلاء الكوادر التي نستطيع التصدي للقيام بواجب تنظيم الفلاحين ، غير ان قضية الفلاحين يجب ان تعالج بطريقة أخرى تماما ، وأنا أعرض مثلاً فكرة تكوين لجان الفلاحين ، جمعيات تعاونية .. وغيرها من المؤسسات الاقتصادية مثل جمعيات المعونة المتبادلة .. الخ . وهي تنظيمات يمكن ان تضم عمال الزراعة وقرناء الفلاحين والمزارعين ويتعين علينا ايضاً الرفاق ان نضع في اعتبارنا ان الفلاح المصري يعمل ستة اشهر في السنة كأجير والسنة اشهر الأخرى كمالك ومن ثم فانه من الأصعب وضع خط فاصل يميز العامل الزراعي عن المالك الصغير .

« فابسيليف » (من فوق المنصة) : كيف يمكن ضم مثل هذه العناصر الى الحركة التعاونية ؟

« حيدر » : ان لهم مصالح مادية مشتركة ، فالفلاح يعاني من المضارين ويعتمد على المزارعين ، وثمة حركة تعاونية قوية موجودة بالفعل بمساعدة الحزب الوطني ويتعين علينا ان نستخدم هذه الحركة كمنطلق لنشاطنا (١) .

وهكذا ومن سياق الحديث يتضح ان النقاش كله كان يدور حول مصر وحول جهود الرفاق المضربين لتأسيس منبر علني للعمال والفلاحين . فحيدر يشير الى جهود الحزب الوطني في الحركة التعاونية المصرية .

وأخيراً :

وكمحصلة - طبيعية - لعوامل عديدة أهمها تزايد ضعف الحزب وتناقص كوادره تحت وطأة مطاردة البوليس المستمرة ، وكثيراً ما يؤدي ضعف الحزب وعزلته عن العمل الجماهيري الى زيادة شعارات يسارية وعنتشدة داخل صفوفه .

وتزايد تردى - الوغد - والحزب الوطني في هاوية التيهان والانعزال عن المصالح الحقيقية للوطن والجماهير .

وتزايد ضغط - كرادز - الكومنترن على الحزب لكي يتخذ من حركة الجماهير موقفاً ثورياً ، بمعنى السعى لتصفية نفوذ الوفد فيها واقامة كتلة ثورية من العمال والفلاحين .

كمحصلة - طبيعية - لكل هذه العوامل اصدر الحزب برنامجاً عام ١٩٣١ تحت عنوان « برنامج عمل للحزب الشيوعي المصري » (١)

وبعد ان اورد البرنامج في صفحاته الاولى وصفاً بالغ الدقة والصدق للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المصري ، وعن الحالة المعيشية لجماهير العمال والفلاحين والظروف الصعبة التي يعيشون فيها : اورد تحليلاً للحزب السياسية الموجودة في مصر في ذلك الحين .

«حزب الاتحاد هو حزب عملاء السراي ، وكبار البيروقراطيين وكبار الاقطاعيين . وحزب الشعب هو حزب اصحاب الملايين من البرجوازية الكومبرانورية ومصدري الاقطان . وحزب الاحرار الديمستورين هو حزب البرجوازيين من رجال الاعمال والمرابين ومضاربي البورصة .

وكل هذه الاحزاب تخفى خلف اسمائها ووعودها البراقة عبودية وتخضوعاً للامبريالية الانجليزية وللاتجاهات الاكثر رجعية .

١ - نشر هذا البرنامج كاملاً بالانجليزية في كتاب

- Ivor Spector - The Soviet Union and The Muslim World 1917-1958.
- University of Washington Press Seattle, 1959 - PP: 141-156.

نقلاً عن

Documents of The programme of The Communist Parties of The East.
Edited By : L. Madyar - P. MIF - M. Orakhelashvili - G. Safarov - Party
Publication - Moscow - 1934.

Revolutsionnyi Vostok

وقد اورد « سبكتور » في نهاية البرنامج انه نشر في مجلة (الشرق الثوري) عددي ١ ، ٢ لعام ١٩٣٢ - لكنه بالبحث في هذين العددين لم يعثر على البرنامج

وبالرغم من غرابة هذا الامر فانه لا يقلل من قيمة هذه الوثيقة . ذلك ان التمعن في دراستها يعطي انطباعاً كائناً بصحتها . وربما خطأ « سبكتور » في ايراد رقم العدد أو تاريخه .

وقد نشر الياس مرقص « الاممية الشيوعية والثورة العربية » - دار الحقيقة ببيروت ، ترجمة رديئة وغير دقيقة للنص الكامل للبرنامج .

وحزب الوفد هو حزب البرجوازيين والملك الزراعيين من الوطنيين
الاصلاحيين المعادين للثورة ، وهو يضم في صفوفه الراسماليين الانجليز
والحاميين والغضابيين والملك الزراعيين الليبراليين ، الذين يلجأون من فرط
خشيتهم من ثورة الشعب الى التواطؤ الى درجة كبيرة مع الذين يستجدون
مصر ، طمعا في ان يحصلوا في المقابل على بعض الفئات

انه الحزب الذي يضلل جماهير الشعب ، انه حزب الخيانة الوطنية ، (1)

وإذا كانت أحزاب الاقطاع وأصحاب الملايين من الكمبرادورين وكثائر
البيروقراطيين والمرابين ، عملاء السراى والاستعمار قد حظيت من البرنامج
بسطة اسطر فقط ، فان حزب الوفد قد حظى بفتنرات من الاسطر تهاجمه وتتهمه
وتأدينه

وليس هذا غريبا وفقا لنظرية ستالين حول ما اسمى « باتجاه الضريبة
الرئيسية » التي يجب ان تسدد لعزل نفوذ البرجوازية عن جماهير العمال
والفلاحين وهكذا يمشى البرنامج ليضم الوفد بانه « يساوم للحصول على
مكاسب تافهة وغير مهمة من الامبرياليين ومن عصابة فؤاد في مقابل تعزيز
واقع الراسماليين والاقطاعيين على حساب العمال والفلاحين

انه يخوض المعركة ضد فؤاد وضد صدى باشا ، لكنه في واقع الامر
يحاول امتطاء حركة التحرر الوطنى التي تخوضها جماهير الشعب بهدف تمهيد
الانضال الثورى ، ومن اجل المساومة لحساب البرجوازية والاقطاع

ان حزب الوفد لا يعارض فاحصا أى انضال جاد من اجل استقلال مصر
ومن اجل الاطاحة بالنظام الملكى ومصادرة املاك الاقطاعيين ومن اجل يوم عمل
من ثمانى ساعات بل انه يسعى الى امتطاء حركة الجماهير وشيانتها مستهدفا
اضعاف هذه الحركة وسحقها ثم خيانتها وبيعها

ان كل تاريخ الوفد منذ ١٩١٩ هو تاريخ صراعه ضد العمال الثوريين
والفلاحين وضد كل الكادحين بوجه عام

وعندما كان الوفد متوليا زمام السلطة قام بتدمير كل المنظمات التطبيقية
لعمال وكل المنظمات الثورية

كما ان الوفد قد عقد صفقة مع الامبريالية الانجليزية في عام ١٩٣٠ باع

1 Spector - PP : 144.

فيها حرية مصر واستقلالها ، غير ان هذه الصفقة لم توقع بسبب الاختلاف على بعض المسائل الشكلىة الخاصة بالوزارة
ولقد كان الوفد على اتم استعداد لتعديلها صنفه مع الامبريالية بشرط ان تتخذ طابعاً دستورياً .

انه حزب مهاد للجماعير . وينتج سياسة معادية للثورة . حزب اعلى على لسان النحاس باشا استعداداً لخوض الحرب ضد الاتحاد السوفيتى لحساب المصالح الامبريالية البريطانية . ان شعارات الوفد تساعد الامبريالية وسيراى على ضرب وسحق حركة الجماعير . ولقد تظاهر الوفد لسنوات طويلة بأنه يناضل من اجل استقلال مصر محاولاً ان يخدع الجماعير بالوعود . وعندما لجأت الامبريالية الانجليزية الى غزاد لتستخدمه سفاراً لحكمها ، تعالت صيحات الوفد بشن النضال من اجل « الحرية الدستورية » لكنه لم يجرؤ على دعوة الجماعير للنضال للإطاحة بالنكبة الفاسدة . وعاد الوفد من جديد لانتظار المعزاة للامبريالية الانجليزية . لكنه في واقع الامر كان يسمى جنباً الى جنب مع الامبرياليين وعماليتهم من المصريين للبحث عن مخرج من الازمة من خلال مزيد من القهر والعبودية للجماعير الشعب . لكنه حرص في نفس الوقت على اخفاء هذا الموقف خلف شعارات « معارضة » (1)

وفي موضع آخر من « البرنامج » نرى هجرماً أشد قسوة و غالراًسماليين المصريين والملك و الليبراليين ، يريدون نوعاً محدداً من « الحرية » لصر بحيث لا يمكن لائ غامل أو فلاح ان يستمتع بحريته في ظلها . انهم يريدون نوعاً محدداً من « الاستقلال » لصر بحيث يمكنهم ان يلعبوا في ظله دور العملاء الذين يقبضون الجماعير الكاححة الحسابة الاضرياليين

والحقيقة انه لا يمكن ان يكون هناك نضال ثورى ناجح وقادر على الانتصار بغير انفصاله انفصلاً تاماً عن حزب الوفد ، بل وبدون شن نضال عنيف وحاد ضده .

ان بين معسكر الوفد ومعسكر الشعب (معسكر النضال ضد الامبريالية ومن اجل الثورة الزراعية الفلاحية) هوة سحيقة لا يمكن اجتيازها
والكى يمكن الاطاحة بالقوية الامبريالية فانه يتعين اولاً ان تضم نفوذ الوفد وسط الجماعير ، نفوذه وسط العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة
وإذا كان البرنامج يرى ان الهوة التي بين الوفد وبين الجماعير هوة

I Ibid - PP : 145.

شحيحة ولا يمكن اجتيازها فانه يؤكد في موضع آخر « ان بين معسكر الوفد وبين معسكر الامبريالية وعمليتها السراى توجد روابط قوية » (١) .

ولسنا بطبيعة الحال بحاجة الى تأكيد مدى « انحرافية » هذا البرنامج وبعده عن الواقع في تحليل الوفد وطبيعة مواقفه .

لقد قاوم - كوادر الحزب - لعدة سنوات الموقف الستاليني الذى تبناه الكومنترن ، لكنهم ما لبثوا ان استسلموا تماما في النهاية ، ولقد كان استسلامهم تعبيرا عن الضعف التنظيمى والفكرى الذى لصاب الحزب على اثر الضربات البوليمسية المتتالية ، كما انه كان ايذانا بمزيد من الضعف التنظيمى والفكرى . ولعل خير دليل على ان هذا البرنامج قد وضع تحت تأثير كوادر الكومنترن ان مقال افيجدور السابق الاشارة اليه يطالب « بحل ثورى للازمة » : نادا بالبرنامج يعنون فصلا كاملا فيه « التضال من أجل حل ثورى للازمة » (٢) .

وبطبيعة الحال فقد انعكس ذلك كله على مطالب البرنامج . . .

« على البروليتاريا المصرية والكادحين والفلاحين المستغلين الا ينتظروا ان يمن عليهم احد بمطالبهم . ذلك ان برنامجهم هو برنامج ثورة ، ثورة تتطلب تضحيات ونكران ذات لكنها توصل حتما الى الهدف المنشود . . . »
ان مطالبنا الثورية الاساسية هي :

١ - طرد الامبرياليين الانجليز وقواتهم البرية والبحرية والجوية من مصر والسودان .

٢ - الاستقلال الاقتصادى والسياسى التام وغير المشروط لمصر والسودان . مع الضمان الكامل لحق السودان في تقرير مصيره .
من أجل تحرير كل الشعوب العربية من التهر الاستعمارى ومن أجل وحدة عربية شاملة تنتظم فيها كل الشعوب العربية الحرة .
- الغاء كل الامتيازات التى

1 Ibid - PP : 147.

2 Ibid - PP : 146.

« عندما رفعت ح . م (الحركة المصرية للتحرير الوطنى) في مطلع الاربعينات شعار الكفاح المشترك مع الشعب السودانى مع ضمان حقه في تقرير مصيره في مواجهة شعار البرجوازية « تاج واجد ، ملك واحد ، نيل واحد » تصور الكثيرون انها كانت البادئة برفع هذا الشعار التقدمى ولعل هذا يوضح كيف ان الترتك الفكرى والنضالى لوفات الثلاثينات كان مطموئنا الى حد كبير . . .
* * * انها المرة الاولى التى يظهر فيها شعار للوحدة الشاملة بين الشعوب العربية الحرة في اية وثيقة سياسية لاي حزب مصرى .

يستمتع بها الامبرياليون - الاطاحة بالنظام الملكي وهدم الجهاز البيروقراطي العتيق الذي يضم العمدة ومجالس المديرية والزائفة والبوليس - الشعب هو الذي يختار القضاة - تمسليح الكادحين حتى يستطيعوا الدفاع عن استقلالهم الوطني ومكتسباتهم العمالية - حرية الصحافة للعمال - فصل الذين عن الحولة واصل القضاء عن الدين .

(ولعل اوضح دليل على انعزالية هذا البرنامج هو تصميمه على ان القضية الوطنية لا تنهم الا العمال وحدهم . فالعمال يتسلحون للدفاع عن استقلالهم الوطني وحتى حرية الصحافة لا تنهم الا العمال فهو لا يطالب بحرية الصحافة عموما . . . وإنما حرية الصحافة للعمال . مع ملاحظة ان هذا البرنامج قد وضع في عام ١٩٢١ في ظل ارماب صخى الذي انصب على المضربين جميعا وفي ظل مصادرة كل الصحف غير الموالية للحكومة بغير حساب) .

٣ - حكومة سوفيتية للعمال والفلاحين . نظام سوفيتي .

٤ - مصادرة جميع الاراضى والماشية والادوات الزراعية المملوكة للامبرياليين وملاك الارض والمرابين والملك وكبار البيروقراطيين والاقواق (بما فيها الاوقاف الالهية) بدون اى مقابل . وتوزيعها على عمال الزراعة وعلى فقراء الفلاحين ومتوسطيهم الذين لا يستغلون عمل الآخرين .

٥ - تأميم جميع مشابيح الري وما يتعلق بها من آلات مثل (المضخات . . الخ) . وضمان رى اراضى فقراء الفلاحين مجانيا .

٦ - مصادرة وتأميم كل البنوك والمؤسسات الصناعية المملوكة للامبرياليين . والغاء كافة الديون الخاصة بالدولة والامبرياليين . (ويلاحظ هنا ان البرنامج يتخذ موقفا صحيحا من الراسمال الوطنى فهو يطالب بتأميم بنوك ومؤسسات والغاء ديون الامبرياليين وحدهم) .

٧ - الغاء كافة الديون الربوية والديون المبنية على الغش - واسقاط كافة الديون عن كامل الفلاحين - والغاء الرسوم والضرائب التى تثقل كاهل الكادحين . فرض ضرائب تصاعدية على دخول الاغنياء .

٨ - حرية العمال والكادحين في تأسيس منظماتهم ، وحرية العمل لجميع هذه المنظمات - يوم عمل ذى ثمانى ساعات - الاجرة المتساوى للعمل المتساوى بغض النظر عن القومية أو الجنس - وضع حد أدنى للاجور - يوم عمل من اربع ساعات للاحداث من سن ١٤ الى ١٦ سنة ، وستة ساعات من سن ١٦ الى ١٨ سنة - منع تشغيل النساء والاطفال ليلا - تأمين اجتماعى

ضد المرض والشيخوخة والبطالة والعجز - تطوير جذرى للإسكان - تنظيم
وقاية العمال من إصابات العمل .

٩ - التعليم العام المجانى للعمال والفلاحين .

(ويلاحظ ان المطالبة كانت يجب ان تمتد لتشمل جماهير الشعب كله
وليس مجرد العمال والفلاحين الذين لم يكونوا محرومين وحدهم من التعليم) .

١٠ - التحالف مع الأتحاد السوفييتى ومع الحركة الثورية للبروليتاريا
العالمية ، ومع نضال كادحى المستعمرات (١) .

(ويلاحظ ان البرنامج لم يدع الى التحالف مع حركة التحرر الوطنى فى
المستعمرات وانما فقط مع نضال كادحى المستعمرات) .

وهكذا وبالرغم من اللحامات الذكية فى البرنامج ، وبالرغم من تعبيره
تعبيرا قاطعا عن كثير من المطالب العمالية والفلاحية التحتية ، بحيث يعتبر
ادراجها فى البرنامج كاتجاها بذاته على التقليل على التصاق الحزب بالمطالب
الفعلية لجماهير العمال والفلاحين ، الا ان الموقف الايديولوجى العام من
البرجوازية الوطنية والتشدد العنيف تجاهها والتصميم على ان المجال الوحيد
لاى عمل ثورى فى مصر لا يمكن ان يوجد الا فى اطار « الكتلة الثورية للعمال
والفلاحين » قد دلتع البرنامج وحركة الحزب ككل الى منعطف انمزالى .

ان الكلمات الحماسية مثل « ان العمال المصريين يتمسكون بحزم
بقضيتهم قضية العمل . قضية الاممية الشيوعية ، ان عمال بورسعيد
والسويس والقاهرة والاسكندرية ان عمال بولاق الذين اقاموا المتاريس فى
الشوارع عام ١٩٣١ ، ان الآلاف المولدة من البروليتاريين من عمال الزراعة
والفلاحين الفقراء ذوى الوعى الطبقي . ان هذه القوى لا يمكنها مطلقا ان تفشل
فى بناء حزبها الثورى البروليتارى المقاتل ، حزبها الذى يقود نضالها من أجل
ثورة مناهضة للامبريالية والاقطاع من أجل نظام سوفييتى لحكم العمال
والفلاحين ، ذلك النظام الذى سيضع الاساس لتعزير قوى الثورة وتعزير النضال
من أجل اقامة ديكتاتورية البروليتاريا والاشتراكية » (٢) . ان مثل هذه
الكلمات وكل هذا الحماس الدافق ، لم كن ليغير من حقيقة الامر شيئا ، وهى
ان مصر وهى بلد شبه مستعمر كانت ظروفها الموضوعية تفرض نوعا آخر من
المجاهبة لقضية البرجوازية الوطنية .

1. Ibid - PP : 151

5 Ibid - PP : 144.

وأن حزب الوفد - بالذات - ويغض النظر عن كل أخطائه ويغض النظر
عن كل تحذراته ضد العمل الثوري الجاد، وعن كل حملاته ضد الاشتراكية ،
كان من المتعين النظر إليه نظرة أخرى . .

وعلى أية حال

فإن صفحات هذا الفصل لم تكن محاولة لاستقصاء أهم المواقف الفكرية
للرفاق المصريين في فترة صعبة ومعقدة .

وليس محاولة لاختصاص هذه المواقف للنقد والتحليل ، بقدر ما هي
محاولة ليرضع هذه المشكلات الأيديولوجية في إطارها البالغ التعقيد والبالغ
الصعوبة .

لعل ذلك يمكننا من أن ندرك حقيقة المشاكل والصعوبات التي أحاطت
بكوادر الحزب وهم يحاولون - برغم كل شيء - أن يؤسسوا وسط المناخ
الفكري المصري خطا واضحا للعالم للاشتراكية العلمية .

كلمة أخيرة

اعتاد الكتاب ان يضعوا في نهاية كتاباتهم نقطة تثل على الانتهاء . لكننا لم ننته بعد . بل ربما كانت الصفحات الماضية مجرد بداية لتفهم موضوع البحث .

• نعمة موضوعات كثيرة يجب ان تدرس . وثمة تساؤلات عديدة لم يجب عليها بعد .

ومحاضر النقاش التي سخلت اقوال شخصيات هامة لعبت دورا اساسيا في تطورات الاحداث وصنعها بحاجة الى من يخضع ما فيها من اقوال ومواقف للتحليل والمقارنة والانتقاد * واستقصاء ما فيها من معلومات وبيانات بالغة الاعمىة وبالغة الدلالة .

لكنني قلت منذ البداية اني لا اريد ان اضع نفسي حكما بين هؤلاء الرجال . فما اسهل ان يمسك المؤرخ بقلم « المدرس » الاحمر ليشرح بعلامة ✓ أو بعلامة × غير مدرك ان هذا الحدث أو ذلك والذي لم يتمهل طويلا في تقييمه هو نتاج عرق وجهد عشرات من الرجال للوسائل خاضوا تجربة شاقة ومريرة لا يمكن للانسان ان يتخيل مدى تسوتها ومرارتها .

وإذ كنت لا اجد في نفسي الشجاعة كي امسك بالنسبة لهؤلاء الرجال بقلم « المدرس » فانه يكنيني انني كرسيت كل ما استطيت من جهد لجمع هذه المواد وتقديمها للباحثين والقراء معا فلعلها تجلئ منهم بمزيد من الدرس والتقييم .

ولئن كان كل ما بذلت من جهد متواضع هو مجرد سبيل لجذب انظار مزيد من الباحثين والدارسين نحو هذا الموضوع البالغ الاعمىة ، فان هذا يكنيني ويزيد .

* لقد حرص المؤلف ان يعرض وجهات النظر المختلفة لمثلئ جميع الاتجاهات التي تواجدت في هذه الفترة وقد نجح الى حد كبير في التوصل الى مقابلة ممثلى مختلف الاتجاهات باستثناء عليل شوارتز الذي اتصل به المؤلف خلال وجوده في باريس لكنه رفض التحدث عن ماضيه في مصر قائلا انه قد نسى كل شيء عنه .

THE HISTORY OF THE

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

القسم الثالث

ملاحق

- ١ - وثائق ايدولوجية
- ٢ - اوراق قضائية
- ٣ - وثائق حول موضوع سكتا تقالا
- ٤ - تقارير شخصية ومحاضر نقاش



(١) وثائق ايدولوجية

- * برنامج لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين
- * بلا مخرج - مقال - أ. الجبالي
- * الحزب الذي يثرثر كثيرا - مقال - أ. الجبالي
- * برنامج نيكتاتورية محمود في مصر - مقال - ج. ب.
- * الازمة والمد الثوري في مصر - مقال - أنيجدور
- * موقف اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في فلسطين وسوريا من الانقلاب في مصر

لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين *

« برنامج »

- أولاً : الاستقلال التام لمصر والسودان بلا قيد ولا شرط .
- ثانياً : رفع الرقابة الأجنبية عن المالية المصرية .
- ثالثاً : إعادة العلاقات السياسية والتجارية بين مصر باعتبار أنها دولة مستقلة وبين جميع الدول على الاطلاق ومنها تركيا وروسيا وبلغاريا . . الخ كما كانت الحالة من قبل الحرب .
- رابعاً : اجبار الحكومة والمجالس البلدية على مشتري جميع الشركات التي تقوم بإعمال ذات منفعة عامة مثل السكك الحديدية والماء والغاز والترام والكهرباء . . الخ .
- خامساً : احترام كافة الحريات التي نص عليها الدستور وتنفيذ نصوصه مثل : حرية الصحافة - حرية الانكسار - حرية الاجتماعات - حرية الأحزاب .
- سادساً : تنفيذ نصوص الدستور بشأن التعليم الاولي الاجباري المجاني وتوسيع نطاق المشاريع الصحية وتعميم المستشفيات في أحياء الفقراء والفلاحين .
- سابعاً : إلغاء الضرائب غير المباشرة على المواد الاولية الضرورية للمعيشة مثل الخبز والخضار واللحم والماء . . الخ .
- ثامناً : فرض الضرائب على المشاريع والاعمال الوطنية والاجنبية على النساء .
- تاسعاً : مكافحة أزمة غلاء المعيشة والسكن .
- عاشراً : سن تشريع خاص للعمل .

* تكونت هذه اللجنة ابان الانتخابات التي اجراها زيور باشا كجبهة عمالية لمساندة المرشحين العماليين في الانتخابات والعمل على ربطهم ببرنامج وطني تقدمي . وقد قام الحزب الشيوعي المصري بالدور الاساسي في تكوين هذه اللجنة وقد هاجم البوليس مطبعة الدواوين حيث صادر نسخ هذا البرنامج لكن مجلة الحساب اعادت نشر النص الكامل للبرنامج في عدد (١ - ٥ - ١٩٤٥) .

- **حادى عشر :** جعل يوم العمل ثمان ساعات تبتدى، وتنتهى فى آن واحد .
- **ثانى عشر :** انشاء مكتب للعمل فى وزارة الداخلية مؤلف من موظفين وممثلين للعمال وتاليف لجنة برلمانية للعمل .
- **ثالث عشر :** التامين على حياة العامل ومستقبله بواسطة المصلحة التى يشتغل فيها سواء كانت حكومية أو اقليمية .
- **رابع عشر :** الغاء قانون منع الاعتصابات .
- **خامس عشر :** حماية النساء والاولاد ومنع تشغيلهم ليلا فى أى عمل كان من الاعمال .
- **سادس عشر :** انشاء مشاريع حكومية جديدة وتوسيع نطاق المشاريع الموجودة بقصد تشغيل العمال العاطلين .
- **سابع عشر :** توزيع اراضى الحكومة البور على صغار الفلاحين بعد توصيل المياه اللازمة لها .
- **ثامن عشر :** جعل الانتخابات مباشرة بلا قيد ولا شرط .
- **تاسع عشر :** تسليف الحكومة صغار الفلاحين ما يحتاجون اليه من الاموال بفوائد قليلة جدا وانشاء مصرف زراعى لهذا الغرض .
- **عشرون :** تعديل الضرائب على الاطيان بقصد تخفيضها على صغار المالكين وزيادتها على كبارهم .
- **واحد وعشرون :** تسهيل رى الاطيان على الفلاحين الصغار الذين يملكون خمسة اقدنة أو أقل مع اعطائهم كفايتهم من الماء .
- الى الفلاحين والعمال :

لا تعطوا اصواتكم لى شخص لا يقبل هذا البرنامج ويعمد بتنفيذه .

لجنة الدفاع

عن حقوق العمال والفلاحين

بلا مخرج

(رسالة من مصر) (١)

بقلم أ. الجبالي

بين رئيس الوزراء المصري الحالي محمد محمود ، ورئيس الوزراء السابق النحاس باشا (زعيم الوفد) توجد الآن أزمة ذات طابع خاص :

فمحمد محمود يقوم بجولات « مظفرة » في أرجاء البلاد وممثلي مجالس الحيريات. والعمد المعينين من قبل الحكومة يبذلون جهدهم في خلق تجمعات حاشدة ويدعون الشعب الى مقابلة الديكتاتور بصيحات القرحيب .

والديكتاتور الخاضع تماما. للمنحوب السامي البريطاني يأتي خطبا طنانة تمنى للجماهير بالكاسب التي ستتحقق في ظل رئاسته . أما النحاس باشا الذي يحسد محمد محمود على هذا النجاح فقد أخذ يروج ويجهد نفسه للحفاظ على شعبيته الخاصة وشعبية الوفد بين الجماهير .

وتتوافد اليه جماعات ووفود تمثل لجان الحزب من كل أنحاء البلاد معاهدة اياه على الاخلاص الدائم للوند . أما خليفة المرحوم زغلول فانه يعيدهم بحوره باسم الوفد وبصورة مجيبة أن يستمر على الطريق لنيل استقلال البلاد .

ان هذه الازمة ذات الخصائص الفريدة من نوعها تجري أحداثها من أجل متفرج واحد هو المندوب السامي البريطاني اللورد لويد . فقد كان كل

١ - مجلة ريفولوشيونى فوسترك « الشرق الثورى » - عدد ١ - ١٩٣٢ .
ص ١٤٦ (مترجم عن النص الروسى) .

* تضمنت أعداد المجلة الروسية ريفولوشيونى فوسترك في مطلع الثلاثينيات عددا من المقالات الهامة عن مصر كتبتها عدد من خبراء الكومنترن في شؤون الشرق العربي أمثال أ. شامى ، انيجدور . وقد اهتمنا بنشر مقالى ١ . للجبالى باعتبار انها أرسلتا من داخل مصر. وان كاتبتها مصرية . (والأسم حركى بطبيعة الحال) ولذلك فانه من الممكن اعتبار انهما أكثر ايضاحا لموقف الرفاق المصريين وتعبيرا عن مستواهم الفكرى والسياسى .

فزمه حميد محمود والنحاس باشا يحاول بهذه التحركات ان يقنع المنسحب
السامى البريطانى بان حكم مصر ممكن فقط بواسطته عو شخصيا .

وبالاه من جهند ضائع ، فانجلترا تعرف جيدا ان حزب « الاتحاد » هو
حزب كبار الملاك وان الليبراليين وعددهم لا يزيد كثيرا عن المجموعات الساقية
هم يجماعة من الليبروتراطيين وان أقصى ما تستطيعه هاتان المجموعتان هو
تشكيل حكومة تابعة لبريطانيا .

كذلك تحرك انجلترا ان الوفند يمكنه - حاليا - ان يعتمد بغير منازع
على قوى البرجوازية المتوسطة والصغيرة والمتخفين ، كما ان له اتصالات قوية
وكافية بالفلاحين ، بل انه يستطيع ان يستخدم شعبيته أيضا في الأوساط
البروليتارية .

وتعلم بريطانيا تمام العلم حقيقة علاقات القوى بين الاحزاب
السياسية المتصارعة في مصر غير انها تعى بدرجة اقل الاوزان النسبية لهذه
الاحزاب . وهكذا فان حكومة الامبريالية البريطانية بالسياسة التي تنتهجها
في هذا الصدد لم تدفع الى معاداتها بجماعير الفلاحين المصريين وبروليتاريا
السكن نخسب وانما أيضا البرجوازية المصرية .

لقد كانت انجلترا باعمالها لنداءات الجماهير العريضة في مصر تعتمد
في الاساس على اعتقاد راسخ مؤداه انه ما من جماعة من الجماعات السياسية
المصرية تعارض معارضة حقيقية السيطرة البريطانية .

ان الحركة العمالية في مصر ضعيفة للغاية . وحزب الطبقة العاملة
لا يمكن النظر اليه الان على انه عامل سياسى مؤثر ، والجماهير الشعبية لاتساهم
في الحياة السياسية للبلاد وكلا الحزبين البرجوازيين المصريين غير قادر
على قيادة الحركة الوطنية المناهضة ضد الاحتلال .

والوفند - الذى كان الى حد ما - في مركز الاعتماد في مصر ، والسدى
تمكن - الى حد ما - من قيادة موجات الغضب الجماهيري غير المنظم ضد
الحكم القائم ، وقادة الوفند - تلاميذ واتباع زغلول - كانوا جميعا في انتظار
التحول الفصل . لكن الوفند كان يخشى بقطلة الجماهير خشية الموت .

والوفند الذى يتحجث دائما باسم الشعب المصرى مطالبا بالاستقلال
التام غير المشروط لمصر - يخشى أكثر ما يخشاه - الشعب ، واحتمالات أن
يصبح الشعب عتية في سبيل التقام مع الحكومة الإنجليزية ، منطلقا
من اعتقاده أن الجيش الانجليزي قد لعب دائما دورا رئيسيا في كل الصراعات
الاجتماعية الحابسة في مصر ، وان رحيله عن البلاد سوف يؤدي بالضرورة
الى تفجر الصراع الطبقي .

وبالتسبب لقيادة الوفد فإن النضال الطبقي مسألة غير مرغوب فيها .
ولقد قال النحاس باشا أثناء استقباله مؤخرا لأحد الوفود « منذ قيام
الوفد تمكننا دائما من أن نتجنب صراع الطبقات الذي يقود الأمة الى الفوضى
والقتال » .

وفي ظل كل مد للحكومة الوطنية ، وفي ظل كل تحرك شعبي يحاول الوفد
أن يقيد أفاق الحركة وحدودها ، وأن يوجهها نحو إطار الشرعية . والوفد
يبحث دائما عن إثارة الجماهير ولكنه يتجنب دائما أي تحرك فعال من
جانبها . والشعار الذي يرفعه الوفد دائما هو « مطالبات الجماهير بالهدوء » .
« ايها المصريون : ان زعماءكم سوف يحصلون لكم على الاستقلال » .

وحتى الآن ، وعندهما أبعد الوزراء الوفديون عن الحكم بطريقة
مهينة ، وحل البرلمان وأوقف الدستور ووصلت الى السلطة العناصر التي تمثل
قيمة الرجعية الثيرة لم تغير تكتيك الوفد .

لقد أغلقت كل للصحف فيما عدا صحف الحكومة ، ولجأ الوفد الى
اصدار طبعات سرية من جرائده . ولكنه حتى في مثل هذه الطبعات السرية
ظل متمسكا بشعار زغول القديم « الحق فوق القوة » ، موصيا الجماهير
بالصبر والانتظار .

لكن حكومة الاقطاعيين أكدت أن « قوتها » فوق (حق) الوفديين .
وبمجرد أن وصلت الى السلطة دخلت في مفاوضات مع الانجليز حول تنظيم
استغلال مياه النيل ، أي أنها تضع في ايدي الانجليز مشكلة الري وهو عماد
كل الاقتصاد المصري .

لقد وعدت حكومة محمد محمود ببناء عشرات المستشفيات والمساكن
الشعبية للعمال لكنها بدلا من أن تبني مساكن شعبية قامت ببناء سجون
جديدة ، أما الاموال التي أنفقناها بسخاء على البوليس السري فقد كانت
تكتفي لتنفيذ مشروعات الصحة والانارة . الخ .

كذلك فإن المشروع الذي أعدته الحكومة لقوانين العمل اكتفى بتثبيت
وتقنين حالة العمودية التي تسود العمل واعتبروها ظروفا عادية ، وهو ينص
فوق ذلك على وضع النقابات تحت رقابة الادارة .

ولم يحتج الوفد على هذا القمع المدين ضد بيرونيقاريا مضر ، فهو
نفسه كان يتعامل مع الطبقة العاملة بنفس الاسلوب عندما كان في
السلطة . وفي ظل حكومة الوفد قمع البوليس بعنف محاولة للاضراب السلمى
تقام فيها عمال الاسكندرية واعتقل الكثيرين من العمال بتهمة « الشيوعية »
ومنجن العديده منهم وأبعد الكثيرين الى اماكن نائية اما العمال الاجانب فقد
نفاهم الى ايطاليا واليونان .

لقد ركز محامو الوفد احتجاجاتهم بصورة أساسية على انتهاك الحكومة لحرية الصحافة غير أن الوفد كان - حتى في ظل احتجاجه على إجراءات محمد محمود - لا يمانع في فرض بعض القيود على الصحافة معلنا أن الصحف التي تهتم البناء الاجتماعي القائم ، يمكن أن تغلق بقرار إداري ووفقا لأحكام الدستور .

ان الوفد في مازق حقيقي .. والزاسمالية الوطنية التي يمثلها الوفد تقف ضد الامبريالية الانجليزية باعتبار أنها المعوق الوحيد للصناعة المصرية لكنه في حلمه بالسيطرة بغير شريك على متاليد الحكومة ، أخذ يساوم الانجليز حول نصيبه في استغلال جماهير الشعب . والحقيقة أن تعنت الحكومة البريطانية ، ذلك التعنت الذي يعبر عن التناقض الكامل بين المصالح الامبريالية الانجليزية وبين مصالح مصر ، هو وحده الذي خال دون الوصول إلى تسوية مع انجلترا .

وهكذا فان التحرك الوفدي ضد السيادة الانجليزية في مصر وضد الحكومة المصرية الزائنة هو نوع من « محلك سر » ، وحتى ضراخ النحاس بائسا وهو يردد عبارات زغلول « دولة الظلم ساعة ، ودولة الحق حتى اقيام الساعة » قد فقد تأثيره .

ان بنيامة محمد محمود تجاه الحركة العمالية ، واعتدائه على حرية واستقلال مؤسسات النضال الاقتصادي للبروليتاريا قد اعطى دفعة لحد جديد لنضال الحركة العمالية .

ان الحركة العمالية هي المعارض الحقيقي الوحيد لسيطرة الامبريالية الانجليزية وسياسة الحكومة المصرية تجاه الفلاحين والعمال تقود كادحي القبرى والمن بالضرورة إلى صدام حاد مع حكومة رأس المال والاقطاع ، بل ان حركة التحرر الوطني في مصر مدعوة بانجمعها إلى الوقوف بكل قواها ضد هذه السلطة .

واذا وضعنا في اعتبارنا ذلك السخط المتزايد من جانب كل الجماهير العاملة في مصر ، وتصاعد نضال هذه الجماهير من أجل مصالحها اليومية ، وحسب الجماهير حول مطالب الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية ، فان حركة الثورة الوطنية سوف تنتصر حتما على السيطرة الاستعمارية وعلى سلطة الارستقراطية المالكة .

ان التربية السياسية للجماهير الكادحة في مصر تتقدم ببطء ولكن نشاطها يتصاعد فان هذه الجماهير الكادحة هي القاعدة الأساسية للنضال ضد المحتلين وأعوانهم من المصريين وضد ديماجوجيى الوفد .

١٠ الجنالي

تحريراً في نوفمبر ١٩٢٨ .

الحزب الذى يثرثر كثيرا

(رسالة من مصر)

بقلم أ. الجبالي (١)

ان الظروف السياسية ذات الطبيعة الخاصة في مصر قد أدت الى خلق حزب فريد من نوعه هو « الحزب الوطنى » .

وهذا الحزب يمكن اعتباره من حيث المحتوى الاجتماعى حزب البرجوازية المصرية المثقفة .

وعلى عكس الاحزاب البرجوازية الاخرى التى تتبنى فكرة المساومة مع الانجليز ، فان اعضاء الحزب الوطنى مصممون على انه لا توجد أية امكانية لاتفاق بين مصالح مصر وانجلترا . ولقد ظلوا على الدوام يرفعون شعارا يبدو راديكاليا للغاية « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » وعلى هذا الشعار يبني كل برنامج الحزب .

والحقيقة ان الحزب الوطنى ، هو وكل حزب من الاحزاب البرجوازية الاخرى قد حدد بدقة ووضوح سياسته الخارجية ، لكنه كان من الصعب عليهم جميعا تحديد برنامج عملى للسياسة الداخلية ، وذلك بسبب التناقضات التى تحكم تكوين هذه الاحزاب .

ولقد وجه اعضاء الحزب الوطنى انتقادات شديدة لتكتيكات الجماعات السياسية الاخرى ، وهم يشعرون دوما بالاعتزاز بهماضى حزبهم فهم أقدم الاحزاب المصرية وهم يعتبرون انفسهم الامناء الوحيدين على دعوة مصطفى كامل ، ابو الحركة الوطنية المصرية الحديثة . غير ان هذا الحزب الراديكالى ظل دوما على الهامش بالنسبة لكل الأحداث

١ - مجلة ريفلوسيونى فوستوك « الشرق الثورى » عدد ٢ - ١٩٣٢ :
ص ٢٨٨ (مترجم عن النص الروسى)

السياسية الهامة ، ولم يحاول أن يدرس أوضاع مصر دراسة جادة ، ولم يتقدم أية شعارات سياسية إيجابية ولم يكن غريباً بعد ذلك أن يفقد احترامه ، وأن يستق من حساب الكثيرين كحزب سياسي حقيقي اللهم الا بضعة مئات يشكلون مجموع عضويته .

ولقد قام قادة الحزب الوطني ، تحت ضغط راديكالي البرجوازية الصغيرة ، بسلسلة من الاستعراضات ذات المظهر الثوري ، تشاركوا في تكوين « عمية النضال ضد الامبريالية » ، لكن مثل هذه الاستعراضات المظهرية لم تغير ولو لأدنى درجة من الخط السياسي للحزب .

ولقد تجسدت السذاجة السياسية والفراغ الفكري لهذا الحزب - بشكل خاص - في تصرفاته ازاء أحداث الأشهر الأخيرة . فقد عرضت إنجلترا طريقاً للاستقلال التام لمصر وتولى الوفد - وهو الحزب القائد للبرجوازية المصرية والحائز على الاغلبية البرلمانية والحزب الحاكم السابق - تولى مهمة تهيئة الجماهير ، ولقد هاجم الليبراليون موقف الوفد ، لكنهم لم يكشفوا النقاب عن الرجعيين المفضوحين . وهكذا تعاروق الحزب الوطني مع انقلاب الرجعية المفضوحين من أجل اسقاط الوزارة الوضعية .

وقد استخدمت قضية الامير سيف الدين كمبرر لاسقاط حكومة النحاس باشا ، وهذه القضية تعبر تعبيراً دقيقاً عن طبيعة العلاقات السياسية المصرية البريطانية (ثم أورد الكاتب بشكل تفصيلي قصة قضية الامير سيف الدين ، ومضى بعد ذلك قائلاً) :

« لقد كان من الممكن بل من الواجب استخدام قضية الامير سيف الدين كمادة افصح الملك مؤاد كعمل للانجليز ، ان قادة الوفد (ومن بينهم النحاس باشا نفسه) دافعوا عن الامير سيف الدين وأخذوا على عاتقهم هذه المهمة . أما قادة الحزب الوطني فالسبب مجبولة تماماً عارضوا الوفد في موقفه هذا . وفي البرلمان وقف زعيم الحزب الوطني حافظ بك رمضان ليخطب قائلاً : ان النحاس والحامين الوفديين الآخرين يقبضون أموالاً طائلة ثمناً لتبنيهم قضية سيف الدين . »

وقد أمكن « فبركة » حملة واسعة وسط الرأي العام بواسطة الصحافة المصرية والانجليزية المأجورة حول هذه القضية ، وكانت النتيجة سقوط حكومة الوفد .

وبعد ذلك حل البرلمان ، وألغى الدستور ، ووصل الى السلطة غلاة

الإقطاعيين والرجعيين ، علاء النوب السامى البريطانى . أما الراديكاليون من أعضاء الحزب الوطنى قد ساعدوا الرجعية فى معركتها ضد الوفد وبعد أن تحقق النصر للرجعية ذهبوا جميعا الى أوروبا للراحة !!

وهكذا أصبح الميدان خاليا تماما للرجعية . ثم أعد مشروع معاهدة غاروفل مع انجلترا وأمنت الرجعية المصرية بموجبه على إعطاء الانجليز الرقابة الكاملة على مياه النيل وبذلك يتم للانجليز التحكم النهائى فى مصائر الفلاحين المصريين واستعبادهم بشكل كامل . وقد توصل هذا المشروع بالامتناع والرفض من جانب المصريين جميعا . وفى المقابل منعت الحكومة عقد أية اجتماعات وأخذت فى إغلاق الصحف الواحدة بعد الأخرى مانعة نشر أى نقد ولو متواضع موجه ضيحا .

وفى شهرين اثنين تبطأ ضم إلى البوليس السرى - وفقا للارقام السرية - ثلاثة آلاف شخص . وعزل من الإجهزة الحكومية ومن سلك القضاة كل العناصر غير المرغوب فيها ونظمت حملات للاعتقال الجماعى ، ووضعفت النقابات تحت إشراف الحكومة . وتضاعف السخط فى البلاد بصورة لم يسبق لها مثيل . غير أن الجماهير الساخطة سخطا تلقائيا ، كانت تفتقر الى القيادة ، أما قادة الحزب الوطنى فقد احتفظوا بصمت بليغ .

لقد مثل قادة الحزب الوطنى لسنوات طويلة دور حماة الجماهير الكادحة والمدافعين عنها . لقد حاولت البرجوازية الصغيرة الراديكالية عبثا أن تقنع الجماهير بأن ممثليها لم يبتعدوا عن خشبة المسرح . لكن الصراع الدائر بين صفوف أعضاء الحزب أنفسهم ، ثم يكشف فقط عن مدى الضعف السياسى لقادة الحزب وإنما كشف أيضا عن ضرورة البحث عن مسارات جديدة لحركة التحرر الوطنى .

وكما يتم الاسراع بعملية « تفجير » الحزب الوطنى من الداخل ، كلما وجدت العناصر الشريفة داخل هذا الحزب بسرعة أكبر طريقها الصحيح نحو تأسيس اللتلة الثورية الوطنية الموحدة تحت قيادة حزب النطيفة العاملة . . . وكما سرغت حركة التحرر الوطنى المصرية بالسير فى الطريق الصحيح .

تحريراً فى مايو ١٩٢٩

برنامج ديكتاتورية محمود في مصر (١)

بقلم ج. ب. (القصير)

لم تمض سوى أقل من ثلاثة أشهر على الانقلاب محمد محمود الذي وقع في القاهرة ولم تستطع ديكتاتورية محمود بعد أن تحقق هدفها الأساسي وهو تحطيم حزب الوفد ذي الاتجاهات الوطنية وتجريده من نفوذه .

لكن محمد محمود قد استطاع أن يصمد أمام الهجوم الأول الذي شنه الوفد ضده وهو الآن بصدد الاستعداد لشن الهجوم المضاد . ولكي نستطيع فهم تطورات الأحداث التي تجرى في مصر فهما واضحا فإنه يتعين علينا أن نتعرض للبرنامج الذي طرحته ديكتاتورية محمود .

وكما هو واضح من سلسلة البيانات الرسمية وشبه الرسمية . ومما أعلنه محمود تفصيلا في خطابه أمام أعيان طنطا ، فإن هذا البرنامج يمكن أن ينقسم إلى ثلاثة أقسام : البناء الروحي - خطط للإصلاح - السياسة الخارجية .

وفيما يتعلق بالقسم الأول ، فإن محمودا يحاول الإيهام بأن حكومته ترغب في انقاذ مصر من الهوة السحيقة للفساد والجسوبة ومحاياة الإقارب والنفوس الاخلاقية التي ترعرعت في ظل الادارة الوفدية . وبدلا من « حكومة اصالح الحاكمين » فقد بشر محمود « بحكومة لاصالح المحكومين » . ويزعم محمود في شن « ارباب عنيف » لتدمير جماعة الوفد التي لا تختلف معه في أي موقف من المواقف السياسية اللهم الا اعتماداتها العامة ، وسمعا بتحقيق هذا الهدف بقدر عطل محمود البرلمان وصادر حرية الصحافة وحرية الاجتماعات . وامتدت عمليات البناء الروحي الى حد منع الطلبة من الاشتغال بالسياسة وذلك حتى يتجهروا من « التحزب السياسي الذي هو أودأ أنواع التحزب » . ولكي يصبحوا أعضاء نافعين في المجتمع .

وحتى تستقر الاخلاقيات السياسية في مصر . فإن محمودا قرر أن يتفرغ نهائيا لتحقيق مصالح الشعب ، وقد حدد خطته للإصلاح في النقاط التالية :

١ - اصلاحات خاصة بالازرعين المسافر : وينطلق محدود من منطلق معترف به من الجميع وهو أن اصلاح حال التلاح هو مفتاح مشكلة اية سلطة في

وادي النيل . ولبيذا فقيده وعد محمود الفلاحين يتقسيم كل الاراضي الزراعية الملوكة للحكومة الى قطع صغيرة مساحة منها ٥ ، ٢ فدان (الفدان يساوي ٤٤٠٠ متر مربع) على أن يختص الذين بنيتهم ١٠٪ ويسدد على اقتساط مدتها ١٥ سنة . كذلك وعد محمود بالعمل على بذل أقصى جهد ممكن لتزويد القرى بالمياه الصالحة للشرب : وعلى تدعيم أجهزة تنقية مياه الشرب بالمدن بحيث تستطيع بذل القرى المجاورة لها بمياه الشرب ووعده كذلك بتحسين وسائل الري باستخدام القوي الكهربائية التي ستترايد بإنشاء محطات لتوليد الكهرباء وبناء ١٠٠ مستشفى بالريف خلال خمس سنوات وتخصيص ٤ ملايين جنيه لاقراض الفلاحين لمواجهة احتمالات تعثر تصريف محصول القطن .

٢ - اصلاحات خاصة بالمهمل : وتتضمن إصدار تشريع للعمل يحمي مصالح العمال ويعالج النزاعات بين العمال وأصحاب العمل ، وبناء ٥٠٠ مستشفى بالمدن وإنشاء مدارس متخية .

٣ - أعمال الري : وفي الدرجة الاولى تلبية خزان اتموان والعمل على بناء خزان جديد في جبل الأولياء بالسودان وذلك بهدف التمكن من استصلاح ما لا يقل عن ٧٠٠٠ فدان جديدة من الارض الصالحة لزراعة القطن . وقيل أن العمل في هذا المشروع الذي سَيَتكلف آلاف عديدة من الجنيهات سوف يبدأ في الشتاء القادم . وكانت نقطة الضعف الانسانية في برنامج محمود تكمن في سياسته الخارجية فالصخافة الوفدية كانت تجمع على أنه قد باع نفسه للانجليز . وعلى أية حال فان محمودا قد أعطى في الايام الاخيرة ردا حاسما على الدعوة الامريكية للانضمام الى «ميثاق كيلوج» معلنا في نفس الوقت أن مصر لن تتقيد بأية تحفظات قد تقدمك بهذا بعض الحكومات المنضمة الى هذا الميثاق ، وهو اعلان يشير بطبيعة الحال الى القديطات البريطانية تجاه القضية المصرية . وهكذا بزمن محمود أخيرا على أنه مستقل أيضا في سياسته الخارجية .

وهذا البرنامج الممتلىء بالعبارات الطنانة والديماجوجية مثل « حكومة اصديقاء الفقراء » ، « الحكومة التي فوق الطبقات والخرافات للطبقية » ، « الحكومة التي تسعى للاستقلال » ، « الخ الخ » كان بالدرجة الأولى سلاحا فعالا في يد محمود في معركته ضد الوفد .

ويعتبر هذا البرنامج محاولة ذكية لضداع الجماهير . وعلى لا تستهتف بنظر « تخليص الفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن من نفوذ الوفد » .

وإنما تستهدف أيضا حرف أنظار الحركة العمالية التي نهضت خلال السنوات
الإنشائية نحو مسارات اصلاحية أو بالدقة العمل على تدمير هذه الحركة .

وعلمنا أية حال فإن أهم ما أدى الى تعزيز مركز محمود هو عجز قادة الوفد
عن انتداب سياسة ثورية حقة . فإن كل هجومهم ضد محمود كان مجرد
شعارات مكتوبة على الورق وهكذا تنجرا محمودا الى الحد الذي أصدر معه
قرارات بتعطيل الصحف الوفدية .

ومن ناحية أخرى فإن هناك اتجاها واضحا لدى بعض الدوائر الوافدية
للتصالح بمصالحة مع الدكتاتورية .

إن البرنامج الذكي الذي غطت به حكومة محمود تحالفها مع الامبرياليين
واستعداداتها لمواصلة خداع الشعب المصري لا يمكن مواجهته مواجهة حاسمة
من خلال نشاط أي من أحزاب البرجوازية الصغيرة القائمة الآن في مصر وإنما
فقط يمكن مواجهته من قبل الطبقة العاملة وحزبها .

الأزمة والمد الثوري في مصر

بقلم أفيجدور

(تحت هذا العنوان كتب أفيجدور دراسة وأقية عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والصراعات السياسية في مصر .

وقد استغرقت هذه الدراسة الصفحات من ١٠٢ حتى ١٣٢ من العدد ٢ لعام ١٩٣٢ من مجلة « ريفولوشيونى فوستك » (الشرق الثورى) الروسية . ونحن نجترى هنا الفصل الاخير من هذه الدراسة لأهميته الخاصة) .

« المد الثورى وهام الرفاق المصريين »

لكى يمكن أن يتحول المد الثورى الموجود الان في مصر نحو أزمة ثورية أى نحو وضع ثورى فإنه من الضرورى العمل لايجاد العامل الموضوعى وهو الحزب الشيوعى القوى الذى يتعين عليه أن يجد لغة مشتركة بينه وبين الجماهير والذى يمكنه أن يقود نضالهم الثورى . ويمكن أن تؤكد بشكل قاطع انه بالنسبة لمصر فإن القضية الأساسية تتمثل الان في ضرورة نهوض حزب شيوعى قوى يتمسك ببرنامج نضالى ثورى يمثل مصالح الجماهير العريضة ويعطى الاجابات الصحيحة على كل القضايا الرئيسية لنضال الجماهير ويحثها عن أكثر للحلول ثورية للخروج من الازمة والتحرر من نير الامبريالية والاقطاع .

لكننا يتعين علينا أن نقرر ان رفاقنا المصريين لم يجدوا بعد اللغة المشتركة بينهم وبين الجماهير ولذلك فان تأخيرهم على الجماهير ضئيل . ان دور رفاقنا المصريين في كلا الهيئتين يؤكد أنهم كانوا سلبيين تماما ، وعدا موقف لا يغتفر لحزب قائد للطبقة العاملة .

ونوق ذلك فان ما أبود من نشاط خلال فترة هبة يوليو ١٩٣٠ كان نشاطا مشينا للشرف الثورى .

ان المشور الوحيد الذى أصخره رفاقنا أيام الهبة لم يدع الجماهير لمواصلة النضال وانما دعاهم الى الاستسلام ، دعوا هؤلاء الوندبين يخطبون ويظفنون ويتصارعون ويموتون فانهم يفعلون ذلك من أجل مصالحهم الخاصة ،

ومكذا لم يدرك الرفاق المصريون الاعمية للثورية القصى لانفاضة عشرات الالوف من العمال متبئين شمعار الوند الذى يدعو الجماهير للنضال من أجل الدستور .

ولم يستطع الزنابق المصريون أن يحشدوا قواهم (حتى تلك القوى التي يمتلكونها بالفعل) في مشاركة نشيطة في الانتفاضة ومن أجل قيادة حركة الطبقة العاملة والفلاحين .

إن خبرة هبة يوليو ، وكل ما تبعها من أحداث كان من المتعين لها أن تلقن رفاقنا المصريين الكثير من الدروس ، لكنه لا تصاعد الحركة الفلاحية ، ولا مظاهرات العمال الحوية استطاعت أن تنتزعهم من حالة السلبية الموسعة واستمروا دائما يتحركون في ذيل الحوادث ، وفي ظل وضع كهذا فقد ظل الوضع الثوري في مصر يعاني من أزمة ثورية تتطلب العمل الجاد لتصعيد النضال الذي تخوضه الجماهير العمالية والفلاحية من أجل حل ثوري للأزمة ومن أجل ثورة معادية للإمبريالية .

ولا بد لهذا الوضع أن يلفت أنظار رفاقنا المصريين ، فهو يلقي عليهم مسئولية عظمى تجاه الجماهير العمالية والفلاحية في مصر . وتجاه البروليتاريا العمالية والثورة العمالية ككل .

إن النتيجة الرئيسية التي يمكن أن نخرج بها من هاتين الهبتين والتي يتعين على رفاقنا المصريين أن يستنتجوها ، هي أن الجماهير المصرية قد تلقت درس الصراع ، وأن هبتى يوليو ومايو تعتبران مجرد « بروتين » للمشارك العظيمة التي ما زالت تنتظر هذه الجماهير في المستقبل القريب .

إن آفاق المستقبل ، بالنسبة للأزمة الثورية ترتبطها بالحركة الهائلة للجماهير ، تلك الحركة القادرة على تمجير كل الصراعات الطباقية في البلاد ، وترتبط كذلك بتصاعد الإرهاب الحكومي وتزايد النير الإمبريالي ، وبنمو الحركة الثورية في الاقطار المجاورة وبالنجاح في بناء الاشتراكية على أرض الاتحاد السوفييتي ، ذلك النجاح الذي لم يعد من الممكن أن يحجب عن الصعانة البرجوازية المصرية . . . كل هذه العوامل سوف تخلق حتما الظروف المواتية لانفجار جديد هائل يمكنه أن يصبح انفجارا حاسما إذا ما استطاع رفاقنا المصريون أن يخرجوا من عزلتهم ، وإذا ما استطاعوا أن يرتبطوا بالجماهير وإذا ما استطاعوا أن يقيموا حقيقة حزبا شيوعيا ثوريا منظما وجماهيريا قائدا بحق للنضال اليومي للطبقة العاملة والفلاحين ، وأن يكتفوا عن تصورهم للنضال كمجرد دراسة ممتعة .

إن الظروف الموضوعية ملائمة تماما لأداء هذه الواجبات ، فالجماهير تبحث عن قائد ، تبحث عن زعيم . وعلى الزفاق المصريين ، وعلى الحور الذي سيقومون به يتوقف ما إذا كانت الجماهير ستجد قائدها الحقيقي .

أفيجدور - أغسطس ١٩٣١

موقف اللجنة المركزية للحزب الشيوعي

في فلسطين وسوريا من الانقلاب في مصر (١).

وجهت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في فلسطين وسوريا الرسالتين التاليتين حول الانقلاب الرجعي الموالي للإمبريالية الذي وقع في مصر :

١ - إلى رئيس الحكومة المصرية - محمد محمود باشا - القاهرة .

ان الحزب الشيوعي في فلسطين وسوريا يستنكر أشد الاستنكار الاجراءات الديكتاتورية التي ترتكبها حكومتهم ، والتي تستهدف القضاء على الحقوق الأولية للبرلمان وحرية الصحافة والخطابة والاجتماع ، تلك الحقوق التي اكتسبت من خلال نضال مرير امتد لسنوات طويلة . ان أعمال العنف التي ترتكبونها لتضطرب بطابع اجرامي خاص لانها ترتكب في حماية الحزاب البريطانية ومن ثم فهي تستخدم مصالح الامبرياليون ليس في مصر وحدها وانما في كل أنحاء الشرق الادنى .

انك - بوضعك نفسك في خدمة المخططات البريطانية وباغتصابك لحريات الشعب المصري انما تتدمع نفسك - بالرغم من كل ما ترتده من شعارات - كعدو لحركة تحزير الجماهير الكادحة تلك الحركة التي هاجمتها مجوما وخشيا .

لتسقط ديكتاتورية الحزاب البريطانية -

عاشت الحرية السياسية

لتسقط الامبريالية البريطانية

عاشت مصر مستقلة

٢ - إلى رئيس الوفد مصطفى باشا النحاس - القاهرة .

وإلى رئيس « الحزب الوطني » حافظ بك رمضان - القاهرة .

استنكارا للانقلاب الرجعي الذي قام به محمد محمود فقد قمنا بتوجيه الرسالة المرفق صورة منها إلى الحكومة .
ونحن إذ نطلبكم بذلك لنود أن نعرب لكم عن اعتقادنا عن انه ما من

سبيل لشن نضال ثوري ضد الامبريالية البريطانية وعمليها ، الديكتاتور ،
محمد محمود بهدف فتح الطريق لتحقيق الاستقلال التام والتحرير الاجتماعي
للجمامير العاملة المصرية الا بقيام حركة مصرية تحررية ثورية قومية تقوم على
اساس توحيد قوى عمال المدن والريف والمثقفين الثوريين .

ان الحزب الشيوعي في فلسطين (ومصر) * سوف يواصل جنباً الى
جنب مع كل البروليتاريا الشيوعية في جميع البلدان العمل لمساندة النضال ضد
الديكتاتورية الرجعية في مصر ومن اجل اقامة جمهورية ديمقراطية حرة على
ارضها .

٢٦ يوليو ١٩٢٨

* هكذا في النص الانجليزي ، ولا شك في انها خطأ مطبعي . وان صحتها
الحزب الشيوعي في فلسطين وسوريا .

(٢) أوراق قضائية

- * تقرير الاتهام في قضية الشيوعية سبتمبر ١٩٢٥ .
- * مرسوم ملكي بإسقاط الجنسية المصرية عن ثمانية من المصريين
• (١٩٣١/٨/٢٣)
- * حثييات الحكم ببراءة عصام الدين ناصف في القضية ٣٤٤ كلى الاسكندرية
• لسنة ١٩٣١ .
- * محضر تحقيق النيابة العسكرية مع أنور كامل .
- * مذكرة من حكمدارية بوليس مصر عن عنرى كوربيل (مذكرتان) .
- * مذكرة حكمدارية بوليس عن « الجبهة الاشتراكية » .

قضية الشيوعية

تقرير النيابة العمومية. لقاضي الاحالة

مقدم من النيابة العمومية لخضرة قاضي الاحالة بمحكمة مصر الاطبية
في قضية الجنائية رقم ٨٢٧ شبرا لسنة ١٩٢٥

تتهم النيابة العمومية :

- ١ - كونستنتين فايس سن ٢٦ سنة - محرر جرائد وقومسيونجي مولود في النمسا ساكن بشبرا نمرة ٨ شارع غواد ومسجون الان
- ٢ - شالوم بولوك - سن ٢٥ سنة كاتب مولود بمرسكو مقيم بشبرا شارع غواد نمرة ٨ ومسجون الان
- ٣ - ليون الكوتين - سن ٢٩ سنة كاتب مولود بالروسيا ساكن بشارع المناصرة نمرة ٨. بشارع محمد علي ومسجون الان
- ٤ - ريدل هوشليك - سن ٣٢ سنة كيربائى مولود ببولونيا ساكن بالمناصرة نمرة ٨ شارع محمد علي ومسجون الان
- ٥ - محمد عبد السميع الغنيمي - سن ٣٠ سنة كاتب بوزارة المعارف مولود بشبرا النخلة مركز بلبيس وساكن في شارع أم الغلام بدرب الحمام نمرة ٣ بالجمالية ومسجون الان
- ٦ - رفيق جبور - سن ٤٣ سنة مولود بجبل لبنان مقيم بشبرا بشارع البعثة حارة محمد خليل نمرة ٣ محرر بجريدة النظام والحسان مسجون الان
- ٧ - شاكرا عبد الحليم - سن ٢٦ سنة طالب بالازهر مولود بالمتانية مركز العياط مقيم بالمتانية بدرب الحصر حارة رشوان بك نمرة ١٨ ومسجون الان
- ٨ - شعبان حانظ - سن ٢١ سنة مساعد اجزى مولود بالاسكندرية مقيم بشارع الكرداسى قسم غابدين نمرة ٢٦ مسجون الان
- ٩ - شارلوت روزنتال سن ٢٦ خالية للصناعة ومولودة بالاسكندرية مقيمة بكموم الناصورة ومسجونة الان
- ١٠ - الهامى امين - سن ٢٢ سنة مخزنجى بالسكة الحديد مولود بمصر مقيم بالمطيارين بباب سدره شارع المرغنى ومسجون الان
- ١١ - بيومى مرسى النياسوسى سن ٢٩ سنة خراط معادن مولود بالعطف ومقيم بالاسكندرية بغيط العنب ملك محمد عطية شريف ومسجون الان

١٢ - سيكلز يديس ييناكاكيس - سن ٣١ سنة ببيع اسفنج مولود بكمونس
مقيم بالاسكندرية بشارع عبد النعم نمرة ١٨ ومسجون الان

١٣ = أرون واينزج - سن ٣٣ سنة ببيع فرش مولود بالروشيا مقيم
بالاسكندرية بشارع أبو الدرداء نمرة ٤ مسجون الان

بانهم في المدة بين ٦ أكتوبر سنة ١٩٢٤ الموافق ٧ ربيع أول سنة ١٣٤٣
و ٣٠ مايو سنة ١٩٢٥ الموافق ٧ ذو القعدة سنة ١٣٤٣ .

أولا : اتفقوا اتفاقا جنائيا بأن اتحدوا مع غيرهم على ارتكاب الجنايات والجنح
الاتية وهي جنایات القتل العمل ونشر الإنكار الثورية المغايرة لمبادئ
الدستور المصرى الاساسية وتحبيذ تغيير النظم الاساسية للهيئة
الاجتماعية بالقوة والارهاب وبوسائل أخرى غير مشروعة المنطبقة على
المادة ١٩٤ و ١٥١ فقرتي ٢ و ٣ من قانون العقوبات وجنح انتهاك
حرمة ملك الغير المنطبقة على المواد من ٣٢٤ الى ٣٢٧ من قانون العقوبات
وقد حرضوا جميعهم على الاتحاق الجنائى المذكور وأداروا جميعا حركته .

ثانيا : اشتركوا في اتحاق جنائى الغرض منه ارتكاب جريمة تاليف عصابة من
العمال وصغار الفلاحين لارهاب طائفة من السكان وهى طبقة أصحاب
الاعمال والملاك وهذه هى الجنایة المنطبقة على المادة ٨٠ من قانون
العقوبات وقد حرضوا جميعهم على الاتحاق المذكور وتدخلوا جميعا
في ادارة حركته .

ثالثا : نشروا وهم مقتنون جميعا على ذلك أفكارا ثورية مغايرة للمبادئ
الاساسية للدستور الدولة المصرية وحجروا تغيير النظم الاساسية للهيئة
الاجتماعية في البلاد المصرية بالقوة والارهاب وبوسائل أخرى غير
مشروعة وذلك علنيا بطريق بيع وتوزيع كتب وجرائد ونشرات مطبوعة
وغير مطبوعة والكتب مقالات في المحال والمحافل العمومية وبواسطة
اشهار رسوم وتصاویر وهذه الكتب والجرائد والنشرات والمقالات
والرسائل الأخرى تحوى أمورا وأفكارا تخالف مبادئ الدستور المصرى
الاساسية ومن شأنها تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية مثل الغاء
نظام الملكية الفردية المقرر في دستور الدولة واستبداله بنظام شيوعى
بطريق الثورة والقوة والتهديد . وذكر فيها أن النظم التى يسعون
اليها أفضل من النظم الحالية وانها حرية بأن تحقق وأنه يجب العمل
والسعى لتحقيقها وقد انوا حزبا لهذا الغرض سموه بالحزب الشيوعى
المصرى التابع للدولية الشيوعية الثالثة . وقد عمل ذلك الحزب على

مقتضى شروط تلك الدولية وبناء على تعاليمها التي ترمى الى الغلباء
الملكية الفردية ومصادرة الاملاك من اصحابها وخجزها عنهم وغير ذلك
بطريق القوة والتهديد والطرق الاخرى الغير مشروعة وأخذ الجزب
المذكور بنشر دعوته الضارة المذكورة بطرق العلنية المختلفة المبينة آنفا
بين العمال وصغار الفلاحين وغيرهم .

بناء عليه :

يكونون قد ارتكبوا الجرائم المنصوص عنها في المادة ٤٧ مكرر وفي المواد
٨٠ و ٨٢ و ٨٣ وفي المواد ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١. فقرتي ٢ و ٣ من قانون
العقوبات .

من اجل ذلك

تطلب النيابة العمومية من حضرة قاضي الاحالة أن يحيل هذه القضية
على محكمة الجنايات للحكم فيها طبقا للمواد سالفة الذكر وقد تحررت
قائمة بشهود الاتبات وهي مرفقة بهذا .

نحن النائب العمومي بالمحاكم الأهلية
نكلف أحد المحضرين بأن يعلن هذا التقرير والقائمة طيه للمتهمين الذين
هم في السجن .

(١٩٣٥/٩/١٠)

النائب العمومي

امضاء

ملحوظة : نشرت جريدة « الأخبار » نصا موجزا لهذا القرار بتاريخ ١٩٣٥/٩/٩ .
أى قبل توقيع من النائب العمومي بيوم واحد .

مرسوم ملغى

باسقاط الجنسية المصرية عن ثمانية من المصريين

نحن فؤاد الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على المادة ١٣ من قانون الجنسية المصرية رقم ١٩ لسنة ١٩٢٩

وعلى المذكرة المرفوعة من وزارة الداخلية الى مجلس الوزراء بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٣١

وبناء على ما عرضه علينا وزير الداخلية وموافقة رأى مجلس الوزراء
رسمنا بما هو آت

المادة الأولى

تسقط الجنسية المصرية عن الأشخاص الآتية أسماؤهم :

١ - محمد أحمد سلام المشهور حمدي سلام

٢ - عبد الرحمن فضل

٣ - حسين حسن الجزيري

٤ - محمو مصطفى دويدار

٥ - عبد العزيز محمد مرعي

٦ - على حسين حسين

٧ - شارلوت روزنثال

٨ - شعبان حافظ

المادة الثانية

على وزير الداخلية تنفيذ هذا المرسوم
صدر بسرأى التنزلة في ٦ ربيع الثاني ١٣٥٠ هـ

٢٠ أغسطس ١٩٣١ م

فؤاد

بأمر حضرة صاحب الجلالة

رئيس مجلس الوزراء

اسماعيل صدقي

وزير الداخلية

اسماعيل صدقي

١٩٣١/٨/٢٣

مرسل الى وزارة الداخلية لتنفيذه

رئيس مجلس الوزراء

اسماعيل صدقي

حيثيات الحكم ببراءة عصام عصام الدين ناصف *

نص أسباب الحكم في قضية الاستناذ عصام الدين ناصف

أصدرت محكمة جنايات الإسكندرية المشكلة علنا تحت رئاسة حضرة صاحب العزة محمد أنور بك وحضور حضرات صاحبي العزة محمد راغب بك وخليل غزالات بك مستشارين بمحكمة الاستئناف الأهلية وفهيم ابراهيم عوض أفندي وكيل النيابة وحامد حسين عباس أفندي كاتب المحكمة حكمها بالبراءة في قضية النيابة العمومية نمرة: ٥٧٣ المنشئية سنة ١٩٣١. المقيدة بالجدول الكلى نمرة ٣٤٤ سنة ١٩٣١.

فصل

عصام الدين حنفي ناصف أفندي عمره ٣٢ سنة وصناعته مدرس وسكنه شازع الأمير فاروق رقم ٤٨.

وحضر للدفاع عنه حضرة صاحب السعادة محمد علي باشا وحضرة ابراهيم الهلباوي بك وحضرة مصطفى مرعي أفندي المحامون.

وقد وضعت للمحكمة أسباب الحكم كما يلي:

بعد سماع أمر الاحالة وطلبات النيابة العمومية والاطلاع على أوراق القضية والداولة قانونا.

حيث ان النيابة العمومية اتهمت المذكور بأنه في السنين ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣١ بالقاهرة والاسكندرية وبلاد أخرى بالدولة المصرية نشر افكارا ثورية مغايرة للمبادئ الأساسية لدستور الدولة المصرية وحبذ تغيير للنظم الأساسية للهيئة الاجتماعية في البلاد المصرية بوسائل غير مشروعة وذلك علنا بطريق بيع وتوزيع كتب مطبوعة تحوى أمورا وافكارا تخالف مبادئ الدستور الأساسية ومن شأنها ان تؤدي الى تغيير النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية مثل الغاء نظام الملكية الفردية المقرر في دستور الدولة ونزع ملكية الغير.

* نقلا عن جريدة الجهاد ٣٠ نوفمبر ١٩٣١

بغير الطرق القانونية المشروعة واستبداله بنظام آخر وذلك بطريق الثورة والقوة وأن النظم التي يبسعى لتحقيقها أفضل من النظم الحالية وأنها حرة بأن تتحقق ويجب العمل والسعى لتحقيقها والكتب التي وزعت وبيعت هي « كتاب التجديد الاجتماعي » و« كتاب الاشتراكية الحديثة » وغيرها وظلت من حضرة قاضي الإحالة أحواله على محكمة الجنايات لمحاكمته بالمواد ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ فقرة أولى وثانية من قانون العقوبات .

وحيث أن حضرة قاضي الإحالة قرر في ١٣ يونيو سنة ١٩٣١ أحواله على هذه المحكمة لمحاكمته بالمواد المذكورة آنفا .

وحيث أنه بجلسة يوم السبت ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣١ سمعت هذه القضية على الوجه المشروح بمحضر الجلسة وقد تأجل النطق بالحكم بجلسة اليوم .

عن القانون .

حيث أن النية العمومية تطلب معاقبة المتهم بمقتضى المادة ١٥١ فقرة ثانية وثالثة من قانون العقوبات المعدل بالقانون رقم ٢٧ سنة ١٩٢٣ وقد أثارت النيابة كما أثار الدفاع الكلام على المقصود من هذه المادة لأن كلا من الطرفين يركز في دفاعه في الدعوى على المعنى الذي يعتقد أن هذه المادة تؤيد به ، لذلك كان من الواجب البدء بتعريف معنى هذه المادة حتى يتيسر تطبيق الوقائع المنسوبة إلى المتهم عليها .

وحيث أن المادة المذكورة نصها :

يعاقب بالسجن لمدة لا تتجاوز خمس سنين كل من ارتكب فعلا من الاعمال الآتية وذلك باستعمال إحدى الطرق المبينة في المادة السابقة :
أولا : التحريض على كراهة نظام الحكومة في القطر المصري أو على الإزدراء بها .

ثانيا : نشر الإنكار الثورية المغايرة لمبادئ الدستور الأساسية .

ثالثا : تحييد تغيير النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية بالثورة أو الإرهاب أو بوسائل أخرى غير مشروعة . وحيث أن الجريمة الواردة في الفقرة الأولى لا شأن لها في هذه الدعوى فلا ترى المحكمة موجبا لبحثها الآن لأن الجزء المطلوب معاقبة المتهم عليه منها هو ما ورد بعد ذلك في الفقرتين ثانيا وثالثا .

وحيث أن مدار الخلاف القائم بين الطرفين ينحصر في الحقيقة في نقطة واحدة وهي هل للفعل المنصوص عليه في الفقرة الثانية وهو « نشر الإنكار الثورية المغايرة لمبادئ الدستور الأساسية » يتضمن في ذاته « القوة والإرهاب »

أو الوسائل غير المشروعة ولو لم ينص عليها المشروع في الفقرة المذكورة كما نص عليها صراحة في الفقرة الثالثة أولاً .

وحيث أن النياية العمومية ذهبت في تفسيرها لهذه الفقرة الى أنها لا تتطلب ما تطلبته الفقرة الثالثة من تلك المادة من استعمال القوة أو الارهاب أو وسائل أخرى غير مشروعة ملاحظة أن كلمة ثورية في النص الفرنسي للمادة معبر عنها بلفظ Subversives لا بلفظ Revolutionnaires والدفاع يخالفها في ذلك .

وحيث أن المحكمة ترى أن اللفظ الذي استعمله المشرع في الفقرة الثانية المذكورة سواء في النص العربي « الانتكار الثورية » أو النص الفرنسي Ideas Subversives يتضمن في ذاته معنى استعمال القوة أو الارهاب أو الطرق غير المشروعة ولذلك لم ير المشرع ضرورة للنص عليها في هذه الفقرة الثالثة والذي يدل على أن هذه هي نية المشرع هو ما جاء في المذكرة الايضاحية الخاصة بتعديل هذه المادة (قانون رقم ٢٧ سنة ١٩٢٣) حيث جاء فيها بالنص :

« أما الفقرتان الثانية والثالثة من المادة ١٥١ فالغرض منهما قمع الدعوى الضرة التي تقوم بها الهيئات الفوضوية أو الشيوعية » وبما أن واضح القانون هو اقتدر الناس على بيان غرضه من وضعه فلا يكون هناك أدنى شك في أن هذه هي نية المشرع لأن الهيئات الفوضوية أو الشيوعية من وسائلها كما هو معروف القوة المسلحة والمشرع قال صراحة أنه يقصد بقانونه قمع دعوة هذه الهيئات الخطرة على أن الذي يؤكد نية المشرع هذه هو التعديل الذي أصدره للمادة المذكورة بالقانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٣١ حيث أدمج الفقرتين الثانية والثالثة في فقرة واحدة وهي الفقرة الثانية من المادة ١٥١ المعدلة بالقانون المذكور ونصها :

« تحبيذ ونشر المذاهب التي ترمي الى تغيير مبادئ الدستور الاساسية أو النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة أو الارهاب أو أية وسيلة أخرى غير مشروعة » . ويلاحظ أن المشرع وبهذا النص قد أوضح بصراحة ما يمكن أن يكون محل اتهام في النص القديم وأنه وإن كان شديداً نوعاً في العقوبة فاضاف الى السجن الغرامة من خمسين جنيتها الى خمسمائة جنيتها الا انه لم يأت بشيء جديد بالنسبة للانفعال المعاقب عليها وإنما بينها تبييناً بتدابير ما جاء في المذكرة الايضاحية للقانون المذكور ما يأتى تطبيقاً على المادة ١٥١ « المادة ١٥١ : تتناول المادة ١٥١ من القانون الحالي والتعديلات التي ادخلت عليها هي :

أ - أدمجت في فقرة واحدة هي الفقرة ثانياً الجديدة الالتمتثال التي كانت مذكورة في الفقرتين « ثانياً وثالثاً » من المادة القديمة فوصف الجريمة

باعتبار ضيقة المادة الجديدة لا يقتصر على من يحدّد بنفسه استعمال القوة لتغيير نظم الهيئة الاجتماعية الأساسية أو مبادئ الدستور الأساسية بل يتناول كذلك من ينشر أو يحدّد المذاهب التي ترمي إلى تغيير هذه المبادئ أو هذه النظم بالقوة ولو لم ينصح هو نفسه باستعمالها أو صرح بأنه لا يشير باستعمالها ، فمن يحدّد مثلا نظريات شيوعية كما تطبق في روسيا ، ومعنى هذه البلشفية أو يترط مذهب لينين يقع تحت طائلة العقاب ولو احتاط لنفسه وصرح بأنه لا يشير باستعمال القوة - وذلك لأن هذه المذاهب تنطوي على أن يستولى العمال مباشرة وبالقوة على مقاليد الاحكام في الدولة اذ كانت تعتبر كل وسيلة أخرى لسيط النظام الشيوعي غير فعالة .

ب - شددت العقوبات بأن اُضيفت الى السجن الغرامة من خمسين جنيها الى خمسمائة جنيه وظاهر بوضوح في نص هذه المذكرة من أن المشرع ادمج في فقرة واحدة الاعمال التي كانت مذكورة في الفقرتين ثانيا وثالثا من المادة القديمة انه لم يأت فيها بجديد من حيث الازكان المكونة للجريمة وانما ابان غرضه من المقصود باستعمال القوة والارهاب فقال ان هذا الركن لا يقتصر على من يحدّد بنفسه استعمال القوة لتغيير النظم . بل يتناول أيضا من ينشر أو يحدّد المذاهب التي ترمي بطبيعة مبادئها الى أن يكون التغيير بالقوة ولو لم ينصح هو بنفسه باستعمالها أو صرح بأنه لا يشير باستعمالها وهذا المعنى هو نفسه ما كان مفهوما من قبل من نص الفقرة ثانيا من المادة ١٥١ المعدلة بقانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٢ .

عن الوقائع

حيث انه لا جدال في أن التهم نشر كتاب التجديد الاجتماعي الذي طبعه ووزعه سنة ١٩٣١ وهو معترف بهذا وقال ان هذا الكتاب هو عبارة عن مقالات سبق نشرها في الجرائد وأنه أراد بطبعها في كتاب تسجيلها باعتبارها عملا قبيحا كما أنه اعترف بنشر بعض مقالات عن الاشتراكية في مجلة روح العصر كما أنه معترف بترجمة وطبع ونشر كتاب الاشتراكية الحديثة سنة ١٩٢٨ فركن العائدية لا نزاع فيه .

عن كتاب التجديد الاجتماعي

مقالة الفلاح المصري

وحيث أن النياية العمومية شرحت الدعوى أمام المحكمة وأشادت في مرافعتها الى الواضع التي تقبل انها تكل على وجود الانتكار الثورية المغايرة للمبادئ الأساسية للدستور المصري وتحييد تغيير نظم الهيئة الاجتماعية في البلاد المصرية بوسائل غير مشروعة وقد ظهر من مرافعتها أن كل ما تنسبه الى

التيهم من الدعوة التي تغير مبادئ الدستور وتغير نظم الهيئة الاجتماعية ينحصر في دعوته الى الغاء الملكية الفردية والاستعاضة عنها بنظام الملكية المشتركة وأن تنزع هذه الطرق غير الطرق القانونية المشروعة وقد دلت على غرض التهم ببعض فقرات أشارت اليها في كتاباته تستنتج منها دعوة التهم الى هذا التغيير بطريق القوة فتكرت :

١ - ما جاء بالصحيفة نمرة ٩ من كتاب التجديد الاجتماعي ضمن مقالة التصلاح المصري حيث أوضح التهم الفارق بين الفلاح الاوربي والفلاح المصري يتمثل الفلاح الاوربي واقفا على أحد قدميه وهو يجيب المالك عن سب وقوفه كذلك بأنه ليس في قطعة الارض الخاصة به مكان لقدمه الاخرى لان باقى الارض كلها ملك له ووصف حالة الفلاح المصري بأنها مظلمة قاتمة ونفوس الذين ينظرون اليه باعتباره ثورا يضمنون في عنقه فيرغم الى أن قال : ان الفلاح انسان يجب أن يتمتع بحقوق الانسان

٢ - ثم تكرت النيباية ما جاء بالصحيفتين ١٠ : ١١ من الكتاب المذكور « ان التهم قال ان القوانين التي سنت لمناخضة انتشار المواد المخدرة لا يمكن أن يكون لها أثر فعال لان العملة الاساسية باقية وهي اليوس والتعاسفة والشعور بالظلم وأن الفلاح لا يطيق هذا الظلم فيركن الى الفرار منه بانتهمال هذه المغيبات ثم ان الكاتب عاب على من لا يهتمون باسعاد الفلاح قائلهم انه قانع بعيشه ولا يشعر أن له حقوقا مهضومة وهو منطلق عجيب لا يحل المسألة » ثم قال « لا بأس فلندناظر فستطها الايام » الى أن قال الكاتب « اما نحن فلانترضى الا ان تشمر الهيئة الاجتماعية يقسوتها وفضاعتها والا أن نهجر السبيل لتحسين نظمها وقواعدها ونحن اذا اقتنعنا بأن نحجم عن المضي في مهاجمة جميع الاخطاء الحالية - الفلاح هو خير أبناء مصر فيجب أن نتخضم خير ما فيها لمصلحة الفلاح »

٣ - ثم أشارت النيباية الى ما ذكره التهم في الصحف ١١ ، ١٢ ، ١٣ من الكتاب المذكور عن حالة الفلاح في مسكنه وتعرضه للأمراض الخطرة كالبلهارسيا والانكلستوما والروما تزم والبلاجرا والرمم الصيدي وأنه قد يكون مستاجرا صغيرا ولكنه مع ذلك لا يحصل من الارض على ما يحفظ كيانه العادي يتهو في الواقع عبد رق ينادى صاحب الارض بلانظ السيادة ويقبول له الأرض أرضك والزرع زرعك والعبيد وما ملكت يدها - وان الكثيرين من الملاك قد سلبوا الفلاح كل شيء ولم يتركوا له الا أشياء تافهة - وأن في الفلاح المصري جميع الصفات الخاصة بأبناء الشعوب المستعبدة

٤ - ثم أشارت النياية إلى ما ذكره الكاتب يندد به على أصحاب الأباغيد الذين يبعثون الآلاف فيينا لا تافع منه وفي النخخة القذرة ولا يسمحون للفلاحين بالمعيشة إلى جانبهم وعم يكونون ٧٠ في المئة من سكان القطر وتتبع عليهم اعباء الخدمة العسكرية في الحرب وفي السلم ويأبون عليهم أن ينالوا قسطهم من القوت وأن يتمتعوا بنصيبهم من الحضارة والمدنية - إلى أن قال المتهم فكان آباءنا وأجدادنا ومئات الاجيال الماضية قد ظلوا يعملون في بناء المدنية آلاف السنين ليتمتع بها بضع مئات من الاغنياء والبولازئين - لئن كان كذلك فسحقا لنا ونعسا - اننا نزيد حضارة قصى بنورها للشعب كله ، نريد أن يتمتع بها كل من يعمل على قدر ما يعمل إلى أن يقول الكاتب متحدثا عن فلاح مصر انه يقدم لها طعامها فلا تقدم له إلا الخبز والقهوان - وانه أدرك أن تجارة الرقيق لم تمنح واننا لا نعيش في القرن العشرين .

٥ - ثم قالت النياية ان المتهم بعد ان أشار إلى بعض طرق التصحيح فزا للرماد في العيون واخفاء الحقيقة نواياه يقول في الصفحة ٢٣ : أساس الإصلاح عندي أن يشمر الفلاح أن حقوقه متضمنة وأنه مظلوم بانس مهان وأنه ينقصه الكثير ليكون انسانا كما يجب أن يكون انسانا . ادعوه إلى بداية الطريق الاصح فلا يثبت أن ينطلق فيه إلى آخره - ساعدوه على فهم حقيقة مركزه وانتم ترون منه العجيب العجيب - الفلاح يزرع فيجب أن يجصد والنتاج هو المنتج فيجب أن يكون هو المستمتع .

مقالة نزع التجديد الحالية في مصر

ثم قالت النياية ان المتهم كتب في مقالة أخرى تحت عنوان « نزع التجديد الحالية في مصر » يقول :

١ - العالم لم يزل يتطور ويترقى ويتقدم إلى الامام في خطوات سراع فمن لازمه في تقدمه فازوا في معترك الكناح لاجل الحياة ومن أبوا الا أن يحتفظوا في رؤوسهم بعقلية القرون الخالية وافكار اعليها ونظرياتهم إلى الحياة فهؤلاء هم الذين يتجامل الجيل الحاضر وجردهم ويطوعهم يقبدهم ولقد يذم تطور الشعوب - كما يرى هيغل - بتأثير الافكار العظيمة التي يبشر بها دعاة المذاهب الفكرية المختلفة ومن ذا الذي ينكر التمهيد المنظم الذي مهنت به كتابات جان جاك روسو وزملائه عقول الفرنسيين للقيام بثورتهم الكبرى ، ومن ذا الذي ينكر ما أحدثته كتابات تولستوى واضرابه من كبار كتاب الروس في اعداد شعب غير مثقف كالشعب الروسي

للقيام بتلك الثورة التي لمحت بلهيبها دول العالم أجمع : لقد أصبح من المسلم به أن الظلم لا يحدث الثورات ولكن يحدثها الشعور به. واذن فالذي يداب على لفت نظر أمة من الأمم أو طبقة من الطبقات إلى ما يصيبها من ظلم كانت غافلة عنه لا يقل اشتراكا في أحداث ثورتها عن يتولى قيادة حركاتها المسلحة - ص ٤٣ من الكتاب -

٢ - وقالت النيابة ان المتهم بعد أن يشرح نظرية كارل ماركس الاشتراكية وتأثيرها في ألمانيا وما قام به العمال هناك وكذلك في إنجلترا ، يقول في صفحة ٤٨ : ومضى كان من المسلم به أن الظروف الاقتصادية لا بد فاعلة أثرها يتضح لنا أن من الحمق محاولة المناومة غير المجدية بل ان الواجب علينا أن نمهد الطريق أمام النظم الجديدة كي نوفر على أنفسنا تكاليف معركة نحن موقنون فيها بغلبة الجديد على القديم وبقاء الإصلاح الملائم لروح العصر على النهج الذي فات وأصبح من البله أن نطلب عودة الشباب إليه .

٣ - وبعد أن ذكرنا تاريخية عن الثورة المصرية الحديثة والتطور الحديث تطبيقتا لنظريته قال في صفحة ٥٠ : وتجتلي الروح الجديدة في مختلف مرائق الحياة الحيوية فقد بنتنا نسيم الان الإقتراعات بتحديد الملكية الزراعية والنماء الرتب والنياشين وأنشاء حزب للفلاحين أو العمال أو حزب اشتراكي أو غير ذلك ، وكل هذا سهل ومفهوم إذا رجعنا في تفنمه إلى نظرية التفسير المادي للتاريخ - على أن ماركس لم يقصد بهذه النظرية أن يطبقها على الماضي بحسب بل انه يريد بها المستقبل قبل كل شيء ، واذن فلنترك الخيالات والاهام ولنبتعد عن مقاومة الجديد الذي لا بد أن يطرأ على جميع مرائقتنا ما دامت ظروفنا الاقتصادية تتغير يوما بعد يوم .

وقالت النيابة بشأن ما نشره المتهم في الكتاب المذكور تحت عنوان مقالة الاشتراكية من الوجهة العلمية أنه جاء في المقالة صفحة ٥١ قوله : والفت النظر من الان إلى أن الغرض من الاشتراكية ليس رفع أجور العمال وتحسين أحوالهم تحسينا محدودا وإنما أن نحل الدولة محل طبقة مالكي الأراضي والمصانع وأن تمنح أصحاب رؤوس الأموال من التحكم في النقراء واستعمالهم عمالا أجيرين لا يتمتعون بكل ما ينتججه كدهم من الثمار . وأورد نقد ماركس للكونت لاسال الذي كان يريد تحقيق مبادئه عن طريق مطالبة الحكومة باصاوح حال العمال - ثم أخذ يعرف ماعية الاشتراكية فقال في صفحة ٥٢ : الاشتراكية تلغي الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج .

كالأرض وأبنية المصانع وألوانها والمواد الخام وهذا من الوجهة السلبية أما من الوجهة الايجابية فهي لا تصرح بالدخل الشخصي الذي يجيء من غير طريق العمل ثم انه في صفحة ٥٣ يعرف الشيوعية فيقول : انها لا تقتصر كالأشتركية على حرمان الافراد من التصرف في وسائل الانتاج بل هي تحرمهم أيضاً من التصرف في وسائل الإستهلاك أى الحصول الزراعى أو المنتجات الصناعية فلا يستطيع المنتج أن يبيعها لمن يشاء وبالغنى الذى يشاء. ولا أن يستعمل منها المقدار الذى يشاء ، فالجماعة الشيوعية تحدد المقدار الذى يلزم كل فرد من الماكل واللبس . ثم يتطرق الى وصف الفوضوية فقال : انها تُرغب في تقوية حرية الفرد الى أقصى حد وتطلب الغناء لجميع القوانين فيكون كل امرئ سيد نفسه . وبعد أن يبسط المقيم نظريات عدة للأشتركية . . تراه يختم المقالة بقوله في صفحة ٥٦ : « ولا معنى للاعتراض بأن هذا النظام غير طبيعى فقد عاش هذا النظام مئات السنين في المياضى ولا يزال سائدا في روسيا وفي الجهات التى تعمرها الزمر القدينية في أمريكا الشمالية فهو إذن لا يتضامر مع الطبيعة الانسانية على ان المهم هو معرفة أوتق النظام لمصلحة الانسان وأقربها الى طبيعته ،

عن كتاب الاشتركية الحديثة

تقول النياية : جاء في كلمة العرب وهو الختم : الاشتركية هي المحور الذى يدور عليه النزاع بين جميع الاحزاب السياسية في العالم المتقدمين .

وانى لأمل ان أخرج لقراء العربية غيره في القريب العاجل كما أمل بان يقوم الكثيرون بالكتابة في هذا الموضوع ، ومتى فهم الشعب هذه المبادئ امكنه أن يعرف مصدر نكته والسبيل الى الخلاص منها . ولقد نراه يشرح في هذا الكتاب النظريات الاشتركية والشيوعية ونظرية التوارث عند السلافيين ص ١١ ، ١٢ ونظرية ماركس وانجلز ص ١٢ وما يابها . ويقول في ص ١٢ ان النظام الرأسمالى أنتج حالات اجتماعية مروعة . فالعامل يتحول الى ضلوك والفاقة تنمو وتنتشر بأسرع ما ينمو الاهالى والثروة وتلك حال تاجها طبقة البروليتاريا ، الآن كما كانت تاجها وتكسح ضدّها في تصور النظم السابقة مكافحة عنية او خفية . وستنتهى اما بانقلاب النظام الرأسمالى واما بهلاك الطبقات المتنازعة ولن يكون غرض الطبقات المضطهدة من هذا الكفاح الا تحويل نظام الانتاج الرأسمالى الى نظام اشتركي وذلك يقضى بتحويل ما يمتلكه الرأسماليون من وسائل الإنتاج الى ممتلكات عامة وادارة الانتاج تقوم على قواعد الاشتركية أى بواسطة الجماعة ولاجديا . وشرح ماهية النظام الاشتركي للانتاج ونظام الانتاج اشتركي في الوقت الحاضر واشتركية الدولة بكل أنواعها والمساعى الحاضرة لنشر النظام اشتركي

وحدد نظام الانتاج الاشتراكي - ثم قال في فضل الشيوعية الزراعية في روسيا ص ٤٢ بان لينين بجرة من قلمه اعاد مساحة الاطيان التي كانت مملوكة للامراء والاشراف في روسيا الى ملكية القرى والبلديات وانه معا الملك الخاص

ثم قالت النيابة ان المتهم نشر في مجلة روح العصر بتاريخ ٢١ فبراير سنة ١٩٣٠ مقالة قارن فيها الاشتراكية بالشيوعية والفوضوية والطرق المؤدية لتحقيق اغراض كل منها

وقد استشهدت النيابة بكتابات للمتهم اسماء متابعه التجديد الاجتماعي لم يكن قد نشر بعد وقالت انه وان كان ركن العلنية لم يتحقق بشئانه الا انها قالت انها تسوق منه عبارات للتخيل على روح المتهم ونزعاته . هذا كل ما استندت عليه النيابة في اثبات التهمة ضد المتهم وقد بينته في مرافعتها الشفوية وقدمت للمحكمة في نهاية المرافعة مكتوبة تحصر فيها الادلة بحسب البيان السابق ايضا

وحيث ان المتهم ينكر التهمة وقد قرر في التحقيقات ان مقالة الفلاح المصري ليس فيها دعوة الى تغيير نظام الملكية وانه متحمل مسؤولية كل ما جاء فيها وان الاصلاحات التي طلبها في المقالة المذكورة لا تمنع من بقاء نظام الملكية وقال ان ما نشره بشأن الاشتراكية مسألة ثقافية يريد بها تنوير الاذهان عن مرامي الاشتراكية وانه اذا فرض ان نشر مبادئ الاشتراكية يترتب عليه قلب نظام الملكية فانه ما دام هذا يحصل بواسطة الحصول على غالبية برلمانية وبطرق سلمية ليس هناك مانع من نشرها وان المنوع هو ان يدعو المرء الى ذلك بالعنف وقال ان الظروف في نظره لا سيما الاحتلال الانجليزي والدين الاسلامي تجعل قيام حركة اشتراكية حقيقية في مصر من المستحيل وكل ما يريده ان الناس تحس وتعمل جانبا من الاصلاحات للفلاحين وان الاشتراكية المعدلة مثل فرض الضرائب على الدخل تنفق مع الدين الاسلامي لتوكله تعالى : « وفي امورهم حق معلوم للسائل والمحزوم » وانه ان ذكر الشيوعية او الفوضوية مثلك من باب توضيح معنى الاشتراكية لان بعض الناس يلتبس عليه معناها

وحيث ان الدفاع عن المتهم طلب الحكم ببرائته ويرتكز في ذلك على ان المتهم لم يمتل مطلقا في كتاباته كلمة واخذة بينهم منها انه يريد الغاء الملكية الفردية وانه اذا قال فلا عقاب عليه لانه لم يقل ان وسيلته الثورة وشرح مبادئ الاشتراكية ووسائلها شرحا وانيا

وحيث أنه من أطلاع الحكمة على كل ما كتبه المتهم ونشره مما سبق
بيانه وبعد سماع مرافعة النيابة والدفاع قد تبين لها أن مقالة الفلاح
المصرى ليس فيها أية دعوى الى الغاء نظام الملكية الفردية واستبدالها بنظام
اشتراكى وكل ما جاء فيها هو وصف حالة الفلاح التى يعتقد المتهم انها
سيئة جدا وبعض اصلاحات طلب اجراءها لمصلحته . صحيح أن المتهم فى وصفه
بالغ فى سوء حالة الفلاح مبالغة قد لا تتفق مع الحقيقة الا أنه على كل حال
لم يأت فيهما بكلمة تفيد أنه يدعو الى تغيير نظام الملكية الفردية لا بطريقة
سلمية ولا بطريق العنف والاصلاحات التى اقترحها موجهة الى الحكومة . وعبارة
العمل على زيادة ما يخص كل فرد من مساحة الاراضى المزروعة وهى موضوع
الاقتراح السادس قد بين المتهم الطريقة العملية للوصول اليها بأن تقسم
الحكومة باصلاح الاراضى البور على نمط واسع ثم تتبعها للفلاحين بثمن
يمثل متوسط تكاليفها فهو لم يقترح على الحكومة ان تأخذ من الملاك الحاليين
أراضيهم لتوزع على الفلاحين بثمن أو بغير ثمن . وأما الفقرات التى ذكرتها النيابة
من مقالة الفلاح المصرى فليس فيها مطلقا إشارة الى أن غرض المتهم الغاء
نظام الملكية الفردية ولا نزع ملكيتها بطرق غير مشروعة انما كلها مبالغة فى
وصف الفلاح بطريقة مثيرة للشعور كقوله : « ان حالته مظلمة قاتمة -
يخطرون اليه باعتباره ثورا يضعون فى عنقه نيرهم - الفلاح انسان يجب أن
يتمتع بحقوق الانسان - رائهم يفرون من الظلام الى المخدرات والمغيبات -
لا بأس فلننظر فستطرحها الايام - اما نحن فلا نرتضى الا أن تشعر الهيئة
الإجتماعية بقسوتها وفظاعتها والا أن نهيب لها السبيل لتحسين نظمها
وتباعدتها - ونحن اذا اقتنعنا فلن نحجم عن المضى فى مهاجمة جميع الاخطاء
الحالية - الفلاح خير أبناء مصر فيجب أن ينظم خير ما ينسأ لمصلحة
الفلاح - ان فى الفلاح المصرى جميع الصفات الخاصة بأبناء الشعوب المستعبدة
فسبحا لها وتعبا - اننا نريد حضارة تضى بنورها للشعب كله - نريد
مدنية يتمتع بها كل من يعمل على شئ ما يعمل . الخ . كل هذه الجمل
وما شابهها مما ورد فى مرافعة النيابة هى عبارة عن تعبيرات كلامية فيها
كثير من المبالغة يقصد بها الكايب اظهار ما يعتقد وما يتأثر به مما شاهده
على الطريقة التى يشعر بها - وأما تفسير النيابة لبعض هذه التعبيرات بأن
المتهم يقصد نشر الافكار الثورية وحث الفلاحين على القيام فى وجه الملاك
أو الحكومة ففيه تحريج غير مقبول للالفاظ والتعبيرات عن معانيها وتحميلها
غير ما تحتمل من المعانى والمقاصد .

وحيث أنه فيما يختص بما أشارت اليه النيابة مما جاء فى مثاله : نزع
التجديد الحالية فى مصر فان فهم العبارات التى ساقها على حقيقتها لا يمكن
أن يؤدى الى ما ذهب اليه النيابة من أنه يريد استعمال القوة لأنه انما يريد

أن يبين مقدار ما لكتابة الكتاب من تأثير وان الذي يوقظ شعور أمة أو طبقة من الطبقات وينبئها الى ما يصيبها من ظلم كانت غافلة عنه يكون له من الفضل في وصولها الى غرضها مثل ما يكون لمن يتولى قيادة حركتها المسلحة . كل هذا جاء بيانا لقوله قد يتم تطور الشعوب بتأثير الافكار العظيمة التي يبشر بها دعاة المذهب الفكرية فالسباق ليس سباق الوصول الى حق استعمال القوة أو بالثورة المسلحة وانما سباق حصول التطور بتأثير الكتابة ففكرة الكاتب اذن بعيدة كل البعد عن الدعوة الى استعمال القوة . أما قول الكاتب لا يقل اشتراكا في احداث ثورتها ، فلا مانع من أن تكون ثورتها الفكرية كما يحل على ذلك في سياق الكلام . فان الكاتب بدأ مقالته بتبرله ان العالم يتطور ويترقى ثم ذكر كيفية حصول التطور فقال قد يتم تطور الشعوب بتأثير الانكار العظيمة . الخ ، ثم قال بيانا للطريقة الأخرى انها تطور الظروف المادية والاقتصادية وهي نظرية التفسير المادي للتاريخ التي هي موضوع المقالة - فقال : يرى ماركس أن الافكار المثالية ليست الا انعكاس الظروف الاقتصادية - واذن فليست هي الدافع الحقيقي الذي يثير الحركات الاشتراكية وغيرها انما الدافع هو تغير ظروف الانتاج - وقد انتهى الكاتب بعد بيان أن الظروف الاقتصادية متى تغيرت تغير تفكير الناس تبعاً لذلك وتحتم أيضا تغيير نظمهم وعوائلهم الى قوله : وحتى كان من المسلم به ان الظروف الاقتصادية لا بد غاظة أثرها يتضح لنا أنه من الحق محاولة المقاومة غير المحدية بل ان الواجب علينا أن نهمد الطريق أمام النظم الجديدة كي نوفر على أنفسنا تكاليف معركة نحن موقنون فيها بالغبية للجديد على القديم . الخ - ولا يمكن أن يفهم من هذا تهديدا باستعمال القوة وانما هو نصح انتقاء للنتائج التي هي حاصلة من تغيير الظروف الاقتصادية بحسب اعتقاد الكاتب في صحة هذه النظرية - والمقصود بتعبير الكاتب هنا بلناظ معركة وغلبة ليس المعركة الحربية والانتصار فيها وانما هذه كلها تعبيرات كتابية يعرفها من يفهم اللغة العربية .

وحيث انه فيما يختص بمقالة الاشتراكية من الوجهة العلمية - وكتاب الاشتراكية الحديثة والمقالة التي نشرها المتهم في مجلة روح العصر هي كلها متعلقة في الكلام على الاشتراكية وبعض نظرياتها فان المتهم يقول في شأنها انها دراسة علمية يريد بها توضيح معنى الاشتراكية للناس لانه يلتبس عليهم معناها وهو لا ينكر أن نشر مبادئ الاشتراكية قد يترتب عليه قلب نظام الملكية الفردية ، كما تقضى به مبادئ المذهب الا أن وسائل هذا المذهب في تنفيذ برامجه ليست وسائل العنف والقوة ، وعمدة هذا المذهب ذاته كارل ماركس يرى أن تطور الظروف الاقتصادية وتغير ظروف الانتاج هي التي تؤدي الى التغيير .

وحيث أنه معروف حقيقتة عن علماء هذا المذهب أنه وإن كانت مبادئه ونظرياته غير محدودة ، ولا متفق عليها بين كبار أقطابه إلا أنهم بوجه عام لا يقولون باستعمال القوة في الحصول على تنفيذ مقاصدهم إلا المتطرفين منهم ، والمتهم لم يشر فيما كتب أو قيل بطريق الترجمة الى هذا النوع بل هو يتكلم عن الاشتراكية المعتدلة وهو مع هذا يعتقد ان الاشتراكية لم تجد لها أرضا خصبة في مصر للأسباب التي ذكرها : وعلى كل حال فإنه مع التسليم بأن مبادئ الاشتراكية على وجه عام من شأنها إلغاء الملكية الفردية فإن القوة ليست من وسائلها وعلمائها لم يبينوا الوسائل التي تؤدي الى إلغاء هذا النظام ويتركون تحقيقه للزمن تدريجيا - وأما كون المتهم لجا أثناء كلامه عن الاشتراكية الى الإشارة احيانا وبطريقة مختصرة الى الشيوعية أو الفوضوية فلم يكن ذلك بقصد نشر مبادئها ولا تحبيذها وإنما بيان الفرق بينهما وبين الاشتراكية التي يتكلم عنها ورفضها للبس إذ أن كثيرا من الناس يخلط بين الاشتراكية وبين الفوضوية والشيوعية غلبت مجرد ذكر شيء لطيف عنهما عرضا ليس فيه إشارة الى وسائل القوة التي هي أساسها يكون الجريمة التي أرادها القانون ، ولأن المشرع يعرف هذه الحقائق ذكر أسوأ في المذكرة التفسيرية للقانون نمرة ٢٧ لسنة ١٩٢٢ أو المذكرة التفسيرية للقانون نمرة ٩٧ لسنة ١٩٢١ الخاصين بالمادة ١٥١ ان القصد هو قمع الدعوة الخطرة التي تقوم بها الهيئات الفوضوية والشيوعية ، ولم يذكر عن الاشتراكية شيئا لان المشرع يقدر أن الخطر يأتي من أن الهيئات الفوضوية والشيوعية تعتمد على القوة المسلحة لتنفيذ أغراضها واتهم عندما أشار عرضا الى الشيوعية أو الفوضوية لم يتعرض لدراستها ولا لنشر مبادئها وإنما اكتفى بإشارة ليمنع القارئ من الخطأ بينهما وبين الاشتراكية ولا يمكن القول بأن الفصل الوارد في كتاب الاشتراكية الحديثة ص ٤٠ تحت عنوان : الشيوعية الزراعية في روسيا يعتبر نشر مبادئ الشيوعية الروسية لأن المؤلف ذكر في هذا الفصل أن الامتلاك الخاص للأراضي في روسيا ، بالمعنى المفهوم في غرب أوروبا لم يكن موجودا من قبل تحرير الفلاحين - وان اعادة الملك الخاص هو في روسيا الأصلية حالة أصلية قديمة واقعة ، وليس للفرد أن يملك أرضا وكل الأراضي فيما عدا تلك المشيدة فوقها أكوام الفلاحين هي ملك للبلدية - فالملكية الرأسمالية الحقيقية للزراعة لم توجد في روسيا الا بعد تحرير الفلاحين اذا سلبت من البلديات أكثر من ثلث أراضيها أعطي ملكا خاصا للإشراف الخ من المبشرات التاريخية السابقة على الثورة الروسية الى أن قال عندما نشبت الثورة البلشفية عام ١٩١٧ كان في روسيا الكبيرة ٧٥٠ مليون فدان من الأراضي الزراعية العامة مقابل ٢١٥ مليون فدان من المزارع والغابات الخاصة به قد أعادها لينين بجرة من قلمه الى ملائكتها الأولى

اعنى القرى والبلديات - وظاهر من هذا الفصل انه دراسة تاريخية لا توضيح لمبادئ الشيوعية ونظرياتها .

وحيث انه مما تقدم يتضح ان ما كتبه جزء منه لا ذكر فيه لالغاء الملكية الفردية ولا نزع ملكيتها لا بالقوة ولا بغيرها وجزء منه وهو الخاص بالاستراكية وان كان يتضمن تغيير نظام الملكية الفردية الا ان وسائله لا تتدرج بالقوة ولا بالتهديد ولا بطرق غير مشروعة .

وحيث انه بناء على ما تقدم شرحه من أن الفقرتين الثانية والثالثة من المادة ١٥١ القديمة تشترطان لتكوين الجريمة استخدام القوة أو التهديد أو الطرق غير المشروعة . وبما أن هذا الركن غير متوفر في الاعمال المنسوبة له غير معاقب عليها ويتمين الحكم ببراءته على انه على فرض التسليم جدلا . وجدلا فقط . بان الفقرة الثانية من المادة ١٥١ الجديدة لا تتطلب تودر القوة فان القائلون نمرة ٩٧ لسنة ١٩٣١ الذي عدل هذه المادة قد اشترط هذا الركن ضراحة . وبما أن هذا القانون يعتبر لمصلحة المتهم لانه بتطبيقه على الاعمال المنسوبة له تعتبر الجريمة غير متوفرة الاركان أى أن الفعل الذى كان يعاقب عليه القائلون القديم اذا لم تكن عنك قوة بحسب هذا الغرض أصبح غير معاقب عليه ببعقضى قانون سنة ١٩٣١ وهو قانون بلا شك يعتبر فى مصلحة المتهم وقد صدر قبل الحكم فى القضية وهو الواجب تطبيقه دون غيره عملا بنص المادة الخامسة من قانون العقوبات ويكون الواجب الحكم ببراءة المتهم فى كلتا الحالتين عملا بالمادة (٥٠) من قانون تشكيل محاكم الجنائيات :

فلهذه الأسباب

وبعد الاطلاع على المادة ٥٠ من قانون تشكيل محاكم الجنائيات حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم .

صدر هذا الحكم علنا بجلسة يوم الاحد ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٣١ الموافق ١٢ رجب سنة ١٣٥٠ هـ .

كاتب المحكمة

رئيس المحكمة

محضر تحقيق النيابة العسكرية مع أنور كامل

أقوال المتهم الأول / أنور كامل

أمام النيابة العسكرية العليا

في قضية الاشتراكية المتهم فيها

مع أعضاء جمعية - الخبز

والحرية - بالاتفاق الجنائي على ثلث نظام الحكم بالقوة - بيونية ١٩٤٢

استدعيته أنور كامل وبسؤاله قال :

اسمى أنور كامل

س : اذكر لنا تاريخ حياتك .

ج : تخرجت من الجامعة الأمريكية ١٩٣٢ ، ثم اشتغلت بمصلحة المساحة وكان لي نشاط سياسي محدود في ذلك الوقت ، وفي سنة ١٩٣٩ أصدرت بيانا عن العمال والفلاحين فصلت بسببه من الحكومة وقد حقت النيابة في هذا البيان وقررت حفظ القضية . وفي يناير ١٩٤٠ أصدرت مجلة « التطور » عندما كنت عضوا في جماعة « الفن والحرية » ثم حدثت ظروف اضطرت فيها إلى إغلاق هذه المجلة وفي سبتمبر ١٩٤٠ ألقت جماعة « الخبز والحرية » للدفاع عن مصالح الطبقات العاملة في هذه البلاد ، وفي أواخر ١٩٤١ قبض على مع آخرين بتهمة الاتفاق الجنائي على ثلث نظام الحكم بالقوة . ولكن هذه القضية حفظت لعدم وجود الأدلة ، وأنا اليوم أمامكم لنفس التهمة كما يظهر لي .

س : هل التحقت رأسا بمصلحة المساحة ؟

ج : نعم .

س : وهل كان لك شغف بالاطلاع على الكتب الاجتماعية في ذلك الوقت ؟

ج : أنا من طفولتي وأنا أفكر وأطلع ولعل بعض الاساتذة في الجامعة الأمريكية يذكرون لي هذا

س : ما هو الطرف المباشر الذي جعلك تصدر بيانا عن العمال والفلاحين ؟

ج : لم يكن هناك ظرف مباشر وإنما هذا البيان كان بداية لفكرة أخذت تجتمهر في رأسي مع الزمن .

س : ما هي الاسس التي قام عليها تفكيرك هذا ؟

ج : اظن ان المسألة واضحة جدا. وان في هذه البلاد ملايين يعيشون في حالة تشبه البهائم بينما تتمتع اقلية بكل موارد الثروة في البلاد .

س : ما الذي تناوله بيانك حتى حقق معك وفصلت بسببه ؟

ج : تناول البيان حالة العمال والفلاحين وصغار الموظفين من جهة ودانة الملاك واصحاب الصناعات وكبار الموظفين من جهة اخرى .

س : ألم يحتو البيان على تحريض لاتباع طريق معين للتخلص من هذه الحالة ؟

ج : أنا لم أعرض طريقا معينا في ذلك الوقت وكانت المسألة كلها مجرد مقارنة وعلى هذا حفظت القضية جنائيا .

س : هل كان لك شعبية أو جمعية حتى ذلك الوقت ؟

ج : لم يكن لي شعبية ولا جمعية في ذلك الوقت .

س : وما الذي فعلته بعد أن فصلت من المساحة ؟

ج : أنا فصلت من المساحة في يوليو ١٩٣٩ وفي يناير ١٩٤٠ أصدرت مجلة « التطور » .

س : هل كان لديك رأس مال لأصدار هذه المجلة ؟

ج : الواقع أن هذه المجلة لم تكن تحتاج إلى رأس مال كبير ، والمجلة كانت تصدرها جماعة « الفن والحرية » وقد كنا نجتمع تكاليف الإعداد من أعضاء الجماعة .

س : كيف اتصلت بجماعة « الفن والحرية » ؟

ج : كنت عضوا مؤسسا غيبيا .

س : من هم الاعضاء المؤسسون لجماعة « الفن والحرية » ؟

ج : أذكر منهم جورج حنين وكامل التلمساني وفريقا آخر من المثاليين والفنانين .

س : وما هو الغرض الذي كانت ترمي اليه جماعة « الفن والحرية » ؟

ج : - غرض هذه الجماعة كان ينحصر في نشر الثقافة المتقدمة ، وإيقاف

الشباب المصرى على الحركات الفنية في العالم وتشجيع الآداب والفنون في مصر وذلك عن طريق إصدار المجلات واللقاء المحاضرات واقامة المعارض العامة وما الى ذلك من مختلف وسائل النشر المشروعة .

س : هذا الغرض يتماشى مع كلمة الفن فما الغرض من كلمة الحرية ؟

ج : الفن أنواع فهناك فن رجمى يثائر بالقيود والقيم البالية وهناك فن ححيث يتحرر من هذه القيود . ومن هذه القيم فالفن الذى كانت تعمل على نشره جماعة « الفن والحزبية » هو النوع الثانى بلا جدال .

س : من الذى كان يقولى تحرير هذه المجلة ؟

ج : أنا كنت رئيسا للتحرير في هذه المجلة وقد كان يكتب فيها العديد من الكتاب المتقدمين في هذه البلاد أمثال جورج حنين ورمسيس يونان وكامل التلمسانى وعبد العزيز هيكل وغيرهم .

س : الى متى استمرت مجلة « التطور » ؟

ج : تسعة أشهر ووقف إصدارها بعدها لاسباب ترجع اولا الى غلاء أسعار الورق وعدم توزيع المجلة توزيعا كافيا ثم الى عوامل أخرى خفية كضغط الحكومة وشدة الرقابة من ناحية أخرى كل هذا كان باعثا على اغلاق المجلة ولو الى حين .

س : ولكنك ذكرت أولا أن المجلة لم تكن تحتاج الى تكاليف اذا كانت تمدها اغاثة الاعضاء ؟

ج : هذا صحيح ولكن من العبث أن تستمر في إصدار مجلة تعمل جهات مختلفة على تحطيمها ، وعدم اذاعتها بين الناس بحيث لا يباع منها الا عدد ضئيل جدا مع العلم انها باعتراف اقطاب الادب في مصر تضارع المجلات المتقدمة في أوروبا .

س : ما السبب الذى من أجله كانت الحكومة تحارب المجلة على النحو الذى تذكره ؟

ج : هذا يمكن سؤال الحكومة عنه ، وعلى كل حال أظن ان تاريخ العالم ملئ بحكومات بعضها متقدم وبعضها رجمى ، والحكومة في ذلك الوقت كانت تبالا جدال حكومة رجعية .

س : ألم تكن تحوى المجلة في ذلك الوقت مقالات مثيرة ؟

ج : مسألة مثيرة وغير مثيرة أمر نسبي ، فما تراه أنت مثيرا أراه أنا شيئا عاديا والعكس بالعكس وعلى كل حال اذا كان في هذه المجلة بعض مقالات

مشيرة مما يدخل تحت طائلة القانون فلماذا لم تحاكمنا الحكومة على ما جاء في هذه المقالات . . .

س : هل استمرت جماعة « الفن والحرية » قائمة بعد غلق المجلة ؟

ج : لا أعرف بالضبط ولكني أعتقد أنها لا تزال قائمة دون أن يكون لها مقر فهي تقيم كل سنة معرضا ، وآخر مرة أقيم هذا المعرض في فندق الكوندننتال وكان عبارة عن لوحات في الفن الحديث . . .

س : وهل استمرت عضويتك في الجماعة بعد غلق المجلة ؟

ج : لم تستمر عضويتي فيها لان أصبح لى نشاط آخر . . .

س : هل كنت تتقاضى من مجلة التطور مرتبا ؟

ج : لا . . .

س : اذن كيف كنت تقوم بإورد حياتك ؟

ج : كنت مقبلا مع عائلتي . . .

س : ما هو النشاط الخاص الذي اتجهت اليه والذي كان اساسا لتركك جماعة « الفن والحرية » ؟

ج : بدأت اتجه اتجاها اجتماعيا أكثر من الاتجاه الذي كانت تسيطر عليه

فالتفت جمعية « الخبز والحرية » للدفاع عن الطبقات العاملة ولكن بكل أسف قوومت هذه الجمعية من التوليس مقاومة عنيفة لم أفهم لها سببا حتى تحولت من جمعية اجتماعية سياسية الى حلقة فكرية تضم بعض العناصر المتقدمة في الفكر فكانوا يزورونى في منزلى وكنت أتحدث اليهم في مختلف الشؤون . . .

س : هل اتخذت لجمعية « الخبز والحرية » مقرا خاصا ؟

ج : اتخذت لها مكانا خاصا بشارع محمد على بغمارة المؤيد . . .

س : من الذى كان يقوم بالانفاق على هذه الجمعية ؟

ج : نفقات الجمعية كانت ضئيلة بمعنى انها كانت تكاد لا تتعدى ايجار مكانها وأظن أن مبلغا تامها كهذا . . .

س : التفاهة مسألة نسبية فهل كان من أعضاء الجمعية من يستطيعون دفع هذا المبلغ مضافا اليه النور والخدعة والطبوعات ؟

- ج : نعم كان في الجمعية من يكفى للقيام بهذا
- س : من هم الاعضاء الذين اشتركوا في تأسيس الجمعية في ذلك الوقت ؟
- ج : تالفت الجمعية في بادئ الامر منى ومن عبد العزيز فهمى هيكل وأسعد جليم جرجس ونجوى الرملى وصالح عرابى
- س : ما هو النشاط الخاص الذي أسست على أساسه جمعية « الخبز والحرية » ؟
- ج : في بادئ الامر كان النشاط ينحصر في لقاء المحاضرات العامة ونشر بعض المؤلفات المترجمة دفاعا عن مصالح الطبقات العامة أو ايقاظا لنوع من الرأى العام سواء بالطرق المباشرة أو غير المباشرة
- س : ألم تكن مجلة « التطور » ترمى الى هذا الغرض ؟
- ج : نعم ولكنها كانت مصطفة بالصيغة الفنية الى حد كبير بحيث انها لم تكن مرتكزة فيما يتصل بالمسائل الاجتماعية
- س : ما هو الطريق المباشر وغير المباشر الذى كانت الجمعية ترمى اليه ؟
- ج : الطريق المباشر هو أن تنشر بحوثا تتصل مباشرة بشئون العمال وغير المباشر هو أن تنشر نوعا من الادب يعالج مسائل المجتمع فتؤثر في الرأى العام بطريقة غير مباشرة أو على درجتين كما يقولون
- س : ما هو السبيل الذى كانت ستتخذه الجمعية لتحقيق هذا الغرض ؟
- ج : توحيد الرأى العام حول « الخبز والحرية » وحول الافكار التى تشمل على اذاعتها
- س : وما هي الطريقة لاحداث هذا التوحيد ؟
- ج : هي أن تقنع الناس بصحة الافكار التى تنادى بها فاذا اقتنع بها الناس فانهم بلا شك سيسيرون مع « الخبز والحرية » في كساحها من أجل بناء مجتمع أصح
- س : ولكن ما هي الطريقة التى ستؤدى الى توصيل مبادئ الجمعية الى الناس ؟
- ج : بالخطب العامة وبالنشرات وبكافة الطرق المشروعة
- س : ولكن هذا يحتاج الى مال فمن اين كانت ستترد اليكم المادة المؤدية الى تحقيق هذا الغرض ؟

ج : الطبيعي أننا كنا سننفق انفاقا يتناسب مع عدد أعضاء الجمعية وكلما زاد عدد الاعضاء أمكننا أن ننفق مقدارا أكبر من المال على إصدار هذه النشرات وإقامة هذه الاجتماعات الهامة .

س : هل نشرتم عن الجمعية في المجلات والجرائد ؟

ج : أرسلنا الى جميع الجرائد والمجلات ولكنها لم تنشر شيئا عنها والظاهر أن هذه الجرائد والمجلات تخشى هي الأخرى كل ما هو جديد ، أما المحاضرات التي كنا نعلن عنها فقد كانت تثير اليها ، إلا أن القلم السياسي بكل أسف كان يمتنع هذه المحاضرات .

س : ألم ينشر خبر عن الجمعية في «المجلة الجديدة» أو «حرية الشعوب» ؟

ج : لا أذكر .

س : إذا كان الأمر كذلك فقد سحبت في وجه الجمعية طرق النشر والمحاضرات فما هي الوسيلة إذن لنشر الدعاية عنها ؟

ج : قلت فيما سبق أن الجمعية تحولت تحت ضغط البوليس الى حلقة فكرية . وقلت أيضا أن بعض الأشخاص كانوا يترددون على وكانوا يستمعون الى ما أقول من احاديث ولقد كان هذا في الفترة الأخيرة هو نشاط الجمعية التي كنا نسيها جمعية بحكم العادة . وقد فاتتني أن أذكر أننا أصدرنا نشرة عن «مشاكل العمال في مصر» .

س : كيف كان تكون الجمعية في مبدئها ؟

ج : أنا كنت رئيسها . وكان هناك أربعة أعضاء آخرون ثم انضم اليها بعد ذلك عدد آخر ولكن لا أعرف عناوينهم الآن ، لأن هناك أوراقا كثيرة صودرت ومن بينها استمارات العضوية .

س : ما هي البواعث التي أدت الى ضبط الجمعية وعمل التحقيق الذي تقول عنه ؟

ج : أعتقلت وتقدمت للنيابة وحقق معي . وقد حفظت الأوراق لعدم وجود أدلة وأخرج عنى .

س : ومن كان متهما معك في هذه القضية ؟

ج : مجموعة من الناس منهم عبد العزيز سيكل وأسعد حليم وفتحى الرملى وخضر محمود خضر ولييب حنا وغير هؤلاء وقد تعرفت بهم جميعا في إدارة مجلة «التطور» .

س : وما الذي حصل بعد أن أفرج عنك في القضية المذكورة ؟
ج : ظلت أوصل دعوتي إلى الإصلاح ، وكان كثير من الناس يزوروني في المنزل وكنت أتحدث مع هؤلاء الناس ولكن الجمعية كما قلت كانت قد تحولت إلى حركة فكرية أو إلى تيار فكري فلما رأيت أن عدد المترددين عليّ قد كثر فكرت في أن أعيند تنظيم الجمعية أما باسم « الخبز والحرية » ، وأما باسم آخر هو « الحزب الاشتراكي » ، وكنت قد فكرت أيضاً في أن أدعو إلى اجتماع عام يعقد في ١٦ سبتمبر ١٩٤٢ يضم جميع العناصر ذات الميول الاشتراكية في مصر لأعلن تاليف هذا الحزب .

س : هل اتخذت مقراً جديداً للجمعية « الخبز والحرية » بعد أن أفرج عنك ؟
ج : أنا لم اتخذ لها مقراً جديداً وإنما اتخذت مسكناً لي في شارع القصر العيني رقم ٦٥ الف .

س : ولكنك قررت أنك كنت تقيم مع أهلك ؟
ج : أنا كنت أتحدث عن الزمن الماضي .

س : وكيف كنت تنفق بعد أن اتخذت هذا المكان الجديد حتى قبض عليك ؟
ج : أنا تزكت العائلة منذ سنة وفي هذه الفترة أصحرت كتاب « مشاكل العمال في مصر » ، وقد ربحت من هذا الكتاب مبلغاً من المال لا يقل عن الخمسين جنيهها وأظن أن هذا المبلغ يكفيني كبريد عادي من أفراد الشعب .

س : كيف انتشرت الدعاية للجمعية حتى أقبل عليها أشخاص كثيرين كما تقول ؟

ج : انتشرت بمسوة الكلمة المنطوقة التي كتبت أرسلها في أحاديثي والتي كان المستمعون إلى ينقلونها عنى في كل مكان .

س : هل كان لديك سجل تكتب فيه أسماء الاعضاء الذين يشتركون في الجمعية ؟

ج : كان لدى سجل ولكن عندما تحولت الجمعية إلى حلقة فكرية كما ذكرت كنت أكتفي بكتابة الأسماء في مفكرة خاصة .

س : وأين هذه المفكرة ؟

ج : أظن أنها فقدت إن لم تكن وقعت في يد القلم السياسي .

س : هذه المذكرة لم توجد بين الأوراق المضيطة في منزلك مع أنه وجدت
خطابات وأسماء بعض الأعضاء وعناوينهم تحت الأرسال مما يدل
على أنها نقلت من سجل خاص الامر الذي يدل على أن لديك سجلا
تعهدت إخفاؤه

ج : ليس في هذا شيء من الحقيقة فانا كتبت هذه الخطابات في يوم
الاربعاء مثلا والمذكرة فقدت مني في نفس اليوم أو في اليوم التالي

س : أين كنت تحتفظ بهذه المذكرة ؟

ج : هذه المذكرة كنت أحملها دائما في جيبى والظاهر انها سقطت مني
بعد كتابة هذه الخطابات وقد تأسفت جدا على افتقادها بطبيعة
الحال

س : هل كنت تأخذ أسماء الاعضاء رأسا من هذه المذكرة ؟

ج : نعم وهذه المذكرة عبارة عن ورقة مطوية غير معنتى بهما

س : كم يبلغ عدد الاعضاء في الفترة الاخيرة ؟

ج : لا اذكر ولكنى اؤكد أنه عدد كبير

س : وهل الورقة المطوية تكفى لتسجيل هذا العدد الكبير ؟

ج : نعم فقد كانت عبارة عن فرخ من أربعة اوجه وكانت مطوية فكانت
تتسع لكتابة أسماء لأربعة أمثال الاسطر الموجودة فيه

س : ألم تكن هذه الورقة مسودة تنقل ما فيها الى سجل آخر تودعه
جهة لا يصل اليها التفتيش ؟

ج : هذا غير صحيح وهذه المسودة كنت أحفظ فيها الشيء وأخذت وهو
الدعوة الى اجتماع ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٢ الذي كنت أفكر في عقده
وأظن الا داعي لإخفاء هذه الورقة لانني أعتقد انني لم ارتكب
جريمة وأن الاشخاص الذين اتصلوا بي والذين يؤمنون بالانكار القبي
أنادى بها لم يرتكبوا هم أيضا جريمة ولو انني أريد أن أخفي إنتشار
الحركة لقلت لك أن عدد من اتصلوا بي صغير

س : من هم الاعضاء الذين ظلوا في الجمعية بعد أن أفرج عنك ؟

ج : عبد العزيز عيكل كان يتصل بي دائما وأسد حليم كان يتصل بي من
حين لآخر وفتحي الرملي كنت أراه بطريق الصدفة وكذلك ضالح

عرايى . أما بقية الأشخاص الذين كانوا متهمين مجي في القضية
فكنت أتصل بهم نادراً .

س : هل كان للجمعية في الوقت الأخير مجلس إدارة ؟

ج : أنا قلت ان الجمعية تحولت الى حلقة فكرية . فلم يكن هناك اذن
مجلس إدارة وانما كان هناك شخص يفكلم الى أشخاص ، وقلت
أيضاً أنني فكرت عندما رأيت زيادة المترددين على منزلي في تنظيم
الجمعية من جديد أو في تأليف الحزب الاشتراكي في الاجتماع الذي
كنت سأعقده في ١١ سبتمبر ١٩٤٢ وبطبيعة الحال بعد تصريح
من القلم السياسي .

س : ولكن الخطابات التي ضبطت عندك والتي ضبطت لدى بعض أعضاء
الجمعية كلها موقَّع عليها بأسماءك تحت كلمة الرئيس مما يدل على
أنه كانت هناك جمعية مثلاً ؟

ج : أنا قلت ان اسم الجمعية ظل يجري على السبنتنا بحكم العادة .

س : كنت توجه الخطابات الى العضو باسم الزميل مما يدل على ان
الجمعية كانت ذات اصطلاح خاص الامر الذي يدل على أنه كان هناك
تنظيم خاص ؟

ج : كل من كان يتصل بي ويستمع الى وأرى أنه يميل الى المبادئ التي
انادي بها كنت أسميه زميلاً .

س : كانت تحوى هذه الخطابات شيء من التأييد على عدم المحافظة على
المواعيد بما يتناقض صدوره الا من زعيم الى أعضائه .

ج : هذا كلام يصح ان يصدر من أى أستاذ الى أى تلميذ وهؤلاء الأشخاص
جميعاً هم تلاميذ لي بالفعل .

س : كنت تتكلم في كثير من هذه الخطابات عن الحركة وهذا يدل من ناحية
أخرى على أن الجمعية ذات نظام خاص يرمى الى أحداث حركة
معينة .

ج : الحركة يمكن ان توجد دون وجود جمعية ودون وجود تنظيم خاص
ونحن مثلاً نستطيع ان نقول الحركة الفكرية في فرنسا في القرن
التاسع عشر دون أن يكون لهذه الحركة تنظيم خاص وتستطيع ان
تقول ان الحركة الفكرية التي أنشأها في مصر جمال الدين الأفغانى
دون أن يكون لجمال الدين الأفغانى تنظيم خاص .

س : هذا التفسير في اللابسات التي تذكرها إنما ينأتى على لسان المؤرخين أو من يصفون عصرنا معينا أما ان يقول شخص عن نفسه أنه زعيم الحركة فهو يدل على أنه يقود جماعة ترمى إلى عمل وتوصل إليه بتنظيم ما .

ج : أنا قلت أن عناك جمعية انتقلت الى حركة فكرية ولما ازداد عدد أنصار هذه الحركة الفكرية فكرت في تكوين الجمعية من جديد أو عقد مؤتمر لاعلان تأليف الحزب الاشتراكي .

س : هل كان للجمعية أمين صندوق ؟

ج : في الفترة الاولى كان لها أمين صندوق هو عبد العزيز هيكل أولا ثم اسعد حليم ثانيا . أما في الفترة الاخيرة فلم يكن لها أمين صندوق .

س : ألم تكن تجمع تبرعات في الاناء الأحمر ؟

ج : كنت أجمع بعض التبرعات في الاناء الأحمر في بعض الاحلين بقصد المحافظة على ارسال بعض الخطابات أو ما الى ذلك .

س : ما هي المحاضرات التي كنت تلقيها على الأعضاء ؟

ج : كنت أتكلم عما أريد تطبيقه في هذه البلاد وكنت أتكلم في كثير من المواضيع الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية

س : أذكر لنا بالتفصيل المبادئ التي كنت تذكرها .

ج : كنت أتكلم عن مشاكل المجتمع المصري عن الفقر والمرض والجهل . كنت أشرح عللة هذه المشاكل وأحصر هذه العللة في نظام الطبقات . كنت أقول ان الكتاب في مصر ودعاة الاصلاح فيها ينظرون الى هذه المشاكل دون أن يفتوا على العللة التي تنبئ عليها ، فهم يقولون مثلا أن الستة عشر مليوناً من المصريين يعيشون بمتوسط ضئيل ، لا يزيد في أحسن الظروف عن عشرة جنيهات في السنة ثم ينادون لاصلاح هذه الزيادة - ونحن ننادى فيها بلا جدال - لكن الزيادة لن تؤخر ولن تقضم في الحقيقة الرهيبة التي يصطبغ بها الواقع المصري فالدخول في هذه البلاد لا يوزع مثل هذا التوزيع وإنما يحظى بالنصيب الأكبر منه بضعة ألوف من الملاك والرأسماليين والتجار والمولدين بينما يعيش سواد الشعب من عمال وملاحين على دخول ضئيلة لا تكفي القوت وهذا التوزيع السيء للدخل يرتبط بلا جدال بالتوزيع السيء لوسائل الانتاج (الأراضي الزراعية والمصانع) نادا كانت وسائل الانتاج مركزة في أيدي فئة ضئيلة من الملاك العثمانيين والرأسماليين فسان

توزيع المنتجات لا بد وأن يتأثر بهذا التوزيع السوي لوسائل الإنتاج
فلكى نعالج الفقر الذي يخيم على أكثر من أربعة عشر مليوناً من
الصيريين لا بد إذن من إلغاء السبب الذي يؤدي إلى هذا التوزيع السوي
في الدخل وهو نظام الطبقات أو بعبارة أخرى لا بد من توزيع عادل
لوسائل الإنتاج بمعنى أن تتولى الحكومة الاشراف على هذه الوسائل
فيستغل جميع الافراد في الدولة كل فرد منهم حسب قدرته وتعطى
أجراً لكل فرد حسب العمل الذي يقوم به هذا فيما يتصل بمسألة
الفقر .

أما المرض فإن الكتاب ودعاة الإصلاح في هذه البلاد قد اعتادوا
أن يقولوا إن في مصر خمسين مليون حالة من حالات المرض المختلفة
أو بعبارة أخرى لنفياً لو وزعنا مجموع هذه الأمراض على أفراد
الشعب لأصاب كل فرد منهم في المتوسط ثلاثة أمراض وهم ينادون
لعلاج هذه الحالة بحث الحكومة على إنشاء المستشفيات ولكنها ترى
أن هناك وجهاً آخر لهذه المسألة فمشكلة المرض - كمشكلة الفقر -
تتصل هي الأخرى بنظام الطبقات . فإذا كان الدخل يتناسب تناسباً
طردياً مع مقدار ملكية وسائل الإنتاج فإن المرض يتناسب تناسباً
عكسياً مع مقدار هذه الملكية . ولهذا فنحن نجد أن الأمراض تتركز
في جانب الأغلبية المجردة من الثروة بحيث يصيب في بعض الحالات
أفراد هذه الأغلبية أكثر من عشرة أمراض في نفس الوقت وهؤلاء الكتاب
وهؤلاء الصالحون الذين يطالبون الأغنياء بالعناية بصحة الفقراء
يتصورون بهذا أن الأغنياء قد يمتنون بجزء من المال ينفقونه على
العمال والفلاحين الذين يشتغلون في مزارعهم وفي مصانعهم . وهذا
عبث ما دام في مقدور الجنس البشري أن يتوالد ويتكاثر دون انقطاع
فيعوض هؤلاء الأسياد عن عبيدهم الذين أنفأهم المرض بجبل آخر
من العبيد ينتظرهم نفس المصير . ولهذا فنحن نرى أن المالك يستدعي
الطبيب لهلاج جاموسه إذا مرضت بينما يتترك الفلاح الذي يزرع له
الأرض إذا مرض حتى يموت أو على الأقل لا يعنى به العناية الكافية
لعلاج المرض .

إذن لا بد من حكومة شعبية تشرف بنفسها على كل شيء في الدولة
وأما الجهل فقيد اعتقاد الكتاب ودعاة الإصلاح هؤلاء أن يقولوا أن
عشرين في المائة من أفراد هذا الشعب أو أقل هم الذين يحطون وحدهم
بحق العلم . هذا إذا كانت القراءة والكتابة هي الحد الفاصل بين
الجهل والعلم . يقولون هذا ثم يطالبون بالعناية بالتعليم ونشر
المدارس وينسون أن هناك للمشكلة وجهاً آخر إذ تتصل هي الأخرى

بنظام الطبقات . فلو وزعنا عدد الطلبة الذين يدرسون في معاهد العلم المختلفة تبعا لاختلاف مهن آبائهم لوجدنا أن أبواب المدارس لا تفتح الا لأبناء الأغنياء بينما تغلق في وجوه الفقراء وقد يقال أن أبناء الفقراء يتعلمون هم أيضا والمدارس مملأ بهم ولكن لهذه المسألة سر وهي أن أبناء الاغنياء لا يكفون لإدارة شؤون الدولة الحكومية وغير الحكومية فهم يعمدون الى تعليم فريق من أبناء الفقراء لكي يكملوا به جهاز الدولة حتى اذا امتلأت الوظائف الحكومية وغير الحكومية ارتفعت بعض الصيحات الرجعية وهي تمثل مصالح المستغلين بضرورة تحديد التعليم - أما نحن فأننا نريد العلم لكل فرد من أفراد الشعب - وهذا بدوره لا يمكن أن يتحقق الا اذا قامت على رأس البلاد حكومة شعبية تسيطر على وسائل الانتاج وعلى الحياة الاقتصادية التي هي أساس لجميع الفعاليات الاجتماعية المختلفة ومن بينها التعليم - هذا فيما يتعلق بمشاكل المجتمع المصري ومدى ارتباطها بنظام الطبقات وكنت أتكلم الى جانب هذا عن طبيعة الاستغلال في المجتمع الحاضر .

كنت أثبت أن كل ربح يحصل عليه صاحب رأس المال انما يحصل عليه من جهود العمال فالعمل هو الذي يعطي للسلعة قيمتها والعمل يقوم به العمال واذن فكل ثروة في المجتمع الحاضر هي عبارة عن عمل متجمع . واذن فصاحب رأس المال ان كان يحصل على جزء من المنتجات فان هذا معناه انه يستولى دون وجه حق على عمل يقوم به العمال . . . ولكي نلغي هذا لا بد وأن تضع الحكومة يدها على جميع وسائل الانتاج حتى يعمل جميع أفراد الشعب وتأخذ من كل فرد منهم حسب قدرته وتعطى لكل فرد حسب عمله . . . وكنت أتكلم أيضا عن موقف الأحزاب المصرية من الشعب المصري . هل هي تدافع عن مصالح طبقات معينة أم تدافع عن مصالح هذا الشعب فكنت أقول أن هذه الأحزاب جاءت لتدافع عن مصالح الطبقات المستغلة فالذي أفاد من الحركة الوطنية هم الراسماليون المصريون ضد الراسماليون الاجانب . والذي أفاد من التيار الديمقراطي هم أعيان البلاد ورأساليوها أما الشعب فانه لم يمثل أبدا في البرلمان . . . ولكن هذا لا يمنع من أن نقدر لهذه الحركة قدرها على أن تكمل الديمقراطية السياسية وتدعمها بنوع آخر من الديمقراطية الاقتصادية . . .

وكنت أتكلم أيضا عن الدور الذي ستلعبه الخبز والحرية في تاريخ البلاد وهو تحقيق مجتمع لا أثر فيه لاستغلال الانسان للانسان . مجتمع تكون على رأسه حكومة شعبية تشرف على الانتاج وتضمن عدالة التوزيع . . .

- س : يؤخذ من مبادئك أنك تنادى بالغاء الرأسمالية ؟
- ج : بلا جدال .
- س : ما ذا يكون مصير الاموال المملوكة للامراء ؟
- ج : رؤوس الاموال تنتقل كلها الى حكومة الشعب فنبداً أولاً بنقل شركات الاحتكار الى ملكيتها ، وهكذا في بقية وسائل الانتاج الكبير الى أن يتحقق بالتدرج تحول رأس المال كله اليها .
- س : ألا يجوز أن يكون للشخص ثروة خاصة ؟
- ج : يجوز أن يكون للشخص ثروة خاصة بحيث لا يستغل عن طريقها الآخرين .
- س : اذن أنت تريد بمبادئك أن تلغى النظام القائم ؟
- ج : نعم . أنا أريد بمبادئك أن تلغى النظام القائم . أنا أريد أن احقق نظاماً اصلياً .
- س : وبأى وسيلة تستطيع تنفيذ هذا ؟
- ج : سننشر هذه المبادئ على الناس واذا اقتنعوا بها نستطيع أن ننفذها .
- س : وبأى طريقة تنفذها ؟
- ج : بالطرق المشروعة .
- س : واذا أبى أولى الامر هذه المبادئ ؟
- ج : كيف يأتون ما دامت الاغلبية ستكون معنا ؟
- س : وماذا يكون العمل لو أن الطبقات الحاكمة لا ترى هذا الرأي ؟
- ج : اذا رأت الطبقات الحاكمة غير هذا الرأي سننتقم الى البرلمان بعد أن يفتتح الشعب بها . وبتقدمنا الى البرلمان نستطيع أن نحقق مبادئنا لانه ستكون لنا اغلبية فيه .
- س : لقد ثبت من اقوال كثيرين ممن حضروا دعايتك أنك كنت تقول أنه عند تخرج الحال ستنفذ الامر بقوة السلاح ؟
- ج : هذا غير صحيح وربما أخطأوا السمع أو أخطأوا الفهم .
- س : لقد ذكر أولئك الشهود وبعض المتهمين نص العبارات التي ذكرتها الان في اقوالك وكثيراً من التفصيلات التي أيدت بها مشروعاتك مما لا يدع

- مجالا للشك في أنهم أساءوا الفهم في عبارات استعمال السلاح .
- ج : اظنك تذكر اننى قلت ان بعض الافراد لم يستطيعوا فهم نظرياتى
كنظرية « قيمة السلاح » .
- س : هذه النظرية نقلها عنك تلاميذك فعلا في التحقيق بحرفياتها دون تفهم
لحقيقة المقصود منها أما مسألة استعمال السلاح فهي مسألة ليس
فيها فلسفة أو منطق عميق بحيث يتعذر فيها الفهم أو يخطئها
السمح .
- ج : اننى أعود فأكرر أنه ليس في برنامجي مطلقا ان استعمل القوة المسلحة
وكل من يقول هذا القول أحد أمرين إما أن يكون خاضعا لجبهة ما
أثرت عليه حتى يشهد شهادة زور ، وإما أن يكون قد أخطأ الفهم .
- س : لقد ثبت هذا من أقوال المبلغين عن الحادث وهم سعد زغلول عاشور
وكمال الدين عزت وصلاح الدين محمد الذين تقصموا من أنفسهم
مبلغين دون أن يدري أحد انك ذكرت هذه العبارات .
- ج : لست أدري ان كان هؤلاء قد بلغوا من تلقاء أنفسهم أم تلقاء غيرهم
ثم هناك شيء يدعو الى الشك وهو أن مأمور القسم ذكر لى في المحضر
الذى أجراه معى أن شخصا يدعى سعد زغلول عاشور ومعه زميلان
لا أذكر اسميهما الان يقررون اننى أعمل على القيام بحركة ثورية
مسلحة كما حصل في أسبانيا وشهادة مثل هؤلاء الشهود لا يمكن أن
يؤخذ بها لان هذا القول ملئ بالتناقض فالانقلاب الذى حدث في
أسبانيا انقلاب فاشى ونحن معروفون بعدائنا للفاشية بدلين
ما نشرناه من قبل . ففي جماعة « الفن والحرية » أصدرنا بيانا ضد
الفاشية عندما أحرقت في ألمانيا مؤلفات كبار الكتّاب في الميادين
العامة ، وهاجمناها أيضا في المقالات التى كتبت في مجلتنا « التطور »
وكذلك في رسالة « مشاكل العمال في مصر » .
- س : ذكر كل من ابرام ميخائيل ومحمد أبو السعد وأحمد عبد المجيد صيام
ومصطفى اسماعيل سوييف ومحمد سعيد عبد الله انك ناديت فيهم
بتحريض الشعب على اعتناق مبدأ الغاء الرأسمالية على أن تكون
قوة استعمال السلاح هي الوسيلة لتحقيق هذا المبدأ .
- ج : لم أقل شيئا من هذا . وإذا كان صدر منى هذا حقيقة فهل قال به
جميع الذين استجوبوا في التحقيق ؟
- س : لقد ذكرت هذه الأقوال من المقبوض عليهم محمد سعيد عبد الله و ابرام
ميخائيل ومصطفى اسماعيل سوييف وأحمد محمد أحمد .

ج : هناك أفراد آخرون إذن لم يقولوا هذا القول وهذا دليل على أن هذه الأقوال ليست صحيحة ثم هناك شيء آخر أريد أن أسأله وهو لماذا لم يعتقل سعد زغول عاشور وزميله اللذان لا أذكر اسميهما مع أنه ثبت أنهم متصلون بنا على الأقل من الخطاب الذي أرسلته إلى سعد زغول عاشور ؟

س : لقد أفرجت النيابة عن الأشخاص الذين رأيت إلى الآن من التحقيق أنهم لم يتصلوا بالجمعية ويؤيدوا أفكارها أو انفصلوا عنها لما تبينوا مبادئها ؟

ج : ألا يجوز أن يكون هذا تهرباً ؟
س : تقدم بعضهم بالبلاغ دليل مادي على عدم أخذهم بمبادئ الجمعية وكذلك مركز بعضهم وما ثبت من عدم ترددهم أكثر من مرة واثنتين وانقطاعهم على أثر علمهم بالغرض الجنائي من قيام الجمعية .

ج : جميع المقبوض عليهم لم يترددوا على منزلي أكثر من مرة أو مرتين أما البلاغ فيمكن أن يكون قد قدم تحت تأثير معين

س : الأشخاص المقبوض عليهم ثبت ترددهم عليك أكثر من خمسين أو ست مرات ؟

ج : ليسوا جميعاً ومعظم هؤلاء الأفراد لم يترددوا أكثر من تردد البلع سعد زغول عاشور ، على أي حال فإنتي أعود فأكرر أن ما قيل عن استعمال السلاح قول لا أساس له من الصحة .

س : ما هو موضوع الاسماء الـ ٢٩٩ التي ضبطت بالكراسة التي ضبطت عندهم ؟

ج : هذه مجموعة من الاسماء حصلت عليها من أشخاص مختلفين لكي أرسل إليهم بياناً أو نداءاً قد أصدره .

س : ما وجه اختيارك لهؤلاء الأشخاص ؟

ج : هذه الاسماء عرضت عن طريق سؤال بعض أصدقائي دون نظام ما

س : هل لك علاقة شخصية بهؤلاء الأشخاص ؟

ج : لا ، وأنا لا أعرف أغلبهم ولمست لهم علاقة بالجمعية .

س : هل تعرف شخصاً يدعى القنطراوى ؟

ج : أنا لا أذكر هذا الخطاب ولا أذكر الاصطلاحات الواردة فيه .
س : وجدت عندك أوراق بها مقالات عن الفاشية وثورة الطبقة الوسطى
والديكتاتورية والرأسمالية الضخمة والفاشية والثورة ومقالات أخرى
عن هذا الموضوع .

ج : هذه سلسلة مقالات قام بإعدادها الزميل عبد العزيز نهمي هيكل عن
الفاشية وكيفية قيامها في ألمانيا وإيطاليا وبعض دول أوروبا
الوسطى .

س : وما هذه القصص (عرضنا عليه الاوراق المكتوبة بالالة الكاتبة تحت
نمرة ١٦٦٦ من محضر فحص الاوراق) .

ج : هذه قصة روسية لانطون تشيكوف .

س : ومن هو سعيد هذا الكاتب للخطاب المؤرخ ١٨/٢/١٩٤٢ ؟

ج : أنا متذكر هذا الخطاب ولكن لا أتذكر من الذي أرسله .

س : هل تعرف شخصا يدعى أنور شتا مرسل الخطاب نمرة ٢٠ ؟

ج : أنا أنكر هذا الشخص ولكن لا أعرف عنوانه .

س : هل لك علاقة بحزب مصر الفتاة ؟

ج : كانت لي علاقة بحزب مصر الفتاة ولكنها انقطعت .

س : ورد إليك خطاب بإمضاء مصطفى نائب الحزب .

ج : هو مصطفى الوكيل نائب رئيس الحزب .

س : هل تعرف شخصا يدعى توفيق الاليلي ؟

ج : أعرف هذا الاسم ولكني لا أذكر صاحبه .

س : هل تعرف شخصا يدعى عباس فتحى رضوان ؟

ج : لا أذكر هذا الشخص وربما يكون قد أرسل الي هذا المقال في مجلة
« التطور » .

س : أنت متهم بأنك أدت ونظمت اتصالاتا جنائيا الغرض منه قلب نظام
الحكم بطريق القوة والعنف .

ج : هذا الاتهام باطل من أساسه وأطلب من النيابة حفظ القضية لان في
الاقوال التي أدليت بها ما يؤكد أن الحركة التي اتقوم بها بعيدة
كل البعد عن الوصول لاي غرض غير مشروع أو اتخاذ أى طريق
لا يؤيده القانون في التحقيق هذا الغرض .

تمت اقواله

انتهى

وقد قررت ادارة المطبوعات شطب المجلة المذكورة من اعداد الصحف ،
وذلك في ١٧ ديسمبر ١٩٤٠ لعدم قيام صاحبها بدفع التأمين البنصوص
عليه في المادة ١٥ مطبوعات .

وفي عام ١٩٤٠ أسس المذكورون نادي الثقافة والفزاع ، بشارع
الفلكى ثم بشارع أبو السباع الكان يهيمن على النادي اسرائيلي هو مارسليو
ماريو وزوجته جانيت وكانا على صلة ببيئة شيوعية فلسطينية وكانا يمدان
انور كامل عثمان بالمسال وكان ظاهر النادي الرياضة والثقافة وحيثقة
الدعاية للشبوعية الى أن أغلق في أغسطس ١٩٤١ وفي ١٦ سبتمبر الفوا
جماعة الخبز والحرية وكان معهم عبد العزيز هيكل الطالب وأسعد حليم
وعبد الرحيم صالح عرابي الصحفيان وكان هذا الاخير مع فتحي الرملى
يكونان جمعية ، نحن أنفسنا ، وأغراضها متفقة مع أغراض جماعة الخبز
والحرية .

مذكرة معلومات عن

هنرى دانييل نسيم كوريبيل *

سن ٢٥ سنة يقيم بشارع حسين صبرى باشا رقم ٣٦ بالزمالك وله مكتب بشارع الشواربى رقم ٦ بدائرة قسم عابدين ، ووالده ايطالى الجنس ولكن هنرى حصل على الجنسية المصرية بتاريخ ١٩/١٠/١٩٣٩ .

وهو شيوعى خطر يغذى للحركة الشيوعية بالقاهرة ، وفى شهر يونيه سنة ١٩٤١ استاجر جريدة « خربة الشعوب » من صاحبها رجب أحمد غير وأسند رئاسة تحريرها الى انور ماهر حسن فرج لاستغلالها فى الدعاية للمبدأ الشيوعى ، وقد ألف جمعيات تحت ستار الثقافة ضم اليها بعض الأشخاص المعروفين بمبولهم الشيوعية وهى جمعية « الثقافة والفراغ » وجمعية « الخبز والحرية » * * * و « المركز الثقافى والاجتماعى » وكان كوريبيل يحركها من وراء الستار حتى قبض على زعماء الجمعية الاولى وهى « الثقافة والفراغ » فى تاريخ ١٥/١٠/١٩٤١ واعتقل رئيسها اسرائيل مارشيليو ماريو الايطالى وتولت النيابة التحقيق الذى حفظ اداريا فى تاريخ ٢٧/١١/١٩٤١ ، كما قبض على أعضاء جمعية الخبز والحرية بتاريخ ١١/٦/١٩٤٢ وهى برئاسة الشيوعى انور كامل عثمان وأخطرت النيابة بالحادث وتقييد برقم ١٤٩ - جنائيات عسكرية سنة ١٩٤٢ ولم يتم نظرها بعد حيث أحيلت لدور مقبل لم يحدد لأن كما قبض على زعماء « المركز الثقافى والاجتماعى » وهم سلامون سليم سدى وتوماس بلاموتس وعزرا عزراى بتاريخ ١٣ - ١ - ١٩٤٣ وصدر امر رفعه الحاكم العسكرى العام باعتقالهم فى ١٦ - ٦ - ١٩٤٣ وأفرج عن سلامون سليم سدى فى ١٢ - ٦ - ١٩٤٣ وأفرج عن توماس بلاموتس وعزرا عزراى بتاريخ ١١ - ١٠ - ١٩٤٣ مع مراقبتهم لمدة ثلاثة أشهر قابلة للتجديد ، وقد انتهت مراقبة سلامون سدى فى ١٨ - ١١ - ١٩٤٥ ، وانتهت مراقبة توماس بلاموتس وعزرا عزراى فى ٥ - ٧ - ١٩٤٥ .

* مذكرة المعلومات هذه قدمتها حكومة بوليس مصر للنيابة العامة عند القبض عليه فى عام ١٩٤٦ . وهى تتضمن معلومات هامة عن شخصيته ونشاطه وعلاقاته . . .

وهى مودعة فى ملف القضية فى الصفحات ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨

(المؤلف)

* * * لم يكن كوريبيل من مؤسسى « الخبز والحرية » (المؤلف) . . .

وقد قبض على هنري كوربيل في ١٩٤٢/٨/٤ بناء على أمر رفعه الحاكم العسكري العام وقتئذ واعتقل بدار معتقل الزيتون حتى أفرج عنه يوم ١٩٤٢/١٠/١١ ووضع تحت المراقبة العسكرية بمنزله لمدة ثلاثة أشهر قابلة للتجديد حتى رفعت عنه الرقابة في ١٩٤٥/٧/٥ بناء على قرار دولة وزير الداخلية . وفي شهر ديسمبر ١٩٤٤ أوعز هنري كوربيل إلى أحد أبنائه الشيوعي محمود فتحي الرملي بأن يتقدم لترشيح نفسه لعضوية مجلس النواب عن دائرة السيدة زينب وأمه بالمال اللازم ، وعاونته معاونة صادقة بالاشتراك مع أبنائه رغم علمه باستحالة نجاحه وكان غرضه من ذلك نشر المبدأ الشيوعي وقد أبلغ ذلك إلى سعادة حسن غانمي رفعت باشا بكتابنا رقم ب/١٣٧ بتاريخ ٣١ - ١٢ - ١٩٤٤ .

وهنري كوربيل يعمل جهد استطاعته على نشر الوعي الشيوعي يتبعه في ذلك بضعة شبان أنشطهم كمال شعبان الطالب بمدرسة الفنون الجميلة العليا وحسين كاظم وعبد هيب وعبد الماجد حسبو ومحمود العسكري * وإبراهيم حافظ البطار .

* غير صحيح أن محمود العسكري كان على علاقة ما بهنري كوربيل فالثابت أن العسكري بدأ نشاطه اليساري مع جماعة « النجر الجديد » (المؤلف) .

سرى سياسى رقم ب/١٣٧ - سنة ١٩٤٤

مذكرة عن الجبهة الاشتراكية

حضرة صاحب السعادة حسن فهمى رفعت باشا

الحاقا لكتابنا لسعادتكم رقم ١٢٣٥ بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٤٢ بشأن
هنرى كوربييل وتغذيته الحركة الشيوعية التي كانت تقوم بها جمعيتى
« الثقافة والفراغ » و « الخبز والحرية » وقيامه ببيع بعض الكتب الشيوعية
بمكتبته (مكتبة الميدان) الكائنة بميدان مصطفى كامل باشا رقم ٥ قسم
عابدين ، وصدور أمر عسكري وقتئذ باعتقاله وتنفيذ ذلك بتاريخ ٤ أغسطس
١٩٤٢ ، ثم الافراج عنه مع وضعه تحت مراقبة البوليس عسكريا بالقاهرة
لسدة ثلاثة شهور تجددت حتى الآن .

وبالنسبة لكتابنا لسعادتكم رقم ب/١٣٧ بتاريخ ١٦ يناير ١٩٤٣
بشأن قيام بعض زعماء المركز الثقافى الاجتماعى الذى كان مقره بسكة
الفضل رقم ١ ، بنشر الدعوة الشيوعية والذى كان يستأجر داره ويديره هنرى
كوربييل وضيطهم وتولت النيابة التحقيق معهم وصدور أمر الحاكم العسكري
العام باغلاق الدار المذكورة واعتقال زعماء هذه الحركة وهم :

توماس بلاموتس

سلامون سليم سحنى

عزرا هوارى

ثم الافراج عنهم ووضعهم تحت مراقبة البوليس عسكريا بمحال انقامتهم
بالقاهرة لسدة ثلاثة أشهر تجددت حتى اليوم .

أتشرف باطلاع سعادتكم اننا علمنا ان هنرى كوربييل المذكور الف أخيرا

• نص رسالة موجبة من سليم زكى حكمدار بوليس مصر بالنيابة الى
حسن فهمى رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية حول نشاط الجبهة الاشتراكية
والرسالة مؤرخة فى ٣١ - ١٢ - ١٩٤٤ . وهى مودعة بملف قضية الشيوعية
الكبرى عام ١٩٤٦ فى الصفحات رقم ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ -
١٠٩٢ (المؤلف)

جماعة أطلق عليها اسم الجبهة الاشتراكية من بين أعضائها كل من **
محمود فتحى الرملى - صحافى ومقيم بشارع مجلس النواب رقم ١ قسم
السيدة

محمد فتحى الرملى - مدير دار التعاون الصحفى بشارع مجلس النواب
وسكنه شارع مجلس النواب قسم السيدة

رمسيس يونان - صحافى - ومكتبه بشارع علوى رقم ١٠ ومقيم
بالنزل رقم ٥ بدرب اللبانة قسم الخليفة

لطفالله سليمان - موظف بمكتبة النهضة شارع المغربى وسكنه درب
اللبانة رقم ٥ قسم الخليفة

جورج حنين - موظف بشركة مياه القاهرة ومقيم بمنزل والده سعادة
صادق حنين باشا بشارع الوابور بروض الفرج

عبد العزيز سالم هيكل - موظف بوزارة المعارف ، ومن خريجي كلية
النجارة ومقيم بشارع وهبى باشا رقم ١٠ قسم السيدة

موسى عيد الحميد الشهير بالكاظم - موظف بوزارة المعارف ، وسكنه
شارع قدرى عطفة الشيمى رقم ٢ بركة الفيل قسم السيدة

محمد ناهيد أبو زهرة - طالب بكلية الحقوق ومقيم بشارع فاروق حارة
طود رقم ٥ قسم باب الشعرية

أنور كامل عثمان - موظف بقسم الحدائق بحديقة الأورمان وسكنه
شارع مراد بك رقم ٧ بالجيزة

فؤاد كامل عثمان - طالب بمدرسة الفنون الجميلة العليا وسكنه
شارع مراد بك رقم ٧ بالجيزة

حسين صالح ذهب - سكرتير نقابة خدم المنازل - رقم ١٥ شارع سامى
ويقيم بهذا العنوان أو بملك والده صالح ذهب بعمطة المكتب بالشيخ عبد الله
قسم عابدين

عبد الوهاب محمد - بمطبعة الرغائب

** ليس صحيحا أن كوريبيل شارك فيما سمي بالجبهة الاشتراكية أو انه
تعاون مع كثير من الأسماء الواردة في هذه المذكرة خاصة وأن معظمها كانت
ذات ميول تروتسكية ، ولعل هذا الخط بوضوح تخبط معلومات رجال الامن أو
حرصهم على الصان كل تحرك بيكوريبيل كيمرر لاضطهاده (المؤلف)

إبراهيم إيليا مسعود - طالب بمدرسة الفنون الجميلة العليا ويقوم
بشارع بين الخناين رقم ١٢ - الوايلي

خضر محمود خضر - خريج الهندسة التطبيقية وسكنه شارع السلمانية
رقم ١٢٤ قسم بولاق ، أو يظرة البلد ، أو طرف والدء محمود خضر نجار أرانيك
بشارع سوق العصر القديم قسم بولاق

بذور منشأة - وقد ضبط وهو يكتب على جذران المنازل بدائرة قسم
عابدين والوايلي عبارات للدعاية الشيوعية وهي :

الاشتراكية ستقود العالم ، الاشتراكية ضد الاستعمار - وبتفتيش
مبزه ومكتبه وجبت أوراق ومذكرات وكتب تحمل على أنه من معتنقى المبدأ
الشيوعي وتتضمن تعريضا بنظام الحكم القائم كما تحمل على أنه متصل
بمحمود فتحي الرملي ورهسيس يونان وآخرين وقد اعترف المتهم شفاهة
بكتابة النجمل المذكورة لأنه من أتباع محمود فتحي الرملي ويروج لانتخابه
ويدعو الى الاشتراكية

وقد تبلغ ذلك لسيادتكم بكتابنا رقم ٢٢٨٦ سرى سياسى بتاريخ ٢٦
ديسمبر سنة ١٩٤٤ أو نمرة ٢٢٧٧ سرى سياسى بتاريخ أمس

وقد تمادى محمود فتحي الرملي بطبع جطة منشورات تحت ستار
الدعاية الانتخابية تتضمن الايديء الاشتراكية والدعوة لها وقد ابلغنا ذلك
لسيادتكم بكتابنا رقم ٢٣٦٤ ، ٢٢٧٦ بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٤٤

وقما يتضح لسيادتكم أن محمود فتحي الرملي وأفراد هذه الجبهة
يتوهمون بدعاية مثيرة للخواطر ومخلطة بالامن العام وغرضهم الأساسى من
ترشيح محمود فتحي الرملي هو نشر هذه الدعاية

فندرجو سيادتكم النظر والذكرم بانغادتنا عما يتبع

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

تحريرا فى ٢٦ ديسمبر ١٩٤٤

حكمدار بوليس مصر

مرعية سليم زكى (ختم)

(٣) وثائق حول موضوع سكا تفال

- * معلومات عن سكا تفال (وثائق وزارة الخارجية البريطانية)
- * نداء من سكا تفال الى شعب مصر (وثائق وزارة الخارجية البريطانية)
- * رسالة من سكا تفال الى علي باشا يكن (وثائق وزارة الخارجية البريطانية)
- * مناقشات في البرلمان المصري (مضابط مجلس النواب المصري)
- * ملخص لقرعة مقال في جريدة "بندر اسلام" الملاوية (وثائق وزارة الخارجية البريطانية)

سكلا تفاللا

ونائق وزارة الخارجية البريطانية

مكتب السجلات العامة

ملف رقم ١٢٣٥٤/٣٧١

رقم الوثيقة ١٨٨٠

سرى للغاية

- * شاربورجى دوراجى سكلا تفاللا .
- * ابن أخت راتان تاتا .
- * ولد فى بومباى فى ١٨٧١ وتخرج من جامعة بومباى .
- * وصل الى انجلترا ١٩٠٥ .
- * تزوج فى ١٩٠٧ .
- * فى ١٩٠٩ انضم الى فرع مانشستر فى I.L.P.
- * فى ١٩١٦ انضم الى الحزب الاشتراكى الانجليزى الذى أصبح فيما بعد الحزب الشيوعى الانجليزى .
- * أسهم فى جميع الحركات والمؤتمرات والروابط المناهضة للاستعمار .

« انتهى »

نداء من سكان تقفالا الى شعب مصر

وثائق وزارة الخارجية البريطانية

مكتب السجلات العامة

ملف رقم ١٢٣٥٤/٣٧١

رقم الوثيقة ١٨٨٠

« لا يجوز تداولها ولا تصويرها إلا بأذن خاص »

٣ يناير ١٩٢٧

الى شعب مصر

أيها الاخوة والأخوات . . .

اننى رجل يؤمن ايمانا عميقا بالشعب ، بالشعب الجاد . ان انكسار
وآراء الناس الفقراء والمضطهدين هي عندى أكثر قيمة من آراء كبار الأغنياء
وكبار رجال الدولة .

ولذا فاننى اتوجه اليكم بالحديث أنتم أيها الاخوة والأخوات يا أبناء
أرض مصر العريقة ، أتوجه اليكم أنشد مساعدتكم في مدة المحنة المشتركة .

أنا رجل انجليزى الجنسية ، لكننى كرسيت حياتى كلها من أجل النضال
دفاعا عن كل البشر المضطهدين والذين اغتصبت حقوقهم الاقتصادية والسياسية
اغتصبها هؤلاء الجشعين الذين يريدون ان يستحوذوا لأنفسهم على كل ما هو
جميل في هذا العلم ، وأن يفرضوا سلطانهم ، كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا -
على الانسانية جمعاء ، والذين لا يتورعون عن اغتصاب أوطان الشعوب
الأخرى وانتهاك حقوقها .

ان بريطانيا العظمى وهى دولة قوية مولعة ولعاشديدا باغتصاب
حقوق الشعوب الأخرى ، وبفرض سيطرتها عليها مستندة الى مختلف الحجج
والذرائع .

لكنه وفي بريطانيا العظمى نفسها يوجد الملايين من أبناء الطبقة العاملة
الذين لا يشاركون في حكم بلادهم ، ولا يرغبون مطلقا في أن تفرض بلادهم
نفوذها على شعوب بلدان أخرى .

ومن بين أبناء هذه الطبقة برز الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى ،
ذو الحزب الذي يطالب ويناضل من أجل المساواة والاستقلال للأمم جميعا ،
ومن أجل الحرية والمساواة بين أبناء الأمة الواحدة .

إن حى « نورث ، باترسى » هو واحد من أحياء الطبقة العاملة في تلك
المدينة الكبيرة ، لندن ، وبزجر هذا الحي بالمواطنين ذوى التفكير التسليم ،
والذين علموا برغبتي في النضال من أجل المظلومين فأبدوا سعة أفق وتخلصوا
من كل الشوائب التي يثيرها كوني من أصل هندي ومن كل المخاوف الزائفة
عن كوني أمثل الأهمية الشيوعية ، تخلصوا من كل ذلك وأرسلوا لي عضوا
في مجلس العموم البريطاني .

ولما كنت العضو الوحيد في مجلس العموم الذي يمثل الحزب الشيوعي ،
ونظراً لكوني من أصل شرقي فإن عملي كعضو في المجلس يواجه صعوبات
شديدة . ذلك اننى أفكر وأتكلم بطريقة تختلف تماما عن بقية الد ٦١٤
عضوا في مجلس العموم .

لكننى بالرغم من ذلك لا زلت أوصل نشاطى مستلهما امانى ورغبات
الفقراء في إنجلترا واسكوتلنדה وويلز وحتى ايرلندا ، وهؤلاء الفقراء الذين
أذهب اليهم كل يومى سبت واحد لأخطب فيهم ، يقفون معى ولهذا فأننى
لا أشعر بالوحدة في مجلس العموم .

ومصر المسكينة هي الأخرى واحدة من تلك البلدان التي تعاني المتاعب
نتيجة لنهم وجشع عدد ضئيل من العائلات الغنية في بريطانيا العظمى .

وفي البرلمان يدعى جميع أعضاء المحافظين أنهم يريدون اتخاذ موقف
عادل من مصر ، لكن هذا الموقف العنادل يجب أن يحافظ على استمرار حكمهم
وتحكمهم في مصر . أما الأحرار فانهم يدعون اتخاذ موقف أكثر تحررا من
المحافظين لكنهم مع ذلك يرون ضرورة الاحتفاظ بمصر والسودان من أجل
مصالح بلذهم ومصالح الطبقات الغنية . وحتى حزب العمال الذى كان يوما
ما حزبا اشتراكيا يؤمن بالاخوة والمساواة بين الأمم قد تحول بشكل سافر
ومضحك تحت قيادة رامزى ماكدونالد الذى أصبح أكثر ولعا بالاستحواذ
على السلطة لشخصه من ولعه بالاشتراكية للجمامير .

إن الخطاب الوقح الذى أرسله ماكدونالد الى سعد زغلول باشا لهو خير
تعبير عن وحشية وتعطش الغزاة الى دماء شعب أعزل .

والحقيقة أنه ما عن وزير للخارجية من حزب المحافظين أو الأحرار كان
يوسعه أن يكتب مثل هذه الرسالة المخزية والوقحة التي وجهها ماكدونالد
يوما الى زغلول .

وفي محاولة للتستر خلف الالتزام الزعيم بقرارات الحزب فان قادة
المجموعة البرلمانية لحزب العمال لا يتورعون عن الجاهرة بالعمل على انتهاك
حريات شعوب الصائم

ولا شك ان موقفا كهذا يثير الغثيان ، لكننا يجب ان نتمسك بالامل
والثقة التي تبثها في نفوسنا نضالات الشعب العادي في بريطانيا العظمى .
وعندما كان البرلمان البريطاني يناقش مسألة الغرامة التي فرضت
ظلماً على مصر ومقدارها ٥٠٠ ، ٥٠٠ جنيه ، أو عملية الاستئثار بالسودان
لصالح المستعمرين البريطانيين كان على أنا وحدي ان اخوض نضالاً منفرداً
ضد هذا الظلم الفادح .

ليس هناك فحسب ، لكنني توجهت بالنداءات العديدة الى الطبقة
العاملة في بريطانيا العظمى لتعمل على منع قادة المجموعة البرلمانية لحزب
العمال من ارتكاب مثل هذه اللصوصية ضد مصر .
وعلى هذا المنوال ، فانني قد وطدت العزم على الدفاع عن الحرية
القومية لجميع الأمم وعن حقوق العمال والفلاحين في ان يستمتعوا - هم
وليس غيرهم - بشمار كدهم وكنهم .

وعلى أية حال ، فانه من أجل الاستمرار بفاعلية في مثل هذا النشاط
سواء في البرلمان أو في أوساط الرأي العام فان الانسان يكون بحاجة ماسة
الى دراسة الاوضاع الحقيقية بنفسه .

فريماً كان الرسميون الانجليز في مصر مخلصون وجاؤون في علمهم ،
لكنهم ربما كانوا أيضاً يتمسكون بوجهة نظر خاصة ، وهذه الوجهة النظر
الخاصة هي التي تسيطر على تصرفات وزارة الخارجية البريطانية ومن حق
كعضو في البرلمان ان اطلب الاطلاع عليها .

وغرق ذلك ، فانني أرى انه من الضروري ان اطلع بنفسى على آراء
الشعب المصرى ومواقفه ، وتنظيماته وخاصة مواقف وتطلعات عماله وفلاحيه .

لكن المشكلة هي اننى رجل فقير ولولا ذلك لزررت بلدكم العريق بمبرات
عديدة . ولقد تمكنت من ارتقب نفسى لرحلة الى الهند ، وكان طبيعياً ان تتجه
انظاري لزيارة مصر ، وأعددت برنامجاً قصيراً لكنه مشحون بالعمل لهذه
الزيارة التي رايت ان تتم خلال شهر مارس أو أبريل خلال عودتى من الهند
في طريقي الى لندن . وقد بدأت في الحصول على تأشيرات السفر اللازمة مثل
هذه الرحلة وقد حصلت على جواز السفر بعد سلسلة من الاتصالات بوزارة
الخارجية البريطانية متضمناً الاذن بالسفر الى الهند ومصر .

و بعد ذلك توجهت بنفسى الى المفوضية الملكية المصرية فى شارع
تشارلس رقم ٧ بلندن طالبا لتأشيرة دخول الى مصر واخبرونى هناك انهم
سوف يبرقون الى القاهرة للاستئذان فى منحى التأشيرة .

وفى اليوم التالى اخبرونى ان سلطات القاهرة قد رفضت منحى التأشيرة
ومن ثم فقد قامت القنصلية فعليا بمنعى من زيارة مصر ، تلك الزيارة الضرورية
لممارسة واجباتى البرلمانية سواء تجاه الشعب البريطانى أو الشعب المصرى
المعذب .

ايها الرفاق ... ايها الاصدقاء ...

ما هو معنى ذلك كله ؟ هل منعت من دخول مصر لاننى عضو فى
الحزب الشيوعى ؟ هل ايد أى حزب شيوعى فى أى بلد من بلدان العنانم
استغلال الامبرياليين للشعب المصرى ؟ هل فاضلت أى عضو فى البرلمان
البريطانى من أى حزب من الاحزاب مثلما ناضت انا بحماس وأخلاص
دفاعا عن حقوقكم ؟ انتم يا من كرمتم رامزى ماك دونالد وأخذيتهوه صينية
قهوة من الفضة ، انتم يا من تكرمون وترحبون بأى عضو آخر من الاعضاء
الستمائة والاربعة عشر فى البرلمان ؟ هل صحيح انكم تمنعون رجلا
فقيرا مثلى من دخول بلادكم لجرد اننى اناضل عن اجل الحرية الكاملة لشعب
بلادكم ومن اجل تخلصه من أى تحكم أو استغلال اجنبى ايا كانت جنسية
القائمين به ؟ وهل من حق اصديقتائى اللهنود ان يفترضوا ان المصريين
يضطهدوننى وأنا العضو الشرقى الوحيد فى البرلمان البريطانى بينما
لا يمنعون أى عضو آخر فى البرلمان ، هؤلاء الاعضاء الذين ايدوا مرض غرامة
النصف مليون جنيه استرلينى على مصر والذين طردوكم من اراضى اقليمكم
السودان ؟ ام ماذا يا شعب مصر ؟ هل برلمانكم مجرد العوبة ، وهل كان
وزراءكم مجرد منفذين مطيعين لتعليمات بريطانيا بمنعى من دخول مصر ؟
ام ان استقلالكم وبرلمانكم محدودا الاثر ؟ ام تخشون اننى بعد زيارتى لمصر
سوف اكف عن اعتقادى بعدالة قضيتكم ؟

تكلّموا ، تكلّموا يا ابناء مصر ... تكلّموا ، تكلّموا بأعلى صوتكم ،
وباصرح وبأسرع ما يمكن ، حتى تستطيع ان استمع الى صوتكم والى
ارادتكم من هنا ، من بعيد من بومباى ...

ولعلنى فى النهاية أستطيع ان ازور مصر فى طريق عودتى ...

شابورجى سكلانغالا

عضو فى البرلمان البريطانى

وفى الحزب الشيوعى البريطانى

رسالة من سكتا تقالا الى عدلى باشا يكن

وثائق وزارة الخارجية البريطانية

مكتب السجلات العامة

ملف رقم ١٢٣٥٤/٣٧١

رقم الوثيقة ١٨٨٠

« سرى »

حضرة صاحب السعادة عدلى باشا يكن

رئيس الوزراء - القاهرة

يا صاحب السعادة

ربما وصل الى علمكم ان طلبى المتواضع الذى تقدمت به طالبا منحنى تاشيرة الدخول لزيارة مصر قد قوبل بالرفض من قبل المفوضية الملكية المصرية فى لندن ، التى ابلغتنى ان هذا الرفض قد تقرر بناء على تعليمات من القاهرة . هل تسمحون لى ان اقرر لكم ان هذا موقف غير عادى وغير مقبول تجاه عضو فى البرلمان البريطانى ؟ اننا لا نزعم لانفسنا تعاليا على القانون ولا استثناء من احكامه ، وفى حالة قيام أى فرد منا خلال اقامته فى مصر باى انتهاك لقانون بلادكم فانه من المتعين اخضاعه للعقاب المقرر وفقا للقانون .

كما ان أحدا لا يطلب منكم انتهاك قواعدكم الدستورية من أجل تلبية رغبة أعضاء البرلمان البريطانى فى زيارة مصر .

وعلى اية حال فان بريطانيا العظمى لا تزال تدعى - ان صدقا أو كذبا - سيطرتها على مصر ، ولا تزال تحتفظ بمندوبين رسميين - عسكريين ووجدنيين فى مصر . ومن وقت قريب فرضت عليكم غرامة قدرها ٥٠٠.٠٠٠ جنيهه استرلينى ، ثم أحكمت - بشكل أو بآخر - سيطرتها الكاملة على السودان . وفى مثل هذه الظروف فان واجب عضو البرلمان البريطانى ازاء شعب بريطانيا العظمى وازاء الشعب المصرى المضطهد هو ان يدين كل ما هو خاطئ .

وان منع عضو فى البرلمان من القيام بزيارة هذا هدفها لهو تعنت لا يقبله أى عرف دستوى ولا أى تفكير متحضر :

هل تلتزم حكومتكم بمبدأ عام يقول انه طالما اننى عضو فى الحزب الشيوعى فان ذلك يجردنى من حقوقى كشخص انتخب عضوا فى البرلمان البريطانى ؟

وتوق ذلك ، هل تخلى الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى يوما عن اعلان تأييده لحق مصر الكامل في حريتها التامة الغير منقوصة ؟

أم هل خفى عليكم انه ما من عضو في مجلس العموم البريطاني من ممثلي أي حزب من الاحزاب الاخرى قد دافع عن قضية مصر في جلسات البرلمان البريطاني الامبريالي بنفس الحماس والاخلاص والتفاني التي دافعت بها انا ؟

الاتعلمون سعادتكم ان اتخاذكم قرارا بمعنى من دخول مصر بعد ان منحني وزارة الخارجية البريطانية موافقتها علي ذلك سوف يعطي الفرضه لاعاء بلدكم من البريطانيين لكي يشهروا بموقفكم هذا امام العالم لجمع متخذين منه دليلا علي « الاستبداد الشرقي الضيق الافق » اذا قورن « بالديمقراطية البريطانية »

أم انكم تتصورون - انتم ايضا - ان عضوا في البرلمان البريطاني يمكن ان يعامل بهذا الاسلوب طالما انه من اصل شرقي بينما لا تجرؤون مطلقا علي منع أي عضو آخر من اصل اوروبي بالرغم من موقفه المعادي لبلادكم ؟

أم ان وزراءكم يخضعون لتعليمات الرسميين البريطانيين ، وان كان الامر كذلك ، أفلا يعتبر ذلك انتهاكا لكرامة مصر ولحرماتها ؟

أم ان الدعاوى المصرية من الضعف بحيث تخشون من أن اغري ايماني بها بمجرد رؤيتي لواتعكم ولشعبكم ، انا الذي دافعت عنكم باستمرار دفاعا مستميتا ؟

أم ان الامر لا يعدو ان يكون خطأ ناجما عن التسرع في اتخاذ القرار ؟

وعلى اية حال - وايا كان السبب فأنني اشعر بالامل يحتوي وانا اتوجه الي سعادتكم بهذا النداء الحار باعادة النظر في هذا القرار الصائر من حكومتكم .

وسوف اكون ممتنا غاية الامتنان لو اتصلتم وشرفتموني بارسال

موافقتكم برقيا علي عنواني في بومباي طرف البنك المركزي ببومباي ، وذلك حتى استطيع الاسراع باتخاذ الترتيبات اللازمة لزيارة بلادكم العريقة اثناء عودتي في مارس .

ولشرف اظل دوما - يا صاحب السعادة

الصديق الوفي للشعب المصري المضطهد

شابورجي سكلانغالا

ملحوظة : ارجو ان تقتضوا سيادتكم بارسال نسخة من ردكم الي سكرتيري بمجلس العموم بلندن .

موضوع النائب البريطاني سكلا تفالاً

مضبطة الجلسة العشرين لمجلس النواب

يوم الاثنين ١٧ يناير ١٩٢٧

المقعدة برئاسة سعد باشا زغلول

صفحة ٢٧٤ وما بعدها من المحاضر الرسمية

..... ثم تلى السؤال الموجه من حضرة الدكتور حامد محمود الى حضرة صاحب الدولة وزير الخارجية ونصه : « هل صحيح ان الفوضية المصرية بلندرة رفضت التأشير على جواز سفر مستر سكلا تفالاً العضو في مجلس النواب البريطاني بالترخيص لجنابه بزيارة مصر ؟ »

وهل تصرفت الفوضية المصرية بلندرة هذا التصرف من تلقاء نفسها أو بعد استشارة وزارة الخارجية المصرية ؟ وهل لا يرى دولة الوزير ان الاجدر بالحكومة المصرية ان تصدر الان قراراً تلغرافياً بالترخيص لنائب ينتسب الي هيئة نيابية محترمة بزيارة البلاد ؟ »

وزير الخارجية :

في جدول اعمال اليوم استجواب خاص بنفس الموضوع وسيؤجل هذا الاستجواب .. فبل لا يرى حضرة العضو المحترم تاجيل هذا السؤال حتى ينظر مع الاستجواب المشار اليه في جلسة واحدة ؟

الدكتور حامد محمود :

ارى ان يجاب على السؤال الان حتى يتنور المجلس ويستعد للمناقشة في موضوع الاستجواب ..

وزير الخارجية :

هو كذلك والجواب على السؤال ما يأتى :

« نعم رفضت التنصية المصرية العامة في لندرة التأشيرة على جواز سفر المستر سكلا تفالاً وقد كان ذلك بناء على التعليمات التي تلقفتها من وزارة الداخلية المصرية . اما الاجابة عن الفقرة الاخيرة من السؤال فيالنفى » ثم أشير الى الاستجواب المقدم من حضرة حسن سيد احمد نافع أفندي

الى حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية بئشان منح الحكومة المصرية المستر
اسكلا تقالا عضو مجلس النواب البريطاني من الدخول الى القطر المصري .

وزير الخارجية :

يطلب دولة وزير الداخلية تأجيل الاجابة على هذا الاستجواب ثمانية
ايام

الرئيس :

هل يمانع حضرة مقدم الاستجواب في طلب التاجيل ؟

حسن سيد احمد نافع افندى

لا مانع عندي من التاجيل

الرئيس :

اذن تقرر تاجيل هذا الاستجواب ثمانية ايام

موضوع النائب البريطني سكلانقالا

مضبطة الجلسة الثانية والعشرين

لجلس النواب

يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٢٧

المنعقدة برئاسة سعد زغلول ثم

مصطفى النحاس ص ٣١٦ وبعدها

من المحاضر الرسمية

... ثم تلى الاستجواب المقدم من حضرة حسن سيد احمد نامع افندي
الى صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ونصه :

أ - ما هي الاسباب التي حدثت باحكومة ان تمنح نائبا بريطانيا هو المستر
سكلانقالا من الدخول الي القطر المصري مع ما اشتهر به هذا النائب
من العطف على مصر والدفاع عنها في مجلس العموم الانجليزي . ومع انه
اعلن بان حضوره اليها انما هو لدرس احوالنا ؟

ب - وهل يتفق هذا المنع وما اعلنته الحكومة في خطبة الرئيس أولا وثانيا
من اطراد حسن التفاهم وتحسن العلاقات بيننا وبين الدول الاجنبية
عامة وبريطانيا خاصة ؟

ج - وهل يتفضل دولة رئيس الحكومة بان يعد المجلس باعادة النظر في هذه
المسألة ؟

رئيس مجلس الوزراء :

المستر سكلانقالا نائبا شيعوي وقد سبق لحكومة الولايات المتحدة
ان منعتة عن دخول بلادها بسبب ما لقيه من الخطاب وما دعا اليه من الهياج
والثورة كما سبق ان حكم عليه من المحاكم الانجليزية نفسها بتهمة التحريض
على الاخلال بالامن . ولا يخفى على حضرة المستجواب ان نشر مبادئ الشيوعية
والدعوى اليها عمل معاقب عليه في مصر بمقتضى المادة ١٥١ من قانون العقوبات
وقد جرت الحكومة على محاربة الشيوعية ومنعها من التسرب الى البلاد بمنع
المعتنقين لبادئها من الدخول الى القطر المصري .

لذلك رأت وزارة الداخلية عدم السماح للنائب الشيعوي المذكور بالدخول

الى البيزو وارسلت نواباتها بذلك الى القنصلية الملكية المصرية بلندن . وهذا
المنع لا يخالف ما جاء في خطاب الرئيس وأشار اليه حضرة العضو المحترم
ولا ترى الحكومة محلا لاعادة النظر في هذه المسألة .

حسن سيد احمد نافع اتفدى :

لم أوجه هذا الاستجواب دفاعا عن شخص المستر سكلا تفالا ولا بسبب
الإتحاد معه في أية فكرة اجتماعية أو سياسية ولكن بالنظر لكونه نائبا في أكبر
هيئة نيابية تمثل أمة دستورية وقد منعه حكومتنا من دخول بلادنا ،
رأينا ان واجبنا حيال الشركة في مبدأ النيابة عن الأمة يقضي علينا بمطالبة
الحكومة بالتصريح بالاستجاب الحقيقية التي دعت الى منعه من دخول مصر
لانه لا يليق بنا ونحن أمة دستورية في نظر الدول الأخرى ان نعتدى على
كرامة النيابة في حد ذاتها دون بيان الاسباب . لقد منح المستر سكلا تفالا
اداريا من النزول في أرض مصر ولم يشر قرارا المنع الى أى شيء من البيانات
التي أدلى بها حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء .

ان نائبا محترما مثل المستر سكلا تفالا يشعر بقيمة المسؤولية الملقاة
على عاتقه بصفته ممثلا لأمة عظيمة وشعب راق لنا معه صلوات كبيرة .

لا أظن أن نائبا مثله يأتي عملا منكرا او يقوم بنشر أية دعوة ضد
نظام البلاد . وهذا نصا عن ان لنا من قوانيننا ما يقف سدا منيعا ضد كل
محاولة للاخلال بأنظمة البلاد المرعية .

عبد الحميد سعيد اتفدى :

هل اطلع حضرة العضو المحترم على التصريح الذي للقاه المستر سكلا
تفالا في الهند ومؤده ان مصر جزء من الامبراطورية البريطانية ؟

حسن سيد احمد نافع اتفدى :

ذكرت بعض الصحف ان المستر سكلا تفالا صرح بان مصر جزء من
الامبراطورية البريطانية وانه يريد زيارتها ليقف بنفسه على ادارة دولته لهذا
الجزء من الامبراطورية (مقاطعة) . هذا ما ذكرته الجرائد ولكن ورد لاكثر من
واحد من المصريين كتب شخصية من المستر سكلا تفالا ينفي ما ذكرته الجرائد
ويجبر عن آرائه الشخصية نحو مصر ، واسمحوا لي ان اتلو على حضراتكم
ترجمة إحدى الفقرات من بعض خطابات

لا مرية أن البرلمان البريطاني لا يفتأ يدعى ظلما واقتدارا حق الرقابة
عليها على المرافق المصرية ويحتفظ بممثلين عسكريين في الاراضي المصرية
والسودانية . فيصفتى عضوا في هذا البرلمان اجد من واجبي ازاء الشعبين

البريطاني والمصري ان اتى الى مصر لدرس مسائل معينة في مواعيد ،
ويجمل بي ان اذكر لحضراتكم بهذه المناسبة ان المستر سكلاتفالا انضم
بعد انتخابه نائبا عن العمال في سنة ١٩٢٢ الى الهيئة المصرية الانجليزية
التي التفت في سنة ١٩٢١ للدفاع عن مصر وقد كان هذا من الاسباب التي دعت
الى تقديم الاستجواب لمعرفة اسباب منعه من زيارة مصر ، حتى لا يقنأل
ان دولته اباحت له الحضور الى مصر ومكنته من الحصول على التصريح
اللازم من وزارة الخارجية البريطانية ولكن حكومة مصر هي التي منعتة من
دخول بلادها .

اننا لا نتهيب اى شخص مهما كانت آراؤه لاننا نزن جميع الآراء
والافعال ونكرم كل الضيوف مع احترام قوانيننا ومبادئنا .
الرئيس :

هل تريد ان نصرح له بدخول مصر بعد ان حكمت عليه محاكم بلاده
بتهمة انتجريس على الاخلال بالامن وبعد ان منعتة حكومة الولايات المتحدة
من دخول بلادها ؟

حسن سيد احمد نافع أفندى :

ان اجابة دولة رئيس مجلس الوزراء دلت على اننا لم نتحد شخص
المستر سكلاتفالا .

محمد صالح حرب أفندى :

كنت أنتظر من حضرة الزميل حسن نافع أفندى بعد ان نقلت التلغرافات
المعمومية ما نقلت من تصريحات المستر سكلاتفالا التي اراد ان يستعين فيها
بزئيس الوزارة البريطانية على دخول مصر باعتبارها جزءا من الامبراطورية
البريطانية ، كنت أنتظر ان يسحب استجوابه احتجاجا على هذا التصريح .
(تصفيق)

ان هذا التصريح قد أفقد المستر سكلاتفالا كل عطف في هذه البلاد
لان مصر لم تكن يوما ما ولن تكون تابعة للامبراطورية البريطانية . انه ليؤلنا
سماع هذه النعمة الكريهة من وقت لآخر . ان القلوب التي امتلات بحب
الحرية لا تزال في صدورنا كما ان اشباح النفوس التي سالت دماؤها على حد
السيوف وأسنة الرماح في سبيل الحصول على استقلال البلاد لا تزال ماثلة
امام أعيننا . (تصفيق)

اننا يا حضرات النواب الكرام نغار على استقلالنا ان يمسن حتى ولو

بالكلام ولهذا نحن لا يمكننا مطلقاً أن نقبل في ضيافتنا رجالاً يريد أن يهبط
أرضنا باعتبار أنها جزء من الامبراطورية البريطانية .

لهذا أتقدم لحضراتكم راجياً أن تؤيدوا الحكومة في تصرفها كما اطلب
من الحكومة أن تنظر الى النهاية على منع هذا النائب من دخول بلادنا
(تصفيق)

محمد حافظ رمضان بك :

أردت ان أتكلم في هذه المسألة لأمرين :

الأول - هو أن النائب الوحيد الذي احتج في مجلس النواب البريطاني
على غرامة الخمسمائة ألف جنيه التي فرضت على مصر بسبب حادثة مقتل
السيردار انما هو النائب الذي يمنع الآن من دخول القطر المصري .

والثاني - هو أن هذا النائب الوحيد أيضاً الذي اعترض على الاجراءات
التي اتخذت في السودان ولست ألقى كلامي هذا على عواهنه فان ما أبديه ثابت
في أعمال مجلس النواب البريطاني وفي خطاب خاص أرسله لي النائب المذكور
جاء فيه :

« ليس هناك من شك في أن البرلمان البريطاني مهما كان غير عادل -
ما زال يريد أن تكون له الرقابة العليا على الشؤون المصرية . ما زال يريد
الاحتفاظ بمصطلحيه العسكريين والمدنيين في البلاد المصرية والسودانية ولكن
بعض من أعضاء البرلمان البريطاني كان واجباً على التسعين البريطاني
والمصري أن أحضر الى مصر وأن أدرس بعض المشاكل في مكانها وأن أكون على
علم وتجربة بالروح والحالة العامة للجماعات في الامة المصرية . وبعد قليل
من المناقشات حصلت علي جواز سفر وأسرت عليه وزارة الخارجية البريطانية
في التصريح بزيارة مصر فذهبت الي المفوضية الملكية المصرية بشوارع شارلس
نمرة ٧ بلندن للتأشير عليه يوم ٢٨ ديسمبر وهناك أخبرتني الموظف المختص
بمصرى انه مضطر الي طلب الموافقة من القاهرة » .

لاحظوا يا حضرات الاعضاء انه ليس من المعتاد دائماً ان تطلب
موضوعياتنا من الحكومة المصرية في أمثال هذه الاحوال فلا بد ان يكون قد
أوعز اليه بذلك من الحكومة البريطانية . وجاء في خطابه أيضاً ما نصه :
« وأرسيل أثناء وجودي اثارة برقية الي مصر لاني كنت راحلاً الي الهند في
نفس الاسبوع ، وفي اليوم التالي (الأربعاء ٢٩ ديسمبر) أبلغت زسماً
ان الحكومة المصرية لا توافق على منحى الترخيص وانها لا تسمح لي بزيارة
مصريتادية لواجب عام دون جزء . هل رأيتم جهادي في البرلمان البريطاني
أثناء المناقشة في غرامة النصف مليون جنيه المقوتة التي فرضت على بلادكم » .

وأثناء انتزاع السودان منكم لصالح المولدين البريطانيين ؟ فهل كان أى
عضو من أعضاء البرلمان من أى حزب أكثر إخلاصاً لكم وعدالة قضيتكم ؟ ،
في الواقع يا حضرات الزملاء ان هذا النائب لم يك نائباً بريطانيا فقط ،
بل الحقيقة أنه عضو في جمعية أنشئت في العالم الغربي وستجتمع في يوم
١٠ فبراير القادم وهي ضد كل استعمار غربي ، جمعية أعضاؤها في جميع
البلاد المحايدة كالسويد والنرويج والدانمرك وغيرها ونظيرتها ان جمعية
الامم الحاضرة انما هي جمعية حكومات تريد ان تقسم بلاد الضعفاء ، واذا
أريد ان توجد جمعية أمم حقيقية وجب ان تكون أعمال جمعية الأمم وتصريحاتها
موجهة ضد كل استعمار وللأخذ بناصر الأمم المستضعفة .

ولم يك هذا النائب وحده في هذه الجمعية بل كان فيها أيضا المستر
لانسيرى النائب البريطانى وزميله المستر جيمس باكستنى . ايمقل ان يحضر
الى مصر رجل هذا شأنه ليدافع عن الاستعمار البريطانى مع أنه حوكم في
بلاده عن أجل آرائه ضد الاستعمار . ولو كانت حقيقة أحوال هذا النائب
كما ذكر لمنع من الدخول الى الهند كما منع من الدخول الى مصر ولكن الرجل
أراد ان يقيم الحجة على تدخل الحكومة البريطانية في شؤون دولة اعترف
باستقلالها بأن طلب التصريح بالسفر بصفته نائبا بريطانيا . علينا ان
نحذر آراء بعض الرجال السياسيين هنا وهناك اذا كانوا يعتمدون في
ترويج آرائهم على القوة والعنف .

أشير الى قانون العقوبات ولكن عني يطبق هذا القانون ؟ هل يطبق
على كل رجل له مبدأ سياسى أو اجتماعى ؟ الجواب بالطبع بالنفى لانه لا يعاقب
الا من يستعمل العنف في تنفيذ مبادئه . وتأييدا لقولى أذكر ان المحاكم
المصرية قد برأت كثيرا من الشيوعيين الذين لم يرتكبوا أعمالا يعاقب عليها
تتعديا لبيادتهم ولا يمكن ان يحاكم الناس على آرائهم وعقائدهم فالآراء
والعقائد يجب ان تكون حرة طليقة وليس يصح ان يحجر على الناس في
أفهامهم وعقولهم .

والخلاصة انه لم يمنع من الدخول الى بلادنا لانه شيوعى به لانه عضو
في جمعية ضد الاستعمار . ومن العار يا حضرات الزملاء ان نقف موقفنا
بسلبيا في مسألة تختص برجل هو الشخص الوحيد الذى دافع عنا في وقت
عصيب لم يأخذ فيه بناصرنا أحد . . . ورأى الصريح ان نطالب حكومةنا
بان لا تستمر في هذا المنع .

عبد الحليم الملايلى بك :

يقول حضرة الأزميل بأن هذا النائب قد منع من الدخول الى بلادنا لأن

أراؤهم ضد الاستعمار. تنال حضرتك عن العلة التي لأجلها منعت الولايات المتحدة دخوله في بلادها ؟
محمّد حافظ رمضان بك :

ألا يعرف حضرة العضو المحترم الى أي حد وصل نفوذ بريطانيا العظمى ؟
عبد العظيم العاليلي بك :
حتى في الولايات المتحدة ؟

محمّد حافظ رمضان بك :

ألا تعلم حضرتك أنه يوجد في الولايات المتحدة من يعمل للمصالح البريطانية ؟ هل لا يعلم حضرة العضو بوجود ما يسمونه في العرف السياسي بالجنامة الدولية ؟ فإذا لم يكن قد وقع بسبب آرائه السياسية فيماذا تغفل عن الفرص المصرية في أخذ رأي الحكومة المصرية ؟

رئيس دجاسن الوزراء ووزير الداخلية :

نقد يحصل ذلك في الاحوال الاستثنائية ، وقيد اتبع ذلك في حالتنا هذه لانه نائب بريطاني معروف بمبادئه الشيوعية وليس المنع لسبب آخر ، أما دفاعه لنا فنحن نشكره عليه ولكني أصرح بانى لا أنتظر خيرا كثيرا من دفاع الشيوعيين عنا .

محمّد حافظ رمضان بك :

ليست المسألة شيوعية ، وإنما هي مسألة سياسية استثنائية فقد دافع هذا النائب البريطاني عن مصر ولذلك أوغزوا الى المفوضية ، أن تأخذ رأى الحكومة المصرية لينسحروا المجال لرفض التصريح بدخوله الى مصر .

عبد الرحمن عزام أفندى :

أزيد أن استعلم أولا من دولة رئيس مجلس الوزراء هل حصل احتجاج من الحكومة الانجليزية أو من أحد ممثليها على منع هذا النائب ؟

رئيس الوزراء ووزير الداخلية :

لم يحصل أى احتجاج .

عيد الرحمن عزام أفندي :

أردت بهذا السؤال أن ألفت نظر حضراتكم أن الحملة التي أشهرت على المستر سكلّا تقالاً بأنه رجل يؤيد الاستعمار البريطاني ويذعو إليه في مصر إنما هي حملة غير حقيقية أصلاً ولا تستند إلى شيء من الصواب . والدليل على ذلك أنه لو منع نائب آخر لا يعترف بمبادئ الميتر سكلّا تقالاً المتطرفة لاحتجت الحكومة الإنجليزية على ذلك للتصرف وأنى أرى هذا كافياً في أن يزيل من أذهان حضراتكم آثار الحملة التي أريد بها أن تنزع من قلوبكم العطف على ذلك النائب المحترم . تقبول الحكومة أن المستر سكلّا تقالاً منع من دخول هذه البلاد لأنه شيوعي دخل السجن مرارا ومنع من الدخول في أمريكا وهذا القول غير مجد لان الكافرين من زعمائى المجترمين أعضاء سدا المجلس قد حوكموا ودخلوا السجن فكان ذلك مدعاة لفخيارهم وموضعا لاحترامكم وتقديركم .

.....

نحن لا نريد أن ننشر دعاية ولكننا نطلب من الحكومة ألا تضطهد عقيدة ، وقد كان الاجيدر بها أن تسأل المستر سكلّا تقالاً قبل كس شيء عن الغرض من محيئه إلى بلاندا أما أن ترفض الحكومة التصريح بدخوله إلى بلاندا دون أية مخابرة كما ترفض مجرما شديد الاجرام مع أنه نائب منتخب رغم ارادة الاحزاب الانجليزية كلوبا في دائرة (باتريس) فهو اذا رجل عظيم ، ولو لم يكن كذلك (وهو هندي الجنس) لما حاز في إنجلترا أصوات الانجليز أنفسهم وقد تالبت عليه الاحزاب كلها ضده .

لذلك أرجو من الحكومة أن تعيد النظر في مسألة المستر سكلّا تقالاً وأن تتخذ في الوقت عينه كل الإجراءات الكافية التي تكفل منع الشيوعية من التسرب إلى بلاندا لا سيما وان بين أيديها قوانين شديدة لا توجد في بلاد أخرى فلها أن تطبقها كما تشاء . أما انها تومع دون أن تسأل قبل في نظري تعسف يصح فيه ما قيل من انه نكران للأجيبيل ومخالفة صريحة لآبسيط قواعد العدالة .

حسين هلال بك :

أؤيد الحكومة كل التأييد في الخطبة التي اتخذتها لمنع المستر سكلّا تقالاً من الدخول في هذه البلاد ، أؤيدها أولا للاعتبارات التي ذكرت أمام هذه الهيئة المحترمة وأخص بالذكر منها اعتناقه للافكار الشيوعية التي نحاربها جميعا .

وأرى أيضا أنه يجب علينا أن لا نطمئن مطلقا إلى أي إنجليزي مهما
كانت صفته . (ضجة)
الدكتور محبوب ثابت :

يا حضرات النواب . . . انى أرى من الخطر ومسألة العمال عنيفا في أول
نشأتها والمجلس مهتم بها جد الاهتمام أن يسمح بالتهويش عليها باختلاطها
بغياصر تدخين بالمشيوعية أو ينسب اليها اعتناق هذا المبدأ . وبصفتي نائبا
تشرفت بالحضور إلى هذا المجلس للدفاع عن مصالح العمال مع زملائي الافاضل
من النواب والمساعدة بالمشيوعية (ضحك) أرى ونحن في وقت يراد فيه الصيد في
إزاء العكر بكل الوسائل ان من واجبا أن لا نمكن شيوعيا كائنا من كان
من الحضور إلى هذه البلاد .
حفتى محمود سليهان بك :

لقد اتخذت الحكومة مع المستر سكلّا تقالا تلك الاجراءات القاسية
مستندة إلى أن مبادئه تختلف مع مبادئ ونظم للبلاد ولكنى أشعر بأن في هذه
البلاد مبادئ تتعارض في تطرفها وخطرها مبادئ المستر سكلّا تقالا ، فإذا كان
المستر سكلّا تقالا شيوعيا متطرفا فان هنا قوما متطرفين في الرجعية يقومون
في جامعنا الوحيدة بنشر مبادئهم وبثها في أبنائها فهل لنا وقد سمعنا
من الحكومة أنها منعت حضرة النائب الشيوعي من الدخول إلى القطر المصرى
من أجل مبادئه . ان نطلب من الحكومة أن تذكر أن مبادئ أولئك القوم تناقض
أول مبدأ من مبادئ الدستور وهو أن الامة مصدر جميع السلطات (تصفيق)
عبد السلام عبد الغفار بك :

اننى وُيد الحكومة بكل قواى في الاجراءات التى اتخذتها ضد المستر
سكلّا تقالا ولست أرى لحضرات النواب أى حق في أن يغمروا الحكومة ويلمروها
لانها فعلت ما فعلته أمريكا وهي أغنى بلاد العالم . ان الحكومة باجتهادها
مثال الولايات المتحدة في تصرفها إزاء حضرة النائب الشيوعي المحترم عد
رغبت من شأن مصر الناضجة .

. . . وعلى كل حال فالشيوعية مكروهة وأنا أحيذ تصرف الحكومة في
هذا الحادث وأرجو أن تؤيدوها وأن تطلبوا منها الاستمرار على اتباع
هذه الخطة .

الدكتور عبد الخالق محمد سليم :

ان ما أعرفه من مئات الهنود الذين كنت أقابلهم بلندن يوم كنت طالبا
بها انهم يكثرون الشكوى من الإدارة البريطانية وبالتالي تكونت جمعيات

* ورت في المنيظة ، وساعدة ، وطلب صاحب الكلمة في الجلسة التالية
تصحيحها إلى ، وبمساعدة ،

مختلفة . وبما أن حضرة النائب الشيوعي امتدى الاصل فاني أرجو أن يقصر
مجهوداته على بلاده الاصلية الهند وأن يحصر مساعيه في الدفاع عن مصالحها .
أحمد رمزي بك :

قال بعض زملائي الأفاضل أن بلدنا ديمقراطي لا يجوز أن تحارب فيه
حزبية الفكر وعسدى الديمقراطية شيء والشيوعية شيء آخر فإن الشيوعية تهدم
المساواة . . . وتجعل طبقة تملو غيرها من الطبقات كما انها لا تحترم الملكية
ولا تعرف الحرمات التي أقرها الدستور . قالوا أيضا ان احترام الفكر واجب
ولكن إذا كان الرجل يجيء الينا ويخرج كما دخل فلا بأس من ذلك ولكنه
سيجىء كما جاء في خطاب حضرة النائب المحترم حافظ رمضان بك ليدرس
الثقون الاجتماعية وكل خوف من هذه الدراسة ، لأنه لا يستطيع دراسة هذه
الشؤون الا باتصاله بالعمال وبشبه بينهم روح الشيوعية (ضجة) .

الرئيس :

لقد تكلم الآن جميع الخطباء الذين طلبوا الكلمة ولكن بعض الذين تكلموا
يريدون إعادة الكرة .
أصوات بقتل باب المناقشة .

الرئيس :

تقدم اقتراح من عشرين عضوا بطلب اقفال باب المناقشة فهل
يعارض أحد في ذلك ؟
أصوات : كلا .

الرئيس :

اذن يقتل باب المناقشة والآن أتلو على حضراتكم ما قدم من الاقتراحات
تقدم اقتراحان أحدهما من حضرة عبد الرحمن عزام أفندي وحفني محمود
بك ونصه :

« نقتراح أن تعيد الحكومة النظر في مسألة المستر سكلا تفالا وأن تسمح
له بالدخول في القطر المصري اذا تعهد بالا يتكلم وبالا ينشر الدعوة الشيوعية
في مصر . »

يخجل الى أن هذا الاقتراح غير مناسب في صيغته لطبيعة الاستجاب لان
الاستجاب ينتهي بقرار من نوع آخر وأظن أن الأقرب الى ذلك هو الاقتراح
الثاني المقدم من حضرة محمد صبرى أبو علم أفندي وهذا نصه :

« المجلس بعد سماع بيانات حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس
الوزراء يكتفى باثباتها وينتقل الى جدول الاعمال »
فهل توافقون على هذا الاقتراح الاخير . . . ؟
وافق الحاضرون بالاجماع ما عدا أربعة أعضاء .

وثائق وزارة الخارجية البريطانية

« سرى »

رقم الملف ١٠١

التاريخ : ٢٦ - ٧ - ١٩٢٧

ملخص

لترجمة مقال منشور في جريدة « بندر اسلام » المملوكة الصادرة في

٤ يوليو ١٩٢٧

بعنوان « عصبة النضال ضد الامبريالية ومن أجل التحرر الوطني

تحدث المقال عن العصبة ونشاطها وعن تقرير السكرتارية العاليه
حول النشاط الذى قامت به خلال الفترة بين شهرى فبراير ومايو ١٩٢٧ .

ويؤمّن المقال معلومات تقول أن السيد مظهر البكرى قد اقترح
تكوين فروع لهذه العصبة في كل البلدان العربية على أن تبذل جهود بعد ذلك
لتوحيد هذه الفروع وتكوين قيادة مركزية عربية لها ويمكن أن يطلق عليها
اسم « عصبة تحرير البلدان العربية » .

كذلك اقترح السيد بكرى أن يعقد مؤتمر عربى للنضال ضد الامبريالية
في القاهرة وذلك بهدف تعزيز النضال العربى ضد الاستعمار .

وقال أنه قد تم الاتصال بالفعل بعدد من الشخصيات المصرية لبحث
الامر معها ومن بين هذه الشخصيات التى تم الاتصال بها عضو فى البرلمان *

وسوف يدعى الى هذا المؤتمر أيضا مندوبون من الصين ونيوزلاندا
واندونيسيا وانجلترا والهند .

* يعتقد أنه حافظ رمضان - لان العصبة كانت على اتصال به وكان فى هذه
الفترة عضوا فى البرلمان .

(٤) تقارير شخصية ومحاضر نقاش

- * محضر نقاش مع محمد دويدار .
- * محضر نقاش مع ادوارد ليفي .
- * محضر نقاش مع ايلي ميزان .
- * محضر نقاش مع جاكو دي كومب .
- * محضر نقاش مع ريمون أجيون .
- * محضر نقاش مع دينا فورتى .
- * محضر نقاش مع مارسيل ميسيكوا .
- * محضر نقاش مع راؤول كورييل .
- * محضر نقاش مع أنور كامل .
- * تقرير مارسيل اسرائيل (بدايات الحركة العمالية في مصر)
- * محضر نقاش مع فتحى الرملى .
- * محضر نقاش مع اسعد حليم .
- * محضر نقاش مع هنرى كورييل .
- * محضر نقاش مع عبده دهب .

محضر نقاش مع محمد دويدار*

جلسة المناقشة الأولى (القاهرة) ٢٢ - ١ - ١٩٧٠

س : كيف انضممت الى الحزب ؟

ج : كانت نقطة التحول في حياتي هي اطلاعي على كتابات شبلي شميل وقد اشتريت الجزئين بجنينها . ولك ان تتصور كيف يمكن لي عامل بسيط مثلي ان يختر من مرتبه مبلغا كهذا يشتري كتابا . وقد اثرت في كتابات شميل تأثيرا كبيرا .

وكان لي اخ اصغر مني اسمه محمود دويدار كان يعمل صانع احذية في محل بالاسكندرية يمتلكه اخو الشيخ صفوان ابو الفتح . وكنت بطبيعته عملي في السكة الحديد اكثر من التردد على اخي بالاسكندرية . وتعرفت هناك على الشيخ صفوان ابو الفتح . وكانت هذه نقطة التحول الثانية في حياتي . فقد نظم لي الأفكار والخواطر التي كانت تموج بيها نفسي وشرح لي كثيرا من مبادئ الاشتراكية وأبكارها لكنه لم يضمني للحزب .

وفي سنة ١٩٢٧ كنت أعمل في طنطا وكان لي زميل اسمه احمد عبد العزيز كان هو ايضا عطشجي بالسكة الحديد . وفي احد زيارتي له اطلعني على خطابات وصلته من اخيه محمد عبد العزيز الذي كان في موسكو في ذلك الحين وبهرني وصفه للحياة في الاتحاد السوفييتي وقد دفعني هذا الى توطيد علاقتي باحمد عبد العزيز حتى اطلع على المزيد من المعلومات عن الاتحاد السوفييتي .

(*) ولد في مارس ١٩٠١ وعمل عطشجي في السكة الحديد . انضم للحزب عام ١٩٢٧ . سافر الى موسكو طابا في مدرسة كادحي الشرق اسقطت عنه الجنسية المصرية - عاد الى مصر متسلا عام ١٩٢٧ حيث واصل نشاطه في صفوف الحزب - يعمل حاليا موظفا كتابيا في النيابة العامة لعمال الختمات والادارة (١٩٧٠) وذاكرته قوية الى حد يثير الدهشة وافكاره مرتبة تماما الامر الذي يوحى بكثير من الذمة في المعلومات التي ادلى بها .

ثم عاد محمد عبد العزيز من موسكو وسعيت الى التعرف عليه وفي اول مناقشة سألني محمد عبد العزيز عن انتمائي الحزبي فقلت له أنني أميل الى الحزب الوطني لأنه يهتم بشؤون العمال لكنني لا أعمل معهم . وبعد عدة مقابلات ضمنى محمد عبد العزيز الى أحد خلايا الحزب في طنطا .

س : هل يمكن ان تشرح لي اسلوب عملكم الحزبي في عام ١٩٢٧ ؟

ج : كان التنظيم سري ، لكنني كنت اعرف ان هناك خلايا في القاهرة والاسكندرية وطنطا وفي اماكن اخرى . وكان شعبان حافظ يتصل بنا في طنطا احيانا ، وفي احيان اخرى كنت اسافر انا الى القاهرة لاقابل محمد عبد العزيز . واتسع نشاطنا في طنطا فانا مثلا جئنا عدد من العمال من بينهم اثنان سافرا الى جامعة كادحي الشرق بموسكو هما عبد العزيز مرعي (براد في السكة الحديد) والثاني اسمه عبد المجيد (لا أذكر بقية اسمه) وكان أيضا عاملا في السكة الحديد . وكانت الخلايا تدرس الماركسية وتقوم مناقشات عديدة حول الاوضاع في الاتحاد السوفييتي .

س : كيف سافرت الى الاتحاد السوفييتي ؟

ج : كانت لي رغبة جارفة الى مزيد من المعرفة عن الماركسية وعن الاتحاد السوفييتي وفي أحد الاجتماعات تحدثت الى محمد عبد العزيز حول رغبتى في السفر للتدريب في الاتحاد السوفييتي فوافق على الفور وطلب ان استخرج جواز سفر . وهكذا قررت ان اترك اسرتي وعملي (١١ سنة خدمة في السكة الحديد) وسافرت .

س : كيف تمت ترتيبات السفر حتى وصلت للاتحاد السوفييتي ؟

ج : سافرت اولا الى فلسطين ثم الى الاتحاد السوفييتي .

س : لم تعد هناك حاجة الى اخذ جواز سفر مثل هذه الاسرار فهل يمكن ان تحكى لي تفصيلا كيف سافرت من القاهرة الى الاتحاد السوفييتي ؟

ج : سافرت الى فلسطين حيث كان معي عنوان ارسلت عليه خطابا اعلن فيه وصولي وبعد اسبوعين حضر الى شخص ونقلني الى منزل في يافا وتسلم منى جواز السفر الخاص بى واستخرج لي فيزات للسفر الى سوريا ثم لبنان ثم تركيا للقفية .

وبعد ذلك وصلت الى يافا مركب سوفيتية فقطعوا لي تذكرة عليها على اساس انى مسافر الى استانبول . ثم سلمت رسالة خاصة الى مسؤول

السفينة فنقلني الى مكان سرى في السفينة وشطب اسمي من سجل المسافرين لان السفينة كانت ستتم ببورسعيد والاسكندرية في طريقها الى اسطنبول وكان البوليس المصري يفتش المراكب السوفيتية تفتيشا دقيقا وعنديما وصلنا الى الاسكندرية اليسونى ملابس احد البحارة ثم اختبأت في غير البضائع حتى غادرت السفينة الميناء .

واخيرا وصلت الى اوديسا حيث بقيت اسبوعين ومن هناك الى موسكو حيث انضممت الى « جامعة ستالين الشيوعية لكادحي الشرق » .

س : كن ادخل في نقاعسيل حياتك بالادب - جامعة لكن ما هي انطباعاتك العامة ؟

ج : الانطباع العام هو ان المجموعة العربية كانت محط اهتمام العناصر اليهودية الاصل ، وكان المصريون اقلية (حوالي ١٢ شخص) وكان هناك حوالي ٢٠ فلسطيني وآخرين من الجزائر ومراكش والعراق وسوريا لكن هؤلاء كانت غالبيتهم من اليهود . والمصريين فقط هم الذين لم يكن بينهم يهود . وكان معظم موظفي القسم الاداريين والترجمين من اليهود العرب أيضا وكانت لنا نحن المصريون وجهة نظر في ذلك ، واعلنا ان هذا التكوين لا يتلائم مع طبيعة ظروف البلدان العربية . وكذلك كنا نحن المصريين حريصين على ان نتعلم اللغة الروسية بسرعة فادركنا ان المترجمين لا يعرفون اللغة العربية معرفة جيدة وانهم يترجمون ترجمة رديئة .

وباختصار دخلنا نحن المصريين صراعا ورفعنا شعار « اربيزاتسيا » أي التعريب لكننا هوجمنا بشدة بل ونظمت لنا محاكمة في الجامعة بجدة اننا شوفينيين واعداء للسامية وللأسف فان العناصر العربية الاخرى برغم من ثورتها الا انها انجرفت في التيار وشاركت الاخرين في حملة الهجوم على العناصر المصرية الامر الذي ادى الى عزلنا والى هزيمتنا في معركة التعريب .

جلسة المناقشة الثانية - (القاهرة) ١٧-٣-١٩٧٠

س : اتفقنا في المرة السابقة على ان نعيد مناقشة ما سبق طرحه من موضوعات بعد ان تكون قد رتبنا افكارك حولها والآن اسمح لي ان اعود الى نفس الاسئلة السابقة . . . كيف انضممت للحزب ؟

ج : بالإضافة الى المعلومات التي اطلت بها في الجلسة السابقة اذكر اني جنحت في طنطا . وكنت عضوا في خلية عدد اعضاؤها خمسة ، ولم اكن اعرفهم فقد كانت السرية مطلقة وكنا نستخدم اسماء حركية . واحيانا كنت استدعي لحضور اجتماعات في القاهرة واذكر انني دعيت الى اجتماع في منزل بشارع كلوت بك حضره محمد عبد العزيز وثلاثة من عمال العنابر المناقشة بعض المشاكل العمالية . وكانت معظم الموضوعات الدراسية تتركز حول حالة العمال واستغلال الرأسماليين لهم . وكنا باستمرار نربط بين الرأسمالية والاستعمار .

س : هل يمكن ان تحكي لي تفصيلات عن فترة دراستك بجامعة كادحي الشرق ؟

ج : كان هناك ١٢ مصري اذكر منهم حمدي سلام - عبد الرحمن فضيل (وكان اسمه السري هناك نمبروف) والدكتور حسونة - شعبان حافظ - عبد العزيز مرعي (وكان اسمه السري هناك سيرجيفتش) ذلك اننا كنا نتخذ عنك اسماء سرية .

وكان بالجامعة طلبة من جميع الشعوب الشرقية اترك وقرس ، وعرب وآخرين من مدغشقر وكان عددهم حوالي ٤٠٠٠ طالب .

وكان المسؤول عن القسم العربي يهودي من اصل روسي هو ابو زياد واسمه الدركي (حيدر) وكانت له سلطات مطلقة وكان هناك ايضا مسؤولون آخر هو جوزيف برجر . وقد عمل برجر على ان يدخل الى الجامعة ٤ من اليهود ليعملوا كمشرفين على القسم العربي وكانوا عناصر تافهة وضعيفة ويضفون حول انفسهم حالات من القدسية وللزعامة لا يستحقونها . وبعد ان ثارت مشكلة التعريب احضروا من فلسطين اعداد كبيرة من العرب كثيرين منهم عناصر تافهة وغير متعلمة وان كان هناك عناصر جيدة . ولا زلت اذكر بعض الاسماء عبد الفتى الكرمي (مايخت) - نجاتي صحفي (مصطفي) واخوه . . (وكان يتسمى حركيا باسمي شياؤول) محمود الاطرش (مزاد) .

وكان المشرفون اليهود يقومون بتقييم الطلبة وكثيرا ما كانوا يظنون من
شأننا . والحقيقة اننى لا استطيع ان اتهم جميع اليهود لكننى اكد اوقن ان
بعضهم كان هميلا صهيونيا بينما كان هناك يهود مخلصين وقد دافعوا عنا
وتبنوا افكارنا وساندونا واضطهدوا معنا .

س : تقول انكم اضطهدتم . . . هل يمكن ان تحكى بعض التفاصيل ؟

ج : الحقيقة ان العمال المصريين الذين وصلوا الى الجامعة كانوا يثيرون
كثيرا من النقاش والجدل ويكثرون من الادلء بآرائهم . ولا بد ان تعرف ان
المستوى الثقافي للعمال المصرى الذى شارك فى ثورة ١٩١٩ والذى شارك فى
النضال السياسى والنقابى لسنوات طويلة كان اعلى بكثير من مستوى الطلبة
العرب الاخرين .

فأنا مؤلا قلت لك اننى كنت قد درست كتابى شغلى شميل قبل
انضمامى للحزب والحقيقة اننى من فرط اعجابى بشميل حفظت كتاباته عن
ظهر قلب وهكذا امكننى المشاركة فى النقاش اثناء المحاضرات متحدثا عن نظرية
التطور وعن قوانين الجدول والديالكتيك وعن الثورة الفرنسية واخطائها وعن
الجذور الطبقيّة للاستعمار . . . ويبدو ان هذا كان كثيرا بالنسبة لعامل عربى
فى نظر المشرفين على القسم وكانوا هم لتفاهتهم يضيقون بآى نقاش حقيقى
فانهموتى باننى لست برولييتارى خاصة وان خطى كان ممتازا لاننى عملت
خطأطا لفترة وانا صغير وكنت اكتب اللافتات العربية فى اجتقالات الجامعة
بخط جميل . وفى احد المرات قال لى احد المشرفين انت مدموس على
البرولييتاريا ، لم ار برولييتاريا عربيا يتكلم هكذا أو يكتب خطا كهذا . .

ولكى تتصور مستوى الطلبة العرب الاخرين يجب ان تعرف انه كان
هناك فصل تحضيرى قبل بدء الدراسة وفى هذا الفصل الذى انضمت اليه فور
التحاقى بالجامعة فوجئت انهم يدرسون مبادئ القراءة والكتابة العربية
ومبادئ الحساب . . . وكنت انا مثلا قد بدأت فعلا فى دراسة اللغة الروسية .

وباختصار فاننى اعتقد ان ثمة عناصر كانت تتعهد اختيار الطلبة العرب
من مستويات فكرية وثقافية مختلفة . . . وكانت تضطهد كل عنصر متفتح .
والاضطهاد لم يكن منصبا على المصريين وحدهم وانما على كل عربى متفتح بل
وعلى اليهود المخلصين ايضا .

وفى احد المرات وبعد ان ركزوا هجومهم ضدنى على اساس اننى لست
برولييتاريا قرروا ابعادى عن الجامعة لمدة عام كنى اعمل فى احد المصانع حتى
اخالط العمال واتخلق باخلاقهم ناسين اننى برولييتارى ابن برولييتارى .

س : هل يمكن ان تحدثني عن نظام الدراسة في الجامعة ؟

ج : قلت ان هناك سنة تحضيرية اجتزناها نحن المصريين فوراً ثم هناك بعد ذلك خمس سنوات دراسية وأود ان ألفت نظرك الى ان الجامعة كانت مقسمة الى اقسام مختلفة حسب الجنسيات وانا أتحدث عن القسم العربي فقط ولا اعرف نظام ولا ظروف الاقسام الاخرى .

وكاننا ندرس في هذا القسم جغرافيا طبيعية - جغرافيا اقتصادية - جغرافيا سياسية - تاريخ الحزب البلشفي - الاقتصاد السياسي - الحركة النقابية ومهام النقابات وأسلوبها في العمل - اخطار التروتسكية . وفي السنة الاخيرة درسنا الفلسفة الماركسية وأسس المادية الجدلية - وتحليلات للوضع في العالم العربي - ونظرية النسو، والارتقاء .

وكان للجامعة بيت خاص لاقامة الطلاب وكل طالب كان يتقاضى ٥٠ روبل في الشهر .

وكان اسلوب الامتحانات جيد فقبل الامتحان يعرض على الطلاب عشرون سؤالاً تشمل المقرر كله وتترك لنا فرصة مراجعة دروسنا على اساس الاجابة على هذه الاسئلة . ثم بعد ذلك تكتب هذه الاسئلة في اوراق منفصلة في كل ورقة سؤال واحد ثم تطوى الاوراق وكل شخص يختار ورقة ليجيب على السؤال المكتوب فيها .

س : تعود الى معركتكم من اجل « التعريب » أو كما قلت « اربيزاتسيا » الم يشارككم الطلاب العرب الآخرون في هذه المعركة .

ج : الحقيقة ان بعضهم شاركنا لكن الكثيرين كانوا يفضلون السكوت بدعوى الانضباط الحزبي ، واذكر اننى مثلاً اقامت علاقة وثيقة مع (شاؤول) (الاسم السرى لآخو نجاتي صدقي ولا اذكر اسمه الحقيقي) وكان « شاؤول » هذا عضواً في اللجنة المركزية للحزب الفلسطيني وقد حكى لى كثيراً عن اضطهاد الكوادر العربية في الحزب وكيف ان هناك عناصر كانت تقاوم التعريب مقاومة عنيفة وطلبت منه ان يكتب تقريراً بذلك وبالفعل كتب لى تقريراً احتفظت به معي .

وبعد ان تعالت صيحاتنا بالتعريب فوجئنا بأبو زيام يحضر اجتماعاً عاماً بنفسه هو وعدد من قادة القسم العربي وعدد من منحوبي قيادة الجامعة لبحث ما اسمه بالظاهرة الخطيرة والتي تنادى بشعارات شوفينية . وكان واضحاً ان هذا الاجتماع هو نوع من المحاكمة للمجموعة المصرية . ولم نتراجع امام حجج ابو زيام الذي تحدث حديثاً عنيفا ضد معاداة السامية

والشوفينية . . . وطلبت الكلمة ونفيت عن انفسنا قزعة معاداة السامية وقلت
اننا نحن المصريين ساميين نحن ايضا . وتحديثنا عن التعريب كفضية ضرورية
لتعبئة الجماهير العربية في المعركة ضد الاستعمار .

وتحدث عدد من المصريين لذكر منهم عبد الرحمن فضل وعبد العزيز مرعى
وقد اوضحنا وجهات نظرنا بشجاعة ووضوح اذعل الحاضرين .

وكنت في حديثي قد اشرت الى بعض المعلومات التي ضمنها « شاول »
في تقريره . . . حول اضطهاد الكوادر العربية في الحزب الفلسطيني . وبناء
على ايماءة من راس ابو زياد وقف شاول ليكذبني . لكنني فاجأت الحاضرين
جميعا بان ابرزت التقرير المكتوب بخطه والذي يتضمن كل ما اشرت اليه من
وقائع . وانهى ابو زياد الاجتماع الذي ترتب عليه فيما بعد ان كتب ضدى
تقريره بانثى بورجوازي صغير ومثقف ولست عاملا . ونجحوا بناء على هذا
التقرير في ابعادى عن الجامعة لمدة عام انا وعبد العزيز مرعى حتى نعمل في احد
المصانع لتنتقل بالاخلاق البروليتارية .

لكنهم تركوني في المصنع ثلاثة سنوات ونصف ولم اعد الى الجامعة
الإبعد الاحاح شديد . والحقيقة انهم لم يستأيعوا التكنيل بي كما ارادوا لاننى
كنت انا وعبد العزيز مرعى الوحيدين بين الطلبة العرب الذين تشرفنا بالحصول
على عضوية الحزب البلشفي .

لكنهم تعمدوا ارسالنا الى مصنع يبعد اكثر من ٢٠٠ كيلو متر عن موسكو
حتى يبعدونا عن الطلبة العرب وبفضل علاقاتنا بالحزب البلشفي نجحنا في
الحصول على عمل في موسكو ونجحنا في الاقامة في بيت الطلبة .

وقبل ان انهى حديثى في هذه النقطة اود ان اشدد بمجموعة من الرفاق
الفلسطينيين الواعين والمخلصين الذين شاركونا حملتنا من اجل التعريب وكان
على رأسهم رفيق يهودى مخلص جدا ومناضل ثورى اسمه « الرفيق سبوتن »
وقد اضطهد مثلنا وطرد من الجامعة طردا وانتهى الامر ان عمل مدرسا للغة
العربية في جامعة الدارنات الشرقية .

محمد دويدار

جلسة المناقشة الثالثة - (القاهرة) - ١٨/٣/١٩٧٠

* ن: الآن استطيع ان اسالك كيف عدت الى مصر ؟

ج: الحقيقة ان العناصر المعادية التي اشرت اليها فيما سبق كانت تضع العتبات امام عودة الكوادر العربية الى بلادها وذلك حتى تتاح لهم الفرصة لهم وانوائهم . والذي يصمم على العودة كانت تسد في وجهه الجرق بحيث ينمروه في طريق عودته . فمثلا محمود حسنى العرابي كان في موسكو عندما تقرر ابعاده من سكرتارية الحزب وتميين الجاسوس الخاين محمد عبد العزيز بدلا منه وطلب العرابي ان يعود الى مصر ليواصل العمل كعضو عادي في الحزب فسلوه تخكرة سفر بالدرجة الثالثة بالقطار الى برلين ولم يعطوه اى نقود وقالوا انه سيجد للتعليمات بالمساعدة عند الحزب الالماني . ووصل الى برلين ليجد ان الحزب الالماني لم تصله اية تعليمات ورفض الحزب تقديم اى معونة له وهكذا وضع في مصيدة في برلين . واضطر الى ارتكاب اخطاء .

وانا لا ادافع عن حسنى العرابي لكننى اتقول ان بعض الناس دمروا بهذه الطريقة .

وانا نفسى تعرضت لنفس الاسلوب .

الزم انه صدرت لى تعليمات بان اركب السفينة المتجهة الى بلجيكا عبر بحر البلطيق على وعد بان يقابلنى شخص في ميناء « جيليت » البلجيكي ليساهمنى باسيور ونقود وبعدها اسافر الى باريس حيث سيتولى الحزب تنظيم عودتى الى القاهرة . لكننى وصلت الى « جيليت » ولم اجد احدا في انتظارى . وصممت على ان اواصل الرحلة وقفلا وبعد مغامرات خطيرة وصلت الى باريس دون نقود ودون جواز سفر . وبعد مجهود كبير وصلت الى مقر الحزب الشيوعى الفرنسى في شارع « لامبيت » لكنه كان مغلقا نالايوم يوم احد وقضيت طوال اليوم والليل في الطريق وفي اليوم التالي قصدت مقر الحزب وقابلت السيدة جان وبعد مناقشة طويلة ابلغتنى انه ليس لديها اية معلومات عن موضوعى . وعلى اية حال فقد ساعدونى على الاقامة في اوتيل واعطونى بعض النقود وقمت بالاتيتراك في تحرير مجلة « الشرق العربى » . وهى مجلة كان يصدرها الحزب الفرنسى باللغة العربية . واقمت في باريس اربعة اشهر وبعدها ابلغتنى السيدة جان ان اسافر الى مارسيليا حيث سيقتصل بى شخص معين هناك . وفي

مارسيليا قضيت اربعين يوما دون ان يتصل بي هذا الشخص الذي علمت انه كان موجودا في باريس وارسلت خطابا مليئا بالشتائم والهجوم الى جان واتهمتها انها تقامر ضدى وتمنعنى من العودة الى بلدى والمحت الى انها (وصى من اصل يهودى) جزء من مؤامرة صهيونية ضد العرب .

واستدعيتنى جان الى باريس فوصلت لاجد جان تعاملنى بحفاف شديد وسلمتني باسبور لاسافر به الى حيفا ومنها الى بيروت حيث طلب منى ان اتصل بنواد الشمالى وكلفت بان اعمل لبعض الوقت مع الحزب الشيوعى اللبنيانى .

ليكننى وجدت ان الباسبور كان فى ذاته كافيا لكشفى وتسليمى للبوليس فبقو باسم شخص يهودى اجنبى « جوزيف مزراحي » ، وانا لا يبدو على وجهى اى سمات اجنبية وسن صاحب الباسبور ٢٤ سنة وانا سننى ٣٣ سنة والخطر من ذلك كله انهم قطعوا لى تذكرة تسافر على خط مارسيليا - الاسكندرية .. حيفا اى انه كان من الضرورى ان امر على الاسكندرية .

وفى ميناء الاسكندرية كانت عمليات تفقيش السفن تتم بحرص شديد تمنع اى شيعوى من النزول وقبض البوليس على بالفعل وبعد التحقيق معى وتصويرى سلمت مع الجواز المزور الى القبطان وفى حيفا كان البوليس فى انتظارى ولذعشتنى وجدت هناك ضابط بوليس مصرى يرتقى لواء اسمه حلیم بسطا ويبدو ان الانجليز كانوا يقيهون نوعا من التنسيق بين اجهزة الامن فى المنطقة كليا . وبعد تحقيقات طويلة ابلنت انى ممنوع من الدخول وانى ساعد مرة اخرى على نفس المركب . . . وهكذا عدت من جديد الى مارسيليا وفى مارسيليا وبناء على نصيحة من اثنين من الشيوعيين المصريين الارمن وكانا يقيمان هناك بعد ان قام البوليس بابعادهما عن مصر - عدت مرة اخرى الى باريس لاقابل جان لانى طردتني من مقر الحزب بحجة اننى لم اتفد التعليمات وام اسافر واننى اخشى من السفر وبعد مجهود كبير وبعد لجوئى الى هيئة M.O.P.R وعى الهيئة الدولية للمعونة الحمراء عادت جان من جديد واتصلت بى واعطتني باسبور باسم تاجر مصرى من سوهاج سنة ٣٦ وكان الباسبور من دفة الناحية ملائما كذلك اعطتني تذكرة سفر بالقطار من باريس الى بيروت . وعلى الحدود السورية جمع رجال البوليس الباسبوروات وبعد فحصها ابلغونى ان لديهم صورتى واوامر بمنعى من دخول سوريا واعدت مرة اخرى الى الحدود التركية . وفى استنبول قبض على وحكم القاضي بابعادى الى الحدود البسورية اما بالقطار على ان اسعد ثمن تذكرة السفر وتذكريتين لسفر جنديين لحراسنى وتذكريتين لعودتهما واما سيرا على الاقدام ولما كنت مفلسا تماما تقرر ابعادى سيرا على الاقدام . جنديان يركب كلا منهما حصانا وانا

اسير في المقدمة مربوط بخيول واستقرت رحلة العذاب اربعة اشهر كاملة في كل قرية نتوءة، ويستلنى الجنديان الى البوليس المحلى الذى يقوم بايداعى الحبس حتى يرتب لى حرسا جديدا وقد تعذبت في هذه الرحلة عذابا يفوق الوصف وتعرضت لاهوال شديدة * .

وأخيرا وصلت الى الحدود السورية وأمرنى الحراس الاتراك بالعبور وعبرت الحدود خلسة بعد ان تغافل عنى متعمدا ضابط الحدود السوري الذى عرف قصة ابعادى سيرا على الاقدام ورشى لحالى وسرت متجها الى الاسكندرونة وعلى طول الشاطئ، ست ساعات وكان معى اربع ليرات تركية هي باقى ثمن الباطون الذى بعته لاحد الاتراك . وركبت الاتوبيس حتى حلب .

وقررت ان ابقى في حلب لاعمل واكسب بعض المال واشترى ملابس لائقة اتقابل بها الرفاق اللبنانيين حتى اقابلهم بمظهر بروليتارى مشرف واشتغلت في حلب عامل بناء وكنت انام في حمام يملكه شخص مصرى واخر كل قرش احصل عليه وبعد ٢٥ يوما اشتريت بعض الملابس وسافرت الى بيروت ، وكان كل ما اعرفه هو انه يتعين على تسليم نفسى لفؤاد الشمالى لكننى وبعد هذه الرحلة كنت قد فقدت عنوانه فتررت ان اعمل حتى اعثر عليه .

اشتغلت في الميناء عامل نحم مستعينا في ذلك بخبرتى كتطنجى في الشبكة الحديد وكنت انام في قهوة يملكها شخص مصرى اسمه الرئيس يونس . واخيرا عثرت على فؤاد الشمالى الذى ابلغنى انه فصل من الحزب لكنه مكفى من الاتصال باحد اعضاء اللجنة المركزية .

واسند الى الحزب مسؤولية المطبعة واصدار المنشورات . واستمر العمل ثلاثة اشهر حتى قبض على . واعتقد ان فؤاد الشمالى هو الذى ابلغ عنى لانه كان في هذا الوقت متعاوننا مع البوليس .

لم يكن امامى مجال للانكار فقد ضيقت معى المطبعة والمنشورات فقررت انام المحقق ان اسمى محمد دويدار وانى شيوعى مصرى ممنوع من العودة الى بلاده بسبب اسقاط الجنسية عنى وانه ليس لى باسجور وانى اناضل في

* روى لى محمد دويدار تفاصيل كثيرة عن هذه الرحلة لكنها لا تتعلق بهذه الدراسة كموضوع علمى فهى اقرب الى القصص الدرامى العنيف ، وربما اتيححت لى الفرصة يوما لتقديمها لاحد الادباء ليخلق منها عاملا دراميا اعتقد انه سيصبح جزءا متكاملا لجانب العلمى في هذه الدراسة - المؤلف .

صفوف الجزييلشيوغى الشقيق، واعترفت باننى كتبت وطبعت المنشورات
الضبوطة، وقدمت إلى المحاكمة، ووجهت لى تهمة دخول البلاد بدون إذن والعمل
ضد الامن العام . . .

كانت الجلسة سرية لكن هناك عدد كبير من المحامين والصحفيين ووقف
ممثل الادعاء وهو فرنسى ليطلب بالحكم على بالسجن وطلبت ان ادافع عن
نفسى وأنقذت دفاعا سياسيا طويلا قلت فيه ان الدعوى وهو اجنبى فرنسى
مستعمر يذممنى انا العربى باننى دخلت هذه البلاد بدون اذن وكأنا هو قد
التأتأ بالدخول ، ان جريمتى هي انبى دخلت هذه البلاد الشقيقة بدون پاسبور
بسيما جريمته هو انه اغتصب هذه البلاد بحد السلاح .

وحكم على بستة أشهر حبس . وقد رحلت الى سجن طرابلس ثم الى
سجن زغرنا وبعد الإفراج عنى احتلت وهربت من البوليس حتى لا ينفذ حكم
الإبعاد واتصلت بزفيق ارمنى اسمه ارتين مادويان الذى أجرى تحقيقا معى فى
ضروف القبض على واصدر قرارا باننى قد أهملت فى اجراءات الامان وتقرر
بماعتبتي بابعادى عن كنف الحزب لمدة ستة أشهر .

وبعد ذلك طالب لى ان أسافر الى فلسطين لاعمل فى صفوف الحزب
القطري على أساس انى كشفت للبوليس فى لبنان . وفى فلسطين عملت
ايضا فى مطبعة الحزب وعندما اشتعلت ثورة ١٩٣٦ شاركت فى تنظيم
الاجتماعات الجماهيرية وفى تهريب الاسلحة واصبحت معروفا خلال احداث
الثورة وخاصة بعد ان خطبت كثيرا فى المظاهرات وصار الجميع يعرفوننى باسم
محمد المصرى .

وقبض على ثلاثة مرات وتقرر ابعادى لكننى فى كل مرة كنت اهرب من
الحراس عند الجنود واعدت . . .

وفى آخر مرة كنت فى مزرعة تابعة للحكومة عموم فلسطين فى مجدل
عسقلان وكان ناظرها الزفيق طاهر القبيج وقبض على وتقرر ابعادى . وفى هذه
المره سألت نفسى لماذا لا اعود الى مصر . . . وكنت اشعر بحنينى الجارف لمصر
والندم على أرضيتها . . . وتسللت الى العريش واستخدمت مرة اخرى مهنتى
كقطبتي فى المسكة الحديد للاختباء فوق سطح القطار وهو يجرى باقصى
سرعة واخيرا وصلت الى القنطرة شرق . . . وصلت الى داخل مصر ولم تعد اية
قوة تستطيع ابعادى عنها . . . وكان ذلك عام ١٩٣٨ .

س : ماذا فعلت بعد وصولك ؟ . . .

ج : اتصلت بالدكتور حسونة بالاسكندرية الذى ابلغنى ان هنا جلايا

حزبية وان خلية الاسكندرية قررت استضافتي لعدة اشهر للاستجمام والراحة
بعد هذه الفترة الصعبة وفعلا اقامت في بيت يجايم يملكه الرفيق محمد
عمر (عمروف)

وانضمت الى مجموعة الاسكندرية وكانت تضم د . حسونة - عبد الرحمن
فضل - محمد عمر (عمروف) - الشيخ صفوان ابو الفتوح

وبعد ذلك انتقل عبد الرحمن فضل الى القاهرة وقررت انا ايضا ان اذهب
للقاهرة لايبحث عن عمل . وفي القاهرة انضمت الى المجموعة الحزبية فيها وكانت
تضم شعبان محافظ - وعبد الفتاح القاضي - وعبد الرحمن فضل وآخرين
وبعد ذلك اتصلنا جميعا بهنرى كورييل وانضمنا الى تنظيمه وسافرت
العمل في مسكرات الانجليز بالقصاصين وغناك اتصلت باحدى مجموعات
التنظيم

لكن الانجليز ما لبثوا ان طردوني واتخذت من القصاصين قعمت في
تركة جونسون ريك أند بيير وكانت تقيم قاعدة للامريكان في هايستدب ثم
بليت بمصنع كيماوى بالطرية

انتهى النقاش

محضر نقاش مع ادوار ليفى

تمت المناقشة في باريس في اوائل نوفمبر ١٩٦٨

س : ما هي معلوماتك عن نشاط الحركة اليسارية في الثلاثينيات ؟

ج : في حوالي ١٩٢٥ تأسست في القاهرة والاسكندرية جمعية ثقافية اسمها *Essaayistes* وهي جمعية ثقافية ليس لها في الواقع نشاط سياسي ولا علاقة لها بالتيارات ولا الخلافات السياسية وكان نشاطها منحصرًا في المحاضرات الثقافية واقامة معارض وحفلات موسيقية وكان أعضاؤها أساسًا يونانيين ، يهود ، شوام ، وقليل من المصريين الاقباط وقليل جدا من المصريين المسلمين .

وكانت هذه الجمعية تصدر مجلة اسمها *L'effort* (الجهود)

وفي داخل الجمعية بدأ يتجمع تيار يسارى ، وأنا اذكر مثلا أن مجلة هذه الجمعية كانت تنشر مقالات عن الماركسية . . .

ومن داخل هذه الجمعية وتيارها اليسارى ظهرت فيما بعد شخصيات اُمت دورا في تأسيس الاتحاد الديمقراطي والانظمات القروتسكية والشيوعية . . . واذكر مثلا جورج حنين .

س : هل كانت هناك اية تجمعات اخرى ؟

ج : مثلا كانت هناك مجلة يسارية اصدرها اخى زكى ليفى اسمها *Lagerbe* (الحزمة)

وكانت هناك ايضا جريدة ذات ميول وفدية تصدر بالفرنسية اسمها *Liberte* (الحرية) . . . وكان يرأس تحريرها شخص يسارى اسمه ليون كاسترو وهو محام شهير كان صديقا شخصيا لسعد زغلول . . . وقد ظهر ليون كاسترو بعد ذلك ككادر يسارى يلعب دورا هاما في اتحاد انصار السلام عام

* انوارد ليفى محام مختلط من الاسكندرية . . . ولد عام ١٩٠٢ كان احد قادة الاتجاهات اليسارية في الثلاثينيات اصاب بالعمى على اثر اعتقاله عام ١٩٤٨ . . . ابعد من مصر في ١٩٥٦ عقب العدوان الثلاثى لانه رغبة فرنسية . . . يقيم في باريس .

١٩٣٧، ويؤسس لجنة مكافحة العداء للسامية (١) وكان يعمل في هذه الجريدة أيضاً روبر بلوم وكانت مقالاته ذات اتجاه يسارى واضح وأذكر انه كان يشير دائما في هذه المقالات الى «الأومانتية» جريدة الحزب الشيوعى الفرنسى .

س : يفهم من كلامك انه كانت هناك اتجاهات يسارية متفرقة ووسط الاجانب . . وأود ان أعرف هل كانت لهذه المجموعات علاقة بالمصريين ؟

ج : الحقيقة ان غالبيتنا كانت لا تعرف اللغة العربية . . وكان ذلك يمثل عقبة هامة في الالتقاء بالمصريين وفي البداية كانت المجموعات أجنبية أو شبه أجنبية ولم تكن لها علاقة بالصراعات السياسية في مصر وذلك طبعاً باستثناء مجلة «ليبرتيه» التي كانت تؤيد الوفد وكانت تتبجح كمحاولة من الوفد لعمل يسار يؤيده وسط الاجانب . . لكن بعد ان اسس جاكوبى كومب لجنة السلام امكن لهذا التيار اليسارى الاجنبى ان يلتقى بالمصريين . . فقد انضم الى لجنة السلام هذه عدد من المصريين منهم شخصيات معروفة مثل هدى شعراوى ، عبد الفتاح الطويل وغيرهما . وهذه الحركات كانت جزءا من حركة عالمية اسمها التجمع العالمى من اجل السلام . .

وكان لهذه الجمعية نشاط جماهيرى نفى عام ١٩٣٥ عند نشوب حرب الحبسة عقدت الجمعية اجتماعا كبيرا لادانة العدوان الايطالى وقد حضرت هذا الاجتماع وأذكر ان الذين تحدثوا فيه هم عزيز أنطون ، عبد الفتاح الطويل ، ريمون كاسترو (ابن ليون كاسترو) . . وقد نشطت هذه اللجنة كثيرا في الدفاع عن الحبسة والدفاع عن شعب الصين ضد الهجوم اليابانى وتأييد الجمهوريين في اسبانيا وعموما فان نشاطها كان مركزا ضد الفاشية والعنصرية والحرب . .

وكانت الجمعية تصدر نشرة بالعربية والفرنسية . .

وقد عقدت الجمعية اجتماعا جماهيريا آخر في الاسكندرية تحدث فيه محامى اسمه عبد الخالق العزوى وباختصار فان هذه الجمعية قد نجحت في ان تقيم علاقات جيدة وقانونية بين اليسار الاجنبى وبين المصريين . .

س : هل اتصلتم باعضاء الحزب الشيوعى القميم ؟

ج : للتقينا مثلا بالشيخ صفوان وهو احد قادة الحزب وكان يحضر اجتماعات جماعة السلام .

س : كيف اتصلتم به ؟

١ - قال ادوارد ليفى ان ليون كاسترو قد اصبغ غيما بعد صينيويا وخطع الشيوعيون علاقاتهم به .

ج : الذي بدأ الاتصال به أخى زكى ليفى فقد كان يجيد العربية ومن هنا كان هو مفتاح علاقتنا بالمصريين وزكى ليفى كان فيما بعد عضواً في (ح : م) (الحركة المصرية للتحرير الوطني)

س : عندهما اتصلتم بصفوان هل حاولتم تشكيل تنظيم ؟

ج : لا . . . لكن اكتفينا بالمناقشات وعقد اجتماعات للتشاور والدراسة . . . لكن لم يصل عملنا الى مستوى التنظيم بالمعنى الفهوم .

س : من كانت تتكون لجنة السلام ؟

ج : في الأساس عناصر يهودية ويونانية وكان هناك أيضاً إنجليز كثيرون ولماذا انا ترددت وخشيت من الاستثمار معهم . . . لقد خشيت من وجود الإنجليز . . .

س : يا هي علاقاتكم بالصهيونية ؟

ج : عندها تكونت رابطة مكافحة العداء للسامية وكان مؤسسها من اليساريين بدأ الصدام بينهم وبين الحركة الصهيونية لاننا كنا نجد اليهود لكفاح ضد النازية ولم ندع الى الهجرة لفلسطين . . . كنا نرفع شعارا للخلاص هو الكفاح ضد الفاشية أما هم شعار الخلاص عندهم الهجرة الى فلسطين . ومن هنا بدأ الصدام وكنت انا رئيس فرع اللجنة في الاسكندرية وايلى ميزان (صهر بول جاكوب دي كويمب) سكرتير فرع اللجنة في القاهرة .

س : هل هناك اشياء اخرى تريد ذكرها ؟

ج : هناك عدة اشياء متناثرة . . .

* اود ان الفت نظرك الى ان البلد الاجنبي الوحيد الذي تنازل عن الامتيازات الممنوحة لرعاياه في مصر هو الاتحاد السوفييتي بعد ثورة اكتوبر وقد ترك هذا اثرا كبيرا في نفوس الكثيرين .

* سمعت عن شخص اسمه حيام شقرن وكان عضواً بالحزب الشيوعي عام ١٩٢٢ ودرّج مع شخص مصري كتاب لينين « الدولة والثورة » الى اللفظة

لأعربية ولكن الترجمة كانت رائعة جداً . . . وقد غادر شبرثن مصر
عام ١٩٣٠ * .

* تذكرت الآن اسم شخص كان يلعب دوراً نشطاً في جمعية السلام
هو جاك طوبى وزوجته . . .

* في بداية الحرب العالمية الثانية تشجعت قليلاً وقمت أنا وصفوان
وسامي. كانت رفقتي (مدرس) بتأليف كتيب من ٢٠ صفحة عن « الزراعة
في الاتحاد السوفييتي » وقد طبعنا منه ١٠٠٠ نسخة واصدرناه بدون توقيع .

أنا لم انسى مصر حتى الآن ، بل أكتب رواية عن مصر اسمها « عيناي
وشمسي » .

انتهى النقاش * *

* يعتقد انه يقصد كتاباً مترجماً صدر باللغة العربية عام ١٩٢١ -
بعنوان « مذكرات لينين » ، تأليف - لينين رئيس الجمهورية الروسية ، عربيها
عن الفرنسية أحمد رفعت - شركة دار الطباعة الفنية - القاهرة .

* * * أجرى هذا الحوار هو عدد آخر من الحوارات الصديق النير أرييه
لنذي اسمهم بذلك اسهاماً جاداً في انجاز هذا الكتاب .

محضر نقاش مع ايلي ميزان

تمت المناقشة في « باريس » في منتصف شهر

نوفمبر سنة ١٩٦٨

س : ما هي معلوماتك عن التجمعات الاشتراكية في بداية الثلاثينيات ؟
ج : في عام ١٩٢٢ وبعد وصول هتلر الى الحكم في ألمانيا تأسست في مصر رابطة مكافحة العداء للسامية ، (L. I. C. A) برئاسة المحامي ليون كاسترو وكنت في ذلك الحين طالبا في مدرسة الليسية فأسست فرعا لهذه اللجنة في المدرسة وكان هذا الفرع هو في واقع الامر يمثل فرع الشباب لهذه اللجنة فمعظم الطلاب الاجانب كانوا متركزين في مدرسة الليسية .

س : ما هي الحدود التي كانت تنشط فيها رابطة مكافحة العداء للسامية ؟

ج : حملات دعائية ضد النازية ، مقاطعة البضائع الالمانية ، ومقاطعة الافلام والمجلات الالمانية والتي تعطف على المانيا . . . وكانت الرابطة مكونة اساسا من اليهود وعدد قليل من الارمن واليونانيين ولهذا كان تأثيرها قليلا وسط الشعب المصري .

س : كيف تحولت هذه الرابطة الى جمعية يسارية ؟

ج : سير الاحداث هو الذي دفعنا ، فقد بدأنا بمعاداة النازية . . . ومن ثم كنا ضد غزو الحبشة وضد الملكيين في اسبانيا . وكذلك تبيننا شعار « الجبهة الشعبية » لتكون اوسع جبهة ضد النازية والحقيقة ان تبيننا لشعار الجبهة الشعبية « كان يمثل نقطة اساسية في موقفنا ، وهكذا بدأنا كيهود يحاربون العداء للسامية ثم انتهينا شيوعيين » .

ولا بد ان ذلك كان ايضا بتأثير عناصر يسارية ساهمت في تأسيس الجمعية .

* ايلي ميزان احد مؤسسي تنظيم « ايسكرا » وهو اخو زوجة بول جاكوبى كومب كان يعمل موظفا في قسم الدعاية بشركة الاعلانات الشرقية واعتقل في عام ١٩٤٨ وطرد من مصر عام ١٩٤٩ .

س : كيف كانت علاقاتكم بجمعية السلام ؟

ج : بعد أن أصبحنا يساريين انضم بعضنا إليها ، لكن جاكو دي كومب كان يقيم حواجز ضدنا فقد كان يتشكك في كل الناس ، وكان يخشى من أي نشاط حتى لا يلفت انظار السلطات .

س : كنتم جمعية يسارية ، يتزعمها شخص ذو ميول وفدية . فكيف كانت علاقاتكم بحزب الوفد ؟

ج : كانت هناك علاقات بالطبع اسابها ليون كاسترو وأذكر اننا في بعض الاحيان اشتركنا في مظاهرات نظمها الوفد .

س : هل كانت لكم علاقات بالخارج أو بآية احزاب شيوعية اجنبية ؟

ج : لا اعرف ، لكنني بهذه المناسبة اود أن أذكر واقعة ربما كانت تنمك ، وهي انني كان لي قريب هو « إدوارد سوريانو » كان يقيم في الاسماعيلية . ومات عام ١٩٣٨ .

وبعد وفاته عثرت في أوراقه على أشياء تفيد انه كان على علاقة بالحزب الشيوعي الفرنسي وعثرت في أوراقه أيضا على أشياء توحي أنه كان أحد مؤلفي كتاب اصدرة الحزب الشيوعي الفرنسي عن مصر اسمه « الإيدب والاستعمار » . مصر في الادب الفرنسي « والكتاب بدون توقيع لكن هناك اهداء من عدة اشخاص منهم الاسم التالي « E.S » وانا اعتقد ان هؤلاء الاشخاص هم المؤلفين وان « E.S » هو « إدوارد سوريانو » . وهذا الكتاب جيد جدا وهو دراسة ماركسية ممتازة عن موقف الادب الاجنبي من مصر .

س : كيف تحولتم الى العمل الشيوعي ؟

ج : انا اتصلت بالاتحاد الديمقراطي . وهو كان تنظيم مفتوح يعكس جمعية السلام وانا وطليل شوارتز عملنا لفترة من الوقت مع هنري كورييل في الاتحاد الديمقراطي .

وفي يناير ١٩٤٢ اتصل بنا « كيبريو » وهو (عدلي) وجمع عددا من اعضاء (الاتحاد الديمقراطي) وعدد من اعضاء (جمعية السلام) واحضر لنا شخص يوناني ادعى انه ممثل الكومنترن . ودعانا هذا اليوناني الى ضرورة

العمل فوراً على تكوين تنظيم شيوعي وعلى الفور قرراً البدء في تأسيس
تنظيم وكونا لجنة مركزية .

وبعد قليل اكتشفنا ان هذا اليوناني لا يمثل الكومنترن وانه مجرد
شيوعي سابق بالمجموعة اليونانية ونصل منها ... فلما واجهنا كيريو ،
اعترف وقال انه اتخذ هذا الموقف ليحثنا على تكوين تنظيم .

س : ممن تكونت اللجنة المركزية الاولى لا سكرًا ؟

ج : انا وعليل شوارتز وماكس اتيريت .

س : ألم يكن فيها هنري كوربييل ؟

ج : كان من المفروض ذلك ولكن شولرتز اعترض على ذلك قائلاً ان كوربييل
سبق اعتقاله بتهمة الشيوعية وانه مكشوف للبوليس .. وانه لا يتبع
قواعد الأمان .

وهكذا استبعدنا كوربييل من القيادة .

جلسة المناقشة الاولى

تمت المناقشة في باريس في أوائل نوفمبر ١٩٦٨

س : هل يمكن أن تقدم لنا موجزا لتاريخ حياتك وكيف أصبحت بستاريا ؟

ج : أنا من أصل سويسرى وقد ولدت في القاهرة .. وكان أبى مهندس مشهور يمتلك شركة كبيرة للمصاعد والمقاولات الكهربائية .. وقد تعلمت في مدرسة أجنبية في القاهرة ولم أعرف كلمة عربية فقد كان التكلم بالعربية مشينا بالنسبة للأجانب المقيمين في مصر وفي أوائل الثلاثينيات ذهبت الى ألمانيا لادرس الموسيقى .. وأثناء وجودى بألمانيا ارتبطت بالحزب الشيوعى الألمانى .. لكنى لم أصبح عضوا وإنما مجرد صديق لهم وكنت أمترك في مجموعات الدعاية والاثارة التى كان الحزب ينظمها وكثيرا ما ذهبت مع الشيوعيين الى المقاهى لنخبط ونغنى أناشيد شيوعية .

وفي عام ١٩٣٢ عدت الى مصر كى أقيم عاما واحدا ثم أعود مرة اخرى .. وخلال هذا العام أرسلنى أبى الى أسوان حيث كانت شركتنا تقيم مشروعا متعلقا بكهربية الخزان وكان أول اتصال حقيقى لى بالعمال والفلاحين المصريين .. ومن مخالطتى لهم بدأت أشعر أنه لا بد من كفاح منظم لانقاذ هؤلاء الناس .. أدركت أن الاشتراكية شئ جميل لكن تطبيقه يحتاج الى كفاية منظم ..

وفي هذه الاثناء وصل هتلر الى الحكم فقررت البقاء في مصر .. وقررت ان أبحث عن الشيوعيين المصريين وأن أتصل بهم ..

ولم أعرثر إلا على مجموعة من الشيوعيين اليونانيين وكانت مجموعة نشيطة جدا ومنظمة جدا وكل أعضائها من اليونانيين ، لكن كانت لها علاقات بالعمال المصريين عن طريق بعض اليونانيين الذين كانوا يعملون أسطوات ورؤساء عمال ..

* جاكودي كروب إحدى الشخصيات الهامة في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، وقد تردد اسمه كثيرا وسط حالة من الغموض ، فقال الكثيرون أنه كان مندوب الكومنترن في مصر .. وأنه مؤسس إحدى التنظيمات الشيوعية الأساسية (د.ش) (الديمقراطية الشعبية) ..

وظللت لفترة تعمل مع هذا التنظيم دون أن أعرف من هو قائده ..
وبعد أن وثقوا بي سمح لي قائدهم بمقابلته وعرفت أنه ياناكاكس .

وبعد ظهور الفاشية ، وبناء على توجيهات الدولية الثالثة بدأ هذا
التنظيم ينظم حملة للافراج عن الزعيم الألماني تيلمان .

لكنني بمزور الوقت اكتشفت أننا معزولين عن الواقع المصري وأن
أساليبنا لا يمكن أن تؤدي بنا للالتقاء مع المصريين .. وظالبت بسياسة
جديدة وطرق جديدة تستهدف بشر الشيوعية وسط المصريين أنفسهم .. ولما
رفضوا انقسمت عن هذه المجموعة وخرجت أنا وعدد من النابض بينهم
« بيريدس » (١) .

س : ماذا فعلتم بعد ذلك ؟

ج : فكرت في ضرورة إيجاد منبر قانوني للعمل نستطيع من خلاله
الاتصال بالمصريين .. ورأيت أن الأسلوب الأفضل هو تأسيس منبر علني
معاد للفاشية حتى لا تعترض عليه سلطات الاحتلال .

وهكذا أسست في القاهرة والاسكندرية تجمع السلام بمناسبة حرب
الحبشة . وقد ارتبط هذا التجمع بالتجمع العالمي من أجل السلام ... وقد
عقدنا عدة اجتماعات جماهيرية تحدث فيها مصريين أفكر منهم عبد
الفتاح الطويل ...

س : ما هي حدود نشاط هذه الجمعية ؟

ج : كانت تمارس نشاطا سياسيا وثقافيا وكنا ننظم محاضرات
ومناقشات وكنا نصدر نشرة بالعربية والفرنسية .

وكانت المشكلة الأساسية التي تولجنا هي عدم معرفة اللغة العربية
ومشكلة الترجمة .. وعلى أية حال فقد كان أساس عملنا هو الحذر الشديد
جدا ..

والذين جئناهم كانوا أساسا يونانيين ، يهود ، انجليز ، (معظمهم
مصريين)

١ - بيريدس .. شاعر قبرصي شهير كان يتزعم حركة الشيوعيين
اليونانيين في مصر .. أبعاد عن مصر عام ١٩٤٦ خلال حكم اسماعيل صدقي
وقد توفي منذ عدة سنوات في رومانيا حيث أقام هناك مع مجموعات
المهاجرين اليونانيين .

س : هل تذكر أسماء ؟

ج : أذكر بيريدس ، سقراط كالياريكوس (محام مختلط بالاسكندرية توفى في منتصف عام ١٩٦٨) ، رثايل دويك ، جاك طوبى ، سامى حنوكه (أخو زوجة ريمون أجيون وهو الذى أثار كثيرا فى جماعة الحزب المصرى فيما بعد) وراؤول كوريبيل ، يوسف درويش ، جورج حنين ، مارسيل اسرائيل وعدد من التروتسكيين .

س : هل يمكن أن تذكر شيئا آخر عن نشاطكم ؟

ج : فى عام ١٩٣٦ نشطنا لمساندة الجمهوريين الاسبان وفكرنا فى إرسال متطوعين فى الفرقة الدولية .

وفى عام ١٩٣٨ سافرت الى أوروبا لاجتياز اجتماع التجمع العالمى للسلام وقابلت كريشنا مينون وأبلغنى أن نهرو يرغب فى زيارة القاهرة وفى عقابله الفحاس باشا ، وعند عودتى اتصلت بعبد الفتاح الطويل وأبلغته بذلك وقد حضر نهرو عملا ونزل ضيفا على النجاس باشا .

وقد تسببت هذه الزيارة فى مشاكل كثيرة لى ، فقد هاجمنى جورج حنين وراؤول كوريبيل على أساس اننى مكنت نهرو من أن يقبل عناصر برجوازية وكسان الاجدر أن نقابله نحن . . .

وقد تفاقم هذا الخلاف وأدى الى انقسامهم وتكوينهم مجموعة مستقلة والحقيقة أنها كانت مجموعة تروتسكية . . .

وأود أن أقرر الان أن أحد أسباب الخلاف هو أنهم قد بدوا ينشطون نشاطا واسعا وأنا خشيت أن يهدد نشاطهم كيان الجمعية وأن يكشفنا للبوليس المصرى .

س : ما هو مصير جمعية السلام هذه ؟

ج : فى عام ١٩٣٢ بعد نشوب الحرب العالمية الثانية لم يكن من الممكن استمرار جمعية السلام فى العمل فتحولت الى « مجموعة الدراسات Le groupe études » وبدأنا فى إعداد دراسات عن الواقع المصرى والفلاحين . . .

وأصدرنا كتاب بالإنجليزية اسمه « مصر الان Egypt Now » وقد ألفه « هيلري وايماننت » وكان الهدف هو توزيع هذا الكتاب على جنود الاحتلال الانجليز .

وأيام الحرب كنا ننظم سلسلة من المحاضرات في مدرسة الليسية
بالتعامة

س : هل كان لكم اتصال بالكومنترن ؟

ج : لا

س : تردد كثيرا انك كنت على اتصال بالكومنترن ؟

ج : هذا غير صحيح والدليل أن جورج بوانتييه (مدرس سويسرى
الجنسية) تردد على جمعية السلام وكان يستهدف تحويل الجمعية الى تنظيم
شيوعى وأفهمنى أنه على علاقة بالكومنترن وأن لديه تعلقات بتاسيس
تنظيم لكتنى شككت فيه ورفضت

س : هل تعتقد أن بوانتييه كان على علاقة بالكومنترن ؟

ج : اعتقد أنه كان فقط على علاقة بالجذب السويسرى

وكانت هناك محاولة مماثلة قام بها الدكتور حسونة وكان
حسونة يحضر الى جمعية السلام بالاسكندرية وقد أبلغنى حسونة أنه على
علاقة بالكومنترن ... وفى مرة علم أننى مسافر الى أوربا فأبلغنى أنه يريد أن
يرسل تقريرا الى الكومنترن وتبريت منه لائبنى. كنت حزنا جدا. ولاننى قلت
لنفسى اذا كان متصلا بالكومنترن حقيقة لكانت له طريقته الخاصة
بالاتصال بهم

س : لماذا لم تحاول تكوين تنظيم ماركسى ؟

ج : كنت أرى أن الاجانب الا يمكن أن يؤسسوا حركة شيوعية مصرية ،
وأن هذه المهمة يجب أن يقوم بها مصريون. وأن مهمتنا هى دراسة الواقع
المصرى وأن نبحث فى حذر عن مصريين قادرين على قيادة العمل ثم نترك
لهم مهمة تاسيس التنظيم

والحقيقة أن هذا هو السبب الرئيسى للخلاف بينى وبين هنرى
كوريل لأن كوريل كان يرى أن على الشيوعيين الاجانب أن يؤسسوا حركة
شيوعية مصرية وأن يقودوها

بول جاكو دي كومب

جاسنة المناقشة الثانية - ٢٦ يناير ١٩٧٠ - بباريس

س : بعد المناقشة السابقة وبعد الاستماع الى كوربيل وآخرين أود أن أوجه اليك سلسلة من الاسئلة حول الدور الذي قمتم به في تاسيس أحد التنظيمات الشيوعية في مصر فعماذا تريد أن تقول حول هذا الموضوع وخاصة فيما بعد عام ١٩٤٠ ؟

ج : أولا أود أن أؤكد اننى منذ ١٩٤٠ قد شعرت شعوراً قويا بأن نورنا قد انقضى . لقد كنا قد وضعنا البخور ويكفى هذا بالنسبة لاجانب وكان رأينا أن نترك الامر للمصريين وخدمهم وإذا احتاجوا الى بعض المعلومات أو المساعدات مثل الترجمة وما الى ذلك فاننا نقمها لهم . لكن قياتنا نحن الاجناب بتاسيس منظمة شيوعية مصرية كان أمرا مرفوضاً .

وقد اعترض على موقفى هذا ايلي ميزان وانسحب من مجموعتنا لينضم الى مجموعة أخرى كانت تسمى لتاسيس منظمة .

س : حسناً ، لنرجع الى ما قبل ١٩٤٠ ولنبدأ مرة أخرى من البداية الأولى . كيف فكرت في الثلاثينيات في تكوين مجموعة ماركسية ومن حثك على ذلك . وهل كانت لمعاتك بأحد الاحزاب الشيوعية الاوروبية صلة بذلك ؟

ج : لم يحثنى أحد على فكرة تاسيس مجموعة . وأنا لم أكن على علاقة بأى حزب أوروبى . عندما كنت في المانيا كنت مجرد عاطف على الحزب الشيوعى الألمانى وكنت في مجموعة من الدعاة وكان نشاطنا قاصراً على الدخول الى المقاهى والقاء الخطب والانشيد الثورية لكن لم تكن أعضاء في الحزب .

وعندما عدت من المانيا ذهبت الى ادفو حيث كان والسدى يقوم بمشروع دنك والتقيت بالعامل والفلاح المصرى ومن هنا كانت الشرارة الأولى وبعد ذلك عدت الى سويسرا وحاولت العودة الى المانيا لكن هتلت . كان قد تولى السلطة وعدت الى مصر .

س : اسمح لى أن أقاطعك لكن كوربيل يؤكد أنك كنت على علاقة بالحزب السويسرى ؟

* أخو زوجة بول جاكو دي كومب

ج : لا ... ولكن جورج يونانتيه كان على علاقة طفيفة بهذا الحزب
وكان يعمل مدرسا في الاسماعيلية وبورسعيد .

س : كذلك يؤكد لأكور في كتابه الشيوعية والقومية في الشرق الاوسط
انك كنت ممثل الكومنترون في مصر فما رايك في ذلك ؟

ج : غير صحيح والحقيقة اننا كنا كثيرا ما يتصل بنا أشخاص
ليطلبوا انهم يمدون الكومنترون لكننا لم نؤكد من صحة أى ادعاء من
هذه الادعاءات ولم تكن لدينا بالفعل أى علاقة حقيقية أو رسمية
بالكومنترون *.

س : حسنا ، لنعد الى بدء نشاطك في مصر في الثلاثينيات .

ج : كنت في الاسكندرية ولم أكن أعرف أحد من الليباريين لكننى كنت
أريد أن أفعل شيئا ومقابلت بعض اليونانيين والاطالين وكانوا على
علاقات بالعمال المصريين وكانه هذه أول علاقة حقيقية لى بالعمل السياسى
في مصر . ولم أكن أعرف انهم منضمون الى منظمات سرية لكننا كنا
نتناقش بشكل عام . ومع تطور علاقتى باليونانيين قالوا لى ان شخصا
يريد مقابلتى وكان هذا الشخص هو ياناكاس . وعلمت أنه مسئول
المجموعة الشيوعية اليونانية . والحقيقة اننى حتى هذه اللحظة لم يكن لدى
أى فكرة عن قىامى شخصيا بتأسيس تنظيم . ومع استمرار الاتصال
لاحظت ان نشاط ياناكاس وكالباريكوس و بيريدس محصور تماما وسط
الاجانب .

وخلال بعض المناقشات اقترحوا ان نصدر نداء للمطالبة بتحرير تيلمان
لكننى سألنا انا ، وبعض الشباب ما علاقة هذا بالشعب المصرى . لا بد من
عمل شىء لتحرير الشعب المصرى وتحريك الشعب المصرى .

و ان فصلنا عن ياناكاس وكونت انا وأربعة من الشباب مجموعة جديدة
تضم بيريدس ، هاجى أندرياس (مصرى الجنسية من اصل يونانى كان يعمل
في مجال القطن وكان شاعرا . وقد نشر عدد من الدواوين والكتيب ويعيش
الآن في اليونان) .

وقلنا ان هدفنا الانسانى هو الخروج من مأزق العمل وسط الاجانب
ومن السرية المطلقة التى احاط بها ياناكاس العمل بحيث جعل المجموعة
معزولة تماما عن كل ما يجرى في مصر .

* خلال أحد الجلسات رأى بول جاكو دى كومب فى بعض وثائق مصورة
من International Press Correspondence وهي النشرة التى كان
يصدرها الكومنترون ، فقال لقد كتبت عدة مقالات في هذه المجلة . لكنه
لم يعد الى الإشارة الى هذا الموضوع مرة أخرى .

نقد احسننا انه لاقيمة لان يقنوم ٣٠ او ٤٠ من اليونانيين المقيمين
في مصر بعمل تنظيم سرى يحيط نفسه بسرية مطلقة وبدون اية علاقة
مع المصريين

لعلاج اساليب العمل اضطرت المجموعة يوما لاصدار منشور باللغة
اليونانية فارسلوا لى عامل يونانى حتى اكتب المنشور بخطى فلا يستطيع
اليوليس للوصول الى كاتب المنشور لاننى لست يونانيا

ولكى نعمل ونقتصل بالمصريين كان لابد من البحث عن سفد قانونى
لتحركنا ولهذا اسسنا اتحاد انصار السلام . واقمنا علاقة مع الحركة
العالمية المسماة *Rassemblement Universel pour la Paix* وهكذا بدأنا
الاتصال بالمصريين

ولكن بعد أن أعلنت الحرب لم يكن من الممكن الاستمرار في حركة
السلام ولهذا اسسنا « مجموعة الدراسات » وكان هدفها تعريف الاوربيين
باوضاع المجتمع المصرى

لقد اغلقت الحدود . وهكذا كان لا بد للجانب المقيمين في مصر أن
يتجهوا لدراسة الواقع المصرى . وكانت لنا علاقة جيدة بالليسيه فرانسيه
وبالفعل تمكنت مجموعة الدراسات من اعداد دراسات جيدة عن الفلاح
المصرى - تاريخ مصر - ثورة عرابى - نهر النيل - الخ

وكانت لنا ايضا علاقات بعدد من الانجليز العاملين في قوات
الاحتلال ومنهم مثلا كولونيل او كابتن *Klugman* وكان شخص ممتاز
ونشيط . وقد تعرفت به عن طريق اسقاذ انجليزى شيوعى بالجامعة
المصرية

وقال *Klugman* ان علينا ان نضع كتابا بالانجليزية موجه الى
جنود قوات الاحتلال الانجليزية نحدثهم فيه عن مصر وحضارتها وتاريخها
وعن ظروف معيشة الفلاح المصرى وبالفعل اعدنا هذا الكتاب وطبع طبعتين
والحقيقة ان أحد العوامل المساعدة ان الانجليز كانوا يرحبون بالتعاون
معنا خوفا من اتجاه المصريين نحو الالمان

س : هناك شخصية اود أن أسألك عن رأيك فيها هي ليون كاسترو .
هل كان كاسترو يساريا أم صهيونيا وما هي علاقتكم به ؟

ج : كاسترو كان معاديا للنازية ومن هذه الزاوية اتخذ مواقف يسارية
وتعاون مع اليسار لكنه كان أيضا صهيونيا . ومثل هذه التركيبية كانت
موجودة بكثرة في هذه الايام حيث اندفع كثير من اليهود للنضال ضد الفاشية

في تعاون مع كل أعداء الفاشية بما نعيم الشيوعيين
وعنينا ما كنا في مجموعة الدراسات اتصل بن شخص وقال انه مؤيد
من قبل كاسترو وأبدى استعدادا لمساعدتنا وتمويل أعمالنا لاننا ضد
الفاشية ولم يقدموا أية شروط لكنهم اظهروا أنهم في خوف شديد من جماعة
الأخوان المسلمين

وقد رفضنا بشدة أى اتصال بهم او قبول أى مساعدة منهم ولكن هذا
الموقف من كاسترو ومجموعته أدى الى حدوث خلاف شديد في صفوف مجموعة
الدراسات

س : كيف كنتم تحصلون على الكتب الماركسية ؟

ج : عندما عدت من سنرى في المرة الاولى أخضرت معي بعض الكتب
وأذكر أنني عندما كنت في أدفو كان معي كتاب رأس المال لكارل ماركس .
وفي ١٩٣٨ سافرت زوجتي التي فرنسا وعادت ومعها عدة حقائب مليئة
بالكتب . وفي هذه الفترة كان كل شخص يسافر للخارج يهود ومعه كتب .
س : كيف أسست التنظيم ؟

ج : أنا مقصم على أنني لم أؤسس تنظيم . أنا وضعت البذور ثم
تركتها . أنا كنت من الناحية الهندية ضد أن يقوم أجنبي بتأسيس تنظيم
. . . أنني أقر بوضوح أن تاريخ الحركة الشيوعية قد بدأ بعد أن تنحيت
أنا عن العمل .

لقد عملت في مصر عشر سنوات من النضال الديمقراطي والماركسي
بهدف تمثيل الفكر الماركسي الى عدد من المصريين وهذا هو كل دورى وقد
ذلك تركيزهم يفعلون ما يشاءون .

لكن كوربيل كان يرى أنه يمكنه وهو أجنبي أن يؤسس تنظيمًا .
وعندما حضر إنديريه مارتى الى مصر ناقشه كوربيل وأيد مارتى وجهة نظر
كوربيل . وهذا طبيعي فالحزب الشيوعي الفرنسي كان يرى أنه يمكن لكون
أجنبية أن تقوم بالعمل الحزبي في بلد مستعمر وكان هذا هو موقفهم العملى
في الجزائر .

واستنادا الى تأييد إنديريه مارتى كون كوربيل ح . م . وطلب الى
رفاقي أن أعرف وجهة نظر الحزب الفرنسي في هذا الموضوع وظللت اتصل
لمدة أربعة سنوات بالمكتب السياسى للحزب الفرنسي دون أن أتلقى ردا .

س : هل تريد أن تصيف شيئا حول النشاط في الأربعينيات ؟
ج : لا . أسأل أصحاب هذا النشاط أما أنا فكان دورى قد انتهى
تماما .

انتهى النقاش

معرض نقاش مع ريمون أجيون *

اجريت المناقشة في باريس في ٤ أبريل ١٩٧٣

س : سائداً بمسؤال تطليدي .. الاسم ، الميلاد ، المهنة حالياً ..

ج : اسمي ريمون أجيون ، مولود في عام ١٩٢١ بالأسكندرية ، عمل حالياً تاجراً للوحات التشكيلية وأقيم في باريس

س : كيف .. ولماذا ومنتى انتميت الى الحركة اليسارية .. وعن طريق من ؟

ج : الحقيقة أنه من الصعب ان أقدم اجابات دقيقة على سؤال دقيق كهذا فقد كنا مجموعة من الاجانب ، كل واحد فينا يعرف الاخر وكان عدداً قليلاً ، ومن ثم فقد كان كل منا يتجذبت مع الاخر ويؤثر في الاخر . وفي البداية كنا نسرغ بالاتفاق ثم نسرغ بالخلاف مع بعضنا البعض .

س : المهم كيف اتجهت يساراً ؟

ج : المسألة - بالنسبة لي على الاقل - لم تات دفعة واحدة ، ثم اتخذ قراراً من جانبي بأن أصبح يسارياً ، كنا نعيش في مصر كأكسرة اجنبية وكنت أتحدث كثيراً على أوروبا ، ولم يكن غريباً ان يدعّب شاب مثلي ، حماساً الى أوروبا وينبهر بها ، ثم يعود الى مصر فيشعر بان الاهور لا تسير في الطريق الصحيح .. وهكذا تكونت لدى في البداية أفكاراً اشتراكية خيالية وكأني شاب اجنبي ذو ثقافة فرنسية قرأت جان جاك روسو ، واليوتات ، ليفيكتور دوجو ، كنت أقرأ ثم أنزل الى الشارع فأشعر بأن كل ما يصيغه هو جو من يؤس موجود في مصر ، لكنني لم أكن أعرف ما إذا عمل ؟

وخلال هذه الفترة - وكان سني حوالي ١٥ سنة - وخلال زيارة لباريس سمعت عن النضال الاشتراكي وعن الجبهة الشعبية وكان من اليسير جداً على انسان مثلي ان يتصل باليسار الفرنسي

* ظل ريمون أجيون شخصياً لفترة طويلة الى الحزب الشيوعي الفرنسي وذلك بعد ان غادر مصر في عام ١٩٤٥ حيث مارس نشاطاً حزبياً مع مجموعة من الطلاب المصريين الدارسين في فرنسا وحيث ارتبط اسمه بتأسيس منظمة الحزب الشيوعي المظري (الزاوية)

كذلك كانت هناك مسألة مهمة ، كان ظهور هتلر وانتصاره في ألمانيا يزعج اليهود ، وأنا يهودي ، وقد شعرت كما شعر كثير من اليهود بضرورة اللجوء الى مساندة الحركة الديمقراطية المناهضة للفاشية . وهكذا ومن هذه الخلفية بدأت أقترب رويدا رويدا من العمل اليساري .

وثمة منطلق آخر . فأنا من أسرة غنية ، وكنت أشعر وأنا شاب متحمس ، وبهذه الخلفية الفكرية ، ان أسرتي تستغل الشعب المصري ، ومن خلال هذا الشعور ، ومن خلال التناقض بين الأجيال بدأت أيضا أتمرد .

وقد كنت طالبا في المدرسة اليهودية بالاسكندرية ، وهي مدرسة تضم طلابا من مختلف الفئات الاجتماعية ، وكان بالمدرسة بعض المدرسين التقدميين من بينهم مدام أنا طوبى (التي تزوجت فيما بعد زربيني وأصبحت مدام زربيني) . وكانت مدام طوبى زميلة لجاكو دي كومب ، وتعمل معه في اتحاد السلام . وكانت تدرس لنا التاريخ ، وكنا في هذه الفترة نقرأ كتب أندريه مارلو وغيره . وفي سن الرابعة عشرة وجدت نفسي طالبا في مدرسة مديرتنا اشتراكي ومدرستها تقدمية وجوها العام كان ديمقراطيا ومعاديا للفاشية . وكان هناك في المدرسة طلاب يهود فقراء الى حد ما ، وكانوا يشعرون بالتناقض مع الطلاب الاغنياء .

كل هذا خلق المناخ الذي تحولت فيه تدريجيا نحو اليسار وأصبحت ماركسيا .

س : ولكن كيف كانت البداية الفعلية ؟

ج : جذبتني مدام طوبى الى اتحاد انصار السلام ، وطلبت مني أن أدرس وأن أناقش وكنت صغيرا جدا ، لكنني كنت متحمسا وبدأت في النشاط لكنني وبعد فترة أحسست أننا إجابنا نتحدث مع الاجانب عن الاجانب ، والمصري الوحيد بيننا كان يشعر بعزلة قاسية .

كذلك بدأت أشعر أن هؤلاء العاملين في اتحاد السلام كانوا حذرين أكثر من اللازم ، خائفون دوما ، يخشون أي تحرك ، وكانوا يتحذرون حتى فيما بينهم بجزر شديد ، وخوف شديد ، وقلت في نفسي اذا كانت هذه هي الشيوعية فأنا لست شيوعي .

وعندما أصبحت في السابعة عشرة من عمري وحصلت على البكالوريا بدأ حلمي القديم يراودني . أن أدرس الطب . وأصبح طبيبا يعيش في ريف مصر ليعالج المبلحين الفقراء . وينشر الاشتراكية في صفوفهم . وتوجهت الى باريس ودرست السنة الإعدادية في كلية الطب ، واتصلت بالشيوعية ولكنني لم انضم للحزب الشيوعي رسميا . وبدأت نذر الحرب

العالمية الثانية فاسرعت بالعودة الى القاهرة . . . كانت سننى ١٨ سنة ونصف ولم أجد سوى العمل مع ذات المجموعة القديمة اتحاد أنصار السلام . . . برئاسة بول جاكو الذى اعتبرنى هو وزملائه متطرفا ومثاغبا ، وفى نوفمبر ١٩٢٩ تركتهم أنا ومارسيل اسرائيل وراؤول كوربييل وفناة يونانية (لا أذكر اسمها) لكنها كانت تعمل بالصحافة وقد أسست معها بعد ذلك صحيفة «يون كيشوت» . وكان مارسيل أكثرنا خبرة ، لكن خبرته كانت هى أيضا متواضعة ، وعندما اتفقنا على ترك مجموعة بول جاكو كنا نعرب بذلك عن سخطنا على التردد والخوف وعلى انحصار العمل وسط الأجانب وحدهم وعلى الابتعاد عن المصريين وعن مشاكل مضر الحقيقية . ولهذا قررنا تأسيس حزب شيوعى .

وفى نوفمبر ١٩٢٩ اجتمعنا نحن الاربعة وقررنا اننا الحزب الشيوعى وكانت هذه سذاجة مفرطة ، وربما كانت محاولة لبيت الشجاعة فى نفوسنا لكنها لم تكن بأية حال تعبيراً عن واقع موضوعى .

وبدانا . . .

كان مارسيل يعمل فى مصنع قرب حلوان ، وكانت لديه بعض علاقات بالعمال ، وبعضنا كانت له علاقات بعدد من الطلاب . . . وفى نفس الوقت تأسس النادي الديمقراطي وانضمنا اليه لنعمل من داخله .

س : كيف ؟

ج : ابتداءً من نوفمبر ١٩٢٩ كنت أعتبر نفسى شيوعياً ، قبلها كانت لدى مجرد تطلعات اشتراكية . وعندما أسس هنرى كوربييل النيىاوى الديمقراطى ، قلنا لانفسنا نحن حزب شيوعى وهم تجمع قانونى علينا أن نعمل فى داخله لنكسب قوات جديدة لصفوفنا ، ثم كانت هناك أيضا جماعة الفن والحرية فعملنا معها أيضا . . .

أى اننا قسمنا نشاطنا فى الفترة الى قسمين . . .

النشاط القانونى ، وكان يتمثل فى العمل المناهض للفاشية والنشاط الديمقراطى العام ومقاومة الذعايات المناهضة للسوفييت ، ومن هذا المنطلق أقمنا علاقات مثبعية . . . مع النادي الديمقراطى (للقاهرة) ومع اتحاد السلام (أنابسا بالأسكندرية) ومع مجموعة الفنانين السيريليين الذين أسموا أنفسهم « الفن والحرية » ومنهم جورج حنين وزمسيى يونان كامل التلمسانى : وهؤلاء السيريليين لم يكونوا مثقفين معنا ١٠٠٪ لكننا قلنا أنه فى بلد كمصر وفى فترة كهذه لا بد أن نتعاون مع أية قوى مستنيرة ، بينما

كان بول جاكو وأمثلة من الجيل العظيم ضيدي أي علاقة مع هذه المجموعة بحجة أنهم يروتسكيين

وأصدرنا مجلة « دون كيشوت » باللغة الفرنسية وقد عارضها مارسيل نيتنما كنت أنا وراؤول كوزيل نعتبرها مجرد وسيلة لتقريبنا من الناس

وكانت افتتاحية العدد الأول عن الاتحاد السوفييتي وكان الموقف معقدا للغاية وقد كتبها أنا وراؤول وكانت فقرة الوفاق السوفييتي مع ألمانيا ، وكان الكثيرون يهاجمون السوفييت بعنف لهذا السبب ، وقد حاولت الافتتاحية أن تقول بأن السوفييت لم يتحالفوا مع الألمان ، وبأن الحرب الفنلندية ليست ضد « المسكر الحر » وإنما هي ضد ألمانيا ، وكانت هناك رقابة على الصحف ، وكنا مضطرين أن نتلاعب بالالفاظ ، ولم يكن ممكنا أن ندافع صراحة عن السوفييت ..

وإختلاف مارسيل معنا بسبب المجلة ، وانفقتنا

وتوقفت دون كيشوت وبدأت محاولة جديدة في مجلة تصدر بالعربية في المجلة الجديدة

وعن طريق « دون كيشوت » تعرفت برهنسييتي يونان .. وانفقتنا على العمل معا في المجلة الجديدة واصبحنا شركاء ، لسلامة موسى ثم اشتريت منه المجلة ، وكان تكتيك زمسيس يونان وأصدقائه ، مماأتى عندما كان الاتحاد السوفييتي يتراجع أمام الألمان ، ولكن بعند معارك ستالينجراد وبداية الانتصار السوفييتي بدأوا في الهجوم على السوفييت .. وانقسمنا وبزعم لفتي دفعت كامل ذم « المجلة الجديدة » الا أن العقود كانت باسم زمسيس يونان فأخذ المجلة لكنها لم تلبث أن توقفت

وفي المجلة الجديدة كنت قد تعرفت بأسمعد خليم وأسست له دار نشر هي « دار الفجر » ولم يكن أسمعد من مجموعتي لكنني كنت أساعد أي انسان تقدمي ، ذلم يكن يهمني الا الفضال

وخلال تقدم القوات الهنزية في جبهة العلمين سافرت الى فلسطين حيث التقيت بعدد من الرعاق الفلسطينيين في حيفا

وبعيد عودتي الى مصر بدأت في الاعتماد بالمسألة اليوغسلافية ، وكان هنيالك : ٢٨ مهاجر يوغسلافي ، أتى بهم للصليب الأحمر ومنظمة « أونرا » وكيسوهم في معسكر في منطقة الشط بالبنال ، وكانوا قد أتوا وبينهم تنظيم سياسي قوى أختبرت قيادته في يوغسلافيا وقد حاول الانجليز تدمير هذا التنظيم

وشهدت، اشتركت زوجتي مع عدد من السيدات الأنجليزيات في تكوين لجنة للاهتمام بهم، وقامت اللجنة بجمع تبرعات مالية، ومساعدتهم على مواصلة نشاطهم السياسي، وقدمنا لهم مساعدات هامة، وقامت علاقة بيننا وبين الشيوعيين في صفوفهم، ولفترة ليست قصيرة كنت أركز نشاطي في هذا الموضوع.

وكانت هناك أيضا مشكلة اليونانيين، كانت التشكيلات العسكرية اليونانية تقاوم سياسة الانجليز المتأمرة ضدهم والتي تحاول تصفية الفرق العسكرية اليونانية التي تنتمتع القوى الثورية فيها بنفوذ هام، وذلك بالزج بهم في معارك غير متكافئة مع العدو وفي جيبهات بعيدة عن الجبهة اليونانية، وقد قام الجنود اليونانيون بخمسة انتفاضات هامة، وكنا نساعدهم بمساعدات كبيرة، وفي أحد هذه الانتفاضات حاصرتهم القوات البريطانية ومنعت عنهم الطعام، وتحركنا نحن لمساعدتهم، جمعنا تبرعات واشترينا طعام واتصلنا بعدد من الجنود الانجليز الشيوعيين وعن طريقهم كنا نهرب لهم الطعام والمعلومات وقدمنا لهم مساعدات جديدة.

س : وكيف وهتي تركت مصر ؟

ج : في عام ١٩٤٥ بدأت الحركة الشيوعية المصرية تزدهر، وأحسست أن جذورها بدأت تتعمق، وكنت في عذبة الاثناء أشعر أنني بثقافتى الاجنبية عاجز تماما عن تقديم المزيد، وكان هذا احساسى بالنسبة لبقية الاجانب وقررت أن أترك مصر، وغادرتها الى باريس حيث انضمت الى الحزب الشيوعى الفرنسى.

س : هكذا أستطيع أن أصل لك الى مرحلة أساسية في الحوار وعن المجموعة الطلابية المصرية التي تكونت في باريس، علاقتك بها؟ نشاطها؟ كيف تكونت؟

ج : أتى الى فرنسا طلاب مصريين كثيرين بعد الحرب العالمية الثانية وكان هناك مصريون سابقون مقيمون أيضا في فرنسا وفي عذا الحين تواجدت في مجموعة حزبية كلفها الحزب الشيوعى الفرنسى للعمل في هذا المجال، وهذا هو كل شيء.

س : هل تسمح بمزيد من التفصيل، ولكى أكون محددا فان هناك اعتقاد يأنك كنت على علاقة بمجموعة ما، وأنت كنت توجهها سياسيا.

ج : كان كل عنفى هو العمل على توحيد الشيوعيين المصريين، وقد اتحدوا ولكنهم عاودوا الانقسام، أما عن علاقتي بمجموعة ما فالحقيقة أنه

كان هنا * في باريس طلاب مصريون. كنا على علاقة بهم بحكم نشاطي الحزبي ، وبعد عودتهم أضر كان بعضهم يأتي لزيارتي ، وكنا نناقش بتبليغة الحال ، وربما جاء هذا الظن من انهم كانوا يعودون الى مصر فيقولون ان اصدقائنا في فرنسا يقولون كذا وكذا : وتصور البعض انني أوجه هؤلاء الناس من هنا . والحقيقة أنه ربما كانت لنا في فرنسا وجهة نظر معينة لكننا لم نكن ندخل في أي تفاصيل .

س : وماذا عن تدخل الحزب الشيوعي الايطالي في الاوضاع المصرية ؟

ج : الايطاليين لم يهتموا بمصر الا مؤخرا . . كان هناك مصريون سابقون أعضاء في الحزب الشيوعي الايطالي ولم تعد لهم علاقة جيدة بمصر مثل ريناتو ميللي . والحقيقة ان الاهتمام بمصر عندما أتى متأخرا لم يأت عن طريقهم وانما عن طريق بعض الصيحيين من الاوربيات الذين زاروا مصر وأنشأوا علاقات هناك .

س : وأنت شخصيا . . ماذا كان دورك ؟

ج : ربما كنت أقدم أكثر من الآخرين ، ربما كانت علاقاتي أوثق بأصدقائي القدامى من الطلاب الذين عادوا الى مصر ومارسوا دورهم ، ولكنني لم أكن أوجه أوامر أو تعليمات لاحد . . كنت فقط أقول رأيي . . وأقر أنه لم يكن هناك توجيه من الخارج لكن يمكن القول بأنه كان هناك ضغط من الخارج من أجل الوحدة .

س : ماذا اذن عن نشرة « الشرق الاوسط » والتي كنت تصدرها في باريس ، والتي انتهجت خطا سياسيا مشابها لخط من أسميتهم اصدقاءك القدامى . . ؟

ج : عندما فتحت السجون والمعتقلات في مصر قررت القيام بعمل اعلامي لمساعدة المناضلين الشيوعيين المصريين والدفاع عنهم ، ولكن لكي يمكن لهذه المجلة أن تجد قراءا كان لا بد من عدم الاكتفاء بالحديث عن المعتقلين وانما أن نتحدث عن اوضاع مصر بشكل عام ، وقد كانت « الشرق الاوسط » مجلة جيدة . . وتضم مواد ممتازة وكان لها قراء كثيرين .

س : متى صدرت هذه المجلة . . ومتى توقفت ؟

ج : صدرت في نهاية ١٩٤٩ وتوقفت في نهاية ١٩٥١ . وكانت تصدر شهريا .

س : ماذا كانت الاهتمامات الأساسية للمجلة ؟ وما هي علاقاتها ؟
ومن كان يعولها ؟

ج : كانت مجلة مستقلة ، وكنت أنا الممول ، وأصدرتها أنا وعدد من الأصدقاء وكان تركيزنا الأساسي على قضايا الشرق الأدنى ، وكانت لنا علاقات بالشيوخيين الاسرائيليين وحتى بالانابام ، لكن الشيوعيين السوريين كانوا ضدنا .

انتهى النقاش

محاضر نقاش مع دينا فورتى *

أجريت المناقشة في روما في ٢٤ - ٢ - ١٩٧٣

س : متى بدأ نشاطك السياسي ؟ وكيف ؟ ومن خلال أية منظمات ؟
ج : بدأت نشاطي السياسي في عام ١٩٣٨ ، وكان ذلك في اتحاد أنصار السلام
س : هل يمكن أن تعطيني صورة عن تكوين اتحاد أنصار السلام ، وأسلوب عمله ؟

ج : كان الرئيس بول جاكو دي كومب ، وكان هناك عدد لا بأس به ، أذكر مجموعة من اليونانيين منهم فيو بيريدس الشاعر اليوناني الشهور الذي أقام فيملا بعد في قبرص والذي ترجمت أشعاره الى العديد من اللغات ، وأيضا زوجته الكسندرا ، وفي الاسكندرية كانت هناك مجموعة من الاجانب منهم كازيس Cazes ودورا ستوليار Dōrra Stoliar وأخوها أبي ABY وهما من أصل روسي وأذكر أن ABY هذا شارك في الحرب ضد النازي ومات في المارك في الجبهة الايطالية .

وكانت المسؤولة عن النشاط في الاسكندرية أنا طوبى ANNA TUBY
زوجة جاكو طوبى وكان شيوعيا .

س : وماذا عن نشاط اتحاد أنصار السلام ؟

ج : كان نشاطنا خلال ٢٨ - ١٩٣٩ يتركز أساسا في تأييد الجمهوريين الأسيان ، سواء في جمع تبرعات أو تنظيم حملات اعلامية ودعاية ، وأذكر اننا نظمنا حملة واسعة لجمع تبرعات لمدرسة اطفال في فالينسيا بالمنطقة المحسرة .

وكنا نظم محاضرات لتأييد الحرب الوطنية في الصين .

س : هل كان معكم مصريون ؟

* دينا فورتى مناضلة شيوعية ايطالية ، لعبت دورا هاما في حركة اليسار وسط الجالية الايطالية بمصر في نهاية الثلاثينيات ومطلع الاربعينات ، هاجرت مصر الى ايطاليا حيث ما زالت تمارس دورا نشيطا في الحزب الشيوعي الايطالي .

ج : أدركت شخصا مضطربا كان معنا اسمه صبحي وكان مدرسا ، وقد سمعت أنه ترك النشاط بعد ذلك .

س : من كان نشاطك يقتصر على العمل في اتحاد أنصار السلام ؟

ج : لا . فقد كنت شيوعية وكنت مرتبطة بالحزب الشيوعي الإيطالي وكانت هناك مجموعة إيطالية أذكر منها ريناتو ميلي RENATO MIELY وزوجته ايزا ISA وأوجو ناكسون UGO NACSON ورينادو فرافره RENATO FARFARA .

وكننا نشط وسط الجالية الإيطالية لتعبئة جماهيرها ضد الفاشية وكانت هناك مجموعة إيطالية نشيطة معادية للفاشية تضم أحد قادة الحزب الاشتراكي الإيطالي وهو باولو باتينو PAWLO PATINO . والحقيقة أن المجموعة الشيوعية الإيطالية كانت نشيطة للغاية ووسعت مجالات عملها إلى حد كبير .

س : وماذا عن علاقاتكم بالحزب الشيوعي الإيطالي ؟

ج : كانت علاقتنا بفرع الحزب الشيوعي الإيطالي في فرنسا وكانوا يرسلون لنا نسخا من جريدة كانوا يصدرونها في باريس وأسمها LA VOCE DELGLI ITALIANE (صوت الإيطاليين) وكانت تصلنا بالبريد وكننا نقوم بدورنا بتوزيعها بالبريد على الأسرى والشخصيات الإيطالية المناهضة للفاشية . وكننا نصدر منشورات في المناسبات والأحداث الهامة ونوزعها بالبريد .

وكانت المجموعة الشيوعية وخاصة ريناتو ميلي وناكسون وباتينو غاية في النشاط في مجال العمل المناهض للفاشية ، وكان هؤلاء الثلاثة مدرسين بالمدرسة الإيطالية ، ومارسوا نشاطهم على نطاق واسع في المدرسة وخاصة في فترة الحرب الإيطالية ضد الحبشة وفي الحرب الإسبانية .

وقد كان ريناتو ميلي أستاذا في جامعة بادوا ولكنه اضطر للهجرة التي مضى في أعقاب الردة العنصرية لأنه كان يهوديا وبدأ يعمل كمدرس في اللينينية اليهودية .

ومن بين العناصر التي نشطت نشاطا واسعا ضد الفاشية محام إيطالي اسمه مارسيل ميسيكوا MESSICWA .

س : هل ثمة معلومات مؤكدة أن الرفيق سبانو أحد قادة الحزب

الشيوعي الإيطالي - في ذلك الحين - زار مصر في نهاية الثلاثينيات وأقام
بها لفترة - فما هي معلوماتك عن هذه الزيارة ؟ وأسبابها ؟

ج : فيما أعلم أنه وصل إلى مصر في فترة الحرب ضد الحبشة وأنه
أقام في بورسعيد بهدف تنظيم نشاط وسط الجنود الإيطاليين المتجهين إلى
الحبشة ، وكان بالفعل ينظم علاقات معهم ويوزع عليهم بيانات معادية
للحرب ضد الحبشة .

س : هل شعرت من خلال تواجذك في اتحاد أنصار السلام بأن جويل
جاكو كان يسعى لإقامة تنظيم ماركسي في مصر ؟

ج : لم أشعر ، ولكن سمعت إنه كان يحاول ذلك .

س : وماذا عن المجموعات الشيوعية في الاقليات الأجنبية الأخرى ؟

ج : قلت لك كان هناك يونانيين وأذكر منهم بالأضافة إلى بيريدس
شخص آخر اسمه حاجي بابانديرو وهو كاتب روائي مشهور واسمه الذي
أشتهر به في ميدان الأدب هو تسيركوس Tsirkos . وكانت المجموعة
اليونانية نشيطة للغاية أكثر نشاطا منا لأن الجالية اليونانية كانت أكثر عددا
والتأثير الفاشي فيها أقل .

س : هل كنتم تصدرون نشرات أو مجلات ؟

ج : كنا تصدر مجلة باللغة الإيطالية المناهضة للفاشية وكنا نوزعها على
أسرى الحرب من الإيطاليين وقد لعبت هذه المجلة دورا هاما واسمها
FAUSTA TERNI

وكان يرأس تحريرها لارا ليفي LARA LEVI زوجة راؤول مكاريوس .

س : هل أقامت هذه المجموعة المناهضة للفاشية في مصر علاقات مع
الأنجليز ؟

ج : طبعاً ، واتفقنا معهم على طبع مجلة باللغة الإيطالية أسمتها
الجبهة المتحدة ، FRONTE UNITO لتوزيعها على أسرى الحرب الإيطاليين
في كل أنحاء العالم وكانت فعلا توزع في معسكرات الأسرى بالهند وجنوب
أفريقيا وغيرها . وكان اتجاه المجلة بتقديمها بشكل عام فكانت تؤيد وتمتدح
موقف الاتحاد السوفييتي ، وتشيد ببطولة السوفييت في معارك ستالينجراد
... الخ .

س : ماذا كان موقفكم تجاه قضايا الشعب المصري ؟

ج : كان خطانا الأساسي أننا حصرنا أنفسنا في الاهتمام بالأوضاع
الإيطالية ، كنا نناضل من أجل إيطاليا ، ونقتنع أخبارها ، وكنا نوزع نشراتنا

على الايطاليين ، ونعمل بينهم ، وانا مثلا لم اهتم بدراسة اللغة العربية ، ولم اهتم بدراستها الا بعد ان وعيت سياسيا فحاولت ان اتلقى دروسا في اللغة العربية على يد ضيحي : . . . ولكن لم استمر طويلا . . . هذا بينما كان رباتو مييلي يتكلم العربية لكن طموحنا ونضاليتنا كانت تتركز في العمل من اجل ايطاليا وكان النموذج الامثل هو ان يعود الانسان الى ايطاليا ليقتارم الفاشية ، واذكر مثلا كارليتو مندل . وكان مناضلا

CORLETTO MENDEL

ممتازا غادر مصر الى ايطاليا عام ١٩٢٩ ليناضل الى جانب الشعب الايطالي . . . واستمر يناضل حتى قتل بايدي الفاشست عام ١٩٤٢ .

س : هل لديك اية معلومات عن نشاط المجموعات الشيوعية الأجنبية الاخرى في مصر ؟

ج : لم اكن على علاقة الا بالايطاليين واليونانيين

انتهى النقاش

مختصر نقاش مع مارسيل ميسيكو

اجريت المناقشة في باريس في ٤-٥-١٩٧٣

الاسم : مارسيل ميسيكو

تاريخ الميلاد : ١٩٠٧

محل الميلاد : الاسكندرية

المهنة : رجل اعمال ، محام

س : اود ان تعطينى فكرة عن حركة اليسار الاجنبى في الثلاثينيات ،
مكوناته منطلقاته ، اتجاهاته

ج : بالنسبة لى انا بدأت النشاط في عام ١٩٣٦ ، وكنا مجموعة من المثقفين
اليهود واليونانيين اذكر منهم شارل عيسوى * واميل نجار *
وقد تركنا شارل واتجه يمينا ، وكنا مجموعة اجنبية مغزولة تماما عن
الشعب المصرى

واذكر اننى في عام ١٩٣٦ تلقيت بالبريد طردا من الكتب الماركسية
باللغة الفرنسية وكان مرسلا لى من باريس ، واستولى عليه البوليس
ولمستدعانى جينس باشا مدير البوليس وحقق معى طويلا ، ثم اعاد لى الكتب
بعد ان نبه على الا اطلع عليها احدا غيرى

وقد ظلت لسنوات ادرس الماركسية ، واتناقش عندها مع بعض اصدقائى
الاجانب لكننى لم اتصل مطلقا باى مصرى

س : هل يمكنك ان تتذكر بعض الاسماء التى كنت تتصل بها في هذه
الفترة

ج : جاك توبى وكان زوج مدام توبى ثم انفصلت عنه ، ريمون اجيون ،
وكان هناك سيرينى وهو اشتراكى ايطالى وهو رجل ممتاز وكان اخوه احد
قادة الحزب الشيوعى الايطالى

وكانت هناك ايضا لارا ليفى زوجة راؤول مكاريوس واذكر انها كانت
تصدر مجلة ايطالية ، وعندما مر تولياتى بالقاهرة قادما من موسكو بعد الحرب
العانية توجه اليها في منزلها وانتقد المجلة نقدا شديدا

* شارل عيسوى مؤلف كتاب واسع الشهرة عن الاقتصاد المصرى
وقد المح ميسيكوه الى انه قد اسهم في اعداد مواد هذا الكتاب
* اميل نجار سفير اسرائيل في روما (وقت النقاش)

وكان هناك من اليونانيين الشاعر بيريشن والرسام أنزولو واندرته
فاتيديس وهو الآن في أثينا .
س : ألم تكن لكم أية علاقات بالمصريين ؟

ج : بشكل عام لم تكن لنا علاقة بهم ولا حتى اهتمام بالاتصال بهم ، وإن
كنت أذكر بعض علاقات عابرة مع توفيق الحكيم وزعيم جرائده
س : الآن أريد أن أفهم طبيعة هذه المجموعة التي تتحدث عنها ؟

ج : كنا مجرد مجموعة من اليهود الديمقراطيين نتخذ موقفاً ضد النازي ،
وأنك لم تكن لنا أية مبررات للتصادم مع الانجليز أو للاهتمام بمشاكل
مصر . ومن هنا فقد تباعدنا عن الآخرين الذين قرروا الاهتمام بمصر
وبمشاكلها .

س : أفهم من هذا أنه لم تكن لك أية علاقات بالشيوعيين أو المنظمات
الشيوعية !

ج : كان هناك شخص إيطالي اسمه هنريكو تيزني وكان على علاقة
تديبنة بالحزب الشيوعي المصري منذ عام ١٩٢١ ، وبغدها استمر يعمل
كشيوعي وسط الإيطاليين ، وكان يعطيني نشرات مكتوبة باللغة الانجليزية
تتمدح الاتحاد الشيوعي .

س : متى غادرت مصر ؟
ج : في مايو ١٩٤٨ .

انتهى النقاش

مخبر نقاش مع راؤول كوربيل *

تمت المناقشة في باريس في منتصف نوفمبر ١٩٦٨

س : ابغيتي جاكو دي كومب انك عملت معه في جمعية السلام فهل
هكذا صحيح ؟

ج : نعم وكان معنا ايضا راؤول مكاريوس وزوجته (وهو الذي اسس
فيما بعد مجموعة تحرير الشعب) وكان معنا ايضا سيدة ايطالية اسمها
فارسيتا تيرتى صدرت في مصر جريدة ايطالية سارية اسمها (الجبهة
المتحدة)

وكذلك ريمون آجيون (انضم بعد ذلك للاتحاد الديمقراطي واسهم فيما
بعد في تأسيس مجموعة الحزب المصري) ومارسيل اسرائيل وآخرين

س : قال جاكو دي كومب انك كنت تروتسكيا ؟

ج : هذا غير صحيح علي الإطلاق والحقيقة اننا اختلفنا معه لانه كان يخاف
من أية تحريك ويخشى أي ارتياح بالصريين ويعمل في حذر شديد جدا يصل الي
حد الشلل التام وكان يخشى من أي مظهر ماركسي

والحقيقة انه حتى جورج حنين لم يكن من الممكن اعتباره في ذلك الحين
تروتسكيا .. وان كان قد اصبح فيما بعد احد زعماء التروتسكيين ..

س : ما هي اساليبكم في العمل بعد الانفصال عن جاكو دي كومب ؟

ج : بدانا في تكوين مجموعات صغيرة تدرس الماركسية

انتهى النقاش

* شقيق هنري كوربيل :

نحضر نقاش مع انور كامل *

تمت المناقشة بالقاهرة في ١٤/١/١٩٦٩

س : هل تستطيع أن أسالك عن بدء علاقاتك بالاتجاه اليساري ؟

ج : في البداية اتصلت بجماعة Essayistes المحاولين ، ولكي صلتى بهذه الجماعة كانت ضعيفة جدا ولم تتمتع زيارتين أو ثلاثة لكنني لم أشعر بالقدرة على الاندماج معهم ؟

وفي عام ١٩٣٦ اصدرت كتابا اسمه « الكتاب المنبؤ » ، وقد صدر عن دار نشر يملؤها احمد الصاوي محمد وهي دار « مجلتي » .

وعن طريق هذا الكتاب تعرف بي كامل التلمساني وتدعمت العلاقات بيننا بشكل وثيق ومستمر .

وفي عام ١٩٣٧ أو ١٩٣٨ لا اذكر بالضبط اقام التلمساني معرضا لرسومه وكان الطابع الغالب عليه هو الطابع السيريالي . وقد احدث معرضه ضجة وتجمع حوله عدد من المثقفين .

وعن طريق التلمساني تعرفت بجورج حنين وتوثقت علاقتي به وكان يرتب في ذلك الحين هو وعدد من المصريين للانفصال عن جماعة Essayistes .

وبعدما اتصلنا بالاتحاد الديمقراطي لكن لم نشعر بالارتياح معهم

ومكذا انفصل جورج حنين مكونا جماعة « الفن والحرية » ، وكنت عضوا بها .

س : ألم تتصلوا بجماعة بول جاكو دي كومب ؟

ج : هذا الاسم لا اذكره مطلقا ، ربما التقيت به ولكنني لا اذكره مطلقا .

س : كيف سار النشاط في جماعتكم الجديدة « الفن والحرية » ؟

ج : اصدرنا سلسلة من النشرات وكلها ذات طابع فني ، والحقيقة اننا

* انور كامل احد مؤسسي تجمعات اليسار المصري في الثلاثينات وتتميز محاولته بانها في جوهرها محاولة مصرية صرفة بعد صدام مع القوى الاخرى . وتحت تأثير علاقاته الشخصية بعناصر تروتسكية اصبح تروتسكيا وفي منتصف الاربعينات توقف عن النشاط ثم اصدر بعد ذلك كتبيا يهاجم فيه الشيوعية ويصفها بانها افيون الشعب .

كنا جميعا نتجه الى الفن . . . واذكر ان اول نشراتنا كانت عذيفة جدا وتتضمن بياننا بعنوان « يحيى الفن المنحط » وقد طبعناها بالعربية والفرنسية وقد وقع هذا البيان سلامة موسى ، جورج حنين ، زمسيس يونان ، فواد كامل ، كامل التلمساني ، وانا . . .

وعلى ظهر النشرة طبعنا صورة « جرنیکا » لبيكاسو .

وهذه النشرة رغم صغرما كانت بالغة الاهمية . . . والبيان كان اتجاها العام فمادى للفائضية ودفاع عن حرية الرأي وحرية الادب والفن . . . لكن لم تكن هناك اتجاهات اشتراكية بالمعنى المفهوم . . . لكن اهمية هذا النداء ان موقعه كانوا جميعا من المصريين . . .

وعقب نجاح النشرة الاولى تحممتنا لاصدار نشرة ثانية وكانت دراسة لانييرم جيد اعتقد ان عنوانها كان « دفاع عن الثقافة » . . .

وعقب ذلك تجمع حولنا عدد من الشبان واحسنت انه لا بد ان تكون لنا مجلة فحصلت على ترخيص مجلة « التطور » . . . وكنت رئيس التحرير وكان يكتب في المجلة رمسيس يونان ، كامل التلمساني ، احمد عبد العزيز هيكل ، وانا ، عصام الدين حدني ناصف ، توفيق حنا ، زكي سلامة ، عبد الغني سعيد ، د . نظمي لوقا (وقد كتب مقالا بعنوان « اني اتهم ») . . . وكانت هناك قصص يكتبها البير قصيري وكان يكتبها بالفرنسية ثم نترجمها الى العربية وبالرغم من ذلك بقي في اعتقادي اول قصص عبرت عن التجو الشعبي وعن الاتجاهات الجديدة . . . والمجموعة كلها كما نرى كانت مصرية وهذا هام جدا لكن كان هناك قليل جدا من الاجانب منهم البير قصيري وسام كنتروفيتش . . .
س : يتهم الكثيرون مجلة « التطور » بانها كانت مجلة تروتسكية ، لكنني قرأت فيها عدة مقالات تدافع عن الاتجاه السوفييتي . . . فهل لديك تفسير لذلك ؟ . . .

ج : الحقيقة اننا لم يكن لنا خط واضح في مجلة التطور ، وفي المقال الانتقاضي لاول عيد اصدارنا قلت ان هذه المجلة ستكون بوقت تنصير فيها الابدكار المختلفة ، لكن الخط العام للمجلة كان الدفاع عن الحرية وعن حقوق الشعب الديمقراطية . . . مع اتجاهات يناموية دون خط محدد . . .

واذكر اننا هاجمنا في احد الاعداد الزينات التي اقيمت في احدى المناسبات الخاصة بالملك ، عيد ميلاده او عيد جلوسه لا اذكر . . . وفي برواز في صدر الصفحة كتبنا نقول « هذه الزينات في الوقت الذي يجوع فيه الشعب » . . .

وتحول مجلة التطور تجمع عدد كبير من الشبان المصريين المتحمسين للاصلاح ، وبدأت اشعر اننا بحاجة الى حركة اكثر ارتباطا بمشاكل . . .

الجماميز . . . وهكذا تزعمت مجموعة من أعضاء « الفن والحرية » ان تكون ناديا جديدا اسميناه « الخبز والحرية » .

س : هل كان معكم مارسيل اسرائيل في هذه الحركة الجديدة ؟

ج : لم يكن معنا اجانب مطلقا . والحقيقة انه قد حدثت محاولات عديدة من جانب العناصر الاجنبية للاتصال بنا منذ ان كنا في « الفن والحرية » وكانت هناك محاولات للاندماج معنا ، لكنني لم اكن ارتاح اليهم ولم اكن اتصور ان اجنبيا مهما كان اخلاصه يمكنه ان يصبح زعيما لحركة شعبية مصرية ، وكنت ارى انه يتعين على حركتنا ان تكون مصرية شعبية واذ كان هناك اجنبيا مخلصا للقضية فعليه ان يقدم مساعداته وخدماته من الخارج .

ويذكرني ذلك بمقال نشره عبد المعنى سعيد في مجلة الثقافة العمالية منذ عدة اشهر قال فيه اننى عندما كنت رئيسا لتحريره التطور خضعت لاموال هنري كوريفيل وانه نصحنى في ذلك الحين بالابتعاد عن كوريفيل . وهذا الكلام غير صحيح على الاطلاق .

س : لدى تقرير كتبه مارسيل اسرائيل عن تاريخ الحركة قال فيه صراحة انه هو الذى اسس « الخبز والحرية » فما رأيك في هذا ؟

ج : لا جدال في ان مارسيل اتصل بنا ، وحاول ان يؤثر فينا ، لكنني وزملائي جميعا صممنا على ان تكون « الخبز والحرية » حركة مصرية . . . / ١٠٠ . ولم يكن مارسيل اسرائيل وحده هو الذى حاول ذلك فقد حاول كوريفيل وشوارتز وآخرين الاتصال بنا لكنني رفضت ذلك رفضا قاطعا حتى انهم بدأوا يظنونني بالشوفينية .

وفعلا مارسيل اتصل بنا لبعثة اشهر وحاول ان يؤثر فينا . لكنني لم يتزعمننا مطلقا وبعد عدة اشهر اوقف اتصالاته بنا . . . / ١٠٠ . واود ان تقصو حقيقتة اوضاعنا في ذلك الحين كانت هناك تيارات عديدة وغير واضحة . . . الاتحاد الديمقراطي . . . حركة معارضة العداء للشامية وحركات واندية وجفاعات اخرى عديدة اجنبية وغير واضحة الاتجاه ولم تكن تفهم ماذا يريدون بالضبط . . . وكان طبيعيا ان نشكك نحن بمصرية الحركة . . . / ١٠٠ ورفض اى اجنبى .

س : هل كانت « الخبز والحرية » تنظيما ماركسيا ؟

ج : في البداية كانت مجلة التطور مجرد مجلة تستهدف التقدم والدفاع عن الحرية والديمقراطية ولم تكن قد اظلمنا على المراجع الماركسية ولم تكن

متاحة في مصر في ذلك الحين ، لكنها بعد ذلك وصلت الى ايدينا عن طريق جورج خنين ومارسيل اسراييل ثم عن طريق كوربييل .

س : ماذا كان مصير مجلة التطور ؟

ج : لم يصدر من المجلة سوى سبعة اعداد ثم توقفت .

س : لماذا توقفت ؟

ج : كان جورج خنين هو الضامن المالي للمجلة وعندما انفصلت عن جماعة « الفن الحرة » سحب الضمان فمسح ترخيص المجلة وتوقفت عن الصدور .

س : ماذا حدث بعد تكوين « الخبز والحرة » ؟

ج : استأجرنا مكتب « للخبز والحرة » ، كنا نعد فيه اجتماعاتنا فعدنا جمعية علنية لكن البوليس حاصر المكان ومنع اي انسان من دخوله فاضطرت الى تحويل مسكني الى مقر للجمعية . واخذنا نلتقي بالعديد من الشبان وطلبة الجامعات لنمارس نشاطا يساريا .

س : ما هو تقييمك « للفن والحرة » ؟

ج : هناك حقيقة هامة تستلقت النظر هي ان الاتجاه اليساري المصري نشأ في البداية في وسط الفنانين والكتاب وقد نشأ مرتبطا بالتيار اليساري الى التشكيلي ، وكان هناك لقاء غريب بين اليسارية وبين السيريلية في الرسم والشعر ، وفي اعتقادي ان الحركتين كانتا في الجوهر تمرد على الاوضاع السائدة .

وفي عام ١٩٤٠ أقمنا معرض تشكيلي أسميناه « المعرض الاول للفن الحر » وكان شعاره Et Apres « وماذا بعد » وقد نظمنا دعاية ضخمة لهذا المعرض وسط المثقفين ووزعنا عدة آلاف من الدعوات .

وقد استمر المعرض أسبوعين وزاره عدد كبير جدا من الناس وأذكر ان كلمة Et Apres كانت تتردد وسط مثقفي القاهرة كثيرا جدا في هذه الايام كنتيجة لتأثرهم بهذا المعرض .

س : بعد تكوينكم الخبز والحرة هل استمرت علاقاتكم بالفن والحرة؟

ج : انفصلنا .. ولكننا ظللنا أصدقاء ..

س : من كان معك في الخبز والحرة ؟

ج : فتحى الرملى . . . احمد عبد العزيز هيكل واسعد حليم وآخريين . .
لكن اسعد حليم لم يستمر طويلا معنا والحقيقة ان عدنا كان قليلا لكننا
أحدثنا ضجة كبيرة وامكننا ان نهز الفكر المصرى عزة عنيقة ، ولو جمعنا
عدد أعضائنا ، كل المنظمات التى نشأت فى ذلك الحين لوجدنا ، أنه قليل جدا
بالنسبة للاثر الفكرى الذى أحدثوه ، فقد كان هناك فراغ فكرى عجزت
البرجوازية عجزا تاما عن ملئه ، وفى هذه الفترة قمنا نحن فكرنا الجديد .
وقد ساعدنا على ذلك ارتباط التيار اليسارى بالوجة التبشيرية فى الصين
واسلوب التعبير .

س : لى سؤال اريد اجابة صريحة عليه : ما هى علاقتكم بالتروسكية ؟

ج : كان هناك أكثر من اتجاه وسط اليسار ، كانت الغالبية ستالينية
وعدد قليل تروتسكى وأذكر مثلا انهم كانوا يقولون ان جورج حنين تروتسكى
واعتقد ان هذا صحيح ، لكن فكرا كهذا لم يكن من الممكن ان يظهر ويتطور
الا من خلال تنظيم سياسى وجورج حنين لم يكون تنظيم سياسى
وأريد ان أشير الى ان ارتباط هذه الوجة اليسارية بالفن والفنانين قد
أعاق تحولها الى تنظيم ، بالفنانين عادة يحبون الدراسة لكنهم لا يقبلون
بسهولة الخضوع لقيود التنظيم .

س : أليست لديك أية معلومات عن التنظيمات التروتسكية أكثر من
ذلك ؟

ج : الحقيقة اننا كنا فى بداية الطريق للدراسة النظرية كنا يماريين
لكن لم نتح لنا فرصة دراسة أفكار ستالين وأفكار تروتسكى والمفاضلة
بينهما . . . لكننى متأكد ان جورج حنين وقد كان أكثر اطلاعا كان له موقف
محدد هو ولطف الله سليمان واعتقد انهما كانا تروتسكيين .

س : ما هى علاقتك بعادل كامل وبشخصيات قصته ، سليم الأكبر ، ؟

ج : لقد نشأت هذه العلاقة بالصدفة . . . فقد قبض على كمنهم أول
فى قضية جماعة ، الخبز والحرية ، وظللت محبوسا تحت تحقيق لمدة عشر
أشهر ولم أوكل محاميا للدفاع ، عنى فأختارت المحكمة أحد المحامين وكان
عادل كامل . . . وقرأ المجامى أوراق القضية والضبوطات وتأثر بها وأذكر
أنه أعد دفعا ممتازا بعدم الاختصاص وقد قبلت المحكمة هذا الدفع . . .

ومنذ عدة أشهر شاهدت عادل كامل فى برنامج تليفزيونى يقول ان
قضيته قد غيرت مجرى حياته لكننى لا أخفى عليك اننى لم أقرأ قصة د سليم
الأكبر . . .

س : مرة أخرى أريد أن أرجع إلى سؤال أريد عنك اجابة مجيدة
هل كان مارسيل اسرائيل عضوا في « الخبز والحرية » أم لا ؟

ج : اقطع انه لم يكن عضوا ، لكنه حاول لفترة من الوقت ان يسايرنا
وفشل

س : هل كانت الخلافات بينك وبين المجموعات الاخرى محصورة في
موضوع «مصريين واجانب» ؟

ج : لم يكن هذا هو الخلاف الوحيد ، بل كان هناك خلاف جذري آخر
هو انهم كانوا يسمعون الى تأسيس منظمات سرية ذات صبغة شيوعية اما انا
فكنت ارى ضرورة تأسيس حركة علنية والاستفادة من الامكانيات القانونية
وكتب اجهيد نفسي بجد من تكييف قانوني ، فالاشتراكية مثلا لا يعاقب
عليها القانون ولهذا قلت اننا اشراكيون ولينا شيوعيين

وَمَدَّ قَبِيضَ عَلَيَّ مَرَّةً مَرَّةً وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كُنْتُ اعترف انني اسعى الى
تغيير نظام الحكم واقامة الاشتراكية لكنني كنت اؤكد انني اسعى للتغيير
بالطرق المشروعة

وكننت اتقول ان هناك مادة في الدستور تمنح نزع الملكية للمصلحة
العامة اذا ما اراد البرلمان ان المصلحة العامة تقتضى تأميم وسائل الانتاج
فان ذلك من حقه وفقا للدستور
وكان مسئلي هذا سببا في تناقض شديد مع الاخرين

س : هل هذا هو سبب ضعف التنظيم الذي سميت لانشائه ثم انهياره ؟

ج : لا ، لكن السبب هو انني اعتقلت مرات كثيرة جدا في الفترة من
١٩٤٥ حتى ١٩٤٦ ، كنت افضى شهرين أو ثلاثة اشهر بالخارج ثم اعتقل
شهورا عديدة وخلال وجودي في السجن كان الاجانب ينتهزون هذه الفرصة
لاجتذاب العناصر التي اجمعها حولي فاعود لاجل جندي في اختيار عناصر
جديدة ، وبعد قليل اعتقل من جديد

س : هل لك ملاحظات على دور الاجانب في الحركة الشيوعية ؟

ج : الشيء الذي أريد أن أؤكدته هو أنه كانت هناك عناصر مصرية متفجرة ومطلعة الى التغيير والبيئة المصرية كان تخلق هذا في نفوسنا بصورة موضوعية وليس صحيحا أن الاجانب هم الذين أحدثوا هذا التفجر أو هذا الاتجاه نحو اليسار ، فأنا والتلمساني وكثيرين من المصريين اتجهنا يسارا دون أن تكون لنا علاقة بالاجانب .

وإنا لا نستطيع أن أنهم هؤلاء الاجانب ، لكنى فقط أرفض تصميمهم على قيادة حركة مصرية والغريب أنهم لم يكتفوا بالمشاركة في الحركة وإنما كانوا يسهمون على قيادتها .

وأود أن أذكر هنا حقيقة هي أن مارسيل لم يكن كالأخرين فلم يكن يريد أن يتزعّم الحركة .

س : مرة أخرى أريد الرجوع الى موضوع التروتسكية هل تذكر شيئا بخصوصها ؟

ج : لقد حدثت تطورات بعد الفترة التي تحدثنا عنها . . . فنجور حين ورمسيس يوتان تسلموا ، المجلة الجديدة ، من سلامة موسى واستمر في إصدارها عاما ونصف بصورة عادية وبعد ذلك تحولت فجأة الى مجلة تروتسكية سافرة وبدأت في مهاجمة الستالينية وفي تقديم أفكار تروتسكي .

س : وسلامة موسى هل كان يخطط مجموعة ؟

ج : لا . . . إنما جمع حوله مجموعة من المرئدين والمؤمنين بإنكاره وإن كان لم يسمع الى تكوين تنظيم .

انتهى النقاش

تقرير مارسيل اسرائيل (تشيريزى) *

(١) بدايات الحركة العمالية في مصر

وبينما كانت الحركة العمالية لا تزال تتخطو خطواتها الاولى ، كان هناك عاملان مساعدان ، الاول هو بعض العناصر ذات الاتجاهات الماركسية بين العمال الاجانب في مصر (وبالاخص الارمن واليونانيين) ومن المعروف ان اللجان النقابية الاولى في مصر كانت تضم بعضا من العمال الاجانب المتأثرين بالماركسية .

وكان هناك أيضا الكثير من المهاجرين الروس الفارين من الاضطهاد القيصري (ومعظمهم من اليهود) وكان بعضهم من البلاشفة (وكان لينين خلال اقامته في فرنسا وسويسرا يجد أنه من الأفضل للتهرب من تعسف الرقابة القيصرية أن يستخدم بعض أصدقائه في مصر كوسطاء في مراسلاته مع روسيا) .

أما العامل الثاني في مساعدة الحركة العمالية المصرية فهو المساندة التي حصلت عليها الحركة الوليدة من الحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل والذي كان محمد فريد خليفته في قيادة الحزب ببرنامجي تقدمي بالفعل وكان للحزب الوطني يساعده الحركة العمالية في الداخل ليزداد قوة في صراعه ضد الامبريالية وبملائها الانتطاعيين أما في الخارج فقد كان يسعى للحصول على مساندة الحركة الاشتراكية العالمية (أو على الأصح لقد قبل بارثناخ المساندة التي كان من الطبيعي أن تقدمها له هذه الحركة) . وقد ضم مؤتمر الحزب الوطني الذي عقد في بروكسل ١٩١٢ (١) مدعويين من

* من أصل ايطالي - لعب دورا عاما في النشاط اليساري في نهاية الثلاثينيات وفي الاربعينيات . والوثيقة المعروضة عبارة عن ترجمة لصفحات من تقرير مكتوب على الآلة الكاتبة باللغة الفرنسية وهو عبارة عن محاولة لتاريخ لحركة اليسار المصري مرفوعة الى قيادة الحزب الشيوعي الايطالي كتبها مارسيل اسرائيل بعد ابعاده عن مصر مقدما نفسه الى الحزب الشيوعي الايطالي . وقد أوردنا النص كاملا باستثناء بعض صفحات لا تتعلق بموضوع الدراسة أو نقاش فترة لاحقة .

١ - الحقيقة أن هذا المؤتمر افتتح في ٢٢ سبتمبر ١٩١٠ - المؤلف -

أغلبية الأحزاب الاشتراكية الأوروبية وكان لاختيار الزعيم العمالي الإنجليزي
الكبير كير هاردى في الرئاسة الشرفية للمؤتمر مغزى خاص بالنسبة لحرب
يناضل ضد انجلترا .

وعشية الحرب ولدت حركة ماركسية بين بعض المثقفين المتأثرين بثورة
أكتوبر وبالحرركات الاشتراكية خصوصا في ألمانيا وانجلترا (حيث كان
الكثير من الطلاب المصريين يستكملون دراساتهم)

وهؤلاء المثقفون - الذين كانت أفكارهم عن الماركسية مشوهة بتأثير
الاشتراكية الديمقراطية الألمانية والاصلاحية الإنجليزية - اشتركوا مع بعض
الماركسيين الاجانب القيمين في مصر (وبالاخص يهود من أصل روسى) في
العمل من أجل تأسيس الحزب الاشتراكى المصرى

ولا يجب أن نغفل من تأثير ثورة أكتوبر على الحركة الوطنية المصرية
التي كان جناحا كاملا منها (يتكون في الأساس من العمال ومن مثقفي الطبقة
الوسطى) يتخذها منارا له .

وخلال الثورة الوطنية تأسست بعض السوفيئات في بعض القرى ولكنها
دمرت بواسطة القوات البريطانية ويكنى القول هنا بأن الجنرال البريطانى
ويلسون الذى كان في ذلك الوقت على رأس قوات التدخل في القوقاز قد كتب
في اخذ تقاريره الى الحكومة الإنجليزية ناصحا بالانسحاب الفورى من
الأراضى السوفييتية بهدف التركيز على الدفاع عن بعض أجزاء الامبراطورية
(وهى الهند ومصر) من تهديد التأثير البلشفى .

وسرعان ما نشأ داخل الحزب الاشتراكى اتجاهان أحدهما (بزعمامة
محمود حسنى العرابى) اتخذا مسارا ثوريا ، بينما كان الاتجاه الثانى
اصلاحيا .

(٢) نشأة الحزب الشيوعى المصرى وتطوره

(١٩٢٢ - ١٩٣١)

في عام ١٩٢٢ قرر الجناح اليسارى من الحزب الاشتراكى المصرى الاشتراك
في المؤتمر الرابع للدولية الشيوعية . وأوفد محمود حسنى العرابى الى موسكو
وشارك العرابى ايجابيا في أعمال المؤتمر وقدم تقريرا عن أهداف ونشاط
الحزب الاشتراكى المصرى ، وجاء في تقرير المؤتمر أنه قد تكونت لجنة لمناقشة
ذلك التقرير انتتبت الى أن الجناح اليسارى للحزب الاشتراكى المصرى تتوفر
فيه جميع الشروط اللازمة للانضمام الى الدولية الشيوعية - تحت تحفظ بان

يُفصل عن الجناح الاصلاحى وينظم نفسه كحزب شيوعى . وينبغي ان يفقد
وجهت الى العربى نصيحة بان يبادر فور عودته الى مصر بفقد مؤتمر يدعى
فيه جميع التجمعات والشخصيات ذات الافكار الثورية الموجودة خارج
الحزب بهدف تأسيس الحزب الشيوعى وتحديد برنامجه .

ولكن لم يقدر لهذا المؤتمر ان ينعقد (١) وانفصل الجناح الموالى
للعربى عن الاصلاحيين ووضع برنامجا للحزب واعتبر فرعا مصرية للدولية
الشيوعية . واخذ الحزب على عاتقه مهمة تنظيم النقابات ، وسرعان ما نجح
في توحيدها في اتحاد عام (كان سكرتيره صفوان منصور) في اللجنة المركزية
للحزب في نفس الوقت (٢) وكانت الاسكندرية هي الموقع القوي للحزب
حيث كانت وتذاك المركز الرئيسى للصناعة في مصر .

وكان محمود العربى قد ترجم الى العربية احد اعمال مكدونالد (٣) (٤)
ثم وضع كتيباً حول النقابات ودورها .

ولم يكن الحزب غير شرعى بل ان برنامجا قد نشر في الصحافة
المصرية في اوائل ١٩٢٤ (بما في ذلك الجريدة شبه الرسمية وهى الاهرام) .

وكان الحزب ضعيفا جدا في الكوادر الماركسية واعمل عمليا تكوين
كوادر جديدة .

وقد قام شخص يدعى رفعت بترجمة كتاب لينين ، الدولة والثورة ،
ولكنه يدعى شرح وتفسير كل جملة من جمل لينين . قد حول احدى روائع
النظرية الماركسية الى رطانة غير مفهومة .

ولم يهتم الحزب - على عكس المفروض - بالمسألة الفلاحية ، وهى مسألة
كان يجب ان تكون في بلد زراعى كمصر المحور الاساسى لنشاطه مما عزله
عن الجماهير العريضة في مصر .

وبطبيعة الحال فان الحزب كان يفاضل ضد الاستعمار ولكنه لم يعتبر
ذلك واجبه الاساسى الامر الذى ادى بالضرورة الى عزله عن الحركة الوطنية
وتركها في ايدي البرجوازية (الممثلة اساسا في حزب الوفد) .

- ١ - عقد هذا المؤتمر وهو المؤتمر الثانى للحزب في ٦ يناير ١٩٢٣ - المؤلف
- ٢ - الحقيقة ان الحزب قد نجح في تأسيس الاتحادي العام للنقابات
منذ ان تأسس كحزب اشتراكى في اغسطس ١٩٢١ - المؤلف
- ٣ - كتاب الاشتراكية - المؤلف

وكانت مصر (بعد تصريح فبراير ١٩٢٢) مستعمرة من الدرجة الثانية
(كان ستالين قد صنف مصر في خطابه الشهير أمام جامعة كادحي الشرق
على أنها مستعمرة من الدرجة الثانية) .

وأمام النمو المتزايد للحزب الشيوعي وتأثيره المتعاظم على الطبقة العاملة
قررت الامبريالية والبرجوازية العميلة توجيه ضربة قاسية له ، وسهل لهم
هذه المهمة (كما يحدث دائما) تطرف الحزب الشيوعي الفاشي .

وفي عام ١٩٢٤ وخلال معركة دائرة في الاسكندرية من أجل مطالب
عمالبة أطلق الحزب نداء بالاضراب العام المصحوب باحتلال المصانع وتضمين
الغداء احياءات مليئة بالمعصيان والثورة . ونفذ عمال الاسكندرية توجيهات
الحزب والاتحاد العام بحماس ، واحتلوا مصنع الشركة الاهلية للفزل
بالاسكندرية وهو مصنع يضم عدة آلاف من العمال ورأسماله اجنبي (أساسا
انجليزى) .

وتدخل الاستعمار البريطاني مستندا الى أحد التحفظات الاربعة
الوازية في تصريح فبراير ١٩٢٢ وهو التحفظ الخاص بالمحافظة على المصالح
الاجنبية وأرسل مذكرة الى الحكومة المصرية التي كان يرأسها في ذلك الوقت
سعد زغلول مطالبا بوضع حد لتهياج العمال مهددا بالتدخل المباشر للقوات
البريطانية .

وخضع سعد زغلول للضغط البريطاني وبعد أن اجلى العمال عن
المصانع مستخدما الوعد الكاذبة ، انقلب على الحزب الشيوعي وأعلن أنه
أصبح غير مشروع واعتقل قاداته (العرابي ، صفوان ، أنطون مارون وعدد
كثير من الشيوعيين) .

وأعلن بالاضافة الى ذلك حل اتحاد النقابات . وحكمت المحكمة على
عدد من المتهمين بالسجن ثلاث سنوات مع الشغل وعلى البعض الآخر بعقوبات
أقل .

وعقب اضراب عن الطعام قام به المسجونون احتجاجا على نظام
الحبس الانفرادي الذي فرض عليهم في سجن الحدره بالاسكندرية فقد أنطون
مارون ألم وأخلص قادة الحزب حياته . وكان بذلك أول شهداء الحركة
الشيوعية المصرية .

وكانت الاحكام التي صدرت ضد قيادات الحزب للشيوعي البصري .

موضوع بيان أصدرته الدولية الثالثة تدعو فيه جميع الأحزاب الشيوعية في العالم الى الاحتجاج على الارهاب ، والى التضامن مع المحكوم عليهم .

وكانت تلك الضربة ذات نتائج غاية في الخطورة بالنسبة للحزب ، فلم يكن الحزب يضم كوادر ثورية حقيقية (والذين سجنوا كانوا برغم قلة خبرتهم هم الوحيدين الذين يمتلكون بعض الخبرة) .

ولم يكن الحزب مستعدا للعمل السرى ، وكان معزولا عن الحركة العامة للجماهير ، ولم تكن له أية صلة بالفلاحين ، وصلته بالطبقة العاملة لم يكن قد توفر لها الوقت الكافى لتقوى . هذا بالإضافة الى أن تجربة الاسكندرية المتطرفة بما صاحبها من فشل ونتائج سيئة قد أصابت نفوذ الحزب وسط جماهير العمال أنفسهم ، وقد انتهز الوفد الفرصة فشكّل على الفور منظمة عمالية تحت قيادته .

أما سكرتير الحزب محمود حسنى العربى (وكان قد حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات) فقد سعى في فترة تالية الى التواء مسؤولية الاضراب والعصيان الذى وقع بالاسكندرية على الدولية الشيوعية وادعى أنه قد صدرت اليه تعليمات بأن يتولى قيادة تنظيم الاضراب شخص موقد من قبل اللجنة المركزية للكومنترن ، وسواء كان قد تلقى مثل هذه التعليمات أم لا (يجب أن نتذكر أنه كان يوجد - في ذلك الوقت - عدد كبير من عملاء تروتسكى في صفوف الدولية الشيوعية التى كانت في تلك الفترة تحت قيادة الخسائن زينوفايف) فان مسؤولية محمرد العربى في ذلك ليست ضئيلة ، وعلى أية حال فإنه قد انتهى بأن أصبح عشية الحرب العالمية الثانية وخلالها رئيس الطابور الخامس النازى في مصر .

لكن الحزب الشيوعى المصرى لم يتحطم تماما في ١٩٢٤ بل استمرت الكثير من خلاياه في مختلف المدن المصرية . وأعاد الحزب تنظيم نفسه ، وكون لجنة مركزية جديدة ، ومن وقت لآخر كان بعض العمال يرسلون الى مدرسة الكوادر في موسكو . وقد أصدر الحزب ووزع عددا من الكتيبات . وكان الحزب على صلة بالحزب الشيوعى الفلسطينى ، وظل باستمرار فرعا ممتزعا به من قبل الدولية الشيوعية . كذلك انضمت الى الحزب التجمعات الشيوعية لليونانيين والارمن ، وانضم اليه عدد من المثقفين المصريين .

وفي بعض الاحيان كان يقبض على أعضاء من الحزب وينحكم عليهم بالسجن وكان نشاط الحزب سرىا تماما ولا يبدو أنه استطاع بأى شكل من

الأشكال استغلال أية امكانيات للنضال المشروع (١) .

وباختصار واصل الحزب حياته في وجه صعوبات بالغة .

وعندما خرج محمود حسنى العرابى من السجن اقترح ان ينسحب الحزب من الدولية وطالب باتخاذ مواقف ذات مضمون انتهازى .

وبعد ذلك عين عامل يدعى عبد العزيز كان قد تلقى دراسته في هوسكو في منصب سكرتير الحزب . وكان ترشيحه بناء على توصية من منساضل يونانى قديم يدعى ياناكاكس .

وتحت قيادة عبد العزيز أصيب الحزب بضربات عنيفة ، فاكثرت كوادره وقيادته اخلاصا كانوا يقبضون عليهم أو يختفون بطريقة غامضة ، بل يبدو أن أحد مبعوثى الدولية الشيوعية قد اختفى . هو أيضا لدى مروره بمصر والبعض الآخر (* * * * *) قبض عليه وسجن أو طرد من البلاد .

ولم يكتشف أمر عبد العزيز كعميل للدوليس السياسى المصرى الا حوالى ١٩٢١ . أما ياناكاكس فبالرغم من عدم توجيه أى اتهام اليه الا أنه طرد من الدولية الشيوعية لترشيحه لعبد العزيز . وظل حتى وفاته يساعد الحركة الشيوعية في مصر بعد أن أعيد تنظيمها ، ولكنه رفض الانضمام اليها تمشيا مع قرار الدولية الشيوعية الصادر ضده .

أما عبد العزيز فقد أحس بخيانتة فيما بعد ومات ميتة بائسة وهو نصف مجنون .

وقد نجحت الخيانة من الداخل في أن تحيق بالحزب ما فشلت فيه الاضطهادات والملاحقات من الخارج . فلم يعد للحزب وجود فعلى بعد ذلك ولم يعد معتقرا به كمرع للدولية الشيوعية . وبذلك كسبت الامبريالية البريطانية والرجعية المصرية الموقعة الاولى في المعركة .

وبالرغم من جو الصمت المطبق الذى أحيط بالحزب من قبيل جميع المؤرخين فان هذا الحزب قد ترك لدى بعض منات العمال والمثقفين كثيرا من مشاعر الحنين .

١ - أصدر الحزب في ذلك الحين مجلة علنية اسمها « الحساب » كان يرأس تحريرها رفيق جبور عضو اللجنة المركزية للحزب - المؤلف .
* غير واضحة الأصل .

وفوق ذلك فان هذا الحزب بالرغم من أخطائه وما صادفه من تعاسة يشكل خبرة نضالية هامة عمرها عشر سنوات كان من الضروري دراستها على اساس من التحليل الموضوعى والنقد البناء والاستفادة منها في المرحلة التحفيدة في الحركة الشيوعية . لكن ذلك لم يتم للأسف الشديد .

(٣) نشأة الجماعات الماركسية الاجنبية ونشاطها (١٩٣٤ - ١٩٣٩)

خلال سنوات عديدة ظلت مصر محرومة من أى نشاط شيوعى فعلى ، وان كان قد بقي القبض ذات مرة على عدد من الشيوعيين الامن ويبدو أن بعض أعضاء الحزب التقدمى فى الاسكندرية كانوا جميعا معروفين للبوليس بسبب خيانة عبد العزيز قد احتفظوا بصلتهم مع بعضهم البعض . نون أن يمارسوا أى نشاط .

وفى ١٩٣٤ قامت جماعة من الماركسيين الاجانب فى الاسكندرية بتأسيس جمعية انموا « رابطة انصار السلام » La Ligue Pacifiste وسرعان ما تأسست جمعية مماثلة بالقاهرة وكان غلبية الاعضاء من اليونانيين واليهود من مختلف الجنسيات . وكان الحرك الحقيقى وراء هذا النشاط بول جاكو دى كورب وهو سويسرى كان على صلة بالدولية وبالْحزب الشيوعى الفرنسى .

وقد انضمت الرابطان الى « التجمع العالمى للسلام »

• Rassemblement Universel Pour La Paix

وقد استطاعت هذه الجماعة الماركسية أن تنمى من نشاطها بشكل محدود خلال عدة سنوات لكن نشاطها الحدود هذا اقتصر على اوساط الاجانب (حيث كان يقيم فى مصر اقامة دائمة حوالى ربع مليون اجنبى معظمهم مستقرين فى القاهرة والاسكندرية) .

وقد اتصفت هذه الجماعة بما يلى :

أ - اقتصر نشاطها على الاجانب . وعم اجانب يقيمون فى بلد مستعمر يخضع لنظام الامتيازات الاجنبية الامر الذى جعل منهم فى واقع الامر دولة داخل الدولة ، وكانوا معزولين الى حد كبير جدا عن باقى السكان . ولم يكونوا يعرفون الا القليل جدا عن واقع مصر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى وباستثناء عدد محدود جدا كانوا لا يعرفون اللغة العربية .

ب - كان الاعضاء اليونانيون فى هذه المجموعة يشكلون فى واقع الامر احدى خلايا الحزب الشيوعى اليونانى . اما باقى الاعضاء فقد كانوا بحكم ثقافتهم الفرنسية مرتبطين عاطفيا وسياسيا بالحزب الشيوعى الفرنسى .

جاء هؤلاء الماركسيون الأجانب لم يكن لديهم في واقع الأمر أية خبرة في
في النضال الشيوعي (لا من وجهة النظر السياسية ولا من وجهة
النظر التنظيمية) . وبحكم أنهم تقريباً قد ولدوا جميعاً في مصر
وأمضوا بها حياتهم فلم يكن بإمكانهم أن ينقلوا إلى الحركة الشيوعية
المصرية خبرات النضال الدولي للبروليتاريا .

وقد تسلط على أذهان هذه المجموعة شبح المصير الممزن للحزب
الشيوعي المصري (الذي كانه اثنتان تولينا -سكرتيريته على التوالي) الأمر
الذي دفعهما إلى انتهاج موقف شديد التطرف يقسم بالتشكك في كل الناس :

وبدلاً من أن تفتتح هذه المجموعة على الجماهير متمسكة بيقظتها فإن
هذه المجموعة قد نهجت نهجاً حلقياً وانغلقت على نفسها بصورة شديدة
بحيث لم تفتح أبوابها خلال أكثر من عشر سنوات إلا لعدد قليل جداً من
الأجانب .

وأم تحوّل هذه المجموعة المغلقة إلى تنظيم (له خلايا وقيادة) إلا
عام ١٩٤٥ .

ولكن الخطأ الأكبر الذي ارتكبه هذه المجموعة كان في تبنيها لتطيل
غير صحيح يقوم على أساس أن فشل الحزب الشيوعي المصري السابق
كان نتيجة لأن الظروف الموضوعية في مصر لم تكن قد نضجت لقيام مثل
هذا الحزب .

وهكذا وبدلاً من تحليل التجربة الأليمة ، وبدلاً من أن تصبح المشكلة
المباشرة هي إعادة تنظيم الحزب الشيوعي المصري (أو إعادة تأسيسه) فإن
هذا التجمع الماركسي الأجنبي قد تجاهل الخبرات السابقة وتبنى خطأ
ينادي بأنه يتعين على مصر أن تمر خلال تطورات اقتصادية وسياسية طويلة
تقبل أن تصبح الطبقة العاملة المصرية جديرة بتكوين حزبيها وحتى يتم ذلك
فإنه يتعين على الماركسيين أن يؤلفوا تجمعا صغيرا مطلقا (كما حدث في
روسيا لتبصرية قبل المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي الديمقراطي) وأن يكونوا
بالتدريج جناحا يسارياً لحزب الوفد (بما يشبه حزب المؤتمر الهندي) .
وظلت هذه الفكرة سائدة حتى عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ لدى جماعة « الفجر الجديد »
وهي الجماعة التي تولدت عن هذا التجمع الماركسي الأجنبي .

وهذه الفكرة التي تخلت عن مهمة إعادة بناء الحزب وتجاهلت أهمية وضع
برنامج ولوائح واستراتيجية وتكتيك (وهو ما يمكن إعتباره منشأ ما اتصفت
به الحركة الشيوعية المصرية من تلقائية) ولكنها أيضاً أدت إلى نشأة
ما تعانيه الحركة الشيوعية المصرية من مظاهر الانقضاء الدائم حتى اليوم .

* كُتِبَ هذا التقرير في أوائل الخمسينيات .

وقد كسبت السنوات الخمس السابقة على الحرب العالمية الثانية
من الناحية الدولية ومن الناحية المحلية سنوات مواتية تماما من وجهة النظر
الموضوعية لنهاية حركة ثورية مصرية .

بيد ما كان هذا التجمع الماركسي الاجنبي الذي لم يكن يوجد غيره
في ذلك الوقت يعيش بعيدا تماما عن الواقع المصري ويجهل كل شيء عن الجماهير
المصرية ، وظل مغلقا على نفسه في ابراجه العاجية وليس له ميدان نشاط
حقيقي سوى الأوساط الاجنبية في مصر لكنه كان يمكن اعتباره في واقع الامر
مركزا للحزب الشيوعي الفرنسي . فقد كان ينقل مبادئه كما هي دون أي اعتبار
للمواقع الموضوعية في مصر .

وفي مثل هذا المناخ الذي كان مواتيا من الناحية الموضوعية لنشوء
تنظيم شيوعي قوي فان حساب التنظيم الذي يمكن اعتباره يؤرثه تتطور
حولها هذه التيارات الماركسية قد أدى بها الى أن انبثقت في وقت واحد
تقريبا الواحدة تلو الأخرى .

وسرعان ما خاضت هذه التيارات الجديدة صراعات عنيفة ضد
بعضها البعض ، كل منها يدعى أنه هو وحده الثوري والبلشفي بينما
الباقيون انتهازيون ومنشكك أو تروتسكيون .

ومنذ ١٩٢٤ - ١٩٢٥ حتى نهاية ١٩٢٨ كانت الجماعة التي يقودها
بول جاكو دي كرومب هي الجماعة الوحيدة الموجودة في مصر واتخذ نشاطها
شكل العمل من خلال رابطة أنصار السلام التي كانت تنظم مؤتمرات في
القاهرة والاسكندرية (يحضرها ما يتارب الخمسين شخصا من الاجانب)
وكانت تصدر نشرة باللغتين اليونانية والفرنسية (متضمنة من حين لآخر
مقالا باللغة العربية) وكانت أيضا تنظم حفلات موسيقية ورحلات .

وتجدر الإشارة أيضا الى أنهم قد قاموا بدعاية جيدة للنسبان الجمهوريين
في الأوساط الاجنبية في مصر . وجرت في الاسكندرية محاولة لتجنيد بعض
البنانيين المطربين وضمهم للمجموعة ، لكن كل ما أسفرت عنه هذه المحاولة
من نتائج أنه قد تجند شخص واحد (ما لبث أن أيمد بعد فقرة عن
المجموعة) . أما أكثر المحاولات جدية فكانت تلك المحاولة التي سعت الى
عقد ندوات مع عدد من النواب الوندبيين . وبالتعاون معهم عقدت ثلاثة
لقاءات عامة لرابطة أنصار السلام في القاهرة والاسكندرية . وبالإضافة
الى ذلك تكونت لجنة فخرية للتجمع المصري من أجل السلام ضمت عددا من

المصريين (وكان نسكرتيرها العام بول جاكو دي كومب) . ولكن هذه المحاولات وان كانت لا تأتي بها الا أنها لم تؤد الى نتيجة ايجابية لان التجمع الباركني قال اجنبيا صرعا ليس فقط من حيث تركيبه العضوي وانما ايضا من حيث الخط الذي يتحكم نشاطه . وفي واقع الامر فانه كان يقدم نفسه للمصريين باعتبارها تجسعا للاجانب الديمقراطيين وليس تجسعا مصرية . وعلى سبيل المثال حين ألغيت الامتيازات الاجنبية في مصر ، صدر منشور باللغة الفرنسية والعربية يحمل توقيع « الأجانب الديمقراطيين » يحيي باسم الاجانب الديمقراطيين في مصر الغاء الامتيازات الاجنبية ويؤكد للشعب المصري صداقة الأجانب .

وفي عام ١٩٢٧ قام أحد الاعضاء الايطاليين في رابطة أنصار السلام بالقاهرة (مارسيل اسراييل) وكان عضوا فقط في رابطة السلام ولكنه بالرغم من كونه باركنيا الا انه لم ينضم للمجموعة الماركسية التي كان يتزعمها بول جاكو دي كومب . قام بزيارة لبنان واتصل بالحزب الشيوعي اللبناني وناقش مع بعض قادته نشاط رابطة أنصار السلام في مصر ، وقد قال هذا النشاط نقدا قاسيا من قبل هذه القيادات بسبب سماته الاجنبية التي لا تمت بصلة الى مصر ، وقد قدمت هذه القيادة اللبنانية النصح بضرورة ان تكون المهمة الأساسية لهذه (.....) في مصر هو تكوين عاركيين من بين الطلاب والعمال المصريين .

وقد كلفت هذه القيادات مارسيل اسراييل بان يظل على اتصال بالحزب السوري اللبناني وعين مراسلا في مصر لجريدة الحزب ، صوت الشعب .

وعندما عاد مارسيل اسراييل الى مصر ناقش بول جاكو دي كومب في هذه الموضوعات وكان رد « دي كومب » بان عليه ان يهتم فقط بالنشاط في رابطة السلام ، ونظرا لمعرفة بالغة القربية فقد طلب منه ان يمتحن على ضم مصريين التي رابطة أنصار السلام .

وحتى هذه المحاولة المتواضعة منيت بالفشل بسبب عدم الثقة التي كانت تبدو دائما من قبل غالبية أعضاء الرابطة الاجانب تجاه اي عضو مصري جديد . وسرعان ما تكون داخل الرابطة تيار ينادي بالتمصير وينتقد قيادتها (دي كومب) اوقفها المناهض للتمصير . وكان الحديث بطبيعة الحال يجري في الظاهر حول رابطة أنصار السلام وان كان يعنى في واقع الامر مسألة تمصير النشاط الماركسي .

* غير واضحة في الأصل .

وكانت المعركة الحاسمة تدور حول حانت مخجل . فغلبت اثنائية ميونخ
صدر بيان عن قيادة انصار السلام لا يضع في الاعتبار الواقع المصرى
وانتقد انصار التمسير هذا الخط الاجنبى للبيان واقترحوا نصا آخر يدين
اثنائية ميونخ . ولكنه يتحدث عن القضية الوطنية المصرية . ولكنهم
موجهوا من قبل القيادة وانتهوا بانهم تروتسكيون واجبروا في واقع الامر
على ترك الرابطة .

وكان هناك سبب آخر أقل أهمية وهو رفض الرابطة قبول عضوية
عدد من الايطاليين المناهضين للفاشية بحجة انهم مشاعيين وأن قبولهم قد
يؤدى الى تدخل البوليس (وكان هذا حقيقى الى حد ما)

وفي بداية ١٩٤٩ تكون في القاهرة والاسكندرية تجمع جديد باسم
الاتحاد الديمقراطي وكان مؤسسه عم انصار التمسير من الاعضاء
المباشرين في رابطة انصار السلام بالإضافة الى مجموعة الايطاليين المناهضين
للفاشية وبعض المصريين الذين اتصلوا برابطة انصار السلام ثم تركوها
لاخسائهم بالعربة في داخلها .

وقد تضمنت لوائح الاتحاد الديمقراطي نصوصا تقول بأنه يتعين أن
تكون غالبية اللجنة القيادية من المصريين . ولكن الشيء الهام هو أنه قد
تكونت خلف الاتحاد الديمقراطي (كتجمع قنادونى) جماعة سرية ماركسية
(تتكون هي الأخرى من الاجانب وحدهم) . وحددت هذه الجماعة مهمتها
الرئيسية بجذب أكبر عدد ممكن من الشباب المصريين الى الاتحاد الديمقراطى
بهدف تجنيد أفضل العناصر من بينهم كاعضاء في الجماعة الماركسية
المصرية .

وبالإضافة الى ذلك تقرر اخضاع الواقع المصرى لتحليل اقتصادى
وسياسى واجتماعى . وكانت هذه هي المحاولة الاولى لوضع نصائح القيادات
الشيوعية اللبنانية موضع التطبيق .

ونظرا لأن جميع أعضاء هذا التنظيم الماركسى الجديد لم يكونوا
يعلمون بوجود تجمع ماركسى بقيادة بول جاكوبى فقد اعتبروا أنفسهم
أول تجمع ماركسى منظم في مصر بعد اختفاء الحزب . ولم يعلموا الا بعد
فترة أن ثمة جماعة ماركسية أخرى قد سبقته الى الوجود .

ورغم أن هذا التجمع الجديد يعتبر خطوة ايجابية بالمقارنة بالتجمع
الأول (نظرا لتبنيه خط التمسير) الا أنه كان في واقع الامر يتألف بكثير
من صفات التجمع القديم . فقد كان مكونا فقط من المثقفين الاجانب نوى
المعرفة المحدودة جدا بالواقع المصرى والذين لا يمتلكون اى خبرات عن العمل

الثوري ، كما أنه قد ارتكب نفس الخطأ الفادح الذي ارتكبه سلفه وهو تجاهل خبرات وتجارب الحزب الشيوعي المصري وعدم اعتبار أن إعادة بناء هذا الحزب هي المهمة المباشرة والواجب العاجل .

ولم يبذل أى جهد لوضع برنامج ولائحة وخط استراتيجى وتكتيكى وكان التمسير أو كما أصبح يسمى فيما بعد تكوين الكوادر الماركسية المصرية يعتبر في رأيهم عملية طويلة المدى وسابقة على مهمة إعادة بناء الحزب .

وكان ذلك هو الطريق الى التصفية والتلقائية والانقسام .

و يتضمن برنامج الاتحاد الديمقراطي دنس ما تضمنه برنامج رابطة أنصار السلام مؤتمرات ديمقراطية ومناقضة للفاشية ، اخذت تصفيتها عن الثقبان الخ ولكن على نطاق أكثر اتساعا مع اجتذاب عدد كبير من المثقفين والطلاب المصريين .

وقد عقد حفل الافتتاح برئاسة المدير العام لدار الكتب (وكان أيضا محاضرا بالجامعة) وبناء على شكوى من السفارة الإيطالية داهم البوليس الاجتماع اتخ أحد الإيطاليين من الحديث متنازل هذا الأخير عن كلمته حتى لا يتسبب في افشال حفل الافتتاح .

وقد حضر الحفل أكثر من ٤٠٠ شخص من بينهم عدد كبير من المثقفين والطلاب المصريين .

وقد طلب الاتحاد الديمقراطي الانضمام الى رابطة أنصار السلام ولكن طلبه ظل بدون اجابة (وهو ما يساوى الرفض) ومن ثم أعلنت الحرب بين الاتحاد الديمقراطي ورابطة أنصار السلام أو بالأحرى بين الجمعيتين الماركسييتين اللتين توجهان كل منظمة منهما .

وتخطت هذه الحرب حدود مصر وعرضت على الحزب الشيوعى الفرنسى ومنظمات دولية هامة مثل اللجنة الدولية لإعادة الحرب والفاشية .

وفي أغسطس ١٩٣٩ عشية الحرب قرر المكتب السياسى للحزب الشيوعى الفرنسى بالاشتراك مع سكرتارية اللجنة العالمية لإعادة الحرب والفاشية عقد لجنة في باريس للاجتماع الى ممثلى كلا الجماعتين والتحقيق فى الاتهامات المتبادلة ووضع حد للخلاف بينهما .

وكانت هذه هي المحاولة الاولى من قبل الحركة الشيوعية فى الخارج للمساعدة فى توحيد الحركة الماركسية فى مصر (فى مصر وليس المصرية ذلك

أنها كانت مكونة من أجنبى ، لكن اشتعال الحرب أدى الى اضعاف هذه
الفرضة .

وخلال السنوات الأولى للحرب غيرت رابطة انصار السلام اسمها وأصبح
الاسم الجديد : جماعة الدراسات . Le groupe études . ومارست
هذه الجماعة نشاطا تقدميا في إطار ثقافى بحث وموجه دوما للاوساط
الأجنبية .

وعلى العكس من ذلك فان الاتحاد الديمقراطي قد نما وسرعان ما خضع
لتطورات وتقلبات كبيرة فالجموعه الماركسية التي كانت توجه نشاطه من
خلف ستار قامت من الناحية العملية بسحب أفضل عناصرها من هذا التجمع
المعنى لى يركزوا نشاطهم في انشاء مدرسة سريه لتدريس الماركسية
للمصريين الذين جنوا اثناء تردهم على الاتحاد الديمقراطي . وبالإضافة
الى ذلك فان هذه الجموعه قررت تكوين تجمع علمى للفنانين والفقهاء المصريين
أسمى : الفن والحرية . Art et Liberté . وهو تجمع ما لبث أن وقع تحت
تأثير القروتشيكيين .

وقيد أدى هذا التثقيت في الجهود الى أن فقد هذا التجمع الماركسى
سيطرته على الاتحاد الديمقراطي تحت تأثير قائم جديد هو هنرى كوربيلى
الذى حوله الى دائرة * (أو كما قيل وقتذاك الى اتحاد
أوسنتقراطى) .

ولكن هذا التجمع الماركسى كان في طريقه الى أن يعيش نظورا دائما
يفتح به مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية .

(رابعا) تهمس الحركة الماركسية ١٩٣٩ - ١٩٤٥

ركزت الجموعه الماركسية التي تكوّنت عام ١٩٣٩ نشاطها على
التكوين الماركسى للعناصر المصرية التي تم تجنيدها سواء عن طريق الاتحاد
الديمقراطى أو عن طريق : الفن والحرية . ونظمت دراسات سريه في الماركسية
باللغة العربية : وأعدت كتابا دراسيا باللغة العربية ليكون أساسا لتلك
الدراسات .

ووفى خلال عدة أشهر فقط استطاعت هذه الجموعه أن تجند وتنظم
العديد من المصريين وهكذا وبسرعة فائقة أصبح المصريون أغلبية في صفوفها .

* غير واضح في الاصل

وفي ١٩٤٠ قررت هذه المجموعة أن تتحول إلى منظمة شيوعية وعقدت مؤتمرا تم في خلاله مناقشة عدة تقارير حول الموقف العالمي - والموقف في مصر وتقرير عن التنظيم (قدمه مصري كان يعيش في فرنسا وكان عضوا في الحزب الشيوعي الفرنسي) وسميت المنظمة التي أعلن تأسيسها منظمة تحرير الشعب Liberation du peuple وانتخبت لجنة تنفيذية (ضمت ثلاثة من المصريين بالإضافة إلى الإيطالي مارسيل اسراييل) ونظم الاعضاء في خلايا وتم وضع برنامج للعمل .

وكانت منظمة تحرير الشعب هي أول تنظيم شيوعي في مصر بعد اختفاء الحزب القديم ، وكانت منظمة بدائية ليست لديها خبرة حقيقية بتراث الحركة العالمية ، وكان المستوى الثقافي لا بأس به ولكن دون أية خبرة في العمل السري .

ورأت المنظمة ان الاتحاد الديمقراطي الذي خرج من تحت سيطرتها لم يعد يتلاءم مع اهدافها فقررت ان تسحب اعضاءها منه خاصة وأنه قد تحول إلى النشاط الاجتماعي . وفي نفس الوقت قامت العناصر الشيوعية داخل الفن والحرية ، بشن هجوم ضد العناصر الفوضوية والبروتستانتية وأدى ذلك إلى اغلاق الفن والحرية ، وحلت محلها لجنة (بدون مقر) لتنظيم معارض سنوية للفنون التشكيلية .

كما قام اعضاء تحرير الشعب بوضع ايديهم على مجلة « التطور » واصلوها باسم « الفن والحياة » وحولوها من مجلة فوضوية وسريالية إلى مجلة عمالية . وكانت بذلك أول مجلة يديرها الشيوعيون ، لكنها لسوء الحظ لم يتسع امامها الوقت لتدعيم تأثيرها فقد منعتها الرقابة بعد صدور عدة أعداد منها .

وبعد ان عقدت تحرير الشعب كل من « الاتحاد الديمقراطي » ، و « الفن والحرية » ، كمنابر علنية كونت بدلا منهما منبرين علنيين آخرين هما « الخبز والحرية » (والذي اختير اسمه بوجي من معارضة المثقفين الفوضويين في اختيارهم لاسم الفن والحرية) اما التجمع الثاني فسمى « ثقافة وفن » Culture et Loisirs واقترحت التنظيم الاول على المصريين (اتباعا لخط التمصر ولكن يبعدوا عن الحركة التقدمية المصرية التهمة التي كانت قد التصقت بها بانها ذيل للاجانب) وكان مقر « الخبز والحرية » يقع في احد الاحياء الشعبية بالقاهرة (على العكس من التجمعات التقدمية الاخرى التي كانت تتخذ مقرا لها في الاحياء الاوروبية من المدينة) وسرعان ما اجتذبت « الخبز والحرية » كثيرا من العمال وخاصة عمال الطباعة ، ومارست « الخبز والحرية » نشاطا متعدد الجوانب يجمع بين العمل السياسي الديمقراطي والدعاية النقابية والنشاط

الثقافي واصطبح كل ذلك يطابع يساري واضح ومنذ البداية تدخل البوليس ودون ان يخلق المقر اصدار قرارا يمنع الاجتماعات العامة بدخله وپربعاني ما عرفت « الخبز والحرية » في بعض الاوساط العمالية (وخاصة عمال الطباعة) وفي اوساط الطلاب كتنظيم شيوعي مما اكسبها شعبية كبيرة

لقد كان الاحتلال البريطاني لمصر الذي اتخذ اشكالا سافرة خلال الحرب ، بالإضافة الى الغلاء الفاحش سببا في دفع قطاعات كبيرة من العمال والطلاب الى التعاطف مع الاتحاد السوفيتي والشيوعية

وفي ١٩٤١ اصدرت « الخبز والحرية » نشرة عن الحركة النقابية وأشير فيها الى الدور الذي لعبه الحزب الشيوعي المصري القديم في تنظيم النقابات والدفاع عن مصالح الطبقة العاملة ، فأغلق البوليس مقر « الخبز والحرية » ولكن التجمع ظل موجودا

اما الدراسات الماركسية والتي كانت حتى ذلك الوقت قاصرة على المثقفين المصريين فقد امتدت لتشمل بعض العمال الذين جذبوا من داخل وحول « الخبز والحرية » .

وللاسف فان هذه الدراسات كانت تدور حول مسائل ايدولوجية معتدة وليست لها صلة مباشرة بالاحتياجات النضالية

اما تجمع « ثقافة وفراع » وهو التجمع الآخر الذي انشأته الجماعة اليسرية « تحرير الشعب » فقد اقتصرت في البداية على الاجانب ولكن نشاط « الخبز والحرية » ادى بعدد من المثقفين والفنانين المصريين الى التردد على مقر « ثقافة وفراع » واخذوا يمارسون فيها نشاطا وتأثيرا متزايدا ، وقد اغلق البوليس مقر « ثقافة وفراع » في منتصف عام ١٩٤١

اما الاتحاد الديمقراطي الذي اصبح تحت قيادة هنري كورييل فقد كان يتردد عليه أيضا بعض المثقفين المصريين وأصدر صحيفة باللغة الفرنسية اسمها « دون كيشوت » نشرت بعض المواد التي تحمّل طابعا فوضويا وتروتسكيا

اما « جماعة الدراسات » فقد استمرت تحت قيادة بول جاكوب دي كورب في نشاطها الثقافي الشديد الجذر والشديد الانغلاق ، مما حجب متابعة البوليس

لكن الجماعة الماركسية التي كان يقومها كورييل كانت قد توصلت هي أيضا الى اقامة بعض الصلات مع بعض المصريين وبدأت في تثقيفهم ثقافة ماركسية

ولقد استمرت الجرب بين هذه التجمعات الثلاث ، كل عنهم يتسقط إخطاء الآخرين لكي يتهمهم بالانتهازية والتروتسكية ، وايضا بالعمالة للبوليس .

وفي اليوم الذي غزت فيه قوات المانيا الهتلرية اراضى الاتحاد السوفييتى وجه تنظيم « تحرير الشعب » الدعوة الى جميع التقدميين في مصر لبذل جهود مشتركة دفاعا عن الاتحاد السوفييتى . وقد تمت الدعوة بشكل علنى عن طريق « الخبز والحرية » ، التي وجهت الدعوة الى التجمعات العننية الاخرى . « ثمانية وفراع » و « جماعة الدراسات » و « الاتحاد الديمقراطي » وحتى « الفن والحرية » (التي كانت تتمتع بتأثير على لوساط الزمامين والنحاتين المصريين) واستجابت كل هذه للتجمعات للدعوة باستثناء « جماعة الدراسات » التي رفضت بعناد أى تعاون مع الآخرين .

وبالفعل عقد اجتماع مشترك واتفق فيه على برنامج للعمل المشترك .

وكانت هذه هي المحاولة الثانية لتوحيد الماركسيين في مصر (الاولى حدثت في باريس في أغسطس عام ١٩٢٩) ولكن رفض جماعة الدراسات لفكرة التعاون (بالرغم من انها كانت قاصرة فقط على الدعاية للاتحاد السوفييتى) بالاضافة الى الضربات البوليسية التي سرعان ما وجهت الى قيادة « تحرير الشعب » قد افشلت هذه المحاولة .

وكان اعضاء « تحرير الشعب » على درجة كبيرة من النشاط والايجابية ، لكن حماسهم سرعان ما اقدهم الحذر ودفهم الى الامصال في قواعد الايمان . وعقب توزيع المنشور الخاص بالحركة النقابية قرر البوليس السياسى (بناء على امر من المخابرات البريطانية) الهجوم .

وفي اكتوبر ١٩٤١ قبض على عشرة من اعضاء التنظيم والقوا في السجن .

وادی تحقيق النيابة الى انتماء ما يبرر اقامة الدعوى (ذلك ان التشريع القديم المضاد للشيوعية لم يعدل الا في عام ١٩٤٦) ومن ثم اطلق سراح جميع الاعضاء بعد شهرين (ما عدا الايطالى مارسيل اسرائيل الذى ارسل الى احد مسكرات الاعتقال الخاصة بالفاشية) .

واستأنف اعضاء « تحرير الشعب » نشاطهم بعد خروجهم من السجن وتبنوا تكتيكا جديدا وهو اصدار صحيفة عننية توسع من نطاق حركتهم فاشيروا صحيفة كان يصدرها لسنوات طويلة كاتب ليبرالى * وهي « المحلة الجديدة » وبدأوا يقومون عن طريقها بدعاية ماركسية استمرت طوال سنتين

* سلامة موسى . - المؤلف -

الأمر الذي جعلها منبرا لجميع المثقفين الظالمين وأسهمت بالكثير في نشر
الماركسية بين الطلاب وبعض الفئات المتقدمة من البروليتاريا
وكان يمولها ويشرف عليها الإيطالي « ريمون اجيون »
وقد أحدث العدد الخاص الذي صدر منها حول انتصار ستالينجراد دويا
كبيرا

وفي أوائل ١٩٤٢ صدرت صحيفة يمولها « هنري كوريبيل » اسمها « حرية
الشعوب » وقد ساعد في إصدارها بعض البرجوازيين الوطنيين وقد بدأت هذه
المجلة في دعايات مناهضة للامبريالية ولكن بشكل مبهم وبانحرافات كبيرة
نحو الشوفينية القومية .
ومن الطبيعي ان مجلتي « حرية الشعوب » و« المجلة الجديدة » لم تكونا
على وفاق

وفي يونيو ١٩٤٢ قنص البوليس على حوالي خمسين من المصريين من
أعضاء وانصار « الخبز والحرية » وظلت أغلبيتهم محتجزة دون محاكمة
حتى نهاية ١٩٤٣ (بسبب القانون العسكري)

وفي عام ١٩٤٢ تكونت جماعة ماركسية ثالثة تحت قيادة هنري كوريبيل
وهليل شوارتز وسيطرت هذه الجماعة على الاتحاد الديمقراطي الذي تصاعد
نشاطه . وكانت هذه الجماعة على علاقة بالشيوعيين الانجليز واليونانيين
المجندين في صفوف قوات الحلفاء المتمركزة في مصر

لكن هذه الجماعة سرعان ما انقسمت الى مجموعتين جديدتين تحولتا
فيما بعد الى منطقتين كبيرتين « الحركة المصرية للتحرير الوطني » (ويقودها
هنري كوريبيل) ، « ايسكرا » (ويقودها هليل شوارتز)

وفي يوليو ١٩٤٢ . ولثناء تقدم روميل الكتيبة نحو مصر لجأ اغلب
الشيوعيين الاجانب الى فلسطين وهناك دخلوا في علاقات مع الحزب الشيوعي
الفلسطيني الذي دعا ممثلين من كل المجموعات لبحث اسباب الانتقام والمحاولة
توحيدهم . وحضر الاجتماع اعضاء من سكرتارية الحزب الشيوعي
الفلسطيني

وفي هذا الاجتماع اعلن اعضاء مجموعة بول جاكو دي كومب ان الظروف
الموضوعية في مصر لا تسمح بتأسيس حزب شيوعي . ولكن الحزب الشيوعي
الفلسطيني رفض هذه الفكرة . وهذه المحاولة (وهي الثالثة) لتوحيد
الماركسيين قد فشلت هي الاخرى بسبب المناد الشديد لجماعة بول جاكو دي
كومب وأصرارها على اعتبار نفسها المجموعة الشيوعية الوحيدة في مصر . هذا
بالإضافة الى سبب آخر يتمثل في ان المحاولة نفسها قد جرت بشكل سطحي
وبإشراف حزب كان هو نفسه خارجا لتوه من ازمة قاسية :

محضر نقاش مع فتحي الرملى *

اجريت المناقشة بالقاهرة في ٤-٥-١٩٧٥

الاسم : محمود فتحي عبد الله فكرى الرملى

الشهرة : فتحي الرملى

تاريخ الميلاد : ٢٨-٧-١٩١٩

المهنة : صحفى

س : كيف بدأت نشاطك السياسى ؟

ج : كنت عضواً في مصر الفتاة ، وانا طالب في مدرسة انبيا الثانوية ، وقبل ان ادخل المدرسة الثانوية كنت طالب في المدرسة الصناعية فقد دخلت قسم الخفص لاننى اهورى الرسم ثم ما لبثت ان اكتشفت ان الدراسة في هذه المدرسة لا تشبع هوايتى فتركتها الى المدرسة الثانوية حيث عجزت فيها عن سداد المصروفات ، فانا من اسرة فقيرة ، وكانت امى تعاني الكثير في الانفاق علينا بعد وفاة ابي ، وكانت تستدين مصروفات المدرسة فقررت ان اترك المدرسة واذكر دروسى من المنزل ، وقد انضممت لمصر الفتاة بعد ان استهوتنى شعاراتها الحماسية وكانت مجلة الصرخة التى تصدرها مصر الفتاة تثير في نفسى حماس بالغ ، واذكر ان اول عدد رأيت من « الصرخة » كان عبارة عن ورقة واحدة بحجم الجريدة العادية وهى عبارة عن منشور اثارى بعنوان « عشر سنوات من العمل من اجل مصر » واستهوتنى هذه الشعارات وانضممت لمصر الفتاة .

* تردد اسم فتحي الرملى كواحد من الدعاة اليساريين في الاربعينيات ، وقد بدأ نشاطه مبكرا في حركة اليسار ، وانسلخ منها مبكرا أيضا ، وفي الوقت الذى بدأت فيه الحلقات الماركسية تتبلور في منظمات شيوعية سرية ، اتجه هو الى تكوين حلقة اسماها الجبهة الاشتراكية اتسمت بالعموية ، وبرغم ان وثائق وزارة الخارجية البريطانية قد حاولت ان تضخم كثيرا من دوره الا انه يبدو ان هذا التضخيم كان متعمدا لاضفاء طابع معين على حركة اليسار ككل ، وما لبث فتحي الرملى ان تورط في كتابات معادية للشيعوية والتنظيماتها في مصر ، ومع ذلك فقد تمت اجراء حوار معه استكمالا لكافة جوانب الصورة ، وايضا فان هذا النقاش يوضح اسلوب وطبيعة نشاطه وحقيقته وحجم ما اسمى بالجبهة الاشتراكية (المؤلف)

وبعد فترة من النشاط التخصي استدعاني وكيل الخيرية لمقابلته وكان اسمه ابراهيم فهوى السيد بك وفوجي، وكيل الخيرية بي وانا شاب صغير السن وفوجي، أكثر باننى دخلت عليه وقد علفت في سترتي شعار مصر الفتاة (الاهرامات الثلاثة المكتوباً تحتها الله . والوطن . الملك) وهاج بشدة لاننى تجرات ودخلت عليه والشعار على سترتي واعتبر ذلك تجدياً له واستدعى احد الجنود وأمره بايداعى الحبس والغريب في الامر اننى شعرت بحماس غريب وفخر لاننى دخلت السجن وعمولت معاملة الزعماء . .

وفي هذه الفترة ايضا اصدرت منشورا سياسيا بعنوان « ارقام مخيفة » عبارة عن كلام انشائي ، نقلته اساسا من خطاب القاه هيكل باشا في البرلمان . وكان يتضمن ارقاما مثل ٧٠٪ من ابناء الفلاحين معرضين للسلب ، وبعد ذلك سلمية من الشعارات الحماسية تدعو الشعب الى الثورة . واستدعنتى النيابة انا وزملائي وفوجي، وكيل النيابة وكان اسمه معروف محمد بانفا شبان صغار لا يزال ترتدى الثوب وكان من جينفا شاب هو ابن اخ يسمن باشا احمد النائب العام في ذلك الحين . وقد اسهم هذان العاملان في حفظ القضية . لكن البوليس قدر ضرورة ابعادى من المنيا فعلا ففيت من المنيا ورحلت الى القاهرة وكنت سعيدا بذلك ايضا لاننى سبأتنى مثل الزعماء ولان الحكومة سوف تتحول بركات سفرى . .

وقبيل سفرى من المنيا كنت قد وجدت عملا في مجلة اقليمية بالنيابا اسمها « الانذار » ، بدأت بمرتب ١٨٠ قرشا في الشهر زيدت بعد عدة اشهر الى جنيهان

وهكذا فعند وصولى الى القاهرة كنت اعتبر نفسى ضحى ، وبقيت فترة منعطيا ، لكننى تهييت، دور الضحى وبدأت اكتب وأعرض كتاباتى على الصحف ، واذكر اننى اعددت موضوعا لآخر بساعة ، وثابتى مضطى امين وكان يعمل ساعتها مع التابعى في آخر ساعد وايدى اعجابه بالمقال ونشره فعلا لكنه لم يعطنى نقودا واعد باعطائى نقود في المرة المقبلة . لكنى لم اعد اليهم واتجهت الى مجلة منافسة لآخر ساعة اسمها « الشعلة المصورة » . وهناك قابلت فرج جبران وكان سكرتير تحرير المجلة وشريك لصاحبها . واتفقوا معى على ان اعمل لديهم بالقطعة والمساحة أى ان اتقاضى أجرى وفقا للمساحة التى تنشر لى . وقيلت لسببين اولاً لانه لم يكن امامى أى مورد آخر وثانياً لاننى كنت سعيد بالعمل كصحفى . . وكنت قبل ذلك قد عملت في مجلة مصر الفتاة واغرونى بلقب سكرتير تحرير لكن مرتبى كان « اذونات بريد » تاتى للمجلة سدادا للإعلانات واذكر ان اقصى أجر حصلت عليه منهم كان عشرة اذونات بريد بقيمة كل منها ٢٠ قرشا . .

المهم اننى عملت في مجلة الشعلة المصورة . وهناك تعرفت باسمه حليم .
س : كيف ؟

ج : اسعد حليم هو ابن اخت فرج جبران ، وذلت يوم حضره لي فرج جبران هو واخوه حليم حليم وقال لي اسعد غاوى صحافة وحلمي غاوى سينما حاول ان تساعدهما واهتمت باسعد وكان يترجم بعض المقالات فأقوم انا باعادة صياغتها بأسلوب صحفى ، وبدأنا نتناقش انا واسعد حول الوضع السياسى ورويدا رويدا تكونت مجموعة من الاصدقاء انا واسعد حليم وصالح عرابى (سودانى) وعبد العزيز هيكل وموسى عبد الحفيظ (كان موظفا في وزارة المعارف واسبى بعد ذلك شركات للاعلانات) واخذتهم جميعا وقابلنا مارسيل اسرائيل

س : كيف تعرفت على مارسيل اسرائيل ؟

ج : كنت عامل حركة في مصر الفتاة تسبهدف عزل احمد حسين ، وجمعت حولي عدد من الاعضاء يقاومون احمد حسين ولا يعترفون بزعامته ، وكنا نحاول عزله ونرشح فتحى رضوان للزعامة ، اى اننا كنا نريد استبدال فاشستى بفاشستى آخر ، وبعد فترة احسبنا ان فتحى رضوان يتحدث في واد آخر يعيدا عن مشاكل الشعب ، والحقيقة ان مصر الفتاة كانت مجموعة متناقضة متنافرة وعلى صفحات المجلة انعكس هذا التناقض فمثلا احمد حسين يحزر صفحة ملتية تتحدث عن المقاومة والعنف والقوة ، بينما يحزر فتحى رضوان صفحة اخرى تتحدث عن غاندى وسياسة التسامح ، ومن هذا التناقض نشأت حيرتنا

وق هذه الفترة التقيت بشاب نوبى اسمه بدر عوض وكان معنا في مصر الفتاة وانا كنت اسمى لضمه لمجموعتنا المناهضة لاحمد حسين . . وسالنى لماذا ؟ فقلت لانه فاشستى . . وفي هذه الاثناء كان بدر عوض هذا على علاقة بمارسيل اسرائيل وكان يحرضه ايضا على احمد حسين وعلى حزب مصر الفتاة فقال له بدران في الحزب تيار جيد يقاوم القيادة ويتهمها بانها فاشستية . . وطلب مارسيل ان يرانى ، وذهبت اليه لاول مرة انا وبدر عوض في منزله بالقرب من وزارة الاوقاف ، وبعدها اخذت له اسعد حليم ، وصالح عرابى وعبد العزيز هيكل وموسى عبد الحفيظ وبدأ مارسيل يدرس لنا النظرية الماركسية وكان هناك انور كامل وبعد فترة انضم اليها ثابت امين وهو اخو الهامى امين

* الهامى امين شيوعى قديم حكم عليه بالسجن لفترة وفصل بعدها من عمله كموظف في السكة الحديد ، وعمل في عام ١٩٣٠ مع حسنى العرابى و د عبد الفتاح القاضى في مجلة روح العصر وكان الهامى امين وثيق الصلة بحسنى العرابى . وقد اصدر مجموعة من مقالاته في كتيب بعنوان مقالات العرابى ، - عنى بجمعها وترتيبها ونشرها الهامى امين - المطبعة الاميربية الكبرى . (المؤلف)

س : كيف سارت الامور بعد ذلك ؟

ج : بعد فترة من الدراسة قال لنا مارسيل انتم درستكم ويمكنكم ان تعملوا بانفسكم وانبسنا جمعية « الخبز والحرية » ، لكنني لاحظت انه برغم حديته عن ضرورة تولينا امور النشاط بانفسنا الا انه مصمم على ان يضع الحركة تحت اشرافه واحس مارسيل ان اهم شخصين في المجموعة هما انا وانور كامل وحاول ان يكسبنا نحن الاثنين فاقترح ان يتولى كل منا منصب السكرتير واحد للشئون الداخلية وهو انا وآخر للشئون الخارجية وهو انور كامل :

واستأجرنا شقة من حجرتين فوق مطبعة الرغائب في شارع محمد علي وكانت اخدي الحجرتين واسعة وتصلح كصاله للاجتماعات . وغملا قمنا وانا وانور كامل بشراء حوالي ٦٠ كرسى ومكتب .

س : من اين اتيتم بالنقود ؟

ج : تمويل ذاتي ، كنا نجمع اشتراكات شهرية اذخرناها لعدة اشهر ، واشترينا هذه الاشياء ، وبعدها عقدنا اجتماع للمجموعة لنبحث كيف نبدأ العمل في جماعة « الخبز والحرية » وبدأ البعض يطالب باخطار المحافظة باننا قد كوننا جمعية حتى تاخذ وضعها القانوني ، لكنني تمسكت بعدم ابلاغ المحافظة وقلت ان علينا ان نمارس نشاطنا حتى نتف على اقدامنا وبعدها نسعلم البوليس بعد ان نضعه امام الامر الواقع ، لكن ابلاغ السلطات منذ البداية معناه اننا ندعوم كي يهدموا كل شي ، وبعد النقاش كانت الاغلبية معي ، لكنهم بعد الاجتماع اتصلوا بمارسيل اسرائيل الذي ايد الرأي الاخر وبعد يوم جاءوا جميعا وهم ضد رأبي . وصممت على موقفي ، وأبلغوا المحافظة بتأسيس الجماعة وحضر جلان من رجال البوليس السري - رابطا امام مقر الجماعة يقومان باحصاء عدد المتواجدين في المتجر حتى اذا ما بلغ خمسة اشخاص منعوا اي شخص آخر من الدخول على اساس ان القانون يعتبر ان اجتماع أكثر من خمسة اشخاص هو بمثابة تجمهر . وفي هذه الاثناء وخلال أحد الاجتماعات قطع عنا النور لأن جورج حنين كان قد سدد تأمين عداد النور ثم سحب التأمين ليمنعنا من النشاط وعندما اطفى النور صحت في الحاضرين معلنا ان علينا ان نعتمد على انفسنا . وكانت اللخامات قد تشعبت بيني وبين المجموعة ، وقد قررت ان ابدأ بداية جديدة في مقر جديد واسميت الجماعة « نحن انفسنا » تحديا لمحاولات السيطرة علينا .

واعتكذا أصبحت مستقلا عن مارسيل اسرائيل وجماعته ، ودعيت الي ما اسميته « اسبوع التفكير الحز » ودعوت عدة اشخاص كانوا معروفين بميولهم الليبرالية مثل د- ابراهيم ناجي وعبد المجيد نافع وغيرهما .

وبدأت في هذه المرحلة حملة ضد اليهود وضد تواجدهم أو سيطرتهم على الحركة وعملت نشيد ضدهم اتهمت بسببه بالشوفينية وأذكر بعض كلمات النشيد وتقول :

في أيامنا السكود خواجهات ويهود
جمعوا الملايين واحنا شبيانيين

وبعد ذلك أغلقت دارنا .. وقررت العمل بطريقة جديدة ..

وبدأنا نجتمع في قهوة بحى النواله أنا وزملائي ونطالع صحف اليوم ونبحث عن المحاضرات التي سنتلقى في هذا اليوم . ونذهب الى هناك بحثا عن التجمعات ونعاقبتها والادلاء برأينا من خلال هذا النقاش .. وأذكر أننا في يوم قرأنا خبر عن محاضرة لعبد الفتاح عنبايت في مقر جبهة مصر (تنظيم أنشأه على باشا ماهر) وذهبت أنا وعدد من زملائي ووزعتهم في القاعة حتى يساندوننى بالتصديق والحماس من أكثر من مكان في القاعة ، وطلبت الكلمة وسأندخني زملائي في القاعة حتى يسمح لي بالكلام . فعملا وجدت فرصة للحديث وشرح وجهة نظري وخرجت من المحاضرة ومعى معظم الجالسين الذين تبعونى الي حيث ذهبت واستمرت مناقشاتي معهم الى ما بعد منتصف الليل .

س : ما هي نوعية مجموعتك هذه ؟

ج : كانت جماعة تسمى نفسها ، الجبهة الاشتراكية ،

س : هل كانت هذه الجبهة تنظيما بالمعنى المفهوم ؟

ج : كانت شبه تنظيم .

س : ما معنى شبه تنظيم ؟

ج : كنا مجموعة تعمل علنا وتنشط وتناقش دون أن تكون تنظيما

بالمعنى المفهوم

س : وما هي قصة ترشيحك في الانتخابات ؟

ج : في الانتخابات البرلمانية ٤٤ - ١٩٤٥ انتهزت الفرصة للسانحة

وهي أن الوفد كان يعارض اجراء الانتخابات في ظل الاحكام العرفية على أساس انها ستقدم تحت قهر السلطة بينما أحمد ماهر كان يقول بإمكانية اجراء الانتخابات في ظل الاحكام العرفية وتعهده بعدم التدخل ، لكن الوفد قاطع الانتخابات ، وقررت أن أنتهز الفرصة وأرشح نفسي على المبادئ الاشتراكية ، وكنت أول من تقم للانتخابات البرلمانية في مصر كمرشح

الاشتراكي ، وأحدث ذلك ضجة كبيرة جدا وأخرجت الحكومة انما اخراج ، لكنها لم تستطع منعي من الترشيح .

س : من الذي مول عملية الاتفاق على الانتخابات ؟

ج : جمعنا أموال من الناس ، أنا مثلا في ذلك الحين كنت أدير معهد لتعليم الصحافة بالمراسلة فأرسلت لتلاميذي خطابات أدعوهم للتبرع ، وتحررت مجموعتي لساندي وجمعت أموال حتى من خصومي الذين ما جمعهم مثل هنري كورييل ، لكنني أصرر أن الذي أمدنا بمعظم المال الذي احتجنا اليه هو لطف الله سليمان * .

س : في أي دائرة رشحت نفسك ، ومن هم المرشحين الآخرين في نفس الدائرة ؟

ج : دائرة محكمة السيدة . (أقرب دائرة انتخابية لها الآن هي دائرة قصر النيل) ، وكان هناك عشرة مرشحين منهم أحمد حسين الذي ركز دعايته الانتخابية ضد اعتباري شيوعي

س : كم صوتا نلت ؟

ج : ٢٢ صوتا .

س : فقط ؟

ج : فقط . ويجب أن تضع في الاعتبار أنه كانت هناك مقاطعة للانتخابات من جانب الوفد .

س : تعود الى الجبهة الاشتراكية ، كيف واصلت العمل ؟

ج : كما قلت لك من قبل ، كنا مجموعة من الأصدقاء نشط كلما اتاحت الفرصة أمامنا .

س : ماذا كانت علاقتك بالمنظمات الشيوعية ؟

ج : كانوا حريصين على التباعد عني ، ويقتصرون أي أخطاء لي . وأذكر أنني أصدرت بالتعاون مع عبد الفتاح الشرقاوي (الحزب الشيوعي لشعوب وادي النيل) منشورا ضد هنري كورييل ندمه فيه بالصهيونية . وقد أصدرت عدة نشرات ضدهم وزعتها علينا .

انتهت المناقشة

* لطف الله سليمان ، تروتسكي . الفرقة مقيم حاليا في باريس

والتي كانت لها أهمية كبيرة في الحياة الفكرية والفنية في مصر آنذاك. وقد تفرقت هذه المجموعات بعد ذلك إلى عدة اتجاهات مختلفة. وقد أجرى النقاش بالقاهرة في ٢٠ أكتوبر ١٩٦٩.

س : ما هي معلوماتك عن النشأة الجديدة للحركات الاشتراكية في أواخر الثلاثينيات ؟

ج : يمكن تقسيم الاتجاهات اليسارية في ذلك الحين إلى اتجاهين أساسيين: تروتسكيين يتزعمهم جورج حنين، وزمبينيون يونان، وتركز نشاطهم العلني وسيط. مجموعات الفنانين وفي إقامة المعارض، وإصدار نشرات، وفي جماعة الفن والحرية. وتجمعات ماركسية يتزعمها ثلاثة أشخاص :

* بول جاكوبز ذي كومت وكانت مجموعته تضم أحمد رشدي صالح، ويوسف درويش وآخرين واتخذت عددا من المنابر العلنية ولجنة نشر الثقافة الحديثة وتوزعت مجموعة الدرايسات، واتحاد أنصار السلام.

* وهنري كوربين وقد أسس مع شوارتز ماركسيزم إسرائيل، ويولا العلايلي وغيرهم النادي الديمقراطي ومن هذه المجموعة خرجت فيما بعد ح م واينكرا.

* ومارسيل انترانيل، وقد أسس حركة تحرير الشعب، و

غير أن هذه التقسيمات غير قاطنة ففي المنابر العلنية اختلطت عناصر من المجموعات المختلفة. وفي لجنة نشر الثقافة الحديثة مثلا كان هناك أناس من حركة تحرير الشعب، وفي جماعة الفن والحرية كان هناك التروتسكيون وتحرير الشعب وتحسين المصري (ح م فيما بعد)

كل ذلك كان في مطلع عام ١٩٣٩ وقبل نشوب الحرب.

س : أريد بعض التفاصيل عن جماعة الفن والحرية.

ج : نشأت الفن والحرية كجماعة يغلب عليها الطابع الفني وكان محركها الأساسي جورج حنين ومجموعة من الفنانين الأجانب وبعض المصريين (أنور

* استعد حليم واحد من المصريين الأوائل الذين انضموا إلى التجمعات الاشتراكية في أواخر الثلاثينات وقد لعب دورا هاما في فترات حاسمة وقد ارتبط اسمه واسم زوجته - أسماء البقلبي - بكثير من أوجه النشاط المبكر.

كامل - كامل التلمساني) وقد ركزت هذه المجموعة جهودها على نشر الفن السيربالي واصدرت مجلة ذات أهمية تاريخية هي مجلة التطور ، وكان يرأس تحريرها أنور كامل وأنا . اعتقد ان هذه المجلة قد لعبت دورا هاما في تطوير الفكر المصري وبرزت الي الوجود الشكل الادبي السيربالي وقدمت شعاعا وقصصا سيربالية لعدد من الكتاب السيرباليين لمع منهم رمسيس يونان .

س : لماذا السيربالية بالذات ؟

ج : في العالم كله كانت السيربالية تعبرا عن التمرد على القوالب الكلاسيكية الخامة . والحقيقة ان أعضاء الفن والحرية قد قاموا بنشاط كثير بحيث أصبحوا يمثلون قطناعا هاما في الفن وشكلوا واحدا من أهم التيارات الأدبية وأحدثوا هزة عنيفة في المفاهيم الفنية .

ولم تقتصر جهود الجماعة على اصدار المجلة وانما أقاموا سلسلة من المعارض والنحوات . ومن خلال هذه النحوات برزت عدة شخصيات ، رمسيس يونان ، الخصم المصيري وهو (مهندس مصري درس في باريس وعاد متشعبا بالأفكار اليسارية) وفارسيل اثرائيل . واتفق هؤلاء الثلاثة على ضرورة تجميع عدد من خيرة المثقفين والتحدث معهم حول الماركسية واتفق كل واحد من الثلاثة على أن يكون مجموعة مستقلة للدراسة الماركسية .

س : كيف بدأت علاقتك المباشرة بالحركة ؟

ج : كنت أنا وفتحي الرملي وصالح بجرايبي (سوداني) نعمل في مجلة وسعيدة أسمها ، والمجلة وكانت تطبع في نفس المطبعة التي يطبع فيها أنور كامل مجلة التطور وتعارفنا ودعانا لحضور النحوات .

وبعيد فترة ضم مارسيل فتحي الرملي الي مجموعته الضيقة ولم ادع أنا . وحكي لي فتحي الرملي ما دار في هذا الاجتماع المطلق حول دراسة الماركسية وفي الاجتماع التالي تحدث مارسيل عن أهمية السرية وضرورة عدم ابلاغ أي شخص بوجود مثل هذه الاجتماعات فقال الرملي انه فاتخني في الموضوع فعلا وهكذا اتفق على ضمي للمجموعة .

س : ماذا هو شكل هذه المجموعة ؟

ج : مجرد مجموعة دراسية ولم تكن تنظيما بالمعنى المفهوم وحتى كانت بقدر التسم .

س : كيف انقسمت الفن والحرية ؟

ج : الحقيقة ان هذه المجموعة الضيقة التي شكلها مارسيل بدأت تنشط
وكنا نحن شبانا نشيطين وبدأت الافكار الماركسية تبهرنا فاندفعنا بكل
قوتنا لجذب أكبر عدد ممكن من المصريين ومن العمال خاصة وبدأنا نحشد
في ندوات الفن والحرية عمالا وكادحين وخلق هذا رد فعل، وبدأ التناقض
واضحاً ، هم أغنياء أرستقراطيون وأجانب ومثقفون ونحن فقراء ، وحدث
تمايز ، وبدأ قادة المجموعة لا يرحبون بحضورنا لكننا اعتبرناها مسألة
كرامة وصممنا على الحضور فلم يستد الأرسقراطيون رسم استقبال الكهرياء
وتقطع التيار من النادى لكننا صممنا على الاستمرار وكنا نعقد ندواتنا
على ضوء شمعة ، ومن هنا برز التساؤل لماذا لا نؤسس نادياً خاصاً بنا
يكون مستقلاً ومصرياً ونستطيع ان نتحدث فيه بأفكارنا كاملة . وكان
فتحى الرملى هو الذى اختار اسم « الخبز والحرية » .

ش : يقول مارسيل انه مؤسس « الخبز والحرية » ، ويؤكد أنور
كامل انه مؤسسها فما هي الحقيقة ؟

ج : كلامنا صادق ، نحن أسهمنا مساهمة إيجابية في إنشائه ، « الخبز
والحرية » وكان مارسيل يوجهنا ويثبنا ، وأنور كامل كان الرئيس الرسمى .
وكان مجلس إدارة الجمعية أنور كامل - د . عبد العزيز هيكل - أسعد جليم -
فتحى الرملى - صالح عرابى - وبعد مدة ضممننا عبد العزيز هيكل الى
مجمعنا الضيقة . واذا كان مارسيل لم يضم اسمه كعضو في مجلس إدارة
« الخبز والحرية » الا أنه كان مسؤولاً عن ثلاثة أشخاص من مجلس الإدارة .

وكان مارسيل نشيطاً في اتجاهات عديدة فقد أسهم في تأسيس جمعية
أخرى يطلب عليها الاجانب أنشأت نادياً أسمته « ثقافة وفراغ » ، وقد
ضمت هذه المجموعة عدداً قليلاً من المصريين منهم فوزى جرجس وكانت خطة
مارسيل أن تعمل هذه المجموعة وسط المثقفين أما مجموعتنا فتعمل وسط العمال .

س : وما حدث للمجموعتين الأخرتين ؟

ج : رسميس يونان استمر مع مجموعته لفترة قصيرة ثم تبعثت والحقيقة
أن التروتسكيين كانوا شلة وليس تنظيمياً ولم يؤسسوا تنظيمياً وكانت
لهم صلة ما بالدولية الرابعة لكن دون أن ينجحوا في تأسيس تنظيم .

أما تحسين فقد استمر مع مجموعته لكنه سرعان ما انضم الى النادى
الديمقراطى ليشارك فيما بعد في تأسيس ح . م .

من أين وابتعدت هل شاركت في تأسيسها ؟

س : يقول عبده ذهب أنك كنت في اللجنة المركزية للحركة المصرية ؟

ج : لم يحدث ، وأنا في هذه الأثناء كنت أعمل مع مارسيل ، وبعد مدة انقسمت « الخبز والحرية » فمقد وقفنا ضد اتجاهات أنور كامل وخرجنا من « الخبز والحرية » لنكون تنظيمًا مستقلًا ولم نسمه أولًا ثم فيما بعد أسميناه « تحرير الشعب » .

س : يقول مارسيل إسرائيل في تقرير له أنه مؤسس « تحرير الشعب » ، وأنه لعب دورًا أساسيًا في هذه الفترة فما هو تقييمك لدوره ؟

ج : هو فعلاً مؤسس « تحرير الشعب » ، كان المحرك والمنظم الفعلي لنشاطنا ، كان أكبرنا سنًا وأوسع منا ثقافة وإدراكًا ، كانت الماركسية تنهزنا وكان مصدرها الوحيد هو مارسيل ومن هنا نهرنا به ، والتحقيق أن مارسيل قد بذل خلال عام ١٩٣٩ جهدًا خارقًا في تثقيف عدد من الكوادر المصرية ، فقد تقفنا مارسيل بسلسلة محاضرات ممتعة بذل جهدًا كثيرًا جدًا في إعدادها وكانت هذه المحاضرات تتضمن الناقية والمثالية - المثالية الجدلية - المثالية التاريخية - تطور المجتمعات - المجتمع الرأسمالي وقوانينه - صراع الطبقات - الثورة - الحرب الخ

انتهى النقاش

مجلس محضر نقاش مع هنري كورييل

جلسة المناقشة الاولى

تمت المناقشة بباريس في الاسبوع الاول من نوفمبر ١٩٦٨.

س: ما هي معلوماتك عن نشأة الحركة الشيوعية في الثلاثينيات ؟

ج: في بداية الثلاثينيات بدأت الحركة عن طريق عدد من الشيوعيين الاجانب كانوا اما اعضاء في بعض الاغزاب الشيوعية الاخبيلية او متأثرين بها . . . وكان كثير من هؤلاء المثقفين الاجانب مدرسين بالمدارس الابتدائية والثانوية (١) . . . وانكر من بين هؤلاء المدرسين جورج بوانتييه وكان عضوا في الحزب الشيوعي السويسري . . .

وقد ابلغني بوانتييه بذلك بنفسه . . . وقد كلفني قبل سفره من مصر لينضم للفرقة الفرنسية في الحرب العالمية الثانية ان ابلغ تقريراً لحزبه عن نشاطه لانه ربما يموت في الحرب وقد مات بوانتييه فعلاً في الحرب . . .

والحقيقة ان ظهور الفاشية قد اعطى دفعة قوية للحركة الشيوعية في مصر (٢) كذلك كان الخط الذي تبناه المؤتمر السابع للكونغرس وهو المشهور باسم (خط ديمتروف) ينادي بتكوين جبهات شعبية واسعة للكفاح ضد الفاشية وقد ساعد هذا الخط في القيام بحركة واسعة لمعاداة الفاشية . . . وقد تجمع عدد من اليساريين الايطاليين في مصر وبدأوا نشاطا واسعا واستغلوا عددا من المناير منها مثلا الجمعيات المسونية . . .

هنري كورييل هو مؤسس الحركة المصرية للتحرير الوطني ثم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني وقد ظل مسؤولاً لهذه الحركة حتى انقضاءها من مصر بقرار من وزير الداخلية في عام ١٩٥٠ . . .

١ - كان تدرّس اللغتين الانجليزية والفرنسية بيقوم به ابناتيه مدرسون اجانب خلال هذه الفترة . . .

٢ - فقد حرك كثيرا من اليهود الممحل ضد النازية ومن اجل اقرار الحقوق الديمقراطية . . . كذلك دفعهم الى الاهتمام بتأييد كل الحركات المناهضة للنازية وتأييد الجمهوريين في اسبانيا . . . وقد تغاضى الاحتلال الانجليزي عن هذا النشاط لانه موجه ضد الالمان . . . (وهذا التفسير اذلى به كورييل في نهاية النقاش) . . .

ويمكن تصوير حركة الأحداث كما يلي : شيوعيون اجانب قادمون من الخارج (مدرسين في الإيباس) يتصلون باجانب مقيمين في مصر (وبعدهم ذلك بمدرسين مصريين) وعن طريق هؤلاء يتم الاتصال بقطاعات من المثقفين المصريين . . .

س : كيف بدأ النشاط الفطنى ؟

ج : في البداية لجأ الجميع الى أسلوب تكوين نوادى علمية تستهدف تجميع عدد من المثقفين حولها . . . وانت كيف أصبحت شيوعيا ؟ . . . هناك أقوال ان أخى راؤول هو الذى جعلنى شيوعيا وهذا غير صحيح لكننى تأثرت تأثرا عميقا بالحركة الوطنية المصرية الجارمة فى عام ١٩٣٦ . . .

بعد وأول تصرف سياسى اتخذته هو أنه عندما بلغت سن الحادية والعشرين قررت الاختيار الجنسية المصرية بدلا من الإيطالية . . . وفى عام ١٩٣٧ - ١٩٣٨ اقتنعت بالماركسية وبدأت فى الاتصال بأخرين وفعلا اتصلت بجوزج بوانتشي ، راؤول كوريل (أخى) ، مارسيل اسرائيل وأخرين وبدأنا فى تأسيس الاتحاد الديمقراطى . . . وكان معنا عدد من المظريين هم : إسماعيل الأهوانى ومحمد نصر الدين وكان مدرسا فى كلية البوليس . . . واتخذ الاتحاد الديمقراطى مقرا علميا له فى العمارة رقم ٢ شارع شبكة الفضل وقبل أن يتخذ هذا القرار عقد الاتحاد الديمقراطى أولى اجتماعاته فى مقر إحدى الجماعات الماسونية . . . وعلى الفور بدأ الاتحاد الديمقراطى بنشاط واسع جدا وهذا هو الفرق بيننا وبين المجموعة الأخرى هم كانوا خائفين بينما انطلقنا نحن فى نشاط ماركسى واسع النطاق . . . والحقيقة أن مهمتنا لم تكن سهلة فقد تحدثنا عن الشيوعية ثم سألنا انفسنا ما هى الشيوعية واذا بنساء لا نعرف عنها شيئا . . . والسبب ان الكتب الماركسية كانت نادرة جدا والشئ الغريب انه كان مشهورا بالكتب التروتسكية أما الكتب الأخرى فلا . . . وقد أصدرنا فى عام ١٩٣٨ نشرة اسمها «يون كيشوت» . . . وعندما بدأت الحرب تبلور تياران أساسيان واعتقد انهما ظهرا فى كنف المستعمرات وهذان التياران هما :

١ - تيار يرى أن الأولوية يجب أن تعطى للنضال المعادي للفاشية ومن ثم لا يستبعد التعاون مع الانجليز على أساس أنه كان هناك تعاون بين الاتحاد السوفييتي والحلفاء.

٢ - تيار آخر يرى الكفاح ضد الفاشية وضد الاستعمار معا، وإنما كنت أؤيد هذا التيار.

وقد ظهرت هذه المشكلة كما قلت في عديد من البلاد ومنها الهند فعينجا اصطدم غاندى ونهرو بالانجليز اعترض الشيوعيون الهنود على هذا الموقف وخسروا كثيرا من هذا الموقف ...

والحقيقة أنه بعد اعلان الحرب اتصلت بنا السلطات الانجليزية وعرضوا علينا التعاون ووعدوا بتقديم مساعدات لثنا لخدمتنا فرفضنا ولما فشلوا تماما في استخدامنا لجأوا الى تانينيس فننظيم خاص بهم هو الاخوان الحرة ...

وقد أدى الخط الذي سريا فيه الى الاضطراب بالانجليز أثناء الحرب وقد بدأنا في الاتصال باليساريين الايطاليين وكانوا قد اعتقلوا أيضا مع بقية الايطاليين وبدأنا في تنظيم بعضهم داخل المعتقلات ...

كذلك اتصلنا باليساريين اليونانيين في الفيلق اليوناني ثم حدثت تطورات هامة أثرت جدا في مستقبل مصر وأثرت في أنا شخصيا ... وهذه التطورات الهامة هي أحداث يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ فهذه الحوادث دفعت الكثيرين الى التيقظ وأعطت ديمعة كبيرة للمسألة الوطنية وأبرزت مصر كبلد مستعمر لا ازادة له اهيئت كرامته امانته بالغة ...

والحقيقة ان كثيرا من الشيوعيين المصريين لم يدركوا أهمية هذا الحادث ويطوروا فقط الى الجانب الايجابي فيه وهو تولي النحاس باشا الحكم ...

والى جانب أحداث فبراير ١٩٤٢ كانت هناك أحداث هامة الهبت مشاعر الجماهير فعندما اقترب روميل من العلمين احدثت الجماهير نائل قرب خروب الانجليز ... وعندما هزم روميل في العلمين فهمت الجماهير ان الفاشية يمكن ان تهزم وتحطمت أسطورة الفاشية ...

ثم جاءت معركة ستالينجراد التي اصبحت الدعاية المعادية للشيوعية ورفعت اسم الاتحاد السوفييتي وسمعه لدى جماهير المصريين ...

وفيما بعد كان اعتراف الحكومة المصرية بالاتحاد السوفييتي وتبادل العلاقات الدبلوماسية معه . . . وأقيم معرض للكتاب السوفييتي . . . الخ . . . وقد تجذبت هذه الاحداث مجتمعة لتشكل خطوة حاسمة في تاريخ مصر وقد كانت الظروف مهيأة تماما للعمل . . . وبهذا انتقلت الماركسية من الخلفيات والنوادى الى العمل الجماهيري . . . والى التنظيم النجاد . . .

والحقيقة ان المشكلة لم تكن مشكلة تجنيد وانما مشكلة تنظيم هذه الاعداد التي تجذمت حولنا . . . كانت المسألة الاساسية هي ان نستفيد من الامكانيات التي خلقتها تطور الاحداث لتبدأ عملاً ناجداً . . .

س : كيف بدأت الخطوة الحاسمة ؟

ج : في البداية كنا ونحننا . . . ففي ايام حوارات فبراير وكانت القاهرة تموج بالمظاهرات طبعاً منشوراً باللغة العربية نقول فيه للمصريين لا يتصوروا ان الالمان افضل من الانجليز . . .

وخرجت لاورعه بنفسى انا وجورج بوانتية وكان منظراً مضحكاً : اثنان من الاجانب يوزغان منشورات باللغة العربية . . . وقد وزعنا ٤٠٠٠ نسخة من هذا المنشور . . .

وفي هذه الاثناء قرر بوانتية ان ينضم الى الفيلق الفرنسى واستشهد في ١٩٤٤ أثناء تحرير فرنسا . . .

وفي ١٩٤٢ وقبل معركة العلمين اعتقلنى الانجليز وارسلت الى معتقل الزيتون وكان معظم المعتقلين من الموالين للقائمية . . . وكان طبعياً ان يكون هناك اتجاه معاد لى في المعسكر فقد كنت الشيوعى الوحيد . . . وكذلك بسبب يهوديتى . . . ولذى بدا الهجوم على هو حسنى المرابى وكان قد اصبح فاشمستيا صريحاً . . .

وفي المعتقل استعدت فائدة كبرى . . . لقد مارست اختكاً كما يناشراً وجاداً . . . مع كثير من السياسيين هم في الاساس من ابناء البرجوازية الصغيرة . . . وباختصار لقد احدثت في المعتقل حكام تمصير . . . واحسنيت احساسنا عميقاً ان البرجوازية الصغيرة تموج بحركة وطنية عارمة وانه يتعين الاستفادة منها . . .

وانا اعتبر ان فترة اعتيالى في معتقل الزيتون كان فترة حاسمة في حياتى . . .

٥٠٠ : وبعد فترة قصيرة اختفى العذاب فتبدى ونظمت إضرابا عن الطعام لجميع المعتقلين ٥٠٠ واثنا الإضراب اعتدى البوليس للسياسى على أحد المعتقلين المصريين فترأخ الباقون إلا اننا استمروا فى الإضراب عن الطعام حتى أفرج عني ٥٠٠
وبعد ذلك خرجت من جو النوادى والحلقات ذات الطابع الإجتى وبشذات على الفور فى تأسيس حركة شيوعية منظمة ٥٠٠ وأسست ح ٥٠٠ م

واقصت بمجموعة من المثقفين المصريين وأنطلقنا فى عمل واسع سريع جدا ومنتشر ٥٠٠ فاتصلنا بعدد من العمال وعمال الطيران والسودانيين والنوبيين

٥٠٠ وفى يناير ١٩٤٣ عقدت أول مدرسة كادر ٥٠٠ تولى التدريس فيها د ٥٠٠ زكى هاشم ، تحسين المصرى ، جوماتالون ، دافيد ناحوم والدمرداش التونى وأنا ٥٠٠

وكانت هذه المدرسة نقطة تحول هامة فقد حضرها الكادر الأسانى الذى تولى قيادة الحركة فيما بعد ولهذا فقد اعتبرنا هذا اليوم هو تاريخ تأسيس ح ٥٠٠ م

س : هل اتصلتم بالشيوعيين القدامى ؟

ج : اتصلنا بعدد منهم من بينهم الشيخ صفوان ، عبد الرحمن فضل ، ياناكاكس ، د ٥٠٠ حسونة ، د ٥٠٠ القاضى ٥٠٠ وكانوا خائفين فشحجناهم وضممناهم للممثل ٥٠٠

س : بعد ان أسست ح ٥٠٠ م هل استمر الاتحاد الديمقراطى فى العمل ؟

ج : ظهرت مجموعة جديدة تقود الاتحاد الديمقراطى منهم عزرا هرارى ، هليل شوارتز ، سيدنى سلامون ، ايلى ميزان وكنت مستمرا معهم ٥٠٠ وفى ١٩٤٢ تغير الاسم الى المركز الثقافى والاجتماعى وفى ١٩٤٣ اطلق البوليس الدار ٥٠٠

س : ما هى معلوماتك عن مارشيل اسراييل ؟

ج : كان معنا فى الاتحاد الديمقراطى لكنه كان يسعى دائما لعمل تنظيمات جانبية وفى احد المرات دعانى الى اجتماع لمجموعته واحسنت انهم جميعا برجوازيون صغار ولم استمر معهم ٥٠٠

س : هل كانت لكم علاقات بالكومنترن ؟

ويجب ان لا ننسى الحقيقة انه لم تكن هناك علامة لاخذ الكومنترن والذي يؤكد ذلك انه في عام 1943 مر اندريه مارتى بالقاهرة فاجما من موسكو في طريقه الى الجزائر ليقيم هناك ممثلا للحزب الشيوعي الفرنسي وعند وصوله للقاهرة اتصل بمقر فرنسا الحرة وكانت زوجته تعمل موظفة هناك فاتصلت به وحضر للاقامة عندها في المنزل

وسالت مارتى عن الاوضاع في الكومنترن وعن الموقف من النشاط في مصر فقال لي انه قبل سفره تلقى تعليمات من الكومنترن بالاقتصاص باحد من الشيوعيين المصريين - اثناء مروره بالقاهرة - لان فيهم عناصر بوليسية كثيرة

من هم الاشخاص الذين تعتقد ان لديهم معلومات مفيدة وتنصح بمناقشتهم ؟

ج : انصحيك بمقابلة انور كامل - اسعد حليم - محمد نصر الدين - عبده ديب - صالح عرابي - دكتور الهماني

هنري كوربيل

جلسة المناقشة الثانية - باريس ٢٥ يناير ١٩٧٠

س: سنحاول الآن مواصلة النقاش الذي اجريناه منذ عدة اشهر وأود ان
احصل على اجابات تفصيلية على عدة أسئلة: أولها هو متى وكيف أصبحت
ماركسيا ؟

ج: عندما بلغت من العمر ٢١ سنة كنا في عام ١٩٢٥ وكانت مصر تموج
بالمظاهرات الوطنية المعادية للاستعمار وتحمست انا أيضا لمصر وللمصريين
وقررت ان اختار الجنسية المصرية فاننا مولود في مصر من اب مولود في مصر ومن
حقى عندما ابلغ من العمر ٢١ سنة ان اختار الجنسية التي أريد وقررت ان
اخذت الجنسية المصرية ولم يكن هذا امرا سهلا ولا مقبولا وسط المجتمع الاجنبي
لان معناه ان نفقد حقى في الاستمتاع بالامتيازات الاجنبية . وقد قاوم ابي ذلك
بشدة لكننى اصررت على موقفى .

وكان ابي صاحب بنك وكنت اعمل معه وكثيرا ما كنت ازور عزبتنا في
الريف والحقيقة اننى كنت المس الفقير المنتشر في المدينة لكن الفقر في الريف كان
غاية في البشاعة . وتأثرت جدا بحالة الفلاحين وقررت ان نحاول اصلاح حال
الفلاحين وكنت انا وزوجتى نذهب مرتين اسبوعيا لى عزبتنا القريبة من القاهرة
... كان معنا نفود ولنا اطباء اصحاء اسمهموا معنا في المشروع لكننى اكتشفت
بسرعة فشل المحاولات الاصلاحية .

وبدأت ابحث عن طريق آخر .

وفي أوائل ١٩٣٦ بدأت الحرب الاهلية في اسبانيا وكان المثقفون الاجانب
المستعدون يتابعون انباءها بعواطف تميل مع الجمهوريين . وبدأت انا في جمع
تبرعات للجمهوريين وكان هذا اول نشاط جدى اقوم به . وتعاقبت احداث
هامة ... مثل حرب الحبشة والحرب الصينية وغيرها وبدأت عينى تتجه في اتجاه
اليسار .

وفي ١٩٣٧ - ١٩٣٨ كنت مريضا جدا وسافرت الى باريس للعلاج .

وقبل سفرى مباشرة اتصل بي مارسيل اسراييل وكان معه مجموعة من
حوالى عشرة اشخاص كانوا مجرد برجوازيين صغارا . وكنت انا برجوازيا ،
والبرجوازية لها عيوب كثيرة لكن فيها ميزة هامة هي اتساع الافق واحسنت انهم
مجموعة من ضيقى الافق مجرد موظفين صغار يبيعون على هامش المجتمع

ولا يشعرون بما يدور فيه . وأحسنت بالتعرف منهم وقررت ان اعمل شيئا
وبدأت فعلا فور عودتي من باريس في ١٩٣٨ .

س : وفي باريس ألم تتصل بالحزب الفرنسي ؟

ج : لا ، فقد كنت مريضا واكتفيت بالعلاج .

س : كيف بدأت العمل ؟

ج : في ١٩٣٨ تكونت النادي الديمقراطي وكان هدفه الكفاح ضد الفاشية
مسترشدا بخط المؤتمر السابع للكومنترن والذي يدعو لتكوين جبهة شعبية
معادية للفاشية وانضم اليها عدد كبير من الاجانب (انجليز ويونانيين وايطاليين
وسويسريين) ومن المصريين انضم لنا احمد فؤاد الازهري - محمد نصر الدين
(مدرس بكلية البوليس) وكان معظم هؤلاء الاجانب من مدرسي اللغتين الفرنسية
والانجليزية بالمدارس الثانوية وكانوا بالتالي محتكين بالمجتمع المصري . وبين
طريقهم انضم الينا الازهري وكان في ذلك الحين مدرسا في مدرسة ثانوية .

س : كان اتحاد انصار السلام موجودا في ذلك الحين فما هو الفارق بينكم
وبينهم ؟

ج : الفارق اننا كانت لنا علاقات بالمصريين وقرربا الانفتاح على المصريين
وهم كانت علاقاتهم بالمصريين قليلة جدا .

س : وماذا عن مازستيل اسرائيل ؟

ج : قرر هو ومجموعته ان يعملوا من خلال النادي الديمقراطي لكنهم فشلوا
وخرجوا وكونوا مجموعة الثقافة والفراغ ، وكان معهم اسمعدي حليم وكان اسمعدي
بالنسبة لمارسيل مظهر التمسير .

س : هل يمكن القول انك كنت في ذلك الحين ماركسيا فعلا ؟

ج : انا كنت اعطف على الماركسية واؤيد الاتحاد السوفييتي . وعندما
اشتعلت الحرب طلبت التطوع في الجيش الفرنسي لاجراب الفاشية ولكن طلبي
لم يقبل .

والمسألة التي كانت تحيرني فعلا هي انني كنت اكره انجلترا كرها شديدا
بينما يتعين علينا مساندتها ضد الفاشية .

وفي هذه الاثناء اتصل بي مندوب من السفارة البريطانية اسمه ايضا اعتقد
مسترحجوهين . طالبا ان يعمل النادي معهم عملا موحدا ضد الفاشية وتحدث
كثيرا عن اهمية توحيد القوى الديمقراطية ضد الفاشية . ضد الشيوعية . لكننا
رفضنا التعاون معهم . وقد طرح هذا علينا سؤالان . هاما هو هل نتعاون مع

الاستعمار ضد الفاشية لم نواجه الاثنين معا . . .

س : كيف سارت الامور في النادي للديمقراطي ؟

ج : تجمعت منذ البداية الا ادخل مجلس ادارة النادي وانما كان فيه احمد فؤاد الامواني لكنه انسحب من مجلس الادارة بعد ان بدأت مطاردة البوليس لنا . وخلال العمل حدث خلاف بيني انا وجورج بوانتيه من جانب وبين ٧ اعضاء في مجلس الادارة . لكننا صممنا على رأينا حتى هزمنا السبعة وكان هذا درسا مفيدا لي هو ان التصميم في وجه العناصر المترددة سلاح فعال وكان الخلاف يدور اساسا حول هل نصبح شيوعيين ام لا . . .

وعندما انتصرت وجهة نظرنا اعلنا اننا شيوعيون . . . لكن ما معنى ان نكون شيوعيين ؟ لا احد يعرف ، ما هو الشيء الذي يتعين علينا القيام به ؟ . . . لا احد يعرف . وقلت علينا ان ندرس ولكي ندرس يجب ان تكون هناك كتب وهكذا كانت اول خطوة هي العمل علي افتتاح مكتبة . وفعلا افتتحت مكتبة الميدان . وكانت تعمل في المكتبة هنريت ارييه زوجة سام باردل (وهو ضابط انجليزي عضو في الحزب الشيوعي الانجليزي) . والحقيقة انه كان هناك عشرات من الشيوعيين وسط القوات البريطانية لكن سام باردل تمكن من العمل معنا لانه كان يعمل في المخازن بالقاهرة .

س : هل كانت هناك أية اتصالات باحزاب خارجية ؟

ج : بالنسبة لي لا . . . لكن بول جاكو كان على علاقة سابقة بالحزب الشيوعي السويسري . ومارسيل انرايل كان متصلا بالحزب الفلسطيني وجورج بوانتيه كان عضوا بالحزب السويسري قبل حضوره الى مصر . . . وعندما اقترب الالمان من العلمين اعد الانجليز قطارا خاصا ليهاجر فيه الاجانب التقدميون الى فلسطين ورفضنا نحن السفر وهناك انفصل مارسيل اسرايل بالحزب الفلسطيني واجري معهم مناقشات طويلة .

س : ألم تتصلوا بالحزب الانجليزي ؟

ج : اول علامة مباشرة كانت عن طريق مدرس انجليزي يدرس في السودان . . . وكان هذا المدرس يحاول تكوين تنظيم شيوعي سوداني . وخلال مروره بالقاهرة قال لي انه يجب ربط التنظيم السوداني بالحزب الانجليزي فرفضت ذلك . . .
س : . . . عندما شرعتم في تأسيس ح . م . هل كانت هناك خلافات جسدية بينكم وبين الجموعات الاخرى مثل مجموعة بول جاكو . . . ومجموعة . . .

ج : نعم كانت هناك خلافات مبدئية فيالنسبة لجاكو دي كومب نحن كنا نرى ان الخطوة الحاسمة هي التمسير وهو ايضا كان متنادي بالتمسير لكن للتمسير عنده كان يعنى مجرد ضم عدد من الاجانب المتمصرين وكان يعوقه الحذر الشديد والمبالغ فيه من جانبية . اما نحن فكاننا نرى الانفتاح على المصريين مباشرة وكذلك على النوبيين والسودانيين وعلى اوسع نطاق وكانت فكرتنا عن الامان مختلفة تماما .

وقد نشطنا في الازهر وحققنا نجاحا وضممنا الى صفوفنا عددا من طلابه وكان معنا ازهرى في كلية اصول الدين صناع قوانين الجدل شعرا على طريقة الفية ابن مالك . وكنا نختلف مع ايستكرا حول موضوع التقيد بالاخلاقيات : كنا نقول ان المناضل الشيوعي يجب ان يتقيد بالاخلاق وان يكون نموذجا في الالتزام بها بينما ايستكرا اعلنت ان النظام البرجوازي هو الذى فرض هذه الاخلاقيات المزيفة وان علينا التخلص منها . وبالنسبة للتمسير الحقيقة ان الحداء لم يعترض عليه من حيث المبدأ لكننا نحن وحدنا الذين مارسناه بشجاعة ووضعتنا الى القيادة فوزا عناصر مصرية وعملية .

وكل هذه مسائل اساسية لانه على ضوءها يمكن ان يتحدد مصير جماهيرية التنظيم واحترام الجماهير له والتعاقب حولها .

س : متى ولدت ح . م . (الحركة المصرية للتحزب الوطنى)

ج : تاريخ ميلاد ح . م . هو تاريخ انعقاد اول مدرسة للكادر (لم يذكر التاريخ) حيث تجتمع في عزبة والدى ٢٥ من الكوادر الجديدة لحضور اول مدرسة كادر .

كان المدرسون في المدرسة محمد زكى هاشم - احمد دمرداش توتى - تحسين المصرى - موسى كاظم وانا . اما الطلبة فكان عددهم ٢٥ من بينهم ٢ او اربعة من ميكانيكى الطيران اذكر منهم سيد سليمان رفاعى - يوسف مصطفى - المغربى - واثنين من الازمزيين (لم يذكر اسميهما) واثنين من طلبة الجامعات هما مختار العطار وكمال شعبان اما برنامج الدراسة فكان محاضرات حول تاريخ مصر (على ضوء المادية التاريخية) - جغرافية مصر - المناقشة الجدلية - الاقتصاد السياسى وكنا قد ترجمنا نشيد الدولية الى اللغة العربية وكان يطلع به باللغة العربية :

يا بؤساء الدنيا قوموا قوموا يا محرومين من الخير
وكان نظام المدرسة صارما وبروليتاريا جفا ، الجميع يناهون علي
الارض ، يستيقظون في ساعة محددة لينشعوا عدة اناشيد ثورية بينها نشيد
الدولية ثم تبدأ المحاضرات

وفي المدرسة اعليا نحن المدرسين للطلبة انما قد نكون اناسا ثوريين لكننا
لسنا الاصحاب الحقيقيين للقضية وانهم اى الطلبة هم الاصحاب الحقيقيون
لها
واذكر ان اول منشور شيوعي صدر عن ح م قد اشترك في كتابته
اربعة اشخاص هم جورج بوانتية ومحمد نصر الدين و د فؤاد الالهوانى وانا
وطبع منه اربعة آلاف نسخة وكان ذلك في عام ١٩٤٢

ثم اصدرنا بعد ذلك مجلة (حرية الشعوب) واعدنا كورس محاضرات
للاعضاء ، كانت اول محاضرة نيه بعنوان « عيوب المجتمع » وكانت تقدم
تفسيرا علميا لعيوب المجتمع ومصادرها الحقيقية واساليب التغلب عليها وكان
الهدف هو ان تضرب منذ البداية الاتجاهات الاصلاحية التي كانت تنتشر في
ذلك الحين

س : ما هي علاقاتكم بالمجموعات الاجنبية التي كانت مقيمة في مصر ؟
ج : كانت مصر في ايام الحرب مركزا دوليا هاما وكان بها حوالي ١٠
او ١٥ حكومة بالمنفى واستطيع ان اقول اننا حاولنا مساعدة جفيع المجموعات
الثورية والوطنية ساعدنا الالبانيين والاستراليين والانجليز واتصلنا
بمعسكرات الاسرى الايطاليين وكنا نهرب اليهم نشرات بالايطالية وكتبنا
ماركسية لتعزز نفوذ عناصر يسارية كانت موجودة معهم . . . وكذلك اتصلنا
بمعسكرات الاسرى الالمان وكان د عبد الفتاح القاضي يكتب نشرات باللغة
الالمانية ونرسلها اليهم لتوزع هناك

وكذلك اتصلنا باليونانيين وكانت الفرقة اليونانية بمصر على خلاف مع
قوات الاحتلال وكان يتزعمها شيوعي يوناني اسمه نيقوليديس وقامت الفرقة
بانتفاضة ضد الجيش الانجليزي لانهم كانوا يريدون السفر الى اليونان لتحرر
بلدهم . بينما الانجليز كانوا يريدون ارسالهم الى ايطاليا لاقصانهم بعيدا عن
اليونان وحتى يتخلصوا منهم لانهم شيوعيون

وقد هاجمتهم الاسكرا بخجة انهم يعرقلون معركة الحلفاء ضد الفاشية انما
نحن نقول اننا لسنا قضاة في هذا الموضوع وعلى اليونانيين ان يختاروا الموقف

الذي يريدون. لكن وإيجينا. ان يساعدهم كرفاق وقد حاصرتهم القوات الانجليزية في احد المباني بالاسكندرية وجنحت ح ٥٠م - كل اعضائها بالاسكندرية لمساعدتهم وكنا نهرب لهم الطعام والياتاه ٥٥٠ والمعلومات

س : لماذا لخذتم اسم الحركة المصرية للتحرر الوطني ولم تعلنوا من البداية تأسيس حزب شيوعي ؟

الحقيقة ان الكثيرين طالبوا بذلك. لكننا كنا نرى ان اعلان حزب يمكنه ان يعبر حقيقة عن آمال الجماهير المصرية يتطلب وقتا كثيرا وجهدا اكبر واعدادا سياسيا وماديا ونضاليا لم يكن متوفرا لنا ٥٠ كنا في بداية الطريق ولم يكن من السهل ان نعلن للجماهير ان هذا التكوين الضعيف هو الممثل الفعلي للبروليتارية المصرية

وهكذا اعلنا اننا حركة للتحرر الوطني تستهدف تحقيق عدة اهداف من بينها

- ١- تكوين حزب شيوعي مصري
- ٢- اصلاح زراعي
- ٣- تنظيم الكفاح المشترك مع الشعب السوداني

س : قامت ح ٥٠م على اساس تنظيم فتوى فهل كان هذا هو الشكل الصحيح لتنظيم شيوعي ؟

نعم. قام تنظيمنا في البداية على اساس اقسام فتوية بعضها قومي مثل قسم الارمن وقسم الدوبيين وقسم السودانيين وبعضها اجتماعي مثل اقسام النساء والطلبة والشباب والعمال

وقد يتصور البعض ان هذا خطأ لكنني اعتقد ان التنظيم اداة وان هذه الاداة يجب ان تتشكل بالشكل الملائم

فقد كنا مبتدئين وكنا بحاجة الى فهم القضايا الاجتماعية فهما اكثر عمقا ومهلا مشكلات النساء لا يمكن فهمها في ظل شكل الخلية العائلي المشتركة وانما من خلال تجميع النساء مما كان يمكن خلق طبيعة حقيقية لفئة معينة

والتشبيث الثاني الذي دمنا التي ذلك هو الامان فربط التوبيين معا والارمن معا والطلبة ٥٠ الخ - كان يمكن الكوادر من العمل بسهولة وفي ظل امان افضل ويصعبهم من اختيار افضل العياصر واكثرها اخلاصا
سنة ١٩٤٧م ١٩٤٧م ووجهنا بمشكلة تنظيم اعضائنا في كتلة الفواريد

فعاقل النفس، القام حذيتنا من الريف ينشط ويميش في ظل مجموعات من
البلديات، ومخدة المجموعه، تربط العامل اكثر مما ترتبطه صالة العمل ولهذا اقمنا
الخلايا ليس على اساس تقسيم العمل وانما على اساس البلديات مثلا، خلية
لابناء المنوفية وكان هذا الشكل حتى القاعدة فقط، وكان فعلا مفيدا جدا، ويحمي
الخلايا من تسلل البوليس.

لكن مثلا في شبوات الخيمة كان العمال اكثر تشددا، ولم تكن ميشكلة
البلديات حادة مثل كفر الدوار، فاقمنا التنظيم على اساس خلية المصنع.

وفي ح.م. كونا، مثلا، قسما للازهر، لاننا لو مزجنا المثقف الازهرى مع
المثقف المصري في بذاية العمل فان كلا منهما سيخسر بالتناقص، وكان
تخصيص قسم للازهر مسألة هامة، دفعت العطف الى الامام وادى الى انه كان لنا
قسم شيوعى كبير في الازهر، تقبعه خلايا في جميع المعاهد، سواء نجحنا في
الازهر لاننا فرضنا على العقلية الازهرية تغييرا عينا.

س. نه وماذا عن نشاطكم في الجيش ٩.

ج: بدأنا مع عمال سلاح الطيران ووجدنا انهم خاضعون لنظام عسكري
وليبر من الممكن تنظيمهم مع زملاء الاخوان، نفس الخطر، فاقمنا لهم
قنصا، خاصا، وعلى اية حال، كان لدينا في ح.م. صف ضباط فقط، وبعد الوحدة
قدمت اليسكر، ضابطا هو احمد حمروين، كان قد انضم اليها، عن طريق تنظيم
اللقطة، وبعد ذلك اتولى انضمام الضباط، فقد قام حمروين بتأسيس قسم
الجيش في وحيته.

وكان لدينا في ح.م. تجليل، طبقى الفئات الجيش هو
الجنود - قلاحين.

عمال الجيش - عمال

صف الضباط - برجوازية صغيرة

الضباط - برجوازية متوسطة

الضباط الكبار - برجوازيين مرتبطين بالمصالح الغنارية والملكية

وقد اتصلنا في ح.م. بعدد من الضباط منهم محمد نجيب وقد اتصلنا
به عن طريق احد اعضائنا النوبيين (صالح عزابي). وقد اتصل بي صالح
عزابي وقال ان ضابطا من اصطل سودانى يريد ان يعرف ما هو موقف
الشيوعيين من السودان، وكان هذا السؤال فرصة لبحث الموضوع واعيدنا
تقريزا مفصلا عن وجهة نظرنا في المسئلة، واعلنا فيه اننا نرفع شعار الكفاح

المشترك مع الشعب السوداني ضد العدو المشترك في مواجهة شعار نيل واجد
وطيك واجد . وبعد اتصالات عديدة مع محمد نجيب شعرنا انه لم يكن له تكوين
سياسي مجدد لكنه كان يواصل اتصالاته بالبنوادي النوبية - وبما ان النوبيين
هم اكثر الفئات فقرا - فانه كان قريبا من المفهوم الشعبى .

كذلك اتصلنا بصلاح سالم عن طريق الزميل الطيار ابراهيم العطار .

س : فما هي علاقة عبد الفتاح الشرقاوى بالتنظيم ؟

ج : كان عضوا في اللجنة المركزية للحركة المصرية وكان متقينا ويصلنى
باستمرار . والحقيقة انه انضم الينا وهو ضدنا لاننا غير مصريين ؛ لكنه
انضم الينا ليكسب الخبرة ليؤسس تنظيما جديدا ؛ وفعلا انسحب الشرقاوى
يوم ١٦ اكتوبر ١٩٤٥ مغنيا فشلنا ومؤكدا ان البلاد تمر بفترة حرجا شديد .
كذلك كان احد اسباب الخلاف هو مسألة الدين فهو لم يكن يكتفى بموقفنا
الاجابى من الدين لكنه كان يفهم الماركسية فهما اسلاميا صرفا .

س : بلغت نظرى انك حددت يوم ١٦ اكتوبر ١٩٤٥ للخلاف حول مسألة
المد والحزر في الثورة المصرية فهل لهذا التاريخ صلة بهذا الخلاف ؟

ج : طبعا . والحقيقة اننا عندما اقتربت الحرب من نهايتها طرحنا
السؤال التالي هل نستشهد فترة ما بعد الحرب مدا ثوريا في مصر ام العكس ؟ كنا
نحن نقول ان الفترة القادمة فترة مد وان المظاهرات الوطنية ستفجر مطالبنا
بالاستقلال التام . وان علينا ان نستعد لنلعب دورا اساسيا في هذه الحركة .

لكن المنظمات الاخرى حطت الموقف بصورة اخرى فقالوا ان الوفد مطرود
من الحكم وان حكومية احمد ماهر قررت الدخول في مفاوضات الانجليز وان
الرجعية ترى ان معاهدة ١٩٣٦ تضمنت نقضا في الاستقلال والمطلوب هو
مفاوضات لاستكمال هذا النقص .

١ وكان تقديرا ان المظاهرات ستفجر في ٦ اكتوبر ١٩٤٥ وهو موعد بدء
الدراسة في الجامعة .

وفي ٥ اكتوبر اصدرت ح . م . منشورا الى جنود الجيش والبوليس تقول
لهم فيه انهم جزء من القوى الوطنية المعادية للاستعمار ويجب الا يسمحوا
لانفسهم بان يستخدموا لضرب مظاهرات الطلبة التي ستتطلع عدا .

لكن ٦ اكتوبر ياتى ولم تقم مظاهرات وتهدمت علينا كل المنظمات وثار
عبد الفتاح الشرقاوى وقال انتم فشلتم وتطيلتكم خاطئة لكننا قلنا نحن لم
نهزم وانما الذى هزم هو القيادات التقليدية للحركة الوطنية لانها عجزت عن
قيادة الحركة الوطنية في ظل الشعارات الملائمة وطرح علينا هذا واجبات جديدة .

من العمل على تكوين قيادة وطنية جديدة تعود العنق السياسي والوطني وهدانا
في تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال

وطبعا قامت هذه اللجنة باضرابات ومظاهرات ضخمة جدا. اكدت صحة
تحليلنا السابق . . .

س : اريد ان نتحدث عن تجرية الوحدة بين ح . م . وايسكورا . . .

ج : كنا دائما نشمى للتوحيد . وكان من شروط الوحدة انعقاد الاجانب
وفعلا كونا قسما للاجانب ابعدنا اليه جميع الاجانب ما عدا انا وميلال سوارتز
وبهذا تم التمسير بشكل فعلي وحيدنيا رايات الكيفاح الجديدة لنا وهي
الديمقراطية والتحرر الوطني وهكذا اسمينا التنظيم الجديد الحركة الديمقراطية
للتحرر الوطني ح . د . ت . و . لكننا لم نكن نتصور ان هدفنا هو الحزب بل
كانت خطوة في سبيل السعي لاقامة الحزب . . .

وبعد ذلك اعلنا هدف التعميل وتصورنا انه يمكن انجاز مهمة التعميل
بنفس الاسلوب الذي اتبعناه في التمسير . وهكذا كونا اقتساما غير عمالية ثم
قسما للعمال ابعد عنه كل من هليل وانا وقلنا ان مهمة قسم العمال ليس مجرد
توزيع النشاط وسط العمال وانما ان يتحول بنفسه ليصبح هو الحزب وكان
على رأس القسم اربعة من المصريين سيد رفاغي - محمد شطا - شهدي عطية
- عبد المعبود الجبيلي . . .

وقد وقعنا في خطأ كبير فان عملية التمسير تمت بالتصعيد السريع لعناصر
مضرية الى القيادة وتدريبها وترتيبها من خلال الممارسة نفسها وتصورنا انه
يمكن التعميل بنفس الطريقة ان تصعد عمالا بغض النظر عن مستواهم الفكري
الى صفوف القيادة . . . وضعنا الى القيادة عددا كبيرا من العمال بقصد ان
نشعر العمال انهم المالك الحقيقيين للتنظيم . . .

لكن من هم العمال ؟ هذا هو السؤال الذي حاولنا ان نجيب عليه . وقلنا
ان التعميل بالمعنى النظري والثوري هو ضم طلائع العمال في المراكز العمالية
الكبرى . . . وهذا يعني في ظروف مصر ضم قيادات عمال النسيج وعمال النسيج
المصريين كانوا في ذلك الحين ثوريين لكنهم كانوا بشكل عام غير متعلمين
وأدى التصعيد السريع للعمال الى اضعاف التكوين الفكري لقيادة التنظيم في
ظروف بدأ التنظيم يتعرض فيها لصعوبات تنظيمية وتواجهت مشكلات
نظريات وفكرية خطيرة . . .

كذلك أعاق عملية التمهيد. إن المثقفين المصريين في قيادة التنظيم قالوا
إن المسألة للواسعة بين الأجنبي والمصري حيث التمهيد، لكن هذه المسألة تنقل
كثيرا فيما بين المثقف والعمال المصريين . وكان بعض المثقفين يشعرون بالخطر
على مراكزهم من التعميل وكان البعض يشعر بمخاطر انخفاض المستوى النظري
للقيادة وعلى أية حال أدى هذا الموضوع الى خلاقات عميقة في قيادة إحديتنا .

وفي هذه الظروف بدأت الرجعية في الضغط على الحركة . وأدى الضغط
بالضرورة الى توليد اتجاهات متطرفة متصارا فانقسمت مجموعة م ش م .
واتجاهات متطرفة يمينيا مثل مجموعة فوزى جرجيس التي رفعت شعار احناء
الزواجر للعاصفة .

وتمتادى ايضا الى العاصف . مواجهاة التنظيم للضغط للرجعي ان هذا
الضغط توجه الينا بقدم يضم مجموعات ضعيفة من الناحية النضالية (مثل
كثير من عناصر ايسكرا) .

س : ما هي القصة الحقيقية لزيارة اندريه مارتى لك في القاهرة وما هي
حقيقة علاقتك به ؟

بيته : زوجتي كانت تعمل مترجمة لدى وفد فرنسا الجرة بالقاهرة .
وهناك قابلت مارتى وكان قائما من موسكو دعته هو وزوجته للإقامة في شقتنا
مقبيل علي الفور وعندما سألناه فيما بعد عن سر قبوله السريع قال انهم
جنوه في موسكو من أن القاهرة مليئة بالجواسيس ولهذا فضل الا يقسم في
مناق مع مناقشات حول الوضع في مصر . وأجبرته علي أن يقابل
قائد المجموعة الشيوعية في الفرقة اليونانية المسلحة بمصر الرفيق نيقوليفيس
وكان مارتى متحمدا في الإقامة أي اتصال نياى انسان لكننى أصريت . وبعد
ذلك نيامت مارتى الى الجزائر واستمرينا في إرسال كتب ونشرات اليه . وفي
أر ١٩٤٩ اسافرت زوجتي الي باريس وكانت صحيفة للزوجة مارتى مقابلتها
ونقلت اليها وجهيات نظرا للسياسية لتتقلها الى الحزب الفرنسى . وطلبت
منها ان تتصل بجارودى ليكتب مقدمة للترجمة العربية لكتابه الذي كتب
قد قرنا طبعه في سلسلة الكتب الخضراء . فعلا كتب جارودى مقدمة
ممتازة .

في ١٩٥٥ عندما طردت من مصر الي ايطاليا ثم طردت من ايطاليا
فيستقرت الي باريس فتمت نمى للمكتب السياسي للحزب الفرنسى فقالوا لي
قابل مارتى ومقابلته وطلب تقديرا عن تطورات الظروف السياسية في مصر
فأعدت له التقرير وبعد ذلك فواجهنا بأن الحزب بطرد مارتى ويتهمه
بالجاشونية فكتبنا تقريرا الى الحزب الفرنسى اشرنا فيه الي مقابلتنا السابقة
معه وشرحنا وجهة نظرا في اتهام مارتى .

وبعد أيام فوجدنا بالأمم المتحدة تنشر تقريراً للمكتب السياسي يقول
إن مارتى كان على علاقة باثنين من المصريين مشكوك فيهما وهذان الاثنان هما
أنا وزوجتي

وبعد ذلك كتبت الى الحزب رسالة قلت فيها اننا لا نوافق على رأيهم
لكننا لن نقول شيئاً حتى لا نضعف مركز الحزب في المعركة مع مارتى

والحقيقة أن سبب الخلاف بيني وبين الحزب الفرنسي والإيطالي
يرجع الى اختلاف معهم في المواقف والتحليلات السياسية ازاء مصر . فعندما
القيت معاهدة ٣٦ قالوا ان ذلك تعبيراً عن التقود الامريكى ورفضنا هذا
التحليل . وعندما قامت ثورة يوليو هاجمواها بينما أيدتها أنا .

وهكذا فان أسباب الخلاف هي في الأساس أسباب سياسية

انتهى النقاش

محضر نقاش مع عبده دهب حسين *

تم النقاش في الخرطوم ١٨/١٠/١٩٦٩

س : كيف بدأت علاقتك بالعمل السياسي في مصر ؟
ج : في عام ١٩٣٥ بدأت حياتي السياسية وأنا شاب صغير في وادي حلفا واتصلت بحزب مصر الفتاة وكان له فرع بوادي حلفا لقربها من مصر وللتعريف عن تصميم الحزب على وحدة وادي النيل . ولبيت القميص الاخضر . واستدعاني حاكم البلدة وهو انجليزي وطلب الي خلع هذا القميص فرفضت . فبدأ في اضطهادي . وبعد ذلك غادرت حلفا الى القاهرة وعملت هناك مع حزب مصر الفتاة . وقد طلب الي قادة الحزب ان تعمل لدى الايطاليين (لتعريف العلاقة بالفاشست) وعملت فعلا في حمام سباحة بالهرم مملوك للايطاليين .

وفي هذه الاثناء كنت متحمسا جدا ضد الانجليز وشعر بحماسي ايطالي شيوعي اسمه ماريو كان يعمل في نفس النادي فسألني لماذا أنت متحمس ضد الانجليز ؟ فقلت لانهم يستعمرون بلادنا . فقال ولماذا تحب ايطاليا فقلت لكي تخلصنا من الانجليز .

وضحك ماريو وأخذ كحادثتي طويلا عن فكرة الاستعمار وكيف ان الايطاليين يحاولون طرد الانجليز من مصر ليحلوا محلهم .

وبدا ماريو تدريس الماركسية لي وأفهمني ان الدولة الوحيدة التي يمكن ان تساعدنا مساعدة جدية هي روسيا .

* عبده دهب حسين . سوداني من وادي حلفا قضى فترة طويلة من حياته (١٩٣٥ - ١٩٥٠) بالقاهرة وكان من أوائل الذين انضموا الى النادي الديمقراطي ثم الى الحركة المصرية للتحرير الوطني . لعب دورا كبيرا في تأسيس الحركة السودانية للتحرير الوطني . عندما عاد الى السودان مارس نشاطه لفترة من الوقت ثم ابتعد عن التنظيم بسبب بعض الخلافات . ويعمل الآن بالتجارة . يحتفظ بمذكرات يومية عن نشاطه وذاكرته قوية .

من مواليد ١٩١٧

وفي سنة ١٩٣٩ بدأت حملة اعتقالات ضد الإيطاليين وبعيما جاء
البوليس ليقبض على ماريو قال لي حاول الاتصال بهنري كوريبيل او مارسيل
اسرائيل . لكنه لم يعطني أية عناوين . ولم أستطع ان أعثر عليهما .

وكانت الافكار التي علمني ماريو اياها تشكل حاجزا بيني وبين مصر
الفتاة قيدات في الانشقاق عنها وفعلا انقسمت عن مصر الفتاة انا وعصام
عبد المعطي وفهمي عقل وحتن كمال وآخرين مكونين تنظيمًا جديدًا اسمه
« كتلة الشباب المصري » وأصدرنا مجلة اسمها « الجلاء » كان مقرها شارع
سليمان باشا .

س : هؤلاء الذين كونوا معك « كتلة الشباب المصري » هل كانوا جميعًا
يساريين ؟

ج : لا . . . أنا وعصام عبد المعطي فقط . . .

س : وكيف اتصلت بالشيوعيين ؟

ج : كنت أشعر أنني بحاجة إلى الثقافة وكنا نبحث في الصحف
عن الاعلانات التي تنشر عن المحاضرات والندوات في الاندية المختلفة . وذات
يوم من أيام عام ١٩٣٩ قرأت عن مناظرة ستجرى في مقر النادى الديمقراطى
بشارع سكة الفضل حول المرأة المصرية والمرأة الاوربية بين الاستاذين يسلمه
موسى وزكى مبارك . وذهبت لحضور هذه المناظرة واشتركت في نقاش عنيف
ضد زكى مبارك . وبعد ان انتهت المناظرة تقدم الى شخص اجنبى وطلب
منى ان أدخل معه أحد المكاتب حيث وجدت بعض الأشخاص . وسألني
هذا الشخص الذي علمت فيما بعد انه هليل شوارتز . هل أنت عبيده
ذهب . . .

فقلت نعم . . . فقال : اننا نبحث عنك من زمن طويل . . .

وآر نقاش حول الاوضاع في السودان ونظم التعليم هناك لكن النقاش
كان محصورا بيني وبين شوارتز اما الآخرون فلم يشتركوا فيه . وكانوا هنري
كوريبيل وبولا العلايلي ومارسيل اسرائيل . . .

وعندما كنت أوشك على مغادرة المكتب طلب منى هنري كوريبيل موعدا
وقابلته بعد أيام في مكتبه بشارع الشواربى . حيث حدثني طويلا عن
رغبته في تأسيس مجلة تعمل على نشر الوعي في مصر . . .

وكلفني ان أبحث عن مجلة مصرية لاستئجارها حيث يصعب على أشخاص
مثلهم الحصول على زخمة مجلة . وفعلا استأجرت مجلة « حرية الشعوب » .

وكان يصدرها شخص اسمه رجب أحمد وهو شخص غايب جدا لم تكن لديه أية مؤيرون شائنة رغم هذا الاسم الذي أطلقه على مجلته وكان الأبخاز المتفق عليه ١٥٠ مؤيرون شهريا ارتفعت إلى ٢٥٠ بعد أن بدأت مضايقات البوليس

واحتفظنا باسم المجلة واضفنا شعارا يقول انهما مجلة مصرية سودانية

س : هل كان يعمل معك على اصدار هذه المجلة ؟

ج : كثيرون جمعهم معي كورثيل مثل سيد قنديل وهو نقابي مشهور ونقابي آخر اسمه زكي أبو الخير ومن السودانيين محيي الدين صابر وعقدا آخر من أعضاء النادي الديمقراطي ويقل يوسف برويش وايزاك عبود وقد اختلفا لأنهما يجيدان اللغة العربية

س : هل اكنتمتم باصدار المجلة ؟

ج : لا .. فهنرى كوريبيل كان ينظم مع كل مناصرات للماركسية ويطلب بالحاح كتب المزيد من العناصر المصرية وفيلا كسينيا معنا اسعد حليم انون كامل ، مصطفى كامل منيب

س : كيف تأسيس التنظيم ؟

ج : واضح ان النادي الديمقراطي كان نجما يستهدف خلق حركات ماركسية تتكيف تكوين تنظيم فيما بعد وواضح انه كان هناك خلاف حول اسلوب العمل .. لكننا لم نكن نعلم أي شيء عن هذا الخلاف وفجأة وجهت إلى الدعوة لتضور اجتماع في منزل شخص عرفت فيما بعد انه جوماتالون وكان الاجتماع ساخنا جدا ودار فيه نقاش حاد . وفي البداية احسست اني لا افهم شيئا وبالتدريج فهمت ان هناك خلافا بين كوريبيل وشوارتز

وفي هنرى كوريبيل وفي يده تقرير مكتوب باللغة الفرنسية لكنه كان يترجمه فوراً إلى العربية وتحدث طويلاً عن أهمية تشكيل تنظيم يقود معركة التحرر الوطني وتحدث عن أهمية تخصيص هذا التنظيم بحيث تكون عضوية أعضاء اللجان القيادية من المصريين وقال انه يعلم انه لا توجد كواد مصرية كافية لكنهم سيتدربون من خلال ممارسة المسئولية

وتحدث شوارتز فأيدي فكرة تأسيس منظمة لكنه عارض فكرة اشتراط ان تكون غالبية المستويات القيادية من المصريين وأفكر انه قال ان لينين كتب مقابلاً في العدد ٢٨ من الايسكرا ، قال فيه انه يمكن لطلاب اجنبية ان تلعب الدور القيادي في التنظيم في بلد مختلف

وتحدث جورج حنين قائلا ان وخيبة نظر كوريبيل صنيحة بشرط ان يتم ابعاد كوريبيل نفسه لانه اجنبي

وتحدثت كوريبيل قائلا ثبانه مستعد ان يوجد في اللجنة المركزية كمفتوح مرشح بدون صوت وبعد مناقشات حادة انفض الاجتماع دون اتفاق وبدأت بعده سلسلة من الاتصالات الفرعية

س : هل تذكر أسماء بعض الذين حضروا هذا الاجتماع ؟

ج : اذكر البعض عصام الدين حنفي ناصف - بولا الغلايلى - جورج حنين - عبد الفتاح القاضي - وآخرين

س : ماذا حدث بعد ذلك ؟

ج : اتصل بي كوريبيل واتصل بي جورج حنين وعصام ناصف يعرضون فكرة تأسيس تنظيم مستقل بعيدا عن كوريبيل وشوارتز وشعرت ان لديهما ميولا تروتسكية : وناقشني شوارتز وكان يردد باستمرار روايته عن مقال لينين بالايسكرا حتى اطلقنا عليه تهكما اسم « ايسكرا » واطلق هذا الاسم على التنظيم الذى أسسه فيما بعد

وبعد تفكير اخترت ان اعمل مع كوريبيل ومكثا شهدت مولد الحركة المصرية للتحزب الوطنى (ح : م : ت : ز)

س : هل انتم من ذلك انك شاركت في التأسيس ؟

ج : نعم كنت احد اعضاء اول لجنة مركزية

س : هل تذكر أسماء بعض من كانوا معك في اللجنة المركزية ؟

ج : اذكر تحسين المصري - د : عبد الفتاح القاضي - محمود كامل - د : زكى هاشم - أحمد الدمرداش توفى - هنري كوريبيل - اسمعيل طيم - أسماء البقلی

س : وماذا فعل الآخرون ؟

ج : شوارتز كون « الايسكرا » ومارسيل اسراييل كون « الخبز والحرية »

س : هل يمكن ان تسرد لي بايجاز تطورات نشاط ح : م : ت : ز في الفترة الاولى من تاسيسها ؟

ج : في البداية بدأنا عملية تجنيد واسعة واتصالات على نطاق كبير وبعد سنة تقريبا رفع كوريبيل شعار « التعميل » وهو داه ان تصعد الى اللجان القيادية عناصر عمالية وكان لنا نشاط واسع وسط ميكانيكى السلاح

البحري ووسط عمال النسيج قصعد إلى القيادة شيد سليمان زقاعن وفؤاد هبشي (من السلاح الجوي) ومحمد محمد شطا (النسيج) والحقيقة أن سيد زقاعن وفؤاد جيشي قد استطاعا أن يؤسسا تنظيما قويا جدا داخل سلاح الطيران وبالذات وسط خريجي مدرسة ميكانيكا الطيران

وتبعد مدة امتد نشاطنا وسط اتحاد خريجي المدارس الصناعية وأنكر من بينهم يوسف بديرا محمد على

ومن خلال هذه التجمعات الكبيرة أمكن توسيع نشاطنا إلى حد كبير

س : هل كنتم تصدرون مجلة في ذلك الحين ؟

ج : نعم استمرت مطة حرية الشعوب لسانا لنا وكنت أنا المسئول عن المجلة وعن تحريرها . وعندما سافرت فيما بعد إلى السودان بتكليف من التنظيم تولت أسماء البقلبي مسئولية المجلة لكنها حولتها إلى مجلة نسائية الأمر الذي أثار انتقادات كثيرة .

س : كيف تطورت علاقاتكم بايسكرا ؟

ج : في البداية لم تكن نشعر بالتناقض معهم . ولكن مع امتداد نشاط كتلا التنظيمين في مجالات عديدة الجامعة - الحركة العمالية وغيرها بدأ الاحتكاك بين قواعد التنظيمين .

س : هل كانت لكم علاقات بأحزاب أجنبية أو عناصر منضمة لهذه الأحزاب ؟

ج : كان هناك ضباط وجنود شيوعيون في قوات الاحتلال . لكنهم لم ينضموا للتنظيم وكانوا يتصلون بكورييل شخصيا . وأعرف أنهم قدموا لنا مساعدات كثيرة .

س : متى بدأت في جذب عناصر سودانية إلى الحركة ؟

ج : أذكر أنه في عام ١٩٤٢ كلفني التنظيم بالاهتمام بتجنيد عناصر سودانية . وبعد ذلك كلفت بالسفر إلى السودان للاتصال بمجموعة شيوعية سمعنا أنها موجودة هناك .

وفي ١٩٤٣ وصلت إلى الخرطوم وقابلت أخذ مؤسسى هذه المجموعة وهو ضابط إنجليزي اسمه « استورى » وقد تحدثت معي طويلا عن صعوبة العقل وسط السودانيين خاصة وأنه ضابط في قوات الاحتلال . وقال أنه رغم

ما يذل من جهود لم يستطع أن يجند سوى شخصين فقط هما أحمد زين
العابدين (طالب في كلية غردون وأصبح فيما بعد وزيرا) وحسن الطاهر
زروق (مدرس)

وبقيت في الخرطوم شهرين استقطعت خلالهما أن أتصل ببعض قراء
مجلتنا « حرية الشعوب » .

وقبل أن أعاد الخرطوم دعائى الى منزله مهندس اسمه حسن أبو جبل
وهناك وجدت ما يقرب من عشرين شخصا وطلبوا الى ان اتحدث معهم
عن الماركسية وبمعد حديث طويل أعلن حسن أبو جبل اقتناعه وضمته الى
زين العابدين وزروق .

وأذكر أنه خلال مناقشاتي مع « استورى » قال لى أنه يعلم اننا قد
جئنا في القاهرة عددا من الطلاب السودانيين وطالب بضمهم الى مجموعته
التي يزمع أن يلحقها بنشاط الحزب الشيوعى الانجليزى .

وعند عودتى عرضت ذلك على اللجنة المركزية وعارض كورييل بشدة
وأثبت في محضر الاجتماع أن السودانيين الشيوعيين الموجودين بمصر هم جزء
من الحركة المصرية وان علينا أن نسرع بتكوين قسم مستقل لهم يعمل
وسط السودانيين في مصر تمهيدا لتأسيس تنظيم مستقل في السودان . وفعلا
تكون هذا القسم سريعا وكان اسمه الحركى « شركة الملح والنودا » .

س : هل تذكر أسماء الأعضاء الاول في هذا القسم ؟

ج : د : عبد الوهاب زين العابدين - محمد أمين حسين - عبد الرحيم
مودة - د : عز الدين على عامر وعبد الماجد أبو حسبو - حسن اسماعيل .

س : من كان مسئول القسم السودانى ؟

ج : الحقيقة أن لجنتنا المركزية اتخذت قرارا بأن تضم الى صفوفها
باستمرار اثنين يمثلان القسم السودانى وأول اثنين كنا أنا وعبد الماجد
أبو حسبو . وكنت أنا لفترة مسئولاً عن القسم السودانى .

س : متى بدأ الاستقلال الفعلى للتنظيم في السودان ؟

ج : في ١٩٤٥ وصل الى مصر شخصان موفدان من قبل د : عبد الوهاب
زين العابدين وهما حسن الطاهر وزروق والمهندس عبد الحميد أبو القاسم .
وعقد اجتماع ضم قادة القسم السودانى بالقاهرة ومندوبى الخرطوم .

وعقدنا من المصريين منهم كورسيل و... مع عبد الفتاح القاضي وتخصيص المصري
وكان الاجتماع في منزل كورسيل.

وقدم التدويان تقريرا يطالبان فيه بتشكيل تنظيم مستقل له قيادة
مستقلة ووافق المجتمعون على ذلك.

واتفق على أن يستمر السودانيون المقيمون في القاهرة أعضاء في ح.م.

واتفق على أنه في حالة عودتهم الى السودان ينضمون الى التنظيم
هناك في نفس المستوى الذي كانوا يعملون فيه في القاهرة.

واتفق ايضا على أنه في حالة انتقال أي سوداني لاقامة في مصر ولو
بصفة مؤقتة ينضم الى المستوى المقابل في ح.م.

واتفق على تسمية التنظيم السوداني الحركة السودانية للتحرر الوطني
(ح.م.ت.و.)

س : هل كان للتنظيمات الاخرى نشاط وسط السودانين ؟

ج : لا اعتقد وأذكر أن سوارتز عندما أحس بنشاط القسم السوداني
وبتأسيس ح.م.ت.و. تقدم التي ح.م.م. بطلب رسمي من ضمن السماح للسودانيين
بالعمل لفترة مع المنظمات المختلفة حتى يتكسبوا خبرات متنوعة . ولكن
طلبه رفض .

س : سمعت أنك كنت على علاقة بتأسيس القسم النوبي في ح.م.
هل هذا صحيح ؟

ج : سأعذتي على الارتباط بالتوبيين انتي نوبي سوداني وقد اتصلت
بعدها من النوبيين منهم محمد خليل قاسم وشخص آخر اتهمه شريف . وعن
طريقتي اتسع النشاط جدا وسط النوبيين وتكون قسم ضخيم وساعد على ذلك
ترابط النوبيين والازمة التي كانوا يعيشون فيها عقب التهجير .

س : هل كانت هناك اقسام اخرى في ح.م.م. ؟
ج : كان هناك قسم الارمن . لكن لا علاقة لي به .

س : هل كان لكم نشاط وسط عناصر اجنبية اخرى ؟

ج : كنا نسعى دوما للبحث عن عناصر تساعد على امتداد النشاط
الماركسي الى أي مكان في العالم .

وأذكر أنه خلال علاقتي بالطلبة السودانيين في مدرسة حلوان تعرفت
في ١٩٤١ بشاب حبشي متحمس اسمه « ملاس بوجوتي » وبدأت في المناقشة
معه ولما علم كورسيل طلب الي الاهتمام به .

...وأصبح، وبوجوتى، عضواً فى ربح ثم تركنا نشاطه، باستمرار بالتركيز على
دراسة مشكلات زيادة وتقسيم أبحاث عنها. دعوى ١٩٤٢م، أتم دراسته
الثانوية، وقرن الأبحاث بالجامعة. لكن، كوريل، اجتمع به، وأقنعه بأهمية
السفر إلى الحبشة لتأسيس تنظيم، ماركسى، هناك. وأنكر إنساناً قدمنا له
مساعداً وكثيراً جداً، وسافر، بوجوتى، وظل، يرأسنا لفترة طويلة، ويرسل لنا
تقارير عن تطورات نشاطه وكنا طوال هذه المدة بتقسيمه كل ما يطلب
من مساعدات مالية وكتب وغيرها.

وبوجوتى هو الآن أحد قادة الحزب الشيوعى فى الحبشة.

وأنكر أيضاً، أننا اتصلنا ببعض الطلاب اليمنيين وبعض اليمنيين
الذين وصلوا للتدريب فى مصلحة البريد وحاولنا تجنيد بعضهم، وأعطينا
لهم كميات كبيرة من النشرات والكتب قبل سفرهم.

س : ما هى قصة تأسيس مجلة أم درمان ؟
ج : كان هناك صراع بين شمارين شعار يرفعه الشيوعيون « الكفاح
المشترك - مع حق تقرير المصير » وشعار الأحزاب الأخرى « وحدة وادى النيل
تحت التاج المصرى » وكان يؤيده من السودانيين فى القاهرة على التفرقة.

وعلمنا أن القصر الملكى سيصدر مجلة اسمها السودان وسرناش تحريزها
على البريد للدعوة لشعار وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى.

فأسرنا، باصدار مجلة لنا.

وفى البداية طلبنا ترخيصاً لمجلة باسم « مجلة الكفاح المشترك » ورفضت
وزارة الداخلية مقدهنا طلباً آخر لمجلة باسم « أم درمان » ورفض طلبنا
أيضاً.

لكن أحمد الدمرداش التونى وهو زوج ابنة محمد محمود جلال استطاع
أن يفتح صهره الذى كان نائباً فى البرلمان بأن هذه المجلة ستحمل لواء الدعوة
لمبادئ الحزب الوطنى وتقدم النائب محمد محمود جلال بضمانة للمجلة أمام
السلطات.

وبناء على وساطة محمد محمود جلال استقبلنى رئيس الوزراء حسن
باشا صبرى فى كلوب محمد على وأبلغنى أنهم سيعطوننا ترخيص المجلة وضحك
وقال وان كنت أعتقد أن اسمها الحقيقى سيكون « موسكو » وليس « أم درمان ».

• وصدر الامتياز باسم محمد امين حسين لانه كان اكبرنا سينا وكنت انا رئيس التحرير وقد لعبت الجريدة دورا كبيرا. ضايق المرابي • الى حد ان احد سكرتيرئ الملك وهو حسن بك حسنى اتصل بى وعرض على ٢٠٠٠ جنيه مقابل ان اغلق المجلة وان اسافر الى السودان • فلما رفضت هددنى بالقتل • وطُلبت عقد اجتماع عاجل للجنة المركزية وعرضت عليهم الامر وقررنا ان نتخدي هذا التهديد :

س : هل لعبت ام درمان دورا في السودان ؟

ج : لعبت دورا كبيرا جدا • وقد صادرتها سلطات الاحتلال ومنعتها من الدخول الى السودان لكنها كانت تهرب لبيع العبد الواحد بخمسة وعشرين قرشا •

وفيما بعد قالت احدى الصحف السودانية وهي « الراى العام » ان ام درمان كانت حاملة لواء طرد الاستعمار من السودان •

س : ما هو رقم توزيع ام درمان ؟

ج : في البداية كتب نوزع ٣٠٠٠ نسخة ثم ارتفع الرقم في ١٩٤٦ وعندما صاها صدى كانت توزع ٨٠٠٠ نسخة وكان معظم التوزيع يتم بواسطة الاعضاء والعاطفين •

س : ارتبط اسمك ايضا بمجلة الجماهير فما قضتها ؟

ج : الجماهير كانت اصلا مجلة ايسكرا قبل ان نتحد معهم • وعندما اتحدنا في الحركة الديمقراطية كان الاتفاق ان يكون المسئول السياسى والتنظيمى في جميع المستويات من ح م • ومسئول الدعاية ومسئول العمل الجماهيرى من ايسكرا •

ونتيجة للوحدة صار ضمى الى « الجماهير » كمسئول سياسى لكن شهدي عطية المسئول السياسى للمجلة ايام ايسكرا لم يقبل هذا الوضع • وبعد صراع اتفق على ان تشرف ل م • مباشرة على المجلة وقد بلغ توزيع الجماهير ١٢ الفيا •

س : كم كان عدد اعضاء ح م • ؟

ج : عند الوحدة مع ايسكرا قمنا بحصر للاعضاء وبلغ عددهم ١٨٠٠

انتهى النقاش

المراجع

مراجع عربية ومترجمة

- أمين عز الدين - المنصوري سيرة مثقف ثوري
- اسماعيل مظهر - الاشتراكية
- السيد محمد عفيفي البقلي - فوائد الثورات الاحممية في المباحث الاقتصادية والسياسية
- آثار الزعيم سعد زغلول - عهد وزارة الشعب - جمعها ورتبها محمد ابراهيم الحريري
- احمد الصاوي محمد - ما قل ودل - الجزء الاول
- احمد شفيق باشا - حوليات مصر السياسية - الأجزاء ٣، ٤، ٥
- أمين عز الدين - شخصيات ومراحل عمالية
- القائد القوية - خطب وأحاديث حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا
- اليايس مرقص - تاريخ الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي - ١٩٦٤
- اليايس مرقص - الاممية الشيوعية والثورة العربية
- د. رفعت السعيد - عصام الدين حفني ناصف - سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي
- د. رفعت السعيد - نقولا الحداد - سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي
- رؤوف عباس - الحركة العمالية في مصر
- سمير غريب - السيريلية في مصر
- صالح علي عيسى السوداني - الاسرار السياسية لابطال الثورة المصرية ، وآراء الدكتور محجوب ثابت
- صديق رسول القادري - الميجر جنرال - مذكرات القادري - ترجمة القاسم العلوي
- عبد النعم الغزالي - تاريخ الحركة النقابية المصرية
- عبد العظيم رمضان - تطور الحركة الوطنية في مصر

في الدولية الشيوعية قبل المؤتمر السابع - تقرير بالالمانية
- د. محمد انيس - الحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار الاوربي -
سلسلة محاضرات المهدي العالي للدراسات الاشتراكية (غير
منشور)

دوريات عربية :

اتحاد العمال

الاتحاد

التطور

الأحرار الدستوريين

الأخبار (جريدة الحزب الوطني)

الأخبار (الحالية)

الف - باء (اللبنانية)

الفن والحرية (مطبوعة بالرونيو)

الإذاعة والتلفزيون

الأمثل

الأمرام

البلاغ

التطور

الجهاد

روح العصر

الرقيب

روزا اليوسف

السياسة (الاسبوعية)

شبرا

العصيان (١٩٢٤ - ١٩٢٥)

العمّون
الفلاح الاقتصادى
كوكب الشرق
الكشكول
كل شيء والدنيا
اللطائف المصورة
اللواء
الطلائع
المجلة
المجلة الجديدة
المقتطف
المنرى
المصور
الهلال
دوريات اجنبية

Unéffort

The Communist International

The Egyptian Gazette

International Press Correspondence

The Labour Monthly

Savoir Vivre

Ecs Humbles

Don Quichotte

Revolutsionnyi Vostok

(باللغة الروسية)

فهرست الجزء الثانى

٢٦١ ليست مقدمة

- القسم الأول -

مصر الثلاثينيات ؟

٢٦٧ الصراعات الفكرية والسياسية بين اليمين واليسار

- ١ -

اليمين

٢٧٠ * حرب الدعاية

٢٨٠ * قادة برجوازيون للطبقة العاملة

٢٩٨ * ... وللفلاحين ايضا

٤١٠ * الفاشست ينشطون

- ٢ -

٤١٨ * موجات من الدعاية الاشتراكية

اليسار

٤٣٧ * مسرحية سكلاتقلا

٤٤٣ * عبد الرحمن فضل .. يعدل قانون الجنسية

٤٥٥ * تهادنت قيادة الوفد فتحالف المستضعفون

٥٢٢ * العرابى - ناصف - القاضى - جماعة التمسك بالقانونية

* جورج جنين - زمسيس يونان - انور كامل

٥٣٥ هل الفن وحده يكفى ؟

٥٤٥ * بعض القضايا الايديولوجية

٥٦٧ * كلمة أخيرة

- القسم الثالث -

ملاحق

(١) وثائق ابيولوجية :

- ٥٧٢ * برنامج لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين
٥٧٤ * بلا مخرج - مقال - ا. الجبالي
٥٧٨ * الحزب الذي يثرثر كثيرا - مقال - ا. الجبالي
٥٨١ * برنامج ديكتاتورية محمود في مصر - مقال - ج. ب.
٥٨٤ * الازمة والمد الثورى في مصر - مقال - انيجدور
* موقف اللجنة المركزية للحزب الشيوعى في فلسطين وسوريا
٥٨٦ من الانقلاب في مصر

(٢) اوراق قضائية :

- ٥٨٨ * قرار الاتهام في قضية الشيوعية ٨ سبتمبر ١٩٢٥
٥٩٢ * مرسوم ملكى باسقاط الجنسية عن ثمانية من المصريين
* حيثيات الحكم ببراءة عصام الدين ناصف في القضية ٣٤٤ كلى
٥٩٣ الاسكندرية لسنة ١٩٣١
٦٠٦ * محضر تحقيق النيابة العسكرية مع انور كامل
* مذكرة من حكمدارية بوليس مصر عن هنرى كورييل
(مذكرتان)
٦٢٢

- ٦٢٦ * مذكرة من حكمدارية بوليس مصر عن الجبهة الاشتراكية

(٣) وثائق حول موضوع س كلا تفالا :

- ٦٣٠ * معلومات عن س كلا تفالا (وثائق وزارة الخارجية البريطانية)
* نداء من س كلا تفالا الى شعب مصر (وثائق وزارة الخارجية
البريطانية)
٦٣١ * رسالة من س كلا تفالا الى عدلى باشا يكن (وثائق وزارة

* مناقشات في البرلمان المصري (مضابط مجلس النواب

(المصري)

* ملخص لترجمة مقال في جريدة « بفر اسلام » الملاوية (وثائق

وزارة الخارجية البريطانية)

(٤) تقارير شخصية ومحاضر نقاش :

* محضر نقاش مع محمد دويدار

* محضر نقاش مع انوار ليمى

* محضر نقاش مع ايلي ميزان

* محضر نقاش مع بول جاكو دي كومب

* محضر نقاش مع ريمون اجيون

* محضر نقاش مع دينا فورتي

* محضر نقاش مع مارسيل ميسيكوا

* محضر نقاش مع راؤول كورييل

* محضر نقاش مع انور كامل

* تقرير مارسيل اسرايل « تشريزي » (بدايات الحركة

العمالية في مصر)

* محضر نقاش مع فتحي الرملى

* محضر نقاش مع اسعد خليل

* محضر نقاش مع هنري كورييل

* محضر نقاش مع عبده دهب

الراجع

مصدر للمؤلف :

- الأساس الاجتماعي للثورة العرابية
- تاريخ الفكر الاشتراكي في مصر
- كتابات في التاريخ
- صفحات من تاريخ مصر

* في سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي :

- نقولا حداد ..
- عصام الدين حنفى ناصف
- ثلاثة لبنانيين في القاهرة

* في سلسلة قادة العمل السياسي في مصر :

- محمد فريد ، الموقف والمأساة
- سعد زغلول ، بين اليمين واليسار
- مصطفى النحاس ، السياسي والزعيم والناضل
- حسن البنا ، أمتي، وكيفي، ولماذا؟
- أحمد حسين ، كلمات ومواقف
- تأملات في الناصرية
- أوراق ناصرية في ملف سرى للغاية

* في سلسلة تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر :

- ١٩٢٥ - ١٩٠٠ تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر
- ١٩٤٠ - ١٩٣٥ التنوير المصري
- ١٩٥٠ - ١٩٤٠ تاريخ المنظمات اليسارية المصرية
- ١٩٥٧ - ١٩٥٠ منظمات اليسار المصري
- ١٩٦٥ - ١٩٥٧ تاريخ الحركة الشيوعية المصرية
- ١٩٤٨ - ١٩٣٥ الصحافة اليسارية في مصر ج١
- ١٩٥٢ - ١٩٥٠ الصحافة اليسارية في مصر ج٢
- اليسار المصري والقضية الفلسطينية

* روايات

- السكن في الأديان العليا
- العيصقة

رقم الايداع ۸۷/۳۸۰۶

شركة العمل للطباعة
والتشريع والتوزيع
"مورافيتاي سابقا"

۱۹ صمدیہ ریاض - عابدین تہ ۹۰۴۰۹۶



كنت اعتمد - ولم ازل - ان ثمرة القرب تمتلك
مذاقاً خاصاً بكل ارض تنبت فيها ومن ثم فانها
يصعب على الباحث ان يدرك المعاني الخاصة
لحركة واسمة الانتشار ، ممتدة التاريخ ، سرية
الفعل ، متمتدة المسارات ، مصرية الاداء والمذاق
كالحركة الشيوعية المصرية . اذاً هنا اكتفى
برؤية احادية ، او نظرة خارجية ، او مقاسمات
ظاهريه او مستندة الى تعميمات او تقسيمات
متعجلة .
عشرون عاماً وأكثر وصيتها اداء لهذا الواجب
المع . واجب دراسة هذا المسار الجديد ، دراسة
اكاديمية وانتقادية .

وهذه الدراسة لم يمت مجرد بحث في الماضي
ولا مطابفة مع الحاضر ، وانما تطلع الى المستقبل
ولقد صدر هذان الكتابان اللذين يضمهما
هذا المجلد في اكثر من طبعة لكنهما يمتلكان الآن
اصنافاً عديدة تراكمت لدى الباحث عبر فترة البحث
التي امتدت عبر اكثر من عشرين عاماً .

المؤلف

25 011



مركز الأمل للطباعة والنشر والتوزيع
الجولان بني سويف سابقاً

١٩٨١